

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
آتوا خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب

المعراج

١٣١٥

ببشر عبادي الذين يتسبون القبول فينبهون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و ه منارا و كمنار الطريق

مصر ٣٠ المحرم ١٣٣٢ هـ ق ٨ الشتاء الاول ١٢٩٢ هـ ش ٢٨ ديسمبر ١٩١٣

فاتحة السنة السابعة عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٥٩:٢٧) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ، اللَّهُ
خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٣:٢٧) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ،
وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٣٥:٤٥) فَلَلهُ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ
الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٣٦ وله الكبرياء في السموات والارض وهو
العزیز الحكيم) فنعلمه بما حمد به نفسه ، ونصلي ونسلم على خاتم أنبيائه
ورسله ، وصفوته من بني آدم الذين فضلهم على كثير من خلقه ، محمد

النبي الامي ، العربي الحجازي ، الذي أرسله رحمة للعالمين ، وأنم به نعمته في الدنيا والدين ، وآله الطيبين الطاهرين ، وصحبه المهادين المهديين ، والتابعين لهم في هدايتهم وهديتهم الى يوم الدين .

وبعد فاننا نذكر قراء المنار على رأس سنته السابعة عشرة بنحو ما ذكرناهم به في السنين الخالية ، من سوء عاقبة الإفراط والتفريط اللذين رزئت بهما أمتهن الجاهلة النافلة ، - الإفراط في عبادة الهوى واتباع الشهوات ، والانهمالك في القواش والمنكرات ، والمحافظة على البدع وسيئ العادات ، - والتفريط في حقوق الله وحقوق الامة ، وما يجب من التزام هدي الكتاب والسنة ، ومجارات الام بما يستطيع من حول وقوة ، ولا سيما قوة الاعتصام والوحدة ، وقوة العلم والمعرفة ، وقوة الكسب والثروة . ثم نذكرهم بتلك الآيات والعبر ، وهاتيك المواعظ والنذر ، وبما يفتشون به في كل عام ، وما تسلب من ملكهم الامم والاقوام ، وبيان سنن الله تعالى في الظالمين والمسرفين ، (٤: ٦) وما تأنيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين (١٠: ١٠١) قل انظروا ماذا في السموات والأرض ، وما تنفي الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ^(١) ١٠٢ - فهل ينظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ؟ قل فانظروا اني معكم من المنتظرين) سبحان الله ! ان من العقلاء من يتعظ بالمعبرة ، ومنهم من يكتفي بما توجه اليه الاشارة ، وانهم ليستنبطون من وقائع الاحوال ، ما يستعدون به لما ينتظر في الاستقبال ، ولو على سبيل الفرض والاحتمال

(١) أي لا يصدقون بما تدل عليه الآيات وما تخوفهم به النذر والمواعظ لجهلهم وعدم تدبرهم

وان الام أشد من الافراد احتياطا ، وأخفى حيلة وأدق استنباطا ،
وأوسع في المستقبل آمالا ، وأكثر استعدادا له وأعمالا ، لانها أطول
أعمارا ، وأشد قوة واقتدارا ، وأكثر أعوانا وأنصارا ، فما بال أمتنا
لا تمنظ بكلام الله ولا بكلام البشر ، ولا تعتبر بما تشاهده من الأحداث
والعبر ، وكلما أنذرها الله بطشته تتماهى بالنذر ؟ ! (٥٤ : ٤) ولقد جاءهم من
الانبياء ما فيه مژد جر - ٥ - حكمة بالغة فما تنفي النذر * - ٢١ : ٥٥ : قل إنما
أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون)

تركت هذه الامة هداية القرآن ، فقعاتها ما كانت نالت به من
الملك والسلطان ، والعلم والعرفان ، والبسطة في العمران ، وأمست غافلة
عن سبب ذلك التوفيق وهذا الخذلان ، بل أتى عليها أحقاب من الزمان ،
لا تشمر بكنه هذا الخسران ، وقد استيقظ فيها الشعور بما فسد من أمر
دنياهها ، قبل الشعور بما كان سببا له من فساد أمر دينها ، وبما خسرت
من سلطانها وأملاتها ، قبل الشعور بما خسرت من أخلاقها وملكاتها ،
ولما شمرت بالخطر على حياتها المادية والسياسية ، غافلة عن عللها الروحية
وأسبابها المعنوية ، شرعت في شيء من الإصلاح الصوري ، بدون أن
تؤيده بروح الإصلاح المعنوي ، فعُد السلطان محمود مصاحبا بتغيير الزي
الرسمي ونظام الجندية ، والسلطان عبد الحميد مصاحبا بإعلان التنظيمات
الخيرية ، والسلطان عبد الحميد مصاحبا بإنشاء نظارة العدلية ، ومصطفى
رشيد باشا مصاحبا بإدخال الدولة العثمانية في سلك الدول الأوروبية ، ومدحت
باشا وأعوانه مصاحبين باقتباس القوانين الغربية الغربية ، ومحمد علي
باشا وأحفاده مصاحبين بفرجة البلاد المصرية ، والامير عبد الرحمن

خان مصالحا بالتأليف بين القبائل الافغانية. ولم تتوجه همه أحد الى إصلاح الاخلاق والعادات ، وازالة البدع والمنكرات ، وجمع الكلمة التي فرقها المذاهب واللغات ، فما زاد الأمة ذلك الاصلاح الصوري الا ضروبا من الفساد ، ولا أفاد الدولة الا إضفاف الاستقلال وإضاعة البلاد ، (٢١ : ٤٤) بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العبر ، أفلا يرون أننا نأتي الارض ننتهبها من أطرافها ؟ أفهم الغالبون ؟)

لا أقول ان جميع ما قام به أولئك الرجال لم يكن مطلوبا ، ولا أقول ان ضرره وما ترتب عليه من الفساد كان ذاتيا ، بل أقول ان أكثره كان ضروريا ، ولكنه لم يكن علاجاً لهذه الامة من طيب اجتماعي ، عرف من أمراضها الظاهري والباطني ، فوصف لها من الدواء ما يزيل العلة ، ويحفظ البنية ويقوي المنة ، لذلك رأيناها بعد هذه المعالجات لم تزد الا مرضاً ، حتى كادت تكون حرضا ، ازدادت ذلا وفقرا ، وتفرقا وضعفا ، وفسادا في الاخلاق ، واسرافا في النفاق ، وكان ما أدخل فيها من علوم الامم القوية وقوانينها وآدابها ، كالجسم الغريب الذي يدخل في البنية فيفسد مزاجها ، لانه لم يكن على حسب استعدادها وحاجتها ، بل كان تقليداً صورياً ، أو عارضا وقتيا ، فنه ما كان ضارا ومنه ما كان نافعا ، فأما الضار فأكبر ضرره التقاليد والقوانين الافرنجية ، التي قطعت كثيرا من روابط الامة المليية ، وأزالت ما أزال من مقوماتها ومشخصاتها الاجتماعية والادبية ، ولم تستبدل بها ما يحل محلها من مقومات الامم الأوربية ، بل صارت عيالا عليهم في جميع الشؤون ، حتى انتهى ذلك الى هذا القتون ، بأن فقدت الاستقلال ، باسم النفوذ أو الحماية أو

الاحتلال ، (١٢:٩٦) وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون
١٣١ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ١٣٢ وَلِكُلِّ
درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون)

وأما ما كان نافعا من تلك الاعمال ، التي وسمت بسمة الاصلاح ،
فانما كان نفعه موضعيا ، وعارضا لا دائما ، فكان كمداداة بعض أعراض
الزهري (الداء الافرنجي) الظاهرة بما يزيلها ، مع بقاء العلة في الباطن
(كتسم الدم) تصدر عنها آثارها ، فما زال منه بالمعالجة الموضعية اليوم ،
يظهر ماهو شر منه وأعصى على العلاج في الغد * كلما داويت جرحا سال
جرح * ذلك مثل ما كان في الدولة العثمانية ، وهي اكبر مظاهر السلطة
في الامة الاسلامية ، وخير منه ما قام به الامير عبد الرحمن ، من جمع
كلمة قبائل الافغان ، وتدريبها على القتال ، الذي يحفظ به الاستقلال ،
وكذا ما قام به الامير محمد علي في مصر ، فانه بنى ركني الثروة والقوة على
أساس العلم ، ولو أتم أحفاده ما بدأ به ببناء ركني الاخلاق والآداب ،
على أساس الدين وسنن الاجتماع ، ثم لهم تكوين الأمة ، ولاستقام لهم
بالامة أمر الدولة ، فهذا العصر عصر الامم والشعوب ، لا عصر الامراء
والملوك ، ولكن جميع أقيال المسامين ، كانوا ولا يزالون عن هذا غافلين ،
(٣٥ : ٤٤) أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم وكانوا أشد منهم قوة ؟ ٤٠ : ٢١ - أولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في
الارض فأخدمهم الله بذنوبهم * ٣٠ : ٩ أولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا أشد منهم قوة وآثاروا الارض

وتعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسالهم بالبينات ، فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)

نعم انهم لم يسيروا في الارض ، لاجل الاعتبار بسنن الله في الكون ، فينظروا في سوء عاقبة الامم الجاهلة النائعة ، ومصير الدول المستبدة الظالمة ، وحسن عاقبة الامم العالة العاملة ، وسيادة الدول المنظمة العادلة ، وكيف ان اصلاح الارض وعمران الدور ، لا يفني عن اصلاح الاخلاق وارتقاء الجمهور ، ولو ساروا لما نظروا ، ولو نظروا لما أبصروا ، ولو أبصروا لما اعتبروا ، (٢٢:٤٦) أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يمعنون بها أو آذان يسمعون بها ؟ فانها لا تعنى الابصار ولكن تعنى القلوب التي في الصدور) وأي عمى أشد من عمى الاستبداد ؟ وهو مصدر كل فساد وفساد ، حتى انه يفسد الطباع ، ويغير الاوضاع ، ويقطع رابطة الزوجية ، ويزيل عاطفة الابوة والبنوة ، فيفري الولد بقتل والده ، والوالد بقتل ولده ، وكيف يؤمن على حياة أمته ، من لا يكبر عليه قتل والده أو ولده ، اذا هو نازعه في سلطته ، أو عارضه في ارادته ؟ فانتظار الأمم ان يكون صلاحها ورشادها ، ممن لاحظ لهم من حياتهم الا استدلالها واستباده ، اتباعا لترفهم ونعيمهم ، وافقتانا باطرائهم وتعظيمهم ، يشبه طلب العلم من الجاهلين ، والتماس الهدى من الضالين ، (١١ : ١١٧) فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقیة یتھون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم ، واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ١١٨ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)

ألا انه لا بقاء مع ظلم وفساد ، ولا عدل مع استبداد ، ولا هلاك

مع اصلاح ، ولا إصلاح للدولة ، الا بصلاح الأمة ، ولا صلاح لأمة الا اذا كان فيها بقية من أولي الرأي والعزم ، يأصرون بالصلاح وينهون عن الفساد في الأرض ، ولا تأثير للأمر والنهي ، الا بإجماع الأمر وإحكام الرأي ، ولا يفيد الإحكام والإجماع ، الا مع مراعاة سنن الاجتماع ، لا اختلاف استعداد الأقوام ، باختلاف احوال الزمان والمكان ، وزماننا هذا هو زمان الجماعات العلمية والأدبية والسياسية ، والشركات الزراعية والصناعية والتجارية ، فحظ الافراد الكثرين من معنى الامة ، على قدر حظهم من إقامة هذه الاركان الستة ، ولا ينبغي أن يطلق هذا اللفظ ، على من لا نصيب لهم منها ولا حظ ، الا على سبيل التجوز في القول ، كما يطلق اسم الشيء على صورة الشيء ، ومتى ملكت الامة بالجمعيات أمورها المعنوية ، وبالشركات أمورها المادية ، كانت جديرة بأن تقوم أمر حكومتها ، وتقيمها على صراط شريعته ، لهذا كان ههنا منذ سنة المنار الاولى ، أن نذكر أهل العلم والرأي من المسلمين بهذه الطريقة المثلى ، اهتداء بقوله تعالى (٨٧ : ٩) فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى ١٠ سِيذُكَرُ مِنْ يَخْشَى) وليس بعد إقامة حجة الله في الوري ، الا فلاح من اتبع الهدى ، وهلاك من آثر الهوى (٤٥ : ٢٢) أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ، فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدَ اللَّهِ ؟ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ !)

ألا وان أمر التربية والتعالم هو أهم ما يجب أن يوكل الى الجماعات ، ولا يجوز أن يترك الى الافراد ولا الى الحكومات ، لان المدارس للافراد دكا كين لكسب المال ، وللحكومات معامل اسبك المال ، فكل

من الفريقين يتوخى في التعليم منفعة الخاصة ، وان باينت مصلحة الأمة العامة ، وانما تطلب الحكومة عمالا لها كآلات ، لا ارادة لهم ولا رأي ولا استقلال ، والافراد يتبعون سننها ويسيروا على طريقها ، وانما ربح تجارتهم بروج بضاعتهم في سوقها ، وشر من ذلك ما ابتلي به جماهير المسلمين ، من ترك تربيتهم النفسية والعقائبة الى خصومهم في السياسة والدين !!! فكانوا بهذا الخزي من الاخسرين ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فأنتى تصلح أمة تركت تجديداتها وتكوينها ، الى من لا هم لهم الا ازالة ملكها ودينها ؟؟؟ كلا انها كربة خاسرة ، يخسرون بها الدنيا والآخرة ، (١٧٨:٧) ولقد ذرأنا لجنهم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون)

الام تصلح بالتربية ونحن قد افسدنا المربون - الافرنج والمتفرنجون - وترتقي بالعلم ونحن قد دلأنا العلماء المقلدون المفتونون ، وتقوى وتمتد بجميع المدارس لكلمتها ، ونحن قد أوهنتنا وشقت عصانا المدارس ، لانها إما معاهد سياسية وإلحاد ، وإما أديار وكنائس ، قد قطعت روابط الامة الدينية والمدنية ، وقتلتها بالاهواء والشهوات الحيوانية ، وسرى سم تقليدها الى المدارس الاميرية والاهلية ، فالمتخرجون فيها أقلهم الذين يسلمون ، ومنهم الملعدون وأكثرم الفاسقون ، يجرفون روة الامة الى الاجانب ، ويقذفونها بالقجور والنفوذ الاجنبي من كل جانب ، ويتغلبون فيها على المناصب ، فينالون منها جميع المآرب ، يحقرون لها سلفها ، ويمظمون

في نفسها كل ما هو أجنبي عنها ، فيقطعون جميع روابطها المالية ، ويزنون لها ذلك باسم المدنية ، فهم المنافذ والكوى التي يدخل منها الفساد ، وهم الآلات التي يستعين بها الأجانب على إدارة أمر البلاد ، لأنهم تربية مدارسهم ، بل صنع معاملهم ، أو الجيش السلمي لشكائهم ، ولا يتم لهم ما يسمونه الفتح السلمي بدونهم ، ولا أجل هذا ربوهم هذه التربية البدنية ، وحشوا مخيلاتهم بمسائل العلوم المضطربة ، فلام صاروا بها أوريين ، ولا ظلوا مسلمين أو شرقيين ، ولكنهم لغروهم باسم المدنية الأفرنجية يفسدون على الأمة أمرها ، ويزعمون أنهم هم المصالحون لشأنها ، (٢ : ١٠) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ١١ إلا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) هكذا ذفف على جرح هذه الأمة من جعلوا انفسهم أساة لها وأطباء ، فكان اقل أدوائها ما عالجوها به من الدواء ، ومن كان له عقل وبصيرة ، فليتدبر ما تقوله فيهم كتب الأفرنج وصحفهم الشهيرة^(١) ومن اهمه ما نقلته مجلة العالم الاسلامي الفرنسية ، عن مجلة العالم الاسلامي الانكليزية ، في سياق الكلام على فتح العالم الاسلامي (الذي نشرناه في ص ٥١٦ م ١٥) وهذا

نصه : « اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية

على أن معاهد التعليم الثانوية التي اسسها الاوريون كان لها تأثير في حل

المسألة الشرقية يرجع على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول

أوربة كلها » !! فإذا لم يكن للمسلمين مدارس ملية ، تديرها حكومة أو

جماعات اسلامية ، فتربيهم على ما يجمعون به مصالحهم الدينية والدنيوية ، وإذا

(١) ومنها ما كتبه لورد كرومر في كتابه مصر الحديثة في سوء حال المتفرجين

(المنار - ج ١)

(٢)

(المجلد السابع عشر)

كانوا لا يعرفون للتعليم غاية الا المنفعة الشخصية ، وما يتخيلون من المنافع
الحسية المادية ، فان اوروبا تعرف كيف تنشئهم في مدارسها ومدارسهم
خلقا جديدا ، يكونون بها على توفهم الحرية خدما لها وعبيدا ، فهم مقادون
من امامهم ، ومسوقون من ورائهم ، ولكن لا يدرون كيف بدءوا ولا
اين ينتهون ، (١٦ : ٢١ أموات غير أحياء وما يشعرون أيا ن يُبعثون *
٣ : ١١٧ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً
وذوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ،
قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون)

ألا انا في اشد الحاجة الى الصناعات الافرنجية ، وما تتوقف عليه
من العلوم والفنون العملية ، والى الاعتبار بتاريخهم ، وأطوار حكوماتهم
وجماعاتهم ، ولكن يجب ان يقوم باقتباس ذلك جماعات منا ، يجمعون بينه
وبين حفظ مقوماتنا ومشخصاتنا ، وأركانها اللغة والدين والشريعة
والآداب^(١) فمن فقد شيئا من هذه الاشياء فقد فقد جزءا من نفسه ،
لا يمكن ان يستغني عنه بمثله من غيره ، كما انه لا يستغني بعقل غيره عن
عقله ، ولا بجسم سواه عن جسمه ، وانما نستفيد من العبرة بحالهم ، كيف
ترقي لغتنا كما رقوا لغاتهم ، وكيف تنشر ديننا كما ينشرون دينهم ، وكيف
نسهل طرق العمل بشريعتنا وآدابنا كما سهلوا طرق شرائعهم وآدابهم ،
ولنا ان نستمع على ما نستمد منه ، بأهل الفضيلة والاستقلال من

{ ١ } هذا التقسيم بحسب عرف العصر . والشريعة عند المسلمين بمعنى الدين والمراد
بها هنا احكام المعاملات من السياسة والقضاء والادارة والحرب . وهي موضع اجتهاد
أولي الامر في الدين الاسلامي . والآداب الاسلامية متبعا للدين وهي اعلى من
آداب الافرنج وأكمل

رجالهم ، الذين ليس لهم فينا اهواء دينية ، ولا مطامع سياسية استعمارية ،
وبهذا نكون مهتدين بما امرنا الله به من السير في الأرض ، والاعتبار
بأحوال الامم ، وبسنة سلفنا ، في جعل الحكمة ضالتنا ، واعتقاد أنها حيث
وجدت فنحن أحق بها ، (٢٤: ٨) يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول
إذا دعاكم إلى محيىكم ، واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه إليه تحشرون
٢٥ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله
شديد العقاب ٢٦ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض
تخافون ان يخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ووزقكم من الطيبات
لعلكم تشكرون ٢٧ يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا
أماناتكم وانتم تعلمون *

الدعوة الى انتقاد المنار

أمر الله تعالى بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، وبالأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر ، ونهى عن الغيبة وتوعد المفتاب ومن يحب شيوع الفاحشة ، وأوعد
الهمزة اللدزة ، بالويل الشديد والحطمة ، فنحن نذكر كل من يطلع على منارنا هذا
بأمر الله ونهيه ، ووعدده ووعيدده ، وندعو من رأى فيه خطأ ان يذكرنا به قولاً
أو كتابة ، مبيناً ذلك بالدليل والبرهان ، لا بقول فلان ورأى فلان ، مع أدب العبارة ،
والا كتفاء منها بقدر الحاجة ، ونحن ننشر ان شاء الله تعالى كل ما يكتب اليانا ،
سواء كان لنا أو علينا ، اذا التزم الكاتب ما شرطنا ، ثم نبين ما عندنا فيه من قبول
وإذعان ، أو رد أدبي مؤيد بالبرهان ، وليعلم كل عاقل منصف أن من يخطئنا
ولا يكتب اليانا فهو لا ثقة به لعله ولا بدينه ولا بما يقواه فينا ، وانه حاسد مفتاب ، أو مدّع
كذاب ، والى الله المرجع والمآب ، وهو سريع الحساب
منشئ المنار ومحرره
محمد رشيد رضا الحسيني



﴿ كتاب مدارج السالكين . بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ﴾

هذا الكتاب للإمام الحافظ المحقق ابن قيم الجوزية ، شرح فيه كتاب (منازل السائر) في التصوف لشيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي شرحاً بين فيه غوامضه ، وفصل بين ما يوافق الكتاب والسنة وما يخالفهما منه ، فهو أفضل كتب التصوف وأنفعها ، وهو يطبع الآن في مطبعة المنار ، وقد أوشك أن يتم طبع الجزء الأول منه ، وقد رأينا أن ننشر هذا الفصل منه تعجيلاً بالفائدة لقراء المنار ، ولشدة الحاجة إليه . قال المصنف رحمه الله تعالى في سياق بيان أنواع الكفر :

﴿ فصل ﴾

وأما الشرك فهو نوعان : أكبر وأصغر . فالأكبر لا يفره الله إلا بالتوبة منه ، وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله . وهو الشرك الذي تضمن نسوية آلهة المشركين برب العالمين . ولهذا قالوا لا إلهة إلا آلهتهم في النار (تالله أن كنا في ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين) مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربهم ومليكه ، وإن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت . وإنما كانت هذه النسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم ، بل كلهم يحبون معبوديهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله . وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر الله وحده ، ويفضون لمتقصر معبوديهم وآلهتهم من المشايخ أعظم مما يفضون إذا انتقص أحد رب العالمين ، وإذا انتهكت حرمة من حرمت آلهتهم ومعبوديهم غضبوا غضب الليث إذا حرد ، وإذا انتهكت حرمت الله لم يفضوا لها ، بل إذا قام المنتهك لها بطعامهم شيئاً رضوا عنه ولم تنكر له قلوبهم . وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة ، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده من دون الله على لسانه أن أقام وإن قعد وإن عمر وإن مرض وإن استوحى (١) فذكر إلهه ومعبوده من دون الله

(١) كتب في هامش نسختنا « لعله وإن استوحش » وفي النسخة الثالثة . « وإن

استوى » أي جالسا أو راكبا أو قائما

هو الغالب على قلبه ولسانه، وهو لا ينكر ذلك، ويؤمن انه باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ووسيلته اليه — وهكذا كان عباد الاصنام سواء — وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم ، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم ، فأولئك كانت آلهتهم من الحجر ، وغيرهم اتخذوها (١) من البشر. قال الله تعالى ها كيا عن اسلاف هؤلاء المشركين (والذين اتخذوا من دونه أولياء : ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون) ثم شهد عليهم بالكفر والكذب وأخبر انه لا يهديهم فقال (٢) (ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار) فلهذا حال من اتخذ من دون الله وليا يزعم انه يقربه الى الله، وما أعز من يخلص من هذا ؟ بل ما أعز من لا يهدي من انكره ! والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله . وهذا عين الشرك. وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله ، وأخبر ان الشفاعة كلها له ، وأنه لا يشفع عنده أحد الا لمن أذن الله أن يشفع فيه ورضي قوله وعمله ، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعا ، فانه يأذن سبحانه لمن شاء في الشفاعة لهم حيث لم يتخذوهم شفعا من دونه ، فيكون أسعد الناس بشفاعة من يأذن الله به صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعا من دون الله

والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله هي الشفاعة الصادرة عن أذنه لمن وَّحده ، والتي نفاها الله (٣) الشفاعة الشريكة التي في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعا ، فيعاملون بتقيض قصدهم من شفاعتهم ويفوز بها الموحدون . فأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم لا بى هريرة — وقد سأله : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال — « أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله الا الله خالصا من قلبه » كيف جعل أعظم الاسباب التي تنال بها شفاعة تجرى التوحيد عكس ما عند المشركين ان الشفاعة تنال بالتخاذل شفا وعبادتهم وهو الأهم من دون الله ، فقلب النبي

(١) وفي نسخة « اتخذها » (٢) هذه الجملة بين طرفي الآية ساقطة من نسختنا

{ المارج : نفي الله الشفاعة نفا مطلقا ومقيدا ، فالأطلق كقوله { اتفقوا بما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة } والمقيد كقوله { ما للظالمين من شفيع ولا حم يطلع } ومنها ما أشار اليه المصنف

صلى الله عليه وسلم لم يفي زعمهم بالكاذب ، وأخبر أن سبب انشغاله بتجريد التوحيد ،
فحينئذ يأذن الله للشافع ان يشفع .

ومن جهل المشرك اعتقاده ان من اتخذ له وليا أو شفيعا انه يشفع له وينفعه عند
الله كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع شفاعتهم من والاهم ، ولم يعلموا ان الله
لا يشفع عنده احد الا بأذنه ، ولا يأذن في اشفاعه الا لمن رضي قوله وعمله كما قال
تعالى في الفصل الأول (من ذا الذي يشفع عنده الا بأذنه ؟) وفي الفصل الثاني
(ولا يشفعون الا لمن ارتقى) وبقي فصل ثالث ، وهو انه لا يرضى من اتقوله
والعمل الا التوحيد واتباع الرسول ، وعن هاتين الكلمتين يسأل الاولين والآخريين
كما قال أبو العاتية : كلمتان يسئل عنهما الأولون والآخرون : ماذا كنتم تعبدون ؟ (١)
وماذا أجبتم المرسلين ؟ فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعها
وعقاربها : لا شفاعة الا بأذنه ، ولا يأذن الا لمن رضي قوله وعمله ، ولا يرضى من اتقوله
والعمل الا توحيده واتباع رسوله (٢) فالله تعالى : لا يغفر شرك العاديين به غيره
كما قال تعالى (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) وأصح القولين انهم يعدلون به
غيره في العبادة والموالاته والمحبة كما في الآية الاخرى (قاله ان كنا لفي ضلال مبين)
اذ نسويكم رب العالمين (وكما في آية البقرة) يحبونهم كحب الله (

وترى المشرك يكذب حاله وعمله لقوله فانه يقول : لا نجيبهم كحب الله
ولا نسويهم بالله . ثم يفض لهم ولحرمتهم اذا انتهكت أعظم مما يفضبه الله ،
ويستبشرونهم ويتبشش به (٣) سيما اذا ذكر عنهم ما ليس فيهم من اغاثة
الاهفات ، وكشف الكربات ، وقضاء الحاجات ، وأنهم باب بين الله وبين عباده .
ترى المشرك يفرح ويسر ويحسن قلبه ويهيج منه لواجب التظيم والمضوع لهم
والموالاته ، واذا ذكرت له الله وحده وجردت توحيده ، لحقته وحشة وضيق وخرج (٤)

(١) كتب في هامش نسخة هنا « تعدلون » (٢) وفي نسخة « رسوله » (٣) يقال
تبشش به اذا آسسه وواصله وفي نسخة « ويستأنس » بدل « ويتبشش » (٤) فات
المصنف ان يستشهد هنا بقوله تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين
لا يؤمنون بالآخرة ، واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) ولا فرق بين المشرك
الذي لا يؤمن بالآخرة البتة ، والمشرك الذي يؤمن بها على غير الوجه الذي بينه الرسول (ص)

ورماك بتقص الآلهية (١) التي له ور بما عاداك . رأينا والله منهم هذا عياناً ، ورمونا
بمداوتهم وبعوا لنا الفوائل (٢) والله مخزيهم (٣) في الدنيا والآخرة ، ولم تكن
حجتهم الا ان قالوا كما قال اخوانهم : عاب آلهتنا . فقال هؤلاء تنقصتم مشايخنا
وأبواب حوائجنا الى الله . وهكذا قال النصارى للنبي صلى الله عليه وسلم لما قال لهم :
ان المسيح عبد (٤) ، قالوا : تنقصت المسيح وعبته . وهكذا قال أشباه المشركين
لمن منهم اتخذ القبور أوثاناً تعبد ومساجد ، وأمر بزيارتها على الوجه الذي اذن
الله فيه ورسوله ، قالوا : تنقصت أصحابها . فانظر الى هذا التشابه بين قلوبهم حتى
كأنهم قد تواصوا به و (من يهدي الله فهو المهتد ، ومن يضال فلن يجد له ولياً مرشداً)
وقد قطع تعالى الاسباب التي تعلق بها المشركون جميعها قطعاً يعلم من تأمله
وعرفه ان من اتخذ من دون الله ولياً أو شفعياً فهو (كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً
وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) فقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون
الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وما له
منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له) فالمشرك انما يتخذ معبوده
لما يحصل له به من النفع . والنفع لا يكون الا لمن فيه خصلة من هذه الاربعة :
إما مالك لما يريد عابده منه ، فان لم يكن مالكا كان شريكاً للمالك ، فان لم
يكن شريكاً له كان معيلاً له وظهيراً ، فان لم يكن معيلاً ولا ظهيراً كان شفعياً
عنده . فنفي سبحانه المراتب الاربعة نفياً مترتباً منتقلاً (٥) من الاعلى الى مادونه (٦)
فنفي الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يظنها المشرك ، واثبت شفاعة
لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة باذنه ، فكفى بهذه الآية نورا وبرهاناً ونجاة
وتجريداً للتوحيد وقطعاً لاصول الشرك ومواده لمن عقلها ، والقرآن مملوء من أمثالها

(١) وفي نسخة « رماك بتقص الآلهة » الخ (٢) يقول مصحح الكتاب :
نحمد الله ان كان لنا في المصنف وأمثاله من الدعاة الى توحيد الله أسوة ، فقد رأينا
ما رأى وابتلينا بما ابتلي {٣} وفي نسخة « يحزبهم » (٤) وفي نسخة « عبد الله »
(٥) وفي نسخة مرتباً منتقلاً (٦) وفي نسخة الادنى

٣٤ اسلام اللورد هدي - محاسن الاسلام التي هدته اليه (المنار - ج ١ م ١٧)

ونظائرهما ولكن اكثر الناس لا يشعرون (١) بدخول الواقع تحتهم وتضمنه له ، وبظنه في نوع ، وقوم قد دخلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا ، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن . ولعمري الله ان كان اولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم - او شر منهم او دونهم . وتناول القرآن لهم كتابه لا اولئك ، ولكن الامر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية ، (٢) وهذا لانه اذا لم يعرف الجاهلية والشرك . وما عابه القرآن وذمه ، وقم فيه واقره ، ودعا اليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف انه هو الذي كان عليه اهل الجاهلية او نظيره ، او شر منه (٣) او دونه ، فينقض (٤) بذلك عرى الاسلام ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا ، والبدعة سنة والسنة بدعة ، ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد ، ويبدع بتجريد متابعة الرسول ومفارقة الاهواء والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا والله المستعان اه

اسلام اللورد هدي

وما قاله وكتبه في سببه

خاضت جرائد العالم في اسلام « اللورد هدي » الانكليزي فكتب بعضها ما نب عليه كما هو على سبيل الخبر ، وزعم بعضهم ان اسلامه سياسي ليئيل المسلمين في مجلس اللوردات ! واني بعض المنتصين من النصاري الا ان يشوب الخبر بشوائب التلبيس والبهام الفارئة ان اللورد لا يزال نصرانيا يؤمن بالثالوث ويجمع بين الضدين او النقيضين : التوحيد والتثليث . وكان هذا التلبيس والابهام قد استتبط من كلمة عزيت الى اللورد - واتنا ننشر ما نقلته جريدة مسيحية انكليزية عن اللورد وما كتبه هو عن اسلامه فنقول :

جاء في جريدة الديلي ميل الصادرة في ١٧ نوفمبر سنة ١٩١٣ تحت عنوان (اسلام اللورد هدي) ما يأتي :

اللورد هدي هو البارون الخامس في بيته (عائلته) وقد ارتقى الى هذه الرتبة

(١) وفي نسخة لا يشعرون (٢) وفي نسخة من لم يعرف الجاهلية (٣) وفي نسخة / او أسوأ (٤) وفي نسخة فينقض . ولعله الاصل الصحيح

في يناير الماضي بعد وفاة ابن عمه . وقد اسلم هذا اللورد الآن وأعلن اسلامه في حفلة للجمعية الاسلامية بلندن ، وكان هو نفسه حاضرا في وليمة الجمعية السنوية قال في اجتماع البارحة « انني باعلان اسلامي الآن لم أحد مطلقا عما اعتقدته منذ عشرين سنة ، ولما دشني الجمعية الاسلامية لوليتها سررت جدا لا تمكن من الذهاب اليهم واخبارهم بالتصاقي الشديد بدينهم . وأنا لم أهتم بعمل أي شيء لظهور قبذي لافتي بالكنيسة الانكليزية التي نشأت في حجيرها ، كما أنني لم أحفل بالرسميات في إعلان اسلامي ، وان كان هو الدين الذي أعلمك به الآن

إن عدم تسامح المتسكين بالنصرانية كان أكبر سبب في خروجي عن جامعتهم ، فانك لا تسمع أحداً من المسلمين يذم أحداً من أتباع الاديان الأخرى كما تسمع ذلك من النصارى بعضهم في بعض ، فإن المسلمين وإن كان يحزنهم عدم اعتداء الناس إلى دينهم إلا أنهم لا يحكمون على كل من خالفهم بالهلاك الأبدى

إن طهارة الاسلام وسهولته وبعده عن الأهواء والمذاهب الكهنوتية ووضوح حجته كانت كل هذه الأشياء أكبر ما أثر في نفسي . وقد رأيت في المسلمين من الاهتمام بدينهم والاختلاص ما أثار عني بين النصارى ، فإن النصراني يحترم دينه عادة يوم الأحد حتى إذا ما مضى الأحد نسى دينه طول الأسبوع . وأما المسلم فبمكس ذلك ، يحب دينه دائماً ، وسواء عنده أكان اليوم يوم الجمعة أو غيره ، ولا يفتر لحظة عن التفكير في كل عمل يكون فيه عبادة الله

وإنني وإن كنت اعتنقت الاسلام إلا أنني لازلت نصرانيا ، بمعنى أنني لازلت مؤمنا بالمسيح ومعتبما تعاليم المسيح ، فإن الاسلام يصدق بتعاليم جميع الانبياء على حد سواء فلا يفرق بين موسى والمسيح ومحمد « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » اه كلام هدي ثم قالت الجريدة المذكورة : إن اللورد (هدي) هو مهندس . وفي المسابقة الرياضية التي جرت في كبرديج حاز نصب السبق في الملائكة مثل المسير النسور وبين (Allanson Winn)

﴿ لماذا أسلمت ﴾

وجه في جريدة الأبريرفر الأسبوعية (The Observer) في عددها الصادر في ٢٣ نوفمبر الماضي تحت عنوان (لماذا أسلمت) بقلم اللورد هدي (Headley) مارجته حريفا : —

أخذت صحف عديدة تخوض في معتقدي الديني ، ويسرنى أن أرى أن جميع الانتقادات التي وجهت إليّ الآن كانت بلهجة لطيفة ، وما كان ينتظر أن الخروج عما افه الناس واعتادوه لا يلفت الأنظار إليه ، وذلك مما يسرنى . إني أحب مهنتي ومولع بالألعاب الرياضية ، ولم يكن لي في ذلك غرض لطلب الشهرة وبعد الصيت ، ولكن لو كان عملي في هذه الحالة سبباً في جعل الناس كبيرى المدارك سمحاء فأنا في غاية الاستعداد لأن أتحمّل بكل صبر أي نوع من الاساءة والاستهزاء

أتاني في يوم كتاب من نصراني متمسك بدينه يقول لي فيه : إن الاسلام هو دين شهوات ، وإنه كان لنبيه عدة زوجات . فثأعجبها من فكرة عن الاسلام ! ! ولكنها هي الفكرة السائدة على عقول تسمة وتسعين من كل مائة بريطاني ، فانهم لا يتعبون أنفسهم في البحث عن حقائق دين يدين به مائة مليون من اخوانهم الخاضعين لهم . نبي العرب المقدس كان على الأخص حصورا عن الشهوات طاهراً ، فكان مخلصاً لزوجته الوحيدة خديجة التي كانت أكبر منه بخمس عشرة سنة ، وكانت أول من آمنت بهيمته . وبعد موتها تزوج عائشة ثم تزوج أيضا عدة أرامل لاصحابه الذين قتلوا في الحرب لا لأنه كان له أدنى رغبة فيهن بل ليمولهن ويقوم بكفالتهن ويرفع مقامهن إلى منزلة ما كن يصلن إليها بغير ذلك . وكان عمله هذا ملتبساً مع بعده عن الأنانية ومع حياته الشريفة العالية . وكان من شدة زهده في هذه الحياة أنه ما كان يملك ما يكفيه من العيش

نحن البريطانيون تمودنا أن نفخر بمحبنا للانصاف والعدل ، ولكن أي ظلم أعظم من أن نحكم - كما يفعل أكثرنا - بفساد الاسلام قبل أن نلم بشيء من عقائده ، بل قبل أن نفهم معنى كلمة إسلام ؟

القرآن والدعوة

من المحتمل أن بعض أصدقائي يتوهم أن المسلمين هم الذين أثروا في ، ولكن هذا الوهم لاحقيقة له ، فان اعتقاداني الحاضرة ليست إلا نتيجة تفكير قضيت فيه عدة سنين . أما ماذا كراني الفعلية مع المتعلمين من المسلمين في موضوع الدين فلم تبدأ الا منذ أسابيع قليلة ، ولا حاجة بي إلى القول إني ملئت سرورا حينما وجدت نظرياتي ونتائجي متفقة تمام الاتفاق مع الدين الاسلامي . وأما صديقي الخوجة كمال الدين فلم

بحاول قط أنت يكون له في أقل تأثير ، ولكنه كان حقيقة كقاموس حي يفسر ويترجم لي - مع الصبر - ما لم يتضح لي من آيات الممرآن . وكان سلوكه هذا مسلك المبشر الاسلامي الحقيقي الذي لا يحاول إرغام سامعيه أو التأثير فيهم . فان الدخول في الاسلام يجب - كما يقول القرآن - أن يكون بإرادة الانسان الحرة وبرايه الذاتي بدون أي وسيلة من وسائل الاكراه . وكذلك أراد عيسى أيضا حينما قال (ص ٦ : ١١ وكل من لا يقبلكم ولا يسمع لكم فاخرجوه من هناك . . .)

إني أعرف حوادث عديدة جدا لبعض البروتستانت المتحمسين الذين يظنون أنه يجب عليهم أن يزوروا بيوت الكاثوليك ليحولوهم إلى مذهبهم ، ومثل هذا التعمدي الجارح قبيح طبعا . وقد أدى في الاكثر الى إثارة الاحقاد التي نشأت عنها مشاحنات وجماعات الدين يزدرى . وإني ليحزنني أن أرى أن دعاة النصرانية قد سلكوا هذا الطريق عينه مع اخوانهم المسلمين ، ولا يمكنني أن أفهم كيف يريدون أن يدعوا الى النصرانية من هم في الحقيقة أفضل منهم نصرانية (أو قال نصارى أفضل منهم) لم أقل « نصارى أفضل منهم » جزافا فان مافي الاسلام من الخير والنساج وسعة المدارك أقرب إلى مادعا اليه المسيح من تلك العقائد الضيقة التي أخذت بها فرق النصارى المختلفة

عقيدة اثنا سيوس (١)

أذكر مثلا واحدا وهو عقيدة أثنا سيوس التي تشرح الثالوث شرحا في غاية التعقيد . في هذه العقيدة - وهي كبيرة الاهمية جدا وتنص على احدى العقائد الاساسية للكنائس المسيحية - ترى جلليا أنها عقيدة الجمهور وأما إذا لم نأخذ بها نهلك هلاكا أبديا . ثم يقال لنا إنه « يجب علينا أن لا نفكر في الثالوث بغير ذلك » وبعبارة أخرى إن الآله الذي نصفه في لحظة بالرحمة والقدرة ، نصفه في اللحظة الثانية بالظلم والقسوة ، وهو ما نحاسي أن نصف بها أفسى البشر السفاكين ، فكأن الله تعالى القديم الذي فوق كل شيء يكون خاضعا لما يذهب اليه الهالك المسكين (يريد الانسان) في أمر الثالوث . وهاك مثلا آخر من أمثلة بعدهم عن الخير : أتاني كتاب بمناسبة ميلى للاسلام يقول لي فيه كاتبه : إني إن لم أومن بلاهوت المسيح فلا سبيل لي إلى الخلاص . أما مسألة الوهية المسيح هذه فلم يظهر لي أنها تعرب في أهميتها من تلك المسألة الاخرى وهي : هل بلغ رسالة ربه للبشر ؟ فلو كان عندي الآن أي شك في هذه المسألة

٣٨ جزم هدي بأن في قومه مهتدون كثيرون يكتفون بسلامتهم (المنار - ج ١ م ١٧)

الآخرة لضايقي كثيرا ، ولكنني - ولله الحمد - لا أشك فيها ، وأرجو أن يكون إيماني بالمسيح وبما أوحاه الله إليه ثابتا كإيمان أي مسلم أو أي نصراني به . وكما قلت من قبل مرارا إن الإسلام والنصرانية - التي أتى بها المسيح نفسه - هما توأمان لم يفرق بينهما إلا الأهواء والاصطلاحات التي يحسن أن تنبذ ظهريا في هذه الأيام . يميل الناس إلى الاتحاد حينما يطالبون بالأخذ بمبادئ جامدة لا تحمل التسامح ، وإن كانوا - ولا شك - لفي شوق إلى دين يذعن لحكم العقل كما يذعن الوجدان . من سمع بمسلم انقلب ملجدا ؟ يجوز أن يوجد أحوال قلائل كهذه ولكنني مع ذلك أشك في وجودها كل الشك

خوف الانتقاد

إني أعتقد أنه يوجد ألوف من الرجال والنساء الذين يدينون بالإسلام في قلوبهم ، ولكن مخافة الأجماع وخوف الانتقاد العدائي والرغبة في اجتناب كل ضيق أو تغيير يحملهم على عدم الجهر بما في قلوبهم . قد سالت الآن نفس هذا المسلك . على أني أعلم أن كثيرا من أصدقائي وأقربائي ينظرون إليّ كأنني روح ضالة تستحق الدعاء لها ، مع أن عقيدتي الآن هي عين عقيدتي منذ عشرين سنة ، ولكن جهري بها هو الذي أفقدني حسن ظنهم بي . إن الخوف هو السبب في وجود أحوال لا تحصى من الشقاء والشر في هذا العالم ، ولو اتبع الناس الصراحة في القول لقل سوء التفاهم بينهم ، وازاد احترامهم ، ولتقتبس هنا كلمة المستر (بلفور) الحكيم وهي قوله « لا ناصح أضر من الفزع إلا اليأس » ولكن أفضل أن أقول في هذه الحالة « هناك ناصح أضر وأشد خطرا من الشك أو الكفر ألا وهو الخوف »

وحيث أني قد أثبت هنا بملخص بعض الأسباب التي حمتني على اعتناق الإسلام وقد بينت أني أعتبر نفسي بهذا الصل نصرانيا أكل بكثير مما كنت من قبل ، فلذا أرجو أن يقتدي بي غيري في ذلك ، فإنه خير لا شك فيه . وفيه السعادة لسكل من يرى أن عملي هذا ارتقاء لا يراد به أي عداة للنصرانية الصحيحة . اهـ

(المنار) في كلام أخينا اللورد هدي كلمتان جديرتان بالاعتبار (أحدهما) قوله : إن الإسلام هو النصرانية التي كان عليها ودعا إليها المسيح عليه السلام . وهذا حق فإن دين جميع رسل الله (عليهم السلام) واحد في أصوله وجوهره ، وإنما كان بيان خاتمهم (محمد صلى الله عليه وسلم) أنهم وأكمل على سنة الارتقاء في الحياة ، وقد حفظه

(المنار - ج ١ م ١٧) رجاء ظهور نور الاسلام لجماهير الافرنج بعد ظهوره لافرادهم ٣٩

الله من النحر بف والتبديل والزيادة والنقصان ، وقد سبق لحكيمنا الكبير السيد جمال الدين الافندي رحمه الله تعالى كلمة مثل كلمة اخينا اللورد هدي . ذلك ان سائلا سألته عن سبب الدعوة الى المذهب (النيشيري) المادي في الهند فقال : ان الذين أرادوا حل رابطة المسلمين في الهند دعوتهم أولا الى النصرانية فلم تجح دعوتهم لان الاسلام مسيحية وزيادة ، فانه يقرر الايمان بالمسيح وبما جاء به من التوحيد والفضائل ويبطل ما زاده النصراني في دينه من الخرافات - أي مع زيادة في المعارف الالهية والآداب والفضائل والهدي الكامل - فلما خابت هذه الدعوة رأوا ان يشككوكهم في الدين المطلق الخ ما قاله وقد ذكرناه بالمعنى . ولولا المصديات المذهبية ، والاحقاد السياسية ، وسوء حال مسامي هذه الازمنة وبمدهم عن حقيقة الديانة الاسلامية ، وجهل الافرنج بها وبلغتها العربية ، ثم هذا الحجاب الذي اسدته العلوم والاعمال المادية ، ومقت الدين الذي أثارته الخرافات الكنيسية ، وما كان قبل من قسوة السلطة البابوية ، لكان هؤلاء الافرنج أجدر الناس في هذا العصر بالاسلام ، دين العقل والعلم والحضارة والسلام ، الذي كشف ما غشي كتب الانبياء من الخرافات والأوهام ، ورفع امتيازات الاجناس والاصناف والاقوام . ودعا الناس كافة الى الاخاء والوحدة والاعتصام . ولا بد أن يحل حقه لهم بعد احتقار ان لم يكن بعد اعوام ، وقد ظهرت بوادر ذلك بما يكتشفون في هذه الايام ، من غرائب آياته تعالى في الانفس والعقول والقوى والاجسام ، وقد قال في كتابه المجيد (سزيرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق . أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد * ألا إنهم في صرية من لقاء ربهم ، ألا انه بكل شيء محيط)

وأما الكلمة الثانية من كتي (اللورد هدي) فهي إخباره بأن كثيرا من قومه مسلمون ، أي قد ظهر لهم نور الاسلام ، فانقضت به ظلمات الأوهام ، وتلك الظلمة الوثنية ، التي غشيت تعليم المسيح النورانية ، فعلموا أن دين محمد هو دين المسيح عليهما السلام ، ولكنه غير أديان الكنائس المنسوبة الى المسيح بين انهم مسلمون في باطنهم ولكنهم يخافون ان يظهر واسلامهم كما كان يخاف هو مدة عشرين سنة ، وانما يخافون ان يحتقرهم قومه ، ويمتنع منهم أهلهم ، لأن تمصبتهم للدين وللمذهب شديد جدا ، وان خفي هذا عن سفهاء المتفرجين منا الذين يزعمون ان جميع الافرنج مارقون من الدين . لانهم لم يلهم الى الاتحاد لا يجذبون الا الى أهله ، وقد يحملون من الكلام عليه ما لا يراد به منه ، كما أنهم لاقتانهم بالفسق يظنون ان جميع نساء الافرنج بغايا ، وانهم لا هم لهم من حياتهم

ولا اشتغالهم الا بالشهوات البهيمية ، وسبب ذلك انهم لا يبحثون الا عن ذلك . ولو كان هم الذين يذهبون الى أوربة منهم موجهها الى علم من العلوم أو فن من الفنون أو صناعة من الصناعات ، لبدا لهم من اهتمام الافرنج به ما يحملهم على الظن بأنه لا هم لهم في غيره . على ان في الافرنج من يتم بافساد دين الشرقي لافساد جامسته التي يعتصم بها هذا واما كنا منذ ميزنا وعقلنا نسمع من أهلنا وأصحابنا أن كثيرا من نصارى بلادنا يوقنون بحقية الاسلام ولا يجروون على اظهار ذلك لقومهم ، ومنهم من يدخل في الاسلام ويؤدي فرائضه كلها أو بعضها في الحفاء ، حتى اتفق ذلك لبعض رؤساء الاديان ، وأخبرنا والدي رحمه الله تعالى أنه عاد فلانا القائمقام في أحد أقضية جبل لبنان في مرض موته - وكان صديقا له - نخلا به فأشهد على نفسه أنه مسلم يشهد أن لا إله الا الله وان محمد رسول الله . وأذكر أنني رأيت ذلك الرجل وكنت طالب علم فسألني عن بعض الاحاديث النبوية وكان يذكر النبي (ص) بتعظيم فوق المعتاد في مجاملة أدباء النصارى للمسلمين ، فحملت ذلك على المبالغة في المجاملة .

وانني أعرف افراداً من فضلاء النصارى المستقلين يودون لو كان في البلاد حرية دينية يذرم بها أهلهم اذا هم أسلموا ، منهم من يود لو كان مسلماً اعتقاداً منه بأفضلية الاسلام ورجحانه على جميع الاديان ، ومنهم من يود ذلك لغرض سياسي اجتماعي وهو التمكن من التأثير في اصلاح بلاده التي يحزم بأنها لاتصلح الا اذا صلح المسلمون وجاروا الامم القوية في اسباب العزة والحضارة . وهذا الصنف كثير جدا . ولو كان الاسلام حكومة تقيم بنيانه ، وتنفذ أحكامه ، وتحمل الامة على فضائله ، وتظهر للناس حقيقة عدله وسماحته ، لرأيت الناس يدخلون فيه أفواجا ، ولكن رؤساء المسلمين هم أشد تنقيرا عن الاسلام من دعاة الاديان الاخرى ورؤسائها ، ومن كل أحد . وما هذه الاعوارض لاتدوم ، اذ وعد الله تعالى بان يظهره على الدين كله وكان الله قويا عزيزا

تأريخ الجهمية والمعتزلة^١

(١٢) ما نتج من تعصب الجهمية والاثارية وبيان آفة الفلو في التعصب
(قال الامام الغزالي) في احياء علوم الدين : واما الكلام — اي
علم الكلام — فقصوره حماية المعتقدات التي نقلها اهل السنة من السلف
الصالح لا غير

(ثم قال) ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ، ومعارضة بدعته بما يفسدها
وينزعها عن قلب العامي ، وذلك لا ينفع الا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم .
واما المبتدع بعد ان يعلم من الجدل ولو شيئاً يسيراً ، فقلما ينفع معه الكلام ،
فانك ان اخطته لم يترك مذهبه ، واحال بالقصور على نفسه ، وقدر ان
عند غيره جواباً ما ، وهو عاجز عنه ، وانما انت ملبس عليه بقوة المجادلة .
واما العامي اذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن ان يرد اليه بمثله قبل ان
يشد التعصب للاهواء ، فاذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم ، اذ التعصب
سبب يرسخ العقائد في النفوس ، وهو من آفات علماء السوء ، فانهم
يبالفون في التعصب للحق ، وينظرون الى المخالفين بمين الازدراء والاستحقار ،
فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة ، وتتوفر ذواعيمهم على
طاب نصرة الباطل ، ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا اليه ، ولو جاؤا
من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لافي معرض التعصب
والتحقير ، لأنجحوا فيه ، ولكن لما كان الجاه لا يقوم الا بالاستتباع ، ولا
يستميل الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم ، أخذوا التعصب

(*) تابع لما نشر في ج ١٢ م ١٦ ص ٩١٣

عادتهم وآلتهم ، وسموه ذبا عن الدين ، ونضالا عن المسلمين ، وفيه على التحقيق هلاك الخلق ، ورسوخ البدعة في النفوس اهـ

(وقال الغزالي) رحمه الله ايضا - في الجدل المذموم ومضراته : وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة ، وتثبيتها في صدورهم ، بحيث تثبت دواعيهم ، ويشدد حرصهم على الاصرار عليه (قال) ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ، ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن ان يزول اعتقاده باللفظ في اسرع زمان ، الا اذا كانت نشوؤه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب ، فانه لو اجتمع عليه الاولون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره ، بل الهوى والتعصب وبعض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ، ويمنعه من ادراك الحق ، حتى لو قيل له : هل تريد ان يكشف الله تعالى لك الغطاء ، ويمر فك بالبيان ان الحق مع خصمك ؟ لكره ذلك خيفة ان يفرح به خصمه (قال) وهذا هو الداء العظيم الذي استطار في البلاد والعباد ، وهو نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره اهـ

وقال العلامة المقبلي في العلم الشاخب : واعلم ان الخلاف والتعصب والتعزب هو الذي حمل سيوف بعض المسلمين على بعض ، وحل دماءهم واموالهم واعراضهم ، وحرف الكتاب والسنة ، ثم صيرها كالمعدم بسد باب الاجتهاد اهـ

(وقال ايضا) ثم ترتب على الافتراق تقويم كل لعمود الشقاق ، وصار كل منهم انما يعتز بمن مال اليه من الملوك على خصمه اهـ وبالجملة فمن اعظم آفات التعصب ما نشأ عنه من التفرق والتعادي ،

بحيث صار يرثه المتأخر عن المتقدم ، حتى أصبح يفيض القريب قريبه إذا
وجده يخالف رأيه ، ويلصق به كل تهمة شتاء ولو أقام على صحة رأيه مئين
من البراهين ، بل بلغ احتقار بعضهم لبعض مبلغاً دفع به أن يحق على
مخالفه ، ويتحين الفرص للإيقاع به ، حتى إذا بدرت منه هفوة ، أو ظهرت
زلة - ولا معصوم الا المعصوم - رفع مخالفه عقيرته بتأنيده ، وملاً
الأرض والسماء صراخاً بتشهيره ، غير مبال بما حظره الشرع مما يولد
البغضاء والشحناء ، ويفكك عرى الاخاء ، ولا ملام على الدهماء من ترويح
مثل هذه الخطة الشائنة لفرقهم في بحار الجهل ، وإنما يلام قادة الافكار
على احتذائهم هذا الخدو ، ونسجهم على هذا المنوال ، اذ لولا صخب
هؤلاء الرهط ، وبهم هذه الالقاب في النفوس ، لكانت الامة متماسكة
الاجزاء ، متينة عرى المحبة بين الافراد .

نعم لا بأس ان تنتقد الاقوال ، وتضعف بالبرهان ، ويوضح كل
خطيئ ينجم عنها ، ولكن الذي يجب التوقي منه هو ان يتشاحن قادة
المقول ويتطاحنوا ويتبعضوا لما لا يصح ان يكون سبباً معقولاً ، وان
يثب كل على مخالفه وثبة الفادر المتقم ، فيود ان ينكل به أو يمزقه شر
ممزق ، فيقتفي اثرهم مقلدهم ، فتصبح الامة اعداء متشاكسة ، واحزاباً
متنافرة ، بشؤم التعصب الذميم ، الذي لم يتمكن من امة الا وذهب بها
مذهب التفرق والانحطاط ، واضعف قواها ، واحاق بها الخطوب
والارزاء ، فمن الواجب العمل على ملاشاة الشحناء والشقاق ، والقيام
بالتحاب والاتفاق ، وبالله التوفيق

(١٣) حذر الأئمة للمحققين ، رمي فرق المسلمين بالكفر والفسق

من اعظم ما بليت به الفرق الاسلامية ، رمي بعضها بعضا بالفسق والكفر ، مع ان قصد كل الوصول الى الحق ، بما بذلوا جهدهم لتأييده واعتقاده ، والدعوة اليه ، فالمجتهد منهم وإن اخطأ مأجور (وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية) في كتابه موافقة صريح العقول ، لصحيح المنقول^(١) عن الامام الرازي (في نهاية العقول) في مسألة التكفير ماثله : « قال الشيخ ابو الحسن الاشعري في اول كتاب (مقالات الاسلاميين) : اختلاف المسلمون بعد نبينهم في اشياء ضلل فيها بعضهم بعضا وتبرأ بعضهم من بعض فصاروا فرقا متباينين ، الا ان الاسلام يجمعهم فيجمعهم . فهذا مذهبه ، وعليه اكثر الاصحاب ، ومن الاصحاب من كفر المخالفين » واما النقيض ، فقد نقل عن الشافعي رضي الله عنه قال : لا أرد شهادة اهل الاهواء الا الخطائية ،^(٢) فانهم يعتقدون حل الكذب . واما ابو حنيفة رضي الله عنه ، فقد حكى الحاكم صاحب المختصر في كتاب المنتقى عن ابي حنيفة انه لم يكفر احدا من اهل القبلة . وحكى ابو بكر الرازي عن الكرخي وغيره مثل ذلك .

« واما المعتزلة ، فالذين كانوا قبل ابي الحسين تحامقوا وكفروا »

{ ١ } جزء ١ صفحة ٤٩ وما بعدها من الطبعة الاميرية على حاشية منهاج السنة (٢) فرقة من غلاة الشيعة منسوبة الى ابي الخطاب محمد بن مفضل كان قبيحه الله من الغلاة في جعفر الصادق عليه السلام ادعى له علم الغيب وغير ذلك حتى لعنه الصادق مرارا لفساد عقيدته وخبثه وكذبه عليه وقد تبرأ الصادق عليه السلام منه ، ومن اراد الوقوف على اخبار ابي الخطاب فلا يرجع الى كتاب رجال الشيعة للكشي فقد اسهب في شأنه في عدة اوراق اه

اصحابنا في اثبات الصفات وخلق الاعمال . واما المشبهة فقد كفرهم بخالفهم
من اصحابنا ومن المعتزلة، وكان الاستاذ ابو اسحق يقول : اكفر من
يكفرني ، وكل مخالف يكفرنا فنحن نكفروه والا فلا »

ثم قال الرازي : « والذي نختاره ان لا نكفر احدا من اهل القبلة
والدليل عليه ان نقول المسائل التي اختلف اهل القبلة فيها مثل ان الله
تعالى هل هو موجود لافعال العباد أم لا ؟ وانه هل هو متعيز ، وهل
هو في مكان وجهة ، وهل هو مرئي ام لا ؟ لا يخلو اما ان تتوقف صحة
الدين على معرفة الحق فيها اولا تتوقف ، والا اول باطل ، اذ لو كانت
معرفة هذه الاصول من الدين ، لكان الواجب على النبي صلى الله عليه
وسلم ان يطالبهم بهذه المسائل ، ويبحث عن كيفية اعتقادهم فيها ، فلما لم
يطالبهم بهذه المسائل ، بل ماجري حديث من هذه المسائل في زمانه
عليه السلام ، ولا في زمان الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، علمنا انه
لا يتوقف صحة الاسلام على معرفة هذه الاصول ، واذا كان كذلك لم
يكن الخطأ في هذه المسائل قادحا في حقيقة الاسلام ، وذلك يقتضي
الامتناع من تكفير اهل القبلة » اهـ

ثم قال الامام ابن تيمية بعد ذلك : « والاصل في هذا الباب ان
الالفاظ نوعان مذكور في كتاب الله وسنة رسوله وكلام اهل الاجماع ،
فهذا يجب باعتبار معناه وتعليق الحكم به ، فان كان المذكور به مدحا
استحق صاحبه المدح ، وان كان ذما استحق الذم ، وان اثبت شيئا
وجب اثباته وان نفي شيئا وجب نفيه ، لأن كلام الله حق وكلام رسوله
حق ، وكلام اهل الاجماع حق . ومن دخل في اسم مذموم في الشرع

٤٦ إنما الكفر بتكذيب الرسول دون مخالفة علم الكلام (المنار - ج ١ م ١٧)

كان مذموماً كاسم الكافر والمنافق والمحدد ونحو ذلك ، ومن دخل في اسم محمود في الشرع كان محموداً كاسم المؤمن والتهني والصدّيق ونحو ذلك »

« وأما الالفاظ التي ليس لها أصل في الشرع ، فذلك لا يجوز تعليق المدح والذم والاثبات والنهي على معناها ، إلا أن يبين أنه يوافق الشرع ، والالفاظ التي تعارض بها النصوص هي من هذا الضرب كلفظ الجسم والحيز والجهة والجوهر والمرض ، فمن كانت معارضته بمثل هذه الالفاظ لم يجز له أن يكفر بخالفه إن لم يكن قوله مما يبين الشرع أنه كفر ، لأن الكفر حكم شرعي متلقى عن صاحب الشريعة ، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه ، وليس كل ما كان خطأً في العقل يكون كفراً في الشرع ، كما أنه ليس كل ما كان صواباً في العقل يجب في الشرع معرفته . ومن العجب قول من يقول من أهل الكلام : أن أصول الدين التي يكفر بخالفها هي علم الكلام الذي يعرف بمجرد العقل ، وأما ما لا يعرف بمجرد العقل فهي الشريعات عندهم ، وهذه هي طريقة المعتزلة والجهمية ومن سلك سبيلهم كأتباع صاحب الإرشاد وأمثالهم فيقال لهم : هذا الكلام يتضمن شيئين : أحدهما أن أصول الدين هي التي تعرف بالعقل المحض دون الشرع . والثاني أن المخالف لها كفر ، وكل من القديمتين وإن كانت باطلة ، فالجمع بينهما متناقض ، وذلك أن ما لا يعرف إلا بالعقل لا يعلم أن مخالفه كفر الكفر الشرعي ، فإنه ليس في الشرع أن من خالف ما لا يعلم إلا بالعقل يكفر ، وإنما الكفر يكون بتكذيب الرسول فيما أخبر به ، أو الامتناع عن متابعتة ، مع العلم بصدقته ، مثل كفر فرعون واليهود

(المنار - ج ١ م ١٧) القاعدة في الكفر والايان . تحاشي أهل السنة التكفير ٤٧

ونحوهم ، وفي الجملة فالكفر متعلق بما جاء به الرسول لا بمجرد ما يعلم بالعقل ، فكيف يجوز ان يكون الكفر بامور لا تعلم الا بالعقل ؟ الا ان يدل الشرع على ان تلك الامور التي لا تعلم الا بالعقل كفر ، فيكون حكم الشرع مقبولا ، لكن معلوم ان هذا لا يوجد في الشرع بل الموجود في الشرع تطبيق الكفر بما يتفق به الايمان ، وكلاهما متعلق بالكتاب والرسالة ، فلا ايمان مع تكذيب الرسول ومعاداته ، ولا كفر مع تصديقه وطاعته ومن تدبر هذا رأى اهل البدع من النفاة يعتمدون على مثل هذا فيبتدعون بدعا بأرائهم ، وليس فيها كتاب ولا سنة ، ثم يكفرون من خالفهم فيما ابتدعوه ، وهذا حال من كفر الناس بما أثبتوه من الاسماء والصفات التي يسميها هو تركيبا وتجييما واثباتا لحلول الصفات والاعراض به ونحو ذلك من الاقوال التي ابتدعها الجهمية والمعتزلة ثم كفروا من خالفهم فيها ، اه كلام الامام ابن تيمية رحمه الله

ولب هذا كله قوله « فلا ايمان مع تكذيب الرسول ومعاداته ، ولا كفر مع تصديقه وطاعته » وما ذكره ونقله قبل هو الفصيل في هذا الباب

وقال رحمه الله في شرح الاصفهانية : « خاصة اهل السنة المتبعين لارسل صلى الله عليه وسلم هي انهم يتبعون الحق ويرحمون من خالفهم باجتهاد ، حيث عذره الله ورسوله » اه وانما رحمه لانهم يجمعهم معه اخوة الايمان ، وقد قال تعالى « رجاء بينهم » فالمؤمنون مهما اختلف اجتهادهم ، وتباينت مداركهم ، فهم اخوة يترحمون ، يتآلفون ولا يتباغضون ، ولا يلزم من اختلاف الرأي اختلاف القلوب ، وبالله التوفيق

(١٤) يان انه لا تضليل ، لمن اصاره اجتهاده الى التأويل

قدمنا أولا انا لم نرد في هذه الورقات ذكر عقائد الجهمية والمعتزلة ، ولا مناقشتهم ، لان لذلك مواضع معروفة ، لاسيما وهذا المقام طويل الذيل ، متشعب المناحي ، ويكفي انه لأجله صنف ودون علم الكلام ، وانما اردنا تعرف شأن هاتين الفرقتين من الوجهة التاريخية ، وقد اتينا على جمل منها

بقي التنبيه على النصفة مع مجتهدى فرق الاسلام ، ومجافاة التضليل عن كل من التزم قانون التأويل ، فنقول : قد وقر في قلوب كثير من الناس رمي أمثال المعتزلة بالمروق والضلال والزيغ ، تقليدا لمن ينبرم بذلك من حشوية المتفهبين ، وهذا من اغرب الغريب ، اذ كيف يصح هذا وكان القائمون بمذهب المعتزلة خلفاء الاسلام في العهد العباسي ، وقضاةهم وعدة من علمائهم ؟ وهم محتجون لما يدعون ، ويبرهنون على ما يذهبون ، لاجرم انهم - وان اخطأوا - لمجتهدون

ومما يدل على ان هذا المقعد بلغ تمكن صحته من نفوسهم متباه من اليقين حملهم الخلفاء على اكرامه الناس عليه ابتغاء نجاحهم - بزعمهم - بتصحيح عقيدتهم على ما يرون ، وجلي ان كل من استدل على ما يراه ، واحتج على دعواه ، فقد آذن في اجتهاده فيه ، ونحري الحق فيما يقصده ويبيغ ، فقصارى امره اذا نقض برهانه ودحضت حجته ، ان يكون مجتهدا مخطئا ، وهو ممدور بل مأجور ، اذ لم يرد الا الحق ، فن ابن يسوع بعد ذلك قرض الاعراض بالتضليل والتفسيق ، وتشوير المنبوز على المقابلة بالمثل بل الامثال ، والخروج بالاقتداع عن آداب المناظرة والجدال

ان نيز الفرق المتجادلة بتلك الألقاب اوجب ان تصرف الالباب عن
النظر في ادلة كل منها ، لئلا المقبول منها بمعياره ، والمردود بمقداره ، لأنها
حاولت الضغط على الافكار ، وحرمانها من حرية البحث والنظر والتأمل ،
لتحملها على رأي واحد ، ومذهب منفرد ، وذلك ما كان ولن يكون
ان اختلاف الآراء لا يدعو بطبيعته الى الحفائظ والاضغان ، وغرض
الاحقاد والشنان ، ولكن اكثر الفرق استوت على مناظريها الضغائن ،
فذهبت بهم مذهب التشفي والانتقام ، هذه بالنز بالالقباب السوءى ،
وتلك بها او بساطتها الجائرة ، واضطهادها لمخالفها بضروب العذاب
من عجيب امر التنازع ، ان الاغراق فيه قد يفري خلي الذهن
بالبحث عن المنبوز والتنقيب عنه ، فيحمله على التأمل في مداركه ، والتبصر
في مآخذه ، فربما انضم اليه وشايعة تقليدا أو نظرا واستدلالا
فالمتهاملون على فئة قد يجيبون فيها من حيث يريدون التفسير منها ،
ويجذبون اليها مما يأملون به الإبعاد عنها ، ويصدق فيهم قول القائل :
دع عنك لومي فان اللوم اغراء

هؤلاء المتعاملون يرون اعظم منفر عن خصومهم هو التكفير ،
وفاتهم ان هذا لا يفني من البرهان ، ولا يجزئ من الحق شيئا ، بل قد
يكون من اعظم امانى الخصوم ، فان الفكر الذي يحارب بهذا الاسم ربما
يكون قد بلغ اشده واستوي ، ووصل الى اعماق الرسوخ ورسا .
ولما حاول اعداء حجة الاسلام الغزالي عايه الرحمة والرضوان رمية
بالكفر (وما أسهل رميهم به لامثاله) لمخالفته الاشعري ، اتدب لتأليف

كتاب يهدي إلى حقيقة الكفر والزندقة ، سماه « فيصل التفرقة » بين
الإسلام والزندقة ، قال في خطبته : فهوّن أيها الأخ المشفق على نفسك ،
لا يضيق به صدرك ، وقلّ من غريك قليلا ، واصبر على ما يقولون
وامجرمهم مجرا جملا ، واستحقر من لا يُحمد ولا يقذف ، واستصغر من
بالكفر والضلال لا يعرف (١) ،

ونقل الإمام الغزالي أيضا في المستصفى أن عليا كرم الله وجهه
استأذنه قضائه في البصرة في القضاء بشهادة أهل البصرة من الخوارج
وغيرهم أوردوها ، فأمرهم بقبولها كما كان قبل الحرب ، لأنهم حاربوا على
تأويل ، وفي رد شهادتهم تعصب وتجديد خلاف اه فانظر كيف تسامح
مع أهل التأويل من المبدعين وقبل شهادتهم وزكاهم وعدلهم ، فهل يصح
بعد هذا التبرز بالتفسيق أو التضليل ؟ حاشا وكلا ! وهذا لمن عرف الرجال
بالحق ، لا الحق بالرجال ، والله المستعان

(١٥) ما وصى به الأئمة من أطراح أقوال العلماء بعضهم في بعض ، ومن
التماس الحكمة أينما وجدت

روى الإمام حافظ المغرب يوسف بن عبد البر في كتابه (جامع
العلم وفضله) في باب حكم قول العلماء بعضهم في بعض عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال : استمعوا علم العلماء ، ولا تصدقوا بعضهم على بعض .
وعنه رضي الله عنه قال : خذوا العلم حيث وجدتم ، ولا تقبلوا قول الفقهاء
لعضهم على بعض

(١) يشير رحمه الله إلى أن ذلك صار وقفا على أخبار العلماء وأعلام الجهابذة
الحكماء ، ولقد صدق رحمه الله وشاهده الاستقراء من لدن عصره وقبله إلى الآن

وعن مالك بن دينار قال : يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء

الا قول بعضهم في بعض

وعن عبد العزيز بن أبي حازم قال سمعت أبي يقول : العلماء كانوا فيما مضى من الزمان اذا لقي العالم من هو فوقه في العلم كان ذلك يوم الفينة ، واذا لقي من هو مثله ذاكره ، واذا لقي من هو دونه لم يزه عليه ، حتى كان هذا الزمان ، فصار الرجل يعيب من هو فوقه ابتغاء ان ينقطع منه ، حتى يرى الناس انه ليس به حاجة اليه ، ولا يذاكر من هو مثله ، ويزهى على من هو دونه ، فهلك الناس

(قال الامام ابن عبد البر) : لقد تجاوز الناس الحد في النية والضم فلم يفتنوا بدم العامة دون الخاصة ولا بدم الجهال دون العلماء ، وهذا كله يحمل عليه الجهل والحسد . ثم قال رحمه الله : ومن صحت عدالته ، وعلمت بالعلم عنايته ، وسلم من الكِبائر ولزم المروءة ، وكان خيره غالباً ، وشبهه اقل عمله ، فهذا لا يقبل فيه قول قائل لا برهان له به ، فهذا هو الحق الذي لا يصح غيره ان شاء الله .

(وقال الذهبي) في ميزان الاعتدال — في ترجمة أبي نعيم أحمد الاعلام : صدوق تكلم فيه ابن منده بلا حجة كما تكلم هو في ابن منده (قال الذهبي) ولا اقبل قول كل منهما في الآخر ، بل هما عندي مقبولان . ثم قال : وكلام الاقران بعضهم في بعض لا يعبأ به ، ولا سيما اذا لاح لك انه لعداوة أو لمذهب أو لحسد ما ينبو منه الا من عصم الله (قال) وما علمت ان عصراً من الاعصار سلم اهله من ذلك سوى الانبياء والصديقين ، فلو شئت لسردت من ذلك كرايس . اهـ

قال العلامة المقلبي: واشدها عداوة ما كان من قبل المذهب لانه يزعمه ديناً، ويمرن عليه فيغير نفسه انه دين، وحظ الهوى في ذلك أوفى وأوفر، نسأل الله العافية وان يجمعنا ممن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى. وروى الامام ابن عبد البر في كتاب (جامع العلم) في باب الحال التي ينال بها العلم، عن علي كرم الله وجهه قال: العلم ضالة المؤمن تخذوه ولو من ايدي المشركين، ولا يأنف احدكم ان يأخذ الحكمة ممن سمعها منه. وعنه كرم الله وجهه قال: الحكمة ضالة المؤمن يطلبها ولو في ايدي الشرط.

وروى ابن عبد البر قبل هذا الباب عن ايوب قال: انك لا تعرف خطأ مظلمك حتى تجالس غيره، وعن علي رضي الله عنه قال: ان الناس ابناء ما يحسنون وقدر كل امرء ما يحسن، فتكلموا في العلم تبين اقداركم. (قال ابن عبد البر): ان قول علي بن ابي طالب «قيمة كل امرئ ما يحسنه» لم يسبقه اليه احد (قال) وقالوا: ليس كلمة احض على طلب العلم منها (وقالوا) ولا كلمة اضر بالعلم والعلماء والمتعلمين من قول القائل (ما ترك الاول للآخر شيئاً) قال ابن عبد البر: قول علي رضي الله عنه «قيمة كل امرء ما يحسن» من الكلام المعجب الخطير، وقد طار له الناس كل مطير، ونظمه جماعة من الشعراء اعجاباً به، وكلفنا بحسنه، فمن ذلك ما يعزى الى الخليل بن احمد وهو قوله:

لا يكون السريّ مثل الدنيّ * لا ولا ذو الذكاء مثل النبيّ
لا يكون الألدُّ ذو المقول المر (م) هف عند القياس مثل العبيّ
قيمة المرء كل ما يحسن المر (م) في قضاء من الامام عليّ

وقال غيره :

يلوم على أن رحت للعلم طالبا
فيا لائي دعني اغالي بقيمتي
وقال ابو العباس الناشئ :

تأمل بعينيك هذا الانا
خفية كل فتى فضله
فلا تتكل في طلاب الملا
فما من فتى زانه قوله
ومما ينسب لملي رضي عنه :

الناس من جهة التمثال اكفاء
وانما امهات الناس اوعية
فان يكن لهم من اصابهم شرف
وان اتيت بفخر من ذوي نسب
ما الفضل الا لأهل العلم انهم
وقيمة المرء ماقد كان يحسنه
فقم بعلم ولا تبغ به بدلا
فالناس موتى واهل العلم احياء

وقد ورد في هذا الباب ما رواه الامام مسلم في مقدمة صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ننزل الناس منازلهم : نسأله تعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا انك رؤوف رحيم) في جمادى الاولى سنة ١٣٣٠

الباب الاول من كتاب الاعتصام*

﴿ في تعريف البدع وبيان معناها وما اشتق منه لفظا ﴾

وأصل مادة « بدع » الاختراع على غير مثال سابق، ومنه قول الله تعالى « بديع السموات والارض » أي مخترعها من غير مثال سابق متقدم، وقوله تعالى « قل ما كنت بدعاً من الرسل » أي ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله الى العباد بل تقدمني كثير من الرسل، ويقال: ابتدع فلان بدعة يعني ابتدأ طريقة لم يسبقه اليها سابق. و: هذا امر بديع، يقال في الشيء المستحسن الذي لا مثال له في الحسن فكانه لم يتقدمه ما هو مثله ولا ما يشبهه

ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة، فاستخرجها للسلوك عليها هو الابتداع وهيئتها هي البدعة، وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة. فمن هذا المعنى سمي العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بدعة، وهو إطلاق أخص منه في اللغة حسبما يذكر بحول الله

ثبت في علم الاصول ان الاحكام المتعلقة بأفعال العباد وأقوالهم ثلاثة: حكم يقتضيه معنى الامر كان للايجاب أو الندب، وحكم يقتضيه معنى النهي كان للكراهة أو التحريم، وحكم يقتضيه معنى التخيير وهو الاباحة. فأفعال العباد وأقوالهم لا تعدو هذه الاقسام الثلاثة: مطلوب فعله، ومطلوب تركه، وماأذن في فعله وتركه. والمطلوب تركه لم يطلب

(* الكتاب للإمام أبي اسحاق الشاطبي الاندلسي صاحب كتاب (الموافقات) في أصول الشريعة وحكمها وهو يطبع الآن بطبعة المنار على نفقة دار الكتب الخديوية التابعة لندوة المعارف المصرية، فبشر علماء الاسلام بذلك، ونشر لهم هذا النموذج منه

الا لكونه مخالفاً للقسمين الآخرين ، لكنه على ضربين (أحدهما) أن يطلب تركه وينهى عنه لكونه مخالفاً خاصة مع مجرد النظر عن غير ذلك ، وهو أن كان محرماً سمي فعله معصية وإثماً ، وسمي فاعله عاصياً وآثماً ، وإلا لم يسم بذلك ، ودخل في حكم العفو حسبما هو مبين في غير هذا الموضع . ولا يسمى بحسب الفعل جائزاً ولا مباحاً لأن الجمع بين الجواز والنهي ختم بين متنافيين (والثاني) أن يطلب تركه وينهى عنه لكونه مخالفاً لظاهر التشريع من جهة ضرب الحدود وتعيين الكيفيات والتزام الهيئات المعينة أو الأزمدة المعينة مع الدوام ونحو ذلك .

وهذا هو الابتداع والبدعة ويسمى فاعله مبتدعاً — فالبدعة إذن عبارة عن « طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه » وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة وإنما يخصها بالعبادات . وأما على رأي من أدخل الأعمال العادية في معنى البدعة فيقول : « البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة ، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية » . ولا بد من بيان ألفاظ هذا الحد : فالطريقة والطريق والسبيل والسنن هي بمعنى واحد ، وهو مارسم للسلوك عليه . وإنما قيدت بالدين لأنها فيه تخترع واليه يضيفها صاحبها ، وأيضاً فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص لم تسم بدعة كاحداث الصنائع والبلدان التي لا عهد بها فيما تقدم .

ولما كانت الطرائق في الدين تنقسم — فمنها ماله أصل في الشريعة . ومنها ما ليس له أصل فيها . — خص منها ما هو المقصود بالحد وهو القسم المخترع ، أي طريقة ابتدعت على غير مثال تقدمها من الشارع ، إذ

البدعة إنما خاصتها أنها خارجة عما رسمه الشارع . وبهذا القيد انفصلت عن كل ما ظهر لبادي الرأي أنه مخترع مما هو متعلق بالدين ، كعلم النحو والتعريف ومفردات اللغة وأصول الدين ، وسائر العلوم الخادمة للشريعة . فأنها وإن لم توجد في الزمان الأول فأصولها موجودة في الشرع ، إذ الأمر بأعراب القرآن منقول وعلوم اللسان هادية للصواب في الكتاب والسنة حقيقتها إذا أنها فقه التعبد بالألفاظ الشرعية الدالة على معانيها كيف تؤخذ وتؤدى

وأصول الفقه إنما معناها استقرار كليات الأدلة حتى تكون عند المجتهد نصب عين وعند الطالب سيرة المتمس .

وكذلك أصول الدين وهو علم الكلام إنما حاصله تقرير لأدلة القوآن والسنة أو ما ينشأ عنها في التوحيد وما يتعلق به ، كما كان الفقه تقريراً لأدلتها في الفروع العبادية . (فان قيل) . فان تصنيفها على ذلك الوجه مخترع . (فالجواب) : ان له أصلاً في الشرع ، ففي الحديث ما يدل عليه ، ولو سلم انه ليس في ذلك دليل على الخصوص فالشرع بمجمعاته يدل على اعتباره ، وهو مستمد من قاعدة المصالح المرسلة ، وسيأتي بسطها بحول الله فعلى القول بإثباتها أصلاً شرعياً لا إشكال في أن كل علم خادماً للشريعة داخل تحت أدلته التي ليست بماخوذة من جزئي واحد . فليست ببدعة البتة وعلى القول بنفيها لا بد أن تكون تلك العلوم مبتدعات . وإذا دخلت في علم البدع كانت قبيحة لان كل بدعة ضلالة من غير إشكال ، كما يأتي بيانه ان شاء الله

ويأزم من ذلك ان يكون كتب المصحف وجمع القرآن قبيحا ، وهو

باطل باجماع ، فليس اذا بدعة . ويلزم أن يكون له دليل شرعي ، وليس
الا هذا النوع من الاستدلال ، وهو المأخوذ من جملة الشريعة
واذا ثبت جزئي في المصالح المرسلة ، ثبت مطلق المصالح المرسلة .
فعلى هذا لا ينبغي أن يسمى علم النحو أو غيره من علوم اللسان أو
علم الاصول أو ما أشبه ذلك من العلوم الخادمة للشريعة بدعة أصلا .
ومن سباه بدعة فيما على المجاز كما سعى عمر بن الخطاب رضي الله
عنه قيام الناس في ليالي رمضان بدعة ، وإما جهلا بمواقع السنة والبدعة .
فلا يكون قول من قال ذلك مقصدا به ولا مقصدا عليه .

وقوله في الحد « تضاهي الشرعية » يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية من
غير أن تكون في الحقيقة كذلك ، بل هي مضادة لها من أوجه متعددة .
منها وضع الحدود كالنادر للصيام قائما لا يقعد ، ضاحيا لا يستظل .
والاختصاص في الانقطاع للعبادة ، والاقتصار من المأكل والملبس على
صنف دون صنف من غير علة .

ومنها التزام الكيفيات والهيآت المعينة ، كالذكر بهيئة الاجتماع على
صوت واحد ، واتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عيداً ، وما أشبه ذلك .
ومنها التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين
في الشريعة ، كالإزام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته ^(١)

(١) هذا هو الصواب ولا يعتن أحد بترويج الخطباء الجاهلين في ذلك ، ولا
بالحديث الذي يذكرونه على منابرهم وهو « اذا كانت ليلة النصف من شعبان
فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، فان الله ينزل فيها لغروب الشمس الى سماء الدنيا
فيقول : ألا من مستغفر فأغفر له ! ألا مسترزق فأرزقه ! ألا مبتلى فأعافيه ! ألا كذا =

٥٨ مضاهاة البدع للامور المشروعة وتعليل المبتدعين لها (المنار - ج ١ ص ١٧٣)

وتم أوجه تضاهي بها البدعة الأمور المشروعة فلو كانت لا تضاهي الأمور المشروعة لم تكن بدعة لأنها تصير من باب الأفعال العادية وأيضاً فإن صاحب البدعة إنما يخترعها ليضاهي بها السنة حتى يكون ملبساً بها على الغير ، أو تكون هي مما تلبس عليه بالسنة ، إذ الإنسان لا يقصد الاستتباع بأمر لا يشابه المشروع ، لأنه إذ ذاك لا يستجلب به في ذلك الابتداع تقواً ، ولا يدفع به ضرراً ، ولا يجيبه غيره إليه . ولذلك نجد المبتدع ينتصر لبدعته بأمور تخيل التشريع ولو بدعوى الاقتداء بفلان المعروف بمنصبه في أهل الخير

فأنت ترى العرب الجاهلية في تفسير ملة إبراهيم عليه السلام كيف تأولوا فيما أحدثوه احتجاجاً منهم ، كقولهم في أصل الإِشراك (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلْفَى) وكترك الحُسن الوقوف بعرفة لقولهم : لا نخرج من الحرم اعتداداً بحرمته . وطواف من طاف منهم بالبيت عرياناً قائلين . لا تطوف بثياب عصينا الله فيها . وما أشبه ذلك مما وجهوه ليصروه بالتوجيه كالشروع ، فما ظنك بمن عدَّ أو عدَّ نفسه من خواص أهل الملة ؟ فهم أخرى بذلك ، وهم المخطئون وظنهم الإصابة . وإذا تبين هذا ظهر أن مضاهاة الأمور المشروعة ضرورة الأخذ في أجزاء الحد وقوله « يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى » هو تمام

معنى البدعة إذ هو المقصود بتشريعها

= ألا كذا ، حتى يطلع الفجر » فإن هذا حديث واه أو موضوع رواه ابن ماجه وعبد الرزاق عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة وقد قال فيه ابن معين والامام أحمد أنه يضع الحديث . نقل ذلك محشي سنن ابن ماجه عن الزوائد . وواقفه الذهبي في الميزان في الامام أحمد ، وذكر عن ابن معين انه قال فيه : ليس حديثه بشيء . وقال النسائي « متروك »

وذلك ان أصل الدخول فيها بحث على الانقطاع الى العبادة والترغيب في ذلك، لان الله تعالى يقول: (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدوني) فكان المتدع رأى ان المقصود بهذا المعنى، ولم يتبين له ان ما وضعه الشارع فيه من القوانين والحدود كافٍ، فرأى من نفسه انه لا بد لما أطلق الامر فيه من قوانين منضبطة، وأحوال مرتبطة، مع ما يدخل النفوس من حب الظهور أو عدم مظهره، فدخلت في هذا الضبط شائبة البدعة.

وأيضاً فان النفوس قد تمل وتبأس من الدوام على العبادات المرتبة، فاذا جدد لها أمر لا تعده حصل لها نشاط آجر لا يكون لها مع البقاء على الامر الاول. ولذلك قالوا « لكل جديد ذلة » بحكم هذا المعنى، كمن قال: « كما تحدث للناس أفضية بقدر ما أحدثوا من الفجور، فكذلك يحدث لهم مرغبات في الخير بقدر ما حدث لهم من الفتور »

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: فيوشك قائل أن يقول ما معي فليتبعوني وقد قرأتك القرآن فلا يتبعني حتى أبتدع لهم غيره فإياكم وما ابتدع فان ما ابتدع ضلالة (١)

وقد تبين بهذا القيد أن البدع لا تدخل في العادات. فكل ما اخترع من الطرق في الدين مما يضاهي المشروع ولم يقصد به التعبد فقد خرج عن هذه التسمية، كالمغارم المأزومة على الاموال وغيرها على نسبة مخصوصة وقدر مخصوص مما يشبه فرض الزكوات ولم يكن اليها ضرورة.

وكذلك اتخاذ المناخل وغسل اليد بالأشنان وما أشبه ذلك من الامور التي لم تكن قبل، فانها لا تسمى بدعاً على احدي الطريقتين

(١) كذا في الاصل فليراجع الحديث وليضبط

٦٠ ادخال المادات في البدع بحسب القصد وهو توسع (المنار - ج ١ م ١٧)

وأما الحد على الطريقة الاخرى فقد تبين معناه الا قوله : يقصد بها ما يقصد بالطريقة الشرعية . ومعناه ان الشريعة انما جاءت لمصالح العباد في عاجلتهم وآجلتهم لتأثيرهم في الدارين على اكمل وجوهها ، فهو الذي يقصده المبتدع ببدعته . لان البدعة إما أن تتعلق بالعادات أو العبادات ، فان تعلقت بالعادات فاما أراد بها أن يأتي تعبدية على أبلغ ما يكون في زعمه ليفوز بأتم المراتب في الآخرة في ظنه . وان تعلقت بالعادات فكذلك لانه انما وضعها لتأتي أمور دنياه على تمام المصلحة فيها . فمن يجعل المناخل في قسم البدع فظاهر ان التمتع عنده بلذة الدقيق المنخول أتم منه بغير المنخول وكذلك البنات المشيدة المختلفة ، التمتع بها أبلغ منه بالحشوش والحرب : ومثله المصادرات في الاموال بالنسبة الى أولى الامر ، وقد أباحت الشريعة التوسع في التصرفات ، فيعد المبتدع هذا من ذلك .

وقد ظهر معنى البدعة وما هي في الشرع والحمد لله

فصل

وفي الحد أيضا معنى آخر مما ينظر فيه . وهو أن البدعة من حيث قيل فيها : انها طريقة في الدين مخترعة — الى آخره — يدخل في عموم لفظها البدعة التركية ، كما يدخل فيه البدعة غير التركية ، فقد يقع الابتداع بنفس الترك تحريما للمترك أو غير تحريم ، فان الفعل مثلا قد يكون حلالا بالشرع فيحرمه الانسان على نفسه أو يقصد تركه قصدا

فهذا الترك اما أن يكون لأمر يعتبر مثله شرعا أولا ، فان كان لأمر يعتبر فلا حرج فيه ، اذ معناه انه ترك ما يجوز تركه أو ما

يطلب بتركه ^(١) كالذي يحرم على نفسه الطعام الفلاني من جهة أنه يضره في جسمه أو عقله أو دينه وما أشبه ذلك ، فلا مانع هنا من الترك . بل ان قلنا بطلب التداوي للمريض فان الترك هنا مطلوب ، وان قلنا بإباحة التداوي فالترك مباح . فهذا راجع الى العزم على الحمية من المضرات . وأصله قوله عليه السلام « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج — إلى ان قال — ومن لم يستطع فعليه بالصوم » ^(٢) الذي يكسر من شهوة الشباب حتى لا تطغى عليه الشهوة فيصير الى العنت .

وكذلك اذا ترك ما لا بأس به حذرا مما به البأس فذلك من أوصاف المتقين ، وكترك المتشابه حذرا من الوقوع في الحرام واستبراء للدين والعرض وان كان الترك لغير ذلك ، فاما أن يكون تدينا أو لا . فان لم يكن تدينا فالترك عابث بتحريمه الفعل أو بعزمته على الترك . ولا يسمى هذا الترك بدعة اذا دخل تحت لفظ الحد إلا على الطريقة الثانية القائلة :

- (١) لم يظهر لنا معنى الباء فالظاهر انها زائدة من الناسخ
(٢) تمة الحديث بعد كلمة الصوم « فانه له وجاء » فقوله « الذي يكسر من شهوة الشباب » اخ من كلام المصنف يبين به علة كون الصوم وجاء . وهو إضعاف الشهوة على رأي الجمهور . وهو لا يظهر الا في الصوم الكثير مع التقشف والاكتفاء عند الفطر بقليل الطعام ، والا فان الصوم من اسباب الصحة وزيادة القوة ، حتى في المعيشة المعتدلة : وحينئذ يكون وجه الشبه بين الوجاء الذي هو دق عروق خصتي الفحل المضعف أو المزيل لشهوته وبين الصوم هو كون الصوم سبب التقوى كما قال الله تعالى في تعليل فرضيته « لعلكم تتقون » فمن اكثر من الصوم وترك ما يشتهي من الطعام والشراب المباحين لوجه الله تعالى يستفيد فائدتين احدها ملكة مراقبة الله تعالى الذي يترك طعامه وشرابه لأجله ، والثانية ملكة ترك الشهوات التي يحتاج اليها كل يوم فتقوى ارادته وعزمته ، فيسهل عليه ترك سائر الشهوات ومنه غرض بصره واحصان فرجه

ان البدعة تدخل في المادات. واما على الطريقة الأولى فلا يدخل. لكن هذا التارك يصير عاصيا بتركه أو باعتقاده التحريم فيما أحل الله وأما ان كان الترك تدينا فهو الابتداء في الدين على كلتا الطريقتين، اذ قد فرضنا الفعل جائزا شرعا فصار الترك المقصود معارضة للشارع في شرع التحليل. (١) وفي مثله نزل قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) فهي أولا عن تحريم الحلال. ثم جاءت الآية تشعر بأن ذلك اعتداء، وأن من اعتدى لا يجبه الله

وسياقي الآية تقرير ان شاء الله. لأن بعض الصحابة هم ان يحرم على نفسه النوم بالليل، وآخر الاكل بالنهار، وآخر إتيان النساء، وبعضهم هم بالاختصاص، مبالغة في ترك شأن النساء. وفي امثال ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «من رغب عن سنتي فليس مني» فاذا كل من منع نفسه من تناول ما أحل الله من غير عذر شرعي فهو خارج عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم. والمامل بغير السنة تدينا هو المبتدع بعينه

(فان قيل) فتارك المطلوبات الشرعية ندبا أو وجوبا هل يسمى مبتدعا أم لا؟ (فالجواب) أن التارك للمطلوبات على ضربين: (أحدهما) ان يتركها لغير التدين إما كسلا أو تضيقا أو ما أشبه ذلك من الدواعي (١) ان اهل الاستانة لا ياكلون لحم الحما، فهو يعيش ويفرخ في مساجدهم ويوتهم ولا يأكل احد منه شيئا، بل يتخرجون من ذلك وينكرونه. والظاهر ان عامتهم يعتقدون ان أكله حرام، أفلا يجب في هذه الحال على العلماء مقاومة هذه البدعة التركية بالقول والفعل

النفسية . فهذا الضرب راجع الى المخالفة للأمر . فان كان في واجب فمضية ، وان كان في ندب فليس بمضية اذا كان الترك جزئياً ، وان كان كلياً فمضية حسبما تبين في الأصول (والثاني) أن يتركها ديناً . فهذا الضرب من قبيل البدع حيث تدبّر بضد ما شرع الله . ومثاله اهل الإباحة القائلين بإسقاط التكليف اذا بلغ السالك عندهم المبلغ الذي حدّوه : فاذا قوله في الحد « طريقة مختصرة تضاهي الشرعية » يشمل البدعة التركية كما يشمل غيرها ، لان الطريقة الشرعية ايضا تنقسم الى ترك وغيره وسواء علينا قلنا إن الترك فعل أم قلنا انه نفي الفعل - على الطريقتين المذكورتين في أصول الفقه .

وكما يشمل الحد الترك يشمل أيضا ضد ذلك ، وهو ثلاثة أقسام : قسم الاعتقاد ، وقسم القول ، وقسم الفعل . فالجميع اربعة اقسام . وبالجملة فكل ما يتعلق به الخطاب الشرعي يتعلق به الابتداع . اهـ

تقرير المطبوعات الجديدة

كتاب الهدى الى دين المصطفى

الجزء الاول منه مؤلفه ... النجفي في مدينة (سرمن رأى) بالمراق طبع بمطبعة المرفان طبعا نظيفا على ورق متوسط ص ٣٩٢ بقطر المنار ثمنه ٢٠ قرشا ويباع في مكتبة المنار بمصر

كثر دعاة النصرانية في هذه البلاد كما كثروا في كل بلد دخله النفوذ الغربي ، ودخلوا القرى بدون اذن اهلها ، وجاسوا خلال الديار واثدين الفتنة والتفريق ، وقد كان المسلمون عامتهم وعلماؤهم لا يحفلون بما يبثه هؤلاء الدعاة بين المسلمين لسخافته وبداهة بطلانه ، وليس في هذه البلاد من اتقاه وذر آدم فيأتي هؤلاء الذئاب بحثي منه في حظيرتهم ، ولا من ضاق صدره بتوحيد الله عز وجل فيجزي هؤلاء

(*) كتب تقرير هذا الجزء شقيقنا السيد صالح مخاض رضا

المعددين ليعبد له عندهم متسماً في ثائوهم ، ولا من حصر صدره بصمة الانبياء الهداة حق يتحكك هؤلاء الكتبة لثاعجوا صدره ويجرؤه على المعاصي بقصة نوح مع ولديه أو ابراهيم مع امرأته أو يهوذا مع كتنه أو داود مع امرأة قائده أو سليمان مع اصنام نسائه أو ابن يعقوب مع امرأة آبيه أو يعقوب مع ملاك ربه أو لوط مع بنتيه الخ بل ان المسلمين ليسوا بمحتاجين مسيحيهم الخيالي (وهو غير مسيح الله عليه السلام) الذي يدعي هؤلاء الصدوقيون انهم يعبدونه وينكرون سيرته الانجيلية ويرون عصمته عن السكر وعن غسل ارجل التلاميذ وعن طرد امه واخوته وإنكاره لها وعن البخل بهداية الكنعانية الى غير ذلك مما نراه في اناجيهم .

لا خوف من هذه التعاليم على عامة المسلمين فضلاً عن علمائهم ، ولكن السكوت على باطلهم خيل اليهم انهم على حق ففتنوا في طرق دعوتهم حتى انهم يصعدون بعض كراريهم بالآيات القرآنية أو بخطب تضارع الخطب التي اصطلح بعض الخطباء الرسميين على تلاوتها يوم العيد وأيام الجمع الخ ، كل ذلك ليدخلوا الى قلوب المسلمين فيفسدوا عليهم ما بقي لهم من دينهم ، ويحلوا الروابط التي تربطهم بأمتهم . ولذلك قام العلماء في جميع الاقطار يرسلون شهب ردودهم فتتخذ انفاس شياطين التفريق . واول من كتب في الرد عليهم في هذا العصر بهقل وبمحت وروية الشيخ رحمة الله الهندي ثم تبعه قوم آخرون هم عيال عليه في هذا الباب . ثم رأينا مثالا له في هذه الآونة من رسائل الدكتور صدقي وكتاب النجفي ، وهو هذا المؤلف الذي هو نتيجة بحث علمي وتمحيص المسائل وتحقيها

في الله العلامة النجفي فقد دحض مزاعم دعاة النصرانية بكتابه هذا وقذف بحقه على باطلهم فاذا هو زاهق ولهم الويل مما يصفون . وضع كتابه هذا رداً على كتاب « مقالة في الاسلام » لسابل الانكليزي المترجم بالعربية وعلى الكتاب البذي المسمى بالهداية الموضوعة للرد على كتاب « اظهر الحق » وكتاب « السيف الحميدي » نهدم أركانها وقوض بنيانها بالادلة العقلية والنقلية ، بمبارة طلية جليلة ، فيجدر بمن هني بارد على هؤلاء المشاغبيين ان يطلع على هذا الكتاب

(كشف الاستار عما لحقوق الدول من الاسرار)

الجزء الاول بقلم صبحي اياظه طبع بمطبعة المرقن بصيدا سنة ١٣٣١ ص ١٢٥ بقطر

الدار ثمة ٢٠ قرشا يطلب من مكتبه النار بمصر

اسم الكتاب يدل على موضوعه وفيه فوائد حمة جاءت من طريق الاستطراد

﴿ في التربية والتعليم ﴾

تأليف محمد أمين . طبع بمطبعة التقدم بمصر على ورق جيد . ص ١١٤ بالقطع الصغير . ثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر

مواضيع الكتاب : بعد مقدمة بقلم أحمد بك لطفي السيد مدير الجريدة ،
(١) الشكوى ٢ تشخيص العلة ٣ وصف الدواء ثم الاطوار الثلاثة ، في البيت والمدرسة
والمجتمع ؛ التربية الحسية والعملية والاخلاقية ثم الخاتمة . والكتاب مجموعة مقالات
نشرت في الجريدة ثم طبعت على حدها غير مصدرة بالبسطة ولا المحملة ، على سنة
من يتفحصون من كل ما يربطهم بالامة الاسلامية من الشعائر والمقومات والشخصات
مرشد المترجم الصغير (لطلبة الشهادة الابتدائية)

تأليف محمد السيد بك وكيل مدرسة المعلمين الناصرية وعوض ابراهيم بك وكيل
المدرسة السعيدية . طبع بمطبعة المعارف طبعا نظيفاً ص ١٤٠ بالقطع الوسط . ثمنه
خمسة قروش ويطلب من مكتبة المعارف ومكتبة المنار بمصر

وضعه مؤلفاه لطلبة الشهادة الابتدائية وتوخيا فيه تذليل عقبات الترجمة من العربية
الى الانكليزية وبالعكس وتسهيلها على التلميذ بشرح المفردات التي يهتدي اليها بسهولة ،
وقد اطلع عليه المستر استيفنز معلم الانكليزية بمدرسة المعلمين الناصرية . والكتاب
يفيد التلميذ علما بالشئون الاجتماعية بمواضيعه المفيدة

الاجوبة المسكنة

تأليف أحمد أفندي صابر من مستخدمي (نظارة الاوقاف) وقد طبع
الطبعة الثانية بمطبعة الجهادية بمصر مع زيادات وتحسينات . ص ٢٥٢ بقطع رسالة
التوحيد . ثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر وهو غني عن التعريف
غاية الانسان

كتاب في الفلسفة الادبية مفيد . وضعه الفيلسوف جافينون وترجمته وسيلة محمد
مترجمة « روح الاعتدال » وناهيك بها سلاسة وجودة . ص ١٦٠ بقطع سابقة .
طبع بمطبعة المعارف طبعا نظيفاً . ثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المعارف
ومكتبة المنار بمصر

(ارجوزة ابن المصتر)

طُبعت في المطبعة الجبالية بمصر سنة ١٣٣٠ على نفقة ابن منصور في ٢٤ ص. قطع
رسالة التوحيد على ورق جيد ثَمَّها قرش صحيح واحد وتطلب من المكاتب المصرية
وموضوع الأرجوزة تاريخ المعتقد بالله المباني ، وما هو بالتاريخ الذي يعتد به

نشوء الاجتماع (الجزء الأول منه)

تأليف بنيامين كد وتعمير محمد زكي صالح في طنطا. طبع بمطبعة الأخبار بمصر
سنة ١٩١٣ على ورق جيد. ص ١٣٥. قطع «الاسلام والنصرانية» ثَمَّه خمسة قروش
ويطلب من مكتبة المنار بمصر

مواضيعه بعد مقدمة المترجم التي الت بموضوع الكتاب وآراء العلماء والجرائد
فيه هي: (١) الحاضر (٢) اسباب الارتقاء (٣) العقل لا يؤيد اسباب الارتقاء (٤) اجلي
طبيعة في التاريخ الانساني {٥} وظيفة العقائد الدينية في نشوء الاجتماع .

والكتاب مفيد في موضوعه منه للعقل موقف للقوة المفكرة . وارى ان استعير
لتعريفه كلمة الامتياز «ويسمى» الالماني التي كتبها في مقدمة الترجمة الالمانية وهي :
«لا ارمي الى تحليل هذا الكتاب الفذ بل اقول انه جدير بالنظر والاعتبار . . .
الحج » والمرجو ان يظهر العرب الجزء الثاني منه وان يعتني بترجمته وتصحيحه ليسلم
من مثل الاغلاط التي في الجزء الاول

(كتاب آداب العرب)

تأليف ابراهيم بك العرب . طبعته نظارة المعارف على نفقتها في المطبعة الاميرية
سنة ١٩١١ وقررت تدريسه في مدارسها الابتدائية وفي مدارس المعلمين والمعلمات
ويطلب من مخزن المعارف

الكتاب مجموعة مواعظ منظومة على السن الحيوان والطير على غط كتاب
الصادق والباغ

(المطالعة الفصيحة لامهات اليوم والغد)

الجزء الاول منه تأليف الشيخ مهدي احمد خليل المدرس بمدرسة المطبات في بولاق. الطبعة الاولى
منه سنة ١٣٣١ ص ٢٥٥. بقطر رسالة التوحيد. ثَمَّه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر
الكتاب ادبي اجتماعي لغوي كبير الفائدة ولذلك قررت نظارة المعارف تدريسه
لجميع تلميذات مدارس البنات العالية والابتدائية والخصوصية

محاسن الطبيعة وعجائب الكون

تأليف اللورد (افرى) ترجمة وديع البستاني . ص ٢٩٤ بالوسط طبع مطبعة المعارف وثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار ومكتبة المعارف
ابحاث الكتاب : عميد ، عالم الحيوان ، والنبات ، والحقول والحراج ، والماء ، والبحر ، ثم القبة الزرقاء . وهو يجول في هذه الابحاث جولة المفكر المتفعل المستبصر .
واذا كان هذا الكتاب أسمى معاني واكثر دقة من سائر ما قرأنا من مؤلفات لورد افرى التي عربها وديع البستاني فان ترجمته أحسن وأسلم وأقل غلطاً من جميعها أيضاً

رواية جزيرة الذهب

مترجمة عن الالمانية بقلم ماري ابراهيم نجار ، طبع الجزآن الاول والثاني منها بمطبعة جريدة الهدى في نيويورك على نفقتها فكانت ص ٢٥٤ بالقطع الوسط وموضوعها تحويل الافكار عن عبادة الذهب وتوضيحية كل شيء في سبيل الحصول عليه الى فكرة الانسانية الراقية . وما أجدر هذه المترجمة المأقولة الفاضلة ، باختيار هذه القصص المفيدة النافعة .

مجلة العلوم الاجتماعية

مجلة تصدر في بيروت تبحث في الحقوق والاقتصاد والاجتماع . سقتها عشرة شهور شمسية بتبديء من ايلول (سبتمبر) من كل سنة . الجزء منها ٣٢ ص . منشؤها المحامي توفيق افندي الناطور المتخرج في مدرسة الحقوق في باريس ، ومدير تحريرها الشيخ محمد منيب افندي الناطور من تلاميذ الازهر ومدرسة القضاء الشرعي
قيمة اشتراكها في البلاد العثمانية وريالان مجيديان وفي البلاد الاجنبية عشرة فرنكات وان في سعة منشئها ومديرها وتوخيهما النفع لها ما يوجب الاقبال عليها لما يختاران نشره فيها من العلوم والفوائد التي أصبحت في هذا العصر حاجة من حاجات الامة ، فتمنن نرجو لها الرواج والتعاج ، ونعده عنواناً لاستعداد الامة للارتقاء . وقد فتحت باباً لادبيات اللغة العربية فضمت الى فوائدها العلمية هذه الفائدة النفيسة ويمكن الاشتراك فيها بواسطة مجلة المنار ومكتبته

الشيخ علي يوسف

٣

{ فصل في بقية الكلام على سياسته المصرية }

بينما ان سياسة الشيخ في المؤيد كانت تدور في أول العهد على ثلاثة أقطاب (١) تأييد سلطة الأمير ونفوذه (٢) مقاومة نفوذ الاحتلال الانكليزي (٣) الاعتماد في هذه المقاومة على نفوذ الدولة العثمانية وحقوقها الرسمية في مصر . وكذا على نفوذ فرنسا ومصالحها السياسية فيها ، وانها بعد طول الاختبار وتغير الحوادث طرأ عليها بعض التغيير . وتزيد ذلك بياناً فنقول وان كررنا بعض المعاني : انه بعد حادثة فشودة علم المترجم ان الانكسار أو الاعتماد على وعود أو عهد دولة أوربية لا يكون الا دون الانكسار على المواعيد المرفوعة ، وانه بعد اختبار السياسة العثمانية بالفوس في اعماق الحوادث التي بينها وبين أوربية ، وبقاء كبار رجالها في الاستانة ومصر وأوربية ، علم انه لا يتكلم عليها في شيء ، وان الذي يبني عمله على الرجاء فيها قائماً يبني على شفا جرف ، اذ لا يؤمن خذلانها له في كل عمل ، فاكتمى من خدمة الدولة فيما يسمونه المسألة المصرية بالمحافظة على حقوقها الرسمية في مصر ، وجعل لفرماناتها الرسمية لامراء مصر ركن استقلالها الركين ، الذي يصد به بعض ما يخشى من هجمات الاحتلال عليه . وأما فرنسا وسائر دول أوربية فقد علم كما يعلم كل خير بصير انها دول تجارية تتعجز بالامم والشعوب والدول ، وانها لا تراعي في تجارتها حقاً ولا عدلاً ، ولا رحمة ولا فضلاً ، وانما رأس مالها القوة والحيلة والأثرة ، فلا يقدر أن يستفيد منها ، الا من جعل منفعتها وسيلة الى منفعتها ، وهبات أن يتسنى للأدنى ، أن يستخدم لمنافعه من هو أعلى منه قوة وعلماً . وما كل من تنفعه تقدر أن تستخدمه ، وناهيك بدول أوربية ومعارضة بعضها لبعض في سياستها أو مطامعها في بلادنا ، فاذا أراد بعضها أن ينفعنا قليلاً لينتفع منا كثيراً ، عارضه في ذلك من يكره لنا هذه المنفعة ويراهها عقبة في طريق مطامعها فينا . وكان الفقيد يعلم أيضاً ان شعوب أوربية خير من حكوماتها ، وان فيهم كثيراً من الاحرار ومحبي الحق والخير لكل البشر ، وان رأي الشعب العام له السلطان الاعلى على الحكومات ، فلهذا كان يرى أخيراً أنه ينبغي أن يكون للمصريين صلة

بعض أهل الفضيلة من أحرار الانكليز اعلمهم يستنبون بهم على مقاصدهم، وإيصال ما يشكون منه بحق من إنكليز مصر الى انكليز اندرة . حتى لا تكون الشؤون المصرية محجوبة عن محبي الانصاف، لا يعرفون منها الا ما يكتبه عميد انكلترة في مصر الى ناظر الخارجية في لندرة وبعض مراسلي الجرائد . والعمل بهذا الرأي إما أن ينفع وإما أن لا يضر . ولكن عارضه فيه أحداث الوطنية في جريدة اللواء وما أحدثوه بعد مصطفى كامل من الجرائد كدأبهم وعاداتهم ، وقد بينا وجه ذلك عندهم في هذه الترجمة (الجرائد والأحزاب بمصر)

ونقول هنا إن السياسة في مصر لا تظهر لها الا الجرائد ، وقد تألفت الأحزاب لأجل الجرائد ومديري سياسة الجرائد ، ولم يستطع حزب من الأحزاب أن يجعل جريدة أكثر رواجاً وقبولاً من جريدة أخرى عند الرأي العام بمصر . وقد سبق القول بأن الجرائد العربية المؤثرة في الجمهور المصري كانت ثلاثة : الاهرام والمقطم والمؤيد ، وأن التنازع انما كان أولاً بين الاهرام والمقطم . ثم كانت الاهرام تشايع المؤيد بمد ظهوره لاتفاقه معها في الميل الى السياسة الفرنسية التي تعد الاهرام هي الركن الأول لها ، ولأن مشايسته على المقطم كانت تعد من آيات صدق الخدمة الوطنية لمصر . ولما انقطع أمل المصريين من فرنسة صارت جريدة الاهرام في المرتبة الثانية بين الجرائد اليومية ، بل كادت تموت من شدة ضعفها ، لولا أن تداركها همة بشارة باشا تقلا القوية ومن ساعده على تحريرها من أذكاء الكتاب ، وأمانه على ذلك ثقة جمهور التجار والزراع بأخبارها التجارية . بذلك انتمشت بعد ان سقطت ، وارتفعت بعد ان انخفضت . وحفظت مكانتها بين الجرائد اليومية الكبرى ، فان لم تعد رأساً في سياسة خاصة ، فهي رأس في الثروة والمباحث العامة . ولا يضاهيها في هذين الأمرين الا المقطم . فهما الآن في مقدمة الجرائد المصرية في الثروة ، وسمعة الاخبار العامة ، والقدرة على التصرف في الكلام عن الشؤون المصرية . على انهما لم تألف لهما أحزاب ، وانما تلك كفاءة أصحابهما ومحرريهما ، واجتمع بين حسن الادارة ، والبراعة في الكتابة

وقد تألف في مصر ثلاثة أحزاب سياسية حول ثلاث جرائد يومية ، هن أكبر جرائد مسلمي هذا القطر وأوسمها انتشاراً - المؤيد واللواء والجريدة - ولم يكن لواحدة منهن دخل يوازي دخل المقطم والاهرام الا للمؤيد ، فقد كان أوسع منهما انتشاراً وعلى مقربة منهما في المال ، ولو أتى للمؤيد مدير مالي يسير بإدارته سيرة أصحاب تنك الجريدتين لسكان أوسع الجرائد ثروة ، على أن الشيخ رحمه الله عاش به في سعة ورخاء ، كما

يعيش الامراء والكبراء ، حتى تورط في شراء الدور وأراضي البناء ، في ابان اميراف الناس في التغالي بها ، فركبته الديون وجاءت سنو العسرة المالية فأنت على جميع ما في يده ، وكادت تذهب بالمؤيد نفسه ، لولا أن تداركه بتأسيس شركة مساهمة له ، خالت دون موته ، لادون مرضه ، فقد مرض المؤيد امراضاً أشرفت به على الموت عدة مرار ، وصارت حركة ظهوره كحركة المذبوح أو حركة الاستمرار ، وهو لا يزال محتاجاً الى تجديد الحياة ، وأما يكون ذلك بحسن الإدارة والنظام ، وجعل التحرير على الوجه الذي يناله من قبل ، وهو ما به يظل المؤيد صاحب التأثير الاول في كل ما يتعلق بمصالح المسلمين في مصر ، - ركذا في غيرها - ثم بالمصالح المصرية والممانية . فاذا قصر المؤيد في هذا الامر الذي لم يكن لولاه أمرا ذابال ، يحكم عليه الرأي العام الاسلامي بالعدم والزوال ، ويطلب بلسان حاله جريدة تحل محله حتى ينهض بها من يؤهله الاستعداد ، من الشركات أو الافراد

وجملة ما يزيد الاعتبار به أن المؤيد قد جعله مشربة الاسلامي والمصري فوق جرائد القطر كلها ، بل جعله حاجة طبيعية ، من حاج البلاد المصرية فالاسلامية ، ولقي من المساعدة والاقبال ما لم يلق غيره ، ومع هذا كله لم يستطع أن يكون في ثبات الاهرام والمقطم وفي مثل ثروتها ، ولا في المحافظة على إشعار الجماهير بحاجاتهم اليه ، وبانه لا بد لهم في الحوادث الطارئة من رأيه ، وقد ألف صاحبه له حزبا سياسيا سماه (حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية) فلم يفده قوة تذكر ، ولا رد عنه غارة تشن ، وأما كانت قوته المنوية في هجومه ودفاعه سنان قلم الشيخ علي ، وحسن استعماله لأسنة الأقلام التي كانت تساعد ، ومنها ما كان أنفذ من سنانه في بعض الشؤون وأقتل . فلما مرض الشيخ مرض المؤيد ، ولما مات خشي الناس أن يموت كما مات حزبه ، واسكن الشركة المالية تداركت حياته المادية ، وعسى أن توفق لتدارك حياته المنوية ، فان لم يتم هذا يفقد مسلمو مصر الاتفاع بقوتهم المنوية ، ولا يبقى لهم قائد منهم في حياتهم السياسية والادبية ، ولا مدافع يؤثر صوته في مصالحهم الدينية ، فالشعب جريدة احداث جهال ، والجريدة ليست اسلامية المشرب ، والاهالي كذلك ، على انها ولدت سقظا كما قال أحد الأدباء . فالجريدة الاسلامية المصرية هي المؤيد ، فاذا مات يعسر وجود خلف له . واني بهذه الحرية في الصريحة ، ربما أثير على نفسي حقدا قديما وعداوة جديدة ، ولا أبالي ذلك في سبيل مصلحة المسلمين ، على أنني است على ثقة من قبولها والله الموفق

وأما اللواء فقد بينما أن منشئه تربي في مدرسة المؤيد السياسية ، فكان تلميذا له ، إلا أنه عقه وكفره ، وكان يحسب أنه يبدء أو يكون ناسخاً له ، لأنه يبالغ ويفلو في كل المقاصد التي صار المؤيد يسلك سبل الاعتدال فيها ، كمدح السياسة الحميدة ، وذم الحكومة المصرية ، ومقاومة الاحتلال ، بالذم والاحتجاج ، وذلك أن الناس كانوا قد ألفوا بعض المباغة من المؤيد ، فإذا أرجعته عنها الحكمة والخبرة ، بعد عوامهم وشبابهم ذلك من تغيير الخطة ، ومن دأب الأحداث والعوام ، حب الاغراق والفلو في الكلام ، وناهيك بما يتعلق منه بالسياسة والحكام . وقد بدأ اللواء المؤيد في المباغة بهذه المقاصد ، وانفرد دونه بدعوة مسلمي مصر الى تكوين رابطة جنسية وطنية ، لسكنها رابطة تافي إخوان الاسلام ولا ترضي القبط وسائر طوائف النصرانية صادف اللواء من مساعدة الاستانة ومساعدة بعض أراء مصر وأغنيائها ما لم تصادفه جريدة أخرى . حتى كان يبذل له الذهب بالآلوف ، وهو على هذا كله لم يتسمع انتشاره الا بعد سنين من نشائه ، ثم إنه غلب المؤيد على استمالة أكثر تلاميذ المدارس وكثير من العوام ، وصار المؤيد باعتداله على رضاء أكثر العوام عنه . جريدة الخواص . لم يستطع اللواء ان يصل بكل ذلك الى أن يكون كجريدة الاهرام أو المقطم في ثباتها وثروتها ، وقد ألف صاحبه له الحزب الوطني الحديث (١) وألف شركة رأس مالها عشرون ألف جنيه لاجل إصدار لواء أو لوائين آخرين باللغتين الفرنسية والانكليزية . وإنما كانت هذه الشركة صورية لا غرض منها الا بذل ذلك المال لمصطفى كامل يتصرف فيه كما يشاء . كما يفهم من قانونها . وقد فعل . أضع هذا المال كما أضع ما سبقه من الامانات مع كل غلة اللواء ومطبعته في السرف والخيلة والمضاربات ، وطفق ينشد في اللواء شركاء يشترون سهاماً أخرى من الشركة فلم يستجب لرقبته أحد ، ولم يلبث مصطفى باشا كامل ان مرض وضاعف ثقل المرض عليه هم الدين والموز ، وفي أثناء مرضه ألف الحزب الوطني الحديث (١) وكل ذلك لم يفن شيئاً . ومات (كما مات صاحب المؤيد بعده) مثقلاً بالديون ، فقد تبين ان عليه عشرات الآلوف من الجنيهات . وقد حجز الدائنون مطبعة اللواء ، وبيع أثاث زعيم الوطنية في محل رجل رومي يبيع الأثاث بالزاد ، ثم مات اللواء بعد ان اضطر أصحابه الى استخدام بعض الكتاب من نصارى السوريين لتحريره وقد كان أعدى أعدائهم ، وبعد ان انشق الحزب

(١) أول من ألف حزباً سياسياً بمصر باسم الحزب الوطني حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني . والحزب الذي كان يذكره مصطفى كامل في حال صحته لم يكن حزباً مكوناً بالمثل

وأنشأ بسمي محمد بك فريد رئيسه جريدة لتكون لسان حال سباهها العلم (بالبحريك) ناطق رياسة تحريرها بالشيخ عبد العزيز شاويش ، فكانت دون اللواء واحط منه في كل شيء الا الفضل والاسراف ، في الكذب والارجاف ، والطمع في الثموب والافراد. لذلك اضطرت الحكومة الى إلغائها بعد ان حوكم رئيس تحريرها (شاويش) غير مرة ، وحكم عليه بالسجن وسجن .

في أثناء هذه الحوادث كان المتحمسون من رجال الحزب الوطني وآخرون ممن يودون استهالة محي الرجل من التلاميذ يجمعون المال لنصب تمثال له ، يخلدون به ذكره ، ولو راعوا الآداب الاسلامية لحافظوا بهذا المال على جريدة اللواء ، وانتقوا لها محررين من العقلاء الأدباء ، فان هذا هو الذي يحفظ ذكره كما حفظ الأهرام اسمي سليم قلا وبشاره قلا . فلما من يوم الا ويقروا الأهرام ألف من الناس يرون هذين الاسمين ويتذكرون مؤسسي هذه الجريدة المرقية . وفي مصر هذه تماثيل لا يحضر اصحابها لاحد على بال حق عند رؤيتها مائة بالشوارع .

وأما (الجريدة) قاهرة بها أعظم فقد أنشأها جماعة من سروات البلاد أصحاب الثروة والمكانة الاجتماعية ، وحصلوا لها رأس مال عظيم ، ووضعوا لها قبل انشائها قانونا من أدق القوانين ، وأسسوا لها مطبعة من أرق المطابع ، وجعلوا ادارتها ومطبعتها في قصر من أحسن القصور ، واختاروا لها مديرا من أذكى الكتاب واعلمهم بالسياسة والقوانين واختار هو من المحررين من سبق لهم القرن على الكتابة حتى في إدارة الأهرام وإدارة المقتطف والمعلم . وألف اولئك السروات المؤسسون لها حزبا سياسيا يكفلها سموه (حزب الأمة) فهي قد ولدت بالغة راشدة فلم تكن كالزويد واللواء طفلا ، وفي إدارته رويدا رويدا ولكنها على كل هذه المزاي لم تستطع ان تجد لها مقعدا ولا موقفا من السكان الفسيح الذي وجده قبلها المؤيد أو اللواء من قلب الرأي العام المصري ، ولم تستطع ان تالك من حية بعض ما ينال المعلم أو الأهرام ، بل كانت تحتاج كل سنة الى إمداد اولئك السروات لها بالعلم ، على أنها ليست في الحقيقة لسان حالهم ، وسبب ذلك كله ان الروح الذي قفخ في هذه الجريدة لنحيا به ليس إسلاميا ، وإنما هو فلسفة خاصة لا تكاد تتجاوز دماغ مدير الجريدة وأدبغة بعض أصدقائه من الحامين وغيرهم (الذين هم حزب الجريدة المصري لا المالي) الا بتدرج بطيء جدا ، ثم انه لا يرجي أن يعم ، وليس من الحكمة ولا بما يبيع الاقتصاد ان يكون له جريدة نوقف عليه في مثل هذه البلاد التي لم تستعد لانت تعيش فيها

جريدة أو مجلة خاصة بشيء واحد مما تهتم الحاجة إليه كالإقتصاد والزراعة أو الأدب،
دع الفلسفة بمجالاتها ، دون مذاهب الأفراد فيها فقط

وجهة القول أن الجريدة لا ترمي عن قوس عقيدة مسلمي مصر ، ولا تصلح
لتأثير الرأي العام المصري ولا فيه ، فهي لا تستطيع أن تخدمه كما يجب ، ولا أن
تستخدمه كما يجب ، لأن روحها غير إسلامي ، فلا هي لسان حال المسلمين ، ولا
لسان الذين أسست بأموالهم منهم ، وهم لم يستمروا على الاتفاق عليها إلا لما يشعرون
به من الفضاخلة عليهم إذا ألغوها وأبطلوها ، ولا يرجى لها بهذا المشرب أن تبلغ شأواً
النظام أو الأهرام من نفوس الناس ولا من الرواج والرج

فظهر بما شرحناه أن الأحزاب في مصر لا عمل لها ولا تأثير إلا بالجرائد ، وأن
الجرائد بالرأى الذين يتولون سياستها وإدارتها ، وأنه لم توجد بمصر جريدة للمسلمين
حسنة الإدارة والنظام اللهم إلا الجريدة في الجملة أو في ضبط الأعمال المالية وإن جريدة
المؤيد هي الجريدة الإسلامية السياسية التي أوجدتها الحوادث وكفاهة الشيخ علي
يوسف في مكانة من الرأي العام الإسلامي يعرفها لها أهل السياسة في أوروبا ، ويمدونها
لسان حال مسلمي مصر وغير مصر أيضاً . وحذت جريدة اللواء حذوها ، ولم تبلغ
شأوها ، لأن صاحب المؤيد كان في السياسة الإسلامية مستقلاً ، وصاحب جريدة
اللواء كان فيها مقيداً ، وأما كان حظه منها بقدر ما اقتبس من سياسة المؤيد . وكل
ما خالف فيه المؤيد كان خطأ في جهته ، أن لم يكن خطأ في كل فروعه وجزئياته ،
ولكن الفرية لا تكون إلا بالخالف في بعض الشؤون ، فصاحب المؤيد واللواء هما
أوجدوا المؤيد واللواء ، وقد كان لسوء تصرفهما المالي دخل عظيم في إضعاف جريدتهما ،
حتى ماتت أحدهما بعد موت صاحبهما بعد ما أشرفت على الموت المالي في عهده ،
ويخشى أن تموت الأخرى مثلاً ، أن لم يمن بها أهل الفرية والبصيرة عناية يراعى
فيها ما ينشأ في هذه الترجمة مراوا .

فيجب على مسلمي مصر أن يتدبروا هذا النقص العظيم ، وأن يذكروا أن شعبهم
المستعد للعلم والأدب والتربية السياسية والاقتصادية ، هو الذي جعل الأهرام والمقطم
أغنى الجرائد في بلاده ، لأن محليهما عرفوا كيف يحاطبونه بحسب استعدادهم ، وهو
قد ساعد المؤيد واللواء ما لم يساعدهما ، فيجب على من يخدمه أن يحاطبه بلسان
استعدادهم . وأن يذكروا أن (مصر) و(الوطن) الجريدتين القبطيتين ، تليان في الثروة

والثبات الاهرام والمقطم السوريتين . ولولا عصبيتهم القبطية لما كانتا دونهما تأثيرا في نفوس المسلمين . فمن التقص بل من العاف على المسلمين أن لا يكون لهم جريدة أو جرائد مثل هذه أو أرقى منها في النظام والثروة ، بله التأثير والحظوة ان لي أن أفاخر بكفاة أصحاب المقطم والاهرام ومحروبيهما وبراعتهم ، لانهم من أبناء وطني الاول الذي هو وطن المولد والمنشأ . وأود - والله - أن أفر بمن عملهم من أبناء ديني ووطني الثاني الذي هو وطن العمل . ولا يسرني من مثل المقطم والاهرام في مصر الا ما ينفع المصريين ، لان أبناء وطني السوريين ليس لهم مصالح في مصر تنافي مصالح المصريين ، فهم غير محتاجين الى جرائد خاصة لهم من دون المصريين ، لاجل هذا بهمني أمر المؤيد ، ويسرني أن يكون أرقى الجرائد المصرية تحريرا ونظما وافادة واستفادة ، لان المسلم أجدر بمعرفة حاجة الجمهور المسلم وبياناتها والدفاع عنها ، من مثله في علمه وبيانه من غير المسلمين ، وأقدر على التأثير فيه بحمله على الخير أو صرفه عن الشر ، وعلى التأثير به بحمله بجنا يدفع به عنه ما يراه ضارا به . وقد رأيت غير واحد من المشتغلين بالعلم والسياسة من النصارى يتنولون لو ولدوا مسلمين ، لأجل أن يكونوا أقدر على خدمة وطنهم أو الشرق الاسلامي كله .

وما أطلت الكلام على الجرائد في ترجمة الشيخ علي يوسف الا لأذكر لإخواني مسلمي مصر بما أراهم غافلين عنه ، وهو أنه لم توجد لهم جريدة تصح ان تكون لسان حالهم بحق الا المؤيد ، وان الروح الذي كان به المؤيد هو المؤيد يجب ان يبقى له ، ويجب ان يكفل ، وان يكون لهيئة التحرير فيه مع الرئيس الكفو ، مراقب موثوق به ، مثل سعد باشا زغلول الذي كان ركنا من أركان تأسيس المؤيد . والا خسر مسلمو مصر خسارة يصعب عليهم الاستمساكة عنها في سنة أو سنتين قليلة ، وروعا حرموها الاجيال طويلا ، وقد ذكرناهم بما يوجب العبرة من تاريخ أعظم جرائدهم هذا وان أية جريدة من جرائد المسلمين في مصر يتولى رئاسة تحريرها كاتب خبير بمصالح المسلمين غيور عليها ، قادر على الدفاع عنها ، يمكن ان تحمل محل المؤيد الاول وأن تكون أكمل منه فيه وأثبت ، ولكن لا يكون ذلك الا بعد ثقة الجمهور المسلم بها ، وهذه الثقة اذا استعادها المؤيد في سنة واحدة ، لا تنالها جريدة جديدة الا بعد سنتين كثيرة أو قليلة ، ومن ذا الذي ينفق على جريدة جديدة عدة سنين ، منتظرا طرؤه الحوادث التي تقنع الرأي العام بأنها هي حاجته التي يطلبها لسان حاله واستعداداه ؟

(للترجمة بقية)

الجامعة الإسلامية والسياسة

(جمعية إسلامية . مدرسة جامعة بالمدينة المنورة . استقلال الحجرة النبوية)

تجدد الخوض في ذكر الجامعة الإسلامية بما ظهر أخيراً من عناية جمعية الاتحاد والترقي بالاستفادة من نفوذ الدولة الديني لما ظهر لها من تأثير الدين في السياسة ، وضرر ما كان من اعراضها عنه ، ومن اهتمام مسلمي الأرض كافة بحرب طرابلس وحرب البلقان ، وبذلم المال لاعانة الدولة على الحرب بقدر الامكان ، ومطالبة مسلمي الهند لدولتهم البريطانية بمساعدتها ، واستيائهم من ميلها للبلقانيين . ففي أثناء الحرب ألفوا في الآستانة جمعية إسلامية خيرية تحت رياسة أو رعاية ولي عهد السلطنة . وكان أول من بذل المال لتأسيسها بعض وجهاء المصريين ، وبرجسون أن يحجموا لها مالا جمّاً ، وإن لم يعرف العالم الاسلامي اين يذهب هذا المال وكيف ينفق ؟

المدرسة الجامعة بالمدينة

وإذا عوا في الاقطار خبر تأسيس مدرسة جامعة في المدينة المنورة - ويصبر عنها الترك باسم « دار فنون » - ثم أرسلوا وفدا اليها في أثناء زيارة الحجاج لها للاحتفال بالشروع في تأسيس هذه المدرسة الموسوعة لفتح باب الاعانات لها . ونحن نتظن ان نرى نظام هذه المدرسة لنعلم هل موضوعها دار فنون جامعة لكل الفنون والعلوم العالية كما يفهم من هذه التسمية أم لا ، ولتعلم أي اللغات تكون لغة التعليم فيها ؟ هل هي العربية أم التركية ؟ ومن أين يأتون بالتلاميذ الذين تلقوا التعليم الابتدائي والثانوي ليدرسوا فيها الفنون والعلوم العالية ؟ وليس في المدينة ولا في الحجاز شيء من هذا التعليم ! ولا بحث عن المامنين والكتّاب قبل أن نعرف لغة التعليم ، فإن نظارة المعارف العثمانية تعذر عما نطلبه من جهل التعليم في ولايات الدولة العربية بلغة أهلها ، وأظهر أعذارها عدم وجود الكتّاب والمعلمين . وقد أذاعت الجرائد من بضعة أشهر أن النظارة ألقت لجنة فيها لأجل اختيار الكتّاب العربية الصالحة . وعلمنا أنها طالبت نموذجاً من كتّاب التعليم التي تقرأ في المدارس المصرية الأميرية فأرسل اليها . وإلى الآن لم تر لعمل اللجنة أثراً يذكر . وإذا كانوا يريدون التلمذ في المدينة بلغة التركية فإن لنا في ذلك كلاماً آخر . نقول هذا ونحن لا نعقل فلا نصدق أن حكومتنا توجد في المدينة المنورة مدرسة جامعة . ونرى ذلك غير مستطاع ان كان مراداً ، ولا نغان أنه مراد . ولكننا قد

تبنى بناء نخبة تسميه مدرسة جامعة، وتجلب اليه بعض الطلاب من بلاد مختلفة، فيستلون دروسا ابتدائية أو فوق الابتدائية، حسب استعداد من يحضر. ثم تستدعي أكفب أغنياء الحجاج وغيرهم لأجل ترقية المدرسة كما تستدعيها الآن لأجل تأديتها بأمانتهم وأما كون المراد من هذه المدرسة بث فكرة الجامعة الإسلامية في قلوب المسلمين - كما قالت الجرائد في هذه الاقطار وفي غيرها - فالظاهر ان السياسة الاتحادية الاخيرة تود إذاعة هذا المعنى غدا، ونحضر الذين يتولون إنشاء المدرسة الآن على اقناع زوار المدينة المنورة وغيرهم بأن جمعية الاتحاد والترقي تخدم الدولة والاسلام، وأنه يجب ان تساعد على ذلك بما يستطيع من النفوذ والمال، وقد علم هذا من حال من اختارهم الجمعية للشروع في العمل، ومن الاحتفال الذي كان في المدينة المنورة، ومن حال المندوب الذي بقي هنالك بعد الاحتفال (وهو الأمير شبيب أرسلان أحد أدباء طائفة الدرزي في جبل لبنان) الذي كتب العشرات بل المئات من المقالات في إطرار الجمعية والطمع في طلاب الإصلاح من العرب للبلاد العربية. أما الشيخ عبد العزيز شلويش رئيس لجنة ذلك الاحتفال في المدينة المنورة ورفيقه عبد القادر أفندي المغربي فهما من غلاة أنصارها الذين ثبتوا على خدمتها في الأقبال والأودبار، على اختلاف المظاهر والاطوار، ومن كان هذا شأنه معها فيها رجعت عنه من سياستها القديمة، فكيف لا يكون كذلك في سياستها الجديدة؟

أما أنا فأتيت لو توجد مدرسة جامعة في المدينة المنورة، أو مدرسة ما فيها كانت درجتها، ومهما كان الغرض من إنشائها، فإذا لم تكن كما نحب اليوم، فإنا نرجو أن تكون كما نحب غدا. ولهذا لم أكتب كلمة تحذير منها في المقالات التي أنحيت بها على أعمال الجمعية، أيام كان الخلاف بينها وبين قوسنا العرب على أشده، حتى أنني عدت - كما كنت في عهد عبد الحميد - لا آمن على نفسي ان أخرج بيت الله الحرام، أو أزور حرم رسوله عليه الصلاة والسلام، وكانت تحث لي هذه المدرسة - عند سماع خبر العزم عليها - كمجد الضرار. وقد دخل قوسنا معها الآن في طور جديد تمنينا فيه بكل ما نطلب من الإصلاح، والله المسؤول ان تصدق الأماني ونحصل الآمال

وأما رأي الذي أنصح به للدولة، فهو ان تصدي رجالها السياسيين لتحريك أوتار الجامعة الإسلامية بضر الدولة كثيرا ولا ينفعها إلا قليلا، ويوشك ان تكون هذه الأقوال التي قيات في هذه المسألة - على قلة تأثيرها - من أسباب ما نراه من شدة

تحمّل أوربة عليها ، وأكتفى في هذا المقام بالمثل الذي يكرهه الامام الفزالي في الاحياء : « كنى يهوديا صرفا والا فلا تلبس بالتوراة »

ومرادى من هذا انه يجب عليها أحد أمرين : (الاول) ان تؤسس حكومة اسلامية ، خالية من التقاليد والقوانين الأفرنجية ، الا ما كان من النظام ، الذي يتفق مع الشرع ولا يختلف باختلاف الانواء ، وتعطي مقام الخلافة حقه من إحياء دعوة الاسلام ، وإقامة الحدود وحرية أهل الأديان ، ولا يسمح لها حيثما ان ترضي غير المسلمين من رعاياها الذين ليس لهم أهواء سياسية ، ولا ضلع مع الدول الأجنبية ، بل يكون ارضاؤهم أسهل عليها منه الا ان شاءته . ولو كان لي رجاء في إصنائها الى هذا الرأي ، أو جعله محل النظر والبحث ، لبينت ذلك بالتفصيل ، ولا وردت ما أعلمه من المشكلات والعقبات التي تعترض في طريق تقيده من داخلية وخارجية مع بيان المخرج منها ، ثم ما يترتب عليه من تجديد حياة الدولة وكونه هو المنجى لها من الخطر ، وان تراهي لكثير من الناس انه هو المسرع بالخطر ، نظما منهم ان أوربة تجعل بالأجهزة على الدولة اذا قامت بأنها شرعت بنهضة إسلامية ، لعلها بأنها هذه هي حياتها الحقيقية ، وكون حياتها بهذا هو ما يصرح به بعض أحرار الأوربيين (١) وان خوف منه بالتصويه والابهام أكثر السياسيين

{ الثاني } ان تدع كل ما عدا الامور الرسمية الممهودة لديها من أمور الدين الى الجمعيات الدينية الحرة ، والافراد الذين يدفعهم استعدادهم الى هذه الخدمة ، ولها ان تساعد ما يستحق المساعدة من هذه الاعمال بالسخاء ، وكذا بالاعانات المالية من أوقاف المسلمين الخيرية ، (اذا كانت تريد بقاء الأوقاف العامة في يدها ولم يجب طلاب الإصلاح الى جعل أوقاف كل ولاية في أيدي أهلها) مع ابقائهم بمعزل عن السياسة وأهلها . ولولا ان هذا هو رأي لما اشترطت على رجال الدولة وجمعية الاتحاد ، إذ عرضت عليهم مشروع الدعوة والارشاد ، ان يكون في يد جماعة حرة لا علاقة لها بالسياسة ، وان لا تخصص لها اعانة من خزينة الدولة ، بل تكون نفقاتها مما تجمعها هي من الاعانات بأنواعها ، ومما تعطاه من أوقاف المسلمين الخيرية . (فستذكرون

(١) قال لورد كاتشر لبعض من لقيه من الثمانيين المشغلين بالسياسة : ان الدولة العثمانية لا تصلح بالقوانين التي تقتبسها منا (أي الأوربيين) ونحن ماضيت لنا هذه القوانين الابد تدرجية في عدة قرون كما تغير فيها وتبدل بحسب اختلاف الاحوال ، وان عندكم شريعة عادلة موافقة لمبادئكم ولاحوالكم الاجتماعية فلو اوجب على الدولة ان تعمل بها وترك قوانين أوربة قديم المدل وتحفظ الأمن وتستعمل بلادها الخصبة ، وعندي انها لا تصالح بغير هذا

ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله ، إن الله بصير بالعباد)

استغلال الحجرة النبوية

بلغنا والمهدة على الرواة أن بعض المنافقين الذين يتقربون الى (جمعية الاتحاد والترقي) باسم الدين ، واستنباط الوسائل منه الى استخراج المال من جيوب المسلمين ، قد زينوا لها أن تتخذ دفترًا تضعه في حجرة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام . وتذيع في العالم الاسلامي كله أن من أراد أن يكتب اسمه في هذا الدفتر ، الذي وضع لدى قبر الرسول الاعظم ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فليبدل قطعة من النقود الذهبية ، (كالجنيه الانكليزي أو الليرة العثمانية) ونحن تصح للدولة أو الجمعية بأن ترد هذا الاقتراح ولا تنفذه ، مهما زينه المنافقون ووسعوا دائرة الاماني فيه ، وأوهموها ان السواد الاعظم من المسلمين يقبلونه ، ظانين أنه يحفلهم معروفين عند نبيهم (ص) محبوبين لديه ، مقبولين عنده ، وأنه يمكن لمن يدعوهم الى البذل أن يقول لهم : انه (ص) ينظر في هذا الدفتر كل يوم ، ويقرأ هذه الاسماء ويدعو لأصحابها بخير

هذه بدعة قبيحة لا نظن ان رجال الاتحاد يقبلون فيها قول المنافقين ، أو محتاجون الى نصيح الناصحين ، وهي على كونها حدثًا وبدعة في مسجد الرسول (ص) وعبنا بالدين ، نخل بمعظميه وتكريم مقامه (ص) وقد لمن من أحدث حدثًا في مسجده (وسيأتي الحديث فيه) وكذا في مدينته وما حولها : روى الشيخان في صحيحيهما وغيرهما عن علي كرم الله وجهه أنه قال : ما كتبنا عن رسول الله (ص) الا القرآن وما في هذه الصحيفة . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المدينة حرم ما بين عيصر الى ثور (١) فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل » الحديث

لا يعمجز اصحاب الجراة من المنافقين ان يقولوا ان استغلال حجرة المصطفى وقبره (ص) بمثل هذا الدفتر لا يمد حدثًا ولا بدعة ، لانه وسيلة الى مساعدة الدولة على خدمة الدين (مثلا) ويمكن ان يتقى فيه الكذب في الدين وأبهام الباطل والكذب على الرسول (ص) حتى لا يكون توسلا باسمه (ص) الى أكل أموال الناس بالباطل . ولكن أنصار السنة أنض حجة وأقوم قیلا ، فلا يعمجزهم أن يظهروا الدلائل

(١) عبر وثور جيلان جهاما « ص » حديث للمدينة . وثور جبل بمكة أيضا وقد اشتبه بعض شراح الحديث في هذا الذي في المدينة ، ورجح بعضهم رواية « ما بين عيصر وأحد » وان كانت الاولى أصح سندًا . وقال بعضهم ثور الذي يحده المدينة وراء أحد الى الشمال وهو مدور ولونه الى اخرة . فالظاهر انه جبل صغير ثلثه بعض الناس جزءا من أحد

وآثار السلف التي تدحض هذه الشبهات ، وأن يبينوا للناس ان كل بدعة حدثت في الاسلام قد موهت بمثل هذا التويه ، وادعى محدثوها أنهم يخدمون بها الدين ، كما بينه الامام الشاطبي في كتاب الاعتصام
وانني انقل هنا اثرا واحدا من آثار السلف الصالح في التوقي من احداث شيء في مسجد الرسول (ص) او مدينته حذرا من لعنته ، نقل الشاطبي في بيان كون المبتدع ملعونا ما يأتي :

« قال ابو مصعب صاحب مالك : قدم علينا ابن مهدي - يعني المدينة - نصبي ووضع رداءه بين يدي الصف ، فلما سلم الامام رمة الناس بأبصارهم ورمقوا مالكا - وكان قد صلى خلف الامام - فلما سلم قال : من هاهنا من الحرس ؟ فجاءه نفسان ، فقال : خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه . فحبس . فقيل له : انه ابن مهدي (١) فوجه اليه وقال له : أما خفت الله واتقيته أن وضعت ثوبك بين يديك في الصف وشغلت المصلين بالنظر اليه ، وأحدثت في مسجدنا شيئا ما كنا نعرفه ؟ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « من أحدث في مسجدنا حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » فبكى ابن مهدي ، وآلى على نفسه أن لا يفعل ذلك أبدا في مسجد النبي (ص) ولا في غيره .

(قال الشاطبي) وهذا غاية في التوقي والتحفظ في ترك احداث ما لم يكن خوفا من تلك اللعنة ، فما ظنك بما سوى وضع الثوب ؟ اه (وتقول) فما ظنك بدعة وحدث في حجرة الرسول (ص) يتبعها الكذب عليه ، وأكل أموال الناس باسمه ، والزيادة في الدين الذي جاء به ، ولو لم يكن في ذلك من الزيادة في الدين إلا احداث قرينة جديدة وعبادة مخترعة هي التقرب الى الله تعالى والى رسوله (ص) بكتابة اسماء الناس في دفتر هنالك لكفى ، فان قالوا اننا لانعده قرينة ولا سببا للثواب . قلنا اذا هو غش واحتيال ، لأجل سلب الاموال ، فان من يعلم ان كتابة اسمه لا تقربه الى الله ورسوله ، لا يدفع المال لأجلها . . . هذا ولولا الاخلاص في النصيحة لله ورسوله وللدولة لما كتبت هذا قبل إحداث هذا الحدث المقترح ، والله اعلم خبير

(١) هو عبد الرحمن بن مهدي الشهير بالصلاح والعلم والعمل ، كان يختم القرآن كل ليلة ويتعهد بصحة . لهذا كان قولهم للامام مالك « هذا ابن مهدي » سببا لمبادرته الى اخراجه من الحبس لعلمه أن كلمة حق واحدة تؤثر في نفسه ، ما لا يؤثر الحبس الطويل في نفس غيره .

﴿ انتقاد أجوبة المنار لمن سأل عن حكم الحج ﴾

كتب اليانا غير واحد من البحرين أن الذي سألنا عن حكم الحج وامرار المناسك لم يكن يريد الحج هو وأصحابه ، وما أسألتم تلك الا مظهر ما في نفوسهم من الاعتراض على الدين وعدم الاذعان لأحكامه ، وأنه ما كان ينبغي ان يجابوا الا أن يقال لهم: هذا ديننا فان كنتم من أهله فأقيموا أركانه وأدوا فرائضه ، والا فالزموا شأنكم .

هذا معنى ما كتب اليانا ، وصرحوا بأن سبب سوء اعتقادهم في السائل ومن على شاكلته أنهم قد تعلموا في مدرسة دعاة النصرانية { للبحرين } فأزاعوا عقائدهم أما نحن فنقول ان الاسئلة التي أرسلت اليانا تدل على أن السائل قد عرضت له شبهات في هذه العبادة (الحج) فهو إما حريص على دينه يسأل العلماء ليأخذ عنهم ما يدفعها بها ليكون على بصيرة من دينه ، وإما معجز أو شك يختبر علماء المسلمين ليرى ما عندهم ، حتى اذا عجزوا عن بيان حكم هذه المناسك عذر نفسه ، واطمان بما عنده .

والواجب علينا ان نقرب حسن الظن ما وجدنا له منفذا ، وان نجيب طالب العلم مهما كان قصده ، فان كان مؤمنا ازداد ببيان حكمة الدين إيمانا ، وان كان شاك أو زائغا يوشك ان يعود الى الرشده ، ويعظم بما ظهر له من الحق . ولا ينبغي لنا ان ترم أحدا في دينه بالشبهة ، ولا أن ندع من يشككم دعاة النصرانية في الحق وشأنهم ، بل ينبغي لنا ان نجذبهم اليانا ، اذا هم أعرضوا عنا وتركوا سؤالنا . فاذا ترك الحق الباطل يصول بشبهاته على أحداث المسلمين ، يرفقون كلهم من الدين .

واذا كان بعض أهل البحرين يعلمون مبلغ افساد دعاة النصرانية في بلادهم ، فلماذا لا يحذرون العاقلين من ارسال أولادهم الى مدارسهم ، ويفتنونهم عنها بمدرسة اسلامية ينشئونها لهم ، يعلمونهم فيها من علوم المعاش ما يعلمهم هؤلاء المفسدون ، ويزيدون عليهم تعلم عقائد الاسلام وأحكامه وحكمه وآدابه وتاريخه بدلا من النصرانية وشؤون أهلها ؟ الا يعلمون أنهم بترك معارضة هؤلاء المخارين لدينهم آثمون كلهم ؟ وان هذا الأثم لا يزول الا بإنشاء مدرسة يتقنون فيها أولادهم من مدرسة دعاة النصرانية التي ستلقي العداوة بينهم وبين أولادهم وتقطع صلتهم بهم في الدنيا والآخرة ؟؟

وعسى أن يعتبر بهذا من يدعوون في حضرموت وغيرها من أطراف جزيرة العرب الى جعل بلادهم للانكليز أو تحت حمايتهم ، ويهبطوننا في ذلك من الخطر على دينهم

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

المعراج
١٣١٥

فيسجدوا لله وأولئك هم أولوا الألباب
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر سابع صفر ١٣٣٢ هـ ق ٧ الشتاء الثاني ١٢٩٢ هـ ش ٢٦ يناير ١٩١٤

فتاوى المتنبي

افتتحنا هذا الباب لأجابه أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسمع الناس طامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرزالي اسمه بالحروف إن شاء، وأننا نذكر الأسئلة بالتدريج غالباً ورمزاً قد منّا آخر السبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما جينا غير مشترك لثقل هذا، وإن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة إن يذكر به مرة واحدة فإن لم تذكره كان لنا عذر صحيح لأغفاله

﴿ الموالد بدعة أم سنة ﴾

(س ١) من صاحب الأمضاء في فليبينغ (سومطرة)

من فليبينغ إلى القاهرة في ٢٥ المحرم عام ١٣٣٣

جناب الأستاذ مرشد الأمة ورشيدها سيدي محمد رشيد رضا أدام المولى وجوده • السلام عليكم ورحمة الله وبركاته • وبعد أرجو من فضلكم أجابة السؤال الآتي على صفحات المنار • ما قول سيدي في قراءة القصص المسماة بالموالد هل هي سنة أم بدعة ؟ ومن أول من فعل ذلك ؟ وأي الموالد المتداولة بين أيدينا أخرى بالقراءة يا حسن ؟ فإن كثيرين من رجال المناصب يزعمون أن مولد الديلمي هو أمثل الموالد وانضاهوا أن روح النبي صلى الله عليه وسلم تحضر عند قراءته خلافاً للموالد الأخرى . أرجو أن تفضل بإزالة الأشكال والجواب على هذا السؤال ولكم الفضل أولاً وآخراً ودمتم والسلام (طالب الدعاء منكم السيد عقيل بن عبد الله بن عقيل الحبشي)

{ ج } هذه الموالد بدعة بلا نزاع ، وأول من ابتدع الاجتماع لقراءة قصة المولد النبوي أحد ملوك الشراكسة بمصر . وقد شرحنا ما في هذه الاحتفالات التي يسمونها الموالد بمصر في مجلد السنة الأولى من المنار ثم في غيره من المجلدات • ولم نطلع على قصة من تصف المولد النبوي الشريف إلا ورأينا فيها كثيراً من الأخبار الموضوعة • حتى جمع صديقنا عالم الشام الشيخ جمال الدين القاسمي من كتب الصحاح والسنن أصح وأمثل ما ورد في ذلك و (شذرة من السيرة النبوية) وقد طبع في مطبعتنا وصار محبو السنة ومبغضو البدعة يستقنون به عن تلك القصص المشحونة بالموضوعات والأكاذيب التي يؤثرها الجهال زعماء منهم أنها أكثر تعظيماً للنبي (ص) وقد اغناه الله تعالى بفضله العظيم عليه عن تعظيم غيره له بالكذب في سيرته • ولم نطلع على مولد الديلمي • فإن كان هو الحدث المشهور فالمرجو أن يكون ما كتبه خالياً من الموضوعات ، وإن لم يخل من الضفاف التي يتساحون بها في ذكر المناقب •

﴿ قراءة البخاري لطلب النصر في الحرب ﴾

(س ٢) من علي أفندي مهيب (بديوان عموم التفرافات) بنصر (تاخر)

حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فقد قرأت في الجرائد في الايام الاولى للحرب الحاضرة بين الدولة العلية ودول البلقان ان صاحب الفضيلة شيخ الجامع الازهر كلف حضرات العلماء بقراءة البخاري امام القبلة طلباً للنصر من الله سبحانه. فهل ورد شيء عن قراءة حديث الرسول صلى الله عليه وسلم اثناء الحرب طلباً للنصر؟ ولماذا لم يقرأ كلام الله سبحانه بالاولى اذا كانت التلاوة تفي عن العمل؟ أرجو الافادة على صفحات المنار الاغر ولحضرتكم جزيل الشكر.

(ج) جاءنا هذا السؤال في اثناء الحرب الاخيرة فوضعه بين الاسئلة الكثيرة ولم يتفق وقومه بيدها الا الآن. وموضوعه يتكرر عند الحرب وغير الحرب من المصائب كالوباء والقحط. والجواب انه لا يعقل أن يكون قد ورد في الكتاب أو السنة أمر أو ترغيب بقراءة أحاديث الرسول (ص) لطلب النصر أو رفع المصائب ولا أن يكون ذلك معروفاً في الصدر الاول. فان الاحاديث لم تكن مدونة في زمن الخلفاء الراشدين (رض) وانما دونت في زمن التابعين، وأول من أمر بجمعها ونشرها عمر بن عبد العزيز (رض) ولم يكن التابعون ولا تابعو التابعين يقرعونها لتكون قراءتها سبباً للنصر. وانما فعل ذلك المتأخرون ولا أدري في أي زمن أحدثوا ذلك، وما أظن أن أحداً من أهل العلم يقول ان هذا سنة أو مأمور به شرعاً، ولعل أقوى ما يمكن أن يقوله في سببه: اننا نجتمع للدعاء ونقرأ قبل الدعاء طائفة من أحاديث الرسول (ص) لما يرجى من تأثيرها في حضور القلب، والخشوع للرب، الذي يرجى أن يكون سبباً لاستجابة الدعاء. وعلى هذا يتجه السؤال الثاني وهو « لماذا لا يقرأ كلام الله سبحانه »

وما أظن ان حداً من أهل العلم يقول ان قراءة الحديث أو القرآن في المساجد بنية نصر المحاربين سبب لنصر المحاربين في ميدان القتال، وقد بين الله تعالى أسباب النصر في كتابه وأمر بها وأهمها اعداد ما استطاع من القوة في كل زمن والثبات وذكر المحاربين لله تعالى في ثلوبهم عند لقاء العدو، كذكر وعده بأحدى الحسينين وثوابه للشهداء، وبألستهم كالتكبير فانه يعلي الهمة ويقوي الامل والرجاء. وقد بينا ذلك بالتفصيل غير مرة. وقد ظهر المشركون على المسلمين في أحد وحنين والني (ص) معهم وأنزل الله تعالى في أحد (أو لما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا؟ قل هو من عند أنفسكم) فراجع تفسيرها في المنار أو في الجزء الخامس من التفسير، ان شئت زيادة الايضاح والتفصيل.

التصوف الاسلامي الصحيح

(فصل من كتاب مدارج السالكين ، بين منازل « إياك نعبد وإياك نستعين »)

للامام العلامة الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى

في مشاهد الخلق في المعصية وهي ثلاثة عشر مشهداً^(١) : مشهد الحيوانية وقضاء الشهوة - ومشهد اقتضاء رسوم الطبيعة ولو ازم الخلقة - ومشهد الجبر - ومشهد القدر - ومشهد الحكمة - ومشهد التوفيق والخذلان - ومشهد التوحيد - ومشهد الاسماء والصفات - ومشهد الايمان وتمدد شواهده - ومشهد الرحمة - ومشهد المعجز والضعف - ومشهد الذل والافتقار - ومشهد المحبة والعبودية . فالاربعة الاول المنحرفين ، والثمانية البواقى لاهل الاستقامة . واعلاها المشهد العاشر . وهذا الفصل من أجل فصول الكتاب وأنفعها لكل أحد ، وهو حقيق بأن تشي عليه الخناصر ، ولعلك لا تطفر به في كتاب سواه ، الا ما ذكرناه في كتابنا المسمى بسفر المهجرتين ، في طريق السعادتين

﴿ فصل ﴾

فأما (مشهد الحيوانية وقضاء الشهوة) فشهد الجاهل، الذين لا فرق بينهم وبين سائر الحيوان الا في اعتدال القامة ونطق اللسان ، ليس همهم الا مجرد نيل الشهوة بأي طريق أفضت اليها . فهؤلاء نفوسهم نفوس حيوانية ، لم ترق عنها الى درجة الانسانية ، فضلاً عن درجة الملائكة . فهؤلاء حالهم اخس من ان تذكر ، وهم في

{١} المعنى المراد من لفظ المشهد هو ما يغلب على اعتقاد الانسان أو وجدانه وشعوره في معصيته أو معصية غيره ، ومثله كل عامل في عمله ، ويعبر بعض الناس الآن عن مثل هذا المعنى بالملاحظة . فيقال علي عرفهم : إن العامي الجاهل لا يلاحظ في المعصية الا إرضاء شهوته . ولكن الطبيب الجاهل يلاحظ معنى آخر مع قصد الشهوة ودوران هذا العمل من الوظائف الطبيعية لبعض أعضاء الجسم ، وعلى ذلك فقس

أحوالهم متفاوتة بحسب تفاوت الحيوانات التي هم على أخلاقها وطباعها (فمنهم) من نفسه كلبية لو صادف جيفة تشبع ألف كلب لوقع عليها وحماها من سائر الكلاب ، ونجح كل كلب يدنو منها ، فلا تقر بها الكلاب الا على كره منه وغلبة ، ولا يسمح للكلاب بشيء منها ، وهمه شبع بطنه من أي طعام اتفق : ميتة او مذكي ، خيث او طيب . ولا يستحي من قبيح ، ان تحمل عليه يلث أو تتركه يلمث ، ان اطعمته بصره بذبذبه ودار حولك ، وان منعته هرك ونبحك .

(ومنهم) من نفسه حمارية لم تخلق الا للكد والمك ، كلما زيد في علفه زيد في كده ، ابيكم الحيوان واقله بصيرة . ولهذا مثل الله سبحانه وتعالى به من حماله كتابه فلم يعرفه معرفة ولا فقها ولا عملا . ومثل بالكلاب عالم السوء الذي آذاه الله آياته فانسلخ منها وأخذ الى الارض واتبع هواه . وفي هذين المثالين اسرار عظيمة ليس هذا موضع ذكرها .

(ومنهم) من نفسه سبعية غضبية همته المدبران على الناس وقهرهم بما وصلت اليه قدرته ، طبيعته تتقاضى ذلك كتقاضى طبيعة السبع لما يصدر منه . (ومنهم) من نفسه فارسية فاسق بطبعه ، مفسد لما جاوره ، تسبيحه بلسان الحال : سبحان من خافه للفساد .

(ومنهم) من نفسه على نفوس ذوات السموم والحماة ، كالحية والعقرب وغيرها ، وهذا الضرب هو الذي يؤذي بعينه فيدخل الرجل القبر ، والجلل القدر ، والمين وحدها لم تفعل شيئا وانما النفس الخبيثة السمية تكيفت بكيفية غضبية مع شدة حسد واعجاب ، وقابلت المين على غرة منه وغفلة ، وهو اعزل من سلاحه ، فاندغته ، كالحية التي تنظر الى موضع مكشوف من بدن الانسان فتشمه ، فإما عطب وإما اذى . ولهذا لا يتوقف اذى المائن على الرؤية والمشاهدة ، بل اذا وصف له الشيء الغائب عنه وصل اليه اذاه . والذنب لجلل المين وغفلته وغرته عن حمل سلاحه كل وقت . فالعائن لا يؤثر في شاكى السلاح ، كالحية اذا قابلت درعا سابغا على جميع البدن ليس فيه موضع مكشوف ، فحق على من أراد حفظ نفسه وحمايتها أن لا يزال متدرعا متحصنا ، لا بسا اداة الحرب ، مواظبا على أواد التهوذات

والتحسينات النبوية التي في السنة والتي في القرآن (١) .
وعلى هذا الشبه اعتماد أهل التعبير للرؤيا في رؤية هذه الحيوانات في المنام
عند الانسان وفي داره أو أنها تحارب به . وهو كما اعتمدوه . وقد وقع لنا واخبرنا من
ذلك في المنام وقائع كثيرة . فكان تأويلها مطابقا لا أقوام على طباع تلك الحيوانات .
وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم في قصة أحد بقراتنحر ، فكان ما أصيب من المؤمنين
ببحر الكفار ، فإن البحر أنفع الحيوان للارض وبها صلاحها وفلاحها مما فيها من السكينة
والمنافع والذل (بكسر الذال) فإنها ذلول مذلة منقادة غيرأية ، والجواميس كبارهم
ورؤساؤهم (٢) ورأى عمر بن الخطاب كأن ديكاً نقره ثلاث نقرات ، فكان
طمناً أبي ثؤاوة له . والديك رجل أعجمي شري .

ومن الناس من طبعه طبع خنزير يمر بالطيات فلا يلوى عليها ، فاذا قام
الانسان عن رجليه قه . وهكذا كثير من الناس يسم ملك ويرى من المحاسن
أضفاف أضفاف المساوي ، فلا يحفظها ولا ينقأها ولا تناسبه ، فاذا رأى سقطاً أو كلمة
عوراء وجد بغيته وما يناسبها فجماها فأكتمه ونقله

(ومنهم) من هو على طبيعة الطاووس ليس له إلا أن يطوس والذين بالريش
وما من ذلك شيء (ومنهم) من هو على طبيعة الجمل أحقد الحيوان وأغلظه كبداً
(ومنهم) من هو على طبيعة الدب أبكم خبيث ، وعلى طبيعة القرد (٣)
أحقد طبائع الحيوانات طبائع الخيل التي هي أشرف الحيوانات نفوساً وأكرماً
طبعاً ، وكذلك الفم ، وكل من ألف ضرباً من ضروب هذه الحيوانات اكتسب
من طبيعته وخلقه ، فإن تغذى بلحمه كان الشبه أقوى . فإن الغاذي شبيه بالتغذي
(٤) . ولهذا حرم الله أكل لحوم السباع وجوارح الطير لما يورث آكله (٥) من شبه

{١} حذفنا من هذا الموضع بحثاً وحيزاً في عقاب من ثبت أنه يؤدي بغيته ، وأنه
إن قتل بالعين لا يقتل بالسيف لأن الجزاء من جنس العمل

{٢} أي كبار الناس النافعين ورؤساؤهم . أي تعتبر رؤيتها في المنام بذلك

{٣} أي في إفساد كل ما تصل إليه يده (٤) وفي نسخة « المتغذي »

(٥) وفي نسخة « أكلها »

نفوسها بها والله أعلم . والمقصود أن أصحاب هذا المشهد ليس لهم شهود سوى ميل نفوسهم وشهواتهم لا يعرفون ما وراء ذلك ألبتة

﴿ فصل ﴾

(المشهد الثاني مشهد رسوم الطبيعة وأوازم الخلقة)

كشهد زنادقة الفلاسفة والأطباء الذين يشهدون أن ذلك من أوازم الخلقة والطبيعة الانسانية ، وأن تركيب الانسان من الطبائع الاربع وامتزاجها واختلاطها كما يقتضي بغي بعضها على بعض وخروجه عن الاعتدال بحسب اختلاف هذه الاخلاط ، فكذلك تركيبه من البدن والنفس والطبيعة والاخلاط الحيوانية يتأصاه اثر هذه الخلقة ورسوم تلك الطبيعة ، ولا تمقهر الا بقاهر إما من نفسه وأما من خارج عنه . وأكثر النوع الانساني ليس له قاهر من نفسه ، فاحتياجه الى قاهر فوقه يدخله تحت سياطة وإيالة ينتظم بها أمره ضرورة (١) كحاجته الى مصالحه من الطعام والشراب واللباس . وعند هؤلاء أن الماقل متى كان له وازع من نفسه قاهر لم يحتاج الى أمر غيره ونهيه وضبطه (٢) . فشهد هؤلاء من حركات النفس الاختيارية الموجبة للجنيات ، كشهدهم من حركات الطبيعة الاضطرارية الموجبة للتغيرات (٣) وليس لهم مشهد وراء ذلك .

﴿ فصل ﴾

(المشهد الثالث مشهد أصحاب الجبر)

وهم الذين يشهدون أنهم مجبورون على أفعالهم ، وأنها واقعة بغير قدرتهم ، بل لا يشهدون أنها أفعالهم البتة . ويقولون : أن أحدهم غير فاعل في الحقيقة ولا قادر ، وأن الفاعل فيه غيره والمحرك له سواه ، وأنه آلة محضة ، وحركاته بمنزلة هبوب الريح وحركات الاشجار . وهؤلاء إذا أنكرت عليهم أفعالهم احتجوا بالقدر وحملوا ذنوبهم عليه ، وقد يغفلون في ذلك حتى يروا أفعالهم كأها طاعات خيرها وشرها ،

(١) كان الظاهر أي يقال « ضروري » لأنه خبر قوله فاحتياجه

(٢) كذا (٣) وفي نسخة التغيرات

(النار - ج ٢ م ١٧) مشهد القدريّة الذين يدعون الاستقلال بخلق أعمالهم ١١٧

لموافقتها المشيئة والقدر . ويقولون : كما أن موافقة الأمر طاعة ، فموافقة المشيئة طاعة . كما حكى الله تعالى عن المشركين إخوانهم أنهم جعلوا مشيئة الله تعالى لأفعالهم دليلاً على أمره بها ورضاه .

وهؤلاء شر من القدريّة النفاة ، وأشدّ عداوة لله ، ومناقضة لكتبه ورسوله ودينه ، حتى أن من هؤلاء من يعتذر عن إبليس وإتوجه له ويقيم عنده بجهد ، وينسب ربه تعالى إلى ظلمه بلسان الحال والمقال ، ويقول : ما ذنبه وقد صان وجهه عن السجود لغير خالفه ؟ وقد وافق حكمه ومشيتة فيه وأرادته منه ؟ ثم كيف يمكنه السجود وهو الذي منعه منه وحال بينه وبينه ؟ وهل كان في ترك السجود لغير الله إلا محسناً ؟ ولكن :

إذا كان الحب قليل حفظ فما حسنة إلا ذنوب

وهؤلاء أعداء الله حقاً ، وأولياء إبليس وأجباؤه وإخوانه . وإذا نأح عنهم نأح على إبليس وأيت من البكاء والخنين أمراً عجيباً ، ورأيت من تعظم الأقدار ، واتهام الجبار ، ما يبدو على فئات المستهم وصفحات وجوههم ، وتسمع من أحدهم من التعالم والتوجع ما تسمعه من الخصم المغلوب المأجوز عن خصمه . ف هؤلاء هم الذين قال فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية في تأنيته :

ويدعى خصوم الله يوم مآدهم إلى النار طراً فرقة القدريّة

﴿ فصل ﴾

(المشهد الرابع مشهد القدريّة النفاة)

ويشهدون أن هذه الجنايات والذنوب هم الذين أحدثوها ، وأنها واقعة بمشيئتهم دون مشيئة الله تعالى ، وأن الله لم يقدر ذلك عليهم ولم يكتبه ولا شاء ولا خلق أفعالهم ، وأنه لا يقدر أن يهدي أحداً ولا يضلّه إلا بمجرد البيات ، لأنه يلهم الهدى والضلال ، والفجور والتقوى ، فيجعل ذلك في قلبه . ويشهدون أنه يكون في ملك الله ما لا يشاؤه ، وأنه يشاء ما لا يكون ، وأن العباد خائفون لأفعالهم بدون مشيئة الله . فاللهامي والذنوب خلقهم وموجب مشيئتهم ، لا أنها خلق الله

ولا تتعلق بمشيئته . وهم لذلك ميخوسو الحظ جدا من الاستعانة بالله والتوكل عليه والاعتصام به ، وسؤاله ان يهديهم ، وان يثبت قلوبهم وان لا يزيقها ، وان يوفقهم لبرضاة وجنبهم معصيته . اذ هذا كله واقع بهم وعين أفهامهم لا يدخل تحت مشيئة الرب . والشيطان قد رضي منهم بهذا القدر ، فلا يؤزهم إلى المعاصي ذلك الأثر ، ولا يزعجهم اليها ذلك الإزعاج . وله في ذلك غرضان مهمان (أحدهما) ان يقرر في قلوبهم صحة هذا المشهد وهذه العقيدة ، وأنكم تاركون الذنوب (١) والكبائر التي تقع فيها أهل السنة . فدل على أن الأمر مفوض اليكم واقع بكم ، وأنكم العاصون لأنفسكم المانعون لها من المعصية (الفرض الثاني) أنه يصطاد على أيديهم الجهال ، فاذا رأوهم أهل عبادة وزهادة وتورع عن المعاصي وتمظيم لها قالوا : هؤلاء هم أهل الحق . والبدعة آثر عنده واحب اليه من المعصية ، فاذا ظفروا بها منهم ، واصطادوا الجهال على أيديهم ، كيف يأمرهم بالمعصية ؟ بل ينهاهم عنها ويقبحوها في أعينهم وقلوبهم ، ولا يكشف هذه الحقائق الا ارباب البصائر .

(فصل)

(المشهد الخامس وهو احد مشاهد اهل الاستقامة : مشهد الحكمة)

وهو مشهد حكمة الله في تقديره على عبده ما يفيضه سبحانه ويكرمه ، ويلوم ويعاقب عليه ، وانه لو شاء لمصمه منه ، ولحال بينه وبينه ، وانه سبحانه لا يعصى قسرا ، وانه لا يكون في العالم شيء الا بمشيئته (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)

وهؤلاء يشهدون ان الله سبحانه لم يخلق شيئا عبثا ولا سدى ، وانه له الحكمة الباقية في كل ما قدره وقضاه من خير وشر ، وطاعة ومعصية ، وحكمة باهرة تعجز العقول عن الاحاطة بكنهها ، وتكمل الالسن عن التعبير عنها ، فمن صدر قضائه وقدره ما يفيضه ويستغله اسمه الحكيم الذي بهرت حكمته الابواب ، وقد قال تعالى لا ائتكته لما قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) فاجابهم سبحانه بقوله (اني اعلم ما لا تعلمون) فله سبحانه في ظاهور المعاصي

(١) وفي نسخة « تاركو الذنوب »

والذنوب والجرائم وترتب آثارها من الآيات والحكم ، وأنواع التعريفات إلى خلقه ،
وتنوير آياته ، ودلائل ربوبيته ووحدانيته ، وإلهيته وحكمته وعزته ، وقام ملكه وكألى
قدرته ، وإحاطة علمه ، ما يشهد أولو البصائر عيانا ببصائر قلوبهم ، فيقولون (ربنا
ما خلقت هذا باطلا سبحانه) ان هي إلا حكمتك الباهرة وآياتك الظاهرة

ولله في كل تحريكة وتسكية أبدا شاهد

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فكم من آية في الأرض بينة دالة على الله وعلى صدق رسله وعلى أن لقائه
حق ، كان سببها معاصي بني آدم وذنوبهم ، كآيته في إغراق قوم نوح ، وعلو الماء على
رؤس الجبال ، حتى اشرق جميع أهل الأرض ، ونجى أوليائه وأهل معرفته وتوحيده .
فكم في ذلك من آية وعبرة ، ودلالة باقية على مر الدهور ؟ وكذلك إهلاك قوم
عاد وثمود . وكم له من آية في فرعون وقومه من حين بعث موسى إليهم ؟ بل قبل بعثه
إلى حين إغراقهم ، لولا معاصيهم وكفرهم لم تظهر تلك الآيات والمعجائب . وفي
التوراة ان الله تعالى قال لموسى : اذهب إلى فرعون فاني سأقسي قلبه وامنعته عن (١)
الآيمان لا تظهر آياتي ومعجائبي بمصر . وكذلك فعل سبحانه فأظهر من آياته ومعجائبه
بسبب ذنوب فرعون وقومه ما اظهر . وكذلك اظهاره سبحانه ما اظهر من جعل
النار بردا وسلافا على إبراهيم ، بسبب ذنوب قومه ومعاصيهم ، وإيقاعهم له في النار ،
حتى صارت تلك آية ، وحتى نال إبراهيم ما نال من كمال الخلقة .

وكذلك ما حصل الرسل من الكرامة والمنزلة والرفعة عند الله والوجاهة عنده
بسبب صبرهم على أذى قومهم وعلى محاربتهم لهم ومعاداتهم . وكذلك اتخذ الله
تعالى الشهداء والأولياء والأصفياء من بني آدم ، بسبب صبرهم على أذى بني آدم
من أهل المعاصي والظلم ومجاهدتهم في الله ، ومحاربتهم لأجله من أعدائه ما هو بعينه
وعلمه ، واستحقاقهم بذلك رفعة الدرجات . - إلى غير ذلك من المصالح والحكم
التي وجدت بسبب ظهور المعاصي والجرائم ، وكان من سببها تقدير ما يفضيه الله
ويستخطه ، وكان ذلك محض الحكمة ، لما يترتب عليه مما هو أحب إليه وأمر عنده

من فوته بتقدير عدم المعصية . فحصل هذا المحبوب العظيم ، أحب إليه من فوات ذلك المفضول المسخوط ، فإن فواته وعدمه وإن كانت محبوبة له لكن حصول هذا المحبوب الذي لم يكن يحصل بدون وجود ذلك المفضول أحب إليه ، وفوات هذا المحبوب ، أكره إليه من فوات ذلك المكروه المسخوط ، وكال حكمته تقتضي حصول أحب الأمور إليه بفوات أدنى المحبوبين ، وإن لا يمتلئ هذا الأحب بتعطيل ذلك المكروه . وفرض الذهن وجود هذا بدون هذا ، كفرضه وجود المسببات بدون أسبابها ، والمزومات بدون لوازمها ، مما تمتدح حكمة الله وكال قدرته وبرهانيته .

وبكفي من هذا مثال واحد وهو أنه أولاً المعصية من أي البشر بأكله من الشجرة لما ترتب على ذلك ما ترتب من وجود هذه المحبوبات العظام للرب تعالى ، من امتحان خلقه وتكليفهم ، وإرسال رساله ، وإنزال كتبه ، وإظهار آياته وعجائبه ، وتنويعها وتصريفها ، وإكرام أوليائه ، وإهانة أعدائه ، وظهور عدله وفضله وعزته وإتقائه ، وعفوه ومغفرته ، وصفحته وحطه ، وظهور من يعبدونه ويحبه ويقوم بمراضيه بين أعدائه في دار الابتلاء والامتحان . فلو قدر أن آدم لم يأكل من الشجرة ولم يخرج من الجنة هو وأولاده ، لم يكن شيء من تلك ، ولا ظهر من القوة إلى الفعل ما كان كامناً في قلب إبليس يعلمه الله ولا تعلمه الملائكة ، ولم يتميز خبيث الخلق من طيبه ، ولم تتم الملكة حيث لم يكن هناك إكرام وثواب ، وعقوبة وإهانة ، ودار سمادة وفضل ، ودار شقاوة وعدل .

وكم في تسلط أوليائه على أعدائه ، وتسلط أعدائه على أوليائه ، والجمع بينهما في دار واحدة ، وابتلاء بعضهم ببعض ، من حكمة بالغة ، ونعمة سابقة ؟ وكم في طيبها من حصول محبوب للرب ، وحذر له من أهل سمواته وأرضه ، وخضوع له وتذلل ، وتعب وخشية وإفقار إليه ، وانكسار بين يديه ؟ أن لا يجعلهم من أعدائه ، إذ هم يشاهدونهم ويشاهدون خذلان الله لهم ، وإعراضه عنهم ، ومقتله لهم ، وما أعد لهم من العذاب . وكل ذلك بمشيئته وإرادته ، وتصرفه في مملكته ، فأوليائه من خشية خذلانه خاضعون مشفقون ، على أشد وجل وأعظم مخافة وأتم انكسار . فإذا رأت

(المناجاة - ج ٢ م ١٧) معنى القدر وكونه ليس بالجبر ولا بالمخلق المستأنف ١٢١

الملائكة إبليس وما جرى له ، وهاروت وماروت ، وضعت رؤوسها بين يدي الرب خضوعاً لهضامته ، واستكانة لهزته ، وخشية من إيماده وطرده ، وتذلاً لهيئته ، وافتقاراً إلى عصمته ورحمته ، وعلمت بذلك مته عليهم ، وإحسانه اليهم ، وتخصيصه لهم بفضل وكرامته .

وكذلك أولياؤه المتقون ، إذا شاهدوا أحوال أعدائهم ومقتله لهم ، وغضبهم عليهم ، وخذلانه لهم ، ازدادوا له خضوعاً وذلاً ، وافتقاراً وانكساراً وبه استمانته ، وإليه إنابة ، وعليه توكل ، وفيه رغبة ، ومنه رهبة ، وعلموا أنهم لا ملجأ لهم منه إلا إليه ، وأنهم لا يمين لهم من بأسه إلا هو ، ولا ينجيهم من سخطه إلا مرضاته ، فالفضل بيده أولاً وآخرها

وهذه قطرة من بحر حكمته المحيطة بخلقته . والبصير يطالع بصيرته ما وراءه فيطالع على عجائب من حكمته لا تبلغها العبارة ، ولا تنالها الصفة . وأما حظ العبد في نفسه وما يخصه من شهود هذه الحكمة فيحسب استمداده وقوة بصيرته ، وكمال علمه ومعرفة بالله وأسمائه وصفاته ، ومعرفة بحقوق العبودية والربوبية ، وكل مؤمن له من ذلك شرب معلوم ، ونظام لا يتعداه ولا يتخطاه (١)

(١) بقي من بيان حكمة الله تعالى في تقدير الكفر والمعاصي كلمة ضرورية لا يتم بدونها . وهي معنى ذلك التقدير ، وكونه لا دلالة فيه ولا اقتضاء للجبر والاكراه على الفعل . وذلك أنه تعالى خلق الناس مختارين في أفعالهم ، يعملونها بإرادتهم ، حسب علمهم أو ظنهم بأن فعل كذا أو تركه خير لهم . فكل عمل من أعمالهم حلقة من سلسلة الأسباب والمسببات قبله حلقة الاختيار ، وهذا الترتيب هو التقدير ، فالقدر جعل المسببات على قدر الأسباب ، وانتظام الجميع في سلسلة واحدة . وضده الخلق الأقف الذي هو مذهب القدرية . ومعناه أن الله تعالى يخلق كل شيء يقع في الكون ابتداء واستئنافاً لا يكون شيء من الحوادث مبني على تقدير ونظام سابق ، تكون فيه الأسباب على قدر المسببات ، والنتائج أثر لترتيب المقدمات . فكل مخلوق له علم وإرادة واختيار يطيع أو يعصي باختياره الذي هو من قدر الله ، ولا يخلق الله كل عمل يصدر منه خلقاً مستأنفاً كما يزعم منكرو القدر العميان . وله في هذا التقدير حكم كثيرة أشار المصنف إلى طائفة منها ، والله عليم حكيم

﴿ فصل ﴾

(المشهد السادس مشهد التوحيد)

وهو أن يشهد انفراد الرب تبارك وتعالى بالخلق والحكم ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه ، وأن الخلق مقهورون تحت قبضته ، وأنه ما من قلب إلا وهو بين أصابعه ، إن شاء أن يقيمه أقام ، وإن شاء أن يزيقه أزاعه . فالقلوب بيده وهو مقلبها ويصرفها كيف شاء وكيف أراد ، وأنه هو الذي آتى نفوس المؤمنين تقواها ، وهو الذي هداها وزكاها ، وألهم نفوس الفجار فجورها وأشقاها « من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له » يهدي من يشاء بفضله ورحمته ، ويضل من يشاء بعذابه وحكمته . هذا فضله وعطاؤه وما فضل الكريم بممنون (١) وهذا عدله وقضاؤه (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) قال ابن عباس : الأيمان بالقدر نظام التوحيد ، فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه توحيداً ، ومن آمن بالقدر صدق إيمانه توحيداً . وفي هذا المشهد يتحقق للعبد مقام (إياك نعبد وإياك نستعين) علماً وحالاً ، فيثبت قدم العبد في توحيد (٢) الربوبية ، ثم يرقى منه صاعداً إلى توحيد الألوهية ، فانه إذا تيقن أن الضر والنفع ، والمطاء والمنع ، والهدى والضلال ، والسعادة والشقاء ، كل ذلك بيد الله لا بيد غيره ، وأنه الذي يقلب القلوب ويصرفها كيف يشاء ، وأنه لا موفق إلا من وقته وأمانه ، ولا مخدول إلا من خذله وأهانته وتغلبه عنه ، وإن اصبح القلوب وأسلمها وأقومها ، وأرقها وأصفاها ، وأشدّها وألينها ، من اتخذها وحده إلهاً ومعبوداً ، فكان أحب إليه من كل ما سواه ، واخوف عنده من كل ما سواه ، وأرجى له من كل ما سواه ، فتقدم محبته في قلبه جميع المحاب ، فتساق المحاب تبعاً لها كما ينساق الجيش تبعاً للسلطان ، ويتقدم خوفه في قلبه جميع المخوفات ، فتساق المخاوف كابها تبعاً لخوفه ، ويتقدم رجاؤه في قلبه جميع الرجاء ، فتساق كل رجاء تبعاً لرجائه .

(١) وفي نسخة بزيادة « أي مقطوع » وهو تفسير لممنون { ٢ } وفي نسخة

« توحيد » بدون هاء

فهذا علامة توحيد الإلهية في هذا القلب ، والباب الذي دخل اليه منه توحيد الربوبية ، أي باب توحيد الإلهية توحيد الربوبية (١) فإن أول ما يتعلق القلب (٢) بتوحيد الربوبية ثم يرفي الى توحيد الإلهية ، كما يدعو سبحانه عبادته في كتابه بهذا النوع من التوحيد الى النوع الآخر ، ويحتاج عليهم به ، ويقررهم به ، ثم يخبر أنهم ينقضونه بشركهم به في الإلهية .

وفي هذا المشهد يتحقق له مقام (إياك نعبد) قال الله تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ: الله . فأنى يؤفكون؟) أي فمن أين يصرفون عن شهادة أن لا إله إلا الله ، وعن عبادته وحده ، وهم يشهدون أنه لا رب غيره ولا خالق سواه (٣) وكذلك قواه تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون؟) فيقولون: لله . قل أفلا تذكرون؟) فيعلمون أنه إذا كان وحده مالك الأرض ومن فيها ، وخالقهم وربهم ومليكهم ، فهو وحده المعبودهم ، فكما لأرب لهم غيره ، فكذا لا إله لهم سواه (قل: من رب السموات السبع ورب العرش العظيم؟) فيقولون: لله . قل: أفلا تثقون؟ قل: من يده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه؟) - الآيات . وهكذا قوافي سورة النمل (قل: الحمد لله وسلام على الذين اضلّطى ، الله خير أمّا يشركون؟ أمّتن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ، ما كان لكم أن تنبتوا شجرها؟ إله مع الله؟ بل هم قوم خصمون) الى آخر الآيات . يحتاج عليهم بأن من فعل هذا وحده ، فهو الإله وحده ، فإن كان معه رب فعل هذا فينبغي أن تعبدوه ، وإن لم يكن معه رب فعل هذا فكيف نجعلون معه إلهاً آخر؟

ولهذا كان الصحيح من القوانين في تقدير الآية «أمره مع الله فعل هذا؟» حتى يتم الدليل ، فلا بد من الجواب بلاه فإذا لم يكن معه إله فعل كفعله فكيف تعبدون إلهة أخرى سواه؟ فعلم أن إلهية ما سواه باطلة ، كما أن ربوبية ما سواه باطلة باقراركم وشهادتكم . ومن قال: المعنى هل مع الله إله آخر؟ من غير أن

(١) وبعبارة أخرى توحيد الربوبية ، باب يدخل منه الى توحيد الإلهية .

(٢) وفي نسخة «العبد» (٣) وفي نسخة «وأنه لا خالق سواه»

يكون المعنى « فعل » فقوله ضميم نوجهن (أحدهما) أنهم كانوا يقولون : مع الله
آلة أخرى ، ولا ينكرون ذلك (الثاني) أنه لا يتم الدليل ، ولا يحصل افحامهم وإقامة
الحجة عليهم إلا بهذا التقدير ، أي فإذا كنتم تقولون : أنه ليس معه إله آخر
فعل مثل فعله ، فكيف تمجداون معه إله آخر لا يخلق شيئا وهو عاجز ؟ وهذا كقولهم
(أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ؟ قل : الله خالق كل شيء
وهو الواحد القهار) وقوله (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ؟)
وقوله (أمن يخلق كن لا يخلق ؟) وقوله (والذين يبدعون من دون الله لا يخلقون
شيئا وهم يُخلقون) وقوله (واتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئا وهم يُخلقون)
وهو كثير في القرآن وفيه تتم الحجة كما تبين .

والمقصود أن العبد يحصل له هذا المشهد من مطالعة الجنايات والذنوب وجريانها
عليه وعلى الخليفة بتقدير العزيز الحكيم ، وأنه لا عاصم من غضبه وأسباب مخطئه إلا هو ،
ولا سبيل إلى طاعته إلا بموئته ، ولا وصول إلى مرضاته إلا بتوفيقه ، فوارد الأمر ورعاها منه
ومصادرها إليه ، وإزمة التوفيق جميعها بيديه ، فلا مستعان إلا به ، ولا متكل إلا
عليه (١) كما قال سميع خطيب الأنبياء (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)

﴿ فصل ﴾

(المشهد السابع مشهد التوفيق والخذلان)

وهو من تمام هذا المشهد وغروعه ، ولكن أفرد بالذكر الحاجة العبد إلى شهوده
وانتفاعه به . وقد أجمع المارفون بالله أن التوفيق هو أن لا يكلك الله إلى نفسك (٢)

(١) أي أن الذي يدرك حقيقة معنى القدر يعلم أن ما آتاه الله تعالى إياه من
هدايات الخواص والعقل والوجدان ، وما يصل إليه علمه المكتسب بها والضروري
الذي هو أقوى منه ، كل ذلك لا يكفي لتصرف إرادته واختياره دائما فيما هو خير
له ، فإنه مهما اتسع علمه واختياره يختار لنفسه أحيانا كثيرة ما هو شر له في دينه
ودنياه وعاجل أمره وآجابه ، فإذا فقه هذا علم علم شهود أنه لا يستغني طرفه عن
توفيق الله وعنايته . (٢) هذا تفسير باللازم وأما اللازم فكون الأسباب المكسوبة
وغير المكسوبة موافقة للمصلحة الحقيقية

والخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك . قلبك بيد متحابون بين توفيقه وخذلانه ، بل العبد في الساعة الواحدة بنال نصيبه من هذا وهذا فيطيعه ويرضيه ويذكره ويشكره بتوفيقه له ، ثم يعصيه ويخالفه ويسخطه ويفعل عنه بخذلانه له ، فهو دائر بين توفيقه وخذلانه ، فان وفقه فيفضله ورحمته ، وإن خذله فيعده وحكمته ، وهو المحمود على هذا وهذا ، له أتم حمد وأكمله ، ولم يمنع العبد شيئا هو له ، وإنما منعه ما هو مجرد فضله وعطائه ، وهو أعلم حيث يضعه وأين يحمله . ففي شهادته هذا المشهد وأعطاه حقه ، علم ضرورته وحاجته الى التوفيق كل نفس وكل لحظة وطرفة عين ، وإن إيمانه وتوحيده بيده تعالى (١) ، لو تخلى عنه طرفة عين أثلى عرش توحيده ، ولخربت سماء إيمانه على الأرض ، وإن المسك له من يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه فهو مجير قلبه (٢) ودأب لسانه « يا قلب اقلوب ثبت قلبي على دينك » يا مصرف القلوب صرف قلبي الى طاعتك « ودعواه » يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام ، لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كله ، ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ولا إلى أحد من خلقك ، ففي هذا المشهد يشهد توفيق الله وخذلانه ، كما يشهد ربوبيته وخالقه ، فيسأله توفيقه مسألة المضطر ويمود به من خذلانه عياذ باللهوف ويألفي نفسه بين يديه ، طريقا ببابه مستسلا له ، ناكس الرأس بين يديه خاضعا ذليلا مستكينا ، لا يملك نفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا .

وانتوفيق ارادة الله من نفسه ان يفعل بعبد ما يصلح به العبد ، بأن يجعله قادرا على فعل ما يرضيه ، مريدا له ، محبا له ، مؤثرا له على غيره ، ويبغض اليه ما يسخطه ويكرهه اليه . وهذا مجرد فعله ، والعبد محل له ، قال تعالى (ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ، وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان . أولئك

{ ١ } وفي النسخة الثانية « وتوحيده يمسك بيد غيره بيده تعالى » { ٢ } هجيري الانسان) بكسر الهمزة وتشديد الجيم المكسورة والتقصير) دأبه الذي يلزمه ولا يتركه . ويستحيها الناس في بعض البلاد في هذا المصير « لازمة » قالذي يكثر في كلامه من كلمة « مثلاً » يقولون : لازمة مثلاً

هم الراشدون * فضلا من الله ونعمة ، والله عليم حكيم) فهو سبحانه عليم بمن يصلح لهذا الفضل ومن لا يصلح له ، حكيم يضمنه في مواضعه وعند أهله ، لا يضمنه أهله ، ولا يضمنه عند غير أهله . وذكر هذا عقيب قوله (واعلموا أن فيكم رسول الله لو بطئكم في كثير من الأمر لعنتم) ثم جاء به (١) بحرف الاستدراك فقال (ولكن الله يحب اليكم الإيمان) يقول سبحانه : لم تكن محبتكم للإيمان وأرادته وتزويده في قلوبكم منكم ، ولكن الله هو الذي جعله في قلوبكم كذلك فآثرواوه ورضيتوه . فذلك لا تقدموا بين يدي رسولي ، ولا تقواوا حتى يقول ولا تفعلوا حتى يأمره فأذني حب اليكم الإيمان أعلم بمصالح عبادته منكم ، وأنتم فلولا توفيقه لكم (٢) لما أذعنت نفوسكم للإيمان ، فلم يكن الإيمان بمشورتكم وتوفيق أنفسكم ، ولا تقدمتم به إليها ، فنفوسكم تقصر وتعجز عن ذلك ولا تبلغه ، فلو أطاعكم رسولي في كثير مما تريدون لشق عليكم ذلك ، ولهلكتم وفسدت مصالحكم وأنتم لا تشعرون ، ولا تظنوا أن نفوسكم تريد بكم الرشاد والصلاح ، كما أردتم الإيمان ، فلولا أني حببته اليكم وزينته في قلوبكم ، وكرهت اليكم ضده ، لما وقع منكم ولا سمحت به أنفسكم . وقد ضرب للتوفيق والخذلان مثل ملك أرسل إلى أهل بلد من بلاده رسولا وكتب معه (٣) كتابا إليهم أن العدو مصبحهم عن قريب ، ومحتاجهم ومخرب البلد ومهلك من فيها ، وأرسل إليهم أموالا وعراكب وزادا وعدة وأدلة ، وقال : ارحلوا إلي مع هؤلاء الأدلة ، وقد أرسلت اليكم جميع المحتاجون إليه . ثم قال الجماعة من مماليكه : اذهبوا إلى فلان فخذوا بيده واحملوه (٤) ولا تذروه يقعد ، واذهبوا إلى فلان كذلك وإلى فلان ، وذروا من عداهم فأنهم لا يصلحون أن يساكنوني في بلدي . فذهب خواص مماليكه إلى من أمروا بحملهم فلم يتركوهم يقرون ، بل حاورهم حملا وساقوهم سوقا إلى الملك ، فاجتاح العدو من بقي في المدينة وقتلهم ، وأسر من أسر . فهل يمد الملك ظلما هؤلاء أم عادلا فيهم ؟ نعم خص أولئك بإحسانه وعنايته وحرماها من عداهم ، إذ لا يجب عليه التسوية بينهم في فضله وإكرامه ، بل ذلك فضاه

(١) سقط من النسخة الثانية لفظ « به » (٢) سقط من النسخة الثانية لفظ « لكم »

(٣) وفي نسخة « له » (٤) وفي نسخة « فاحملوه »

يؤتيه من يشاء .

وقد فسرت القدرية الجبرية التوفيق بأنه خلق الطاعة ، والخذلان (بأنه) خلق المعصية . ولكن بنوا ذلك على اصولهم الفاسدة من انكار الأسباب والحكم ، وردوا الامر الى محض المشيئة من غير سبب ولا حكمة . وقابلهم القدرية النفاة ، ففسروا التوفيق بالبيان العام ، والهدي العام ، والتمكين من الطاعة والإقبال عليها وتهيئة أسبابها . وهذا حاصل لكل كافر ومشرِك بخلقته المحبة وتمكن من الإيمان . فالتوفيق عندهم أمر مشترك بين الكفار والمؤمنين ، إذ الاقدار والتمكين والدلالة والبيان قد عم به الفريقين (١) ولم يفرق المؤمنين عندهم بتوفيق وقع به الإيمان منهم ، والكفار بخذلان امنع به الإيمان منهم ، ولو فعل ذلك لكان عندهم محاباة وظلما . والتزموا بهذا الاصل لوازم قامت بها عليهم صوق الشناعة بين العقلاء ولم يجدوا بدا من التزامها ، فظهر فساد مذهبهم ، وتناقض أقوالهم (٢) ، لمن أحاط به تليما وتصوره حق تصور ، وعلم أنه من أبطال مذهب (?) في العالم وارداه .

وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . فلم يرضوا بطريق هؤلاء ولا طريق هؤلاء ، وشهدوا انحراف الطريقين عن الصراط المستقيم ، فأثبتوا القضاء والقدر وعموم مشيئة الله للكائنات وأثبتوا الأسباب والحكم والغايات والمصالح ، ونزهوا الله عز وجل أن يكون في ملكه ما لا يشاء ، أو أن يقدر خلقه على ما لا يدخل تحت قدرته ولا مشيئته ، أو أن يكون شيء من أفعالهم وأقمار اختياره وبدون مشيئته . ومن قال ذلك فلم يعرف ربه ، ولم يثبت له كمال البرورية . ونزهوه مع ذلك عن العبث وفعل التبيع وأن يخلق شيئا سدى ، وإن تخلو أفعاله عن حكم بالغة لأجلها أوجدها ، وأسبابها سببها ، وغايات جعلت طرقا ووسائل إليها . وإن له في كل ما خلقه وقضاه حكمة بالغة . وتلك الحكمة صفة له قائمة به ليست مخلوقة كما تقول القدرية النفاة للتقدم والحكمة في الحقيقة .

فأهل الصراط المستقيم يريثون من الطائفتين ، إلا من حق تضمنه مقالاتهم ،

{ ١ } وفي نسخة « بين الفريقين » (٢) وفي نسخة « قولهم »

فانهم يوافقونهم عليه ويجهون حق كل منهما الى حق الاخرى ، ولا يطلون مامهم من الحق لما قالوه من الباطل ، فهم شهداء الله على الطوائف أمناء عليهم ، حكام بينهم ، حاكمون عليهم ، ولا يحكم عليهم احد منهم ، يكشفون أحوال الطوائف ، ولا يكشفهم الا من كشف له عن معرفة ما جاء به الرسول (١) وعرف الفرق بينه وبين غيره ولم يلتبس عليه ، وهؤلاء افراد العالم ونخبته وخلاسته ، ليسوا من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، ولا من الذين تقطعوا أمرهم بينهم ذبرا ، بل ممن هو على بينة من ربه وبصيرة في إيمانه ، ومعرفة بما عند الناس ، والله الموفق .

﴿ فصل ﴾

المشهد الثامن مشهد الأسماء والصفات

وهو من أجل المشاهد وهو أعلى مما قبله وأوسع . والمطلع (٢) على هذا المشهد معرفة تعلق الوجود خلقا وامرا بالأسماء الحسنى والصفات العلى ، وارتباطه بها ، وان كان العالم بما فيه من بعض آثارها ومقتضياتها . وهذا من أجل المعارف وأشرفها ، وكل اسم من أسمائه سبحانه له صفة خاصة ، فان أسمائه أوصاف مدح وكال ، وكل صفة لها مقتضى ، وفعل : إما لازم وإما متعمد ، ولذلك الفعل تعلق بمفعول هو من لوازمه وهذا . في خلقه وأمره وثوابه وعقابه ، كل ذلك آثار الأسماء الحسنى وموجباتها . ومن المحال تعطيل أسمائه عن أوصافها ومعانيها ، وتعطيل الأوصاف عما تقتضيه وتستدعيه من الأفعال ، وتعطيل الأفعال عن المفعولات ، كما أنه يستحيل تعطيل مفعوله عن أفعاله ، وأفعاله عن صفاته ، وصفاته عن أسمائه ، وتعطيل أسمائه وأوصافه عن ذاته .

وإذا كانت أوصافه صفات كمال ، وأفعاله حكما ومصالح ، وأسمائه حسنى ، ففرض تعطيلها عن موجباتها مستحيل في حقه . ولهذا ينكر سبحانه على من عطاه عن أمره ونهيهِ وثوابه وعقابه ، وأنه نسيه الى ما لا يليق به ، ويتنزه عنه (٣) وان

{١} وفي نسخة الرسل (٢) المطلع بفتح اللام . وخبره معرفة تعلق الوجود

(٣) وفي نسخة : بل يتنزه عنه

ذلك حكم سيئ ممن حكم به عليه ، وان من نسيه الى ذلك فما قدره حق قدره ، ولا عظمه حق تعظيمه ، كما قال تعالى في حق منكري النبوة وارسال الرسل وانزال الكتب (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) وقال تعالى في حق منكري المعاد والثواب والعقاب (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه) وقال في حق من جوز عليه التسوية بين المختلفين كالأبرار والفجار ، والمؤمنين والكفار (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) فأخبر ان هذا حكم سيئ لا يليق به ، تأباه أسمائه وصفاته ، وقال سبحانه (أفتحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ؟) فتعالى الله الملك الحق لا إله الا هو رب العرش الكريم) عن هذا الظن والحسبان ، الذي تأباه أسمائه وصفاته .

ونظائر هذا في القرآن كثير ، ينفي عن نفسه خلاف موجب أسمائه وصفاته ، اذ ذلك (١) مستلزم تعطيلها عن كمالها ومقتضياتها ، فاسمه الحميد المجيد يمنع ترك الانسان سدى مهمل معطلا ، لا يؤمر ولا ينهى ولا يثاب ولا يعاقب ، وكذلك اسمه الحكيم ، يأبى ذلك ، وكذلك اسمه الملك ، واسمه الحي يمنع أن يكون معطلا من الفعل بل حقيقة الحياة الفعل ، فكل حي فعال ، وكونه سبحانه خالقا قيوما من موجبات حياته ومقتضياتها ، واسمه السميع البصير يوجب مسموعا ومرثيا ، واسمه الخالق يقتضي مخلوقا . وكذلك الرزاق ، واسمه الملك يقتضي مملكة وتصرفا وتديبرا واعطاء ومنعا وإحسانا وعدلا وثوابا وعقابا . واسم البر المحسن المعطي المنان ونحوها تقتضي آثارها وموجباتها .

اذا عرف هذا فن أسمائه سبحانه الغفار التواب الغفور (٢) فلا بد لهذه الاسماء من متعلقات ، ولا بد من جنابة تفر ، وتوبة تقبل ، وجرائم يعفى عنها . ولا بد لاسمه الحكيم من متعلق يظهر فيه حكمه (٣) اذ اقتضاء هذه الاسماء لآثارها (١) ونسخة « ذاك » (٢) وفي نسخة بواو العطف في هذه الاسماء الثلاثة الأخيرة . وهنا محل الشاهد { ٣ } وفي نسخة « حكمة »

كاقضاء اسم الخالق الرازق المعطي المانع المخلوق والمرزوق والمعطي والمنوع وهذه الأسماء كلها حسنى ، والرب تعالى يحب ذاته وأوصافه وأسماءه . فهو غفور يحب الغفور ، ويحب المغفرة ويحب التوبة ، ويفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه أعظم فرح ينظر بالبال . وكان تقدير ما ينقره ويمنوع عن فاعله ويحلم عنه ويتوب عليه ويسامحه من موجب أسمائه وصفاته ، وحصول ما يحبه ويرضاه من ذلك ، وما يحمده به نفسه ويحمده به أهل سمواته وأهل أرضه ، ما هو من موجبات كماله ويمتضى حمده . وهو سبحانه الخيد الخيد ، وحمده ومجده يقتضيان آثارهما ومن آثارهما مغفرة الزلات ، وإقالة العثرات ، والغفور عن السيئات ، والمسامحة على الجنايات ، هذا (١) مع كمال القدرة على استيفاء الحق ، والعلم منه سبحانه بالجناية وتمتداع عقوبتها ، فحلمه بعد عامه ، وعفوه بعد قدرته ، ومغفرته عن كمال عزته وحكمته ، كما قال المسيح صلى الله عليه وسلم (إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) أي فمغفرتك عن كمال قدرتك وحكمتك ، لست كن يغفر عجزا ، ويسامح جبلا بقدر الحق ، بل أنت عليم بحقك ، قادر على استيفائه ، حكيم في الأخذ به .

فمن تأمل سر بيان آثار الأسماء والصفات في العالم وفي الآمر تبين له أن مصدر قضاء هذه الجنايات من العبيد ، وتقديرها هو من كمال الأسماء والصفات والأفعال ، وغاياتها أيضا مقتضى حمده ومجده ، كما هو مقتضى ربوبيته وإلهيته ، فله في كل ما قضاه وقدره الحكمة البالغة ، والآيات الباهرة ، والتميزات إلى عباده بأسمائه وصفاته ، واستدعاء محبتهم له وذكرهم له وشكرهم له ، وتمييزهم له بأسمائه الحسنی ، إذ كل اسم فله تمتد مختص به علما ومعرفة وحالا ، واكمل الناس عبودية التبعيد بجميع الأسماء والصفات التي يطالعها بها البشر ، فلا يحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر ، كمن يحجبه التبعيد باسمه القدير ، عن التبعيد باسمه الحكيم الرحيم ، أو يحجبه عبودية اسمه المعطي من عبودية اسمه المانع ، أو عبودية اسمه الرحيم والغفور عن اسمه المنتقم ، أو التبعيد بأسماء التودد والبر والالطف والاحسان

عن اسماء العدل والجبروت والعظمة والكبرياء ونحو ذلك .
وهذه طريقة الكمل من السائرین الى الله ، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن .
قال الله تعالى (والله الاسماء الحسنى فادعوه بها) والدعاء بها يتناول دعاء المسئلة
ودعاء الثناء ودعاء التعبد . وهو سبحانه يدعو عباده الى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ،
ويثنوا عليه بها ، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها ، وهو سبحانه يحب موجب أسمائه
وصفاته . فهو عليم يحب كل عليم ، وجواد يحب كل جواد ، وتر يحب الوتر ،
جميل يحب الجمال ، عفو يحب العفو وأهله ، حيي يحب الحياء وأهله ، بر يحب
الأبرار ، شكور يحب الشاكرين ، صبور يحب الصابرين ، حلیم يحب أهل الحلم ،
فلمحبته سبحانه للتوبة والمغفرة والعفو والصفح خلق من يغفر له ويتوب عليه ويعفو
عنه ، وقدر عليه ما يقتضي وقوع المكروه والمبغوض له ، لينترب عليه المحبوب له
المرضي له ، فتوسطه كتوسط الأسباب المكروهة المفضية الى المحبوب .

فربما كان مكروه النفوس الى محبوبها سببا ما مثله سبب
والاسباب مع مسبباتها أربعة أنواع : محبوب يفضي الى محبوب ، ومكروه
يفضي الى محبوب . وهذان النوعان عليهما مدار أقضيته وأقداره سبحانه بالنسبة الى
ما يحبه ويكرهه . والثالث مكروه يفضي الى مكروه . والرابع محبوب يفضي الى
مكروه . وهذان النوعان ممتنعان في حق سبحانه ، اذ الغايات المطلوبة من قضائه
وقدره - الذي خلق ما خلق وقضى ما قضى لأجل حصولها - لا تكون الا محبوبة
للرب مرضية له ، والاسباب الموصلة اليها منقسمة الى محبوب له ومكروه له .
فالطاعات والتوحيد أسباب محبوبة له موصلة الى الاحسان والثواب المحبوب له
أيضا ، والشرك والمعاصي أسباب مسخوطة له ، موصلة الى العدل المحبوب له ،
وان كان الفضل أحب اليه من العدل . فاجتماع العدل والفضل أحب اليه من انفراد
أحدهما ، لما فيهما من كمال الملك والحمد ، وتنوع الثناء وكمال القدرة .

فان قيل : كان يمكن حصول هذا المحبوب من غير توسط المكروه . قيل هذا
سؤال باطل لأن وجود المازوم بدون لازمه ممتنع ، والذي يقدر الذهن وجوده شيء
آخر غير هذا المطلوب المحبوب للرب ، وحكم الذهن عليه بأنه محبوب للرب حكم

بالعلم ، بل قد يكون مبغوضا لرب تعالى لمنافاته حكمته ، فاذا حكم الذهن عليه بأنه محبوب له كان نسبة له الى ما لا يليق به وية تعالى عنه . فليعط اللبيب هذا الموضع حقه من التأمل فانه مزلة اقدام ، ومضلة افهام ، واوأمسك عن الكلام من لا يعلم أقل الخلاف . وهذا المشهد أجل من ان يحيط به كتاب ، أو يشوعبه خطاب ، وإنما أشرنا منه الى أدنى إشارة تطلع على ما وراءها والله الموفق (١) .

﴿ فصل ﴾

المشهد التاسع مشهد زيادة الايمان وتعدد شواهد
وهذا من أطف المشاهد وأخصها بأهل المعرفة . وأمل سامعه يبادر الى انكاره ويقول : كيف يشهد زيادة الايمان من الذنوب والمعاصي ؟ ولا سيما ذنوب (٢) العبد ومعاصيه ، وهل ذلك إلا منقص للايمان ؟ فانه باجماع السلف يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . فاعلم ان هذا حاصل من النعمات العارف الى الذنوب والمعاصي منه ومن غيره ، والى ترتب آثارها عليها . وترتب هذه الآثار عليها علم من أعلام النبوة ، وبرهان من براهين صدق الرسل وصحة ما جاءوا به . فان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أومروا العباد بما فيه صلاح ظواهرهم وبواطنهم في معاشهم ومعادهم ، ونهوههم عما فيه فساد ظواهرهم وبواطنهم في المعاش والمعاد ، وأخبرهم عن الله عز وجل انه يحب كذا وكذا (٣) وانه ينفذ كيت وكيت ، ويساقب عليه بكيت وكيت ، وانه اذا أطيع بما أمر به شكر عليه بالإمداد ، والزيادة والنعم في القلوب والابدان والاموال ، وتوجد العبد زيادته وقوته في حاله كلها ، وانه اذا خواف أمره ونهيته ترتب عليه من النقص والفساد والضعف والذل والمهانة والحقارة وضيق العيش وتكد الحياة ما ترتب ، كما قال تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياته طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) وقال (قل : يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم ، لانكم ان كنتم تحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولندار الآخرة خير) وقال تعالى (وأن استغفروا ربكم

(١) وفي نسخة زيادة «المعين» (٢) وفي نسخة «من ذنوب» (٣) وفي نسخة زيادة «فتأييب عليه»

ثم توبوا اليه بتمكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ، ويؤت كل ذي فضل فضله)
وقال تعالى (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة
أعما) وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر ، والصحيح أنها في الدنيا وفي البرزخ
فإن من أعرض عن ذكره الذي أنزله فله من ضيق الصدر ونكد العيش وكثرة
الخوف وشدة الحرص والتعب على الدنيا وانتهج على فواتها قبل حصولها وبعد
حصولها ، والآلام التي في خلال ذلك - ما لا يشعر به القلب اسكرته وانغمسه
في السكر . فهو لا يهحو ساعة إلا أحس وشعر بهذا الألم فبادر الى ازالته بسكر ثان ،
فهو هكذا مدة حياته . وأي عيشة أضيق من هذه لو كان للقلب شعور ؟ فقلوب أهل
البدع والمعرضين عن القرآن وأهل الغفلة عن الله وأهل المعاصي في جحيم قبل
الجحيم الكبرى ، وقلوب الأبرار في نعيم قبل النعيم الأكبر (ان الأبرار لفي نعيم
وان الفجار لفي جحيم) هذا في دورهم الثلاث ليس يختصا بالدار الآخرة ،
وان كان تمامه وكماله وظهوره إنما هو في الدار الآخرة (١) وفي البرزخ دون ذلك ،
كما قال تعالى (وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك) وقال تعالى (ويقولون : متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين ؟ قل : عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون)
وفي هذه الدار دون ما في البرزخ ، ولكن ينعم من (٢) الإحساس به الاستفراق في
سكر الشهوات ، وطرح ذلك عن القلب وعدم التفكير فيه . والعبد قد يصيبه ألم
حسي فيطرحه عن قلبه ويقطع التفاته عنه ، ويجعل أثقاله على غيره لئلا يشعر به جملة ،
فلو زال عنه ذلك الالتفات لصاح من شدة الألم فما الظن بعذاب القلوب وآلامها ؟
وقد جعل الله سبحانه للحسنات والطاعات آثارا محبوبة لذينة طيبة لذتها فوق
لذة المنصية باضعاف مضاعفة لانهية لها اليها وجعل للسيئات والمعاصي آلاما وآثارا
مكروهة ، وحرارات تزي على لذة تناولها باضعاف مضاعفة . قال ابن عباس : ان
للحسنة نورا في القلب ، وضياء في الوجه ، وقوة في البدن ، وزيادة في الرزق ،
ومحبة في قلوب الخلق . وان للسيئة سوادا في الوجه وظلمة في القلب ، ووهنا في البدن ،

(١) مارأيت أحدا سبقني الى تقرير هذا المعنى والاستدال عليه بالقرآن مثل المصنف

(٢) وفي نسخة بمقطوع « من »

ونقصا في الرزق ، و بغضة في قلوب الخلق . وهذا يعرفه صاحب البصيرة ويشهده من نفسه ومن غيره ، فما حصل للعبد حال مكروهة قط إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر . قال الله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) وقال لخيار خلقه وأصحاب نبيه (أو لَمَّا أَصَابَكُمْ مَصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ : أَلَمْ يَأْتِ هَذَا ؟ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) وقال (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) والمراد بالحسنة والسيئة هنا النعم والمصائب التي تصيب العبد من الله . ولهذا قال « ما أصابك » ولم يقل : ما أصبت . فكل نقص وبلاء وشر في الدنيا والآخرة فسببه الذنوب ومخالفة أوامر الرب ، فليس في العالم شر قط إلا الذنوب وموجباتها

وآثار الحسنات والسيئات في القلوب والأبدان والأموال أمر مشهود في العالم ، لا ينكره ذو عقل سليم ، بل يعرفه المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، وشهود العبد هذا في نفسه وفي غيره وتأمله ومطالعته مما يقوي إيمانه بما جاءت به الرسل ، وبالبواب والمقاب ، فإن هذا عدل مشهود محسوس في هذا العالم ، ومشوبات وعقوبات عاجلة دالة على ما هو أعظم منها لمن كانت له بصيرة ، كما قال بعض الناس : إذا صدر مني ذنب ولم أبادره ولم أداركه بالتوبة انتظرت أثره السيئ ، فإذا أصابني أوفوقه أودونه كما حسبت ، يكون هجيراي « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله » ويكون ذلك من شواهد الإيمان وأدلتها ، فإن الصادق مني أخبرك أنك إذا فعلت كذا وكذا ترتب عليه من المكروه كذا وكذا ، ففعلت كذا ففعلت شيئا من ذلك حصل لك ما قال من المكروه ، لم تزد إلا علما بصدقه وبصيرة فيه ، وليس هذا لكل أحد ، بل أكثر الناس يرين الذنوب على قلبه فلا يشهد شيئا من ذلك ولا يشمر به التوبة ، وإنما يكون هذا لقلب فيه نور الإيمان ، واهوية الذنوب والمعاصي تمصف فيه ، فهو يشاهد هذا وهذا ، ويرى حال مصباح إيمانه مع قوة تلك الأهوية والرياح ، فيرى نفسه كراكب البحر عند هيجان الرياح وتقلب السفينة وتكفئها ، ولا سيما إذا انكسرت به وبقي على لوح تلعب به الرياح ، فهكذا المؤمن يشاهد نفسه عند ارتكاب الذنوب ، إذا أريد به الخير ، وإن أريد به غير ذلك فقلبه في واد آخر .

وهي افتتح هذا الباب للعبد لتتفع بمطالعة تاريخ العالم واحوال الامم ،
وما جريات الخلق ، بل لتتفع بما جريات اهل زمانه وما يشاهده من احوال الناس ،
وفهم حينئذ معنى قوله تعالى (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) وقوله (شهد
الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط ، لا اله الا هو العزيز الحكيم)
فكلما تراه في الوجود من شر وألم وعقوبة وجذب ونقص في نفسك وفي غيرك
فهو من قيام الرب تعالى بالقسط ، وهو عدل الله وقسطه ، وإن اجراه على يد ظالم
فالمسلط له اعدل الماديين ، كما قال تعالى إن افسد في الأرض (بعثنا عليكم عبادا لنا
أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار) الآية . فالذنب مثل السموم مضره بالذات ،
فإن تداركها من سقي بالأدوية المقاومة لها . . . ، والأقهرت القوة الإيمانية وكان
الهلاك ، كما قال بعض السلف : المعاصي تريد الكفر ، كما إن الحى يريد الموت فشهود
العبد نقص حاله إذا عصى ربه ، وتغير انقلب عليه رجفوها منه ، وانسداد الأبواب
في وجهه ، وتوعر المسالك عليه وهوانه على اهل بيته وأولاده وزوجته وأخوانه (١)
وتطلبه ذلك حتى يعلم من أين أتى ، ووقوعه على السبب الموجب لذلك مما يقوي
إيمانه . فإن اقلع وبأثر الأسباب التي تنفي به إلى ضد هذه الحال ، ورأى العز
بعد الدل ، والفنى بعد الفقر ، والسرور بعد الحزن ، والأمن بعد الخوف ، والقوة في
قلبه ، بعد ضعفه ووهنه . ازداد إيمانه ، وتقوى شواهد الإيمان في قلبه ، وبرايته
وأدله في حال معصيته وطاعته ، فهذا من الدين (يكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا
ويجزىهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) وصاحب هذا المشهد متى تبصر فيه
واعطاه حقه صار من أطباء القلوب العالمين بدائها ودوائها ، فتقوه الله في نفسه

(١) هذه الآثار التي ترتب على الذنب لا يشهد بها كلها الا المؤمن الذي يعيش بين
المؤمنين الصادقين . وأما الجاحدون والنافقون والفاسقون المصرون ، فلا تغير قلوب
بعضهم على بعض لأجل المعصية ، ولا يشعرون بهوانهم على اهل بيوتهم ، الا قليلا
وفي بعض المعاصي دون بعض . فالذين اعتادوا شرب الخمر في بيوتهم ، وغير بيوتهم
يمدونها هم واهلهم كشراب الماء . وللمعاصي آثار أخرى في الاخلاق وفي الصحة
لا يغفل عن قبورها وشؤمها الا من هو أجهل من الانعام

ونفع به من شاء من خلقه * والله اعلم *

﴿ فصل ﴾

المشهد العاشر مشهد الرحمة

فإن العبد إذا وقع في الذنب خرج من قلبه تلك الغلظة والقسوة ، والكيفية الغضبية التي كانت عتده لمن صدر منه ذنب ، حتى لو قدر عليه لاهلكه ، وربما دعا الله عليه أن يهلكه ويأخذه غضبا منه لله وحرصا على أن لا يعصى ، فلا يجد في قلبه رحمة المذنبين الخاطئين ولا يراهم إلا بعين الاحتقار والازدراء ، ولا يذكرهم إلا بلسان الطعن فيهم والعييب لهم والذم ، فإذا جرت عليه المقادير ونجلي رتبه استغاث بالله وانتجأ إليه ، وتعلم بين يديه تعلم السليم ، ودعا دعاء المضطر ، فتبدلت تلك الغلظة على المذنبين رقة ، وتلك القساوة على الخاطئين رحمة ولينا ، مع قيامه بمحدود الله ، وتبدل دعاؤه عليهم دعاة لهم ، وجعل لهم وظيفة من عمره - يسأل الله فيه أن يفر لهم ، فما أنعم له من مشهد ! وما أعظم جدواه عليه ! والله اعلم .

﴿ فصل ﴾

فيورثه ذلك (المشهد الحادي عشر)

وهو مشهد العجز والضعف ، وأنه أعجز شيء عن حفظ نفسه واضعفه ، وأنه لا قوة له ولا قدرة ولا حول إلا بر به ، فيشهد قلبه كرشة منقاة بارض فلاة تقاها الرياح يمينا وشمالا ، ويشهد نفسه كراكب سفينة في البحر تهيج بها أرباب ، وتلاعب بها الأمواج ، ترفعهما نارة وتخفضها نارة أخرى ، تجري عليه أحكام القدر وهو كالألة طريح بين يدي وليه ملقى بياحه ، واضعا حده على ثرى اعتابه ، لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، ليس له من نفسه إلا الجول والظلم وآثارها ومقتضياتها ، فاطلاك أدنى إليه من شرائك نعله ، كشاة منقاة بين الذئب والسباع لا يردهم عنها إلا الراعي ، فلو تخلى عنها طرفة عين لقاسمها أعضاءها - هكذا حال العبد ملقى بين الله وبين أعدائه من شياطين الإنس والجن ، فإن حماه منهم وكفهم عنه لم يجدوا إليه سبيلا ، إن تخلى عنه ووكله إلى نفسه طرفة عين لم ينقسم

عليهم بل هو نصيب من ظفر به منهم .

وفي هذا المشهد يعرف نفسه حقاً ، ويعرف ربه ، وهذا أحد التأويلات للكلام المشهور « من عرف نفسه عرف ربه » وليس هذا حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما هو أثر اسرائيلي بغير هذا اللفظ أيضاً « يا انسان اعرف نفسك تعرف ربك » وفيه ثلاث تأويلات (احدها) ان من عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة ، ومن عرفها بالمعجز عرف ربه بالقدرة ، ومن عرفها بالذل عرف ربه بالعز ، ومن عرفها بالجهل عرف ربه بالعلم ، فان الله سبحانه استأثر بالكمال المطابق والحمد والثناء والمجد والفتى ، والعبد فقير ناقص محتاج ، وكلما ازدادت معرفة العبد بنقصه وعيبه وفقره وذله وضعفه ، ازدادت معرفته لربه باوصاف كماله .

(التأويل الثاني) ان من نظر الى نفسه وما فيها من الصفات الممدوحة من القوة والارادة والكلام والمشيئة والحياة عرف ان من اعطاه ذلك وخلق فيه اولى به ، فعملي الكمال أحق بالكمال ، فكيف يكون العبد حياً متكلياً سمياً بصيراً مريداً عالماً يفعل باختياره ، ومن خلقه وأوجده لا يكون أولى بذلك منه ؟ . فهذا من أعظم المحال ، بل من جعل العبد متكلياً أولى أن يكون هو متكلياً ، ومن جعله حياً عالماً سمياً بصيراً داعلاً قادراً ، أولى أن يكون كذلك . فالتأويل الاول من باب الضد . وهذا من باب الاولوية .

(والتأويل الثالث) ان هذا من باب النفي . أي كما انك لا تعرف نفسك التي هي أقرب الاشياء اليك ، فلا تعرف حقيقتها ولا ماهيتها ولا كيفيتها ، فكيف تعرف ربك وكيفية صفاته ؟ . والمقصود أن في هذا المشهد يعرف العبد أنه عاجز ضعيف ، فيزول عنه دعوات الدعاري والاضافات الى نفسه ، ويعلم انه ليس له من الامر شيء ، وليس بيده شيء ، ان هو الا محض الفقر والمعجز والضعف .

(للبحث بقية)

الرد المتين

على مفتريات المبشرين (*)

لقد اطلعنا على المجلة المدعوة « الشرق والغرب » التي يطبعها المبشرون بمصر وقرأنا العدد الاول الذي صدر في ١ كانون الثاني سنة ١٩١٤ والعدد الثاني الذي صدر في ١٥ من الشهر المذكور واذا فيها على زعم أولئك المبشرين تفنيده لما كتبناه في كتابنا الذي سميناه « المقائد الوثنية في الديانة النصرانية » وجميع ما قالوه ينحصر في خمسة أمور (الاول منها) تطاولهم واستباحتهم لكلام البذاء والتطاول وهذا ليس له عندنا جواب فليفرحوا وليتعموا به

(الامر الثاني) ادعاهم أننا اعتمدنا في كتابنا على اقوال علماء نصارى اوروبيين ملحدين . وهذا نجوابهم عليه بان لهم الخيار بما يصفونهم به . أما نحن فنقول بحققهم انهم علماء مستقلون قالوا الحق الذي وصل اليه علمهم بشأن ديانة المبشرين غير مباليين بما يرضاه منهم (الامر الثالث) عدم تصديقهم باطلاعنا على الكتب التي ذكرناها في اول الكتاب . وهذا ايضا لهم الخيار فيه صدقوا أم لم يصدقوا . ونقول لهم ولبن هم على شاككتهم : ها هي ذى مكتبتنا حاضرة لكل من يروم الاطلاع عليها ، ونزيدهم - وربنا شهيد - انه عندنا عدة كتب غير التي ذكرناها لم تقل منها كلمة واحدة ، لشدة اعتراضاتها على الديانة النصرانية . وجميعها تأليف علماء مسيحيين اوروبيين . وان احبوا فاقا مستمدون لذكر اسماؤها ، واسماء المدن التي طبعت فيها مع اسماء الطابعين (الامر الرابع) قولهم مانصه بالحرف « فاذا استزادنا حضرة من نقد بقية ما في كتابه فربما عدنا اليه في فرصة اخرى . ولكن ليسمح لنا الآن بهذه النصيحة وهي ان لا يحشر نفسه بين العلماء الباحثين ، بل ليدع ذلك لرجال العلم وليبحث له عن شغل يرتزق منه والله يهدي سواء السبيل »

اما من جهة تقديم بقية ما في كتابنا فاتنا نشكره لهم سلفا ، فاتالم فأت بكلمة واحدة من عندنا ، ولا بكلمة واحدة من كلام علماء المسلمين رضي الله عنهم ، بل جميع ما ذكرناه مأخوذ من كتب علماء الغرب المسيحيين خاصة ، واما امرهم ايانا بان لا نحشر نفسنا بين العلماء الباحثين بل لنضع ذلك لرجال العلم ، وأن نبحت عن

شغل يرتزق منه ! فأحييهم عنه بأصف عظيم : ان والدي منذ نعومة اظفاري وضعني بمدارس المبشرين ، ولم يعلم ان المدارس فيها يخرج مجيئا لكسل والبطالة واللاهو والسباحة والتسول ، واكره شيء عليه السمي وراه شغل يرتزق منه : ويفضل الحمول على السمي ، والفاقة على الفنى ، لرسوخ ما علموه اياه في عقله كتعليمهم لتلاميذهم الصغار « فلا تهتموا للفد لان الفد يهتم بما لنفسه » وكذلك « لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون » وكذلك « انظروا الى طيور السماء انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن ، وابوكم السماوي يقوتها » وكذلك فقال يسوع لتلاميذه : الحق أقول لكم انه يعسر ان يدخل غني الى ملكوت السموات ؟ واقول لكم ايضا ان مرور جمل من ثقب إبرة أسير من أن يدخل غني الى ملكوت السموات . . . فاجاب بطرس حينئذ وقال له هانحن تركنا كل شيء وتبعناك ، فاذا يكون لنا . . . وكل من ترك يوتا أو اخوة أو اخوات أو ابا أو اما أو امرأة أو اولادا أو حقولا من أجل اسمي ياخذ مئة ضعف ويرث الحياة الابدية » وغير ذلك كثير مما هو على هذا النمط

أما لو وضعني بمدارس المسلمين ، اسكنت لكم من الشاكرين ، لان نصيحتكم يكون تذكري لي بما درسته فيها من آيات القرآن المجيد ، والحديث الشريف ، كقوله تعالى { فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله } وكقوله تعالى (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكاوا من رزقه واليه النشور) وكقوله تعالى (ويعددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا) وقول النبي صلى الله عليه وسلم « كاد الفقر أن يكون كفرا » وقوله صلى الله عليه وسلم « اعمل عمل امرئ يظن انه ان يموت أبدا ، واحذر حذر امرئ يخشى ان يموت غدا » (١) وقوله صلى الله عليه وسلم « ما اكل احد قط خيرا من ان يأكل من عمل يده » (٢) وكذلك أيضا « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا مع اصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسمى فقالوا : ويح هذا لو كان شبابه وحجابه في سبيل الله . فقال صلى الله عليه وسلم « لا تقولوا هذا فانه ان كان يسمى على نفسه ليس كفتها عن المسئلة ويفنيها عن الناس فهو في سبيل الله ، وان كان يسمى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليفنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله » (٣) واحسرتاه ! لئنه وضعني بمدارس تعلم القرآن المجيد ، والحديث الشريف ، أي تعلم الحكمة ، والهمة

(١) المنار : رواه البيهقي عن عبد الله بن عمرو (٢) رواه البخاري عن المقدم

(٣) رواه الطبراني عن كعب بن عجرة

والرحمة، ولا كان وضعت بمدارس تعلم الكسل والخلول والبلادة وحب التسول والفاقة وبغض المجد وكره الفنى

(الأمر الخامس) اعتراضهم على بعض علماء المسلمين الكرام وتهربهم باسم الأمير صاحب التأليف المشهورة المبينة على آيات القرآن المجيد والحديث الشريف، ويكفهم رداً على اعتراضهم ونهايهم ما أبدوه من العداوة والبغضاء للحق وأهله أما اعتراضهم على آيات القرآن المجيد كفولهم مانصه بالحرف «ولا نحن نطلب من إخواننا المسلمين أن يبينوا لنا كيف يصح القول بأن هانان كان وزير فرعون، وأن صريم العذراء كانت أخت موسى وهرون، على ما استفاد من القرآن، ولا غير ذلك من المشاكل التي يستحيل التوفيق بينها وبين التاريخ»

على رسلكم يا أيها المبشرون الزاعمون أنكم لا تقولون إلا الحق المبين : فما معنى ذكر مثل هذه المسائل وما مدخلها مع تفنيدهم لكتابتنا ؟ أما أن لكم أن تتركوا المغالطات والسفسطات والتوحيات وتعتقوها ؟ أما أن لكم أن تتركوا التشديق بما يعود عليكم بالحيبة والخذلان ؟ والله لو كان قصدكم الاستفهام حقيقة لما كنا تتأثر باعتراضاتكم وتشدقاتكم، ولكن ألم أن قصدكم بها اغواء عباد الله تعالى وتشكيك عوام المسلمين في دينهم . ومع ذلك نقول لكم يا صرحبا سلوا عما تشاؤون من المشاكل التي تظنون استحالة التوفيق بينها وبين التاريخ الذي كتبه أيدي الصادقين .

ونقول لكم مع أننا نعلم أنكم قصدتم بالتجاهل الاغواء وتشكيك عباد الله تعالى : أن المقصود من أخوية صريم العذراء هو أخوية تشبيه لا أخوية ولادة من أب وأم . وهذا التشبيه كثير ومشهور في اللغات الشرقية . ولقد جاء مثله في الإنجيل متى ففي الفصل الثاني عشر من عدد ٤٦ الى ٥٠ « وفيما يكلم الجموع إذا أمه وأخوته قد وقفوا خارجا طالبين أن يكلموه فأجاب وقال للقائل له : من هي أمي ومن هم إخواني ؟ ثم مد يده نحو التلاميذ وقال ها أمي وأخوتي ، لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي » وجاء مثله في الإنجيل سرقص { راجع الفصل الثالث من عدد ٣٢ الى ٣٤ }

وهكذا أخوة صريم طرون عليهما السلام أي كاخوة المسيح عليه السلام لمن أشار إليهم بيده . وكما يشبهون الصالح بأحد المشهورين بالتقوى والمفاف في الأيام الحالية كذلك يشبهون الشرير المشهور بالحياة في القرون الماضية كفولهم « أخو الحارث بن ظالم » وهكذا

(المآثر - ج ٢ م ١٧) اثبات الانجيل أخوة المسيح وأنه أعرض عن أمه وعنهم ١٤

ولنا على الأعداد التي ذكرناها من الانجيل سوالات عديدة نود الاستفسار عنها من حضرة المبشرين الذين انتقدوا الخلاق لقب « أخت هارون » على صريح ولكن خوفا من ان يتوهم أحد المسيحيين الشرقيين بأننا نقصد الخط من المعتقدات النصرانية كما توهموا قلنا عن الباقارين وحلفائهم أنهم كفار ظالمون لاستباحتهم سفك دماء نساء وبنات وأولاد المسلمين ودفنهم جرحى المعسكر العثمانية تحت التراب وهم أحياء يقاسون ألم الجراح وألم الموت خنقا ، وأحرقوا نساء المسلمات ، وغير ذلك من الأعمال الوحشية التي لم يرو التاريخ صدور مثلها حتى ولا من القبائل المتوحشة في افريقية . لذلك نكتفي بهذين السؤالين مؤملين من حضرتهم إفادتنا عنهما وهما :

(١) أنهم يقولون عن صريح المذراه عليها السلام أنها لم تلد أحدا غير المسيح عليه السلام ، والآنجيل تقول أنه كان لها أولاد ، فهل تصدق كلامهم وانضرب بكلام الانجيل عرض الحائط أم تصدق كلام الانجيل ونكذب كلامهم .

(٢) يظهر من كلام الانجيل أنها أي أمه لم تكن مؤمنة به ولا صانعة ارادة مرسله كتلاميذه . ولولا ذلك لما تبرأ منها هي ومن معها من أخوته وأشار نحو الحاضرين بأنهم هم أخوته وأخواته وأمّه . فلو كانت مؤمنة به لما قبل هذا لان فيه أهانة عظيمة لها ، كما هو المتبادر من عبارة الانجيل لكل من يقرؤه . ومعلوم اننا نحن لا نؤمن بهذه القصة التي سموها انجيلا ، بل نؤمن بان أمه كانت مؤمنة تقيّة ، وأنه كان برا بها كما حكى الله عنه في قوله (ورا بوالذي)

وقد أرسلنا اليهم كتاب تاريخ الفحشاء هدية كي يتسلوا به الى ان نختصر بعض فصول كتابنا الذي سميناه « مقام عيسى المسيح عليه السلام في النصرانية والاسلام » ننشر في المآثر الاخر أدام الله شمس صدقه منيرة سماء العدل والمدنية واما اعتراضهم على مسألة تحديد تعدد الزوجات ، وأقوال انصوفي المنصر وغير ذلك كما ذكره بمجلتهم فنرد عليه في الفصول الآتية ان شاء الله تعالى

(محمد طاهر التبر)

(المآثر) نشرنا هذه التبذة وبتلوها الفصل الأول من الكتاب الذي أشار اليه الكاتب ، وقد تصرفنا في العبارة بعض التصرف فان في الاصل شدة في العبارة لإحاجة اليها . وسنعلق على الفصل الآتي كلاما نبين فيه الغرض من نشر أمثال هذه المقالات

مقام

﴿ عيسى (يسوع) المسيح عليه السلام ﴾

« في النصرانية والاسلام »

الفصل الاول في نسبه

﴿ تنبيه مهم ﴾

ان اهانة الناس واحتقار أديانهم لمن أقبح الاعمال وانهضمها كرها ومقتا عند المسلمين كافة ، ولا يتأني عنها الا مداوة والبغضاء ، على مخالفتها للشريعة الفراء ، قال الله تعالى (لا كراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وكل من يتدبر الحقائق بعين الصدق والانصاف يرى ان جميع ما كتبه علماء المسلمين { رض } قديما وحديثا بشأن النصرانية لم يكن سوى ردة على المفتريات التي رمى الظالمون بها دين الاسلام المبين ، بنيا وعدوانا حيناً بعد حين ، وهذا الافتراء الذي اتخذوه المبشرون وغيرهم من قيسي الفرق النصرانية مهنة لهم في هذه الايام هو الذي اضطرنا الى كتابة هذه الكتب وهي (العقائد الوثنية ، في الديانة النصرانية . ومقام عيسى عليه السلام ، في النصرانية والاسلام) و (آداب الاسلام وتعاليم التوراة والانجيل) و (الاخلاق عيسى المسيح عليه السلام في الانجيل وفي القرآن المجيد) ولم يطبع منها سوى (كتاب العقائد الوثنية) وان شاء الله تعالى سنطبع البقية باقرب وقت بعد ما ننشر اكثر نصوصها باختصار في المنار الاغر .

وقد بينا الحقائق والله الحمد بطريقتي رضي حتى أشد الناس عداوة لدين الاسلام المبين ، اذ لا خير يرجى من كتابة ما يفضب الناس ولا سيما في الامور الدينية التي هي أعز شيء عند الانسان ، مهما كان دينه . قال الله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) نالحمد لله على نعم تعاليم القرآن المجيد ، الذي لولاه لكانا مثل أولئك المبشرين ومن بنحو نحوهم ، الذين اتوا تلك الكتب السافلة المشحونة بالباطل والتناول والافتراء وغير ذلك مما هو من اخلاقهم وخصالهم .

وانا نلفت نظر القاري القاض الى امر ذي بال وهو اقتصارنا على ما جاء

في التوراة والأنجيل كي لا يقدر احد منهم على نسبة الكلام اليها كما فعلوا بنسبة كلام العلماء الا ورويين الذين استشهدوا بكلامهم في كتابنا (العقائد الوثنية) اليها ، مع اننا ذكرنا اسماءهم بالعربية والافرنجية ، ولنتنظر الآن ما ذا يقول أولئك القوم الذين ألفوا تلك الكتب السافلة ضد دين الاسلام المبين .

(الجد الاول من جدود الزنا)

عقد الفصل ٣٨ من سفر التكوين من اوله الى آخره لبيان زنا القديس (يهوذا) بكنته (ثامار) وحملها منه . وانها وضعت ولدين ذكرين سماهما (فارص) و (زارح) والمبشرون المؤلفون لتلك الكتب والرسائل يقولون : انت فاديسم ومخلصهم وخالفهم « يسوع المسيح » من سلالة (فارص) المباركة وبما ان هذه القصة الشريفة لها علاقة مهمة مع هذا الرب المختار الولادة من الزنا تأتي عليها باختصار ، ومن بحب الزيادة فليقرأ الفصل المذكور ير فيه ما ملخصه ان يهوذا نزل عند رجل عدلامي اسمه (حيرة) فرأى ابنة رجل كنعاني اسمه (شوع) فأخذها ودخل عليها وولدت له ثلاثة اولاد ذكور اسم الكبير (عير) والثاني (اوئان) والثالث (شيلة) ولما كبر عير اخذ له زوجة من بنات الكنعانيين اسمها (ثامار) فعمل الشر بعيني الرب فأهلكه فأمر يهوذا ابنه { اوئان } بأن يأخذ زوجة اخيه ويقم له نسلا فزوجها اوئان . وبما ان النسل الذي يأتيه منها يعد نسل اخيه لا نفسه صار اذا ضاجعها يفسد على الارض { اي يعزل ماءه } لتلا تحمل منه فأماتته رب التوراة وأبقى اياه القديس لانه لما زنى بها لم يفسد على الارض . ولما مات أمرها يهوذا بأن تقعد أرملة بيت ابيها وانه متى كبر ابنه شيلة يعطيها اياه زوجا لها وقال في نفسه ربما يعمل كما عمل اخواه فيميتة الرب مثلها . فذهبت الى بيت ابيها ومضت الايام وكبر { شيلة } ولم يعطه لها . وبلغها ان حماها المذكور (القديس يهوذا) ذاهب الى { تمنة } مع صاحبه العدلامي ليقص صوف غنمه فخلعت ثياب ترملها وعطت وجهها وجلست على طريق (تمنة) فلما رآها ظنها هذا القديس زانية وراودها عن نفسها فقالت له : ماذا تعطيني ؟ فقال لها اعطيك حدي ممر ابنته لك . فقالت له أعطني رهنا فأعطاها عصا بته وخاتمه وعصاه وزنى بها . ولما وصل الى تمنة ارسل لها الجدي مع صديقه العدلامي ليفتك الرهن . فلم يجدوها فرجع واخبر يهوذا . فقال له لتذهب بما معها كي لا يلحقنا عار . فخلعت منه ووضعت ولدين ذكرين سمتهما «فارص» و «زارح» ويسوع المسيح من نسل فارص المبارك

ولنا على هذه القصة عدة أسئلة وملاحظات مهمة ذكرناها في كتابنا (مقام عيسى المسيح عليه السلام في النصرانية والإسلام) نذكر منها هنا مسألتين فقط لأن قصدا الاختصار كي لا نضيق كثيرا من صفحات المنار الأغر لأن عليه أداء خدمات اسلامية مهمة .

(أولاهما) تقول التوراة انه ظنها زانية لأنها كانت مغتبية وجهها . وهذا باطل عقلا ويكفي لرده وإظهار بطلانه مناجاه في التوراة والإنجيل (منها) في قول سفر التكوين (٢٤ : ٦٤ و ٦٥) ورفعت رفقة عينها فرأت اسحق فتزات عن الجمل وقالت لا عبد من هذا الرجل الماشي في الحقل لناثنا ؟ فقال العبد هو سيدي . فأخذت البرقع وتغطت) وجاء في الرسالة الاولى الى أهل كورنتوس (١١ : ١٦) « لان المرأة ان لم تتغط فليقص شعرها أو يحلق وان كان عيبا على المرأة ان يقص شعرها أو يحلق فلتتغط) فالحيجاب علم الخدرات الطاهرات ، وسيمة الحيرات الطيبات ، كما ان التبرج والابتذال من علامات الفواجر الزانيات

(ثانيها) تخبرنا التوراة عن ذهاب يهوذا مع صاحبه العدلامي ، وانه كان معه لما راودها عن نفسها ، وانه أرسل الجدي الوديع معه ، وأنه لم يجدها وغير ذلك ، لكنها لم تذكر هل زنى بها هذا العدلامي أيضا أم لا ؟ وبدل العقل والعادة بين الفساق في هذه الامور التي يشتركون فيها وارسال الاجرة أي الجدي اليها معه على انه زنى بها مع يهوذا . واذا صح هذا فمن المحال معرفة ممن كان الحمل وربما حملت من كل واحد بولد ، ولا يبعد حينئذ ان يكون زارح ابن يهوذا ، وفارص ابن العدلامي . وكيفما كان فان هذا الجبد الاعلى للمسيح قد خاق من ماء الزنا

(الجبد الثاني)

جاء في سفر يشوع بن نون مانصه (٢ : ١) « فأرسل يشوع بن نون رجالين من شطرين جاسوسين تحت الحفاء قائلين امضيا انظرا الارض واربحا . فانطلقا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب وباتا عندها » وجاء في هذا السفر ذاته (٦ : ١٧) واتسكن المدينة بكل ما فيها مبسلة للرب ، ولكن راحاب الزانية تحيا هي وجميع من معها في بيتها » انتهى

وهذه راحاب الزانية زنى بها سامون وهو من سلالة فارص الذي هو الاصل الاول من اصول الزنا المقدس . فخبأت ووضعت (بوعز) الذي من سلالة جاء « حمل الله الوديع » وما قلناه بخصوص عدم معرفة الحمل ممن كان عند ذكرنا الجبد الاول ،

هل كان من يهودا أو من المدلاسي ؟ نقوله هذا أيضا . لان كلا الجاسوسين يانا عند هذه الزانية فكيف يعرف من علفت ؟

{ الشاهد الثالث } في سفر الملوك الثاني { ١١ : ٢-٥ } قلنا هذه الاعداد عن التوراة المطبوعة بعظيمة اليسوعيين بمدينة بيروت . واسم هذا السفر في تورااة الابروسطانت { سفر صموئيل الثاني } : « وكان عند المساء ان داود قام عن سريريه وتمشى على سطح بيت الملك فرأى عن السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة جدا ، فارسل داود وسأل عن المرأة فقيل له هذه بتشايح بنت أليعام امرأة أوريا الحثي ، فارسل داود رسلا وأخذها فدخلت عليه فدخل بها ، وتطهرت من نجاستها ورجعت الى بيتها ، وحملت المرأة فارسلت واخبرت داود وقالت انني حامل » انتهى فوضعت ولدا ومات ثم زنى بها ثانية (على رءسهم) فجلت ووضعت سليمان وهو الاصل الثالث من الثلاث الزاني وبعانا قصدنا الاختصار بقدر الامكان لذلك لم نكتب ما جاء في تفاسيرهم على التوراة والانجيل وان كان وجودا في كتابنا ، لان على المنار الاغراض خدمات عظيمة فلا نصيب من صفحاته اكثر من هذا القدر

فهذا ما عندهم وهذا ما يدعون الناس الى الايمان والاهتداء به ، واما ما عندنا وندعو اليه أهل الفضل والمقل بعد ثبوت انبياء الله من الفسق والقعجور فهو :

اعتقاد المسلمين

طهارة نسب عيسى المسيح عليه السلام

قال الله تعالى في سورة آل عمران ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم * اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم * فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انا * والله اعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأناث ، ولاني سميتها مريم ولاني اعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم * فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا)

وقال الله تعالى في سورة العنكبوت بعد ذكر ابراهيم عليه وعلى آله الصلاة والسلام

{ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب، وآتيناه أجره في الدنيا وأنه الآخرة لمن الصالحين }

الله أكبر ! فليُنظر المبشرون والآب لويس شيخو - الذي ألف رسالة منذ بضع سنين وسماها (خرافات القرآن) وقد ترجمها المبشر المدعو « زويمر » { } ونشرها في مجته « العالم الاسلامي » - الى اعتقاد المسلمين بطهارة نسب عيسى المسيح عليه السلام . فانهم اذا نظروه من جهة القرآن المجيد يرونه من سلالة طيبة زكية حماها الحلي القيوم من التلطيخ بأقذار وادوان الزنا والسفاح . فليُنظروا أي الوصفين أحب اليهم بحق هذه الذات الشريفة ولتتمسكوا به . وإيم الله اننا ما كنا نحجب كتابة ما ذكرناه على هذا الموضوع غير أن ضرورة الحال تمنعنا

اعتقاد المبشرين

أن المسيح إلههم صار لئنة

والبيان بالله تعالى

قال مقدسهم بولس في رسالته الى أهل غلاطية الاصحاح الثالث العدد (١٣:٣)
«المسيح اقتدانا من لئنة الناموس اذ صار لئنة لاجلنا لانه مكتوب : ملءون كل من علق على خشبة »

يُعلم الناس ان النصارى يعتقدون أن المسيح هو إلههم وربهم وخالقهم ومخلصهم، وكتابهم المقدس يلقيهم أنه « صار لئنة » واللئنة غاية المبالغة في الشتم والازدراء وليس بعدها زيادة لمستزيد ، واي شيء يمكن ان يؤتى به ويكون اشد قبيحا من قول مقدسهم إنه « صار لئنة » اي انه نفس اللئنة ؟ فما هذا الحب الذي قادهم الى القول بألوهيته من جهة ثم قادهم الى القول بأنه « صار لئنة » من جهة أخرى ؟ ! . دع اعتقادهم بأنه من سلالة زناء مثلث كما يفتاه سابقا ، فهم والحالة هذه أسوأ حالا من اشد أعدائه ، لأن مقام المداوة لا يطلب الا اقباح الأوصاف ، ومقام المحبة لا يطلب الا احسنها واكملها ، فهم يدعون بحبته عليه السلام ويعتقدون أنه خالقهم ورازقهم وفاديرهم ومخلصهم ، ثم يصفونه بهذا الوصف . . . فما يلزم لا يتدبرون ما يعتقدون ! .

(١) هو زويمر الذي حراً دعاة النصرانية في مصر وبلاد العرب على الفلسوف في العلم في الاسلام واهلانة المسلمين وتهميج المداوة بينهم وبين النصارى

وبما انه إله على حسب اعتقادهم - والعباد بالله تعالى - فمن ذا الذي صيره لئمة ؟ هذا ما نود ايضاحه منهم ! وأغرب من ذلك اعتقادهم أن الإله ذو ثلاثة أقانيم (اي اشخاص) وهي الآب والابن والروح القدس ، وأن هذه الاقانيم الثلاثة هي إله واحد . فكيف صار الابن الذي هو ثلث إلههم « لئمة » دون الثلثين الآخرين ، اي الآب والروح القدس ؟ وما داموا يقولون بأن الثلاثة واحد حقيقة فلا بد من دخولهم جميعا تحت اللعن بهذا الاتحاد !! فقدر هذا وسلامهم : من اللاعن ؟ ومن هو يا ترى ؟
(ستأتي البقية)
عبد الوهاب وولده محمد طاهر

(المار) قد غلا دعاة النصرانية في العام الماضي وفي هذا العام في الطمن بالاسلام قولاً وكتابة ، فلم يكتفوا بصحفتهم الدورية ، ولا بالكتب التي نشروها من قبل ، بل هم يلفقون رسائل جديدة بمعنى ما تقدمها في الطمن والتمجيد والتعوية ولكن تختلف اسماؤها واساليبها . وأكثروا المحافل والمجتمعات في القاهرة وسائر البلاد والقرى لاجل الدعوة الى النصرانية . ومن المجانب أهم كانوا من قبل أصحاب صبر وإناة فخايم الصبر في هذه السنة حتى صاروا يهينون من يرد عليهم في المجتمعات إهانته شديدة . وقد خدعوا افراداً من فقراء العامة بالمال وادراو الرزق بأظهروا النصر ، ثم بدا لهم وندموا ، فصار من يريد الرجوع الى حظيرة الاسلام يهدد بالإيذاء ، حتى اخبرنا بعضهم انه لا يمكنه الا ان يفر من القاهرة الى بلد آخر يظهر اسلامه فيه لاجل هذا العدوان وجب علينا ان لا نقف عند حد رد مطالعهم التي يكررونها كما كنا نفعل من قبل ، وان نبين لآخواتنا المسلمين حقيقة دينهم والمقابلة بينها وبين ديننا ، ويان أتنا نحن نعلم المسيح ونكرمه بالحق ، فلا نحتاج الى من يدعونا الى الابان به إيماناً بجميع النقائص ككونه واحداً وثلاثة ، ومقدساً ولئمة ، برأه الله تعالى قالوا . وهذا مما يجب علينا شرعاً كالصلاة وغيرها من الفرائض . ولهذا نشرنا هذه الرسالة بعد تصحيحها . نعم أنهم هددونا بالسلطة الانكليزية ، واغروا المقعد الانكليزي بنا عسى ان يأمر الحكومة المصرية بانقال الممار ومقاومة (مدرسة دار الدعوة والارشاد) ومنع نظارة الاوقاف أن تساعدنا بشيء من أوقاف المسلمين بعد أن صارت الاوقاف تحت سيطرته ، ليتسنى لهم ان يقولوا : ان جميع المسلمين في مصر عجزوا عن الرد عليهم ، وليكتفوا مؤنة من يرد عليهم في المستقبل اذا نهجت مدرسة دار الدعوة والارشاد (فاعتبروا يا أولى الابصار)

مطامع الدول فينا^(*)

« وضمت الحرب أوزارها، واستحدثت المدافع انقسامها، واعيدت السيوف الى اغمارها، وعادت الدول المتناجزة بالأسس عن مبادئ القتال الى ردهات المجلس فمقدت بعضها مع بعض معاهدات تضمن صيانة السلام الى حين، ثم خفت كل واحدة الى نفسها تناقضها الحساب، وتبحث في مآلاتها من الغم، فكانت الهمة الاولى منصرفة الى اقسام الاراضي المكتسبة، ثم الى النظر في مآثر النفقات الحربية في ميزانياتها، وما يقتضيه سد تلك النفود من الاموال الطائلة، وهي لا سبيل اليها الا بعقد القروض

« ولو انحصر الأمر في الدول الخارجة من ميدان القتال لكان الخطب، ولكن تمت دولاً أخرى أثبت الا أن يكون لها من الغنيمة نصيب

« تنازلات تركيا لاطاليا عن ولاياتها الافريقية، ثم تحت الحكومات البلقان عن ولاياتها الاوربية غير ولاية أدنة، ثم تقاسمت الدول ما بقي بشكل مناطق نفوذ كل واحدة بحسب ما توحى اليها مطامعها في الملائية والجزهر

« ورضيت انكلترا نصيباً لها سواحل خليج المعجم من الاوقيانس الهندي الى البحر الاحمر، فأصبحت سلطتها مبدوطة على البلاد العربية من البصرة الى السويس ومن الخليج المعجمي الى ترعة السويس، وأصبحت في يدها الطريقان البحر يان الموصلتان من املاكها الشرقية الى املاكها الغربية، واتصلت امبراطوريتها الاسيوية (الهند) بملكها الافريقي (مصر)

« أما ايطاليا ولية أمي طرابلس الغرب والواضحة يدها على جزيرة رودس وما جاورها من جزر البحر المتوسط فلها فازت بهذه البقعة الآهلة باليونانيين والاروام، والقاعة بين خط بغداد والارخبيل، ومعهها ميناء اضاليا وخط حديدي يمتد الى الداخلية، ويتصل بالخطوط الملائية، - خط بغداد وخط أزمير

« وأما ألمانيا فكان نصيبها هذا الخط البغدادي الكبير بجماسته لا مسيطر عليها فيه ولا مهين، وهو الذي طمحت اليه، ومن ورائه ما بين النهرين وكل البلاد الواقعة بين اسكودار والبصرة من البوسفور الى الخليج العربي

« وان اتفاق بوتسدام مهد الملائيين السبيل الى بلاد ايران اذ خولهم حق تمديد

(*) بقلم الموسيوقاتورنش وزير خارجية فرنسا سابقاً وترجمة جريدة الاهرام

خط حديدي من بغداد الى طهران . وفي مقابل ذلك جعلت حصة روسيا ارمينيا الكبرى . وهي تنازل الاراضي الواقعة الى شمال الخط البغدادي والى جنوبه بجملتها بين انقرة وبغداد .

« على أن تمت عقبة كان لا مندوحة عن تذليلها . فان الاستئثار بتلك البقاع الواسعة كان لا بد من تموينها بحجج من الحجج ووسيلة من الوسائل فكانت هذه الوسيلة الاشغال العمومية والمشروعات النافعة الواجب اجراؤها . بيد أن روسيا لم يخطر لها أن تبذل أموالها الخاصة في هذا السبيل بل لجأت الى فرنسا . أفليست هي على الدوام مستعدة لبذل أموالها استعداد تركيا للتخلي عن أراضيها ؟ وعلى هذه الصورة تم الاتفاق على أن فرنسا تتولى انشاء مينائي يني بولي وهر كاه (على البحر الاسود) والخطوط الحديدية (سمسون - سيواس - ديار بكر ، وديار بكر - ارضروم - طرابزون) مع العلم بانه ارادتها المتوقعة ، لانها لازمة لروسيا أيضاً لموقفها السياسي والاقتصادي والحربي أيضاً ، وإن كان لا فائدة لنا نحن منه على الاطلاق . وانما اعطينا في مقابل ذلك البقعة السورية في جنوبي شرقي خط بغداد ، مع حق انشاء مينائي حيفا ويافا وتديد خط رفاق الحديدي الى القدس ، ثم الاتفاق على اقتسام النقل بين خط دمشق - حماه والخط الحجازي ، وكلاهما متصل بالسواحل السورية : الاول في بيروت والثاني في حيفا . وكلها امتيازات لا نقيم لنا منها مادامت حكومتنا متقاضية عن معاهدتنا الكاثوليكية في الشرق ، ضاربة بما لنا من الحق في حماية الاراضي المقدسة وحماية المارونيين عرخص الحائط ، ومهدت للايطاليين قطع السبيل علينا بما ينشئون لا تقسم في رودس واذاليا وطبرق وسراقوسة .

« لا يتوهم من متوهم ان الدولة العثمانية بذلت كل ممالك الاخذين على أنفسهم صيانة كيانها . كلا ! فهي لا تزال باقية لها الاراضي الواقعة على ضفتي المضائق . وما زالت في عهدتها حماية البوسنة والهرسك والبلقان (١) وانه لشرف عظيم (٢) ونخر باق وإن كان ياقى على كامل صاحبه مسؤوليات عظمى . ثم انهم لا يزالون مالكيين ادمرة والاستانة وروسه وأزمير وانما مترامية الأطراف خصبة التربة تكفي ارادتها - في ما يقولون - لدفع فوائد ديونها المترتبة (٣) .

« بهذا التمنح الدولة العثمانية من الطور الثاني . واعني به طور التقسيم أو طور التجزئة . بقي الطور الثالث واعني الحاجة الى المال . ومعلوم اننا نحن معاشر الفرنسيين لا نبرح أبداً من بال أحد . في بلغت المسائل هذا الطور واعني طور الدفع . اذن الى

فرنسا أنجحت الإبصار للمطالبة بسد الفراغ الذي سببته هفوات وجنود بل جنائيات الآخرين حتى يتوباً لأرباب الجشع والطمع ممن ذكر أن يستبعضوا تحقيق مطالبهم .
أما ما يطالبوننا به هذه المرة فثمان مئة مليون فرنك

« ولقد غامرت الأمة الفرنسية الى هذا الحين بمبالغ طائلة من توفيرات أبنائها في المشروعات الألمانية فلا ينكر عليها حق السعي في استرداد ذلك المال . ولكن هذا لا يجب أن يتخذ ذريعة لتضحية مصالح البلاد في سبيل منافع بعض المالبين ، فبعد نكبات الجيوش الألمانية انتفت الصحافة وأجمع الرأي العام في فرنسا والعالم كله على إلغاء تبعة الانكسارات على عاتق جمعية الاتحاد والترقي . فان الاتحاديين هم المسؤولون عن سوء انتظام الجيش وسوء الإدارة وضياع أموال الحكومة . وان هؤلاء الاتحاديين هم أنفسهم المتقصدون الاحكام اليوم وفي أيديهم التصرف بالأموال العمومية . وهم أنفسهم الذين يتطالبون اليوم الاموال الفرنسية في حين ان لاستعمالها في فرنسا وجهة أولى وأرفع ، ولكن ما تم من اعتراف ، فان قلم المراقبة في وزارة الداخلية كان قد ألقى بأعباءه المتسولون على شكل أضخم لمصلحتهم

« ومن أهم ما يهتمون به جمعية الاتحاد والترقي نزاعها الألمانية وهي تكاد تكون تحرشاً بنا . ثم يتهمونها بأنها ألقت بين يدي الضباط الألمان تنظيم جنديتها حتى ألقى بعضهم على الجبال فندروا نزع تبعة انكسارات لألمانين في فرق كايسه ولوله برغس . فلما استعاد الاتحاديون السلطة كان أول عمل قاموا به انتداب تبعة ألمانية

جديدة لتنظيم الجيش العثماني . ورضي العاهل الألماني بإيفاد ثلاثة وأربعين رجلاً من ضباط جيشه الى الاستانة ، ولكنه اشترط أن تكون لهم مع تحمل المسؤولية السلطة الفعلية ، وان تكون القيادة العليا لرعي البعثة ، وان يكون الضباط الألمان في الجيش خاضعين لضباط الألمانين . ولما كان الخط البغدادي الذي يجتاز آسيا الصغرى من أدناها الى أقصاها من خليج المعجم الى البوسفور - وكل الخطوط الحديدية الاخرى فروع له ، هو الوسيلة الوحيدة لتعبئة الجيش وشدده ، فان الجيش العثماني بقيادة الضباط الألمانين سيكون بمنزلة احدى فرق الجيش الألماني ، فالخاني مئة مليون فرنك التي تطالبنا الحكومة الألمانية بها اليوم ستنفق في تسليح وتجهيز وتنظيم وتدريب جيش يكون في طليعة الجيوش المهاجمة لنا في أول حرب نخوض غمراتها ، وتكون أموالنا نحن الفرنسيين قد تحولت الى حديد ورصاص يخرق صدور أبنائنا .

« ولقد بلغ من حرج الموقف ان الحكومة الروسية مع عدم رغبتها في انتهاز

خطة المجاعة والمشاكلة لم يسعها الا اقامة الحجة في عاصمة السلطنة . وليست زارتنا الحربية والخارجية في فرنسا بعديتين عن وزارة المالية فخير بوزيريهما ان يجتمعا بزمامهما ويكتفاه بان في الحياة مواقف لا يجوز فيها تضحية الوطنية في سبيل مصالح بعض الأفراد ، وان بعض القروض يجب معجالة قبولها في فرصة بارزة

« أما أنا فاني لا أبذل قلبي واحدا من مالي للذين يسامون في تربة الوطن وفي موارد الطبيعة ترافا لبعض المظالم ، ولا اعتبر من يجود بأموال الأمة على هذه الصورة مؤثما أبداً »

« رب قائل يقول ليس في الأمر شيء ، مما تخشاه ، وكل ما هناك تفاهم بتبين مناطق نفوذ كل دولة . نعم . ولكن لتحدث غداً فتنة أو ثورة أو مذبحية . وليس ذلك بالأمر النادر حدوثه في آسيا الصغرى . اذن لا نلبث أن نرى العمارة الإيطالية في ايطاليا ، والانكلز في الكويت ، والامان في مرسين ، والفرنسيون في بيروت ، والروسيين في طرابزون . وفي مثلت اقدامهم الارض فهيات ان تنحرح عنها . وان لدينا في موقف ايطاليا اليوم في جزر البحر ايجه خير شاهد ، فالامر اذن ليس بتعصر في تبين مناطق النفوذ ، بل هو يتجاوز الى تقسيم الاملاك العثمانية الاسيوية والسلام . »

(الاهرام)

ثم عقلت الاهرام عليه بما يلي :

هذا هو كلام ذلك الوزير وهو لا يقول لنا شيئاً لانعرفه ولكنه يقوله لنا وتردده على أنفسنا لتعظ وتتخذ الحيلة ونعمل بقول الشاعر :

ما حك جدارك مثل ظنرك فتول أنت جميع أمرك

(الناز) صدقت الاهرام ان هذا السياسي الكبير لا يقول لنا شيئاً لانعرفه ، أي لانعرفه أهل البصيرة منا ، وانكسرتاه - وانكسرتاه - قليلون فينا والجمهور مفلوج بما يرى حين من إيماض الذيل قبل الخلود ، كما أومض إيماضه حسبوا انهم في عالم الحياة التورنية داخلون ، واذا أظلم عليهم عادوا في ظلمتهم يعمهون ، واذا صاح بهم المنذرون ، : يا قومنا فروا الى النجاة فانكم الى الذبح تساقون . وسوس لهم الوسوسون : ان هؤلاء قوم غاشور ، وعن حظيرة الاخلاص الاتحاد خارجون ، وبالسنة أعدائنا الافرنج ينطقون ، اما ترون وميض انوار التجديد ، يلوح لأعينكم من بعيد ، فابدلوا هؤلاء المجددين كل ما تملكون من اموال ، قالون جميع الامال !!

بيننا في المجد الماضي وفيما قبله ما وصلنا اليه من الخطر القريب ، وبيننا ان الأوربيين لا يقبلون ان يأخذوا بلادنا الا بالهدج السلي المبرر منه بمناطق الاقتصاد والنموذ ، وبيننا طريقة التجارة والكن ان لا يسمع ولا يبصر ، وهما نحن أولاء نرى غير الرسميين من سياسة الافرنج يهرحون بذهاب ملكنا تهرجحا ، والرسميين منهم يهرحون بالصلي ويهرضون بالقول تهرضا وحسبنا ان نصحنا وأدينا الأمانة ، وان عرضنا أنفسنا للأذى والأهانة .

تقرير المطبوعات الجديدة

« تاريخ حرب البلقان الأولى »

« بين الدولة العلية والاتحاد البلقاني »

عني يوسف افندي البستاني أحد محرري الجريدة اليوم ، يتبع حوادث هذه الحرب من أول المهد بشوب نازها ، الى ان خمدت ووضعت أوزارها ، وقرأ ما كتبه أشهر كتاب الافرنج في الجرائد الأوروبية ، وما ألفوه من الكتب في ذلك . وما كانت تنشره الجرائد العربية لمراسليها في الآستانة وغيرها . فالتخذ ذلك مادة لوضع تاريخ لهذه الحرب كتبه بتداد الرواية والاعتدال ، فجاء تاريخا مفيدا جامعا لما فيه المبرة النافعة ، والموسعة المأمنة ، بعيدا عن لغو القول وهراء ، وبلغت صفحاته ٣٢٧ مائدا صفحات المقدمة والصور والرسوم . (وفيه : دراسة وخريطتان) وقد كتب في الحرب عدة مصنفات عربية : وقد تيسر لكورا مع هذا الكتاب فبني ان يكون ممول قراءة العربية عليه دونها . وهو يتال من مكتبة المار بصر ومن النسخة منه خمسة عشر قرشا خلا أحرة الجريد

« بيكي مجموعة »

مجلة علمية شهرية تركية تصدر في الآستانة العلية صفحاتها : ٢٠ قيمة اشتراكها في الممالك العثمانية عن سنة واحدة نصف أيرة عثمانية وفي روسيا خمس روبل ونصف و ١٥ فرنكا في سائر انصانك وهي مطبوعة طبعا حريدا على ورق ابيض ومن العدد

(كتب تقرير هذا الجزء شقيقنا السيد ساح عباس رضا

الواحد خمسة قروش عثمانية

(مجلة الناشئة) مجلة شهرية تبث في الناشئة وشؤونها بمرورها طلاب المدرسة العلمية الوطنية في دمشق ، قيمة الاشتراك السنوي ١٥ قرشا وللأسيد المدرسة ١٠ قروش . ويضاف الى ذلك اجرة البريد للخارج ٠ وصفحاتها ٣٢ بالقطع الصغير . فتبث على مطالعتها تشجيعا لمحروبيها واطلاعا على سير العلم في ائمة الامة .

(لسان العرب) مجلة تاريخية اجتماعية ادبية مصورة المنشأ أحمد عزت الاعظمي صفحاتها ٥٦ مطبوعة على ورق جيد ، قيمة اشتراكها السنوي ثلاثة ريالات مجدية في المالك الاجنبية وللطلبة بنصف القيمة وعنوانها « الاسنانة » شارع ابو السعود . صندوق البريد عدد ١٤٩ . وهذه المجلة مسكنة في نفسي وارجو أن اوفق الى قراءة ما لدي من اعدادها فاعود الى تقريرها بالتفصيل الذي يليق بها .

(مجلة كمال) مجلة ادبية فكاهية شهرية (سنتها عشرة أشهر) مطبوعة على ورق نظيف طبعا نظيفا صفحاتها ٩٦ بقطع المنار . يصدرها في بيروت كمال افندي عباس . قيمة اشتراكها في البلاد العثمانية وبلدان مجيدان وفي مصر والبلاد الاجنبية عشرة فرنكات .

(المرأة) جريدة اسبوعية مصورة سنتها خمسون عددا ، صفحاتها ٢٨ وهي في شكل مجلة من المجلات ذات الصفحات الكبيرة يصدرها في بيروت خليل افندي زينية المعروف لدى كتاب وقراء العربية ، قيمة اشتراكها السنوي في بيروت ٨٠ قرشا سوريا وفي لبنان وسائر الولايات العثمانية ٢٠ فرنكا وفي الخارج ٢٥ فرنكا .

باب الاخبار والآراء

﴿ لا بابوية في الاسلام ﴾ ولا تباع شناعة خير الانام ﴿

ذكرنا في الجزء الماضي ان بعض المتأففين زين للاتحاديين ان يستقلوا حجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم بوضع دفاتر فيها يكتب فيها اسماء الناس الذين يذلون لهم الذهب الاحمر لتكتب اسماءهم في تلك الدفاتر ، وبيننا قباحة هذه البدعة المشتعلة على عدة جرائم منكورة ، وبيننا ان ساف الامة الصالح ما كانوا يتسامحون في إحداث بدعة من العادات المباحة في مسجد الرسول (ص) لئلا يدخل محدث ذلك والراضي به في عموم قوله (ص) « من أحدث في مسجدنا هذا حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين » وهو الحديث الذي اجتنب به الامام مالك على ابن مهدي العالم الزاهد لما

صلى على نبيه . وبنينا على ذلك اتنا لا نقن ان جمعية الاتحاد والعرق قبل هذا الاقتراح ، ولا ان الحكومة تفذه

ثم بلغنا بعد ذلك ان موضوع المشروع ان تسمى تلك الدفائر دفائر المستشفين . أي ان كتابة الاسماء في تلك الدفائر طريق أو سبب لشفاعة النبي (ص) فهي اذا عبارة عن بيع شفاعة المصطفى (ص) لمن يريد ان يشتري ، وان أقل ممن لها ليرفعها في الشفاعة لا تملك قبائع ، ومن يدعي ان كتابة اسم أحد ووضع في الحجرة النورية يكون سببا لشفاعة الرسول (ص) له فهو مقرر على الله ورسوله ، لأن هذا أمر لا يعلم الا بوحى من الله ، ولو أنزل الله تعالى فيه شيئا يدل عليه بالنص أو بالدحوى لكان أجدر الناس بمعرفة العمل به الصحابة (رض) ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .

لهذا تصح للذين لا يعرفون أصول الدين وفروعه من رجال الدولة الاتحاديين أن يجنبوا هذه البدعة ، فليست هذه المسألة كغيرها من الأمور التي تجرأوا عليها . وليتذكروا ان مسألة بيع البابوات الفمران هي التي أحدثت الانقلاب الديني العظيم الذي آل الى سلب السلطة السياسية من البابوات ، بعد حروب شابت من هولها الولدان . على ان بيع الفمران له وجه ما في دين النصارى اذ يحتجون عليه بقول انجيلهم ان ما يحلونه او يعقدونه في الارض يكون كذلك في السماء . وبيع الشفاعة بدعة في الاسلام ليس لها وجه ولا شبهة . بل تدل الجميع على كثرة على إطلاقه وفقره بالشرك بالله تعالى لانه قوله على الله بغير علم ، وشرع لم يأذن به الله ، وزيادة في الدين الذي اكمله ، وداخل في عموم الاحداث والبدع التي تنهى وحذر الشارع منها ولعن محدثيها . والآيات والاحاديث في هذا كثيرة . تدعمها الآيات الناطقة بأن يوم القيامة لا يملك فيه احد لاحد شيئا لشفاعة ولا غيرها «والأمر يومئذ لله وحده فلا يشفع احد عنده الا بإذنه ولا يأذن الا لمن رضي له قولا (ولا يشفعون الا من ارتضى وهم من خشيته مشفقون) واجمع المسلمون على انه ليس لاحد ان يجر مستقبل احد في الآخرة الا بنص من الشارع . فليس لاحد من رجال الحكومة الشمانية ولا غيرهم أن يدعي ان النبي (ص) يشفع له او لاحد معين ، فمن لا يملك الشفاعة لنفسه ، كيف يبيعها لغيره ؟ فان كانوا في شك من صحتها لدينا ولهم في هذه المسألة فليعرضوها على علماء الفاضح وعلماء السليمانية في خاصتهم وعلماؤهم منهم ليعلموا وأهم فيها بالحرية التامة . وربما نعود الى بيان ذلك بالتفصيل ، ودلائل السنة والتزويل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل »

﴿ جمعية خدام السكبة في الهند ﴾

جاءنا من هذه الجمعية رسالة وحيزة مالمخصها ان الدولة العثمانية أصبحت على خطر مما يبيت لها الأعداء ، وان أكبر أمانى المسلمين ان تكون غنية قوية ، وان مؤسسي الجمعية أحسوا بما سيصيب الحرمين الشريفين من المصائب الحاضرة فأسسوا هذه الجمعية لا يقصدون منها « إلا مساعدة الدولة العثمانية في المحافظة على الحرمين الشريفين وبذلك المال والنفس في سبيل حمايتهما من الفوائت » ومن ذلك تعلم العرب الذين يقطعون السبل على الحجاج . كل هذا حسن . ولكن جاء بعده ان الجمعية تريد إنشاء جريدة بالفتن العربية والأوردية . قال الكاتب « حتى تنشر افكارنا في جميع البلاد الاسلامية وننبه المسلمين الى ما يجب عليهم نحو دينهم ودولتهم الوحيدة » الخ وهذا هو الأمر الذي لم ننبه به : جمعية خدام السكبة انشئت لخدمة الحرمين الشريفين فكيف يجوز لها صرف المال الذي تجمعه للحرمين الشريفين في إنشاء جريدة سياسية . وما هي هذه الافكار التي يريد رئيس تحرير الجريدة ان يبثها في العالم الاسلامي ؟ هل هي افكاره ام افكار الذين تبرعوا بالمال لخدمة الحرمين الشريفين ؟ ومن اين وقف على افكارهم ؟ وهل دفعوا المال لاجل نشر الافكار السياسية أم لاجل خدمة الحرمين ؟

قد بينا رأينا من قبل في هذه الجمعية وفيما يجب ان تكون عليه فلا نعيد . ونقول الآن انه لا يجوز لها بحسب قانونها الذي نشرناه وبحسب ما اقترعناه من تعديله ان تنفق شيئاً من مالها على إنشاء الجرائد ، فهذه الفكرة الجديدة قد ازيلت ثقتنا بالجمعية الا ان يرجعوا عنها .

أما مساعدة الدولة العثمانية بالمال والنفس فهو عمل نشكره لسكل من قام به في الهند وغيرها فمن شاء فليؤلف له جمعية مستقلة ولينشئ له ما شاء من الجرائد بما شاء من اللغات . وأما خدمة السكبة والحرمين الشريفين فيجب ان يكون بمزول عن السياسة وأهلها . وهو عمل تخدمه جميع الجرائد الاسلامية في جميع الاقطار وتنشر لجميته ما شئت من غير أجر فلا يحتاج الى جريدة خاصة .

ان مساعدة الدولة بالمال والنفس وبث فكرة الجامعة الاسلامية بوشك ان تقاومه حكومة تلك البلاد وتبطله وتصادر جريدته ، فاذا كان مذهباً بجمعية خدام السكبة بوشك ان يكون شؤماً عليها وسبباً لنزولها . لاجل هذا نحب ان تكون بمزول عن السياسة . وما دمننا نرى هذا الرأي فالتا تصح لسكل مسلم أن يقاوم هذه الفكرة الجديدة التي عزمت عليها جمعية خدام السكبة ، لتكون جمعية خيرية محضة ، والسلام على من أتبع الهدى ، ورجع الحق والمصلحة على الهوى .

﴿ مفاسد المتفرنجين ، في أمر الاجتماع والدين ﴾

بهاجم الاسلام والمسلمين جيش خارجي من دعاة النصرانية ، وحيش آخر داخلي من دعاة التقاليد الافرنجية . والثاني أنكى من الأول وأضر ، وأدهى وأمر ، لأن جل أفراد من المارقين الذين يهدم المسلمون منهم وما هم منهم ، ويسعون عدوا خارج الدار ، أهون من عدو واحد في الدار . فقد تمر السنون ودعاة النصرانية تسبح أصواتهم من الصباح بالحطب والجدل ولا يقع في شركهم في الفطر الكبير الا واحد أو آحاد يلجئهم الفقر الى ان يكونوا من خرافهم ، لانهم يجحدون من المرعى عندهم مالا يجحدون عند غيرهم . وقد ورد في الحديث « كاد الفقر ان يكون كفرا » وقلما نجد واحدا من هؤلاء الخراف يأنس مرعى له خارج دمنتهم الا ويتفقت منها

وأما هؤلاء المنافقون المتفرنجون فانهم يفتشون المسامين بأنهم منهم ، ينفعهم ما ينفعهم ويضرهم ما يضرهم ، وانهم لنا يدعونهم الى الترفي عما هم عليه الى مدنية أعلى وحضارة أسمى ، وهي ان يكونوا مثل الافرنج في عزهم وروتهم وخرافهم ، ويحسبون اصغر عقولهم ، وقصر نظرهم ، ان ما يفوقنا به الافرنج من الثروة وأسباب القوة ، قد جاءهم من رقص نسائهم مع رجالهم ، ومن اختلاطهم بهم في مجامعهم ومحافلهم ، - أو من عدم مبالاة كثير منهم بالدين ، وان كان الا كثرون يمهضون له ويبذلون له الملايين . - أو من عائلتهم في طعامهم وشرابهم وأزيائهم ، وفسقهم وفجورهم ، واجتماعهم وافتراقهم ، فطافوا بقلوبهم في شر ما عندهم ، ويدعون المسلمين الى تقليدهم في أمثال هذه الظواهر ، على ان منها ما هو من سيئات مدقتهم وقبائحها التي ينكرها عليهم حكماؤهم وعقلاؤهم ، ومنها ما هو مناسب لطبيعة بلادهم وأجياهم دوتها ، ومنها ما لا نفع فيه ولا ضرر لذاته ولكنه يضرنا من حيث هو تقليد لهم يضمف روابطنا القومية ، ومشخصاتنا الاجتماعية ، ويحقر أمتنا في أنفسنا ويعظم أعمهم فيها ، فيكون تمهيدا لقبول سيادتهم علينا بغير امتعاض ، دع ما يتوقف عليه البقاء من الجهاد .

وقد قوي هجوم هؤلاء المتفرنجين في فاتحة هذا العام فكان أشد مما كان عليه في العام الماضي ، فكان شأنهم معنا كشأن دعاة النصرانية سواء . ومنبت هذه الفتن ومطلع رؤوس شياطينها الآستانة ومصر ، وقد اشتركت المدينتان في مسألة الدعوة الى تهتك النساء باسم تحرير المرأة ، وامتازت الآستانة بالغلو في عصبية الجنسية ، وقطع ما امر الله به ان يوصل من الوشائج الدينية ، بمثل كتاب (قوم جديد) و (ترجمة القرآن) بالتركية وغير ذلك .

مسألة تحرير المرأة أو تهتكها

إن الأستاذة ومصر فرنسا وهان في تهتك النساء وفي تجري المتفريجين على ذلك، وقد نشر بعض الشبان في الجرائد المصرية دعوة إلى جمعية تسعى لهتك ما بقي من آثار الحشمة التي يسمونها حجاباً وإبطال ذلك بالفعل، وعقدوا اجتماعاً في إدارة (الجريدة) التي هي لسان حالهم واقنعوا بعض النساء بحضوره حاضرات فوجهن بعض الشبان عليهم طاعتهم وتقبلهم فمنهم آخرون وقد اختلفت الروايات علينا في تفصيل ما كان في هذا الاجتماع فلا يحزم بشيء منه ولا فائدة في شرحه.

قام هؤلاء الشبان بهذه الدعوة في وقت جاءت فيه البرقيات الأوروبية ببيان ضرب من ضرب فضائح اختلاط النساء بالرجال ما كان يذاع مثله من قبل وهو أنه قد اقتضت عدة من العذارى اللواتي يتلقين العلوم العالية في مدارس اللاندية الجامعة هذا وإن اللاندين أشد عناية من المكسونيين - مع اللانسين - في التربية الدينية والصيانة المنزلية. وإن كثيراً من الدعوة إلى تهتك النساء الذي يهرون عنه تحرير المرأة، لا يفتون إلا أن يهدوا السبيل لأنفسهم للتمتع بالحسان من ثيات وابتكار، وقليل منهم يريد الظهور بلباس المصالح المدني وهو عاجز عن كل إصلاح فلا يرى أهون عليه من اللفظ بالكلام في هذه المسألة، لأنه لا يتوقف على علم ولا عمل، فما على الاغظ إلا أن يبرز ما كتب غيره من قبل في قالب جديد، ويزيد عليه من لغو الكلام ما يشاء أن يزيد.

يقول لي أهل الصيانة مالك لا ترد على ما يكتب هؤلاء المفسدون، فتك نطلب، وإياك نرجو، أن كتبت عوارهم، وقلم أنظارهم، وإني أرى أنت الذين قاموا في وجوههم صانحين متبهكين قد كانوا لهم الصاع صاعين أو عدة أصع، وليس عندهم شبهات قوية تحتاج إلى علم واسع وحجج قيمة. بل لا يكاد يفهم مرادهم من كلامهم، ولا أراهم يبينون ما يريدون. فليست المرأة مستعدة فيكون طلبهم تحريرها طلب بحق لها شرعي أو حقلي، وليست محجوبة في مصر حجاباً مانعاً لها من التصرف والرياضة ولا التبرج المذموم أو غير المذموم بل هي قبل ما تشاء. إلا أن القاعدة العامة في نساء الانحاء والوسطين في المدن أنهم لا يحضرون أندية الرجال ومجامعهم العامة، وأما المجالس الخاصة والمحاكم ومحال التجارة فيحضرها كثير منهم. وأنهم لا يخلون بالرجال إلا جانب في البيوت الأشدوداً. فالظاهر أن هؤلاء المتفريجين يطالبون الآن بإبطال هاتين العادتين ذممة واحدة. ولا يشك ذو عقل أن ذلك مما يستشري به الفساد، وتغلق به فوضى الأعراض، وليس له حسنة فهو سيئة من سيئاته، على أن دفع

المفاسد مقدم عقلا وثقلا على جلب المصالح ، وابن هي في مسائلنا .
 إن نساءنا في حاجة الى علم وأدب تتقف بهما عقولهن ، وتصالح بهما عاداتهن ،
 ويقدرن بهما على تدبير المنازل وزرية الاولاد ، ويكون عوناً للرجال على تجديد حياة
 الامة الاجتماعية بقومياتها ومشخصاتها من الدين واللغة والعادات الحسنة . ولا يتم هذا
 الا بتأليف جمعية من أهل البصيرة والرأي تنشي المعارف الداخلية للتعليم القرية والمدنية
 والمدنية بالعمل . وجمعية أخرى للنساء المتعلقات بالمهذبات غير المكتونات بالتفريج في
 إصلاح البيوت الموقت . والمتفرجون لا يطلبون هذا وإنما يريدون ان يتسلخ جميع المدن
 مما بقي من عاداتهن ويقدرن نساء الافرنج في الاختلاط بالرجال غير الحارم في البيوت والجامع
 والأندية والملاعب والملاهي والمتنزهات ، وما يتبع ذلك من العادات في الزي والمعيشة .
 ولو فرضنا ان جميع ما ينسلخن منه بهذه الصفة فيصح أو ضار من بعض الوجوه ،
 وجميع ما يدخلن فيه حسن في ذاته ونافع لاهله ، لما صدنا ذلك عن إنكار هذا
 التحول والاقلاب ، لما يترتب على التغيرات القومية من المفسار وضعف مقومات الامة
 ومشخصاتها ، وتراخي روابطها وانقسام عرى جامعها . وبما هيك به اذا كان هليداً
 لامة أخرى تراها أرقى منها . فكيف اذا كان ما يطلب من نساءنا التحول اليه إما
 فيصح ضار لذاته أو ضار بامتدادون الافرنج

ان الضرر في تفرنج نساءنا أنواع : ديني وسياسي واجتماعي واقتصادي ، ولا يمكن
 شرح هذا في عجلة كهذه . ولكن التفرنج فتنة ، ولكل جديد لمة ، ونحن نرى
 ان ما يطلبه المتفرجون لنساءهم من هنك الحجاب الرقيق الخائل دون تمام التعميم قد يضرهم
 ما ذكرناه من بقايا العادات - قريب غير بعيد - فقد بدأ به بعضهم ولما لم يزلوا
 سريان التقليد فيه . بأن الذين يسافرون بنساءهم الى أوربة يلبس نساءهم ما يلبس
 الافرنج وبأكان مع الرجال ويجلسن معهم في الملاهي والملاعب . ومنهم من
 نساءهم بلباقه أصدقائهم ومجالستهم ومواكبتهم ، يكون هذا بينهم طرادلة زكريا
 لم يرض بعض الشبان لانه تدرج وهم يطلبون العاقرة . ومنهم من يترجم عن
 الهانكين لأحسن ما بقي من عادات نساءهم لرأي وسمع من الفضاضة والفساد
 وتدوينه . وأنا ليحزنا ان نرى هذه المدوى قد سرت الى بعض اربابهم

وجهة القول ان متفرنجي مصر والآستانة يستعملون تعجباً في
 والجمع بينهم وبين الرجال تقليداً للافرنج ، على انه ليس لهم ولا مصلحة في
 وتربيتهم وآدابهم وأخلاقهم المروية بحبل التقليد كبع كبد .

لا معنى بأشد ما نحتاج الى أنواع ، مثل من مزايا الافرنج وفضائلهم لان في تحصيله مشقة ، بل
 معنى بمحاكاةهم في مظاهر الزينة واللذة ، وطائفة أهلكت اللذة والزينة الامم القوية ،
 فكيف يكون فعلها بالامم الضعيفة ؟ ان مسلمي الهند من أشد أهل الارض مبالغة في
 حجب النساء ولم يمنع ذلك الطبقة المصرية منهم ان تكون أرقى من مثلها في الآسنة
 ومهسر . ولكن من كان له هوى في شيء لا يلتفت الى ما يخالف هواه ، وان كان مؤيدا بأقوى
 الحجج وعينا بأوضح الشواهد والامثال . فالمصريون وترك يريدون بالفرنج ان
 يكونوا مثل الافرنج ، هو الذي بيدهم عن ان يكونوا مثله ، بما يجعلهم عالة عليهم ،
 ويذهب بما بقي من استقلالهم السياسي ، لانه منوط باستقلالهم الاجتماعي والخلقي ،
 ان السواد الأعظم من الشعب التركي والشعب المصري يحقت هذا التفرنج ، ولكن
 ليس للسواد الأعظم زعماء يستعملون قوته الممنوية في المحافظة على مقومات الامة
 بعشوائها مع اقتباس ما يقويها من الفنون والصناعات المصرية . وأما المتفرنجون فهم
 على قوتهم يمتزجون بالافرنج أنفسهم ، وناهيك بنفوذهم وسمطانهم ، وكون جل رجال
 الحكومة من سبك معاملهم . ولا حظ لهؤلاء الافرنج الا جعل جميع ممالك الشرق
 مزروع ومناجم لهم ، وأهلها فداة لخدمتهم ، وسوقا لأنواع سلعهم . ولله درهم ! فان
 أرقى ما وصلوا اليه من العقل والعلم هو ما جعلهم يتصرفون في الامم والشعوب كما
 يتصرفون في الحيوان والنبات والجماد

هذا ما أحببت اذكر به الكارهين لهذا الفلو والاستهجال ، بالجمع بين النساء
 والرجال ، وهو لا يغير شيئا من هذه الاحوال ، وانما الذي يمكن ان يغيرها هو العمل
 الذي أشرنا اليه دون سواء .

العصبية الخفية

ان روح التعليم الأوروبي والسياسة الاوربية أحدثت في امم الشرق كلها نزعة جنسية .
 وقد كان المسلمون أبعد الناس عن هذه النزعة فلذلك كانوا ضعافا فيها ، وكان العرب
 أندهم بعدا عنها وضعفا فيها ، ولذلك كتبت في مقالات (العرب وترك) التي نشرتها
 في الآسنة ثم في المنار ان تكوين عصبية جنسية للعرب لا يمكن ان يكون الا من عمل الآسنة
 ان في الترك من غلاة العصبية الجنسية من يعز نظيرهم في غيرهم ، واتفق ان
 كان زعماء جمعية الاتحاد والترقي من هؤلاء الغلاة . فلما صار اليهم أمر الدولة ، اندفعوا
 اندفاعا شديدا في تقوية العصبية التركية ، ومحاولة تترك جميع الشعوب العثمانية ، فهدجوا
 بذلك عصبية هذه الشعوب حتى نجحت قرون الفتن ، وسفكت الدولة دماء غزيرة في

بلاد الارنؤوط وبلاد العرب ، وانتهت سياسة الشدة والقوة بحرب البلقان التي خذلت بها الدولة ، وورث البلقانيون جميع ولاياتها الاوربية الا (ادرنه) فبقيت لها ، وبلاد الارنؤوط قائما استقلت بنفسها . فاضطر الاتحاديون الى سياسة الإدارة وتعزيز الجنسية التركية في نفسها بالمدارس ونشر الكتب والرسائل والصحف ، مع ترك سائر الشعوب العثمانية تخبط بجهلها اذا لم ترض الاصطباغ بالجنسية التركية في مدارس الدولة الرسمية ، والمدارس الاهلية التركية ، التي يجمعون لها الاعانات بنفوذ الدولة والخلافة من العثمانيين ومن مسلمي الممالك الاجنبية

يرى هؤلاء العاملون انه ليس في طريقهم عقبة تحول دون بلوغ المقصد بالسرعة التي يبتغون من وراء هذا العمل الا حاجة الترك الى اللغة العربية لاجل الدين . ويرون ان هذا الدين ولغته مما يميّز تكوين أمة تركية ودولة تركية محضّة على الطراز الافرنجبي الفرنسي ، فاجتهدوا في ازالة هذا المانع بمزيلين (أحدهما) ترجمة القرآن بالتركية ودعوة الترك الى الاستغناء عن القرآن العربي بما سموه القرآن التركي ، واذا استغنوا عن القرآن يستغنوا بالاولى عن غيره من كتب الحديث والتفسير والفقه وسائر العلوم والفنون العربية (الثاني) نشر الكتب والرسائل التي تحمل الجنسية التركية أعلى وأسمى في النفوس من رابطة الدين ثم بدأ لنسخ الثانية بالاولى ، بمؤونة الكتب الكثيرة التي نطعن في الاسلام ككتاب تاريخ الاسلام الذي ألفه أعداء الاسلام من الايطاليين وترجمه الدكتور عبد الله بك جودت بالتركية ، فكان له تأثير شديد عند طلبة المدارس العالية ولاسيما مدرستي الطب والحربية ، الذين لا يكادون يعرفون من الاسلام شيئا وقد نشروا في الآستانة كتابا تركيا اسمه (قوم جديد) كان أنصح معبر عن رأي هؤلاء المتفرنجين من الترك ، ومما جاء فيه الانكار الشديد على وضع اسماء الخلفاء الراشدين وسبطي الرسول (رضوان الله عليهم) في ألواح معاقبة في قباب المساجد التركية مع ان أولئك الرجال من العرب ، قال كتاب ينكر عليهم ذلك ويقول للترك ليس عندكم من الخلفاء والرجال المظام من الترك من هم خير من أولئك العرب . انزعوا هذه الاسماء وضعوا مكانها اسماء عظام الترك مثل طلعت بك وفتح بك وانور بك « صلوات الله عليهم » (؟؟) ويقول إن كل من يساعد رجال الدولة على الاعمال العسكرية يكون أفضل من الائمة المجتهدين ومن شيخ الاولياء المارفين الشيخ عبدالقادر الجيلاني الخ وهذا قليل من كثير ، والامر لله العلي الكبير .

(تنبيه) : سقط في الآية لفظ « في » في ص ١٠٧ السطر السادس فليصلح

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيلهون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المائدة
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

« قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق »

مصر ٣٠ ربيع الأول ١٣٣٢ هـ ق ٥ الشتاء الثالث ١٢٩٢ هـ ش ٢٥ فبراير ١٩١٤

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

انتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسم الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده ومهله (وطبقته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانفا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورماعا قدمناه تاخر السبب كعاجلة الناس الى بيان موضوعه وربما جينا فير مشترك لثقل هذا وان مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صريح لا فقاه

(دعاة البهائية ومجلة البيان المصرية)

(س ٣) من صاحب الامضاء في القاهرة

حضرة العالم الفاضل صاحب المنار الاغر

نشرت مجلة البيان التي تصدر في مصر مقالا عن البهائيين وزعيمهم عباس افندي جاء فيه ما يأتي : - « ذلكم هو مولانا عباس افندي المقلب بعبد البهاء بطل الاصلاح الديني وصيد المصلحين الدينيين ، والمصدر الصحيح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » البهائية هي كمال حي » - « هي الكاؤوليكية الصادقة » . وما دعوتها في الحقيقة الا دعوة اصلاح ورقى للاسلام » - ان انصارها استخرجوا اسمى تعاليم القرآن ففقوها مما علق بها مما ليس من الدين الصحيح في شيء » - « ان نعم الآخرة وهم وخيال » هذا بعض ما جاء في تلك المجلة وما نشره صاحبها المسلم الازهري عقب مقابلته لزعم البهائيين في الاسكندرية

وقد رد على (البيان) الأستاذ صاحب (عكاظ) في عدة مقالات وتبعه كاتب في جريدة الشعب ثم تبعهما جريدة الافكار وكاهم كان يطلب الى صاحب (البيان) تكذيب ما نشره في هذا الموضوع والرجوع الى الحق ، ولكنه كان يقول لهم اني كتبت واكتب عن البهائيين وزعيمهم كما كتبنا عن فولير وسينسر ونيتشه ، وكما كتب الاوريون ويكتبون عن العظماء والفلاسفة والتابعين

فما رأي العالم الجليل صاحب المنار في ما نشره «البيان» في موضوع البهائيين وزعيمهم ؟ وما رأيه في رد عكاظ اولا والشعب والافكار ثانيا ؟ { ف - صحفي قديم }

(ج) ينافي المنار مرارا ان البهائية قد انتحلوا ديناً جديداً في هذا العصر ،

لأن أساس دينهم هو العلم والتجربة ، لا الوحي والنبوة ، وهذا هو الفرق بين البهائية والديانات السابقة

هو أساس الاسلام ، واساس دين البهائية وثني مادي ، وهم يعبدون والد زعيمهم عباس افندي الملقب (بعبدالبهاء) وما هذا الا لقب الاعوان القول بالوهمية البهاء . ولهم شريعة ملفقة من الأديان المختلفة ، وفلسفتها هي عين فلسفة سلفهم من فرق الباطنية ، الذين طاروا الاسلام بالدسائس التي اخترعها لهم جمعيات الجوس السرية ، لافساد أمر المسلمين وازالة ملكهم انتقاما للمجوسية التي ابطلها الاسلام . الا وان مرزا حسين الملقب بالبهاء هو وولده الداهية عباس افندي قد جعلتا دينهما الجديد تنقيحا لما دعا إليه الآب الزئار مرزا محمد علي الذي اشتهر بلقب (الباب) وانما مهد السبيل للدعوة في بلاد الفرس بدعوة الشيخية ، الذين هم أكبر المفسدين في الشيعة الامامية ، وسنشر في المنار شيئا من فلسفتهم الخيالية ، التي انتزعوها من باطل الباطنية ، وزفوها في معرض الاساليب الصوفية .

وحجة القول ان دين البهائية دين مخترع ، اقتراه الباب المحدث ، وتقمحه بيمادي الزمان الباقية عباس افندي . وهو أضمر على الاسلام من كل دين في الأرض ، لان أهله يسلكون في الدعوة اليه مسلك سلفهم الطالح في مخادعة عوام المسلمين وابيائهم أنهم يصالحون لهم دينهم ، واحتجاجهم بالشبهات التي يحرفون بها القرآن والاحاديث بالتأويلات البعيدة ، فهم أكبر فتنة على المسلمين في هذا العصر ولا سيما على الشيعة ، لان القلو في التشيع سلم للباطنية ، ولهذا كان يقول بعض العلماء يقول : انني برافضي كبير اخرج لك منه باطنيا صغيرا ، واثنى باطني كبير اخرج لك زنديقا كبيرا

فن عرف دين البهائية من المسلمين ومدحه واستحسنه وشهد بكونه حقا أو اصلاحا للاسلام ، وكونه هو أو زعيمه معصوما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كانت بذلك مرتدا عن الاسلام ، وان زعم انه مسلم ، فهو زنديق منافق كسائر الباطنية اذا كانوا ضغفاء بين المسلمين فالبهائية كسلفهم من الباطنية يتوسلون بدعوى الاسلام بين المسلمين ليقبل كلامهم في دعوتهم الى باطلهم ونحر يفت معاني القرآن الاستدلال عليها وإبطال ما يفهمه المسلمون منها . فاذا كان صاحب البيان قد قال ما نقله عنه السائل متقدا له فالأمر ظاهر ، وان كان قد كتبه عن جهول بحقيقة القوم فكان الواجب عليه بعد ان نبهته جريئة تكاظم وغيرها ان يرجع الى الحق ويصرح ببطلان دين البهائية وتحذير المسلمين من خداع دعائه (ويسمونه مبالغين) وأما ما ذكره السائل عنه من الاعتذار عن تقديس دين وثني مادي وتقديس داعيته واحد مخترعة - بان مدحه له كمدحه لفواتير - فهو غريب ، فان مدحه لفواتير إن

كان باطلا فهو تأييد للباطل بالباطل ، وان كان يراه حقا ويرى ان ما قاله في عباس
اقتدي ودينه حق أيضا ، يكون قد ارتد عن الاسلام ودخل في دين البهائية . والا
فان من قال حقا وقال باطلا ، لا يكون قوله الحق مرة مذكرا له اذا قال الباطل بعده ،
والذين مدحوا مثل فواتير من كتاب الافرنج كانوا مثله ما رقيت من التصراعية ، فهل
يرضى صاحب البيان ان يكون مدحه لعباس كمدحهم لفواتير ؟ وليس ما نقله السائل
عن البيان قوله مؤرخ بحكي شيئا وقع لارأي له فيه ، حق يقال « ان حاكي الكفر
ليس بكافر » بل ذلك مدح لهذا الدين الجديد وتفضيل له على غيره يتضمن دعوة
المسلمين اليه . فاذا لم يكن هذا مراده فليصرح كتابة براءته من البهائية والتحذير من
كفرهم بالاسلام . على ان فيما نقله السائل عنه ما هو مكفر في نفسه بالاجماع ،
كأنكار حقيقة ائمة الآخرة ، وتسميته وهما وخيالا ، بناء على ان هذا من مذهبهم .
وجملة القول ان من شأن المسلم ان لا ينشر شيئا يمدح كفرا في دينه ، وان لا ينقله عن
غيره مقرا له ومستحسنا . فكيف ينوء بمدح دين جديد يراد به نسخ الاسلام
وابطاله من الارض ويصفه بأنه هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه ؟ وقد قرأنا بعض ما نشر في عكاظ ردا على البيان فرأينا مينا على اساس
الصواب ولم نر ما كتب في جريدة الشعب لانا لانكاذ تقرأها بل قلما نراها - وكذا
جريدة الافكار - والحق ظاهر في نفسه

* *

(البحث في تعدد الزوجات والطلاق والحجاب)

(س ٤) من صاحب الامضاء في مصر

فضيلة الاستاذ العالم العلامة منشى المثار الأغر

بعد الاحترام نرجو من سيادتكم اجابتنا على السؤال الآتي في مناركم الأغر :

هل يعد البحث في تعدد الزوجات والطلاق والحجاب من الوجهة العمرانية

وتبيان اضرارها في الناس من الوجهة الاقتصادية اهانة للدين الاسلامي

عبد الحميد حمدي بشبرا مصر

(ج) حاشا لله ان يعد البحث في هذه المسائل اهانة للدين الاسلامي مطلقا .

بل كثيرا ما يكون البحث فيها كاشفا عن حكم الاسلام وفضائله ، ومبيناً وجه كونه
دين الفطرة الجامع بين مصالح الروح والجسد . ولكن غير المسلم قد يبين الدين

الاسلامي اذا خالف هواه ورأيه بعض أحكامه ، فيتخذ ذلك وسيلة للعطن فيه .
أما المسلم فانه يبحث عن الحقائق مع الادب فان عرضت له شبهة على حكم اسلامي
ثابت يزداد بحثا ليزداد علما ، ولكنه ينسب الفصور الى نفسه لا الى دينه ، ويجعل
هذا قاعدة للبحث ، الى ان يتبين له الحق .

(اسئلة من صاحب الامضاء في (العطف) من ٥ - ١١)

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الاستاذ الأوحد منشىء المنار المنير ، السيد محمد رشيد رضا ، شاد الله به
منار الدين

السلام عليكم ورحمة الله . اما بعد فاني سائل فضيلتكم عن أمور أشكلت علي
مؤملا اسعافني باجوبتها لما اني لا ارى لذلك ممن اعرف اهلا سواكم
(١) لماذا حمل الاستاذ الامام اخذ الكتب في القيامة بالايمن والشمال من
وراء الظهور على اخذها بنشاط وسرور أو بضد ذلك مع إمكان الحمل على الظاهر
الذي تمتنع مخالفته بلا دليل ؟ واستبعاد تصوير وراء الظهر بما صور به لا يوجب
رفض الظاهر فلم لا يقال يأخذ الكافر كتابه بشماله من وراء ظهره حقيقة ، ولا يزداد على
ذلك ؟ ويجعل النشاط والسرور سبباً للأخذ باليمن وضد ذلك سبباً للأخذ بالشمال
من وراء الظهر ؟

(٢) هل يحل التداوي بالخمر اذا ظن نفعها بخبر طيب اخذاً من آية (ما جعل الله
عليكم في الدين من حرج) ومن القاعدة المتفق عليها : الضرورات تبيح المحظورات .
واذا جوزتم فما ترون في حديث « إنها داء وايسر بدواء » أو كما ورد

(٣) هل الخمر نجسة وما دليل نجاستها ان قلتم بها ؟ فاني لم ار دليلاً شافياً بعد
شدة البحث

(٤) ما جواب مجوزي سماع الملاهي عن حديث تحريم سماع المعازف الذي في
البخاري

(٥) ما درجة حديث النهي عن تعليم النساء الكتابة وهل له معارض ؟ وما رأيكم
في هذا التعليم ؟ والحديث المشار اليه ذكره في فتح البيان عن البيهقي والحاكم وابن
مردويه وسكت عليه ، فهل ذكر الحاكم له يفيد صحته

(٦) ما درجة حديث جابر في خلق النور الحمدي قبل الأشياء فقد انكر الشيخ عبد العزيز شاويش صحته مع ذكره في كتب جملة كشرح الهمزية لابن حجر لكن لم أر من صححه بعد شدة بحث في كثير من كتب السنة

(٧) لم شرطتم على المفتي ذكر دليل الحكم للعامة مع ان كثيراً من الادلة يصعب جداً تفهيمه ايها القائل كيف به خرج شديد ؟ واذا وسع العامة أن يثق برواية المفتي فلم لا يسهل أن يثق بأنه اخذ فتواه من دليل صحيح ؟ فاننا اذا نظرنا الى احتمال خطأ العالم في اخذ الحكم أو فتواه بما لا يعلم لزم أن ننظر الى احتمال كذبه في الرواية أو في تفهيم مرويّه ، ولا اخلكم ترابون في صعوبة تفهيم العامة بعض الادلة لعلمكم بان ما اخذ الحكم قد يتركب من حديثين أو احاديث أو من سنة وقرآن ، ويحتاج تقريره الى فطنة والمقام بحماسة علوم

هذه ياسيدي الاستاذ مسائل اشتدت حاجتنا الى معرفة الحق فيها جداً فلجأنا اليكم والامل بتحقيق طلبنا ملء الفؤاد لا يبرحتم عضد الحق

خادم العلم الشريف
م . ز - بالعطف

﴿ أخذ الكتب بالإيمان والشئام ﴾

حمل الاستاذ الامام الآية في سورة الانشقاق على الكناية لانه الاباح الذي يظهر به معنى الوعد والوعيد الذي وردت الآية في سياقه . والكناية لا تنافي الحقيقة ، فيجوز أن يكون المراد هو ما فسر به الآية مع كون الاخذ بالإيمان والشئام محدودة الى ما وراء الظاهر يقع بالفعل . ولكن ارادة الحقيقة وحدها خبر مجرد ليس فيه ما في الكناية من الموعظة و بيان حسن حال من يأخذ كتابه يمينه من قبل وجهه ، وسوء حال من يأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره . وحمل كلام الله على ابلغ الوجوه العربية واظهرها انطباقاً على مقاصد القرآن هو الاولى بل المتعين ، وقد انزل الله القرآن هدى وموعظة وعبرة وذكرى كما هو مبين في عدة آيات . نعم لا يجوز ان يتكلف المفسر في كلام الله تعالى معاني لا يسيغها الاسلوب العربي البليغ للهروب من معنى متبادر لا يوافق فؤقه أو رأيه . وقد عهد في الاستعمال العربي البليغ التعبير باليمين وبالاخذ باليمين عن اليقين والنشاط والعناية ، وبالتعبير بالشئام عن ضد ذلك من الشؤم والكرهية . ويسمى العرب اليد اليمين اليمى ، والشئام الشؤم . وكانوا يمينون بالطير اذا مرت يميناً ويتشاءمون

بها اذا مرت شمالاً . فتقول العرب اخذ فلان كذا يمينه او بشماله ، قلما يريدون الا الكناية ، فهو من الكنايات المشهورة بينهم ، لأن ارادة الحقيقة قلما تكون لها فائدة . واما قول العلماء ان الاصل في الكلام الحقيقة ولا يصار الى المجاز أو الكناية الا بدليل وقرينة ، فلا يريدون به ان كل ما امكن أن يراد به الحقيقة يحمل عليها مطلقاً ، فان من الكلام ما يجزم سامعه عند سماعه انه مجاز أو كناية مع إمكان ارادة المعنى الحقيقي . ثم ان تحديد الحقيقة في كل مواد الكلم والتمييز بينها وبين المجاز والكناية ليس من السهولة بحيث ينال من طرف الثمام ، والعسر انكر بعض النقاد المجاز من اصله وعد الجاهل كثيراً من اجازات حقائق ، وخططت معاجم اللغة الحقيقة بالمجاز ولم يعن بالتريل بينهما الا افراد من الجهابذة كالزنجشري في أساس البلاغة ، وليس هذا المقام بالذي يتسع لبيان ذلك

هو التداوي بالخمر

التداوي بالخمر لمن ظن نفعها شيء . والاضطرار الى شربها شيء آخر . فاما الاضطرار فاما يعرض لبعض الافراد في بعض الاحوال ، وهو يبيح احرم من طعام وشراب بنص قوله تعالى (وقد بين لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه) وبنفي الخمر والعسر وغير ذلك من الادلة . وقد مثل الفقهاء له في شرب الخمر بمن غص بلقمة فكاد يخنق ولم يجد ما يسيغها به سوى الخمر . ومثله من دق من البرد وكاد يهلك ولم يوجد ما يدفع به الهلاك برذاً سوى جرعة أو كوب من خمر ، ومثله أو أولى منه من اصابته نوبة ألم في قلبه كادت تقضي عليه وقد علم أو اخبره الطبيب بانه لا يجد ما يدفع عنه الخطر سوى شرب مقدار معين من الخمر القوية كالنوع الحديث الافرنجي الذي يسمونه (كونياك) فانما نسمع من الاطباء انه يتعين في بعض الاحيان لعلاج ما يعرض من مرض القلب ودفع الخطر وقد ثبت ذلك بالتجربة . وهذا النوع من العلاج لا يكاد يكون شرباً للخمر وانما يؤخذ منه نقط قليلة لا تسكر . واما التداوي المعتاد بالخمر لمن يظن نفعها ولو باخبار الطبيب كتقوية المعدة او الدم ونحو ذلك مما نسمعه من كثير من الناس فهذا هو الذي كان الناس يفعلونه قبل الاسلام ونهى عنه النبي (ص) وخص الحديث الذي اشار اليه اسائل «انه ليس بدواء ونسكنه داء» رواه احمد ومسلم وابوداود والترمذي . وسببه ان طارق بن سويد الجمعي سأل النبي عن الخمر وكان يصنعها فنهاه عنها ، فقال إنما اصنعها للدواء . فقاله . وقوله

«ولكنه داء» هو الحق وعليه اجماع الاطباء ، فان المادة المسكرة من الخمر سم تتولد منه امراض كثيرة يموت بها في كل عام الوف كثيرة ، والسموم قد تدخل في تركيب الادوية ، ولكن الذين يشربون الخمر ولو بقصد التداوي بها لا يلبثون أن يؤثر في اعصابهم سمها ، فتصير مطلوبة عندهم لذاتها ، أي لا مجرد التداوي بها ، فيضربون بسمها ، فلا يغتوب مسلم بأمر احد من الاطباء بالتداوي بها لمثل ما يصفونها له عادة والله الموفق

﴿ نجاسة الخمر ﴾

ذهب جمهور الفقهاء الى نجاسة الخمر ، وروى عن ربيعة شيخ الامام مالك القول بطهارتها ، فاما نجاستها المعنوية فلا شك فيها ، واما النجاسة الحسية فلا تصدق على الخمر لئلا يثبت قذرة والنجس ما كان شديد القذارة ، ولا قام عليها دليل من الكتاب ولا من السنة . وقد شرحنا ذلك في المجلد الرابع من المنار (ص ٥٠٠ و ٨٢١ و ٨٢٦) فليرجع اليه السائل ان شاء . وقد جمعنا الايام بعد كتابة ما كتبناه في ذلك المجلد بجماعة من اكابر علماء الأزهر في قطار خاص من قطارات سكة الحديد كان يحملنا الى بلدة (ديروط) بدعوة قطب باشا قرشي (رحمه الله) للاحتفال بتأسيسه مسجداً ومدرسة فيها ، فدار الكلام بيننا في هذه المسألة ، فقال احد علماء المالكية انه يريد أن يكتب رسالة يثبت فيها نجاسة الخمر بالدليل فتكون رداً على المنار ، قلت له اذا جئت بدليل صحيح يقبله المنار وينشره في الاقطار ، والا رد عليك ما تكتب ، ويمكنك أن تذكر الآن ما عندك من الدليل ، قال «الاجماع» قلت لم ينقله احد بل نقلوا عن الامام ربيعة التصريح بطهارتها ، قال «آية المائدة» قلت : إن لفظ «رجس» محمول فيها على الخمر والميسر والانصاب والازلام ، ولم يقل احد من من المسلمين بنجاسة الميسر والانصاب والازلام ، فتعين ان يكون الرجس هو المستفح عقلاً وشرعاً لضرره ، والرجس يكون حسياً وهو ما يدرك باحد الحواس ، ويكون معنوياً وهو ما يعرف بالعقل والشرع مجتمعين أو منفردين ، قال تعالى (ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) وقال (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم) وقال (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) ولا يمكن ارادة النجاسة الحسية بشيء من ذلك . . . ولما لم يستطع الاستاذ المالكي أن يقدم دليلاً ، سأل احد الحاضرين مفتي الديار المصرية - وكان يسمع المناظرة - عن رأيه في المسألة . فقال

الفتي : ما مذهب الأستاذ ؟ يعني كاتب هذا - قيل له شافعي . فقال لي : ما المذهب
عند الشافعية في المسألة ؟ قلت المذهب ان الخمر نجسة . قال انتهى الامر . قلت
لا ، اننا نبحث في الدليل على نجاسة الخمر لا في نص المذهب . فان كان لديك دليل
فأذكره لنا . فلم يأت بشيء . ثم سكنت الشيوخ وسكتنا .

﴿ سماع المأزف ﴾

قد شرحتنا في الجزئين الأول والثاني من المجلد التاسع هذه المسألة فذكرنا أدلة
بحوزي السماع وأدلة حظريه . وأقوى أدلة الحظرين حديث البخاري الذي أشار
إليه السائل . إذ لم يصح في الباب سواء . بل قال ابن حزم : لا يصح
في الباب حديث أبدا وكل ما فيه موضوع . وبيننا أجوبة المجوزين عن هذا
الحديث (منها) انه منقطع الإسناد فيما بين البخاري (ومنها) ان في اسناده صدقة
ابن خالد وقد قال فيه يحيى بن معين انه ليس بشيء ، والامام احمد انه ليس بمستقيم
(ومنها) انه مضطرب المتن والسند بما بيناه هنالك (ومنها) ان كلمة المأزف التي هي
محل الاستدلال ليست عند أبي داود . (ومنها) ان انظاره يستحلون ليست نصا في
التحریم فقد ذكر القاضي ابو بكر بن العربي لها معنيين أحدهما ان المعنى : يعتقدون
ان ذلك حلال . والثاني ان يكون مجازا عن الاسترسال والاكتار من ذلك (ومنها)
ان لفظة المأزف مختلف في مدلولها والاختلاف يوجب الاحتمال المسقط للاستدلال
(ومنها) ان المأزف المنصوص عليها فيه هي ما كانت مقترنة بشرب الخمر كما استفاد
من بعض روايات الحديث (ومنها) ان المراد بالحديث يستحلون مجموع ما ذكر فيه
لا كل واحد منها . وحينئذ يستنون المأزف بدليل كون الدف والفناء منها جمعا
بين الأدلة ، إذ ثبت في الأحاديث المتفق عليها سماع النبي (ص) واجازته لهما .
وإذا أراد السائل أن يقف على تفصيل هذه الوجوه والأجوبة عنها وما يخص ما قاله
المجوزون والمحرمون في المسألة فليرجع الى المجلد التاسع من المأزف .

والذي ظهر لي من مجموع ما ورد في هذا الباب ومن كلام العلماء المختلفين في
المسألة ان سماع الفناء وآلات اللهو ليست محرمة لذاتها مطلقا ، ولكن الاكثار منها مكروه
ولو لم تبعث على معصية ، فإذا كانت مشربة بالفسق كما يقع كثيرا حرمت لشد الذريعة .
ولما كثر اللهو والفسق من المفتونين بالمأزف وصارت أغانيهم كلها غرامية خلافا لما
كان عليه الناس في القرون الاولى وصارت بذلك من دواعي السكر والعشق تؤدي
للفسق . اكثر علماء الدين من ذمها والتفريق منها والجزم بتحريمها - كما حرموا

أبداه المرأة لما ظهر من زينتها وكشف وجهها وكفيتها خوف الفتنة، حتى منهموا النساء الصلاة في المساجد. وقالوا مثل ذلك في الأصرد الجليل الصورة. وحديث البخاري أي المسئول عنه أخبار بالغيب عن حال هؤلاء الفساق، فلم يجد عن الفهم من قال أنه في تقييع حال هؤلاء الفساق في جهنة أفعالهم. فرواية البخاري «ليكون من أمي قوم يستعملون الحر (٤) والحرير والخمر والمعازف» ورواية بعض السنن «ليشربن ناس من أمي الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات» وفي لفظ «روح عليهم القيان وتعدو بالمعازف» فالحديث مروي بالمعنى ولذلك اختلفت ألفاظه. ولا شك أن ما يؤخذ من تعدد ألفاظه يدل على استقبح النبي (ص) لمجموع فعل هؤلاء الفساق، ومنه عزف المغنيات لهم على شرهم وفسقهم. فهو مثل حديث «صنفان من أهل النار لم أرهما بعد: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مائلات عيالات، على رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ربهن» وإن ربحها ليوحد من مسيرة كذا وكذا» رواه أحمد ومسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة. فأما الرجال الذين يضربون الناس بسياط كأذناب البقر فهم أعوان الحكام الذين ابتدعوا السياط التي تسمى الكرابيج وصاروا يعذبون الناس بها. وأما النساء الموصوفات بما ذكر فهن مشاهدات في زماننا. ولم يفهم المراد من وصفهن بما ذكر كثير من العلماء قبل وجودهن. وانت ترى من وصفهن أنهن يضمن على رؤوسهن شيئاً مرتفعاً شبه سنام البخت من الابل. وهذا يحد ذاته مباح بالاجماع، ولكنه مع سائر تلك المنهات يمثل حال طائفة من الفواسق الفوانئ اللواتي يضلن كثيراً من الناس.

﴿تعليم النساء الكتابة﴾

لم يصح في النهي عن تعليم النساء الكتابة شيء. وليس كل ما يرويه الحاكم صحيحاً بل صحيح في مستدرک على الصحيحين أحاديث جزموا بأن بعضها ضعيف وبعضها موضوع. ومنها هذا الحديث الذي يشير إليه السائل «لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة» رواه في المستدرک من طريق عبد الوهاب بن الضحاک عن عائشة، وشيء كذاب كما قال أبو حاتم، مثله كما قال النسائي، تذكر الحديث كما قال الدارقطني وقال الحافظ بن حجر في الأطراف بعد ذكر صحيح الحاكم: بل عبد (٤) الحر بالكسر الترج والمراء الزنا، وفي لفظ الحر عبيد. وهو نوع من الديباج وهذا من الاضطراب في متن الحديث.

الوهاب متروك، وقد تابعه محمد بن ابراهيم الشامي عن شعيب بن اسحق ، و ابراهيم وماء ابن حبان بالوضع . وان حبان هو الذي روى حديثه هذا في كتاب الضعفاء ، وقال الدارقطني فيه : كذاب . واخرج ابن حبان في الضعفاء أيضاً عن ابن عباس مرفوعاً « لا تعلموا نساءكم الكتابة » وفي سننه جعفر بن نصر وهو منهم بالكذب كما قال الذهبي . وهذه الروايات الواهية او الموضوعية مما روضة بروايات صحيحة في مشروعية تعليم النساء الكتابة . منها حديث الشفاء التي علمت حفصة أم المؤمنين الكتابة ، وقال لها النبي (ص) مرة مازحاً « ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة » رواه احمد وابو داود بسند رجاله رجال الصحيح ، الا ابراهيم بن مهدي البغدادي المصيصي وهو ثقة كما قال ابن القيم ، ورواه النسائي والحاكم وصححه ، وغيرهم . وقد صرح كثير من العلماء بأن حديث الشفاء يدل على جواز تعليم وتعلم النساء الكتابة ، وفي الأدب المفرد للبخاري ان عائشة بنت طلحة كانت في حجر عائشة أم المؤمنين تكتب الرجال . كانوا يكتبون اليها من الامصار ويهدونها لمكانها من أم المؤمنين فناصرها أم المؤمنين بأن نجيبهم على كتبهم وتيسرهم على هداياهم . وعلى هذا جرى المسلمون فكان فيهم كثير من الكتاتيب الملمات بالحديث والأدب والفتن . وهن يدخلن في عموم خطاب الشرع في جميع احكامه الا ما خصص . ومن مقاصد الشرع اخراج الامة من الانية وتعليمها الكتاب والحكمة كما هو منصوص في كتاب الله تعالى

حديث جابر في أول الخلق

نجدون الكلام على هذا الحديث وما في مفناه من كون نبينا (ص) كان نبياً وآدم بين الماء والطين وغيره في ص ٨٦٥-٨٦٩ من مجلد المنار الثامن . ولا عبرة بكلام مثل الشيخ عبد العزيز جويش في انكار حديث ولا في اثباته فانه ليس من علم الحديث في شيء ، وهو جريء على القول في الدين بالهوى والرأي حتى انه انكر بعض احاديث الصحيحين بغير علم ، فهو ينكر ما لا يوافق عقله ورأيه

ذكر المفتي للدليل

لنكم ذكرتم في السؤال عبارتنا التي استبطنتم السؤال منها فاتنا لا تذكر مسألة الشرطية ولا تذكرها ، وانما نذكر اننا كتبنا مراراً انه ينبغي للمعلم والمفتي في الدين أن يبين للناس نصوص الكتاب والسنة في المسائل ايمرفوا اصل دينهم ، ومن اين أخذ الحكم الذي لقنوه أو أفتوا به . وهذا هو الواجب الذي أخذ على اهل الكتاب المهد أن يبينوه

للناس ولا يكتسوه ، فإذا تعمس أو تمذر على بعضهم فهم الآية أو الحديث بعد بيانه بقدر الاستطاعة خرج المفتي من تبهة الكتمان . وأما المسائل التي لا نص فيها بينها ويتعذر على السائل فهم مأخذها ، كبعض مسائل المواريث التي يدخلها العول مثلا ، فلا بأس ببيان الحكم فيها بدون ذكر مأخذها . وأما تعويد الناس اخذ مسائل الدين بدون وصلها بأصلها من الكتاب والسنة فهو قطع لحبل الله ورسوله بين المؤمنين ، وهو الذي فتح للباطنية وغيرهم من المضالين ، باب اضلال المسلمين . إذ صارت العامة تقبل كل ما يقال لها انه من الدين . — فهذا سبب ما رأيتوه وسميتوه اشتراطاً ، ولولا ضيق الوقت لراجعنا ما تشيرون اليه من مظانه واجبتا عنه بمبته ، والخطب سهل ان شاء الله تعالى .

باب الانتقاد على المنار

قد عباد في المنار ، والمناظرات بين دعاة النصرانية وعلماء الاسلام ، ارسل الينا طاهر افندي التبر من بيروت نبذتين في الرد على دعاة النصرانية الذين فتح لهم الدستور باب الجراءة على توزيع رسائل الطعن في الاسلام في سورية حتى قاربوا ان يجهروا فيها كما يجهرون في مصر ، وقد رأينا في كل من النبذتين شذوذا في التعبير فحذفنا ونقحنا وتصرفنا في العبارة بحذف بعض المعاني الشعرية التي تؤثر تأثيرا رديئا بلا فائدة . وقد ظهر لنا بعد ذلك انه بقي في الكلام ما ينتقد على الكاتب ، وكذا على الناصر ، لانه يؤلم القارئ من النصاري ، اذ كاشفنا بعض اصدقاتنا السوريين بما أنقذوه ، وقالوا ان مثل هذا لا يعهد من المنار ، فهو يرد على المبشرين من سنين طويلة ولم تنتقد عليه كلمة واحدة تعد جارحة أو بعيدة عن الأدب ، ثم انه قد عرف بأنه داعية وفاق ومودة ، فلا ينبغي له ان ينشر لمن لا يراعون مشربه هذا ما ينافيه . فرأينا ان نكتب كلمات في هذا الموضوع تحيل اللبس ، وتكون هي القول الفصل ، وهي :

(١) انا نحمد الله تعالى ان جعلنا من دعاة الوفاق والمودة ، ومن محبي الأدب والبراهمة ، وانه ليسرنا ويحزننا ان تقع في سهر أو غلط يناني ذلك وبعارضه ، واذا عثرنا سارع الى التوبة والندم ، وتلافى ما يمكن تلافيه بما تحمله الطاقة ، وتنااله الاستطاعة .

(٢) ان المنار لا يشترك فيه النصاري كما يشترك المسلمون في محهم الدينية . دع السياسية التي تسمى عامة . فلا يوجد في مشتركه عشرة نفر من النصاري ، لا أجل هذا لا نخطر في بالنا عند كتابة كل شيء أو نشره ان نراعي فيه موقفه من نفوسهم ، وتأثيره فيهم ، والأدب مطلوب عندنا لذاته . وانما يطاع عليه عند قليل من اهل العلم والأدب كالحجاب الصحيح التي يادها المنار ، وهؤلاء من الامم والاحزاب المحدودين

الواسعة ، فاذا هم استنكروا شيئا لا يذيعونه في جمهور قومهم ، ونتيجة هذا أن ما ينشره المنار لا تأثير له في عامة النصارى حتى يقال ان المجلات كالجرائد يجب ان يراعى فيها شعور جميع الملل التي تقيم في الوطن التي تصدر فيه او تنطق باللغة التي تكتب بها . فهو اذا من كتب الاسلام الدينية ، فلا وجه لمطالبتنا بأن نراعى شعورهم فيه ، ولا لدعوى ان ما ينشر مخالفا لعقائدهم او ردا عليها يوجب التفرقة والعداوة .

(٣) إن دعاة النصرانية هم المعتدون على المسلمين بالظعن في دينهم بما ينشرون من الكتب والرسائل والصحف ، وما يعتقدون من الجامع لدعوة المسلمين الى دينهم وفي مدارسهم ومستشفياتهم ، فصار من الواجب علينا شرعا أن ندافع عن ديننا ، وننفر عوامنا عن قبول دعوتهم . فالفرق بيننا وبينهم انهم مهاجمون ونحن مدافعون ، وانهم يكتبون مطاعنهم لينشروها في المسلمين ، كما يشنون مطاعنهم القولية فيهم ، ونحن لا ننشر مطاعنا بين النصارى ولا نشافهم بها ، ولا يكاد يطلع عليها الا عدد قليل من محبي الوقوف على الشؤون العامة . فمن ينتقد ما نكتبه بدعوى انه يوجب العداوة والتفرقة بين عامة الفريقين مخطيء ، وانما يكون مصيبا اذا قال ذلك فيما يكتبه اهل ملته ودينه ، لانهم ينشرونه بين المسلمين فينفرونهم من النصارى ، ولا يغفل عن هذا او يتغافل عنه الا العالي في التعصب .

(٤) قال بعض احبابنا إن الطاعنين في الاسلام من النصارى كلهم من الاجانب كالامريكان والافرنكيين لا من ابناء وطننا ، فلا ينبغي ان نسيء الى ابناء وطننا بردنا عليهم . ونقول (اولاً) أن هذا القول غير صحيح ، فكتاب (الضلالة) المسمى بضد اسمه تأليف رجل من متعصبى القبط وهو اقدر هذه الكتب وأقلها أدبا في الظن في نبينا صلى الله عليه وسلم ، وكتاب اجاث المجتهدين مؤلفه سوري ، بل اقول ان اكثر تلك الكتب والرسائل والصحف الطاعنة في الاسلام يكتبها اجراء المبشرين من الوطنيين او يترجمونها اذا لا يكاد يوجد في أولئك الاجانب من يحسن الكتابة العربية ، وانما ينشرها الاجانب لان لديهم أموالا كثيرة مرصدة لذلك من اهل بلادهم الذين يقول لنا ابناء وطننا انهم هم البراء من التعصب الدينى دون اهل الشرق . ولأن لهم من الامتيازات والنفوذ السياسى ما يحكمهم من سلطة الحكومة . ونحن نرى جمهور الوطنيين من ذنب أولئك الاجراء ولا نعدده مانعا من الاتفاق بيننا وبينهم (وثانياً) اذا فرضنا ان هذا العدوان من الاجانب خاصة ، فهل من العدل ان يطالبنا نصارى بلادنا بأن لا نرد عليهم ، ولا نحذر عوامنا ونحول بينهم وبين افسادهم لعقائدهم ، لان دفاعنا عن ديننا يجرح عواطفهم الدينية ؟ ؟ أليس منتهى التعصب والسعي للعداوة والتفرقة ان تطالب ابن وطناك بأن يترك الدفاع عن دينه ، وتعلم اهله ما يصورهم عن الارتداد عنه ، أو عن فساد العقيدة الذي قلما تتيج دعوة المبشرين

غيره، وأن يرضى بأن يكذب قرآنه ويشتم رسوله، إكراماً لحاظرك، ومراعاة لعواطفك؟

(٥) ان القاعدة الصحيحة المعقولة للاتفاق هي قاعدة المنار الذهبية التي دعا إليها المختلفين في المذاهب والاجناس من المسلمين، والمختلفين في الأديان والاجناس من العثمانيين . وهي « نتعاون على ما نشترك فيه . » ويعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف فيه » وقد شرحناها غير مرة ولكن كثيراً من الناس لا يحبون الوفاق ، ومنهم أعوان المبشرين من الوطنيين ، وبعض الكتاب والصحافيين ، كالشيخ يوسف الخازن من نصارى السوريين، الذي وضع قاعدة للخلاف، ضد القاعدة التي وضعها للوفاق ، وصرح بها في ملأ من أدباء نصارى السوريين كنت أكلهم في وجوب السعي الى الوفاق والوحدة . فسخر من هذه الدعوة ، وقال : اذا كان الخلاف بين مسلم ونصراني فأننا مع النصراني على المسلم كيفما كان - أي في الحق والباطل ، واذا كان بين كاثوليكي وغير كاثوليكي فأننا مع الكاثوليكي مطلقاً ، واذا كان بين كاثوليكي ماروني وكاثوليكي غير ماروني فأننا مع الماروني مطلقاً قال وكل الناس كذلك . فمثل هذا لا يذر المسلمين في كلمة يخالفون فيها نصارى ولا يقولهم ولو في كتبهم وصحفهم الخاصة بهم اننا على الحق والطاعن في ديننا على الباطل . ولذلك اقام النكير على المنار مرة لأنه ذكر اسم المبشرين في سياق الكلام على ما افند بلادنا من سعي فساق الافرنج كواخير البغاء وحانات الخمر وبيوت القمار . ونحن نرى المبشرين اشد إفساداً في بلادنا من غيرهم لان صاحب الحانة يحمل المسلم او يساعده على مخالفة الاسلام في امر واحد وهو السكر ، والمبشر يحمله على ترك دينه كله ، وزد على ذلك ان المبشرين هم الذين يوقدون نار العداوة بين المسلمين والنصارى ويفسدون المسلمين انفسهم بتشكيكهم في الدين الذي هو اساس الفضيلة والتقوى والوحدة والاتفاق . فمثل الشيخ يوسف الخازن من متعصبى نصارى السوريين ، وبعض اصحاب الجرائد من متعصبى القبط ، اشد سعيًا في التفريق بين المسلمين والنصارى من المبشرين الاجانب ، لانهم يحثون عن كلمة يقولها مسلم في الدفاع عن دينه فيجذبونها عن سببها والحامل عليها من الأعذار وينزفونها الى قومهم في صورة مشوهة وإضافات باطلة . وما بلغ المسكروه الا من نقل

(٤) ان مجالنا في الرد على النصارى ادسيق من مجالهم لاننا نؤمن بنبيهم المسيح ونعظمه ونعظم حواريه ، ونعد الطعن فيه كفراً وردة عن الاسلام (لا نفرق بين احد من رسله) وهم يطعنون بلا قيد ولا حد . فقاية ما يمكن ان يكتبه المسلم هو النقل من كتبهم الدينية او كتب احرار الاوربيين بشرط اظهار البراءة من كل مالا يليق بكرامة المسيح او غيره من انبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، والتصريح بأن نقل ما ذكر من باب (ناقل الكفر ليس بكافر) وانا لا احب لنفسي سلوك هذه الطريقة . وهي التي اضطر اليها بعض من كتب في المنار ، وكتابة التنبيه من

هذا الباب، واني حبا في النزاهة والادب، وكراهة للشعريات في المناظرة والجدل، عملا بقوله تعالى (ولا تجادلوا اهل الكتاب الابلتي هي احسن) قد تفحنتها ، فاذا كان قد بقي فيها كلمة شاذة ككلمة الثالث الزنائي في سياق قصة ولادة سليمان عليه السلام ، فانما ذلك من السهو الذي يظهر بما نبين من سببه ، وهو ان الكاتب جعل عنوان مقاله (الثالث الزنائي المقدس) وصدر الكلام في كل قصة من القصص الثلاث التي نقلها من التوراة بقوله (الاقنوم الاول من الثالث الزنائي المقدس) الخ وكان يختتمها بمثل هذه الكلمة ، ويكررها في أثناء العبارة ، فرجنا (شطبنا) كل هذه الكلمات لان فيها امتهاانا لاصطلاحات محترمة ، وغرضنا من تحذير عوام المسلمين من الاستجابة للمبشرين لا يتوقف على ذلك ، ولا هو مما يرضاه آدابنا ، وجعلنا مكان كلمة الاقنوم كلمة الجد ، وحذفنا لفظ الثالث من العناوين ومن تضاعف الكلام ، واتفق اننا لم نقرأ تلك الاوراق في وقت واحد لكثرة الشواغل وضيق وقتنا عنها ، ولذلك جعلنا في القصة الثالثة لفظ (الشاهد) بدل (الجر) وبقي في آخرها كلمة « الثالث الزنائي » على اني اذكر جيدا اني حذفته هذه العبارة التي كانت في العنوان الاول وتكررت في الكلام . فلا أدري اكان ترميجها (شطبها) غير ظاهر فجمعت حروفها ، ام كنت قد نسيتهما لاني قرأت تلك الورقة التي هي فيها وحدها . ولهذا قلت فيها الشاهد الثالث بدل الجد الثالث . وقد ظهر بهذا الذي شرحته ان هذه الكلمة قد بقيت في المقالة كالعضو الأثري . وان اللام فيها لام العهد الذكري . اي الثالث الذي تقدم ذكره . واني لما ذكرت لي ما صدقت حتى راجعت ورأيتها بعيني . وقد امتعضت امتعاضا شديدا ظهر علي وسئلت عن سببه . فان من خلقي وغريزي أن اتألم مما يقع مني مخالفا لمشرعي ورأيي ، ولو سهوا او نسيانا . ولا أبالي بما ينتقده الناس اذا كنت اعتقد انه حق وصواب وغير خارج عن حدود الآداب . ومثل هذا الغلط والسهو يقع كثيرا وفي هذا الجزء من المنار غلط في آية من القرآن غفلنا عنها . لاجل هذا قلت لمن نبهني ولغيره : اني أحب ان أتلافى هذا الخطأ بما يرضى المتألمين ، منه وادع لاهل الانصاف من النصاري اقتراح ما يرونه ويرضونه من اعتذار او انتقاد لما كتب ، او حذف الكراسة من المنار وطبع كراسة بدلها خالية من كل كلمة جارحة . وانما اقبل في هذا قول المعتدلين البراء من التعصب كاسكندر بك عمون وسامي افندي الجريديني من فضلاء المحامين السوريين . على ان هذه الكتابة يصح ان تعد ترضية للمنصفين ودليلا على اننا لم ننشر تلك العبارة عمدا . واما المتعصبون فلا يرضيهم منا الاخر ورجنا من ديننا . فلا زالوا ساخطين وقد سعوا مع بعض المبشرين من قبل لاقتناع الوكالة البريطانية بالغاء المنار ومنع اصداره ظنا منهم بان الجوى يخلو لهم ولاغيرهم من اعداء الاسلام فلا يتجرأ احد على الرد عليهم .

(٧) ان سبب نشر هذه المقالة والمعنى الذي اردنا ان يفهمه المسلمون منها هو ان

إيماننا بالمسيح والانبيااء أصبح من إيمان المبشرين، وتكرينا لهم خير من تكريمهم، فهم قد جمعوا فيما قالوه في المسيح عليه السلام بين الضدين فأطروه حتى اتخذوه رباً وإلهاً، وتقلوا في نسبه لأمه وأبيه الناموسي (لا الحقيقي) انه من نسل سليمان بن داود من سبط يهوذا وقد ثبت في العهد العتيق عندهم (لا عندنا) ان بعض أجداده في هذا النسب (الذي سرده متى ولوقا في انجيليهما) من اولاد الزنا. وثبت عن مقدسهم بولس أنه صار لعنة لأجلهم. ونحن المسلمين نقول انه عليه السلام اهل لكل كرامة وفضيلة، وانه من روح الله وآية منه، ولكن ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله. ونقول انه طاهر من نسب طاهر، فنحن نقول ما نقلنا عن العهدين العتيق والجديد مما لا يسهم إنكاره، لأقامة الحججة عليهم، وإعلاماً لعامة اهل ديننا بأننا لسنا في حاجة الى من يدعونا الى الايمان به عليه السلام، بل نحن أحق بأن ندعوا هؤلاء الدعاة الى تبرئته من اللعنة ومن دنس النسب، كما نرى سائر الانبياء عليهم السلام كما لا يليق بهم، ونحشو التراب في فم من يزعم اننا نقول كلمة فيهم تشعر بنقصهم. قال ابو بصيري رحمه الله في لاميته

وأبيك ما أعطى بهوذا خاتماً لزنا بمحصنة ولا منديلاً

لو تروا بغير الحق السنة بما قالوه في ليا وفي راحيلاً

ودعوا سليمان النبي بكافر واستهونوا افكا عليه مقولاً

﴿ ٨ - صفة الكلام وفصل الخطاب ﴾

ان المسلمين مدافعون لا معتدون، وهذا الدفاع فرض ديني عليهم، والمنار الذي يرد عليهم يوزع على المسلمين أيضاً ليحذروهم من الارتداد عن دينهم أو يحول دون شكهم فيه، والمشترون فيه من غير المسلمين يعدون على اصابع اليد، فما يكتبون يثير سخط الرأي العام الاسلامي، ولذلك طفق المسلمون يؤلفون الجمعيات في مصر لمقاومتهم وما يكتبه المسلمون على كونه دفاعاً لا يكاد يشعر العالم النصراني لانه يوزع على المسلمين دونهم، الا اذا بحث عنه بعض المتعصبين من اصحاب الصحف او غيرهم. والمعلول يدوم بدوام علته. فنحن لا نترك الرد عليهم ما داموا يدعونا الى دينهم قولاً وكتابة ويتعرضون في خطبهم وكتبهم وصحفهم لديننا، فان تركوا تركنا، واذا استمروا استمررنا، ونلتزم الادب في العبارات بقدر فهمنا واجتهادنا، فمن كان ساعياً في منع ذلك باخلاص وحب للوفاق فليبدأ بأسكات المبشرين عن ذكر كتابنا وديننا واصول ديننا وفروعه، ويبقى لهم مجال واسع في الدعوة الى دينهم بذكر محاسنه وما عندهم من الدلائل عليه، ومن لم يرضه منا الا ان نكت لهم عن الطعن في ديننا والتنفير عنه والتجريف انصوصه فلا زال ساخطاً غاضباً حاقداً - الى ما شاء من لوازم تعصبه. ولعل سوء تأثير هؤلاء المبشرين سيضطر الحكومة والمعتنئين الى وضع حد لهذا الامر إما بقانون أو بغير قانون، ولا نظن أن الانكار يجبرونا على السكوت ويدعونهم يبعثون كما يريدون

فصل

فحينئذ يطالع منه على (المشهد الثاني عشر)

وهو مشهد الذل والانكسار ، وانخضوع والافتقار للرب جل جلاله ، فيشهد في كل ذرة من ذراته الباطنة والظاهرة ضرورة تامة وافتقارا تاما الى ربه ووليه ، ومن يده صلاحه وفلاحه وهداه وسعادته ، وهذه الحال التي تحصل لقلبه لا تنال العبارة حقيقتها ، وانما تدرك بالحصول ، فيحصل فيه كسرة خاصة لا يشبهها شيء ، بحيث يرى نفسه كالاناء المرضوض تحت الارجل الذي لا شيء فيه ، ولا به ولا منه ، ولا فيه منفعة ، ولا يرغب في مثله ، وانه لا يصلح للارتفاع الا بجبر جديد من صانعه وقيمه ، فحينئذ يستكثر في هذا المشهد ما من ربه اليه من الخير ، ويرى انه لا يستحق قليلا منه ولا كثيرا ، فأني خبر ناله من الله استكثره على نفسه ، وعلم أن قدره دونه ، وأن رحمة ربه اقتضت ذكره به وسياقته اليه ، واستقل ما من نفسه من الطاعات لر به ، ورأها واو ساوت طاعات الثقلين من أقل ما ينبغي لر به عليه ، واستكثر قليل معاصيه وذنوبه ، فان الكسرة التي حصلت لقلبه أوجبت له هذا كله ، فما أقرب الجبر من هذا القلب المكسور ! وما أدنى النصر والرحمة والرزق منه ! وما أنعم هذا المشهد له وأجدها عليه ! وذرة من هذا ونفس منه أحب الى الله من طاعات أمثال الجبال من المدائين المعجيين بأعمالهم وعلومهم وأحوالهم وأحب القلوب الى الله سبحانه قلب قد تمكنت منه هذه الكسرة ، وملكته هذه الذلة ، فهو ناكس الرأس بين يدي ربه لا يرفع رأسه اليه حياء وخجلا من الله . قيل لبعض العارفين : أيسجد القلب ؟ قال : نعم يسجد سجدة لا يرفع رأسه منها الى يوم اللقاء . فهذا سجود القلب ، فقلب لا تباشره هذه الكسرة فهو غير ساجد السجود المراد منه . واذا سجد القلب لله هذه السجدة العظمى سجدت معه جميع الجوارح ، وغنا الوجه حينئذ للحي القيوم ، وخشم الصوت والجوارح كلها ، وذل العبد وخشم واستكان ، ووضع خده على عتبة العبودية ،

(*) تابع لما نشر في ص ١١٣ من المجلد السابع عشر

ناظرا بقلبه الى ربه ووليه نظر الذليل الى العزيز الرحيم ، فلا يرى الا متعلقا لربه خاضعا له ، ذليلا مستعطفا له ، يسأله عطفه ورحمته ، فهو يرضى ربه كما يرضى المحب الكامل المحبة محبوبه المالك له ، الذي لا غنى له عنه ، ولا بد له منه ، فليس له هم غير استرضائه واستعطافه ، لانه لا حياة له ولا فلاح الا في قرب به ورضاه عنه ، ومحبتة له ، يقول : كيف أغضب من حياتي في رضاه ؟ وكيف أعدل عن معادتي وفلاحي وفوزي في قرب به ورحبه وذكره ؟

وصاحب هذا المشهد يشهد نفسه كرجل كان في كنف أبيه يغذوه بأطيب الطعام والشراب واللباس ، ويربيه أحسن التربية ، ويرقيه في درجات الكمال أتم ترقية ، وهو القيم بمصالحه كلها ، فبمشة أبوه في حاجة له فخرج عليه في طريقه عدوه فأمره وكتمه وشده وثاقا ، ثم ذهب به الى بلاد الأعداء فسامه سوء العذاب ، وعاهله بضد ما يكون أبوه يعاهله به ، فهو يتذكر تربية والده وإحسانه اليه الفينة بعد الفينة ، فيبج من قلبه لواعج الحسرات كلما رأى حاله ، وتذكر ما كانت عليه ، وكل ما كان فيه . فبينما هو في أمر عدوه يسوءه سوء العذاب ، ويريد نحره في آخر الامر ، اذ حانت منه التفانة الى نحو ديار أبيه ، فرأى أباه منه قريبا ، فسعى اليه ، وألقى نفسه عليه بين يديه ، يستغيث يا أبتاه يا أبتاه ! أنظر الى ولدك وما هو فيه ، ودموعه تسبق على خديه قد اعتنقه والزمه ، وعدوه في طلبه ، حتى وقف على رأسه وهو ملتزم لوالده ممسك له . قبل تقول ان والده يسلمه مع هذه الحال الى عدوه ويخلي بينه وبينه ؟ فما الظن بمن هو أرحم بعبد من الوالد بولده ، ومن الوالدة بولدها ؟ اذ فر اليه ، وهرب من عدوه اليه ، وألقى نفسه طريحا ببابه ، مرغ خده في ثرى أعتابه ، با كيا بين يديه يقول : يارب ! يارب ! ارحم من لا ورحم له سواك ، ولا ناصر له سواك ، ولا مؤوي له سواك ، ولا مغيث له سواك ، مسكينك وقبيرك وسائلك ومؤملك ومرجيك ، لا ملجأ له ولا منجا له منك الا اليك ، أنت معاذه ، وبك ملاذه

يا من ألوذ به فيما أومله ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهبطون عظما أنت جابره

(فصل)

فاذا استبحر في هذا المشهد ، وتمكن من قلبه ، وباشره وذاق طعمه وحلاوته ، ترقى منه الى (المشهد الثالث عشر) وهو الغاية التي شمر اليها السالكون ، وامها انقادون ، ولحظ اليها العاملون

وهو مشهد العبودية والمحبة والشوق الى لقائه والايتهاج به ، والفرح والسرور به ، فتشقر به عينه ، ويسكن اليه قلبه ، وتطمئن اليه جوارحه ، ويستولي ذكره على لسان محبه وقلبه ، فتصير خطرات المحبة مكان خطرات المعصية ، وارادات التقرب اليه والى مرضاته ، مكان ارادة معاصيه ومساخطه ، وحركات اللسان والجوارح بالطاعات ، مكان حركاتها بالمعاصي ، قد امتلأ قلبه من محبته ، وطلع لسانه بذكره وانقادت الجوارح لطاعته ، فان هذه الكسرة الخاصة لها تأثير عجيب في المحبة لا يعبر عنه . ويحكى عن بعض العارفين قال : دخلت على الله من ابواب الطاعات كلها فما دخلت من باب الا رأيت عليه الزحام فلم أتمكن من الدخول ، حتى جئت باب الذل والافتقار فاذا هو اقرب باب اليه واوسع ، ولا مزاحم فيه ولا معوق ، فما هو الا ان وضعت قدمي في عتبة فاذا هو قد اخذ بيدي وأدخلني عليه . وكان شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه يقول : من اراد السعادة الابدية ، فليأخذ عقبة العبودية . وقال بعض العارفين : لا طريق اقرب الى الله من العبودية ، ولا حجاب اعظم من الدعوى ، ولا ينفع مع الاعجاب والكبر عمل واجتهاد ، ولا يضر مع الذل والافتقار بطالة ، يعني بعد فعل الفرائض .

والقصد ان هذه الذلة والكسرة الخاصة تدخله على الله ، وترمي به على طريق المحبة ، فيفتح له منها باب لا يفتح له من غير هذه الطريق ، وان كانت طرق سائر الاعمال والطاعات تفتح للعبد ابوابا من محبة ، لكن الذي يفتح منها من طريق الذل والانكسار والافتقار وازدراء النفس ، ورؤيتها بهيئ الضعف والعجز والحبس والمقص والدم ، بحيث يشاهدها ضيقة وعجزا وتقر بظا وذبا وخطيئة ، نوع آخر وفتح آخر . والسالك بهذه الطريق غريب في الناس . هم في ود وهم في واد . وهي تسمى طريق الطير ، يسبق النائم فيها على فراشه السعادة فيصبح وقد قطع الركب ،

بيننا هو يحدثك واذا به قد سبق الطرف وفات السعاة . فإله المستعان وهو خير
 الغافرين . وهذا الذي حصل له من آثار محبة الله له وفرحه بتوبة عبده ، فاقه
 سبحانه بحب التوابين و يفرح بتوبتهم أعظم فرح واكله ، فكالم طالع العبد منه
 سبحانه عليه قبل الذنب وفي حال موافقته وبعده ، وبره به وحمله عنه واحسانه
 اليه . هاجت من قلبه لواعج محبته والشوق الى لقائه ، فان القلوب مجبولة على حب
 من احسن اليها ، واي احسان أعظم من احسان من يارزقه السيد بالمعاصي ، وهو
 يمد به نعمه ويمده بالطفاه ، ويسبل عليه ستاره ، ويحفظه من خطافات أعدائه
 المترقبين له ادنى عثرة ينالون منه بها بنيتهم ، ويردهم عنه ويحول بينهم وبينه ،
 وهو في ذلك كله بعينه يراه ويطلع عليه ، فالسما تستأذن ربها ان تصيبه ، والارض
 تستأذنه ان تخسف به ، والبحر يستأذنه ان يخرقه ، كما في مسند الإمام احمد عن
 النبي صلى الله عليه وسلم هما من يوم الا والبحر يستأذن ربه ان يغرق ابن آدم ،
 والملائكة تستأذنه ان تاجله وتهلكه (١) والرب تعالى يقول : دعوا عبي فأننا أعلم به
 اذا نشأته من الارض ، ان كان عبدكم فشاأنكم به ، وان كان عبي فني الى عبي ،
 وعزني وجلالي ان أتاني ليلا قبلته ، وأن أتاني نهارا قبلته ، وان تقرب مني شبرا
 تقربت منه ذراعا ، وان تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ، وان مشى الى هرات
 اليه ، وان استغفرني غفرت له ، وان استقاني ألقته ، وان تاب الي ثبت عليه . من
 اعظم مني جودا وكرما وانا الجواد الكريم ؟ عبيدي بيتوت بيارزوني بالمظالم ،
 وانا أكاؤهم في مضاجعهم ، وأعرسهم على فرشهم ، من اقبل الي تقبته من بعيد ،
 ومن ترك لأجلي أعطيته فوق المزيد ، ومن تصرف بحولي وقوتي ألفت له الحبيب ،
 ومن اراد مرادي ردت ما يريد . أهل ذكري أهل محبتي ، وأهل شكري أهل
 زيادتي ، وأهل طاعني أهل كرامتي ، وأهل مصيبي لا اقنطهم من رحمتي ، ان تابوا
 الي فأننا حبيهم ، وان لم يتوبوا فأننا طيبهم ، أجليهم بالمصائب ، لا طهرهم من المعاييب

(١) لعل المراد ان الانسان عرضة للهلاك في البر والبحر بحمله وخطايه ،

لولا عناية الله به وتسخير هذه المخلوقات له . والكلام عن لسان الحال ، قد يكون
 أنصح من لسان المقال

﴿ نموذج آخر من الكتاب ﴾

في بعض منازل السير الى الله تعالى

فما تقدم هو نظر الصوفية في المصيبة، واختلاف مشاهد أصناف الناس فيها بين من يعتبر ويندم ويزداد بمدى صلاحها، ومن يرى أنه مجبور ومهذور بالقدر، ومن يرى أنه مؤد لحق الطبيعة وظوائف الأعضاء الخ ولذلك جاء كله في مباحث التوبة. وأما هذا النموذج فهو من نظره في سير السالكين الى الله تعالى أي الى معرفته العليا وما لهم من المنازل في طريقهم

﴿ فصل ﴾

ثم يهزل القلب منزل الاعتصام وهو نوعان: اعتصام بالله، واعتصام بجبل الله. قل الله تعالى (واعتصموا بجبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقال (واعتصموا بالله هو مولاكم، فتم المولى ونعم النصير) والاعتصام افتعال من المصمة وهو التمسك بما يصحك ويمنحك من المحذور والمخوف، فالمصمة الحمية، والاعتصام الاحتماء، ومنه سميت القلاع المواضع، لمنها وحمايتها. ومدار السعادة الدنيوية والاخروية على الاعتصام بالله، والاعتصام بجبله، ولا نجاة الا لمن تمسك بهاتين المصمتين. فاما الاعتصام بجبله فانه يعصم من الضلالة، والاعتصام به يعصم من الهلكة، فان السائر الى الله كالسائر على طريق نحو مقصده، فهو يحتاج الى هداية الطريق والسلامة فيها، فلا يصل الى مقصده الا بمد حصول هذين الأمرين له، فالدليل كفيل بعصمته من الضلالة، وان يهديه الى الطريق، والعدة والقوة والسلاح بها تحصل له السلامة من قطاع الطريق وآفاتهما، فالاعتصام بجبل الله يوجب له الهداية واتباع الدليل، والاعتصام بالله يوجب له القوة والعدة والسلاح والمادة التي يستلزم بها في طريقه، ولهذا اختلف عبارات السلف في الاعتصام بجبل الله بمد إشارتهم كاهم الى هذا المعنى، فقال ابن عباس: تمسكوا بدين الله. وقال ابن مسعود: هو الجماعة. وقال: عليكم بالجماعة فانها جبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة، خير مما تحبون في الفرقة. وقال مجاهد وعطاء: يهتد الله. وقال قتادة والسدي وكثير

من أهل التفسير : هو القرآن . قال ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : ان هذا القرآن هو جبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، وعصمة من تمسك به ، ونجاة من تبعه . وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن : هو جبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تختلف به الأسس ، ولا يخفق عن كثرة الورد ، ولا تشبع منه الملأ . وقال : قاتل : بامر الله وطاعته ، ولا تفرقوا كما تفرقت اليهود والنصارى . وفي الموطأ من حديث مالك عن سهيل بن أبي صالح عن ابيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله يرضي لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا : يرضي لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تمتصوا بحبل الله جميعا ، وان تناصحوا من ولأه الله امركم . ويسخط لكم قيل وقال ، واضاعة المال ، وكثرة السؤال » رواه مسلم في الصحيح

قال صاحب المنازل : « الاعتصام بحبل الله هو المحافظة على طاعته موقفا لا موقعا . ويريد بمراقبة الامر ان قيام بالطاعة لاجل ان الله أمر بها وأحبب ، لا ليجرد العادة أو لعلها باعثة سوى امثال الامر ، كما قال طلق بن حبيب في تنقيح : هي العبي بطاعة الله على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وترك مضمية لله على نور من الله . تخاف عقاب الله . وهذا هو الايمان والاحتساب المشار به في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كقوله « من صام ومعتق ايمان واحتسابا - ومن قام ليلة القدر ايمان واحتسابا - غفر له » فالصيام والقيام هو الطاعة ، والايمان مراقبة الامر (١) واخلاص الباعث هو ان يكون الايمان الامر (٢) لا شي سواه . ولا احتساب رجاء ثواب الله ، فالاعتصام بحبل الله يعني من البدعة وآفات عبس والله أعلم

(١) ضبط في نسختنا الامر بصيغة اسم الفاعل وفي نسخة أخرى الامر بصيغة المصدر وهي الموافقة لقول صاحب المنازل وناسي ، فاختارها (٢) لم يوضع لهذه في نسختنا علامة المد ، وفي نسخة لا امر ، والصواب ما اخترناه . أي ان هذه هي التي يجب ان تكون اسم فاعل معرف والاولى هي المصدر .

﴿ فصل ﴾

وأما الاعتصام به فهو التوكل عليه ، والامتناع به ، والاحتيا به ، وسؤاله ان يحيي العبد ويمتعه ويعصمه ويدفع عنه ، فان ثمرة الاعتصام به هو الدفع عن العبد ، والله يدفع عن الذين آمنوا ، فيدفع عن عبده المؤمن اذا اعتصم به كل سبب يقضي الى العطب ، ويحميه منه ، فيدفع عنه الشبهات والشهوات ويكبد عدوه الظاهر والباطن ، ويحرم نفسه . ويدفع عنه موجب أسباب الشر بعد انعقادها ، بحسب قوة الاعتصام به وتمكنه ، فتفقد في حق أسباب العطب فيدفع عنه موجباتها ومسبباتها ، ويدفع عنه قدره بقدره ، واراادته بارادته ، ويعينه به منه .

فصل

وأما صاحب المنازل فقال في الاعتصام بالله الترقى عن كل موهوم الموهوم عنده ما سوى الله تعالى . والترقى عنه المصمود من شهود نفسه وحسره ، وعطائه ومنه وتأثيره ، الى الله تعالى . وهذه إشارة الى الفناء ، ومراده المصمود عن شهود ما سوى الله الى الله . والكمال في ذلك المصمود عن ارادة ما سوى الله الى ارادته . والالتجاء اليه بنفسه بالمصمود عن وجود ما سواه الى وجوده ، بحيث لا يرى غيره وجودا البتة ، ويرى وجود كل موجود هو وجوده ، فلا وجود لغيره الا في الوهم الكاذب عنده .

قال في وهو على ثلاث درجات : اعتصام العامة بالخبر استسلاما وإذعانا بتصديق الوعد والوعيد ، وتعظيم الأمر والنهي ، وتأسيس المعاملة على اليقين والالتصاف ، يعني أن العامة اعتصموا بالخبر الوارد عن الله استسلاما من غير منازعة ، بل إيمان واستسلاما ، وانقادوا الى تعظيم الأمر والنهي والإذعان لها ، والتصديق بالوعد والوعيد ، وأسسوا معاملتهم على اليقين ، لا على الشك والتردد (١) وسلوك طريقة الاحتياط كما قال القائل :

زعم المنجم والملييب كلاهما لا تفتش الأحياء قلت اليك

ان صح قولك قلت بخاسر أو صح قولي فالحسار عليك

(١) وفي نسخة : لا على شك والترديد . ولعله وتردد

٢٠٠ الانصاف، اعتصام الخاصة بصون الارادة عما سوى الله (المنار - ج ٣ ص ١٧٢)

هذه طريق أهل الريب والشك، يقومون بالامر والنهي احتياطاً، وهذه الطريق لا تنجي من عذاب الله ولا يحصل لصاحبها السعادة ولا توصله الى المأمّن .
وأما الانصاف الذي أسسوا معاملتهم عليه، فهو الانصاف في معاملتهم لله ولخلقه . فأما الانصاف في معاملة الله، فإن يعطي المبودية حقها، وأن لا ينزع ربه صفات الهيته التي لا تليق بالمبدول لا تنبغي له، من المظنة والكبرياء والجبرية . ومن انصافه لربه ان لا يشكر سواه على نعمه ويثناه، ولا يستعين بها على معاصيه، ولا يحمد على رزقه غيره، ولا يعبد سواه، كما في الاثر الإلهي «أني والجن والانس في نيا عظيم : أخلقُ وبعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي» وفي أثر آخر «ابن آدم ما انصفني، خيري اليك نازل، وشرك اليّ صاعد، أنجب اليك بالنعمة، وأنا عنك غني، وتبخص اليّ بالمعاصي وأنت فقير اليّ، ولا يزال الملك الكريم، يرج اليّ منك بعمل قبيح» وفي أثر آخر «يا ابن آدم ! ما من يوم جديد، الا يأتيك من عندي رزق جديد، وتأتي عنك الملائكة بعمل قبيح، تأكل رزقي وتمصبي، وتدعوني فاستجيب لك، وتسألني فأعطيك، وأنا أدعوك الى جنتي فتأبى ذلك، وما هذا من الانصاف» وأما الانصاف في حق العبيد فإن يعاملهم بمثل ما يحب أن يعاملوه به . ولعمري الله هذا الذي ذكر أنه اعتصام العامة هو اعتصام خاصة الخاصة (١) في الحقيقة، ولكن الشيخ ممن رفع له علم الفناء فشمروا اليه، فلا تأخذه فيه لومة لائم، ولا يرى مقاما أجل منه .

﴿ فصل ﴾

قال (واعتصام الخاصة بالانقطاع، وهو صون الارادة قبضاً، واسبال الخلق عن الخلق بسطاً، ورفض العلائق عزماً، وهو التمسك بالمرودة الوثقى) يريد انقطاع النفس عن اغراضها من هذه الوجوه الثلاثة، فيصون إرادته ويقبضها عما سوى الله سبحانه، وهذا شبيه بحال أبي يزيد فيما أخبر به عن نفسه لما قيل له : ما تريد؟ فقال : أريد أن لا أريد

{١} وفي نسخة الخاصة

(الثاني) إسبال الخلق على الخلق بسطا . وهذا حقيقة التصوف فانه كما قال ابو بكر الكتاني : التصوف مخلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف . فان حسن الخلق ونزكية النفس بمكارم الاخلاق ، يدل على سعة قلب صاحبه ، وكرم نفسه وسعجته . وفي هذا الوصف يكف الاذى ويحمل الاذى ، ويوجد الراحة ، ويدير خده اليسر لمن اعلم الايمن ، ويعطي رداءه لمن سلبه قميصه ، ويمشي يمين مع من سخره ميلا (١) وهذا علامة انقطاعه عن حظوظ نفسه واغراضها .

وأما رفض الملائق عزما ، فهو العزم التام على رفض الملائق وتركها في ظاهره وباطنه ، والاصل هو قطع علائق الباطن ، فتم قطعها لم تضره علائق الظاهر ، فتم كان المال في يدك وايس في قلبك لم يضرك ولو كثر ، وتم كان في قلبك ضرر ولو لم يكن في يدك منه شيء . قيل للامام أحمد : أياكون الرجل زاهدا ومعه الف دينار ؟ قال : نعم على شريطة ألا يفرح اذا زادت ولا يحزن اذا نقصت . ولهذا كان الصحابة أزهد الأمة مع ما بأيديهم من الأموال : وقيل لسفيان الثوري : أياكون ذو المال زاهدا ؟ قال : نعم إن كان اذا زيد في ماله شكر ، وان نقص شكر وصبر . وانما يحمد قطع الملائق الظاهرة في موضعين : حيث يخاف منها ضررا في دينه ، أو حيث لا يكون فيها مصالحة واجعة ، والكمال من ذلك قطع الملائق التي تصير

(١) قوله : وفي هذا الوصف الخ يريد به نزكية النفس ، وهو غير حسن الخلق فان النزكية تهذيب فهي مبدأ ، وحسن الخلق غاية . وفي طور النزكية والتهذيب يحسن ما ذكره من العمل بوصايا الأنجيل ، كقوله : من لطمتك على خدك الايمن فأدر له اليسر . الخ ودين المسيح كانه تمهيد لدين محمد عليهما السلام ، بل هما دين واحد جاء القسم الاول منه تمهيدا للثاني ، كما اخبر المسيح اصحابه بأنه لا يستطيع ان يقول لهم كل شيء ، ويشرهم بأنه سيأتي بعده البارقليط الذي يقول كل شيء من حقائق الدين . وهو محمد (ص) بدليل انه لم يجي بعده في غيره ، وانه هو الذي بين كل شيء . وفصل بين السائر الى الله تعالى بالنزكية والتهذيب وبين الواصلين اليه ، وبين فضيلتي العدل والاحسان وغير ذلك

كلاليب على الصراط تمنحه من العبور ، وهي كلاليب الشهوات والشبهات ، ولا يضره ما تعاق به بعدها .

﴿ فصل ﴾

قال (واعتصام خاصة الخاصة بالانصال ، وهو شهود الحق تفريدا ، بعد الاستحذاء له تعظيما ، والاشتغال به قربا) لما كان ذلك الانقطاع ، موصلا الى هذا الانصال ، كان ذلك للمتوسطين ، وهذا عنده لأهل الوصول . ويعني بشهود الحق تفريدا ، أن يشهد الحق سبحانه وحده منفردا ولا شيء معه ، وذلك لفناء الشاهد في الشهود ، والخوالة في ذلك عند القوم على الكشف . وقد تقدم ان هذا ليس بكمال ، وان الكمال ان يفتي بمراده عن مراده نفسه . واما فداؤه بشهوده عن شهود ماسواه ، فدون هذا الفناء في الرتبة كما تقدم .

وأما قوله بعد الاستحذاء له تعظيما . فالشيخ قدس الله روحه لكثرة لهجه بالاستعارات عبر عن معنى لطيف عظيم بلفظة الاستحذاء التي هي استفعال من المحاذاة ، وهي المقابلة التي لا يبقى فيها جزء من المحاذي خارجا عما حاذاه . بل قد واجبه وقابله بكليته وجميع اجزائه . (١) ومراده بذلك القرب وارتفاع الوسائط المانعة منه ، ولا ريب ان العبد يقرب من ربه ، والرب يقرب من عبده ، فاما قرب العبد فكقوله تعالى (واسجد واقترب) وقوله في الاثر الالهي « من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا » وكقوله « وما تقرب الي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه » ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه ، فاذا احبته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع وبني يبصر وبني يبطش وبني يمشي » وفي الحديث الصحيح « أقرب

(١) هذا التفسير للاستحذاء لم نجده في معاجم اللغة كلسان العرب والقاموس ونسرحه بل المعروف فيها ان معنى استحذيت فلان فلانا ، طلب منه أن يلبسه حذاء . كاستطعمه وأمتكساه . واظن أن الاستحذاء في كلام الهروي بالخاء المعجمة وهو الخضوع والانكسار لله تعالى . وانما تكلف المصنف له هذا التفسير لأنه وجد نسخ النازل فذكره الاستحذاء بالمهمة

ما يكون الرب من عبده في جوف الليل الأخير » وفي الحديث أيضا « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » وفي الحديث الصحيح لما ارتفعت أصواتهم بالتكبير مع النبي صلى الله عليه وسلم في السفر فقال « يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم ، انكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، ان الذي تدعونه سميع قريب ، أقرب الى أحدكم من عنق راحلته » فمهر الشيخ عن طلب القرب منه ورفض الوسائط الحائلة بينه وبين القرب المطلوب الذي لا تفرغيمون عابديه وأوليائه الا به ، بالاستحذاء . وحقيقته موافقة العبد الى حضرة وقدامه وبين يديه ، عكس حال من نبذه وراء ظهره ، واعرض عنه ونأى بجانبه ، بمنزلة من ولي المطاع ظهره ، وبال بشقه عنه . وهذا الامر لا يدرك معناه الا بوجوده وذوقه ، وأحسن ما يعبر عنه بالعبارة النبوية المحمدية ، وأقرب عبارات القوم انه التقريب برفع الوسائط التي بارتفاعها يحصل للعبد حقيقة التنظيم . فلذلك قال : الاستحذاء له تعظيما . ومن اراد فهم هذا كما ينبغي فعليه بفهم اسمه تعالى الباطن وفهم اسمه القريب ، مع امتلاء القلب بحبه ، ولهج اللسان بذكره . ومن هاهنا يؤخذ العبد الى الفناء الذي كان مشمرا اليه ، عاملا عليه ،

فان كان مشمرا الى الفناء المتوسط وهو الفناء عن شهود السوى ، لم يبق في قلبه شهود لغيره البتة ، بل تصححل الرسوم وتفي الإشارات ، ويفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل . وفي هذا المقام يجيب داعي الفناء طوعا ورغبة لا كرها ، لأن هذا المقام امتزج فيه الحب بالتعظيم مع القرب ، وهو منتهى سقر الطالبين لمقام الفناء وان كان هذا مشمرا للفناء العالي ، وهو الفناء عن ارادة السوى ، لم يبق في قلبه مراد بزاحم مراده الديني الشرعي النبوي اقرآني ، بل يتحد المرادان فيصير عين مراد الرب هو مراد العبد . وهذا حقيقة المحبة الخالصة ، وفيها يكون الاتحاد الصحيح . وهو الاتحاد في المراد لا في المريد ولا في الارادة . فتدبر هذا الفرقان في هذا الموضع الذي طالما زلت فيه اقدام السالكين ، وضأت فيه افهام الواصلين . وفي هذا الباب (٩) حقيقة بقاء من لم يكن ارادة وإثارة ومحبة وتنظيما وخوفا

ورجاء وتوكلا ، ويبقى من لم يزل . وفيه ترتفع الوسائط بين الرب والعبد حقيقة ، ويحصل (١) له الاستحذاء الذي ذكره مقروننا بغاية الحب وغاية التعظيم . وفي هذا المقام يجيب داعي الفناء في المحبة طوعا واختيارا لا كرها ، بل يتجذب اليه انجذاب قلب المحب وروحه الذي قد ملأت المحبة قلبه ، بحيث لم يبق فيه جزء فارغ منبأ ، الى محبوبه الذي هو اكمل محبوب واجله واحقه بالحسب . وهذا الفناء اوجبه الحب الكامل المتميز بالتعظيم والجلال والقرب ، ويحوي ما سوى مراد المحبوب من القلب ، بحيث لم يبق في القلب الا المحبوب ومراده . وهذا حقيقة الاعتصام به وبجله والله المستعان .

واما قوله : الاشتغال به قربا . أي يشغله قرب الحق عن كل ما سواه ، وهذا حقيقة القرب . ألا ترى ان القريب من السلطان جدا المقبل عليه المكلم له لا يشتغل بشيء سواه البتة ؟ فعلى قدر القرب من الله يكون اشتغال العبد به . والله اعلم .

﴿ فصل ﴾

ومن منازل اياك نعبده واياك نستعين (منزلة الفرار) قال الله تعالى (ففروا الى الله) وحقيقة الفرار الهرب من شيء الى شيء ، وهو نوعان : فرار السعداء وفرار الاشقياء . فرار السعداء الفرار الى الله عز وجل ، وفرار الاشقياء الفرار منه لا اليه . واما الفرار منه اليه ففرار اوليائه . قال ابن عباس في قوله تعالى (ففروا الى الله) ففروا منه اليه ، واعملوا بطاعته . وقال سهل بن عبد الله : ففروا بما سوى الله الى الله . وقال آخرون : اهربوا من عذاب (٢) الله الى ثوابه بالآمان والطاعة .

وقال صاحب المنازل (هو الهرب مما لم يكن الى من لم يزل ، وهو على ثلاث

درجات : فرار العامة من الجاهل الى العلم عقدا وسعيا ، ومن الكسل الى التشمير جدا وعزما ، ومن الضيق الى السعة ثقة ورجاء) يريد بما لم يكن « الخلق » وما لم يزل « الحق » وقوله : فرار العامة من الجاهل الى العلم عقدا وسعيا - الجاهل نوعان : عدم العلم بالحق النافع ، وعدم العمل بموجبه ومتنصاه ، فكلاهما جهل لغة وعرفا وشرعا

وحقيقة . قال موسى (أعوذ بالله ان اكون من الجاهلين) لما قال له قومه (أتتخذنا هزوا)
أي المستهزئين (١) وقال يوسف الصديق (وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن
وأكن من الجاهلين) أي من مرتكبي ما حرمت عليهم . وقال تعالى (إنما التوبة على الله
للذين يعملون السوء بجهالة) قال قتادة : أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان كل ما عصي الله به فهو جهالة . وقال غيره : أجمع الصحابة ان كل من عصي الله
فهو جاهل . وقال الشاعر

ألا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهليتنا

وسمي عدم مراعاة العلم جهلا ، اما لأنه لم ينتفع به فنزل منزلة الجهل ، واما لجهله
بسوء ما ينبغي عواقب فعله . فالقرار المذكور هو القرار من الجهلين - من الجهل بالعلم الى
تحصيله اعتقادا ومعرفة وبصيرة ، ومن جهل العمل الى السعي النافع والعمل الصالح
قصدا وسعيا .

قوله « ومن الكسل الى التشمير جدا وعزما » أي يفر من اجابة داعي الكسل
الى داعي العمل والتشمير ، بالجِد والاجتهاد . والجِد هو هاهنا صدق العمل
واخلاصه من : وائب الفتور وعود التسويف والنهاون ، وهو تحت السنين وسوف
وعسى ولعل . فهي اضرب شي على اليد . وهي شجرة ثمرها الخسران والنداءات .
والفرق بين الجِد والعزم ان العزم حد في الارادة واستجماعها ، والجِد صدق العمل
وبذل الجهد فيه . وقد أمر الله سبحانه وتعالى بتلقي أوامره بالعزم والجِد فقال (خذوا
ما آتيناكم بقوة) وقال (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتنصيلا لكل
شيء فخذها بقوة) وقال (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) أي بجِد واجتهاد وعزم ،
لا تكن يأخذ ما أمر به بتردد وفتور .

وقوله « ومن الضيق الى السمة ثقة ورجاء » يريد هروب العبد من ضيق
صدره بالهموم والغموم والاحزان والخاوف التي تهترى في هذه الدار من جهة نفسه ،
وما هو خارج عن نفسه مما يتعلق بأسباب مصالحه ومصلح من يتعلق به ، وما يتعلق
بماله وبدنه وأهله وعمره ، - يهرب من ضيق صدره بذلك كله الى سمة نضاء الثقة

٤٠٦ فرار الخاصة من الخبر الى الشهود أو من علم اليقين الى عين اليقين (المنار - ج ٣ م ١٧)

بأنه تبارك وتعالى ، وصدق التوكل عليه وحسن الرجاء لجبل صنعه به ، وتوقع المرجو من لطفه وبره . ومن أحسن كلام العامة قولهم : لا هم مع الله . قال الله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) قال الربيع بن خيثم : يجعل له مخرجا من كل ماضق على الناس . وقال أبو العالية : مخرجا من كل شدة . وهذا جامم لشدائد الدنيا والآخرة ومضايق الدنيا والآخرة . فان الله يجعل للمعتني من كل ماضق على الناس واشتد عليهم في الدنيا والآخرة مخرجا . وقال الحسن : مخرجا مما نهاه عنه ، (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أي كافي من يثق به في نوائبه ومهماته . يكفيه كل ما أهمه . والحسب الكافي « حسبنا الله » كافينا الله . وكما كان العبد حسن الظن بالله حسن الرجاء له صادق التوكل عليه ، فن الله لا يخيب أهله فيه ألبتة . فانه سبحانه لا يخيب أهل آمل ، ولا يضيع عمل عامل . وعبر عن الثقة وحسن الظن بالهمة ، فانه لا أشرح الصدر ولا أوسع له بعد الايمان من ثقته بالله ورجائه له وحسن ظنه به .

(فصل)

قال (وفرار الخاصة من الخبر الى الشهود ، ومن الرسوم الى الاصول ، ومن الحفظ الى التبعية) يعني انهم لا يرضون ان يكون ايمانهم عن مجرد خبر حتى يترقوا منه الى مشاهدة الخبر عنه ، فيطلبون الترقى من علم اليقين بالخبر الى عين اليقين بالشهود ، كما طلب ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه ذلك من ربه إذ قال (رب أرني كيف تنجي الموتى) قال : أولم تؤمن ؟ قال بلى ، ولكن ليطمين قلبي) فطلب ابراهيم ان يكون اليقين عيانا ، والمعلوم مشاهدا . وهذا هو المعنى الذي عبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بالشك في قوله « نحن احق بالشك من ابراهيم » حيث قال « رب أرني كيف تنجي الموتى » وهو صلى الله عليه وسلم لم يشك ولا ابراهيم خاشعا من ذلك . وانما عبر عن هذا المعنى بهذه العبارة . هذا الحد الأقوال في الحديث . وفيه قول ثان انه على وجه النفي ، أي لم يشك ابراهيم حيث قال ما قال ، ولم يشك نحن . وهذا القول صحيح أيضا . أي لو كان ما طلبه للشك لكانا نحن احق به

منه ، لكن لا يطلب ما طلب شكاء ، وإنما طلبه طلائفة .

فالمراتب ثلاث : علم يقين يحصل عن الخبر ، ثم يتجلى (١) حقيقة الخبر عنه للقلب أو البصر حتى يصير العلم به عين يقين ، ثم يباشره ويلبسه فيصير حق يقين ، فعلنا بالجنة والنار الآن علم يقين ، فإذا أزلت الجنة المتقين في الموقف ، وبُرزت الجحيم للغاوين ، وشاهدوها عيانا ، كان ذلك عين يقين ، كما قال تعالى (لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين) فإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فذلك حق اليقين . وسنزيد ذلك ايضا إذا شاء الله تعالى إذا انتهينا اليه .

وأما قوله « ومن الرسوم الى الاصول » يريد بالرسوم ظواهر العلم والعمل ، وبالأصول حقائق الإيمان ومعاملات القلوب وأذواق الإيمان ووارداته ، فيفر من إحكام العلم والعمل الى خشوع السر للعرفان ، فإن أرباب العزائم في السير لا يقنعون برسوم الأعمال وظواهرها ، ولا يستقون إلا بأرواحها وحقائقها ، وما يثبتهم التعرف الإلهي وهو نصيبهم من الأمر . والتعرف الإلهي لا يقتضي مفارقة الأمر كما يظن قطاع الطريق وزنادقة الصوفية ، بل يستخرج منهم حقائق الأمر واسرار العبودية وروح المعاملة ، فيحفظهم من الأمر حظ العالم بمراد التشكيم من كلامه تصر يحاول إيماء وتنبيهها وإشارة ، وحفظ غيرهم منه حظ التالي لحفظها بلا فهم ولا معرفة لمراده ، وهؤلاء احوج شيء الى الأمر لأنهم لم يصلوا الى تلك التعرفات والحقائق إلا به ، فالمحافظة عليه لهم علما ومعرفة وعملا وحالا ضرورية لا عرض لهم عنه البتة . وهذا القدر هو الذي فات الزنادقة وقطاع الطريق من المتسبين الى طريقة القوم ، فأنهم لما علموا أن حقائق هذه الأوامر هي المطالبة بأرواحها ، لا صورها واشباحها ورسومها ، قالوا : نجمع همما على مقاصدها وحقائقها ، ولا حاجة لنا الى رسومها وظواهرها ، بل الاشتغال برسومها اشتغال عن القاية بالوسيلة ، وعن المطلوب لذاته بالمطلوب لغيره . وغرهم ما رأوا فيه الواقفين مع رسوم الأعمال وظواهرها دون مراعاة حقائقها ومقاصدها وأرواحها ، فرأوا نفوسهم أشرف من نفوس أولئك وهمهم اعلى ، وأنهم المشتغلون باللب وأولئك بالقتل ، فتركب من تقصير هؤلاء

(١) عليها تجلى بآئين ، وفي نسخة أخرى « تجلى » بناء ونون

٢٠٨ عبادة القلب والجوارح. الفرار من الحظوظ الى التجريد (النار-ج ٣م ١٧)

وعدوان هؤلاء تعطيل جملة الامر - هؤلاء عطلوا سره ومقصوده وحقيقته ، وهؤلاء عطلوا رسمه وصورته ، فظنوا انهم يصلون الى حقيقة ، من غير رسمه وظاهره ، فلم يصلوا الا الى الكفر والزندقة ، وجحدوا ما علم بالضرورة مجيء الرسل (١) به . فهؤلاء كفار زنادقة منافقون ، وأولئك مقصرون غير كاملين . والقائمون بهذا وهذا هم الذين يرون أن الامر متوجه الى قلوبهم قبل جوارحهم ، وان على القلب عبودية في الامر كما على الجوارح ، وان تعطيل عبودية القلب بمنزلة تعطيل عبودية الجوارح وان كمال العبودية قيام كل من الملك وجنوده (٢) بعبوديته ، فهؤلاء خواص اهل الايمان ، واهل العلم والعرفان .

﴿ فصل ﴾

قوله « ومن الحظوظ الى التجريد » يريد الفرار من حظوظ النفوس على اختلاف مراتبها ، فانه لا يعرفها الا الممتنون بمعرفة الله ومراده وحقه على عبده ، ومعرفة نفوسهم وأعمالهم وآفتهم . ورب مطالب عالية لقوم من العباد هي حظوظ لقوم آخرين يستغفرون الله منها ويفرون اليه منها ، يرونها حائلة بينهم وبين مطلوبهم . وبالجملة فالخط ماسوى مراد الله الديني منك كائن ما كان ، وهو ما يبرح حظ محرم الى مكروه الى مباح الى مستحب غيره احب الى الله منه ، ولا يتميز هذا الا في مقام الرسوخ في العلم بالله وامره ، وبالنفس وصفاتها واحولها . فهناك يتبين له الحظوظ من الخفوق ، ويفر من الخط الى التجريد . واكثر الناس لا يصلح لهم هذا لانهم انما يعبدون الله على الحظوظ وعلى مرادهم ، واما يجربون عبادته على مراده من عبده .

فذلك منزلة لم يعطاها احد سوى نبي وصديق من البشر
والزهد زهدك فيها ليس زهدك في ما قد أبيع لنا في محكم السور
والصدق صدقك في تجريدك كذا (م) الا خلاص تخلصها ان كنت ذا بصير
كذا توكل ارباب البصائر في تجريد أعمالهم من ذلك الكدر
كذلك توبتهم منها فوسم ابدا في توبة او يصيروا داخل الحفر

(١) وفي نسخة الرسول (٢) يريد بالملك القلب وبجنوده الاعضاء

وإنجزة فصاحب هذا التجريد لا يتنعم من الله بأمر يسكن إليه دون الله ، ولا يفرح بما حصل له دون الله ، ولا يأسى على ما فاتته سوى الله ، ولا يستغني برتبة شريفة وإن عظماء عنده أو عند الناس ، فلا يستغني إلا بالله ، ولا ينتقل إلا إلى الله ، ولا يفرح إلا بموافقة إرضاء الله ، ولا يحزن إلا على ما فاتته من الله ، ولا يخاف إلا من سطوته من عين الله ، واحتجاب الله عنه : فكله بالله ، وكله لله ، وكله مع الله ، وسببه دائما إلى الله ، قد رفع له علم فسر إليه ، ويجرد له مطلوب به أمل عايه ، تناديه بالخطوط : الي ! وهو يقول : إنما أريد من إذا حصل لي حصل لي كل شيء ، وإذا انتهى قاتني كل شيء ، فهو مع الله مجرد عن خلقه ، ومع خلقه مجرد عن نفسه ، ومع الأمر مجرد عن حظه - أعني الحظ المزاحم للأمر ، وأما الحظ المعين على الأمر ، فإنه لا يحطه تناوله عن مرتبته ، ولا يسطه من عين ربه .

وهذا أيضا موضع شاطئ فيه من غلط من الشيوخ فظنوا أن إرادة الحظ تقصر في الإرادة ، والتحقق فيه أن الحظ : نزعان : حظ بزاحم الأمر ، وحظ : يوزر مالا مرفق فنفذه . الأول هو المذموم والثاني محمود . وتناوله من تمام العبودية . فهذا لون وهذا لون . (النموذج بنية)

(المارج ٣ : رأيتم أيها المبشرون الذين تدعوننا إلى النصرانية هذه المعارف إنسانية في الإيمان ، والعالم بالله وتزاي الإنسان ، وهذه القضايا والكسال في الإسلام ؟ - هذا النموذج نقطة من بحر كلام علمائنا في منازل السالكين المعارفين . رأيتم من ارتقى في الدين إلى الذروة العليا يمكن اقتناعه بأن النزول عنها إلى الدرجات التي هي دونها ، خير له من البقاء على ارتقائه وكله فيها ؟ أيرضى من هذا حظه من الدين وإيمان أن يشغل خياله ولسانه باسم يسوع ، وصورة يسوع ، وثابت يسوع ، وفداء يسوع ، الذي لا يعقل ؟ أما والله لو كان يسوع وتلاميذه يسوع وبوحن الذي عمد يسوع ومسح رأسه ودعا له بالبركة ، ومعهم موسى وإسرائيل وكل أنبياء الله أحياء وجاءهم محمد (عليهم الصلاة والسلام) بهذا القرآن ما وسعهم إلا اتباعه ، وقد كانوا كلهم على الحق والتوحيد الذي نسختموه بنسبته والتقاء فاربوا على ظلمكم ، وادعوا إلى دينكم البراهمة والبوذيين وأمثالهم الذين كاث لهم ثلوث كثالوثكم ، فأولئك لا بعد أن يتقلوا من ثلوث إلى ثلوث . وأما صاحب التوحيد الذي هو أكل وأتلى معارف البشر ، فلا يترك التوحيد إلى ما هو دونه .

الاسلام يقاوم نفوذ النصرانية*

الاسلام في المستقبل سيكون نظير الدين الاسرائيلي يوافق نفسه على حاجات العصر الحديث ولا يدعم النصرانية قلبه وتسليه ابتلاءه

(مقدمة للمترجم)

ان نشوء الاسلام في المستقبل سيعيد تاريخ الدين اليهودي الحديث بدرجة مشابهة، فالبشرون بالانجيل الذين لا يزالون يتوقعون انضمام كل الاديان الى النصرانية لا تحقق احلامهم فيما يتعلق بالاسلام، لان الدين الاسلامي سيظل ديناً قوياً نشيطاً نظير الدين اليهودي، ويطبق نفسه نظير الدين اليهودي على حاجات العصر المتغيرة

هذا هو رأي الدكتور (كريستيان سنوك هرنغنج) الهولندي الذي قضى ربع قرن يدرس القضايا الاسلامية وشريعة الاسلام وفلسفته

وما يقال عن هذا الاستاذ انه اكثر من خيالي ونبي متعرض فهو اعلم علماء عصره في الاسلام - لانه لا يعرف تاريخ الاسلام وشريعته وفلسفته معرفة دقيقة فقط، ولكنه قضى ربع قرن يدرس الاسلام من وجه علاقته بالمؤسسات الدينية والسياسية الاخرى

وقد اوسلته جامعة لندن في هولندا على سبيل المبادلة الى الولايات المتحدة للمرة الاولى ليلقي في اممات كلياتها العامة اربع محاضرات في نتائج درسه الاسلام، وقد فصل في هذه المحاضرات زياراته لمكة (مدينة الاسلام المقدسة) فانه قضى ثمانية اشهر ضمن تلك المدينة المسورة وكان فيها عضواً من بطانة رجل مسلم، فقام هناك الفرائض الدينية التي كانت يقوم بها يومياً مائتا الف من حجاج مكة، وتعمد الجوامع هناك، وسمع المحاضرات التي لم يكن يسمعها في الزمن الماضي غير المسلمين، ولم من قصة دويت عن نصارى اضلوا الطريق ويهود مغاصرين قتلوا في مكة لاثامهم بانهم تجرءوا على الدخول الى المدينة الاسلامية المقدسة؟ واذا لم تصدق هذه الاخبار فقد ثبت ان كثيرين من غير المسلمين طردوا من المدينة باهانة ضد ما ظهر انهم غير مسلمين

(*) ألقى الدكتور (كريستيان سنوك هرنغنج) الهولندي في أمريكا محاضرة في حال المسلمين الدينية والاجتماعية وبعثها في نيويورك في سنة ١٩٥٠م بعد الهدى السورية التي تفرقت في (نيويورك) ووضعت لها هذا العنوان: «عصرنا في مواجهة الإسلام» في مختصر سيرة الدكتور (سنوك هرنغنج) مع تصحيح بعض الالتفات لما فيها من الغير للمسلمين

ثم ان الدكتور هرغرنج ليس يعرف اللغة العربية فقط بل انه قبل ذهابه الى مدينة الاسلام المقدسة قضى عدة سنين يدرس التاريخ الاسلامي ، وكانت معرفته هذه للاسلام وسيلة استطاع بها ان يحافظ على تذكره مدة ثمانية اشهر قضاها في مكة ، وبلغ منه انه خدع الكلاب الشاردة التي تفرق المسلم عن غير المسلم لانها تعرفه بقوة الشم فتهاجمه وتضع امره

وقد وضع الدكتور المذكور بعد اقامته في مكة فصلا فيها وفي تاريخها وحياتها العمومية الحاضرة يعتبر الكتابة الوحيدة التامة عن هذه المدينة الحمية

وليس اهتمام هذا الدكتور بالاسلام اهتمام طالب علم فقط ، فقد قضى سبع عشرة سنة في الهند الشرقية الهولندية مستشارا لحكومة هولندا في المسائل المتعلقة بإدارة سكان الهند الشرقية الوطنيين ، واستطاع بدروسه الاسلام دوسا عميقا واسطا ان يضم هولندا السياسة التي تجري عليها مستعمراتها الاسلامية التي تحتوي على نحو من خمسة وثلاثين مليوناً من تابع النبي محمد

ومن مضي سبع سنين عاد الدكتور الى هولندا ليكون استاذ اللغتين العربية والاندلسية في جامعة (ليدن) فقبل هذه الوظيفة على شرط ان يبقى مستشارا عموميا للحكومة في المسائل الاسلامية

وزيادة على ذلك انه ساج في اكثر البلدان الاسلامية ، وكان في خلال ربع قرن مضى يراقب الحركات الدائمة على أحداث تغير ديني وسياسي في العالم الاسلامي كله ، ولذلك كانت صورته التي صود بها حالة الاسلام الحاضرة ، والطريقة التي جرى عليها في تتبع لشوءه في المستقبل ، اسيرين خارجين عن المؤلف الذين يعتبرون ان الاسلام لا يزال يربو في شكلة الشرقي ، بل انه يرى ان الجواجز بين الشرق والغرب تهدم بالتدريج بعدما يؤدي الى امتزاجهما السريع في خلال سنين تأتي

وقد القى هذا الدكتور محاضرة بالامس في جامعة كولومبيا في الاسلام هذا ما قاله فيها : —

محاضرة الدكتور هرغرنج في الاسلام

ان المدينة الاسلامية كانت في خلال الف سنة مضت ترتفع الى الدرجة الحاضرة النهائية ، فمن مضي الف سنة اعتقد المسلمون ان احمر الهم الدينية راضية تمام الرضى ، وكان المعتد الديني عندهم مسألة مقررة ، وكان السواد الاعظم من المسلمين

يقولون بعصمة الدين الاسلامي ويقبلون حقيقة الكشوفة بدون ريب، نظير اجماع النصارى على عصمة الكنيسة الكاثوليكية، وكانت للاسلام شرائع تتعلق بالحياة في كل اطوارها من شخصية وعمومية وفردية واجتماعية وعلى الجملة ان الاسلام كله قام على استقلال المسلمين السياسي، فقد كانوا في دائرتهم الخصوصية احرارا مستقلين اعتبروا العالم كله ملكا لهم، فالذي لم يكن لهم كان عليهم ان يفتحوه، وبذلك كان حكم السيف ممكنا اذا لم يكن محتملا، ولكن ثبت استحالة في الالف سنة التي مضت، ففي خلال القرن الماضي تعرى الاسلام من استقلاله السياسي باعتداء الدول الاوروبية التدريجي عليه، ونتج عن ذلك ان الاسلام اضطر ان يعدل آراءه واعماله، وتأكد للمسلمين انه يجب عليهم ان يحسبوا حسابا لما تفعله الامم الاخرى ويحصل عليه وقد نجت عن هذه الحالة مسألان - الاولى منهما هي: هل يستطيع الاسلام الذي يرشد حياة تابعيه وأفكارهم ان يجاري هذا التغيير عند ما يفقد استقلاله السياسي الذي قام عليه ؟

ان الذين درسوا القضايا الاسلامية استنتجوا ان القضايا الروحية، متصلة تمام الاتصال بالقضايا المادية في الدين الاسلامي، بحيث ان سقوط الاستقلال السياسي يستلزم سقوط الاسلام نفسه، ولكني لا أوافقهم على هذا القول اما المسألة الثانية فهي اهم من الاولى وهي: هل اذا كان الاسلام قادرا على احتمال ذلك التغيير - كما اعتقد انه قادر - يقدر ان يطبق نفسه على قضايا الحياة الحديثة بطريقة يستطيع بها تابعوه بان يكونوا في مقدمة الصفوف في ارتقاء العالم ومد نيته ؟ هاتان هما المسألان مع كل القضايا الاخرى المتفرعة عنهما ما أريد البحث فيه على مسامع الامر بكيين رجاء ان اوقف الغربيين على الانقلاب العظيم الجاري في العالم الشرقي ومجاري هذا الانقلاب

فصل في محاولة تنصير المسلمين

والامر الجوهرى في هذا الشأن هو الوجه المنظور فيه الى قضية مستقبل الاسلام، فاذا نظرتم اليها بعيني المرسل النصراني الديني فلا بد انكم تستنتجون انه لا يرجى شيء كثير من نشوء الاسلام، لان الاسلام قبل صيرورته كفوا يجب عليه ان يتخذ النصرانية أولا، ولكن هذا هو اسوأ رأي يقول عليه، وأنا مسرور بقولي: انه ليس وأيا شاملا، فالمسلمون لا يقصدون ان يتنصروا، وقد احتاطوا اعظم احتياط هذا الامر الذي اهدرته كل المبشرين النصارى المتشورين في الاراضي الاسلامية، ففي

الهند الشرقية الهولندية - حيث قضيت سبع عشرة سنة ملتصقا تمام الالتصاق بالمؤسسات
الاسلامية - لا يقدر المرسل النصراني الذي ان يرجح تايمين لدينه ، نعم يوجد كثيرون
من المدعوين مسلمين ولا سيما سكان د خاية البلاد الذين لم يتعامل اليهم دين من
الإديان ، وقد اتمدوا خطوة واحدة عن حالتهم الوثنية الفطرية ، ولم يمد بصعب تصديرهم ،
وفي بعض جهات جاوه حيث انتشرت الديانة الهندية سابقا لم يجد المرسلون النصراني
صعوبة في تصدير قبائل برمتها

ولكن اكثرت دعاة النصراني الدينيين في البلاد الاسلامية الخضة - حيث
الاسلام تقليد قديم لادين يتدين به - يرون صعوبة كبرى في تصدير المسلمين ، وقد
نحولوا عن التبشير بالمسيح الى التهذيب والاعانة ، وما داموا جارين على هذه الطريقة
فالمسلمون مستعدون لقبول ما يقدمونه لهم

مثلا ان الذي تقدمه كلية روبرت الامريكية في الاستانة يقبله كل مسلم . وقد
كان للكلية المذكورة فضل كبير في نشر المعرفة والطرائق التي يعتبرها المسلمون
متقدي التقدم . ولكن الكلية المشار اليها لم تحول مسلما واحدا عن معتقده

وقد حدثت مؤخرا احد زملائي امرئساويين الذي قضى عدة سنين في الجزائر
واعرفني بتعصب المسلمين في شالي افريقيا سألته عن العمل التبشيري الذي تقوم به
الجميات الكاثوليكية الدينية المتعددة فقال : انه عمل ناجح ولكن لا ذكر البنا
لدين فيه .

هذا وان هولندا تحكم على خمسة وثلاثين مليونا من المسلمين ولم تعد تفكر
قط في هدايتهم وتصديرهم . وكل ما ادركناه هو حاجتنا الى تعاليم هؤلاء الناس الذين
وكانت امورهم البنا بطيات الحوادث التاريخية . وادركنا ان افضل شيء لنفوسهم هو
تطبيق دينهم الخاص ومؤسساتهم الخاصة على حاجات العصر الحاضر

ولا اعتقد ابدا ان الدين الاسلامي يستطع امام النصرانية ، لان المسلم محتاط اشد
الاحتياط لتقاومة النفوذ النصراني ، فهو يعرف النصرانية التي ليست عنده شيئا جديدا
غير ماألف ، فقد عرف اصليا وطريقة اشرعها وهو يعتبرها ديناً فسد بالتدريج ، واخيراً
نسخه وحي النبي محمد خاتم الانبياء الموحى اليهم . وبالتالي انه يشبه النصرانية شيئا
بعضي ، ويرى تدنيه بها خطوة الى الوراء . وعما كان التبشير الذي يقع على الاسلام في
ربع القرن الجاري او نصفه فانه لا يكون تغييراً يتناول المتدين بالنصرانية ، اذ لا تدعو
الضرورة في الاسلام اني هذا الاصلاح

ولا يخفى ان كل من عاش في اراضي الاسلام لا ينكر انه حدث في النصف
الآخر من القرن الماضي تغير عظيم ، فقد اشتدت حاجة المسلمين الى كل ما هو
ضروري للاشتراك في الحياة الحديثة التي تبعت دخول الغزاة الغربيين الى الشرق ،
ولم يعد المسلمون المتورون اليوم يكتفون بالتربية الاسلامية القديمة ، فهم يطلبون
اطباء حديثين وكيمياء حديثة ، واحداث شيء في علم الحياة ، وصاروا يطلبون دروساً
اجتماعية في مدارسهم ، واللغات الحديثة والفن الحديث ، ولا يبالون من يقدم لهم هذه
الاشياء اذا قدمت لهم في غير صيغة دينية

مرّ زمان كان فيه المسلم يعرف اخاه المسلم بالقبيلة وطريقة مختلفة - كاخلاقه
وطريقة معيشته ولياسه واكله ، ولكن كل هذه المميزات اخذت تزول بالتدريج ، بل
ان الميزة الوحيدة التي كان بها المسلم يقدر ان يعرف اخاه في الدين عبرتها التهذيب
والتعليم ببقية معروفة من العقيدة الدينية

وقد زالت عادات اسلامية قديمة كثيرة ، واصبح كثير منها آخذاً الآن بالزوال ،
فزي اللباس الشائع الذي دخل من الغرب الى الشرق يجعل تأدية الصلوات الخمس
الواجبة يومياً امرأ مستحيلاً ، فلم يعد المسلم الشرقي يقدر اليوم ان يصلي خمس مرات
في اليوم بين شروق الشمس وغروبها (١) وهو مضطر ان يشتغل ثاني ساعات في اليوم -
بل انه لا يقدر ان يحافظ على مركزه في الصناعة المنظمة التي يضطر الى مزاولتها
بالتدريج وانصوم معجبة الهاد في شهر رمضان

وقد كانت هذه الامور قديماً شرائع لا بد من العمل بها . اما الآن فانها تصير
اشياء لا يقدر ان يمارسها غير حجاج مكة والائمة المصنفين ، بل حدث تراخ في كل
شيء فقد ساد الاسلام في وقت من الاوقات ، وتناولت سيادة التجارة ايضا ، ولكن
خفت به المشاكلي بالتدريج . نعم ان ضمان الحياة لا يزال عند المسلمين شكا من اشكال
المقامرة ، ولكن الربا في استثمار المال صار نمكنا باعتباره قسما من المقامرة الاصلية
درجة تأثير الافكار الاوربية في المسلمين

تأثرت الافكار الاوربية في كل جهة من الاراضي الاسلامية ، ولكن لم يجد
فيها العمور الاوربي مركزاً ولهذا فنجراً على القول بان المسلمين سيسترون على
ديهم مما أخذوا من التهذيب والمدنية الغربيين ، ففي كل المدارس الاوربية الكبرى
تجد كثيرين من الطلبة المسلمين ، وهم من فئة المتورين الذين بواسطتهم تحدث التغييرات

الاولى في الاسلام . وهؤلاء الشبان من أهل العلم في العالم ، فقد درسوا العلوم العربية
بفروعها نظير خبرة طلبتنا الغربيين ، وهم لا يقومون بكل الفرائض المطلوبة من المسلم
الحقيقي ، لانهم مشاغون في طرائق اللباس والمأكل والميشة
ولكن يجري عقولهم لا يزال اسلاميا ، فقد كان بين تلاميذي طلاب مسلمون ، وعندما
كنت اتناول مباحثهم التي يكتبونها كنت أرى فيها مظاهر فكر اسلامي في شكل
يختلف كل الاختلاف عما يكتبه طلابي الآخرون ، بل كنت دائما أعرف الطالب المسلم
من مباحثه .

ثم إنك ترى موقف المسلمين المتورين تجاه شريعتهم وعتيقتهم القديمتين نفس
موقف المتورين بين الاسرائيليين في العصر الحاضر ، وكما عشت بين المسلمين ازدادت
اعتقادا ان الاسلام يسير في شؤنه على الطريقة التي سلكها الدين الاسرائيلي في
تاريخه الحديث .

ثم انت الضغط الشديد الذي وقع على الدين الاسرائيلي لم يقع على الاسلام .
فتفرق الاسرائيليين بين اثم الارض اضطرهم الى ان يطبقوا حياتهم على شرائع
غير شرائعهم ، وكذلك اضطر المسلمون الى ان يتقحروا طائفة الكبرى من شرائعهم
المسيطر على حياة الفرد اليومية من جراء اتساع الاراضي التي احتلوها بالشيخ ، واحتياط
المتعددة التي اضطرروا الى العمل بوجوبها
الاسلام واليهودية

وبين الاسلام والدين الاسرائيلي تشابه عميق يزداد ظهورا في مخالطة المتورين
الاسرائيليين والمسلمين ، فالتوحيد هو قاعدة الدينين ، وليس الله سبحانه في هذين
الدينين الا مشترك يرى كل قسم من حياة الرجل يحتاج الى شريعة ، ومن أجل ذلك
صار درس الشريعة فيهما عاملا مهما . ولكن الوجه الخيالي في الدين المذكورين (الخط
أعطاطا عظيما ، وأخذ يقتصر على القائم ضمن جدران المدارس ، ولم يبق له علاقة
قوية بمحاجات الحياة الفعلية

وقد صار تفسير الشريعة في الدين الاسرائيلي منوطا بالخاخمين ، وما عدا بعض
مراسيم دينية طارحية ترى أكثر المتورين الاسرائيليين مكتملين بحفظ العقائد الاولى
من دينهم ، أما عامة القوم فانهم يضيفون اليها طائفة من الحرافات القديمة
وترى الاسلام نالوا الدين الاسرائيلي . فخذ القرآن مثلا وانظر الى التفسير الذي
حدث في خلال ثلاثة عشر قرنا مضت على تأسيس الاسلام ، فالسليم العربي الثولد لا يقدر

ان يفهم آيات القرآن الا بعد درس طويل
ولا يخفى أن أكثر المسلمين يعتبرون القرآن كتاباً غامضاً، فقد كان في وقت من
الأوقات قوة اصلاحية في العالم، وكان يقرأه كل مؤمن وورع، أما اليوم فإن الامة
والعلمانيين يقرأونه بتجويد دون أن يتدبروا معناه، حتى أن الكلمات التي
يجودونها حجة عليهم في اشياء يصنعونها كل يوم حتى خلال التجويد.

وسيقع أيضاً تغيير على الشرائع وانؤسسات الاسلامية فيعدل درسها بالتدريج
بحل ممارستها بالرغم من التقليد المقدس الذي ينطق بأن المعرفة بدون عمل لا فائدة
منها. وزد على ذلك ان الناشئة الاسلامية الماهرة لا تريد أن تكبد ذهنها في درس
الشريعة الاسلامية، كما هي تتعب رثائها بتجويد الآيات القرآنية، فان هذا الأمر
سيقتصر على فئة خاصة من المسلمين، كما هي الحال عند الاسرائيليين في الوقت الحاضر
ولكن ترك المادات القديمة واذا عترف بعضهم اتفاق الشريعة القديمة مع حاجات
الحياة الحديثة لم يفهم منها ان الاسرائيليين تركوا دينهم، وكذلك لا يفهم منها ان
الاسلام سينحط. نعم ان بين المسلمين المتتورين اليوم تصبغات يلاء، ولكن في صدورهم
ميلاً ثورياً الى التمسك بدين آبائهم وتطبيقه على الحاجات الحديثة. بل ان المسلمين
المتتورين اليوم لم يودوا بذكر ون الجهاد، ولكنهم يلتفتون الانظار الى انهاء التساهل
واتساع المعرفة التي تتعامل في كل جهة من جهات العالم الاسلامي

وهناك أمر آخر هو أن المسلم المتتور يشعر نظير الاسرائيلي المتتور بالرابطة
الروحية التي تربطه الى اخوته في الدين وهو لا يريد ان يقطع هذه الرابطة. نعم ان
المراد الاعظم من المسلمين - ولا سيما حيث انشؤوا في الاوربي لا يزال خفيفاً - هم الآن حيث
كانوا من مضي خمسمائة سنة. وكذلك توجد نفقة بين الاسرائيليين لا تزال تمارس
شريعة لم تصدم بالحياة الحديثة بعد وقد كان تطبيق التقليد المتقدم على حاجات المحيط
التغير ظاهراً باجلى مظهره في الدين الاسرائيلي. ولكن انتشاره في نشوء الدين
الاسرائيلي والاسلامي يحمل لواحد عن أن يتوقع للاسلام نفس ما وقع في
الدين الاسرائيلي

ولا يمكن أن يقع انحطاط تدريجي في الاسلام، لانه توجد بواعت خارجية تمهده،
فالاسلام قوي ولم يخضع لاسباب في تمرز الماضي، وقلت فيه الانشغالات الداخلية.
وزد على ذلك أن الاسلام يرجح أكثر من النصرانية تابعين له من الوثنيين. فالذي
يصير مسلماً لا يطلب منه شيء كثير، اذ لا يوجد تقديس ولا طقوس ديني ولا تعليم

طويل، فكل ما يطلب منه ان يعترف بالله أنه كلي القوة، ومن ثم يدرج الى تعلم الفرائض الاسلامية الدينية، وعندما يصير مسلماً يتغير مركزه الاجتماعي، ولكن اذا تبصر فانه يبقى دون غيره، ويظل المرسل الديني غريباً ملأاً متنجساً عنه الاسلام بمكة ومبلغ علم الخطيب به

ولكنني باظهارى لكم هذه الصورة عن الاسلام والحوادث التي تدير مجراه لا اقول انه لا يوجد فيه كثير من التقاليد القديمة التي لا تصدق. فتمى خلال الثمانية الاشهر التي قضيتها في مكة مكنت احسبني مقبلاً في مدينة في القرن اثنى عشر او الثالث عشر. فهناك درست الشريعة الاسلامية بكل فروعها وكل اسرار الاسلام في الاشهر الثمانية التي كانت فيها المدينة غاصة بحجاجها البالغ عددهم مائتي الف ولا توجد تجارة في مكة غير نهب الحجاج فان سكانها الوطنيين يسلبونهم كل ما يكون معهم من مال بالبيع المنبون

ولا شيء ادل على البداوة القديمة من مكة، فهي تمثل الاسلام في المصور القديمة فلا بيوت هناك. اما وسائل النور والحرارة والماء التي اعتدناها في العصر الحاضر فهي هناك كما كانت في المصور المظلمة. ولكن الذي لم يذهب الى مكة ولا أقام في بيت اسلامي فيها ودرس في جوامعها لا يقدر ان يفهم الاسلام، او يجد صعوبة شديدة في معرفة نشوء بلاد اسلامية

وقد كثر التحدث حيناً بعد آخر عن مكة، أنها ستفتح العالم بالنوة، ولكنني لا ارى شيئاً يدل على ان انكسراً ستحاول فتح مكة، لأنها اذا اقدمت على هذا الامر جلبت نفسها اضطرابات كثيرة في الهند. ولذلك ستظل مكة عدة سنين مركز القليد الاسلامي وعلى الجملة اني اقول ان نشوء الاسلام في القرن الجاري لا يكون شيئاً باعماً على الدهشة، بل سيكون طبقاً للحركة العمومية التي تقرب بين الامم والاديان، دون زوال الاحترام للتقاليد الموروثة عن السلف، ولا بد للاسلام من الاتصال بالعالم الغربي وسيفعل ذلك، ولكن نقصه العظيم او النقطة التي يحتاج فيها اشد الاحتياج الى اتخاذ الافكار والمبادئ الاوربية هي موقفه تجاه نساءه، وقد اخذت نساءه في موقفه نحوهن تساهلاً بطيئاً تدريجياً، فالاسلام لا يمكن ان يرتقي ارتقاء حقيقياً الا اذا حرر نساءه الراسخات في سلاسل التقاليد القديمة التي لا تنطبق على روح العصر الحديثة، التي هي روح الترقى الحقيقي

(المنار) : سنين رأينا في هذه المحاضرة في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

اعتقاد الشيخية^(١)

على ما نقل من كلامهم في كتبهم المعروفة الكائنة عن اعتقاداتهم في مراتب اصول العقائد (ففي مرتبة معرفة الذات) قالوا « إن الذات ذاتان » ذات غيبية باطنية لا اسم لها ولا رسم لها ، ولا تسمى ولا توصف ، ولا تكليف على العباد بمعرفة لها وتوحيدها وعبادتها . وذات ظاهرة تسمى وتوصف ، وفي هذا القسم من الذات قالوا : ان المعرفة فرع ادراك المعروف ، والعبادة فرع ادراك المعبود ، فيجب أن يكون المعبود في صفة المعارف والعباد ، حتى يعبد بحسبه جسم المعبود ، وبفسه نفس المعبود ، وبقله عقل المعبود ، وبفؤاده فؤاد المعبود . فهناك ذات ظاهرة معرفتها تسمى بمعرفة البيان ، وهي المتعلقة بها المعرفة والعبادة ، وهي في مقام النبوة نبي ، وفي مقام الامامة إمام ، وفي مقام الركنية ركن رابع . ولذا قالوا : ان الخطاب في « إياك نعبد وإياك نستعين » الى النبي والامام

والركن الرابع صرح به الشيخ أحمد بن محمد المشهور بزین الدین وأخيراً الحسناني في رسالته الخطابية المطبوعة في جوامعه ، والسيد كاظم الرشتي في شرح الخطبة ، والمخرج كرم خان في موارد من ارشاده المعروف المطبوع في عصره . وهذه المقالة دعيتهم الى مصاحبتهم لصور مشايخهم ، وجعلها في محال سجدتهم ، وقد اشتهر وأيضاً بحيث لا يتمكنون من إنكاره

اولي مرتبة معرفة الصفات ، قالوا : ان الاسماء والصفات للذات الظاهرة التي والامام والركن الرابع وهي معرفتهم بالمعاني . وقالوا : ان الصفات كلها حادثة ، والله عالم الاسماء ولم يحدث ، وقادر بقدره حادثة ، وهكذا . وقالوا : ان الصفات متحدة في المفهوم ، وهي متحدة في المصادق . وقالوا : نسبة الخالق والرزق اليه تعالى كفر . قال الحان الكرماني في ارشاده بالنارسية : بس هر كه بكويد ذات خستدای تعالی خالق اشياء است با جماع مسلمانان از ضرورت دين بيرون رفته . وصرح بهام ذلك ابن صقر في شرح الرشتية ، والرسالة العلمية ، وشرح الزيارة ، والسيد الرشتي في شرح الخطبة اولي مرتبة معرفة الاسماء ، قالوا : ان الذات لا اسم لها ولا رسم لها ، ويقولون في

(١) في نسخة أخرى : « في مرتبة معرفة الذات » . قالوا : ان الذات ذاتان ، ذات غيبية باطنية لا اسم لها ولا رسم لها ، ولا تسمى ولا توصف ، ولا تكليف على العباد بمعرفة لها وتوحيدها وعبادتها . وذات ظاهرة تسمى وتوصف ، وفي هذا القسم من الذات قالوا : ان المعرفة فرع ادراك المعروف ، والعبادة فرع ادراك المعبود ، فيجب أن يكون المعبود في صفة المعارف والعباد ، حتى يعبد بحسبه جسم المعبود ، وبفسه نفس المعبود ، وبقله عقل المعبود ، وبفؤاده فؤاد المعبود . فهناك ذات ظاهرة معرفتها تسمى بمعرفة البيان ، وهي المتعلقة بها المعرفة والعبادة ، وهي في مقام النبوة نبي ، وفي مقام الامامة إمام ، وفي مقام الركنية ركن رابع . ولذا قالوا : ان الخطاب في « إياك نعبد وإياك نستعين » الى النبي والامام

قوله تعالى «ولله الاسماء الحسنى» يعني الربوبية الثانية في الذات الظاهرة قال سيدهم في شرح الخطبة: ان الربوبية لها ستة مقامات (احدها) رتبة الذات البحت التي لا اسم لها ولا رسم {الثانية} رتبة الذات الظاهرة التي هي مظهرة تلك الذات البحت (والثالثة) رتبة الذات في مقام يعبر عنها بهو (والرابعة) رتبة يعبر عنها بالله (والخامسة) رتبة يعبر عنها بساتر الاسماء (والسادسة) هي الرتبة الربوبية، السارية في العبودية، وخمسها شيخه وكثرها الخائف الكرمانى بغير حساب . قال في الارشاد: من شيكوه اتخذائيك سابق مى پرستد باطل بوده بلكه ميكويم او حق بوده وعبادتش درست بوده ولكن امروز چون شعور شما زياد شده بايد بدانيد كه ان خدا نبوده بلكه بنده بوده واينكه امروز ميكويم اين خدا است وبعده از اين شعورها زياد ميشود ميسيد ايندكه اين خدا نيست بلكه بنده ايست از بندگان خدا وخدا ديكر يست .

وقال الشيخ أحمد في شرح الزيادة في تفسير الدعاء: أنت الله عماد السموات - يعني الحسن ابن علي - وقالوا أنت الله قوام الارضين - يعني الحسين بن علي - وقالوا: ان الضمائر له في القرآن من الغيبة والخطاب والتكلم راجعة الى النبي والامام والركن الرابع في مرتبة المعاني . وقال الشيخ أحمد: كما ان له الاسماء الحسنى كذلك له الاسماء السوءى، لكن امرنا بدعوة بالحسين دون السوءى، وقال ان معنى قولك «الله علم قادر بصير» الا الله الله . لا محادها في المفاهيم الثنوية كاتحادها في المصداق الوجودي (وفي مرتبة معرفة الافعال) قالوا الافعل لله تعالى، ولا انتسب اليه الفعل، ولا يطاق على الذات اسم الخالق والفاعل وأمثالهما، لانها يجب ان يكون مقارنة للفعل والذات لا يقارن شيئا. واستدلوا بقوله: ان الارادة لا تكون الا والمراد معها، ولا يفهمون ان معنى المراد مع الارادة حادثة هي لامع المريد الذي هو القديم تعالى

(وفي مرتبة العدل) قالوا لا خصوصية للعدل في حق معرفته من الاصول دون سائر الصفات . ولذلك جعلوا اصول دينهم أربعة (احدها) معرفة الله (والثانية) معرفة النبي (والثالثة) معرفة الامام (والرابعة) معرفة الركن . وعليه في الارشاد الخان الكرمانى (وفي معرفة النبوة) قالوا الكل نوع من الوجودات في من نوعهم، فله جمادات نبي من الجمادات، والنبات هكذا، والمحيوان ايضا . وقالوا ان الصفات المقررة في انبياء بني آدم مقررة لها من كونها ظاهرة، ظاهرة، ظاهرة، قابلة للوحي والالهام، ومصنوعة فإضافة على ما تحتها من امثها . وشأنها من بعدها حادثة لشرائعها ونبيا ونبياء . صرح به الشيخ أحمد في جوابه، والخان في ارشاده، وزاد أشياء أخرى،

فقال : ان محمداً نزل وتطور في كل مقام في صورة كل نوع فينبى فيها ويبلغها ، فانهم قد يظهرون في صور الجمادات والنباتات والحيوانات ، وصور بني آدم سيدهم وشقيهم . وبه قال الشيخ احمد في موارد من كتبه . منها ما ذكر في شرح الزيارة في تفسير « واجسادكم في الاجساد » وقال ان الائمة قد يظهرون في احسن صورة لا وليائهم ، وفي اوحش صورة لأعدائهم . ثم ذكر حديث جابر بن عبد الله في قول طلحة : وقال في الاستشهاد لهذا الحديث : حيث ظهر امير المؤمنين (ع) في صورة قبيحة هي صورة مروان بن الحكم ورمى طلحة بسهم وقتله الاتفاق على ان طلحة قتل برمي مروان ، لكن طلحة لما طين الموت وكشف عنه غطاؤه رأى علياً (ع) في صورة مروان بن الحكم ، انتهى . وصرح به الحان في ارشاده . والعجب من هذه المعالة بانه كيف عرف طلحة ورأى علياً في صورة مروان ، ولم يعرفه الحسن بن علي حيث قال في مجلس معاوية لمروان : أنت الذي وقفت بين الصفيين ورميت طلحة وقتلته؟؟

(وفي مرتبة الختمية) قالوا ان للخاتم (ص) اسمين (يعني ظهورين) اسم سماوي وهو احمد ، واسم ارضي وهو محمد . وقد ظهر باسمه الارضي منذ بعث في رأس كل مائة لترويج ظاهر شريعته ، حتى مضت عليه وعلى شريعته ستة مائة ستة مائة فكانت اثني عشر مائة (١) وانتهت الدورة الاولى لترويج ظاهر الشريعة ، واثت الدورة الثانية لترويج باطن الشريعة . وانقضت دورة ظاهر الشريعة ، فظهرت تلك الحقيقة الحمديّة باسمها السماوي وهو احمد في الشيخ احمد لترويج باطن الشريعة . وهذه المقالة عين ما قاله السيد كاظم الرشتي في شرح قصيدة عبد الباقي ، المذكورة في عشرين ورقاً (٢) من أواخر الكتاب . ولان في هذا الميدان جولان ، حيث شبه الامان بالانسان . وقال انه كان نطفة في زمن آدم (ع) ثم صار علقة في زمن نوح (ع) ومضغة في زمن ابراهيم (ع) وعظاماً في زمن موسى (ع) ونفخ فيه الروح في زمن عيسى (ع) وتولد في زمن محمد (ص) فارتضع من ثدي ولاية الائمة (ع) وما كان اوان فطامه غاب عنه المرتضعة (٣) فودعوه (٤) لدى المربيات وهم الفقهاء ، وصار مرافقاً في زمن شيخنا ، فأخذناه من الاماء المربيات لعلمه الآداب والسنن . وجال في المقام ، وأطال في الكلام ، وأبى بذنبه والسبال ، حتى آل الحال الى مقالة

(١) المنار : الصواب في المنار ست مائة ست مائة فكانت اثني عشر مائة (٢) الصواب ورقة

(٣) لم يثبت عنه المرتضعة اي بضية الامام الثاني عشر الوهية (٤) يريد اودعوه من الودعة

قرة العين القزوينية راقصة بالغنج والدلال، انكحت وزوجت قد فر من الميدان (?) وقال الخان ايضا في ارشاده : ان بعث الانبياء والرسل ونصب الحجج وانزال الكتب كلها لاثبات الركن الرابع ، وهو بمنزلة اصل الكعبة في مسجد الامامة في حرم النبوة في عالم ارض التوحيد . فعلى الاسلام السلام بعد هذه المقالة وقالوا بكفر من انكر الركن الرابع ، وانهم ناصيين (?) واطهارتهم للتقية . وايضا قال في اول المجلد الرابع من ارشاده ما هذا لفظه : من چگونه بدست قاصرون نفس ضعيف اين مصيب واپگردن اين خلق منكوصي بگذارم كه هزار و ده سال است كه در جاهليت غيت گرفتارند . وتاريخ كتابه في ست وستين فيكون من اول ولادة الحجة داخلا في الجاهلية الى ان بلغ قلمه موضعه من الكتاب . وقال كتابي هذا - يعني الارشاد - مطابق لما هو مسطور في اللوح المحفوظ حرفا بحرف ، والسواد مطابق للاصل . وقال قراءة كتابي هذا واجبة وقراءة القرآن مستحبة . وقال من قرأ خمسة اوراق من كتابي فكأنما قرأ التوراة والانجيل والزبور والفرقان ، وما اتي به الانبياء من عند الله . ولا تقتصر عباداته عن عبادة السيد ميرزا علي محمد ابن السيد رضا الشيرازي في بيانه النازل اليه من السماء بزعمهم : ان لو اجتمعت الجن والانس على ان يأتوا بحرف من حروف البيان اذا لا يأتون بحرف منه ابدا

(وفي مرتبة الوحي) قالوا ان الوحي عبارة عن توجه خيال النبي (ص) الى نفسه ، ونفسه الى عقله ، وانزال عقله المعاني الى نفسه ، ونفسه الى خياله ، والعقل هو جبريل النازل عليه . صرح به الخان في ارشاده في المقصد الثالث في النبوة . وقال هناك ان النبي مهما كان متوجها الى مسألة علمية كان غائلا عن سائر المسائل ، فيتدرج له العلم شيئا بعد شيء في الدنيا والبرزخ . وقال كثيرا ما يسأل عن الائمة من الاحكام الشرعية (١) ولم يكن لهم جواب حتى يلقى اليهم من عقلمهم ، فيقصر زمان الالقاء ويطول

فان قيل فكيف يرمون هؤلاء بالغلو في حقهم (ع) مع هذه المقالة ؟ يقال ان التناقض في كلامهم غير معدود ولا محدود ، ويقولون بجواز اجتماع النقيضين لاسما في ذات الواجب ، ويستدلون بوجود ملك نصفه من النار ونصفه من الثلج . وهذا معروف منهم

{ وفي مرتبة العظمة } قالوا يجوز الكبائر والصغائر عليهم غمدا وسهوا قبل

(١) لعل الاصل او المراد: كثيرا ما يسأل الائمة عن الاحكام الشرعية .

البعثة وبعدها . صرح بالسهر شيخهم في (جوامع السكام) وقال يغيب عنهم الملائكة المسدد . وقال الخان في الارشاد: پس اكر خداوند مصاحبت داند در بقاء دين ان يغمبر كه از دنيا مي رود البته قائم مقامی از براي ان يغمبر قرار دهد كه اقلاً در حفظ شريعت معصوم بوده باشد اگر چه در جاهای ديكر معصوم نباشد . وان كان في مبحث العصمة اثبت بها لهم وقد قسمها بعصمة عقلية ، وعصمة نفسية ووجودية ، وقسمها الشيخ في شرح الزياره بعصمة ذاتية - وقال بها لنبينا والائمة - وعصمة عرفية - وقال بها في سائر الانبياء - ولا يفهم مراده . وقال الخان بعصمة الركن الرابع الذي يسميه امام الزمان حيث يقول في ارشاده غير مرة : پس امام غائب بكارمر درميخود و مردم امام حي حاضر معصوم ميخواهند

(وفي مرتبة الازمان بالمراج) قالوا بما هو لفظ الشيخ في رسالته المبينة بالقطفية : قال انه تعالى لما اراد العروج الفى في كل كرة ما منها فالفى ترابه في التراب ، وماءه في الماء ، وشواهيه في الهواء ، وناره في النار . وكل قبضة (؟) في تلك السماء ، ثم لما رجع اخذ من كل كرة ما الفى فيها . وصرح عليه في جميع كتبه . ومن بيانه تشبيه المراج باكل الغذاء وتخليقه واخراج تفرقه ، الى ان يحصل الروح البخاري في القلب ، ثم يصعد الى الدماغ ، وقد صعدا الخان في معراج الغذاء المأكول الى ان جعلها نفسا وعقلا وفؤادا

(وفي مرتبة الامامة) قالوا ان امام الزمان غير الائمة الاثني عشر : ولا بد في كل زمان عن امام غيرهم ، وهذا صريح كلامهم . وقال الخان في ارشاده: پس جناحيه بخداي نادیده اکتفا نمیتوانید نمود با امام غائب هم اکتفا نمیتوانید نمود . وقال في موضع آخر: سار غائب چگونه تربيت شا کرد میتواند نمود .

(وفي مرتبة الاماد) قالوا ان الجسم جسمان ، والجسد جسدان ، جسد عنصري دنيوي وهو مخلوق من عناصر هذه الدنيا التي تحت فلك القمر ، وهذه تفتي ويلحق كل شيء الى أصله ، ويمود اليه عود مما رجة واستهلاكه ، فيعود مائده الى الماء وهواءه الى الهواء ، وناره الى النار ، وترابه الى التراب . ولا يرجع ولا يعود لانه كائوب يلقى من الشخص . والثاني جسد أصلي من عناصر (هورقايا) وهو كامن في هذا المحسوس ، وهو مركب الروح ، فيقوم للحساب ، وهو الجسد الذي يتألم ويتنعم وهو الباقي ، وبه يدخل الجنة والنار . وقالوا : السؤال عن الروح والجسد الهورقاياي بمنون البرزخي . وفتوا ان تسراط والميزان والوسيلة كلها مؤولة منوية غير جسمانية

(وفي مرتبة تكليف الناس في زمان الغيبة) قالوا : لابد في كل زمان من امام زمان غير الأئمة الاثني عشر ، ولهم في هذا المقام متناقضات شتى ، فتارة يعبرون بالشيعة ، وتارة بالنقباء والنجباء ، وتارة بالركن الرابع ، وتارة يفرقون بينهم . وجعلوا معرفة الركن الرابع اصلا من اصول الدين ، ونسبوا منكره الى الناصبية ، وتناقضوا في القول ، فقالوا : هذا الركن من الايمان كان مخفيا حتى أظهره الشيخ أحمد ثم السيد كاظم ثم كريم خان ، فمن لم يعرفهم ولم يحجبهم مات ميتة جاهلية ، وميتة كفر وتناق ، ثم تفرقت كلاماتهم من بعدهم على أشخاص كثيرين فتفرقوا أيادي سبا ، كلما دخلت أمة امت أخرى ، الا ان اكثرهم اجتمعوا على محمد خان حسب ما وصى اليه ابوه ، وقالوا في صفات الركن الرابع ما لا يقتصر عن صفات الرسل والأئمة ، قال رحيم خان اخو محمد خان في منظومته : قدرتشان قدرت يزدان بود . وقال لهم السلطنة على العالم والقدرة الالهية على التصرف فيما يشاؤون ، وأمثال ذلك .

ويقولون صريحا بوجود الباب للامام ، وان كانوا ينفونه على السيد ميرزا علي محمد الشيرازي ، فالنزاع في الموضوع دون الحكم ، وحصل كلامهم ان التصديق في مراتب التوحيد لا يكمل الا بالتصديق بالنبوة ، والتصديق بالنبوة ومعرفة صاحبها لا يكمل الا بالتصديق بالامامة ومعرفة صاحبها ، والتصديق بالامامة لا يكمل الا بالتصديق بالركن الرابع ومعرفة صاحبها ، فالعلة الغائية من المعرفة في معرفة أصول الدين والعقائد معرفة الركن الأخير . على ان الدين والايمان مركب من اربعة اركان ، ولا يتم معرفة الاول الا بالثاني ، ولا يتم هو الا بالثالث ، ولا يتم هو الا بالرابع ، فمعرفة اصل ومعرفة المثلث الاول من باب المقدمة ، كما يفهم عن عبارات الخان في ارشاده . ولذا قالوا ان معرفة الركن الرابع ومحبه وموالاته من ضروريات الدين ، ومن انكرها انكر اصلا من اصوله ، وقد عبر الشيخ في كتبه عن هذا الاصل بالشيعة الخاص ، وبعض آخر منهم بالنائب الخاص في زمن الغيبة الكبرى ، في مقابلة الامامية من قولهم ان الاحكام الشرعية والحوادث الواقعة في زمن الغيبة الكبرى واجبة الى النائب العام ، وهو الفقيه الجامع للشرائط ، حتى آل الامر بالخان فمهر عنها بالركن الرابع ، وزاد في الطنبور نفقات أخرى لا فائدة في ذكرها والعجب كل العجب من الفتنة الحادثة بعده فان ابنه محمد رحيم خان قال بوحدة الناطق أي الركنية الشخصية ، وقال بان الركن الرابع للدين في كل عصر من الأعصار شخص واحد يجب لكل مكلف في ذلك العصر متابعتها في الاحكام الصادقة عنه ،

وارجاع أموره التكليفية اليه ، ومعرفة وموالاته ومحبته ، بناء على ان هذه المعرفة بهذه الصفة من ضروريات الدين . وخالفه في هذه المقالة تلميذ الخان السيد ميرزا محمد باقر الهمداني : وقال بكثرة الناطق أي الركنية النوعية ، وقال ان الركن الرابع في كل عصر يمكن أن يكون متعددًا متمسكا بالتوقيع الصادر عن الامام القائم المنتظر {ع} وأما الحوادث الواقعة فارجعوا الى رواة احاديثنا ، وكون محل الرجوع رواية يدل على تعدد الركن لا الشخص ، ولكل منهما كتب متعددة ممهدة لاثبات مدعاه . ولذا صارت الشيعة بمد الخان المهود طائفتين ، وبقي الامر كذلك الى زماننا هذا والاصبهايون منهم من الطائفة الهمدانية . وأما الطائفة الاولى أي تبعة الكرمانى (فهم) متفرقون في سائر البلاد والاغلب منهم ساكنون في طهران وكرمان . وكلام متفقون في جواز التقليد من الميت ، والعمل بكل خبر ولو كان ضعيفا . ولذا يمدون من الاخباريين مع إعمالهم نبذة من قواعد أصول الفقه في مباني فتاويهم انتهى

« المنار »

ما أفسد دين الشيخ أحمد الاحمائي وأصحابه وأثار في أدمغتهم هذه الخيالات الا التشيع بما أثروه عن فرق الباطنية ، وما رأوه من اقرار الناس لبعض زعماء الباطنية بالامامة وبعضهم بالألوهية ، وعلمهم بأن أهل زمانهم أجدر من المتقدمين بالتقليد ، للاعراض عن القرآن والسنة والجهل بهما وبلافتهما ولما كان قبل من التمهيد . والظاهر ان كلا من الاحمائي والرشقي والكرماني كان بطمع أن يكون في شيعة العراق والفرس ، كامام بل إله الاسماعيليه في الهند ، ولكن كان منتهى شوط أباطيلهم التمهيد للباب ثم للبهاء ، الذين كانوا دونهم في الفلسفة والفصاحة والذكاء ، وما سبب رواج كفر الباطنية وشركهم المخترع - على اختلاف فرقهم من اسماعيلية ودروز ونصيرية وبكداشية وبابية وبهائية - الا الفلوس في تعظيم آل البيت (وكذا غيرهم من العلماء والصالحين) والتقليد في الدين فهذان السببان هما اللذان أعدا الاذهان ، لقبول هذا الكفر والطغيان ، وما كانت فرقة الشيعة الامامية أشد غلوا من سائر فرق المسلمين في تعظيم آل البيت جعلها واضعوا هذه الاضاليل مباحة لها ، وسلموا لمقاصدهم منها .

تقرير المطبوعات الجديدة^(*)

﴿ نشوء فكرة الله ﴾

« كراسة تحتوي على خلاصة كتاب لجرانت ألين الكاتب الانكليزي المشهور عن نشوء الاعتقاد بالله وترقي الانسان من الوثنية الى التوحيد الحاضر مع بيان أصول المسيحية ونشوتها »

لخص هذه الكراسة من ذلك الكتاب وطبعها ونشرها (سلامه افندي موسى) وهو شاب قبضي الجنس مادي الاعتقاد، يعنى باقناع الناس بأن الأديان أوضاع مخترعة ينبغي لهم تركها والعمل بقواعد الانتخاب الطبيعي واصول الاشتراكية ومنها - على رايه تبعاً لبعض غلاة المادية من الافرنج - أن يجعل الأقوياء باعلاك الضعفاء، ومنعهم من الزواج ومن كل ما يطيل أيام حياتهم على الارض ، كما لجأ المرضى والصدقة على البائسين . وما نشر هذه الكراسة الا في سبيل مذهبه . وهذه الحملات التي يحملها الملاحدة على الدين تؤثر في النصرانية دون الاسلام ، لأن النصرانية الحاضرة وثنية متسلطة من وثنية قدماء المصريين والهنود وغيرهم . وانا نقول نصولاً من هذه الرسالة بحروفها ثابت ما قلناه ، ثم نقب عاينها بما نراه ، قال الكاتب :

﴿ المسيحية كنيسة ديني ﴾

اذا اخذنا المسيحية كنموذج للاديان واعتبرنا نشوءها نجد ان كل ما فيها من العقائد والمراسم مأخوذ من الاديان السابقة لها التي كانت فاشية عند ظهورها . قاله المسيحية -- المسيح -- كان انساناً كما كانت كل الآلهة القديمة عند اول ظهورها . وقد اعتبره المسيحيون الاولون ابناً لآله (كذا) تربها له عن الانسانية كما فعل اليونانيون مع اسكندر المقدوني . ونجد في المسيحية ما يسمى (بالثالوث الاقدس) وهو عبارة عن ادماج ثلاثة آلهة وهم الآب والابن والروح القدس في إله واحد ، على مثال ما كان يعتقد المصريون في الثلوث الالهى المكون من اوزيريس وايسيس وهوريس . والمسيحيون يعتقدون ان أم المسيح عذراء . ولا بد ان هذا الاعتقاد قد تسلسل من

(*) كتب تقارير هذا الحزم ما عدا الاول منها - شقية السيد صالح مخلص رضا

الاعتقاد المصري القديم الذي كان قائماً على اعتقاد البكارة في ايسيس ام هوريس . وكذلك ترى اذا بحثت عن الاصل في مراسم المسيحية كالصليب والقبر والكنيسة والهيكل انها مأخوذة من الاديان المصرية القديمة . كما ان نظام القربان والسكنوت مأخوذة منها ايضاً .

(١٥ - الضحية والدم)

قد رأينا فيما سبق ان للضحية باعثن الاول هو الاعتقاد بانها تقدم كطعام للروح او الاله . والثاني هو الاعتقاد بان الاله ذاته تجسد فيها وتدفن اجزاؤها في الحقول لكي تنمي الزروع .

الى هنا لم نتكلم عن اكل الناس الاحياء للضحية . فقد رأينا الضحية تجزأ وتدفن في الحقول باعتبار انها إله ورأينا القربان ايضاً يوضع للميت اعتباراً بأنه سيجموع ويأكله . وسنتكلم الآن عن اصل عادة اكل الناس للضحايا .

من الشائع بين عوام مصر ان من اكل قلب ذئب صار قوياً مثل الذئب ويعتقدون في الهند ان من يأكل نمراً يصير شجاعاً جريئاً كالنمر . لهذا لما نشأت عادة ذبح الالهة المتجسدة في الضحية ورد على خواطر المضحين ان يأكلوا هم ايضاً قطعة من جسم الاله حتى يصيروا مثله في صفاته ، على نحو ما يفعل آكل الذئب والنمر . فصاروا يضمون جزءاً من الضحية المؤهلة في الارض ويأكلون جزءاً آخر منها . وهذا صيد المصفورين بحجر واحد : مباركة الحفل وتقوية الجسم . كذا تفعل قبائل الغوند . وكذا ايضاً كان يفعل المكسيكيون . فانهم كانوا اذا ارادوا التضحية قبضوا على اسير من أسرى حروبهم وعاملوه معاملة الملوك مدة عام يقتلونه باحتفال عظيم في نهايته ويأكلونه . وبمضي الزمن ارتقى الانسان من التضحية البشرية الى التضحية الحيوانية الحاضرة في اعياده . وفي طريقة الذبح عند العرب والبرانيين الآن بقايا اثرية من عوائد التضحية القديمة فانهم يذبحون الآن « باسم الله » ويتطلبون اراقة الدماء من المذبوح ، والدم هو في العادة الجزء الذي يشتهيه الاله لانه - بخلاف اللحم - يحفظ فيظن الرائي ان الاله قد شربه .

قلنا ان الانسان كان يشرب دم الذبيحة او يأكل لحمها اعتقاداً بأنه يأكل ويشرب من لحم الاله ودمه . وقد قلنا انه كان يعتقد بأن روح الضحية روح للاله تخرج من الذبيحة عند الذبح وتنتشر في الحاصيل كالسكر و الفلال .

من هنا نشأت عادة أخرى وهي أن يأكل المتدين خبزا أو يشرب نبيذا باعتقاد أنه يأكل من لحم الآله ودمه . لأن روح الآله قد تجسدت في محاصيل الفلال والكروم . والخبز والنبيذ هو ما يأخذه المسيحي من قسيسه باعتقاد أنه يأكل ويشرب من لحم المسيح ودمه .

(١٦ - ضحية الاغتداء)

للضحية - كما قلنا - اعتباران عند المتوحشين (١) أنها تقدم كطعام للروح أو للآله (٢) أنها تقدم لأنها هي الآله ذاته

وهناك نوع ثالث من الضحايا يقدم باعتباره يفدي القبيلة أو الأمة من خطاياها وقد صلب المسيح لكي يفدي الناس من خطاياهم أي لكي يكفر عن ذنوبهم والاصل في هذه الضحية هو الاعتقاد بإمكان نقل المرض من شخص إلى شخص أو إلى شيء آخر . مثال ذلك أن ملكا في (بتشوانالاند) أصيب مرة بمرض ما فأحضر ثورا وتليت عليه الرقيات وأغرق بعد ذلك في النهر . ومنطق هذا العمل عندهم أن المرض قد انتقل إلى الثور وذهب معه بعيدا عن الملك، ولا يزال عندنا نحن المصريين آثار باقية من هذا الاعتقاد في رقياتنا حيث تزيل الرقية المرض وتلقيه بعيدا عن المريض بالقائها بعض أشياء كانت تحرقها في النار وقت الرقية

وقد نشأ من اعتقاد إمكان نقل المرض اعتقاد إمكان نقل الخطيئة . مثال ذلك أن بعض قبائل افريقيا يقتل كل سنة شخصين رجلا وامرأة - لكي يكفرا عن خطايا القبيلة . يعتقدون أن خطيئات القبيلة قد انتقلت إلى هذين الشخصين وأنهم يقتلهما يفسلون القبيلة من أدران خطاياها، ويبررونها أمام آلهتها، كما كان يقتل الآثيون شخصا عند وفود وباء ما على بلدهم اعتقادا بأن الوباء يموت بموته ونجى الأمة منه، وكما تذري الرافية قطعة الشب التي أحرقتها في النار وقت الرقية اعتقادا بأنها حملت المرض معها وذهبت بعيدا عن المريض

(١٧ - العالم قبل المسيح)

كان العالم الذي انتشرت فيه المسيحية تابعا للدولة الرومانية عند بدء انتشار هذه الديانة . وقد كانت هذه الدولة تشمل كل ممالك البحر المتوسط، ودرجت اللغة الرومانية على ألسن التجار فقربت بين هذه الأمم وصبغتهم بالصبغة الرومانية . وقد بعث التجارة على المهاجرة والزوح إلى المواني فكانت الاسكندرية ورومية

وانطاكية (١) ملأى بالسوريين والرومانيين والاسبانيين وغيرهم من الجاليات التي هجرت مواطنهم الأصلية واستعمرت هذه المواني الارترزاق . وقد أدى هذا الى انتشار الاديان في اصقاع الامبراطورية ، وخروجها من اوطانها الأصلية ، فكانت الآلهة المصرية تعبد في أنجلترا ودرومية بسبب النزلاء المصريين كما كان يعبد الآلهة (يهوه) في الاسكندرية ورسيليا بواسطة اليهود . وقد كانت بعض هذه الآلهة تتحد في الصفات فيعبدوها الناس وان كانت أجنبية عنهم الا انها تتفق في صفاتها مع احداً منهم . او كانت الظروف تقتضي عبادة الآلهة الغريبة كما حدث مع البطالسة ، فانهم حينما تولوا حكم مصر عبدوا الآلهة المصرية مع انهم كانوا يونانيين . وقيل ظهور المسيحية كانت الاديان الوثنية قد ضعفت امام الفلاسفة وحصل بذلك اشتياق في النفوس للتوحيد اليهودي . ولو لم يكن (يهوه) إله اليهود وطنياً متعصباً في الوهيته يكاد لا يتعرف بأمة حقيقة بالجنسية غير اليهود لعمت عبادته . لهذا تحول الناس الى العبادة المسيحية لانها في الحقيقة عبادة الآلهة كلها . لان المسيحية اشتقت مناسكها وسننها وراسمها من آلهة مصر وسوريا ورومية وفرنسا وأنجلترا وغيرها ، فكانت كل الأمم تعرف شيئاً عنها وتعقد بصحة بعض سننها وأساطيرها . وما زاد في الاقبال عليها سهولة طريقة الدين بها وصعوبته عند اليهود

(١٨ - نمو المسيحية)

انا نشك في ان المسيح كان انساناً موجوداً . على اننا اذا صدقنا رواية وجوده كشخص ما ، قلنا نعتقد ذلك باعتبار انه وجد وقتل كضحية مؤهلة . وهي الضحية التي قلنا انها كانت تقدم لآلهة الغلال والنبيذ . فقد كان السوريون المجاورون لليهود يبدون (أنيس) إله الغلال ، وكان من عاداتهم أن يقدموا له ضحية سنوية . واعمل الاشاعة التي فشلت بعد ظهور المسيحية عن ذبح اليهود الاطفال قد نشأت عن هذه التضحية ، وعندنا سبعة اشياء ترجح ان المسيح كان ضحية مؤهلة . وهي :

(١) اذا فحست عظمات بولس في رسائله الى الفورتيين نجد يصف المسيح كأنه يحف احد آلهة الغلال تماماً .

(٢) اكل تلاميذ المسيح وكل المسيحيين الآن الخبز والنبيذ باعتبار انهما من جسد المسيح ودمه . وهذا ما كان يفعله تماماً عبدة (أدونيس وأنيس) آلهي الغلال لان الآلهة تجدد في المحصولات .

(١) المزار : انطاكية ليست فرضة (ميناء) وكذلك درومية

(٣) قول المسيح «أنا خبز الحياة» . «خذوا. كلوا من دمي» (١) وقد وصفوه بأنه قمحي الوجه وأن شعره كاون التبيذ .

(٤) أنه دخل أورشليم بهيئة ملك مثل ضحايا أتيس وادوينس . لأن الاعتقاد كان فاشيا بأن هذين الالهين يجسدان في الضحية التي تقدم لهما فيجب اذن اكرامهما ما داما على قيد الحياة . وقد جاء في الانجيل انهم وهم يقتلون المسيح ركسوا، وهذا مماثل ما كان يفعله كهنة أتيس بالضحايا .

(٥) ولما دخل المسيح أورشليم كان ممطياً سمارا وقد نثر أغصان الاشجار على الأرض، وهو عين ما كانوا يفعلونه مع ضحية أتيس وما زال في «أحد الزغف» (٢) الذي يسبق العيد الكبير عند النصارى بقية من بقايا أعياد آلهة الفلال .

(٦) لما قتل المسيح بكى عليه النساء مثلما كان يحدث في نحايا أتيس لانهم كانوا يعتقدون بأن الاله يجسد فيها وبالتالي يكون عليه لانهم قتلوه .

(٧) بعثه بعد ثلاثة أيام . مثل أتيس وادوينس بالضبط

فالمسيح قتل لغرضين : أنه نحية مؤهلة ولكي يفدي الشعب من خطاياهم (وقد عرفنا اصل ومعنى الفداء)

أما الثالث فقد جاء للمسيحية من مصر وانشأ اولاً عند الاقباط لان أديانهم الوثنية السابقة كانت تحتم هذا الاعتقاد .

أما الصليب فقد أتى ايضاً من مصر وتراه للآن على الجملان . وقد اختلط الموضوع على بطريرك مصري مرة فقال في احد كتبه عن المسيح انه «جمل الله» أي انه ظن الصليب والمسيح شيئاً واحداً لان الجمل كان يرسم عليه الصليب .

(١٩ - بقايا اثرية في المسيحية)

ما زال المسيحيون الآن يعبدون الموتى . وقد كانت الكنائس عند اول تشييدها قبوراً ليس الا . ومركز القديس الآن بين النصارى وقيمتهم كركز رئيس القبيلة المتوفى بين قبيلته بالضبط . لان النصراني يحترم القديس ويتبنيه ويتقرب منه كأنه يعبد عبادته ولو أنكر ذلك . وقد كانت القرون الوسطى العصر الذهبي

(١) المنار : العبارة متضخمة لم توجد معنى ما في الانجيل وهو انه سمي اخبز جسده وأسرهم بأكمله .

(٢) أي يوم الاحد الذي يضرعون فيه سعب الخيل بشكل مخصوصة

عبادة الموتى والارواح . فانهم كانوا لا يبنون كنيسة الا اذا أحضروا لها شهيدا أو قديسا دفنوه في هيكلا . وقد تفانوا في هذا العمل حتى ان البندقيين نقلوا جثة صرقس الرسول من الاسكندرية الى البندقية لكي يضموها في الكنيسة المسماة باسمه هناك . ودين الاسلام التوحيدي العظيم لم يهلك عن تقديس الموتى واعتبارهم . فالمسلمون ما زالوا الآن يتمسحون بقبور الاولياء ويتركون بها وينون لهم - للاولياء - المساجد على قبورهم .

نريد بذلك ان الانسان الذي تشجع بالتوحيد ما زال يحن الى ميوله الوحشية وتبعته غريزة الدين الاصلية الى العبادة الاولى : عبادة الجثث والارواح . وتري الآن عند المسلمين اثرا من آثار العبادات القديمة في مشهد قتل الحسين حيث يمثلون قتل الحسين ويسرون به في الشوارع باكين ومترحمين عليه كما كان يفعل السوريون في البكاء على ادونيس سنوياً . اهـ

(المنار) : ما أضل (جرات ألين) الكاتب الانكليزي مؤلف الكتاب ، وأضل أمثاله من احرار الكتاب ، وحجبتهم عن الدين الحق ، وأوههم أنه من خرافات الخلق ، الا ما رأوه من مظاهر الوثنية بين الاقوام ، مع جهلهم بحقيقة الاسلام ، وظنهم ان النصرانية هي أرقى الاديان ، مع شهادة التاريخ بأن جميع أصولها مأخوذة من تقاليد عبدة الاوثان ، كتأليه البشر والتثليث والفداء ، وتقديس كثير من الاشياء . ولو فهموا القرآن حق فهمه ، وعرفوا سيرة نبيه لعرفوا الدين الحق . فان الاسلام وحده هو الدين الذي حفظ أصله كما هو ، فهو الذي يجب ان يتخذ مقياسا وميزانا لا النصرانية ، التي لا يزال الكثيرون من العلماء والمؤرخين يشكون - كماؤاف - في وجود من نسب اليه (وهو عيسى بن مريم عليهما السلام) اذا كانوا يحكمون على الاديان بمسائل استنبطونها من التقاليد التي اخترعت بعد دعاء تلك الاديان فكيف يكون حكمهم صحيحا ؟ ألم تر أنها القارئ كيف عذبوا على الاسلام تقديس كثير من المسلمين الموتى وتمسحهم بقبور الصالحين وبناء المساجد عليها ، وتميل الشيعة منهم لقتل الحسين بن علي (عليهما السلام) كما كان يفعل الوثنيون الاولون ، اذ كان تقديس الموتى ركناً من أركان الوثنية ؟

يعدون هذا على الاسلام ، وأصول الاسلام تنفيه وتحرمه وتعد بمضه ككفرا وشركا وبمضه مهيبة ، وقد اجمعوا على انه بدعة ، وثبت عن النبي (ص) في الصحيحين

والسان انه لمن الذين يتخذون القبور مساجد او يوقدون عليها السرج ، ونهى ان يتخذ قبره وثنا او يتخذ عيداً . ومن الظلم أيضاً ذكر الاسلام في سياق الكلام عن الدم والاضاحي الوثنية . فان اضحية الاسلام لا شائبة فيها الوثنية والفداء ، وانما هي نفقة وتوسعة على العيال والفقراء ، والله تعالى يقول (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) كما انه ينفي عقيدة الفدية نفياً صريحاً . فاذا كان الاسلام وهو الدين الوحيد الذي حفظت أصوله ينتقدون عليه ويمدون منه ما جاء لمدمه وابطاله ونهى عنه اشد النهي ، فكيف يستد بما ينسبونه الى اليهودية والنصرانية ولم تحفظ أصولهما حق يمكن الرجوع اليها ؟

الحق ان اصل الدين فطري في البشر ، انطوى عليه وجدانهم ، وصدقته عقولهم ، عند ما صاروا يبحثون ويستدلون ، والماديون يتوهمون ان فطرتهم وعقولهم لا تؤمن بشيء ما يدركونه بحواسهم ، وهذا غفلة منهم عن أنفسهم ، وعن فرضهم وجود الاثير فرضاً تاجهم اليه الضرورة . وقد بينا من قبل كيفية طروء الوثنية على الناس ، وحقيقة النشوء والارتقاء في الاديان وكيف قاومها الانبياء بالدين الحق ولا محل لاعادته هنا .

﴿ اعتناقي الاسلام ﴾

تأليف (الهندي) عبد الكريم يوسف (جو صو) الفرنسي مطبع في المطبعة التونسية على ورق جيد بحرف كبير ص ١٠٧ « بقطع الاسلام والنصرانية » يباع في المكتبة العلمية (٢٩ شارع الكنيسة بتونس)

ما زال الله يزيدنا بصيرة ويقينا بدين الاسلام خاتم الاديان بما يهدي اليه من ارباب الارادة القوية والفكر المستقل ، فن اسلام عبد الكريم يوسف (جو صو) الفرنسي ، الى اسلام اللورد هدي الانكليزي ، الى امثالهما من اخواننا الذين لحقوا بنا في الاسلام دين الحق والتوحيد والتنزيه ، والايمان بجميع الانبياء المصالحين .

ولا بد من تميم الدين الحق { دين الاسلام } في جميع اقطار المعمورة . (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) واليك صورة اهداء كتاب اخينا عبد الكريم قال حفظه الله

الحمد لله الواحد الاحد ، الفرد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً احد ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله الذي جاء بالحق ليظهره على الدين كله . سرغما اتق من عاند وحقد وحسد ، فدعا لسبيل ربه بالحكمة والموعظة

الحسنة ، وجادل الناس بالتي هي احسن ، فمنهم من تجبر ونفر ، ومنهم من انقاد
واذعن واقرب ، وتلك سنة الله في الذين خلوا من قبل وان تجد لسنة الله تبديلا ،
وعلى كافة الانبياء والمرسلين ، وجميع الآل والاصحاب ومن تبعهم وتلاهم الى يوم الدين .
اما بمدفان المنازل تستهوي الباب قاطنيتها بما يتاح لهم تحت اديمها من افانين السعادة .
والسعادة - لازلت لها قريناتا نوعان : سعادة ارواح وسعادة اشباح ، بينهما من التفاوت
كما بين النار والنور ، والظل والحور .

وقد صادفت اثناء اقامتي بالقطر التونسي سعادة نفسي ، وراحة فكري ، من
انصب وكفاح مارسته عقدين من السنين ، اعني حين قر قراري ، وسكنت نفسي ، رانقاد
ضميري ، لاتباع دين الهدى وشريعة الاسلام ، فصار هذا القطر حينئذ وطننا للنفس
تحن اليه ، وترفرف بأجنحتها عليه ، ومن كانت حر الضمير يصدع بالحق لا بخشى
لوما ولا تريبا .

لذلك اردت أن ابدي للناس عند ما نهجز هذا التأليف مالفؤادي من الود والميل
نحو قطر يجدر لي ان ادعوه « قطر السعادة » فوطدت العزم على اهداء الكتاب
لأميرها الاعظم ، وملاذه الانخم ، صاحب السؤدد والفخار ، سيدنا محمد الناصر باشا باي ،
صاحب المملكة التونسية ، لزال رفيع العماد ، طويل النجاد آمين

عبد الكريم جوصو

وهذا مقل متي

« تقولت عني بعض الصحف الفرنسية عند ما اعتنقت دين الاسلام اني اريد
تمهيد السبيل للزوج بارع نساء ، وامتلاك ما اشاء من الجواني ! سبحانك اللهم هذا
رجم بالغيب ، وقذف بالبهتان ، بل اني اسلمت لله رب العالمين ، مخاضا له الدين ، وما
أنا اول المهتدين

وجدت الاسلام دينا سمحا سهلا المأخذ ، بين العقيدة ، واضح البرهان ، مجردا
من الغموض ، لا يفتقر أتباعه في عبادة خالقهم الى واسطة ، فارضية لنفسه والحمد لله
لقد كنت بادئ بدء اردت أن اقلد اسلافي السكاوليكيين ، ولكن الفكر اني ان
يعتقد شيئا لا دليل عليه ، وكيف يقام البرهان على صحة العقائد السكاوليكية وقساوسها
ورهبانها وكردينا لانها عاجزون عنها .

بعد ذلك مكثت نحو عشرين سنة أبحث عن الدين الحق لأكون من شيعته ، إذ لا غنى لمخلوق عن عبادة خالقه .

فاتفق لي في أواخر هذه المدة أن حجت بعض الاقطار الإسلامية ، فأثر جمال حياة أهلها تأثيراً عظيماً على قريحتي الفنية ، واستهوطني محاسنها إلى أن اندفعت للبحث في شؤونهم أجمالاً وتفصيلاً ، وإذا ذلك أخذ دين الإسلام يستميلني شيئاً فشيئاً ، إلى أن تجلى اليقين أمام عيني ، وعلمت أن الدين عند الله الإسلام .

وها أنا أبين للواقفين على هذا الكتاب خلاصة أبحاثي من أولها إلى آخرها تفهيداً لمزاعم الواهمين . اهـ

ثم كتب له ملحقاً في المباحث الآتية وهي (تسامع الإسلام) و (انتشار الإسلام) و { في الخلق } نقلاً عن كتاب الإسلام الذي ألفه الكونت هنري دي كاستري . ثم (القرآن) نقلاً من « البحث في أهل اللغات » تأليف جان جاك روسو ومن « حياة محمد » تأليف بولانغير . ومن « الإسلام » تأليف هنري دي كاستري . وبعد ذلك مبحث (في المرأة) من مختصر « في حقوق المسلمات » تأليف رحيم حلو . ومن « مختصر الإنكليزي في الإسلام » تأليف ريفي . يتلوه مبحث (قضاء الكنيسة الكاثوليكية على المرأة) ثم (في تعدد الزوجات) من كتاب « الإسلام على حفض القرآن » تأليف قرسين دي تاسي .

(الإسلام) مجلة دينية عامة أخلاقية سياسية فارسية تصدر في طهران في كل شهر عربي مرة صفحتها ٤٨ بالقطع الصغير . رئيس تحريرها حسين كمال الساطان . قيمة اشتراكها ١٢ قراناً في إيران ويضاف اجرة البريد للخارج . وثمان العدد الواحد قران واحد عنوانها « طهران خيابان حرية مركز توزيع كل جرائد داخلية وخارجية » (المرفان) مجلة شهرية شهيرة تصدر في صيدا سنتها عشرة أشهر تبحث في العلم والأدب والاجتماع وتبني عملياً خاصة بشؤون الشيعة ، وكانت حبيبت عن قرائها زمناً ثم عادت إلى خدمتها وهي ذات أربعين صفحة بقطع المنار ، وقيمة اشتراكها في البلاد العثمانية ريال مجيدي وفي الخارج ستة فرنكات

(المنهل) مجلة أدبية تأويحية اجتماعية مصورة عند الاقتضاء . تصدر مرة في الشهر في القدس الشريف لمنشئها محمد موسى المقربي . صفحتها ٤٠ قيمة اشتراكها ريال ونصف ريال مجيدي في البلاد العثمانية وفي الخارج عشرة فرنكات

في اصلاح اللامركزي وعلاجه في البلاد العربية

تألف حزب اللامركزية بمصر لمطالبة الدولة بتغيير شكل ادارتها في المملكة كلها - وان كان جميع مؤسسيه من العرب السوريين - لأنهم يريدون الحياة للدولة كلها لا لبلادهم فقط ، ولو طالبوا الادارة اللامركزية لبلادهم وحدها لما كان ذلك أنفع لهم ولا أرجى لقبول طلبهم ، اذ رضاه الدولة بجعل ادارة بعض ولاياتها مركزية وبعضها غير مركزية بعيد عن العقل والتصور . وتألفت في أثناء ذلك الجمعية الاصلاحية ببيروت لطلب اصلاح معين لولاية بيروت خاصة . وتأنى الجمعية في البصرة لطلب الاصلاح لولاية البصرة خاصة . وما حفز العرب في هذه المواضع واهاب بهم الى طلب الاصلاح والدولة تتن من انتقال الحرب البلقانية التي غابت فيها على اسرها ، الا خوفاً من أن يكون بقاء الخلل السابق سبباً لانحلال الدولة وتقسيم الدول لها بالفتح السلمي الاقتصادي او الاحتلال العسكري .

ولما رفعت هذه الجماعات اصواتها بطلب الاصلاح رددت صداد جماعات المهاجرين السوريين في امريكا الشمالية والجنوبية وفي أوروبا ، واقترح بعض من في باريس منهم تأليف مؤتمر عربي بباريس لاعلان مقاومة كل احتلال اجنبي في البلاد والبحث في حقوق العرب في الدولة العثمانية والمطالبة بها . وعهدوا الى حزب اللامركزية ادارة هذا المؤتمر ، فاختار الحزب للقيام بذلك كلا من السيد عبد الحميد الزهرراوي واسكندر بك عمون ورشح الاول لرياسة المؤتمر على ان يكون بانتخاب اعضاء المؤتمر ، وكذلك كان . وكانت من امر انعقاد المؤتمر ونجاحه واهتمام حكومة الاستانة به ما هو مشهور .

شعر اركان الحكومة الاتحادية بوجود العرب وعلموا بمبادلة الاحتفالات بينهم وبين من في الاستانة من العرب واكثرهم طلبة المدارس الاميرية . وسعوا لاستقدام الوفود من سورية ، واحتفلوا واحتفوا بمن ذهب منهم الى الاستانة ، وادبوا لهم المآدب ، واحبوا التأليف بين طلاب الاصلاح ومن عارضهم وشنع عليهم زلفاً للحكومة ، ولما لم يتمكن لهم هذا . وكانت هذه المظاهرات التي اهم بها اهل الاستانة تذكر بالسخرية في غيرها ، ويمدها العرب في مصر وسورية والعراق وفي البلاد الاجنبية خداعاً وتخديراً .

وأما الامر الذي كانت محل النظر ، وموضع الامل عند بعض العرب ، فهو

الاتفاق الذي عقده جمعية الاتحاد والترقي مع رئيس المؤتمر العربي ، واعطته العهد والميثاق لتنفيذه كله . وهو مؤلف من اثنتي عشرة مادة . ولهذا مكث رئيس المؤتمر بضعة اشهر في باريس ينتظر تنفيذه ، وكانت الاستانة تجذبه اليها وحزب اللامركزية يجذبه عنها ، حتى اختار الحزب أخيراً أن يعود الى مصر ، وان يمر بالاستانة مختبراً اذا شاء . فشاء وجاء الاستانة ، وراجم رجال الحكومة في أسر تنفيذ الاصلاح الموعود به ، فقالوا إتنا على عهدنا ، وقد بدأنا من التنفيذ بإنشاء مدرستين سلطانيتين باللغة العربية احدهما في دمشق والاخرى في بيروت ، وبتقرير جمال عسكر كل ولاية في ممتلكاتها العسكرية ، وبجعل اللغة العربية رسمية في المحاكم ودواوين الولايات العربية ، وباختيار الموظفين لهذه الولايات من الممارفين باللغة العربية . واما ما يتماق بالثامنة والاقاف والمعارف فهو يتوقف على وضع القوانين له ونحن شارعون في ذلك بتنقيح قانون الولايات ووضع قوانين أخرى ، ثم ان تنفيذ بعض ذلك يتوقف على وجود المال ولا مال الآن . واما المناصب والوظائف في مجلس الاعيان ومصالح الحكومة العليا فهم ساعدنا على اختيار الاكفاء لها ليعينهم بالتدريج .

هذا ماخص ما نذكر من معنى أحوبة الحكومة للسيد الزهراوي بعد مراجعات متعددة ، ووعود مبهمة ، كان فيها بين اليأس والرجاء مدة طويلة ، حتى عزم على متدرة الاستانة . ثم شرعت الحكومة في تنفيذ ما لا يتوقف على القوانين ولا انزال من المطالب بالمشاورة منه ، ومنها تعيين ستة اعضاء من العرب في مجلس الاعيان احدهم السيد الزهراوي نفسه ، إذ اقضت الحال ان يكون في الاستانة مرافقاً لتنفيذ سائر ما وعدت به الحكومة من الاصلاح ، ومنها تعيين الشيخ اسماعيل الحافظ من علماء طرابلس الشام عضواً في مجلس المعارف الاعلى ، وهو في الذروة العليا من نابي العرب علماً وعملاً ، اخلاقاً وعقلاً ورأياً واستقامة . ومنها تعيين عبد الوهاب افندي الانكليزي (لقباً لا نسباً) وشكري افندي العسلي مفتشين في بعض الولايات ، وهما من اشهر نابي العرب من سلك الحكومة الملكي المستحقين للمناصب العالية . ومنها تعيين اناس آخرين في (الدوائر) المالية في العاصمة .

وكان رجال الاستانة قبل هذا قد أرضوا بعض رجال جمعية بيروت الاصلاحية بالوعود الجميلة فسكنت - ركتها بالتدريج ، واستمالوا السيد طالب بك النقيب زعيم البصرة ، وأعان في الجرائد الرضاء عن الحكومة والاتفاق معها وتبرع للاسطول العثماني وجمع له مالا كثيراً

ثم ان حزب اللامركزية رأى من الصواب ان يحفظ صلته بالسيد الزهراوي كما حفظ هو صلته بالحزب بهذا قيامه بمسأله اليه خير قيام . حتى انه لم يحل ولم يرحل ، ولم يحل ولم يقد ، الا باستشارة الحزب ، ولان زعماء الحزب يتقون كل الثقة بصدقه في القول وباخلاصه في العمل لمصلحة الامة ، فهو بهذا خير من يوقفهم على أعمال حكومة المصحة فيكونون على صيرة منها ، الا يبنون عملهم وصيهم على الخلل والاهام ، فقرر الحزب باتفاق الآراء إقرار السيد الزهراوي على قبول منصب الاعيان وائتمه به ، اي في التوسط لدى الحكومة بمطالب الإصلاح . فمل الحزب هذا وهو غير موقن ولا مرجح لانجاز الحكومة ما وعدت به السيد الزهراوي ، كما انه غير موقن بأنها لا تنجزها ، فكانت الحكمة في عدم قطع الصلة بالحكومة ، ومطالبتها بالبرهان والحجة ، على كون الحزب لا يألو جهدا في السعي الى الإصلاح من طريق الامة ، فهو يسلك الطريقين الى مقصده ، فذا لم يصل من احدهما وصل من الآخر .

اتفق ان الحزب لم ينشر شيئا جديدا بعد بيانه العام الذي نشره يوم المظاهرة البرقية السلمية ، بطالب البلاد كرسا للإدارة اللامركزية ، لانه لم يجدد شيئا جديدا يدعو الى النشر ، فظن البداء عن مركز الحزب والذين ليس لهم صلة مكاتبه به ، ان الحزب قد سكن ، سكنت او انحلت كجمعية بيروت وجمعية البصرة . وأنه رضي من الحكومة بما قالت وما فلت ، وطاعت الجرائد العربية في امر يكتفون في الحزب وفي طالب الإصلاح كافة ، وزعماء بيروت منهم خاصة .

يدخل الكلام بهذا الموضوع في اربع مسائل : الجماعات الإصلاحية ، والشرطون عليها الآن ، وما يعترضون به ، والحالة الحاضرة . ونسأ في كل مسألة منها قول وجيز .

اما الجماعات الإصلاحية فثلاث كما تقدم : جماعة حزب اللامركزية وهي تعمل لتسوية كلاً وان كان المأثور فيها عربا وتأثير عملها الاول في البلاد العربية . وهي وجدت الإصلاح في البلاد العربية يوجد في غيرها حتماً اما سابقا واما لاحقا . وجماعة بيروت وجماعة البصرة ، ومطالب كل منهما موضعية ، ولكن زعماءها متفقون مع حزب اللامركزية في مطالبه العامة كلاً ، اذ النسبة بينه وبينهما كالنسبة بين الخاص والعام . فكانت الجماعتان اليوم عن مطالبهما العامة لأسباب اقتضت ذلك ،

فذلك لا ينبغي بقاء اتفاق أهل الرأي منكم، مع حزب اللامركزية في المطالب الإصلاحية العامة، وإن لم يساعده على ذلك جميع أفرادها في الشكل الأول، فقد يساعده كثير منهم في شكل آخر. والحق الواقع أن الحزب الآن أقوى ناصرا وأكثر عددا مما كان عليه من قبل، خلافا لما يتوهمه البعيد عنه، فقد تشعبت شعبه وكثرت فروعه في الولايات، ورسخت مقاصده في النفوس، وقد قويت الآمال فيه، وانحصر رجاء الولايات في سعيه، وإن صلة السيد الزهراوي به لم تزد رجاء الولايات فيه إلا قوة وثباتا، وإن كان أهل الرأي من شعبه ولجانه فيها متفقين مع اخوانهم الذين في سر على كون ما منفت به الحكومة على العرب لا يسد شيئا مذكورا في جانب مطالب الحزب، ولا ينبغي أن يزيد إلا جدا واجتهادا في السعي.

وأما المعترضون فمنهم الخاص الذي لا علم له بدخائل الأمور وحقائقها، ومنهم الخاص المطامع الذي يريد بالاعتراض حفز الهمة، والحث على الإسراع في العمل، ومنهم من لا حظ له من المطالبة بالإصلاح إلا التلذذ بمقاومة الدولة العثمانية والتهويش عليها، وهو لا يرجو لها ولا منها صلاحا، ولا يحب لها بقاءا. فهو نصير المنالين عليها، وظهير المقامرين لها، وعدو الراضين منها، كيفما كانوا، وبأبه شكل ظهروا، ومراده أن تستولى الدول الأوروبية عليها ولا يرضيه ما دون هذا. ومنهم من لا يسئل معرفة قصد ولا حقيقة مراده. فلما قالوا في طاب الإصلاح فلا يلتفتون أن يرجعوا عن إنكارهم، وغير الخاصون لا علاج لهم.

وأغرب ما رأى الحزب من المعارضة والمقاومة وأبعده عن العقول ما كان من أحد كتاب نصاري السوريين الذين اتهموا للحزب. فقد حضر كثيرا من جلسات اللجنة العليا بطريق الاستثناء، كان ياتي فيها دلوه بين الدلاء، فينفرد بالمعارضة، ويبلغ بطلب جعل المصالح والمنافع قسمة بين المسلمين والنصارى، وقد اتفق الفريقان على إنكار هذا الرأي وضرر هذه القسمة، وكونها تكون مثار النزاع والتخاصم والعداوة والبغضاء، ويجزم أهل العلم والرأي من النصارى أن ضرر هذه القسمة عليهم أشد، وإن السكوت عن كل ما يتماق بالدين والمذاهب خير لهم وانفع. ولكن هذا الكاتب الذي كان يذكر الدين في أمور السياسة وشؤون الدنيا في فكره هذا بما أشرف في بعض حرائره صر وأمر بركة، ونصر نصارى المهاجرين في أمر بركة من الحزب، ونهاهم عن مساءلة باسم المسيحية وحقوق المسيحيين وهذه المسامحة لها، حتى أنه كتب في جريدة الهدى الأمر بركة التي أتى بنشر ما يكتبه أن صاحب المنار أنكر على مسلمي بيروت اتفاقهم مع نصاراها على جعل بعض أعضاء المجالس المحلية

من المسلمين والنصف الآخر من غيرهم . وهي دعوى غير صحيحة ، فان المنار أنكر من لائحة جمعية بيروت الإصلاحية أكثر مما أعطته للمفتشين والمراقبين من الاجانب ولم ينكر مسألة المتناصفه في المجالس بل عدها دليلا على اخلاص المسلمين وصدقهم الاتفاق مع النصارى لأنهم تنازلوا لهم عن بعض حقوقهم .

وأما الانتقاد والظمن الذي صوب اليهم فهو ان الترك ارضوهم ببعض المناصب والوظائف ، فظهر أن طلب الإصلاح كان شبكة لبيد المنافع ، ويحتجون على هذا بأن المؤتمر العربي قد قرر ان لا يقبل احد من المنتهين الى لجان الإصلاح العربية اي منصب في الحكومة العثمانية اذا لم تفذ القرارات التي صادق عليها - الا بموافقة خاصة من الجمعيات المنتهين اليها ، وخص بأشد الانتقاد السيد الزهراوي وعميدي المسلمين والنصارى في جمعية بيروت الإصلاحية - محمد افندي بيهم ونخله بك سرسق اذ قبلوا ان يكونوا أعضاء في مجلس الاعيان ، قبل تنفيذ الإصلاح في البلاد العربية ولمؤلاء الثلاثة ثلاثة اجوبة يردون بها تلك المصاعن (احدها) ان الحكومة قد شرعت في تنفيذ الإصلاح ولا يعقل أن لا يقبل العرب طلاب الإصلاح مناصبا ولا اعتبار فيها الا بعد تنفيذ الإصلاح كله بأيدي الترك ومفاوضي الإصلاح من العرب ، كأننا نقول : إتنا بعد ان يصالح لنا دؤلاء بلادنا قبل المناصب والوظائف فيها ! (الثاني) ان عضوية الاعيان لا تعد وثيقة او مناصبا في الحكومة ، لان عمل الاعيان كعمل المبعوثين (النواب) : وضع اقتوانين ومراقبة الحكومة في تنفيذها ، فيسيطر على الحكومة لا خدمة لها (الثالث) ان اللجان الإصلاحية التي تنتمي اليها قد وافقت على ان تكون في مجلس الاعيان . وأما الذين قبلوا المناصب في غير مجلس الاعيان فيمكن لمن كان منتصبا الى بعض لجان الإصلاح ان يجيب بالاجواب الاول . وهو جواب ضعيف اذا لم يمزجه الثالث .

سواء على حزب اللامركزية اقتنع المتقدمون والمطاعنون بهذه الاجوبة أم لم يقتنعوا ، فان لجنة الحزب العليا لم تدخل في باب المناصب والوظائف ، وقد دعي رئيسه (رفيق بك العظم) الى الاستانة مرارا قبل ذهاب الزهراوي اليها وبعده - وكان ولا يزال مرشحا لمنصب الوزارة - فلم يجب الدعوة ، والسيد الزهراوي - وان حضر تأسيس الحزب - لم يجب ان يدخل في لجته الادارية ولا في الانتخاب لمت ، لانه جاء مصر زائرا لا مقبلا . ولكن مكانته العالية من نفوس لجنة الحزب العليا ومن نفوس - ثر طلاب الإصلاح في سورية وغيرها هي التي حملت اللجنة

على اختياره للمؤتمر ، ثم ان حسن سلوكه في المؤتمر ، وثباته بعد اتمام عمله فيه على السعي الى الاصلاح مع الارتباط بالحزب وتقيده بقراراته ، وانقطاعه عن كل عمل لأجله ، على كونه ينفق من مال نفسه - وناعميك بسعة النفقات في أوربة - كل ذلك كان من الاسباب الجديدة لرضاء الحزب بقبوله لمنصب عضوية الاعيان والتوسط لدى الحكومة في الاصلاح ، واما السبب الأول فهو كفاءته الشخصية في صدقه واخلاصه ونارينجه الحميد النقي ، كما أشرنا الى ذلك من قبل .

* *

بقيت المسألة الرابعة ، وهي بيان حالة الحزب الحاضرة . والتحول الوجيز فيها ان الحزب - وان لم يسمع له صوت عال من عدة أشهر - قد أصبح أقوى مما كان ، منذ أسس الى الآن ، فقد كثرت فروعها في الولايات واتخذت ، وتوالت الثقة به وثبتت ، وانحصرت آمال طلاب الاصلاح فيه أو كربت ، ويصح ان يقال ان طوره الأول كان طور تمهيد للعمل بإعداد الافكار ، ثم بتأليف اللجان ، وقد انتهى الآن بطور القيام بالاعمال ، وان قيامه بالعمل ، واضطلاعه بالسمي ، ذو خير خدمة للدولة قبل الامة ، لما أثبتته الماضي لرجاله من الروية وحسن النية ، فكانت المصلحة في أن يدير هو الحركة ، لئلا تنفضي الى الفوضى ، أو يتغلب عليها الغلاة المتطرفون ، الذين ظهرت في مدة سكوتهم بصوتهم بنعمة الثورة ، وتوزيع منشورات أقلقت الحكومة وعتلاء الامة . ويقال انه يريد ان يبدأ عمله بجمع مؤتمره السنوي وتجديد انتخاب أعضاء اللجنة العليا ، وعرض المشروعات الجديدة للعمل عليها ، ومنها تحويله الى جمعية ، اذ لم تصدق عليه الحكومة . فقد اقترح هذا كثيرون . وعسى ان تكشفه الحكومة هذا الامر ، فتبادر الى الاصلاح من تلقاء نفسها والله الموفق .

الشيخ علي يوسف



﴿ أخلاقه وسجاياه ﴾ المنار لا يعنى بترجمة أحد ترجمة تاريخية محضه وإنما يعنى من تراجم الناس بيان الانحياز الحسنه ولا عمل النفعه ، التي تكون مثلاً حسناً ، وقدوة صالحة ، لأن غاية المنار اصلاحية فهو يعنى بكل ما يتوصل به

الى الاصلاح ، ويرغب الناس في الفضائل ومحاسن الاعمال ، وان ذكروا ما يقابل ذلك فانما نذكروه لان العبرة لا تتم الا به ، ولا يجمل ذكر المساوي هو الاصل في الموعظة ، وقد كان ما ذكرناه من ترجمة هذا الرجل دأبنا على هذا القطب ، وأحياناً أن نختتمها بهذه الكلمات التي تذكّر الناس وتنبه الغافل لما هو المصنوع بالذات . فنقول أن هذا الرجل نبه بعد خمول ، وارتفع بهمة وأخلاقه الى الطبقة العليا في أمته ، فصار من بطانة أمير البلاد وأهل ثقته . وصاحب التأثير الاول في أفكار المصريين ، والرأي المحترم في جميع الاقطار الاسلامية ، وكم من متعلم نال الدرجات العليا في العلوم والفنون العربية والافرنجية يتنى أن يصل الى ما وصل اليه الشيخ علي يوسف بما دون درجات علمه وهو لا يستطيع الى ذلك سبيلاً ، لأن من أبطأت به سجاياه وأخلاقه لا تسرع به علومه وفنونه ، فأحب أن تذكروا بابتداء الرجل قد ارتقى بالعزيمة . وقوة الارادة والصبر والثبات وعلو الهمة ، والاخلاص لله والامة . فمن استطاع ان يتخاطب بهذه الاخلاق ، فليقصد بها ما شاء من مراتب الكمال ، ومقامات الرجال . وليحذر المعقب بسير رجال عصره من الوقوع في مثل الخطأ الذي ارتكبه هذا النابغة وأمثاله من النوايح (كقاسم بك أمين) وهو محاولة استعمال الثروة الواسعة التي تليق بمقامهم الاجتماعي بساوك الطرق التي ربما تؤدي الى ضد مرادهم ، والشيخ رحمه الله عصمته تربيته الدينية ان يفتن بما افتن به كثير من كهواتنا المتفرجين من المقامرة ، وانما تورط في شراء الدور والقصور وعرضات الارض الممدة للبناء في تلك المدة التي خرج فيها التغالي بالاثمان عن الحد الطبيعي الذي وصلت اليه درجة العمران في البلاد . ولما عادت (سنة رد الفعل) بالاثمان المباني وعرضاتها الى ما دون الثمن المعتدل لها ، بعد ذلك الافراط فيها ، غرق الرجل مع من غرق في طوفانها ، ولولا ذلك لما قصرت ثروته بما يليق بمقامه الاجتماعي ، على ما كان من تنصيره في ادارة المؤبد المالية . وما ذكرنا هذا على كونه معروف مشهوراً الا ليكمل الاعتبار بصورة فقيدنا النافعة طرذا وعكسا ، ونسأل الله تعالى ان يتنعمه برحمته ، بمنه وفضله وكرمه .

(تنبيه) وقع في السطر ٢٢ من ص ١٦٨ من هذا الجزء كلمة سب خطأ وصوابها (سبب)

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيبينون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المعجزة
١٣١٥

يؤمن الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتى خيرا كبيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

مصر ٣٠ ربيع الآخر ١٣٣٢ هـ ق ٨ الربيع الاول ١٢٩٣ هـ ش ٢٧ مارث ١٩١٤

﴿ استفتاء في فسخ نكاح المسر ﴾

ما قولكم في امرأة فقيرة غاب عنها زوجها من مدة سنين وترك عندها ولدا ولم يترك لها شيئا لنفقة وتنفقة ولده ولم يرسل لهما سوى شيء يسير لا يقوم بنفقة الولد وكتبت له عدة كتب طابت منه النفقة الكاملة لها ولولدها او الطلاق فتمت ولم يجوب عليها (?) ثم التمت من شيخه شيخ الجاوي فكتب له ولم (يجب) فهل لها طلب فسخ النكاح عند الحاكم الشافعي ام لا؟ وهل لو رفعت امرها اليه وتحقق وثبت عنده جميع ما ادعته المرأة بالبينة الكاملة وفسخ نكاحها يكون فسخه واقفا وموقه ولها بعد تمام المدة من الفسخ المذكور الزوج أم لا؟ أفقونا مأجورين

﴿ جواب مني الشافعية بمكة المكرمة ﴾

باسمه سبحانه وتعالى أبتدي الجواب ، واستمد منه تعالى العون والهداية لأصواب في الحقيقة يقع كثير من بعض الرجال الظلم والنعدي والابذاء في حق النساء البائسات ، وذلك حرام وفاقله آثم مخاف لما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في حقهن ، ومن ذلك الزوج بمن ثم السفر وتركهن بلا نفقة ولا منفق ، فجزي الله امامنا الشافعي رضي الله عنه خيرا حيث سوغ لهم فسخ النكاح عند ضررهن . ويسوغ للحاكم متى رفعن أمرهن اليه ان يفسخ نكاحهن ، ثم بعد تمام المدة يتزوجن بمن شئن . وكذلك أمام دار الهجرة الأمام مالك رضي الله عنه . فالمرأة المسئول عنها متى رفعت أمرها الى الحاكم وثبت لديه ضررها ودعواها فله حينئذ فسخ نكاحها من الزوج المذكور وفسخه سائع وواقع وموقه ، ولها بعد تمام مدة الفسخ المذكور الزوج بمن يقوم بشأنها . قال في الأسنى متنا وشرحا : واختار القاضي الطبري وابن الصباغ وغيرهما جواز الفسخ لها اذا تمذر تحصيلها للنفقة في غيبته لضرورة ، وقال الروياني وابن اخته صاحب العدة أن المصلحة أفتوى به . وقال في فتح المعين : واختار جمع كثيرون من محققي المتأخرين في غائب تمذر تحصيل النفقة منه الفسخ ، وقواه ابن الصلاح . وقال في فتاويه : اذا تمذرت النفقة لعدم مال حاضر مع عدم إمكانها اخذها منه حيث هو بكتاب حكى وغيره لكونه لم يعرف موضعه او عرف واسكن تمذرت معاليته عرف حاله في اليسار والاعسار أم لم يعرف فلها الفسخ بالحاكم والافتاء بالفسخ هو الصحيح اهـ ونقل شيخنا كازمه في الشرح الكبير ، وقال في آخره وأفتى بما

قاله جمع من متأخري اليمن . وقال المحقق الطمبداوى في فتاويه : والذي نختاره
 بما الأئمة المحققين أنه ان لم يكن له مال كما سبق لها الفسخ وإنه كان ظاهر المذهب
 خلافه لقوله تعالى (وما جعل عليكم في الدين من حرج) ولقوله (ص) « بثت
 بالحنفية السمحة » ولان مدار الفسخ على الاضرار ولاشك أن الضرر موجود فيها
 اذا لم يمكن الحصول الى النفقة منه وإر كان موسرا اذ سر الفسخ هو تضرر المرأة وهو
 موجود لا سيما مع اعسارها فيكون تضرر وصولها الى النفقة حكمه حكم الاعسار اه
 وقال السيد عبد الله بن عمر الحضرمي أنه يجوز فسخ النكاح من زوجها حضر
 أو غاب بتسعة شروط الى ان قال : ولو غاب الزوج وجهل يساره وإعساره بانقطاع
 خبره ولم يكن له مال بمرحلتين فلها الفسخ بشرطه كما جزم به في النهاية وزكريا والمزجد
 والسباطي وابن زياد وابن قاسم والكروي وكثيرون . وقال ابن حجر في النفقة
 والفسخ وهو متجه مدركا لا نقلا اه بل اختار كثيرون وانقضى به بن عجيل وابن
 الصباغ والرويانى انه لو تضرر تحصيل النفقة من الزوج في ثلاثة ايام جاز لها الفسخ
 حضر الزوج أم غاب ، وقراه ابن الصلاح ورجحه ابن زياد والطمبداوى والمزجد
 وصاحب المذهب والكافي وغيرهم فيها اذا غاب وتضررت النفقة منه ولو بنحو شكاة .
 قال ابن قاسم وهذا أولى من غيبة ماله وحده والجوز للفسخ . أما الفسخ بتضررها
 بطول الغيبة وشهوة الوقاع فلا يجوز اتفاقا وأن خافت الزنا والله سبحانه وتعالى أعلم
 امر برقه مفتي الشافعية بمكة المحمية الراجي غفران المساوي

عبد الله ابن السيد محمد صالح الزواوي

كان الله لهما آمين

الحتم

صورة ما كتبه بعض كبار علماء الشافعية بالأزهر على هذه الفتوى

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

أفاد العلامة السيد مسطفي الذهبي في المسائل الفقهية أن أصل مذهب الامام
 الشافعي أنه لا فسخ مادام الزوج موسرا ، أي لم يعلم اعساره وان انقطع خبره وتضرر
 استيفاء النفقة منه ، وأن الذي جرى عليه ابن الصلاح وشيخ الاسلام وكثير من
 المحققين انه اذا تضرر استيفاء النفقة منه من كل الوجوه لانقطاع خبره او تعززه أي
 نوابه بحيث لا يتمكن الحاكم من جبره ، ولم يوجد لكل منهما مال فسخت الزوجة
 بالحاكم ، قالوا لأن سر الفسخ بالاعسار هو التضرر ، والتضرر موجود هنا ولو مع

اليسار ، فلا نأخذ ادم بتحقيق الاعصار . وظاهر انه لا إيمان هنا لان سبب الفسخ كما علمت هو محض الضرر من غير نظر للياسر والاعصار انتهى وان أردت بسط في المقام فراجع المسائل المذكورة صحيفة ٦٧ و ٨٠ والله أعلم

كتبه

كتبه

كتبه

عبد التجدي سليمان العبد بالأزهر الشريف محمد إبراهيم الطائي الثاني
(الناشر) ان ما علم به أولئك الفقهاء جواز الفسخ صحيح وان دفع المخرج ونفي الضرر والضرر قطعي في الشريعة . ومن أشد الضرر والمخرج وألغت عدم القيام بحق الزوجية الثابت بحديث « وان لزوجك عليك حقاً » المفق عليه . فلا عبرة بقول من قال انه لا يفسخ به وان خاف الزنا على نفسها . لانه غائب لأدلة الشرع القطعية . وقد سبق لنا في اننا بان فتوى المشيخة الإسلامية في الاستانة بالفسخ على الغائب والمسر ، وصدور الإرادة السنية بذلك

(محاضرة الدكتور كريستيان سنوك هرنج الهولندي)

(في الاسلام ومستقبل المسلمين)

وعداً أن نعلق شيئاً على هذه المحاضرة التي نشرناها في الجزء الماضي ووقعنا
بالعدد تقول

(١) يظهر من كلام الدكتور انه احبب المسلمين اختياراً واسماً قلما يصل الى مثل غوره الأجنبي ، فهو قد اصاب في اكثر ما ذكره عنهم من رأي وخبر ، ولكنه ما عرف حقيقة الاسلام وكنهه ، وأن له أن يعرف ذلك ومن أين يعرفه ؟ يقول انه درس الاسلام وعرف أصوله وفروعه من مكة المكرمة حيث أقام ثمانية أشهر يتلقى عن بعض العلماء : سبحان الله : إن أهل مكة أقل أهل الأمصار الإسلامية عناية بالعلم الديني وغيره ، ومن يوجد فيها من المدرسين الغرباء ، فقلما يوجد فيهم أحد من المبرزين الأقوياء ، وأن وجد فيهم من يتفنن بعض العلوم الشرعية ، فهو لا يقرأ الدروس الا على طريقة متأخري المسلمين المقيمة ، طريقة المناقشة في عبارات بعض كتب المذاهب . قلنا في الأشهر لا تتكلم في قراءة عقيدة كالتسنية أو النوسية ، ونحوها من كتب الكلام على مذهب الأشعرية ، ولا لقراءة باب الطهارة والصلاة من متوسطات كتب الشافعية أو الحنفية . وعلم الكلام الذي هو علم فلسفة العقائد الإسلامية يقول فيه الإمام الغزالي انه ليس من علوم الدين وإنما هو علوم

للعقيدة كالسكر الفين يحرسون البلاد أو الحجاج مثلاً . بل تقول اتنا على سعة
اختبارنا لنعلم الاسلامي لا نعرف مكانا في الارض تبين فيه حقيقة الاسلام التي يمثلها
القرآن وسنة الرسول المتبعة وسيرة السلف الصالح ، من العقائد والاخلاق والآداب ،
والسياسة والادارة والقضاء ، تبياناً سائلاً من الشوائب والادواء ، بحيث تلقى بصراحة
في ثمانية اشهر أو اعوام (وارجو ان يوفق لهذا من يخرجون في مدرسة دار
الدعوة والارشاد) .

(٢) اعترف هذا الدكتور الهولندي بأنه ادعى الاسلام ثقافاً او خداعاً للمسلمين
ليسبر غورهم وغور دينهم من حيث تأثيره في حياتهم المدنية والسياسية . وقد فعل
مثل هذا غيره من أفراد الشعوب الأوروبية امحباب المستعمرات الاسلامية ، كالفرنسيين
والروس والانكليز . ولو كان للمسلمين حكومات منظمة ، وجميات اصلاحية عامة ،
لما تيسر هؤلاء الجواسيس ما يفسر لهم وأمر المسلمين فوضى . واتسأرى هؤلاء
المستعمرين يرافون كل غريب يدخل مستعمراتهم ولا سيما اذا كان مسلماً . فلا
ينفون من حر كانه ولا اقواله شيء .

(٣) بين الدكتور ان الاسلام الديني ، كان قائماً على اساس سياسي ،
وان المسلمين كانوا واثقين بدينهم وراضين به اذ كانوا احراراً يرون ان العالم كله
ملك لهم بانفعل او بالقوة ، عليهم ان يفتحوا منه ما لم يفتحوه . وهذا الذي ذكره
عن المسلمين هو الذي عليه الافرنج الآن ، فهم يرون ان العالم كله ملك لهم ، ولذلك
يتفقون فيما بينهم على اقتسام الممالك المستقلة ثم ينفذون ذلك . ولا مجال هنا للبحث
في تفصيل هذا وبيان ما اخذه . ولستأنا ننبه عقلاء القراء الى الاعتبار بحالهم السابقة
وحال الاوربيين الحاضرة ، ثم المبرة كل المبرة فيما رتبته هذا السياسي الكبير على
هذا وهو .

(٤) بين ان الاوربيين قد سلبوا المسلمين ذلك الاستقلال والحرية بالتدريج ،
فاضطر المسلمون الى تعديل افكارهم في الاسلام الديني ، بعد زوال الاساس الذي
بني عليه وهو الاستقلال السياسي . ثم نقل ان بعض الساسة الاوربيين يرون ان
سقوط الاسلام الديني يتبع سقوطه السياسي ، فيزول الاسلام من الارض ، وانه
يتخالفهم في ذلك ، ويرى ان الاسلام الديني لا يزول كما أنه لا يبقى كما كان في عهد
استنائه والثقة به ، وسند كرم ملخص رأيه فيه ، والعبر لمن يعقل من المسلمين في
هذا كثيرة ، ومن اهمها غرور المقتولين من المسلمين الذين يغترون أنهم يحفظون

٢٧٠ خذلان المبشرين في تنصير المسلمين وكيف يهدم الاسلام (المنار - ج ٤ م ١٧)

استقلالهم السياسي او يؤسسون لهم استقلالاً جديداً مع ترك الدين ، فان هذا اذا جاز في غير الاسلام لا يجوز فيه ، لان جميع القومات الامة جعلها الاسلام اسلامية (٥) كما بين ازالة اورية لاستقلال الاسلام السياسي بالاستيلاء على عمالكم الواسعة ، بين تصرفها في ازالة استقلال افراد المسلمين في انفسهم ، بما يثنيه من تغافل الآراء الاوربية في افكارهم ، وزلزلتها لكثير من مقوماتهم ومشخصاتهم المالية التي يمتازون بها عن غيرهم ، وبها كانوا امة واحدة ، وبين ان ازالة بعض المميزات العادية كاللباس ، له دخل في ازالة المميزات الدينية كالصلاة ، فقال ان اداء الصلوات الخمس صار متعذراً على المتفرجين ، الذين يلبسون الزي الافرنجي (قال) وسيتبعه الصيام . فحزم بأنهم يتركونه ، وبأن الشرائع التي كانت مقدسة عامة ستكون خاصة بحجاج مكة والمتصوفة !

وظالمنا نبهنا المسلمين على ضرر هذا الانسلاخ من العادات والاخلاق بتقليد الافرنج . وقد فطنا لهذه المسألة في اثناء اشتغالنا بطالب العلم بطرابلس الشام ، فكتبنا في بحث الزي واللباس فصلاً طويلاً يبين فيه انه ليس للاسلام زي ديني خاص ، وان ضرر تغيير الزي سياسي اجتماعي ، وانما يمس الدين ويكون محرماً شرعاً لاسباب عارضة كسكونه ضيقاً يمنع من اداء الصلاة . ولكن جماهير المسلمين لا يزالون معزولين عن فهم امثال هذه التنبيهات والنصائح ، حتى انه ليسخر بها من يمدون انفسهم من الفلاسفة والسياسيين ، وانما هم من السفهاء المقتونين .

(٦) ذكر من اثر سلطان الاسلام في اهله ان الآراء الاوربية على شدة تغافلها في انفس المسلمين وتحويلها لعاداتهم وافكارهم ، وتغييرها لشؤون حياتهم ، لم تقو على محو الشعور الديني من قلوبهم ، حتى انه كان يعرف تلاميذه المسلمين من غيرهم ، بمجرد قراءته لمنشأهم ، لان روح الاسلام لا بد ان تجلي في عبارتها

(٧) يعال الدكتور بهذا وغيره ما رآه ورواه من خذلان دعاة النصرانية (المبشرين) فيما يحاولون من تنصير المسلمين ، ويجزم بأن التغيير الذي ادخلته اورية على الاسلام لا ينتهي بتنصير المسلمين ، لأنهم يعرفون النصرانية ويمتقدون انها فسدت وان الاسلام ارقى منها . وهذا القول الذي قاله صحيح وان كان يجهله من لم يكن له مثل علمه واختباره . فتحسن لفتقد ان اصل النصرانية صحيح ، وانه طرأ عليها التبديل والتغيير ، وان الله اكمل دينه بالاسلام ، على سنته في النشوء وترقي الاجتماع في الاقوام . (٨) رأي الدكتور في مستقبل المسلمين الذي اطل في يانه هو انهم يكونون

مثل اليهود في زوال انك والرضا بحكم الاوربيين وسيادتهم ، مع المحافظة على شعور دينهم وبعض تقاليدهم مثلهم ، ومجاعة الافرنج في سائر الشؤون وان كان فيها ترك احكام الاسلام وآدابه . واستدل على ذلك بنحول افكار المسلمين عن الرضاء بالترية الدينية القديمة الى لغات الاوربيين وعلومهم وتربيتهم .

(٩) يرى هذا الدكتور الهولندي ما يراه الفرنسيون وغيرهم ان ما يراد ادخاله على الاسلام من الآراء والافكار التي يريدونها دعاء النصرانية يجب ان يبت في المسلمين باسم المدنية لا باسم الدين ، فحينئذ تقبل . وهذا ما تجري عليه فرنسا في مستعمراتها الاسلامية . يعني ان المسلمين قد فتنوا باسم المدنية الاوربية ومظاهرها فوم بقبولهم من بابها كل شيء ، - وان لم يوصل اليها - لا يميزون بين كفر وإيمان ، ولا بين ضار ونافع . واما ثقتهم بدينهم ورؤيتهم دين النصرانية دونه فهما مما يحول دون قبولهم لشيء ما من دعاء النصرانية باسم النصرانية .

(١٠) ملخص المحاضرة أن أوربة ازالستقلال الاسلام السياسي وانزعت ملك المسلمين من ايديهم بالندريج ، وانهم شرعت في ازالة سائر مقوماتهم وشخصاتهم القومية التي كانوا بها أمة واحدة ، دينية وغير دينية ، حتى اللغات والمعادن واركان الدين - وان اهل الرأي فيها يختلفون في دين الاسلام نفسه هل يمكن ازالته من الارض بعد اسقاط الحكومات الاسلامية كلها ام لا . فبعضهم يرون امكان ذلك فيبدلون الملايين لدعاة النصرانية لتتصير المسلمين . وبعضهم يرى ان الاسلام لا يزول بالرة ، ولكن ينبغي ان تزال ثقة المسلمين به ، وأن يحولوا باسم المدنية عن جميع ما يربط بعضهم ببعض حتى لباس ، فهذا يكونون فعلة وزراعا للمادة المالكين لبلادهم ، اذ لا يستقنون عنهم في استخراج خيرات الارض . وهذا ما يسعى اليه قوم آخرون .

ومن العجائب ان محاضرة كهذه تترجمها جريدة سورية بالعربية ، وتحمل عنوانها (مقاومة الاسلام لنفوذ النصرانية !!) كأنه كبر عليها قول الخليل ان المبشرين لا يستطيعون تصير المسلمين ، فعدت هذا من مقاومة الاسلام للنصرانية ، وهكذا تقول بعض الجرائد القبطية هنا اذا قابل بعض المسلمين طامن المبشرين بجزء من الف جزء . فمضى يفهم المسلمون ومتى يشلون ؟

(١١) نحن نسلم قول الكاتب وفقا لكثير من احرار الافرنج : ان أوربة قد ازالستقلال الاسلام السياسي ، ولا يصدنا عن هذا التسليم ابقاء او بقاء خيال من الاستقلال ضعيف في بعض البلاد ، يدير بعضه النفوذ الاوربي ظاهرا وباطنا او

باطنا فقط ، ولا وجود بعض الامارات الصغيرة غير المنظمة التي يدور حولها النفوذ الاوربي ولا يجد له الآن منفذا للدخول في احشائها كقلب جزيرة العرب . ولو كان عدد المفلاء الذين يفهمون هذه الحقيقة ولا يفترقون بخيال الاستئلال الرسمي او ظلاله مثلنا كثيرا ، لكان نهوض الاسلام من سقوطه السياسي والدني قريبا ، ولكن جمهور المسلمين الاكبر كالأطنانال الذين يظنون ان الصور المتحركة التي يرونها في الملاعب تمثل الملوك والجيوش والوفد هي من الاحياء التي تحرك وتعمل بارادتها . ولو عرف الدكتور الحاذق الثب حقيقة الاسلام كما عرف احوال المسلمين الاجتماعية ، ولو دقق نظره بعد ذلك في شؤون المسلمين فضل تدقيق ، وقاس حاضرم الذي عرفه بماضيهم القريب انظلم ، وماضيهم البعيد المشرق ، - لالم ان في الاسلام قوة كامنة لم يكن لليهود مثلها ولا ما يقرب منها عند ما زال ملكهم ، ولا قبل ذلك ولا بعده . ولالم ان هذه القوة لو وجدت من يحسن استخدامها والانتفاع بها لامكنه ان يملك بها الشرق كله ، او يكون سيده الاول ، ولكن من سوء حظ الشرق انه لم يوجد في هذه القرون الاخيرة عقل نير ادرك هذا بقوة اشته ولاهمة عالية ارادت ان تصدى له ، الا عقل نابليون الكبير وهتمته ولكن حالت الاقدار بينه وبينه . ولو عقل الدكتور السياسي هذا وخبره لاقمع دوائه بأن تكون هي الدولة التي تسود الشرق بالمسلمين ، ولو اقمها لامكنها ذلك وان كان مسلمو بلادها اضعف من غيرهم في قوتي العلم والعمل ، وفي المجداتالذ والطارف . أما لو فطنت لمثل هذا العمل فراسة او انكسرة لكانت كل منهما اقدر عليه من غيرها .

فإذا ظلت هذه الدول التي تملك عشرات الملايين من المسلمين ، محجوبة عن هذه الحقيقة بما ضربه التاريخ دونها من حجب السياسة والدن ، فليس من البعيد ان تقطن له دولة اليابان ، ان صح ما يظنه الاوروبيون من انهم قطعوا طرق الحياة كلها على هذه البقايا من دول الاسلام

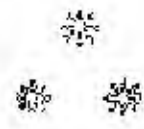
وأما الاسلام الدني فهو لا يزداد الا قوة وحدة مهما حل بالاسلام بالسياسي ، وقد حفظ الدكتور منه شيئا وشاب عنه اشياء . فان كان بعض المتفرنجين قد تروا الصلاة والصيام ، ويظن هو كما يظنون ان الجماهير سيقتبعونهم في هذا الضلال ، افئانا بزخرف الشهوات المدنية ، وما تعبت بقولهم الآراء الاوربية ، فليعلم ان عدد المسلمين يزيد ولا ينقص ، وان هؤلاء المتفرنجين المنتوين سيرجع بعضهم الى الهدى ، ويبقى للمسلمون البعض الآخر نبع النوى ، وأن الاسلام دين المستقبل « سترهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق . أو لم يكن بربك انه على كل شيء شهيد » ؟ ؟

الباطنية وغلاة المتصوفات

(بدعهم وتأويلاتهم من فصول كتاب الاعتصام للامام الشاطبي)

فصل

(ومنها) بناء طائفة منهم الظواهر الشرعية على تأويلات لا عقل - يدعون فيها انها هي المقصود والمراد ، لا ما يفهم العربي - مسندة عندهم الى اصل لا عقل . وذلك انهم - فيما ذكر العلماء - قوم ارادوا ابطال الشريعة جملة وتفصيلاً ، وإلقاء ذلك فيما بين الناس لينحل الدين في ايديهم ، فلم يمكنهم إلقاء ذلك صراحاً ، فإرد ذلك في وجوههم ، وتمتد اليهم ايدي الحكام - فصرفوا اعتناهم الى التحال على ما قصدوا بأنواع من الخيل ، من جملة ما صرف لهم من الظواهر إحالة على أن لها بواطن هي المقصودة ، وان الظواهر غير مرادة . فقالوا : كل ما ورد في الشرع من الظواهر في التكليف والحشر والنشر والأمور الإلهية ، فهي امثلة وموزاة لبواطن .



فما زعموا في الشرعيات ان الجأزة مبادرة الداعي للمستجيب بإفشاء سر اليه قبل أن ينال رتبة الاستحقاق . ومعنى القسطنطينية تجديد العهد على من فعل ذلك . ومعنى مجامعة البهيمة مقابحة من لا عهد له ولم يؤث شيئاً من سدة النجدي - وهي مائة وتسعة عشر درهما عندهم - قالوا : لذلك اوجب الشرع القتل على الفاعل والمفعول به ، والا فالبيهة متى يجب القتل عليها ؟

والاحتلام ان يسبق لسانه الى افشاء السر في غير محله، فعليه الغسل،
أي تجديد المعاهدة. والطهر هو التبري من اعتقاد كل مذهب سوى
متابعة الامام. والتميم الاخذ من المأذون الى أن يسعد بمشاهدة الداعي
والامام. والصيام هو الامساك عن كشف السر.

ولهم من هذا الافك كثير في الامور الالهية، وامور التكليف،
وامور الآخرة، وكله حوم على ابطال الشريعة جملة وتفصيلاً، اذ هم ثنوية
ودهرية وإباحية، منكرون للنبوّة والشرائع والحشر والنشر والجنة والنار
والملائكة، بل هم منكرون للربوبية. وهم المسمون بالباطنية. (١)

وربما تمسكوا بالحروف والاعداد بان الثقب في رأس الآدمي سبع،
والكواكب السيارة سبع، وايام الاسبوع سبع، فهذا يدل على أن دور
الأئمة سبعة، وبه يتم. وان الطبائع اربع، وفصول السنة اربع، فدل على
أن اصول الاربعة هي السابق والتالي الاكبران - عندهم - والناطق
والاساس. - وهما الامامان. - والبروج اثنا عشر، يدل على أن الحجب
اثنا عشر، وهم الدعاة، الى انواع من هذا القبل. وجميعها ليس فيه ما يقابل
بالرد، لأن كل طائفة من المبتدعة سوى هؤلاء، ربما يتمسكون
بشبهة تحتاج الى النظر فيها معهم. أما هؤلاء فقد دخلوا في الهديان الربقة،
وصاروا عرضة للمز، وضحكة للعالمين. وانما ينسبون هذه الاباطيل الى
الامام المعصوم الذي زعموه، وابطال الأئمة معلوم في كتب المتكلمين.

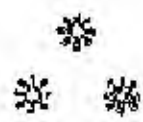
(١) انقسمت الباطنية الى عدة فرق يجمعهم القول بجعل ظواهر النصوص
غير مرادة، والذهاب في تأويلها مذاهب من التحكم لا تتفق مع اللغة في حجاز ولا
كناية. واتقول بالامام معصوم، وقد يسمونه باسم آخر، ويجعلونه بعد ذلك إلهاً.
وآخر فرقهم الباطنية البهائية

ولكن لا بد من نكته مختصرة في الرد عليهم .

فلا يخلو ان يكون ذلك عندهم ما من جهة دعوى بالضرورة وهو محال ، لأن الضروري هو ما يشترك فيه العقلاء علما وادراكا ، وهذا ليس كذلك .
واما من جهة الامام المعصوم بسماعهم منه لتلك التأويلات . فنقول لمن زعم ذلك : ما الذي دعاك الى تصديق محمد صلى الله عليه وسلم سوى المعجزة ؟
وليس لا مامك معجزة ، فالقرآن يدل على أن المراد ظاهره ، لا ما زعمت .
فان قال : ظاهر القرآن رموز الى بواطن فيها الامام المعصوم ولم يفهمها الناس فتعلمناها منه . قيل لهم : من أي جهة تعلمتموها منه ؟ أم شهادة قلبه بالعين ؟ أو بسماع منه ؟ ولا بد من الاستناد الى السماع بالاذن . فيقال : قابل لفظه ظاهر له باطن لم تفهمه ، ولم يطلعك عليه ، فلا يوثق بما فهمت من ظاهر لفظه . فان قال : صرح بالمعنى . وقال : ما ذكرته ظاهر لا رمز فيه ، او : وأمراد ظاهره . قيل له : وبماذا عرفت قوله انه ظاهر لا رمز فيه ، بل انه كما قال ؟ اذ يمكن أن يكون له باطن لم تفهمه ايضا ، حتى لو حلف بالطلاق الظاهر انه لم يقصد الا الظاهر ، لاحتمال أن يكون في طلاقه رمز هو باطنه وليس مقتضى الظاهر . فان قال : ذلك يؤدي الى حسم باب التفهيم . قيل له : فانتم حسمتموه بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فان القرآن دأب على تقرير الوجدانية ، والجنة ، والنار ، والحشر ، والنشر ، والا نباء ، والوحي ، والملائكة ، مؤكداً ذلك كله بالقسم . وانتم تقولون : ان ظاهره غير مراد وان تحته رمزا . فان جاز ذلك عندكم بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم لمصلحة وسر له في الرمز ، جاز بالنسبة الى معصومكم أن يظهر لكم خلاف ما يضمه لمصلحة وسر له فيه ، وهذا لا محيص لهم عنه .



قال أبو حامد الغزالي رحمه الله : ينبغي أن يعرف الإنسان أن رتبة هذه الفرقة هي أخس من رتبة كل فرقة من فرق الضلال ، إذ لا تجد فرقة تنقض مذهبها بنفس المذهب سوى هذه التي هي الباطنية . إذ مذهبها إبطال النظر ، وتغيير الألفاظ عن موضوعها بدعوى الرمز . وكل ما يتصور أن تنطق به السانهم فاما نظر أو نقل . أما النظر فقد أبطلوه . وأما النقل فقد جوزوا أن يراد باللفظ غير موضوعه . فلا يبقى لهم معتصم . والتوفيق بيد الله .



وذكر ابن العربي في العواصم مأخذاً آخر في الرد عليهم أسهل من هذا . وقال انهم لا قبل لهم به - وهو أن يسلط عليهم في كل ما يدعونه السؤال « بكم » خاصة ، فكل من وجهت عليه منهم سقط في يده . وحكى في ذلك حكاية ظريفة يحسن موقفاها هنا . وتصور المذهب كاف في ظهور بطلانه ، إلا أنه مع ظهور فساد وبعده عن الشرع قد اعتمده طوائف وبنوا عليه بدعافاحشة (منها) مذهب المهدي المغربي . فانه عد نفسه الامام المنتظر ، وانه معصوم حتى ان من شك في عصمته أو في أنه المهدي المنتظر فهو كافر .

وقد زعم ذووه انه ألف في الامامة كتاباً ذكر فيه أن الله استخلف آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً عليهم السلام ، وأن مدة الخلافة ثلاثون سنة ، وبعد ذلك فرق واهواء وشيع مطاع ، وهوى متبع ، وأعجاب كل ذي رأي برأيه ، فلم يزل الأمر على ذلك ، والباطل ظاهراً والحق

كامن ، واللم مرفوع - كما اخبر عليه الصلاة والسلام - والجهل ظاهر ، ولم يبق من الدين الا اسمه ، ولا من القرآن الا رسده ، حتى جاء الله بالامام فاعاد الله به الدين - كما قال عليه الصلاة والسلام « بدي الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدي فطوبى للغرباء » وقال : ان طائفته هم الغرباء ، زعماء من غير برهان زائد على الدعوى . وقال في ذلك الكتاب : جاء الله بالمهدي ، وطاعته صافية نقية ، لم ير مثله قبل ولا بعد ، وان به قامت السموات ، والارض به تقوم ، ولا ضده ، ولا مثل ، ولا ند . وكذب ، تعالى الله عن قوله . وهذا كما نزل احاديث الترمذي وابي داود في الفاطمي على نفسه وانه هو بلا شك .

واول اظهره لذلك انه قام في اصحابه خطيبا فقال : الحمد لله الفاعل لما يريد ، القاضي لما يشاء ، لا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه ، وصلى الله على النبي البشير بالمهدي ، يملأ الارض قسطا وعدلا ، كما ملئت ظلما وجورا ، يبعثه الله اذا نسخ الحق بالباطل ، وازيل العدل بالجور ، مكانه بالمغرب الاقصى ، وزمانه آخر الزمان ، واسمه اسم النبي عليه الصلاة والسلام ، ونسبه نسب النبي صلى الله عليه وسلم . وقد ظهر جور الامراء ، وامتألت الارض بالفساد ، وهذا آخر الزمان ، والاسم الاسم والنسب النسب والفعل الفعل . يشير الى ما جاء في احاديث الفاطمي .

فلما فرغ بادر اليه من اصحابه عشرة . فقالوا : هذه الصفة لا توجد الا فيك ، فانت المهدي . فبايعوه على ذلك . واحديث في دين الله احداثا كثيرة زيادة الى الاقرار بانه المهدي المداوم ، والتخصيص بالعصمة . ثم وضع ذلك في الخطب ، وضرب في السكك ، بل كانت تلك الكلمة عندهم

ثالثة الشهادة . فمن لم يؤمن بها أو شك فيها ، فهو كافر كسائر الكفار .
وشرع القتل في مواضع لم يضعه الشرع فيها . وهي نحو من ثمانية عشر
موضعا . كترك امتثال امر من يستمع امره ، وترك حضور مواظمة
ثلاث مرات ، والمداهنة اذا ظهرت في احد قتل ، واشياء كثيرة .

وكان مذهبه البدعة الظاهرية ، ومع ذلك فابتدع اشياء ، كوجوه
من التشويب ، اذ كانوا ينادون عند الصلاة « بتا صاليت الاسلام » و « بقيام
تا صاليت » و « سر دين » و « باردي » و « واصبح ولله الحمد » وغيره .
فجرى العمل بجميعها في زمان الموحدين . وبقي اكثرها بعد ما انقرضت
دولتهم . حتى اني ادركت بنفسي في جامع غرناطة الاعظم الرضا عن الامام
المعصوم . المهدي المعلوم ، الى ان ازيلت وبقيت اشياء كثيرة غفل
عنهما أو اغفلت .

وقد كان السلطان ابو العلاء ادريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد
المؤمن بن علي منهم . ظهر له قببح ما هم عليه من هذه الابتداعات . فامر -
حين استقر بمراكش - خليفته بازالة جميع ما ابتدع من قبله ، وكتب بذلك
رسالة الى الاقطار يأمر فيها بتغيير تلك السنة ، ويوصي بتقوى الله
والاستعانة به ، والتوكل عليه ، وانه قد نبذ الباطل وظهر الحق ، وان
لامهدي الا عيسى ، وان ما ادعوه انه المهدي بدعة ازالها ، واسقط اسم من
لا تثبت عصمته .

ودكر أن اباه المنصور هم بان يصدع بما به صدع ، وان يرفع الحرف
الذي رفع ، فلم يساعد الا اجل لذلك . ثم لما مات واستخلف ابنه ابو محمد
عبد الواحد المنقب بالرشيد ، وفد اليه جماعة من اهل ذلك المذهب المنسمين

بالموحدين ، قفّلوا منه في الذروة والغارب ، وضمّنوا على أنفسهم الدخول تحت طاعته ، والوقوف على قدم الخدمة بين يديه ، والمدافعة عنه بما استطاعوا ، لكن على شرط ذكر المهدي وتخصيصه بالعصمة في الخطبة والمحاطبات ، ونقش اسمه الخاص في السكك ، وإعادة الدعاء بعد الصلاة ، والنداء عليها « بتأصّلت الإسلام » عند كمال الأذان و « بتقام تأصّلت » وهي إقامة الصلاة ، وما أشبه ذلك من « سودرين » و « وقادري » و « أصبح ولله الحمد » وغير ذلك .

وقد كان الرشيد استمر على العمل بما رسم أبوه من ترك ذلك كله ، فلما انتدب الموحدون إلى الطاعة اشترطوا إعادته ما ترك ، فاسعفوا فيه . فلما احتلوا منازلهم أياما ولم يعد شيء من تلك العوائد ، ساءت ظنونهم ، وتوقعوا انقطاع ما هو عمدهم في دينهم ، وبلغ ذلك الرشيد ، فجدد تأديتهم بإعادتها .

قال المؤرخ : فيا لله ! ماذا بلغ من سرورهم وما كانوا فيه من الارتياح لسماع تلك الأمور ، وانطلقت ألسنتهم بالدعاء على نفقتهم بالنصر والتأييد ، وشملت الأفراح فيهم الكبير والصغير . وهذا شأن صاحب البدعة ، فلن يسر بأعظم من انتشار بدعته وإظهارها (ومن يرد الله فتنه فلن يملك له من الله شيئا) وهذا كله دأب على القول بالإمامة والعصمة الذي هو رأي الشيعة .

فصل

(ومنها) رأي قوم التغالي في تعظيم شيوخهم ، حتى أحقّوهم بما لا يستحقونه . فالمقصد منهم يزعم أنه لا ولي لله أعظم من فلان ، وربما

اغلقوا باب الولاية دون سائر الامة الا هذا المذكور . وهو باطل محض ، وبدعة فاحشة ، لأنه لا يمكن أن يبلغ المتأخرون ابدأً مبلغ المتقدمين . فخير القرون الذين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ، ثم الذين يلونهم ، وهكذا يكون الامر ابدأً الى قيام الساعة . فانقوى ما كان اهل الاسلام في دينهم واعمالهم وبقينهم واحوالهم في اول الاسلام . ثم لا زال ينقص شيئاً فشيئاً الى آخر الدنيا . لكن لا يذهب الحق جملة ، بل لا بد من طائفة تقوم به وتمتدده . وتعمل بمقتضاه على حسبهم في اعمالهم . لا ما كان عليه الاولون من كل وجه ، لانه لو اتفق احد من المتأخرين وزن احد ذهباً ما بلغ مئداً احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نصيفه . واذا كان ذلك في المال فكذلك في سائر شعب الايمان ، بشهادة التجربة المادية .

ولما تقدم اول الكتاب انه لا يزال الدين في نقص فهو اصلي لا شك فيه . وهو عند اهل السنة والجماعة . فكيف يمتد بعد ذلك في انه ولي اهل الارض ؟ وليس في الامة ولي غيره ؟ لكن الجهل الغالب ، والفلو في التظيم ، والتصيب للنحل ، يؤدي الى مثله أو أعظم منه . والمتوسط يزعم انه مساو للنبي صلى الله عليه وسلم ، الا انه لا يأتيه الوحي . بلغني هذا عن طائفة من الغالين في شيخهم ، الحاملين لطريقتهم في زعمهم ، نظير ما ادعاه بعض تلامذة الحلاج في شيخهم على الاقتصاد منهم فيه . والغالي ^(١) يزعم فيه أشنع من هذا ، كما ادعى اصحاب الحلاج في الحلاج .

وقد حدثني بعض الشيوخ أهل العدالة والصدق في النقل انه قال :
 ائت زمانا في بعض القرى البادية ، وفيها من هذه الطائفة المشار اليها
 كثير - قال - فخرجت يوما من منزلي لبعض شأني ، فرأيت رجلين منهم
 قاعدين ، فاتهمتهما يتحدثان في بعض فروع طريقتهما ، فقربت منهما
 على استخفاء لا أسمع من كلامهم ، - إذ من شأنهم الاستخفاء بأسرارهم -
 فتحدثا في شيخهم وعظم منزلته ، وانه لا أحد في الدنيا مثله ، وطربا لهذه
 المقابلة طربا عظيما ، ثم قال أحدهما للآخر : اتحب الحق ؟ هو النبي . قال :
 نعم هذا هو الحق . قل المخبر : فقلت من ذلك المكان فارا أن يصيبني
 معهم قارعة .

وهذا نمط الشيعة الامامية . ولولا الغلو في الدين والتكالب على نصر
 المذهب ، والتهالك في محبة المبتدع ، - لما وسع ذلك عقل احد ، ولكن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال « لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر
 وذراعا بذراع » الحديث . فمؤلا غلوا كما غات النصارى في عيسى عليه
 السلام . حيث قالوا : ان الله هو المسيح ابن مريم . - فقال : الله تعالى
 (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق . ولا تتبعوا أهواء قوم قد
 ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل) وفي الحديث « لا
 تطروني كما طرت النصارى عيسى بن مريم ، ولكن قولوا عبد الله ورسوله » .
 ومن تأمل هذه الاصناف وجد لها من البدع في فروع الشريعة
 كثيرا ، لأن البدعة اذا دخلت في الاصل سهلت مداخلتها الفروع .

فصل

واضف هؤلاء احتجاجا قوم استندوا في أخذ الاعمال إلى المقامات ، وأقبلوا وأعرضوا بسببها ، فيقولون : رأينا فلانا الرجل الصالح ، فقال لنا : اتركوا كذا ، واعملوا كذا . ويتفق مثل هذا كثيرا للمتمرسين ^(١) برسم التصوف ، وربما قال بعضهم : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقال لي كذا وامرني بكذا ، فيعمل بها ويترك بها معرضا عن الحدود الموضوعة في الشريعة ، وهو خطأ ، لأن الرؤيا من غير الانبياء لا يحكم بها شرعا على حال الا ان تعرض على ما في ايدينا من الاحكام الشرعية ، فان سوغتها عمل بمقتضاها ، والا وجب تركها والاعراض عنها ، وانما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة . وأما استفادة الاحكام فلا . كما يحكى عن الكتاني رحمه الله قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقلت : ادع الله ان لا يميت قلبي . فقال « قل كل يوم اربعين مرة يا حي يا قيوم ، لا اله الا انت » فهذا كلام حسن لا اشكال في صحته ، وكون الذكر يحبي القلب صحيح شرعا . وفائدة الرؤيا التنبيه على الخير ، وهو من ناحية البشارة . وانما يبقى الكلام في التحديد بالاربعين ، واذا لم يوجد على اللزوم استقام .

وعن ابي يزيد البسطامي رحمه الله ، قال : رأيت ربي في المنام ، فقلت : كيف الطريق اليك ؟ فقال : اترك نفسك وتعال . وشأن هذا الكلام من الشرع موجود ، فالعمل بمقتضاه صحيح ، لانه كالتنبيه لموضع الدليل ،

(١) تمرس بالشيء احتك به ، وتمرس بدينه تلعب به وعيث كما يعيث البعير . والمراد بهم هنا المتقدمون للصوفية في رسومهم الظاهرة دون اخلاقهم واعمالهم

لان ترك النفس معناه ترك هواها باطلاق ، والوقوف على قدم العبودية . والآيات تدل على هذا المعنى ، كقوله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى) وما أشبه ذلك . فلو رأى في النوم قائلاً يقول : ان فلانا سرق فاقطعه ، أو عالم فأسأله ، أو اعمل بما يقول لك ، أو فلان زنى فحده ، وما أشبه ذلك ، لم يصح له العمل حتى يقوم له الشاهد في اليقظة ، والا كان عاملاً بغير شريعة ، اذ ليس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحي .

ولا يقال : إن الرؤيا من اجزاء النبوة ، فلا ينبغي أن تهمل . وأيضاً إن المخبر في المنام قد يكون النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو قد قال « من رآني في النوم فقد رآني حقاً ، فإن الشيطان لا يتمثل بي » وإذا كان ... فأخباره في النوم كإخباره في اليقظة .

لانا نقول : ان كانت الرؤيا من اجزاء النبوة فليست اليها من كمال الوحي ، بل جزء من اجزائه ، والجزء لا يقوم مقام الكل في جميع الوجوه ، بل انما يقوم مقامه في بعض الوجوه ، وقد صرفت الى جهة البشارة والندارة ، وفيها كاف^(١)

وأيضاً فإن الرؤيا التي هي جزء من اجزاء النبوة من شرطها ان تكون صالحة من الرجل الصالح ، وحصول الشروط مما ينظر فيه ، فقد تتوفر ، وقد لا تتوفر .

وأيضاً فهي منقسمة الى الحلم ، وهو من الشيطان ، والى حديث النفس ، وقد تكون سبب هيجان بعض اخلاط ، فممتنع الصالحة حتى

(١) كذا وامل في الكلام حذفاً

يحكم بها وتترك غير الصالحة ؟
ويلزم أيضاً على ذلك ان يكون تجديد وحي بحكم بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو منهي عنه بالاجماع .

يحكي ان شريك بن عبد الله القاضي دخل على المهدي ، فلما رآه قال :
علي بالسيف والنطع . قال : ولم يا امير المؤمنين ؟ قال : رأيت في منامي
كأنك تطأ بساطي وأنت معرض عني ، فقصصت رؤياي على من عبرها ،
فقال لي : يظهر لك طاعة ويضمير معصية . فقال له شريك : والله ما رؤياك
برؤيا ابراهيم الخليل عليه السلام ، ولا معبرك يوسف الصديق عليه
السلام ، فبالاحلام الكاذبة تضرب اعناق المؤمنين ؟ فاستحي المهدي ،
وقال : اخرج عني . ثم صرفه وابعده .

وحكى الفزالي عن بعض الأئمة انه افتى بوجوب قتل رجل يقول
بخلق القرآن ، فروجع فيه ، فاستدل بان رجلاً رأى في منامه ابليس قد
اجتاز باب المدينة ولم يدخلها ، فقيل : هل دخلها ؟ فقال : اغتاني عن
دخولها رجل يقول بخلق القرآن ، فقام ذلك الرجل فقال : لو افتى ابليس
بوجوب قتلي في اليقظة هل تقلدونه في فتواه ؟ فقالوا : لا . فقال : قوله
في المنام لا يزيد على قوله في اليقظة .

وأما الرؤيا التي ينهى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الراي بالحكم .
فلا بد من النظر فيها ايضاً ، لأنه اذا اخبر بحكم موافق لشريعته ، فالحكم
بما استقر ، وان اخبر بمخالف ، فيحال ، لأنه صلى الله عليه وسلم لا ينسخ
بعد موته شريعته المستقرة في حياته ، لان الدين لا يتوقف استقراره

(المار ج ٤ م ١٧) حديث « من رآني في النوم » وتندريقن رؤيته ٢٨٥

بعد موته على حصول المرائي النومية ، لأن ذلك باطل بالاجماع . فمن رأى شيئاً من ذلك فلا عمل عليه ، وعند ذلك نقول : ان رؤياه غير صحيحة ، اذ لو رآه حقاً لم يخبره بما يخالف الشرع .

لكن يبقى النظر في معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من رآني في النوم فقد رآني » وفيه تأويلان : احدهما ما ذكره ابن رشد اذ سئل عن حاكم شهد عنده عدلان مشهوران بالمدالة في قضية ، فلما نام الحاكم ذكر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ما تحكم بهذه الشهادة ؟ فانها باطلة . فاجاب بانه لا يحل له ان يترك العمل بتلك الشهادة ، لان ذلك ابطال لأحكام الشريعة بالرؤيا ، وذلك باطل لا يصح أن يعتد ، اذ لا يعلم الغيب من ناحيتها الا الانبياء الذين رؤياهم وحي ، ومن سواهم انما رؤياهم جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة .

ثم قال : وليس معنى قوله « من رآني فقد رآني حقاً » ان كل من رأى في منامه انه رآه فقد رآه حقيقة . بدليل ان المرائي قد يراه مرات على صور مختلفة ، ويراه المرائي على صفة ، وغيره على صفة اخرى . ولا يجوز أن تختلف صور النبي صلى الله عليه وسلم ولا صفاته . وانما معنى الحديث « من رآني على صورتي التي خلقت عليها . فقد رآني ، اذ لا يتمثل الشيطان بي » اذ لم يقل : من رأى انه رآني ، فقد رآني . وانما قال : من رآني فقد رآني . واني لهذا المرائي الذي رأى انه رآه على صورته انه رآه عليها ؟ وان ظن انه رآه ، ما لم يعلم ان تلك الصورة صورته بعينها ، وهذا ما لا طريق لأحد الى معرفته .

فهذا ما نقل عن ابن رشد . وحاصله يرجع الى ان المرائي قد يكون

غير النبي صلى الله عليه وسلم ، وان اعتقد الرائي انه هو

والتأويل الثاني يقوله علماء التعبير : ان الشيطان قد يأتي النائم في صورة ما من معارف الرائي وغيرهم . فيشير له الى رجل آخر : هذا فلان النبي ، وهذا الملك الفلاني ، أو من اشبه هؤلاء ممن لا يمثل الشيطان به . فيوقع اللبس على الرائي بذلك وله علامة عندهم . واذا كان كذلك امكن ان يكلمه المشار اليه بالامر والنهي غير الموافقين للشرع ، فيظن الرائي انه من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يكون كذلك ، فلا يوثق بما يقول له أو يأمر أو ينهى .

وما اخرى ^(١) هذا الضرب أن يكون الامر أو النهي فيه مخالفاً لكمال الاول ، حقيق بان يكون فيه موافقا ، وعند ذلك لا يبقى في المسئلة اشكال . نعم لا يحكم بمجرد الرؤيا حتى يعرضها على العلم ، لا مكان اختلاط احد القسمين بالآخر . وعلى الجملة فلا يستدل بالرؤيا في الاحكام الاضعيف المنة . نعم يأتي المرئي تأنيساً وبشارة ونذارة خاصة ، بحيث لا يقطعون بمقتضاها حكماً ، ولا يذنون عليها اصلاً ، وهو الاعتدال في اخذها ، حسبما فهم من الشرع فيها ، والله اعلم .

فصل

وقد رأينا أن نختم الكلام في الباب بفصل جمع جملة من الاستدلالات المقدمة ، وغيرها في معناها ، وفيه من نكت هذا الكتاب جملة اخرى ، فهو مما يحتاج اليه بحسب الوقت والحال ، وان كان فيه طول ولكنه

(١) نص النسخة التي نطبع عنها « اجري » بالحيم وهو غلط

يخدم ما نحن فيه ان شاء الله تعالى .

وذلك انه وقع السؤال عن قوم يتسمون بالفقراء ، يزعمون انهم سلكوا طريق الصوفية ، فيجتمعون في بعض الليالي يأخذون في الذكر الجمهوري على صوت واحد ، ثم في الغناء والرقص ، الى آخر الليل ، ويحضر معهم بعض المتسمين بالفقهاء ، يرسمون برسم الشيوخ الهداة الى سلوك ذلك الطريق : هل هذا العمل صحيح في الشرع أم لا ؟

فوقع الجواب بان ذلك كله من البدع المحدثات ، المخالفة لطريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطريقة اصحابه والتابعين لهم باحسان ، فنقم الله بذلك من شاء من خلقه .

ثم ان الجواب وصل الى بعض البلدان ، فقامت القيامة على العاملين بتلك البدع ، وخافوا اندراس طريقتهم ، وانقطاع اكلامهم بها ، فارادوا الانتصار لأنفسهم ، بعد أن راموا ذلك بالانتساب الى شيوخ الصوفية الذين ثبتت فضيلتهم ، واشتهرت في الانتطاع الى الله ، والعمل بالسنة طريقتهم ، فلم يستقر لهم الاستدلال ، لكونهم على ضد ما كان عليه القوم ، فانهم كانوا بنواختهم على ثلاثة اصول : الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال ، وكل الحلال ، واخلاص النية في جميع الاعمال ، وهؤلاء قد خالفوهم في هذه الاصول ، فلا يمكنهم الدخول تحت ترجمتهم وكان من قدر الله ان بعض الناس سأل بعض شيوخ الوقت في مسألة تشبه هذه ، لكن حسن ظاهرها بحيث يكاد باطنها يخفى على غير المتأمل . فاجاب عفا الله عنه على مقتضى ظاهرها من غير تعرض الى ما هم عليه من البدع والضلالات ، ولما سمع بعضهم بهذا الجواب ارسل

به الى بلدة اخرى ، فأتى به فرحل الى غير بلده ، وشهر في شيعته أن بيده حجة لطريقتهم فظهر كل حجة ، وأنه طالب للمناظرة فيها ، فدعي لذلك فلم يقيم فيه ولا قدم ، غير أنه قال : ان هذه حجتي ، وألقي بالبطاقة التي بخط الحبيب ، وكان هو ومحبيه ^(١) وأشياعه يطايرون بها فرحاً ، فوصلت المسئلة الى غرناطة ، وطلب من الجميع النظر فيها . فلم يسمع احد له قوة على النظر فيها الاول ^(٢) أن يظهر وجه الصواب فيها الذي يدان الله به لأنه من النصيحة التي هي الدين القويم ، والصراط المستقيم

وخلص خلاصة السؤال : ما يقول الشيخ فلان في جماعة من المسلمين يجتمعون في رباط على ضفة البحر في الليالي الفاضلة ، يقرؤون جزءاً من القرآن ، ويستمعون من كتب الوعظ والرقائق ما امكن في الوقت ، ويذكرون الله بأنواع التهليل والتسبيح والتقديس ، ثم يقوم من بينهم قوال يذكّر شيئاً في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، ويبقى من السماع ما تنوق النفس اليه وتشتاق سماعه من صفات الصالحين ، وذكر آلاء الله ونعمائه ، ويشوقهم بذكر المنازل المجازية ، والمعاهد النبوية ، فيتواجدون اشتياقاً لذلك ، ثم يأكلون ما حضر من الطعام ، ويحمدون الله تعالى ، ويرددون الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويبتهلون بالدعية الى الله في صلاح أمورهم ، ويدعون للمسلمين ولائهم ويقرءون .

فهل يجوز اجتماعهم على ما ذكر ؟ أم يمتنعون وينكر عليهم ؟ ومن دعاهم من المحبين الى منزله بقصد التبرك ، هل يجيبون دعوته ويجتمعون على

(١) كذا ولعلها « ومحبه » أو « ومحبه » (٢) لفظ الاول لا يظهر له معنى هنا والظاهر ان المقام مقام الاستثناء وان العبارة ربما دخل فيها التحريف والسقط

الوجه المذكور أم لا ؟

فاجاب بما يحصوه : مجالس تلاوة القرآن وذكر الله هي رياض الجنة . ثم اتى بالشواهد على طلب ذكر الله . واما الانشادات الشعرية . فانما الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح ، وفي القرآن في شعراء الاسلام (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا) وذلك ان حسان ابن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعبا لما سمعوا قوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون) الآيات . بكروا عند سماعها فنزل الاستثناء ، وقد أشد الشعر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورقت نفسه الكريمة وذرفت عيناه لآيات اخت النضر ، لما طبع عليه من الرأفة والرحمة . واما التواجد عند السماع ، فهو في الاصل رقة النفس ، واضطراب القلب ، فيتأثر الظاهر بتأثر الباطن . قال الله تعالى (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أي اضطربت رغباً أو رهباً . وعن اضطراب القلب يحصل اضطراب الجسم ، قال الله تعالى (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا) الآية . وقال (ففروا الى الله) فانما التواجد رقة نفسية ، وهزة تليسية ، ونهضة روحانية . وهذا هو التواجد عن وجد ، ولا يسمع فيه نكير من الشرع . وذكر السامي انه كان يستدل بهذه الآية على حركة الوجد في وقت السماع . وهي (وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا) الآية . وكان يقول : ان القلوب مربوطة بالمكوت ، حركتها انوار الذاكر ، وما يرد عليها من فنون السماع .

ووراء هذا تواجد لاعن وجد ، فهو مناط الذم ، لمخالفة ما ظن

لما بطن . وقد يفرّب^(١) فيه الأمر عند القصد لاستنهاض المزاج ، وأعمال الحركة في يقظة القلب النائم « يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فبأكوا »^(٢) ولكن شتان ما بينهما .

وإما من دعا طائفة إلى منزله فتجابه دعوته ، وله في ذلك قصده ونيته . فهذا ما ظهر تقييده على مقتضى الظاهر ، والله يتولى السرائر ، وإنما الأعمال بالنيات . انتهى ما قيده .

فكان مما ظهر لي في هذا الجواب : أن ما ذكره في مجالس الذكر صحيح إذا كان على حسب ما اجتمع عليه السلف الصالح ، فإنهم كانوا يجتمعون لتدارس القرآن فيما بينهم ، حتى يتعلم بعضهم من بعض ، ويأخذ بعضهم من بعض ، فهو مجلس من مجالس الذكر التي جاء في مثاها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفّت بهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » وهو الذي فهمه الصحابة رضي الله تعالى عنهم من الاجتماع على تلاوة كلام الله .

وكذلك الاجتماع على الذكر فإنه اجتماع على ذكر الله . ففي رواية أخرى أنه قال « لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة » الحديث المذكور . لا الاجتماع للذكر على صوت واحد ، وإذا اجتمع القوم على التذكر لنعم الله ، أو التذاكر في العلم أن كانوا علماء ، أو كان فيهم عالم فجلس

(١) لعله « يعزب » (٢) لعله أراد حديث « أتولوا القرآن وابكوا ، فإن لم تبكوا فبأكبوا » فاقبسه بالمعنى ، وهو في سنن ابن ماجه من حديث سعد ابن أبي وقاص بسند جيد

إليه متعامون ، أو اجتمعوا يذكر بعضهم بعضاً بالعمل بطاعة الله والبعد عن معصيته . وما أشبه ذلك مما كان يعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، وعمل به الصحابة والتابعون . فهذه المجالس كلها مجالس ذكر وهي التي جاء فيها من الاجر ما جاء .

كما يحكى عن ابن أبي ليلى أنه سئل عن القصص . فقال : أدركت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يجلسون ويحدث هذا بما سمع وهذا بما سمع . فاما أن يجلسوا خطيباً فلا . وكانت كالذي نراه معمولاً به في المساجد من اجتماع الطلبة على معلم يقرئهم القرآن أو علماً من العلوم الشرعية . أو تجتمع إليه العامة فيعلمهم أمور دينهم ، ويذكرهم بأسه ، ويبين لهم سنة نبيهم ليعملوا بها ، ويبين لهم المحدثات التي هي ضلالة ليحذروا منها ، ويتجنبوا مواطنها والعمل بها .

فهذه مجالس الذكر على الحقيقة وهي التي حرّمها الله أهل البدع من هؤلاء الفقراء الذين زعموا أنهم سلكوا طريق التصوف . وقل ما تجد منهم من يحسن قراءة الفاتحة في الصلاة إلا على اللحن ، فضلاً عن غيرها ، ولا يعرف كيف يتعبد ، ولا كيف يستنجي أو يتوضأ أو يغتسل من الجنابة . وكيف يعلمون ذلك وهم قد حرّموا مجالس الذكر التي تنشأها الرحمة ، وتنزل فيها السكينة ، وتحف بها الملائكة ؟ فبانطاس هذا النور عنهم ضلوا ، فاقتدوا بجهال أمثالهم ، واخذوا يقرؤون الأحاديث النبوية والآيات القرآنية فينزلونها على آرائهم ، لا على ما قال أهل العلم فيها . فخرجوا عن الصراط المستقيم ، إلى أن يجتمعوا ويقرأ أحدهم شيئاً من القرآن يكون حسن الصوت طيب النغمة جيد التلحين تشبه قراءته الغناء المنموم ، ثم يقولون

تعالوا نذكر الله . فيرفعون اصواتهم يشون ذلك الذكر مداولة ، طائفة في جهة ، وطائفة في جهة اخرى ، على صوت واحد يشبه الغناء ، ويرغمون ان هذا من مجالس الذكر المندوب اليها ، وكذبوا . فانه لو كان حقاً لكان السلف الصالح اولي بادراكه وفهمه والعمل به ، والا فأن في الكتاب أو في السنة الاجتماع للذكر على صوت واحد جهرآ عالياً ؟ وقد قال تعالى (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المعتدين) والمعتدون في التفسير هم الرافعون اصواتهم بالدعاء

وعن ابي موسى قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فجعل الناس يجهرون بالكبير ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اربعوا على انفسكم ، انكم لا تدعون أصم ولا غائباً ، انكم تدعون سميماً قريباً ، وهو معكم » وهذا الحديث من تمام تفسير الآية ، ولم يكونوا رضي الله عنهم يكبرون على صوت واحد ، ولكنه نهامهم عن رفع الصوت ليكونوا للآية متمثلين . وقد جاء عن السلف أيضاً النهي عن الاجتماع على الذكر ، والدعاء بالهيئة التي يجتمع عليها هؤلاء المبتدعون . وجاء عنهم النهي عن المساجد المتخذة لذلك ، وهي الربط التي يسمونها بالصفة . ذكر من ذلك ابن وهب وابن وضاح وغيرهما ما فيه كفاية لمن وفقه الله .

فالخاصل من هؤلاء انهم حسنوا الظن بانهم فيما هم عليه مصيبون ، واساؤا الظن بالسلف الصالح اهل العمل الراجح الصريح ، واهل الدين الصحيح . ثم لما طال بهم لسان الحال بالحجة اخذوا كلام المحجب وهم لا يعلمون ، وقولوه ما لا يرضى به العلماء ، وقد بين ذلك في كلام آخر اذ سئل عن ذكر فقراء زماننا ، فاجاب بان مجالس الذكر المذكورة في الاحاديث انها

هي التي يتلى^(١) فيها القرآن ، والتي يُتَعَلَّم فيها العلم والدين ، والتي أُمِر بالعلم والتذكير بالآخرة والجنة والنار . كـمجالس سفيان الثوري والحسن وابن سيرين ، واضرابهم .

أما مجالس الذكر اللساني فقد صرح بها في حديث الملائكة السياحين ، لكن لم يذكر فيه جهراً بالكلمات ، ولا رفع أصوات ، وكذلك غيره . لكن الأصل المشروع إعلان الفرائض وإخفاء النوافل ، وأنى بالآية وبقوله تعالى (اذ نادى ربه نداء خفياً) ومحدث « اربعوا على أنفسكم » - قال - : وفقراء الوقت قد تَخَيَّرُوا بآيات ، وتميزوا بأصوات ، هي إلى الاعتداء ، أقرب منها إلى الاقتداء ، وطريقتهم إلى اتخاذها مأكلة وصناعة ، أقرب منها إلى اعتدادها قرينة وطاعة .

انتهى معناه على اختصار أكثر الشواهد . وهي دليل على أن فتواه المحتج بها ليس معناها ما رام هؤلاء المبتدعة . فإنه سئل في هذه عن فقراء الوقت ، فاجاب بذهمهم ، وأن حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يتناول عمالهم . وفي الأولى إنما سئل عن قوم يجتمعون لقراءة القرآن ، أو لذكر الله . وهذا السؤال يصدق عن قوم يجتمعون مثلاً في المسجد فيذكرون الله ، كل واحد منهم في نفسه أو يتلو القرآن نفسه ، كما يصدق على مجالس المعلمين والمتعلمين ، وما أشبه ذلك مما تقدم التنبيه عليه ، فلا يسمه وغيره من العلماء إلا أن يذكر محاسن ذلك والثواب عليه ، فلما سئل عن أهل البدع في الذكر والتلاوة بين ما ينبغي أن يعتمد عليه الموفق ، ولا توفيق إلا بالله العلي العظيم . اهـ المراد منه

(١) في الأصل « بختلا » هكنا ، فصححها ناسخ الورق الذي نطبع عنه فجعلها « بختلى » وكلاهما غلط

فصل*

ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين (منزلة التوكل)

قال الله تعالى (وتوكل على الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين - وقال - وعلى الله فليتوكل المؤمنون - وقال - ومن يتوكل على الله فهو حسبه - وقال عن اوليائه - ربنا عليك توكلنا وابليك ابنا وابليك المصير - وقال - قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا - وقال ارسوا - فتوكل على الله الملك على الحق المبين - وقال - وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا - وقال - وتوكل على الحي الذي لا يموت وربكم به حاسبه - وقال - فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين - قال ابن عباس - وما لنا ألا نتوكل على الله ؟ (١) الآية - وقال عن اصحابه - الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا واثابهم الله ونعم الوكيل - وقال - اما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، فزادتهم ايمانه زادتهم ايمانا وتوكلوا بهم يتوكلون) والقرآن مملوء من ذلك وفي الصحيحين في حديث السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لا يسرقون ، ولا يتطهرون ، ولا يكتون ، وعلى ربهم يتوكلون ، وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « حسبنا الله ونعم الوكيل » قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقى في النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له (ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل) وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت . اللهم أعوذ بعزتك ، لا اله الا انت ان تضلني ، انت الحي الذي لا تموت ، والجن والانس يموتون » وفي الترمذي عن عمر رضي الله عنه مرفوعا « لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو تحفا صا وتمرح بطنا » وفي السنن عن انس رضي الله عنه

« فخرج من الجزء الثاني من كتاب (مدارج السالكين . بين منازل « إياك نعبد وإياك نستعين » (١) زادني البعدانية من الآية قوله تعالى « وقد هدانا سبيلا »

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال - يعني اذا خرج من بيته - بسم الله توكلت على الله ، ولا حول (١) ولا قوة الا بالله ، يقال له : هديت ووقيت (٢) وكفيت ، فيقول الشيطان لشيطان آخر : كيف لك برجل هدي وكفي ووقي ؟ »
التوكل نصف الدين ، ونصفه الثاني الاقامة ، فان الدين استعانة وعبادة ، فالتوكل هو الاستعانة ، والاقامة هي العبادة ، ومنزلة أوسع المنازل وأجمعها ، ولا تزال معصورة بالنازليين لسمة متعلق التوكل ، وكثرة حوائج العالمين ، وعموم التوكل ووقوعه من المؤمنين والكفار والابرار والفجار ، والطير والوحش والبهائم ، فأهل السموات والارض - المكلفون وغيرهم - في مقام التوكل ، وان تباين متعلق وكلهم . فاولاؤه وخاصته يتوكلون عليه في حصول ما يرضيه منهم ، وفي اقامته في الخلق ، فيتوكلون عليه في الايمان ونصرة دينه ، واعلاء كلمته ، وجهاد اعدائه ، وفي محابه وتنفيذ أوامره . (ودون هؤلاء) من يتوكل عليه في استقامته في نفسه ، وحفظ حاله مع الله فارغا عن الناس . (ودون هؤلاء) من يتوكل عليه في معلوم يناله منه من رزق او عافية او نصر على عدو او زوجة او ولد ، ونحو ذلك . (ودون هؤلاء) من يتوكل عليه في حصول الاثم والفواحش . فان اصحاب هذه المطالب لا ينالونها غالبا الا باستماتتهم بالله ، وتوكلهم عليه ، بل قد يكون توكلهم (٣) أقوى من توكل كثير من اصحاب الطاعات ، ولهذا يلقون أنفسهم في المتألف والمهالك معتمدين على الله ان يسلمهم ويظفرهم بمطالبهم ، فافضل التوكل في الواجب (اعني واجب الحق وواجب الخلق وواجب النفس) ، واوسعها وانفعها التوكل في التأثير في الخارج في مصلحة دينية ، أو في دفع منسدة دينية ، وهو توكل الانبياء في اقامة دين الله ، ودفع فساد المفسدين في الارض ، وهذا توكل ورثتهم .

ثم الناس بعد في التوكل على حسب همهم ومقاصدهم ، فمن متوكل على الله في حصول الملك ، ومتوكل في حصول رغبة . ومن صدق توكله على الله في حصول شيء ناله ، فان كان محبوبا له مرضيا كانت له فيه العاقبة المحمودة ، وان كان

(١) في نسخة « ولا حول » وفي البغدادية سقط الواو (٢) وفيها « وكفيت ووقيت »

(٣) في الحجازية « توكلهم عليه »

مسخوطا مفعولاً كان ما حصل له بتوكله مضرة عليه ، وإن كان مباحا حصلت له مصلحة التوكل دون مصلحة ما توكل فيه ، إن لم يستعن به على طاعة (١) والله أعلم .

فصل

فلنذكر معنى التوكل ودرجاته وما قيل فيه .

قال الإمام أحمد : التوكل عمل القلب . ومعنى ذلك أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ، ولا عمل الجوارح ، ولا هو من باب العلوم والادراكات . (ومن) الناس من يجهله من باب المعارف والعلوم فيقول : هو ندم القلب بكفاية الرب للعبد . (ومنهم) من يفسره بالسكون والخمود حركة القلب . فيقول : التوكل هو انطراح القلب بين يدي الرب ، كانطراح الميت بين يدي الفاسل بقلبه كيف يشاء ، وهو ترك الاختيار ، والاسترسال مع مجاري الأقدار . قال سهل : التوكل الاسترسال مع الله على ما يريد . (ومنهم) من يفسره بالرضا . فيقول : هو الرضاء بالتقدور . قال بشر الخافي : يقول أحدهم : توكلت على الله ، يكذب على الله ، أو توكل على الله رضي بما يبدل الله . ومثل يحيى بن معاذ : متى يكون الرجل متوكلاً ؟ فقال إذا رضي بالله وكلاً (ومنهم) من يفسره بالتمتع بالله ، والطمأنينة إليه والسكون إليه . قال ابن عطاء : التوكل أن لا يظهر فيك نزاع إلى الأسباب مع شدة فاقك إليها ، ولا تزال (٢) على حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها . وقال ذو النون : هو ترك تدبير النفس ، والانتماع من الحول والقوة ، وأما يقوى العبد على التوكل إذا علم أن الحق سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه . وقال بعضهم : التوكل التعلق بالله في كل حال . وقيل : التوكل أن ترد عليك موارد المفاقات ، فلا تسود إلا إلى من إليه الكفايات . وقيل : نفي الشكوك ، والتفويض إلى مالك الملوك . وقال ذو النون : خلع الأرباب ، وقطع الأسباب - يريد قطعها من تعلق القلب بها ، لا من ملازمة الجوارح لها .

(ومنهم) من جملة من كتب من أمرين أو أمور . فقال أبو سعيد الخزاز :

(١) في البغدادية طاعته {٢} في البغدادية - ولا نزول

التوكل اضطراب بلا سكون ، وسكون بلا اضطراب ، — يريد حركة ذاته في الاسباب بالظاهر والباطن — وسكون الى المسبب وركون اليه ، ولا يضطرب قلبه معه ، ولا تسكن حركته عن الاسباب الموصلة الى رضاه . وقال ابو تراب النخشي : هو طرح البدن في الميودية ، وتماق القلب بالربوبية ، والطمأنينة الى الكفاية . فان اعطي شكر ، وان منم صبر . فجعله مركبا من خمسة أمور : اقيام بهركات الميودية ، وتماق القلب تدبير الرب ، وسكونه الى قضائه وقدره ، وطمأنينته بكفايته له ، وشكره اذا اعطي ، وصبره اذا منم . قال ابو يعقوب النهرجوري : التوكل على الله بكمال الحقيقة كما وقع لابراهيم الخليل عليه السلام في الوقت الذي قال لجبريل عليه السلام « اما اليك فلا » لانه غائب عن نفسه بالله (١) فلم ير مع الله غير الله .

واجمع اقوم على ان التوكل لا ينافي القيام بالاسباب ، فلا يصح التوكل الا مع اقيام بها . والا فهو بطالة وتوكل فاسد . قال سهل بن عبد الله : من طمن في الحركة فقد طمن في السنة ، ومن طمن في التوكل فقد طمن في الايمان ، فالتوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم ، والكسب سته ، فن عمل على حاله فلا يتركن سته . وهذا معنى قول ابي سعيد « هو اضطراب بلا سكون ، وسكون بلا اضطراب » وقول سهل ايمن وارفع . وقيل : التوكل قطع علائق القلب بغير الله . ومثل سهل عن التوكل فقال : قلب عاش مع الله بلا علاقة . (٢) وقيل : التوكل هجر العلائق ، ومواصلة الحقائق . وقيل : التوكل ان يستوي عندك الاكثار والاقلال . وهذا من موجباته وآثاره ، لانه (٣) حقيقة . وقيل : هو ترك كل سبب يوصلك الى مسبب ، حتى يكون الحق هو المتولي لذلك . وهذا صحيح من وجه ، باطل من وجه ، فترك الاسباب المأمور بها قاذح في التوكل ، وقد تولى الحق اكمال المبدء بها . وأما ترك الاسباب المباحة ، فان تركها لما هو أرجح منها . وهذا مفيد روح ، والا فهو

(١) في البعدانية — لان علائق نفسه بانه — (٢) هاتان الفقرتان سقطتا من نسخة فائتاهما من البعدانية (٣) وفيها — لانه —

مذموم . وقيل : هو إلقاء النفس في العبودية ، وإخراجها من الربوبية . يريد استرسالها مع الامر ، وبرائها من حولها وقوتها ، وشهود ذلك بها ، بل بالرب وحده . (ومنهم) من قال : التوكل هو التسليم لامر الرب وقضائه (ومنهم) من قال : هو التفويض اليه في كل حال .

(ومنهم) من جعل التوكل بداية ، والتسليم وساطة ، والتفويض نهاية . قال ابو علي الدقاق : التوكل ثلاث درجات - التوكل ، ثم التسليم ، ثم التفويض . فالتوكل يسكن الى وعده ، وصاحب التسليم يكتفي بعلمه ، وصاحب التفويض يرضى بحكمه . فالتوكل بداية ، والتسليم وساطة ، والتفويض نهاية . فالتوكل صفة المؤمنين ، والتسليم صفة الاولياء ، والتفويض صفة الموحدين . التوكل صفة العوام ، والتسليم صفة الخواسب ، والتفويض صفة الخاصة . التوكل صفة الانبياء ، والتسليم صفة ابراهيم الخليل ، والتفويض صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين . هذا كله كلام الدقاق . ومعنى هذا التوكل اعتماد على الوكيل ، وقد يعتمد الرجل على وكيله مع نوع اقتراح عليه ، وإرادة وشأبة منازعة ، فاذا سلم اليه زال عنه ذلك ، ورضي بما يفعله وكيله . وحال المفوض فرق هذا ، فانه طالب يريد ممن فوض اليه ، متمسك منه ان يتولى أموره ، فهو رضا واختيار ، وتسليم واعتماد ، فالتوكل يندرج في التسليم . وهو التسليم يندرجان في التفويض ، والله سبحانه وتعالى اعلم .

فصل

وحقيقة الامر أن التوكل حال مركبة من مجموع أمور لا تتم حقيقة التوكل الا بها . وكل اشار الى واحد من هذه الامور ، او اثنين او اكثر . فأول ذلك معرفة بالرب وصفاته ، من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الامور الى علمه ، وصدورها عن مشيئته وقدرته . وهذه المعرفة اول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل . قال شيخنا رضي الله عنه : ولذلك لا يصح التوكل ولا يتصور من فيلسوف ، ولا من القدرية النفاة القائلين بأنه يكون في ملكه ما لا يشاء (١) ولا

(١) في البعدانية « ما لم يشأ »

يستقيم أيضا من الجهة النفاة لصفات الرب جل جلاله ، ولا يستقيم التوكل الا من اهل الاثبات . فأي توكل لمن يعتقد أن الله لا يمل جزئيات العالم ؟ ولا هو فاعل باختياره ؟ ولا له ارادة ومشية ؟ ولا يقوم به صفة ؟ فكل من كان بالله وصفاته أعلم واعرف ، كان توكله اصح واغنى . والله سبحانه وتعالى أعلم .

فصل

(الدرجة الثانية اثبات في الاسباب والمسببات) فان من نفاها فتوكله مدخول . وهذا عكس ما يظهر في بدوات الرأي ان الاسباب يقدح في التوكل ، وأن نفيها كمال (١) التوكل

فأعلم ان نفاة الاسباب لا يستقيم لم توكل البتة ، لان التوكل من اقوى الاسباب في حصول التوكل فيه ، فهو كالدعاء الذي جعله الله سببا في حصول المدعو به ، فإذا اعتقد العبد ان توكله لم ينصبه الله سببا ، ولا جعل دعاءه سببا لنيل شيء ، فإن التوكل فيه المدعو بمحصله ان كان قدر (٢) حصل توكل او لم يتوكل ، دعا او لم يدع . وان لم يقدر لم يحصل ، توكل ايضا او ترك التوكل . وصرح هؤلاء ان التوكل والدعاء عبودية محضة لا فائدة لهما الا ذلك ، واو ترك العبد التوكل والدعاء ما فاته (٣) شيء مما قدر له . ومن غلاتهم من يجعل الدعاء بعدم المؤاخذه على الخطأ والنسيان عديم الفائدة ، اذهو مضمون الحصول .

ورأيت بعض متعقبي هؤلاء في كتاب له (٤) لا يجوز الدعاء بهذا ، وإنما يجوز تلاوة الادعاء . قال — لأن الدعاء به يتضمن الشك في وقوعه ، لأن الداعي بين الخوف والرجاء ، والشك في وقوع ذلك — شك في خبر الله ، فانظر الى ما قاد انكار الاسباب من العظام ، وتحريم الدعاء بما أثبت الله على عباده وأوليائه بالدعاء

(١) نص لسختا — كلام التوكل — وكلام يحرف عن كمال القلب ، كما هو نص الحجازية ، والبغدادية « تمام التوكل » (٢) في البغدادية « قد قدر » (٣) لسختا والحجازية « ما فاته » والبغدادية « ما فاته » (٤) نص الحجازية « في كتاب لا » وسقط من البغدادية كلمة « له »

به وبطلبه ، ولم ينزل المسلمون من عهد نبيهم صلى الله عليه وسلم الى الآن يدعون به في مقامات الدعاء ، وهو من افضل الدعوات .

وجواب هذا الوهم الباطل ان يقال : بقي قسم ثالث غير ما ذكرتم من القسمين لم تذكروه ، وهو الواقع . وهو ان يكون قضى بمحصل الشيء عند حصول سببه من التوكل والدعاء ، فنصيب الدعاء والتوكل سببين لمحصل المطلوب ، وقضى الله بمحصله اذا فعل العبد سببه ، فاذا لم يأت بالسبب امتنع السبب . وهذا كما قضى بمحصل الولد اذا جامع الرجل من يحملها ، فاذا لم يجامع لم يخلق منه الولد . وقضى بمحصل الشبع اذا أكل ، والري اذا شرب ، فاذا لم يفعل لم يشبع ولم يرو . وقضى بمحصل الحج والوصول الى مكة اذا سافر وركب الطريق ، فاذا جلس (١) في بيته لم يصل الى مكة (١) وقضى بدخول الجنة اذا أسلم وأتى بالأعمال الصالحة ، فاذا ترك الإسلام لم يدخلها أبدا (٢) وقضى بانتهاء الطعام بإيقاد النار تحته . وقضى بطاوع الحبوب التي تزرع بشق الارض وإثاء البذر فيها ، فما لم يأت (٣) بذلك لم يحصل الا الخيبة . فوإن ما قاله منكرو الاسباب ان يترك كل من هؤلاء السبب الموصل ، ويقول : ان كان قضى لي وسبق في الأزل حصول الولد والشبع والري والحج ونحوها ، فلا بد ان يصل ، ان تحركت أو سكنت ، تزوجت أو تركت ، سافرت أو قدمت ، وان لم يكن قضى لي لم يحصل لي ايضا ، فقلت أو تركت . فهل يعد أحد هذا من جملة العقلاء ؟ وهل البهائم الا الله منه ؟ فان البهيمة تسعى في السبب بالهداية العامة . فالتوكل من أنظم الاسباب التي يحصل بها المطاوع ، ويتدفع بها المكروه . فمن أنكر الاسباب لم يستتم منه التوكل ، ولكن من تمام التوكل عدم الركون الى الاسباب ، وقطع علاقة القلب بها ، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها ، وحال بدنه قيامه بها . فالاسباب محل حكمة الله وأمره ودينه ، والتوكل متعلق بربوبية وقضائه وقدره ، فلا تقوم عبودية الاسباب الا على ساق التوكل ، ولا يقوم ساق التوكل الا على قدم العبودية . والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) في البندادية : فاذا جلس في بيته لم يصل الى مكة أبدا (٢) حذف من البندادية لفظ : أبدا (٣) نص البندادية فان لم يأت

فصل

الدرجة الثالثة (رسوخ القلب في مقام توحيد التوكل) (١) فانه لا يستقيم توكل العبد حتى يصبح له توحيده ، بل حقيقة التوكل توحيد القلب ، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول ، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل ، فان العبد متى التفت الى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه ، فتنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة ، ومن هاهنا ظن من ظن ان التوكل لا يصح الا برفض الاسباب ، وهذا حق ، لكن رفضها عن القلب لاغن الجوارح ، فتوكل لا يتم الا برفض الاسباب عن القلب ، وتلق الجوارح بها ، فيكون منقطعا منها متصلا بها . والله سبحانه أعلم .

﴿ فصل ﴾

الدرجة الرابعة (اعتماد القلب على الله ، واستناده اليه ، وسكونه اليه) بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الاسباب ، ولا سكون اليها ، بل بجماع السكون اليها من قلبه ، ويلبسه السكون الى مسببها ، وعلى هذا (٢) انه لا يلبى باقبالها وإدبارها ، ولا يضطرب قلبه ويخفق عند إدبار ما يحب منها واقبال ما يكره ، لان اعتماده على الله وسكونه اليه واستناده اليه ، قد حصنه من خوفها ورجائها ، فخاله حال من خرج عليه عدو عظيم لا طاقة له به ، فرأى حصنا مفتوحا فأدخله ربه اليه ، وأغلق عليه باب الحصن ، فهو بشاهد عدوه خارج الحصن ، فاضطراب قلبه وخوفه منهم في هذه الحال لا معنى له . وكذلك من أعطاه ملك درهما فسرق منه ، فقال له الملك : عندي اضعافه لاتهم متى جئت لي أعطينك من خزائني اضعافه . فاذا علم صحة قول الملك ووثق به وأطمأن اليه ، وعلم ان خزائنه مليئة بذلك - لم يحزنه فقوته . وقد مثل ذلك بحال الطفل الرضيع في اعتماده وسكونه وطمأنينته بشدي أمه لا يعرف

(١) نسختنا والحجازية « توحيد التوكل » وسقط من البغدادية كلمة « توحيد »

(٢) نسختنا والحجازية « الى مسببها وعلى هذا » وفي البغدادية « الى مسببها »

غيره ، وليس في قلبه التفات الى غيره ، كما قل بعض العارفين : التوكل كالطفل لا يعرف شيئا يأوي اليه الا ثدي أمه ، كذلك التوكل لا يأوي الا الى ربه سبحانه .

﴿ فصل ﴾

الدرجة الخامسة (حسن الظن بالله عز وجل) فهي قدر حسن ظلك بربك (١) ورجائك له يكون توكلك عليه . ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن فقال : التوكل حسن الظن بالله . والتحقيق ان حسن الظن به يدعو الى التوكل عليه ، اذ لا يتصور التوكل على من ساء (٢) ظلك به ، ولا التوكل على من لا نرجوه ، والله أعلم .

﴿ فصل ﴾

الدرجة السادسة (استسلام القلب له) ، وانجذاب دواعيه كلها اليه ، وقطاع منازعاته (وبهذا فسر من قال : ان يكون العبد بين يدي الله كالبيت بين يدي الفاسل يقبضه كيف أراد ، لا يكون له حركة ولا تدبير . وهذا معنى قول بعضهم : التوكل امقاط التدبير . يعني الاستسلام لتدبير الرب لك . وهذا في غير باب الامر والنهي . بل فيما يفعله بك لا فيما أمرك بفعله . فلا استسلام كاستسلام العبد الذليل نفسه لسيده وانقياده له ، وترك منازعات نفسه وارادتها مع سيده . والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ فصل ﴾

الدرجة السابعة (التفويض) وهو روح التوكل وابنه وحقيقته ، وهو إلقاء اموره كلها الى الله ، وانزالها به طلبا واختيارا ، لا كرها واضطرارا ، بل كتفويض الابن العاجز الضعيف المغلوب اموره (٣) الى ابيه العالم بشقيقته عليه ورحمته ، وتعام كفايته ، وحسن ولايته له ، وتدبيره له ، فهو يرى ان تدبيره له خير من تدبيره لنفسه ، وقيامه بمصالحه وتوليها ، خير من قيامه هو بمصالح نفسه وتوليها ، فلا يجد له أصلاح ولا أوفق من تفويضه اموره كلها الى ابيه ، وراحته من حمل كلفها (٤) رثقل حياها ، مع عجزه عنها ، وجهله بوجوه المصالح فيها ، وعلمه بكمال علم من فوض اليه وقدرته وشقيقته .

(١) في البغدادية « به (٢) في البغدادية « على من تسيء » (٣) كذا في نسخة وفي البغدادية ، وفي الحجازية قبل كلمة « اموره خربوشة يوشك ان يكون اصلا » في « او » على فتكون العبارة « المطلوب على اموره » وهي الصواب (٤) في البغدادية « كلها »

افضل الوسائل

لانهاض السلطنة

﴿ فصل جليل ختم به كتاب تاريخ الحرب البلقانية للبستاني ﴾

خطر لنا عند الفراغ من تأليف هذا الكتاب ، أن نستسلم آراء نخبة من أكابر العلماء وخفول الكتاب ، عن أفضل وسيلة تعرض بالسلطنة بعد كبتها ، وتزيد في بقضاء الامة بعد غفوتها . فسلطنا من أسعدنا الخط بالوصول اليه قيل صدور هذا المؤلف أن يصوغ لنا فكرته الاساسية في أسطر قليلة فتكرموا بتليية الطلب ، أدامهم الله زهرا نصيرا في بستان العلم والادب . واليك آراءهم مرتبة حسب تواريخ ورودها

(رأي سياسي شهير)

كتب الي عالم كبير لم يشأ أن ينشر اسمه قال « ان الامر عويص جدا لان في السلطنة فواعل كثيرة متناقضة وبعضها خفي . ولقد سمعت مرة المرحوم نوبار باشا رئيس الوزارة المصرية الاسبق يقول ان لورد دربي ألقى عليه سؤالا مثل سؤالك وطلب منه أنت يرتأي رأيا أو يضع مشروعا نافعا للسلطنة العثمانية ، قال نوبار : فأخذت القلم وكتبت « أن ينشأ في السلطنة محكمة مختلطة مستقلة ترفع اليها الشكاوي من المأمورين قضاهاهم وتنفذ الحكومة ما تحكم به عليهم »
فأدق هذا الانتقاد ، وما أرق هذا التهم ! ...

(رأي القانوني الكبير ، والعالم الاجتماعي الشهير)

سماعة فتحي باشا زغلول

أقرئك السلام وبعد فسؤلك هام ومطالبك أهم

الدولة العلية وعاك الله بمجموع محتاج في سياسته وانهاضه الى حكمة عالية وبصر بالأدور كبير ، فاذا غلب الرأي الهوى ، وبطل التفاضل بين العناصر ، وأقيم وزن العدل وتسارى التماس جميعا في الحقوق وفي الواجبات . واذا خلعت نيات اهل الزعامة وصدقت عزائم ذوي الرئاسة ، ففضلوا مصالح الامة على المنافع الفردية ، وجد الكمال في طلب الاصلاح ، فنشروا التعليم وعنوا بالأموال الاقتصادية ، فاستبقوا لأنفسهم مرافق

البلاد وكنوزها ، وذلوا السبل وأمنوا السابلة وقربوا المسافات ، ثم ازدروا واحترقوا
وأجروا فأحرقوا ، وإذا أحكموا نظام الجند وهذبوه - لاشك أن الدولة ناهضة من
سقطتها ، وإن الأمة ناشطة من عقابها ، وإنما نائلة من الحضارة والمناعة مكانا عليا

(رأي العالم العامل الشهير ، والصحافي الخبير)

الدكتور فارس افندي نمر

صاحب المقتطف والمقام

حضرة الفضل ! ان كان المقصود من « الساطنة » في سؤالكم « الحكومة
والأمة » في حالتها الحاضرة أي الدستورية فوسائلها متعددة منها مادي
ومنها أدبي وكل واسطة منها قوة لا يستغنى عنها ، وخصوصاً وسائل العلم والمال ،
على أن في الحكومة وفي الأمة رجالاً من ذوي العلم وذوي المال فلا يجوزهم ادراك
ولا يسار ، ولكن الذي ينبغي هو تربية الحكومة على الاخلاق القويمة ، والصفات
المنظمة والمرقية لشؤون الهيئة الاجتماعية ، حتى نستطيع الاتحاد والتعاون على تدبير
أمورنا وإنجاح أعمالنا ونحن جماعات ، كما يستطيع كثيرون منا اليوم تدبير أمورهم
وإنجاح أعمالهم وهم أفراد .

(رأي شيخ الادباء ، وكبير الشعراء)

(سعادة اسماعيل صبري باشا)

التوظيف - إذا أراد التركي أن يستبقى ما بقي له من ملكه فلا يفرق بين التركي
وسائر الاجناس التي تتألف منها الدولة العثمانية ، بل يجب عليه أن يفضل في التوظيف
في كل بلد أهل الكفاءة من بينها ، فلا يوظف التركي في بلد غير بلده الاصل في الا
إذا كان يتمسك وجود أكفاء مثله من أبناء ذلك البلد ، فتعود جميع العناصر التي تتألف
منها الدولة حب الراية التي تظلمهم ، والاراضي التي تقلمهم ، فيقوم عندئذ وطن عثمانى حقيقي
محبونه ويذوبون عنه في اليوم المصيب .

التعليم - التعليم من أوجب الواجبات لنهوض الشعب العثماني عما هو فيه ، ولا
يراد بالتعليم ان يصبح جميع الافراد من العلماء ، بل يكفي أن يكون هناك عدد وافر
من المعلمين يسبرون بالدولة الى مقام الشهوب الراقية ، وأن يتعلم باقي أفراد الأمة
ما يمكنهم من فهم قادتهم وأرباب الرأي فيهم .

العدل - العدل بسيط في معناه صعب في تنفيذه بين الافراد . وأكبر آفاته

الفرغ والرشوة . فإذا أرادت الدولة أن يسود فيها العدل فتصرف كل جهدها في إزالة هاتين الآفتين ، ونحذر من أن تستعين بالأجانب في سن قوانينها وتوزيع العدل بين رعاياها ، ومن أن تطلب غير أبناء بلادها لإقامة العدل وسن القوانين . ولا تعذر عليها أن تجد عدلاً وطنياً متفقاً مع أخلاق أممها وعاداتها . وما يقال في العدل يقال أيضاً في سائر فروع الإدارة . وإذا كانت الحكومة لا تجد مندوحة عن الاستعانة بالأجانب الأكفاء فلا تطلبهم من حكوماتهم ، بل تكلفهم وضع التقارير بعد اختبارهم لحالة البلاد ، ثم تأخذ النافع والموافق لعادات الأهالي من تلك التقارير دون أن تجبل أصحابها موظفين رسميين

(رأي السالم الاجتماعي الشهير)

الدكتور شبلي الشميل

الدولة لا تمض إلا بثلاثة : رجال ومال ووقت ، والرجال بالعلم والتربية ، والمال بالموارد . فهل ذلك متوفر ، ولاسيما الوقت ، وحالنا في الاجتماع كما هي من قلة التكاثر ، مع ما هو عليه اليوم من شدة التنازع ؟ والجواب على ذلك يدل على المصير (رأي الأستاذ الفاضل الشهير)

ابو شادي بك

رئيس تحرير جريدة الأوبد

رأي أن الدولة لا تمض من سقطاتها ولا تعود الى سابق مجدها الا اذا توفر لها ما يأتي

تعليم التلميم في أنحاء البلاد وجعل الأولي منه اجباريا
ازالة التنازع بين العناصر ولا يكون ذلك الا بفتح كل ولاية استقلالاً
ادارياً داخلياً حتى يعلم كل فرد ان اجتهاده منصرف الى بلده
والى نفسه .

اجتاد الأكفاء من الموظفين اذ غير شك ان قوانين الدولة عادة
ولكن تنفيذها ممدوم .

اصلاح جباية الضرائب بحيث تكون الضرائب متساوية على الاعيان
لا على الحاصلات وتقسيم أوقات تحصيلها .

خامساً نزع السياسة من افكار الحيش
سادساً تعميم اللغة العربية في جميع الولايات وبين المسلمين بنوع اخص
وذلك لان مظاهر الدولة اسلامي والقرآن عربي
(رأي العالم الاسلامي الكبير)

السيد رشيد رضا

منتقى مجلة المنار

الدولة كائن حي، يُحفظ وجودها بالسنة التي تحفظ بها حياة سائر الاحياء، وهي
سلامة مزاجها في نفسها ووقايتها مما يمدو عليه من الخارج
فأما سلامة مزاج دولتنا العثمانية في نفسه فاعلم ان يكون باقامة الشرع العادل في
القضية، والمساواة في الحقوق بين الرعية، وبناء ادارة المملكة على اساس
اللامركزية، وجعل السلطة العليا شق الامة بين العنصرين الكبيرين فيها - العرب
وانترك - بحيث يكونان منها كالعنصرين الذين يتكون منهما المساء أو الهواء . واما
وقايتها مما يمدو عليها من الخارج فهو الآن منوط بدول أوربة الكبرى فمن
اصحاب المطامع فيها ومطامعهم متماثلة . وما دامت كذلك كانت الدولة آمنة على
نفسها من اقتسامها اياها بالقوة ، فيجب ان تبقى استيلاءهم على البلاد بقوة المال
والسياسة ، أي بالفتح السلمي ، وان تقوي مزاج الامة بالعلم والعلم واعدادها للدفاع
عن نفسها . فاذا هي فرطت في مراقبتها وأملأها فباعتها للأوربيين ، وبقيت على
تبذيرها ، وتوهمها انها تستطيع ان تحمي نفسها من بقوتي الدولة البرية والبحرية
الرسميين ، ولم تحمل كل اعتمادها على الامة ، فالخطر عليها من الفتح السلمي ، أقرب
وأقوى من خطر الفتح الحربي .

(رأي الكاتب التحرير الشهير)

داود افندي بركات

رئيس تحرير الاهرام

رأي في اصلاح السلطنة العثمانية ان تقسم مناطق ، وان تكون كل منطقة مؤلفة
من العناصر المتفقة في التقاليد ، العادات واللغة ، فتعطى الاستقلال الاداري تحت من
أموره كل ما لا يتناول منطقة أخرى أو أكثر من منطقة . ويعين لكل منطقة

مندوب سام يماونه مجلس إدارة بؤاف من الفنين في الامور المالية والادارية
والفضائية والعسكرية ، ويؤخذ للمركز العام جزء معين من دخل كل منطقة ،
وتلقى الضرائب العشرية ، وتقرر ضرائب ثابتة معينة على الاملاك ، وتوضع قوانين
للشركات على اختلاف انواعها ، ويوحد القضاء فلا يكون من اختصاص رجال
الدين الا الامور الشخصية . فتكون الدولة مؤلفة من ولايات متحدة او مناطق متحدة .
ذلك رأي في انهاض السلطنة بسرعة

(رأي العالم المؤرخ)

جرجي بك زيدان

صاحب مجلة الهلال

العملة الحقيقية في حال الدولة العثمانية اليوم فقر المملكة واضطراب الحكومة .
والحكومة الدستورية في ابدى الامة ، والامة العثمانية ضعيفة الاحلاق ، عريقة
في الاقسام ، بسبب ما توالى عليها من اتهم الفساد .
اما المملكة ولعمري الولايات الباقية منها في آسيا فليس فقرها اصليا فيها ، وكل ولاية
منها كانت في بعض الازمان مملكة قائمة بنفسها ، فالعراق كانت وحدها مملكة البابليين
والاشوريين ، وجها اعز المباسيون في اتيان دولتهم ، وكانت جبايتها ثلث جباية مملكتهم
الواسعة الممتدة من حدود الهند الى شواطئ ايتالانتيكي . وسوريا كانت مؤلفة
من عدة دول ثم اعز بها السلوقيون احيالا ، وكذلك آسيا الصغرى ، وظلت مدة هي
اعظم اركان الدولة العثمانية .

فهذه الولايات اذا احسنت سياستها وادارتها صارت غنية . وهذا لا يتم والامة
كما تقدم . فالوسيلة المثلى للتعرض بالدولة العثمانية انما هي ترقية الشعب ، وهو لا يقدر
ان يرقى نفسه رغم استمداده الطبيعي للرقى . وقد يقوم بذلك حاكم عادل عاقل ،
انما يشترط ان يكون مستبدا ، وهذا لا يتيسر والحكومة دستورية . فلا بد من
الاستعانة بالاجانب ، واسلم الطرق ان تحالف الدولة العثمانية مع دولة تثق بعداقتها ،
فتستعين برجالها على اصلاح حكومتها وترقية شعبها وصيانتها من مطامع الدول
الاخرى ، بشرط ان لا يكون لهذه الدولة مطمع في الاستعمار . فاذا وقعت الى ذلك
في اثنا أربعين سنة نهضت واسترجعت روتها .

(رأي الشاعر الكاتب الطائر الصيت)

خليل افندي مطران

أخي - سألتني عما أرتيه لاصلاح الدولة العلية . فالذي أرتيه إنما هو أمر واحد يلخص في كلمة واحدة : التعليم

منذ عشرين سنة أرقب حوادث الدولة واستتري ما يجري فيها . فالذي بدا لي من شأنها في كل حال : ان الحكم كانوا لا يهتمون باصلاحها اعتماداً منهم على جهل الامة وعلى تسليمها لهم بسبب ذلك الجهل . وان الحكوميين كانوا فاقدي الحيلة في الناس ما هو خير لهم وكاوا صابرين على مضض . وربما أومض لهم بأوق الاصلاح في احدى المصادفات فتألموا منه تألمهم من الرمد المفاجئ .

فهؤلاء الحكوميون ما لم يعلموا لا يقيمون لانفسهم وزناً ولا يفرقون بين حق لهم وحق عليهم . كما ان أولئك الحكم أيا كان جنسهم ودينهم يلبثون أبدا الدهر متكررين لامتهم جانين عليها ، الا حيث يضطرهم الى الاصلاح اضطراراً ، وتأخذ منهم قسراً ما يابونه عليها اختياراً . وكل ذلك لا يتم شيء منه الا بالتعليم .

(رأي الكاتب الشهير)

محمد افندي مسعود

حياة الدولة في مستقبلها . ومستقبلها في حكومة كفيفة باسترجاع مجدها المضيء ، وهذه الحكومة لا توجد ، الا متى عرف رجالها قدر انفسهم . فوضعوها فوق عبث الاحزاب .

(رأي الصحافي الحبير والكاتب الالامي)

سامي افندي قصيري

المحرر في المقطم

لما كانت الدولة العثمانية فيما مضى دولة استبدادية قائمة على حكومة الفرد كانت تقوى بقوة ذلك الفرد وتضمف بخصفة وتبعد بشهده وتشقى بشنائه . أما الآن وقد أعلن فيها الحكم الدستوري مراعاة لحوال الزمان والمكان وتبدلت

حكومة الفرد بحكومة الامة ، فصالح الحكومة قائم بصالح الامة . ولا يكون ذلك في رأي الا بنشر التعليم الحر بين طبقاتها ، والفصل بين دنيائها ودينها ، والتأليف بين عناصرها وطوائفها ، حتى تصبح جميعها كتلة واحدة يحركها من أعلاها الى أسفلها عامل واحد ، هو عامل الوطنية ، وتجميعها من أقصاها الى ادناها جامعة واحدة هي الجامعة العثمانية .

(رأي الكاتب الشهير)

فرح افندي انطون

صاحب مجلة الجامعة

ان سنة التطور (evolution) التي تحكم العالم المادي والعالم الاجتماعي أمر لا مفر منه . فما السبيل الى جعل التطور في السلطنة لها لاغيا ؟ لا أظن أن صديقتي المؤلفة يمكنني الجواب على هذا السؤال في بضعة أسطر . على ان كل ما يقوله الكاتب ويفكر فيه المفكر في هذا الشأن أمر معلوم ، فما تفحصنا الاقوال ولكن تفحصنا الافعال . فقد يقال « المدل والسواء ونوسيع سلطة الولايات وقطع دابر الرشوة بحسن اختيار الموظفين وشدة مراقبتهم واصلاح المحاكم وتنظيم البوليس وتقويته وانشاء الطرق الحديدية واستثمار الارض ظهرها وبطنها (الزراعة والمعادن) واحياء الصناعة والتجارة والمستشارون الاجانب وتنظيف الدوائر العليا والدنيا الخ الخ » وكلها اشياء جميلة . ولكنني اري امرا آخر مقدماً عليها وان وجد المال وقوة الارادة لانفاذها وهو ما أسميه « الانسلاخ » أعني به انسلاخ الرجل الشرقي القديم - وكلنا ذلك الرجل - من جلده القديم وروحه القديمة واتخاذ جلداً جديداً وروحاً جديدة . ومعنى هذا بكلام مجرد من الزخرف والخيال تغيير السياسة التي حكمت بها السلطنة وجعلها بوزيقية مست (positiviste) وهنا المشكلة العظمى . فانه يجب بناء أعمال الحكومة على هذه السياسة من غير أن يصدد هذا البناء معتقدات العناصر المختلفة وأوهامها ، أي سوق التطور في طريق هذه السياسة من غير ان يؤدي الى كسر في أعضائها . ورأس سياسة الازيقيةست أن يفصل الدين عن السياسة الدينية عند جميع العناصر العثمانية . وبعد هذا الفصل يمكن الاتجاه الى موحدة الامة وبانية اساس مستقبلها أعني بها المدرسة الابتدائية الازامية - واحدة لجميع أبناء الامة ، وعزل عن المذاهب الدينية لتوحيد أغراض الامة واهوائها ما أمكن التوحيد ، وجعلها أمة واحدة لا أمماً مختلفة كما هي الآن .

(رأي الاستاذ القانوني الشهير)

عزيز خانكي بك

يجب ان تبدأ الدولة باعطاء ولاياتها الاستقلال الذاتي الداخلي ثم تحمل العلة بينها وبين ولاياتها كالصلة بين ممالك ألمانيا والامبراطورية، أو كالصلة بين الولايات المتحدة الأميركية والجمهورية، ثم تعاون جميع الولايات على تكوين قوة الدولة البرية والبحرية بمعنى أن كل ولاية تشترك بنسبة ثروتها

هذا من جهة سياسة الدولة من حيث مجموعها . أما رقي الولايات فلا أمل فيه الا بإنشاء أحكام، ووضع القوانين النظامية على الطريقة المصرية، وإقامت المدارس، ومد السكك الحديدية، وتوطيد أركان الأمن العام، وإجراء الإصلاحات العامة اللازمة لكل بلد مثل إنشاء السكك الزراعية، وبناء القناطر للري، وتسهيل المواصلات البرية والبحرية، وتعميم بعض المنظمات القرية، مثل التفرقات والتفونات وتنظيم البريد داخل الولايات، وتشجيع الأهالي على إنشاء الشركات للاستثمار بخيرات هذه الاقطار التي يقال انها كلها كنوز لا تقفد .

(رأي الأستاذ الفاضل الشهير)

اسكندر بك عمون

اصحح نظام للدولة على ما بين العناصر والولايات العثمانية من التباين في الحاجات والاخلاق، والعادات والتقاليد، وعلى ما بين اهليها من التفاوت في الحضارة، ان تحمل ممالك أو ولايات مستقلة في جميع شؤونها الخاصة استقلالاً تاماً حتى في قوانينها وفي شكل حكومتها، مع ارتباطها جميعاً في الشؤون العمومية على نحو نظام الولايات المتحدة الأميركية أو الممالك الجرمانية، فتسمى حينئذ الولايات أو الممالك العثمانية المتحدة ولهذا النظام مزية على كل نظام آخر وهي : انه النظام الوحيد الذي يمكنه أن يجمع بين الولايات والامارات العربية في جزيرة العرب وسائر الولايات المتنازة وغير المتنازة

(رأي الكاتب العام)

نجيب بك البستاني

أحد مؤلفي وأصحاب دائرة المعارف البستانية

اهم ما يجب لاحياء امر الدولة العثمانية واعلاؤه شأنها انما هو العدل الصحيح في

الرعية ، واصلاح المالية ، فهما اساس الملك وبهما قوام الدول . ذلك بان تشترك جميع عناصر المملكة على نسبة كل منها الى المجموع ، فيعهد في الوظائف الى ذوي الكفاءة ، وتؤدي الرواتب في مواعيدها ، وتوضع المكوس على ما تطبق الرعية ، وتستثمر المعادن ، وتقام اعمال الري والطرق الحديدية وغيرها على السواء في جميع اقطار البلاد ، وتستعمل الدولة في الاصلاح وتعميم التعليم العلماء الراسخين من الشرقيين والغربيين ، ويكون الانتخاب على ما يضمن لكل فئة المصالح التي هي من الاعيان والنواب دون محاباة أو تفاضل . فتي حصل ذلك توفرت الاموال بالاحتياجات كلفة الجيش ، وساد الامن واستوتقت الرعية من الازعاج ، واتظمت انشوري وحصلت الالفه بين الامم المختلفة ، وانصرف هم القائمين بالامر الى استصلاح الزراعة وازقية الصناعة والعناية بامباب العمران ، ونبذوا الشقاق وصدقوا في حب الوطن وبنوا على الامر مخلصين منزهين عن المطامع الشخصية بما يزيد هيبة الحكومة ويؤيد سلطتها يتم ذلك باذن الله اذا امتنعت الدول عن تمكير الامر على العثمانيين ، ويجري هؤلاء نحو ما تقدم ربيع قرن أو ما يزيد ، لتعال الناشئة - وعليها المسئول في المحافظة بعمل الاصلاح - من العلم والمدنية والحران على الاعمال ما يضمن للدولة صحتها وعظمتها ، ولعثمانيين اتحادهم واستقلالهم

﴿ رأى الكاتب البليغ ﴾

الاستاذ أمين أفندي البستاني

سألني رأيي في الدولة ومصيرها : جاز بالدولة في هذا العام عبرة كبرى آدم تعتبر بها نالها ما هو اشهر منها . والدولة الآن بقية ملك هو ابد مدي وانزع حتى واطيب بقية من جل الممالك الأوروبية ، فهل لها أن تعدل في الباقي من هذا الملك وتمنع حادثات الدهر ؟ الله اعلم . على أن الدولة لا تجهل اشراط الملك على الملك وما هو سبق له وما هو ذاهب به ، حتى لقد اصبحت الدلالة على وجود الاصلاح المنشود من مبتذلات الكلام ، وملوكات الافواه والاقلام ، فهل الدولة أن تعمل بما علمها الدهر على حين لم يبق لها من ناصر الا ما تسعى اليه من ترميم هذا الملك العزيز ، والا فقد قضى الله بما لا دافع له ولا مانع له ، وحسبكم الاشارة يا ابناء هذه الدولة . فاعدلوا بين ضروب الرعية لان دولكم مستمدة من جنتها لا من ابدانها ، وقدموا الكفو على غيره مهما كانت نفعته ومنبت اسننه ، واستعملوا الاجنبى

في تدير ما انتم ضعاف عن تديره واسلكوا القصد في عملكم من غير سرف ولا
تقريط وخذوا بالجدديد الصالح واخضعوا القديم البتذل ثم اعدوا للملك عدته من
رجال ومال ، والله الوافي في هذا الباقي

(رأي استاذنا الاجتماعي الكبير)

أحمد لطفي بك السيد

مدير الحرية

(وصل في آخر ساعة لفياب حضرته عن القاهرة)

راجعت نفسي فوجدتني غير حاصل على المقدمات التفصيلية اللازمة لتكون رأي
صحيح في الوسائل العملية لاصلاح الدولة العلية . وان الذين يستطيعون معرفة هذه
الوسائل هم رجال الدولة المشتغلون بسياساتها والواقفون بانفسهم على ما اجهله من
المقدمات الضرورية لتكون رأي صحيح غير أن لرقى الامم وهبوطها قوانين قد
تفي لتكون رأي اجمالي ونظري في الاصلاح

مهما كانت الاسباب التي سجت اوروبيا على اضطهاد الدولة العلية فلا شك في أن
وقوعها في الضعف والهرم هو اهم تلك الاسباب ، وليس يوجد مانع طبيعي يمنع
الدولة بعد أن مسها الهرم من استعادة شبابها بالاخذ بالتعليم الحديثة من حيث الحكم
والترية والتعليم وتدير حالها الاقتصادية على وجه يكفل لها النظام والقوة . ولست
اجد في هذا الحاضر ما يرجح كفة توقع الشر في المستقبل على كفة انتظار الخير .
فاذا قام المنصر الحاكم باحترام اطماع العناصر المحكومة والنهضة بالامة عن الجمود
الى التسارع بجميع الاساحة الحديثة ان في التريسة وان في الاقتصاد ، أمكن الحكم
بهذه الدلائل نلى الاصلاح المنتظر . نعم ان لظروف الخارجية دخلا في اصلاح
الدولة ولكن العثمانيين هم المسؤولون وحدهم عن اجراء هذا الاصلاح . عليهم عمل
ما في قدرتهم والله يتولى امر ما لا يقدررون عليه

(المنار) هذه آراء أشهر حملة الاقلام وعلماء السياسة والقوانين من المصريين
والسوريين ، وأكثرهم متفقون في الرأي فيما صرحوا به وما لم يصرحوا ، ولاتكاد
ترى خلافا صريحا بينهم الا في مسألة استخدام الاجانب أو استئانة الدولة بهم ، أجازها
أو أشار بها بعضهم صريحا أو تلويحا وحذر منها بعض ، أهملها الا كثرون . وصرح جماعة
بمسألة الاصر كزية أو الاستقلال الاداري للولايات أو الاقاليم . ولم يحفل هذا الجمهور
بمسألة القوة الحربية ولا البحرية التي تمدها الدولة بتقاليدها الموروثة كل شيء . وقد
انفردنا بابداء الرأي في مسألة الدفاع . فلتعتبر بهذه الآراء الامة وان لم تعتبر بها الدولة.

﴿ عبد العزيز بك علي المصري ﴾

عبد العزيز بك المصري - أو عزيز بك كما تقول الترك - من ضباط أركان الحرب المشهورين في الجيش العثماني . وقائد برقة في قتال الجيش الإيطالي . وقد قبض عليه في الأسنة منذ شهرين وسجن بأسر ديوان الحرب العرفي ، ولم يعرف السبب الرسمي لذلك ، فحدث لذلك من التأثير السيء في مصر وسورية وغيرها من البلاد العربية فوق ما كان ينتظر ، وصار ذلك شغل الجرائد العربية الشاغلة ، وسرى هذا التأثير إلى كثير من الجرائد الأوروبية . وتناقلت الجرائد عن الأسنة ان الذي وثق به هو الشيخ عبد العزيز شاويش الذي وظيفته التجسس على العرب . وقد دعا شيخ الجامع الأزهر أشهر علماء المصريين وفضلائهم إلى عقد اجتماع للتشاور فيما يجب أخذه لانصاف هذا الرجل ، فاجتمع الوف من الناس في ٢٦ من هذا الشهر . وكانت قد دعي إلى الخطابة فيما يتعلق بهذا الموضوع رفيق بك العظيم ومحمد أفندي لطفي جمعه ومحمد أبو شادي بك وإبراهيم بك الهلباوي - الثلاثة من المحامين - فخطب كل منهم فاجاد ، واتوا على عبد العزيز بك المصري واطروا خدمته للدولة واقاموا الدلائل والبيانات على استهجان القبض عليه وقدموا ما شاع وما تصور من اتهامه به . وخطب صاحب هذه المجلة خطبة أرحمالية وحيزة اقترحت عليه عند ما وصل وأخذ مجلسه من مكان الاحتفال ، واختار ناظم عقد اللجنة حسن باشا رضوان ان يكون الخطيب الثاني ، فأجبتا الطالب ، ثم اقترح علينا أن نكتب ملخص ما قلناه ونشره وهو هذا :

اقترح علي الآن أن أقول شيئاً في الموضوع الذي عقد لاجله هذا الاجتماع ولم يكن اسمي في جدول الخطباء - وهم كثير - فانا أقول كلمة وحيزة حتى لا اضيع على الخطباء المستعدين وقتهم

سمعت ما شرحه الخطيب الأول (رفيق بك) من خدمة عبد العزيز بك المصري للدولة والامة في إقامة الدستور وأييده ، وفي مقاومة حرب المصالحات المسلحة في مكدونية ، وفي اليمن وبرقة . وستمعون من سائر الخطباء شرحاً أوسع في انتاء على الرجل . وانني اظن كما تظنون أن الرجل بريء مما رماء به السعاة الواشون ، ولما كنتني اني كلفني على غير الاساس الذي بني عليه رفيق بك كلامه ،

فقال لا افرض انه بريء ، وانه يخشى أن يؤثر في انتضاء المحكمة التي تنظر في نفيته ما يدور حولها من السعيات والالهام فتصدق بمضاهي وتبني عليه الحكم ، ولا أقول بوجود عقابه اذا كان مذنباً أو طلب العفو عنه بهذا الحكم ، بل أقول قولاً آخر فيها كراهة : يجوز أن يكون عبد المزين المصري قد أنى بذنب ، لأننا نحن المسلمين لا نقول بعصمة أحد من البشر غير الانبياء الذين يبلغون رسالات ربهم فيما يتوقف عليه امر التبليغ وحكمته ، كما يجوز أن يذنب كل واحد من الناس وليس فيهم انبياء مرسلون . نجوز هذا عقلاً وان كان لدينا دلائل متعددة تؤيد البراءة الأصلية ، أظهرها أن الرجل بقي زمناً في الاستانة بعد عودته من برقة كانت توكل اليه الاعمال العسكرية التي لا توكل عادة الى المجرمين المستعدين للسجون ، ولم يؤخذ بالتهمة المبهمة الا بعد استقالته من الخدمة ، ولم يكن له بعدها عمل صالح ولا سيء . وانما أخذ بسطابة واثم ففسد . فتدبرض انه مذنب ، وان ذلك الواشي الخبيث صادق

أنتم تعلمون ان الامم لا تمز ولا ترتقي الا بالرجال القادرين على الخدمة العامة للامة الماعين بها ، وهؤلاء الرجال قليلون ، لذلك يجب ان يعين بهم وتقال عثراتهم . وتزين المصري من هؤلاء الرجال بديل ما قام به من الخدمة العامة للدولة والامة ، فاذا صدق ذلك الواشي التام الخبيث -- وما كان الا كذوباً -- في زعمه انه قد أنى ذنباً يحاكم عليه ، اليس له من حسناته وخدمته العامة شفع يقضي أن تفر الدولة ذنبه وتقبل عثرته ؟ وهل كان الذين يريدون الانتقام منه براء من الذنوب والعثرات ؟ أم نقول لهم كما قال المسيح عليه السلام حين حوّل بالمرأة الزانية لاجل رجوعها ؟ كلا ان لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة ، ولنا في سيرة اصحابه وائمة العدل من خلفائه ما مهتدي به في مثل حادثة تزين المصري .

كان ابو محمد في مدم من خمر في الجاهلية وقد ايلم ولقي النبي (ص) وروى عنه حديثاً . وكانت الخمر قد احدثت له مرض الحمار فكان لا يستطيع تركها ، وكانوا يجلدونه اذا شرب فيرى الم الحمار دون الم الحمار . وقد حضر حرب القادسية مع سعد بن أبي وقاص (رض) خبسة سعد وقيدته بومة الشرب ، وقد اتهم المسلمون مع الجوس . . . كة شديدة ، وكان سعد يحرمه ساء لم يحضر المعركة بن سعد على سطح بيته ينظر ما يفعل المقاتلون . فلما رأى ابو محمد ربح الحرب عائرة وساق على المسلمين ان يفلخوا ، رغب الى امرأه المائد التام أن تخله من قيد ليحضر أسر كاه ويأمندها بأن يعود الى قيده اذا هو سلم . ففعلت . فوثب على فرس سعد فقال لها

اللقاء ، وحمل برمحه على جيش الاعداء ، فكان لا يحمل حملة الا انهزم الاعداء امامه .
وكان سعد (رض) يرى ذلك ويتعجب ويقول : الكر كر اللقاء والحل حل أبي
عججن (١) وابو عججن في القيد . ولا انهزم العدو ورجع ابو عججن الى قيده كما وعد
امرأة سعد . واخبرت هي سعداً بما كان ، فاطلقه من قيده ، وقال : لا احدة اليوم
رجالاً نصر الله المسلمين على يديه . فقال ابو عججن : لقد كنت اشربها اذ يقام على
الحل فيظهرني ، واذ قد حايبتني (٢) فواقة لا اشربها ابداً . وقاب من ذلك اليوم
ولدنا شاهد آخر من وقائع القادسية : زهرة بن حوبة هو الذي قتل
الجلينوس ، قائد جيش الجوس ، وقد اخذ سلبه بدون إذن القائد العام سعد بن أبي
وقاص ، فانزله سعد منه وأراد أن يؤاخذه ، ولكنه كتب الى امير المؤمنين عمر
ابن الخطاب يسأله في ذلك . فكتب اليه عمر (رض) : تسمد الى مثل زهرة وقد
صلى بما صلى به ، وبقي عليك ما بقي من حربك وتكسر فوقه ؟ (٣)

انكر سيدنا عمر على سعد عمله ، وانهض زهرة سلبه ، لانه رأى أن عمله الماضي
والحاجة الى عمله في المستقبل أرجح من هذه المخالفة وأن الصالحة تقتضي ذلك .

ان لنا فوق هذا كله اسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم في خير حاطب بن
أبي بلتعة : نقض مشركو قريش عهد النبي (ص) فاراد أن يزحف عليهم لفتح مكة ،
وكان لحاطب أهل ومال بمكة يخاف عليهم لانه ليس لهم احد يحميهم ، فكتب الى
أهل مكة يخبرهم بنزم النبي (ص) فلم النبي (ص) بما كان (وارسل من اخذ
الكتاب من امرأة كانت تحمله في عقاص شعرها) وسأل حاطباً عن ذلك فاعترف
واعذر بالخوف على أهله وولده وأنه عمل ما لا يضر الله ولا رسوله . فقبل عذره .
واراد عمر بن الخطاب الذي تضرب الامم بعده ان يثب أن يقتله ، لان افشاء سر الحرب
من اكبر الذنوب العسكرية فجعله عمر دليل التفاق ، واستأذن النبي (ص) بقتله فلم
يأذن له ، وقال « انه شهيد بداراً »

عد النبي (ص) شهود غزوة بدر من أقوى آيات الايمان ، والصدق والاخلاص

(١) لفظ سعد (رض) « الضير ضير اللقاء » والظاهر مظهر أبي محسن « الخ والضير بالضاد المعجمة
كر الخيل وعمدوها » والظاهر الوثوب (٢) كلمة المؤامرة « بهرجتني » ونحن ذكرنا المعنى الرابع
من هذه الكلمات لانهما جيم الحاضر بن . وقد أشكل على بعض الناس ترك سعد اقامة الحشد وحملوا
سبه ، وهو ان الحدود لا تقام في الحرب ولا دار الحرب ، كما تراهم في الفتوى الملحقة بالنفس
من هذا الجزء ، وسعد يعلم هذا وهو مما رضى به عمر ، ولا يبعد ان لا يعرف مثل أبي عججن
(٢) الفرق بالغيم ، وضع الوتر من السهم ، وبطلق على السهم بمعنى الحفظ ومعنى أعلى الضائل .

في الإسلام، لأن المسلمين كانوا وثيقين في قبة عدد، وقلة مال، وقلة طعام، وقلة ركائب، كانوا في أشد الضعف، وكان المشركون في أوج قوتهم، فمن يبذل نفسه في سبيل الله في مثل تلك الحال، لا يبذلها إلا بياض الإيمان وحافظ الإخلاص، وتلك حسنة تضاهل بآثارها أي سيئة من السيئات

فلنفرض أن عبد العزيز المصري قد اجترح ذنباً عسكرياً كبيراً (كذنب حاطب أو ماليا كذنب زهرة بن حوية، أو شخصياً كذنب أبي محجن رضي الله عنهم)، وإن ذلك الواشي الخبيث صادق فيما رماه به - وما كان الواشي الزام الخبيث إلا كذوباً قاصفاً - ليس له من الجهاد في سبيل الحكومة الدستورية عند تكوينها ومن الدفاع عنها أيام كان الخطر محدقاً بها، ما يشبه حسنة حاطب في شهود غزوة بدر؟ وما كان حاطب متمزراً فيها بشيء انفرد به دون سائر من حضرها، ولا كان في مقدمة الذين أبلوا فيها أو اتخذوا؟ وأما عبد العزيز المصري فكان في مقدمة الضباط الذين أبلوا في فتح الأسنة وفي غيرها من الأعمال العسكرية التي أيدت الحكومة الحاضرة. فهو حدير بأن يكفى منه بالاعتذار، إذا فرضنا أنه ارتكب بعض الأوزار، دع خدمته للدولة في عقد الصلح بينها وبين أم البنين، بعد حرب استمرت عدة أجيال، سفكت فيها دماء مئات الألوف من الرجال، وضاعت بها القاطير المقتطرة من الأموال، ولم تستفد الدولة من ذلك فائدة ما، فكان ذلك الصلح من أفضل الأعمال وانفعها للدولة ولأهل البنين - ثم دع خدمته في قتال الجيش الإيطالي في برقة

وإذا كان هذا الاجتماع العظيم قد عقد لأجل التشاور في انصاف هذا الرجل، أو انقاذه من الخطر، قد جعل تحت رئاسة الأستاذ الأكبر شيخ جامع الأزهر، وشهده طائفة من أكبر علمائه، مع هذا الجمع العظيم من خواص البلاد - فالذي أراه وأقترحه هو أن ترسل برقية بأضواء الأستاذ الرئيس إلى مولانا السلطان المعظم يخاطبه فيها بمنوان الخلافة، وية تتجها بقوله تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ ويطلب منه بأن لا يؤاخذ عبد العزيز بك المصري بما عساه ينسبه إليه ديوان الحرب من ذنب أو تقصير، لإخلاصه وسابق خدمته للدولة، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في مسألة حاطب، وبأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أمضاء سلب الجالقوس لزهرة بن حوية وبسمد بن أبي وقاص في مسألة أبي محجن (رضي الله عنهم أجمعين) ويظهر له رغبته ورغبة هذا الجمع الكبير من علماء مصر وفضلائها في ذلك. واكبر ظني أن هذا هو أرجح ما يرجي نفعه في الأسنة.

هذا وانني اختم كلمتي بالشكر لكم ايها الفضلاء الذين تصدتم هذا المكان للسمي في انقاذكم من الهلاك فان هذا خدمة للانسانية، ومحافظة على حقوق البشر في الحياة والحربة، وقد قال الله تعالى ﴿ ومن احيانا فكأننا احيانا الناس جميعاً ﴾ قال بعض مفسري السلف احيائها السمي في انقاذها من الموت، والسلام.

هذا وان لجنة الاجتماع لم تعمل بهذا الاقتراح لانها كانت قد وضعت صورة برقية باسم الصدر الاعظم تتضمن معنى شفاعاة الامة المصرية بالرجل، فجاءها جواب من أنور باشا ناظر الحرية، ملخصه ان المجلس الحربي مستقل تمام الاستقلال لا يطرأ عليه أقل تأثير !!

﴿ التعصب على المنار ﴾

هاج بعض غلاة التعصب على المسلمين هيجة شريفة على المنار في هذا العام، وجددوا السمي الى الوكالة البريطانية اولا وبالذات والى الحكومة المصرية ثانياً وبالتبع، لتبشش بصاحب المنار فتلفيه في غيابة السجن، أو تنفيه من ارض مصر، واستعانوا على محاربتهم وسمايتهم ببعض القسيسين وغير القسيسين، من الاجانب والوطنيين، وفتنوا صوم تعصبهم في جرائد القبط وبعض الجرائد الافرنجية التي يحرر فيها بعض السوريين، وكان محضاء نار هذه الفتنة، والمدير الاول لهذه المكيدة، يوسف الحزن اللبناني الذي يعيش من التحرير في جريدة الوطن القبطية، وجريدة دوكير الفرنسية، وهو هو الراسخ في بعض المسلمين الذي نقل عنه انه قال: اذا صافحه مسلم تضطرب انتصابه، ولهذا لا تكلم تراه يبدأ مسلماً من ممارفته بالمصافحة.

قد عرف القراء مما كتبناه في الجزء الماضي شيئاً من خبر هذه الهيجة التعصبية على المنار، ولعل أدباء القراء ظنوا أن ما كتبناه في الجزء الماضي قد اطفأ بما يتجلى فيه من حسن نيتنا نيرانهم، واستخرج بحججه ومهاخته اضغانهم، كلا انه لم يزد هم الا بغياً وعدواناً، وسعاية ووشاية وزوراً وبهتاناً، فنحن نتبت من تاريخنا ومما كتبناه في المنار من أول نشأته الى الآن، اننا طلاب تسامح ووفاق، وهم يريدون أن يقبلوا الشيء بضده فيوهوا من يسمع كلامهم اتادعاة عداوة واقتراق، نحقر النصارى وندعو المسلمين الى بغضهم وعداوتهم لاجل دينهم !!

حسب الانسان أن يعلم من نفسه ومن نيته السمي للخير، والاخلاص في العمل، فان كان يبالي باطلاع الناس على عمله، ومظاهر حسن قصده، لاجل الاسوة الحسنة،

والتعاون على الخدمة العامة ، فحبه أنت يرف أهل الاخلاص وحسن النية منه ما يعرفه من نفسه .

ونحن - والله الحمد والمثني - اصحاب تاريخ معروف ، واثري في السعي الى الاصلاح والاتفاق مدون مطبوع ، يعرفه قراء العربية ، ولا يجبهه خواص الامم الافرنجية ، وحسبك ما نوه به في العام الماضي اصحاب المجلة الفرنسية انصرية بتصر ، وجريدة فرنسا الاسلامية في باريس ، من حسن تأثير خدمة النار في المسلمين بحلمهم على التسامح والمدنية ، وما سموه « المدرسة العربية » هو ما به النار من مشرب شيخنا الاستاذ الامام من إثبات التسامح الاسلامي والدعوة اليه ، والتأليف بين قواعد الاسلام الثابتة وبين المدنية الصحيحة . وما قالته هاتان الصحيفتان اخيرا هو صدى ما كتب في جريدة الطان من بضع سنين في سياق الكلام عن مسلمي تونس ، وما كتبه لورد كرومر عن حزب الشيخ محمد عبده في تقريره الذي ذكره فيه عقب وفاته . وهل لمشرب الشيخ محمد عبده وآرائه مغامر عرفت به في الاقطار ، غير مجلة النار ؟ بل نقول ان هذا المشرب مما اتفق فيه رأينا مع رأي الاستاذ رحمه الله تعالى ولم يكن مما لفتنا عنه ، وما لنا فيه من القول والسعي اكثر ، ما كان له ، ومن الشواهد على ذلك ما كتبناه في قاعة العدد الاول من النار ، وفي اول نبذة فيه بعد افتتاحه ، ولم تكن يومئذ تلقينا عن الاستاذ درسا ، ولا بسطنا معه في هذه المسألة وامثالها قولا . قلنا في بيان خطة الصحيفة وما أنشئت لاجله ما نصه « ونحاول افقار ارباب النحل النباية ، والمذاهب المختلفة ، ان الله تعالى شرع الدين للتعاب والتواد والبر والاحسان ، وان الممارسة والمناجزة ، والمناسبة والمواثبة ، تقضي الى خراب الاوطان وتقضي على هدي الاديان »

ويست في النبذة التي بعد المقدمة ان لفظ الكفر لم يستعمل في الكتاب والسنة للاهانة ، بل لبيان حقيقة من الحقائق . وأنه يستعمل الآن في غير ما كان يستعمل من قبل ، ومنه ارادة السب والشتم ، فلا يجوز ان يوجه بهذا المعنى في الخطاب بعداء او وصف الى من حرم الشرع ايذاءهم وجعل لهم حقوقا محترمة من المؤمنين والمجاهدين (الاجانب الذين بينهم وبين المسلمين عهد على ترك الحرب اي غير المحاربين) واستخرجت نصا من كتب الفقهاء على ذلك لا حاجة لاعادة ذكره هنا

بعد هذا التمهيد اقول ليوسف الخازن واصحاب الجرائد القبطية من غلاة التعصب وبغضي المسلمين كيفما كانوا ولجميع من هو مثلم من وطني او اجنبي :

قولوا فينا ما شئتم ، وظنوا ما شئتم ، واعتقدوا ما شئتم ، وهيجوا من شئتم ،
ولتدب تقارب سمائكم الى من شئتم ، فتحن لا نبالي بكم ، ولا نأبه لرضاكم ولا
لسخطكم ، فمن أخطأ الى مثلكم فهو الذي يحسن منه ان يصبر ولا يعتذر ، اذ لا
صارف لكم عن شيء من الشر ، الا مكانتكم من الضيف والمبجز ، وها انتم اولاء
قد اجمعتم كيدكم ، وبذلتم في سبيل ايذائنا جهركم ، فما كنتم الا خائبين مخذولين
« ان الله لا يصلح عمل المفسدين » نعم لو كان ساسة الانكاي كساسة القبط في
عقولهم واخلاقهم ، وكان لورد كاتشر كيوسف الخازن في تمصيه وحنقه على
المسلمين ، لا قفل المنار ، وتقي صاحبه من هذه الديار ، وتبعه اقبال الازهر بعد
دار الدعوة والارشاد ، ولو رأيت من جمهور المشاويك لكم بلقب الدين مارأيت
منكم ، لقلت للمسلمين انه قد ظهر لي في السنة السابعة عشرة من دعوتي اياكم الى
الاتفاق والتعاون مع هؤلاء الناس على ترقية البلاد ، انهم لا يمكن ان ينفقوا معكم ،
ولا يرضيهم منكم الا خروجهم من دينكم ، او اقامتكم فيه على خسف ، لا تدفون
عنه بحق ، ولا تقابلون محاولي ابطاله واخراجكم منه بالمثل ولا دون المثل ، ولكن من
فضل الله على عباده ان مثل هؤلاء الغلاة قليل ، ولهذا لا يأس من خطتنا ، ولا نرجع
عن قاعدتنا وهي (تعاون على ما اشترك فيه ، وبذر بهمتنا ايضا فيما نختلف فيه)

المسائلان الشرقية والصهيونية

ما تبددت ثروة شريف باشا الكبير في مصر الا وكان بددها مكونا لثروات
جديدة لم تكن ، ومهدا لثروات أخرى ومزيدا فيها . ذهبت تلك الثروة الكبيرة
من عجزوا عن حفظها بله تهميتها ، الى ايدي الفادرين على ذلك . وكذلك تبدد
الدول فتألف من الكبيرة منها دول متعددة ، وتنمى وتنسج دول أخرى - سنة
انه في تغذي الاحياء بفرائسها ، من افراد اللجنة (الميكروبات) والهوام ، الى
جاعات البشر . ارقى انواع الحيوان .

ومن عجائب المبر ، في تفاوت هم البشر ، ان ترى كائنا صغيرا في خدمة غني
كبير يطعم ان يرث ثروته او ينشئ لنفسه مثلها ، وذلك الغني يأس من حفظ ثروته
واستبقائها . وان تعجب من تكون ممالك البافار واليونان والسررب والحبلى الاسود والالبان
من املاك الدولة النمانية في أوربة ، وتغذي الدول الكبرى بأملأها في افريقية
وقح افواهين لا يتلاع املا كما في آسية . فاعجب من ذلك كله تصدي جمعية من

يهود أوربة لتكون دولة جديدة في البلاد المقدسة من هذه المملكة تتألف من مهاجرة فقراء اليهود المذيقين في جميع اطراف الارض بمساعدة هذه الجمعية ؟ فكيف تسوّهة جمعية أسسها رجل من اليهود الى تكون دولة من اوزاع المهاجرين الفقراء في بلاد تتنازع على شبر الارض فيها اقوى الامم والدول ، وتسفل همة اصحاب هذه البلاد عن حفظها لاقتسمهم ، دع سمو الهمة الى تأسيس ملك جديد ، في قطر قريب او بعيد . وهكذا نموت الناس ونحيا ، وهكذا تردى وترقى ، واسباب ذلك ظاهرة لا محل هنا لشرحها ، وكلها تدور حول العلم او الجهل ، وعلو الهمة او طوؤها ، وكبر انقاصه وصغرها . « والعلم ما يعرفك من انت من مملك »

علم الصهيونيين ان الدول الكبرى لا يسجن لواحدة منهم بامتلاك مهيمن الوحي ومصدر الدين الموسوي والميسوي وانه اذا زال ملك الترك من بلاد فلسطين فلا بد ان تكون مستقلة تحت حماية جميع الدول (وهذا رأي بعضهم في الحجاز ايضا) فطمعوا في ارضاء الدول بأن تحمل اشكال التنازع بين الدول والمذاهب المسيحية بأن يكون اليهود هم اصحاب انك في هذه المملكة ، بل طمعوا ايضا في ارضاء جمعية الاتحاد والترقي بذلك ، بل بالرائية اقتسوها به فهي تساعد على التمهيد له لتقطع الطريق على العرب وتكثر خصومهم في بلادهم ، ولا محل هنا للبحث في اثبات هذا القول او نفيه ، وانما جئنا بهذه المقدمة كلها لاجل تذكير الذين اكثروا القول في المسألة الصهيونية من كتاب العرب بأنهم ما فتئوا يدورون حولها ولما يدخلوا فيها .

يجب على زعماء العرب اهل البلاد احد امرين . اما عقد اتفاق مع زعماء الصهيونيين على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد ان امكن - وهو ممكن قريب اذا دخلوا عليه من باب ، وظلموه بأسبابه - ولما جمع قواهم كلها لمقاومة الصهيونيين بكل طرق المقاومة ، وأولها تأليف الجمعيات والشركات ، وآخرها تأليف المصائب المسلحة التي تقاومهم بالقوة - وهو ما نتحدث به بعضهم على ان يكون اول ما يعمل ، وانما هو السكي - والسكي آخر الملاج كما يقال .

﴿ السيدة نُمَى آل رضا ﴾

في النصف الثاني من ليلة الاحد سادسة ليالي شهر ربيع الاثور وهبنا الله تعالى بنأسميناها نُمَى ، والله نسأل ان يحقق معنى الاسم في المسمى ، وقد قاتنا ان نذكر ذلك في الجزء الماضي .

بشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب
بشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « متارا » كمنار الطريق

٣٠ جمادى الأولى ١٣٣٢ هـ ٨ ربيع الثاني ١٢٩٢ هـ ٢٥ أبريل ١٩١٤

فَتَاوَى الْمُنَارِ

افتتحنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده ومهله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرزق إلى اسمه بالحروف إن شاء، وأننا نذكر الأسئلة بالتدريج غالباً وربما قد مناه تأخر السبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه ورأى الجينا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم نذكره كان لنا عذر صحيح لأخفاه

(حديث صحيفة علي كرم الله وجهه)

(م ١٢) من صاحب الامضاء بمصر

سيدي الاستاذ الفاضل والعلامة الكبير صاحب المنار الأغر
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فأرجوكم شرح حديث علي الذي
نقلتموه في (ص ٤٨٣ م ١٦) من المنار وقوله فيه (وما في هذه الصحيفة - العقل وفكاك
الأسير ولا يقتل مسلم بكافر) فما الذي تعرفه عن هذه الصحيفة؟ وأين هي ولماذا
أهلها المسلمون؟ وهل ما فيها متفق عليه في جميع المذاهب؟ وإن لم يكن متفقاً عليه
فلم ذلك؟ ولماذا أمر صلى الله عليه وسلم بكتابتها مع أنه نهى عن كتابة شيء عنه
غير القرآن؟ ومق أم بكتابتها ومن كتبها وأين؟ وكيف لا يقتل المسلم بالكافر؟
فالرجاء الإجابة الشافية عن كل هذه الأسئلة كما دتكم حتى لا نحتاج لمزيد بيان بعد ذلك
(الخلص محمد توفيق صدقي)

(ج) الحديث رواه الجماعة أحمد والشيخان وأصحاب السنن بألفاظ متقاربة. أما البخاري
فقد روى الحديث عن أبي جحيفة في كتاب العلم بلفظ قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟
قال: لا إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة. قلت:
وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر. ورواية
الكشميري «وان لا يقتل» الخ

وفي باب فكاك الأسير من كتاب الجهاد بلفظ: قلت لعلي هل عندكم شيء من
الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا والذي قلن الحجة، وبرأ النسمة، ما أعلمه،
إلا فهما يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في هذه
الصحيفة؟ قال العقل وفكاك الأسير وان لا يقتل مسلم بكافر.

وفي باب الديات بلفظ: سألت علياً رضي الله عنه: هل عندكم شيء مما ليس في

القرآن ؟ - وقال ابن عينة مرة : مما ليس عند الناس ... فقال : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، ما عندنا الا ما في القرآن ، الا فهما يعطى رجل في كتابه وما في هذه الصحيفة . قلت وما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل وفكك الاسير الخ

ورواه في باب حرم المدينة من كتاب الحج عن ابراهيم التيمي عن ابيه بلفظ : عن علي (رض) قال : ما عندنا شيء الا كتاب الله ، وهذه الصحيفة عن النبي (ص) « المدينة حرم ما بين عائر الى كذا من احدث فيها حدثا ، أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل » (وقال) ذمة المسلمين واحدة ، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل ، ومن تولى بغير اذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل »

وفي باب ذمة المسلمين من كتاب الجزية بلفظ « خطبنا علي فقال : ما عندنا كتاب نقرأه الا كتاب الله وما في هذه الصحيفة . قالوا وما في هذه الصحيفة ؟ فقال فيها الجراحات واسنان الابل ، والمدينة حرام ما بين عير الى كذا ، فمن احدث فيها حدثا أو آوى فيها محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل . ومتى تولى غير مواليه فعليه مثل ذلك . وذمة المسلمين واحدة ، فمن أخفر مسلما فعليه مثل ذلك .

وفي باب إثم من عاهد ثم غدر بلفظ : عن علي قال : ما كتبنا عن النبي (ص) الا القرآن وما في هذه الصحيفة . قال النبي (ص) « المدينة حرام ما بين عائر الى كذا ، فمن احدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه عدل ولا صرف . وذمة المسلمين واحدة يسمى بها ادناهم ، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل ، ومن والى قوما بغير اذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل »

وفي باب إثم من تبرأ من مواليه بلفظ : ما عندنا كتاب نقرأه الا كتاب الله غير هذه الصحيفة (قال) فأخبروها فاذا فيها اشياء من الجراحات واسنان الابل (قال) وفيها المدينة حرام الخ (وذكر مسألة الولاء فمسألة الذمة بمثل ما تقدم)

وفي باب كراهة التعصبي والتنازع والعلو في الدين من كتاب الاعتصام بلفظ : خطبنا علي على منبر من آجر فقال « والله ما عندنا كتاب يقرأ الا كتاب الله

وما في هذه الصحيفة ، فنشرها فاذا فيها اسنان الابل ، واذا فيها المدينة حرم من من غير الى كذا ، فن حدث فيها حدثا فعليه لعنة الله . . . واذا فيه : ذمة المسلمين واحدة يسمى بها ادناهم فن اخبر مسلما فعليه واذا فيها : من والى قوما بغير اذن مواليه فعليه (الا انه قال) : لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .

وروايات مسلم واصحاب السنن بمعنى روايات البخاري ، وصرح مسلم بحديثي المدينة وهما غير وثور (جيلان) قال الحافظ في فتح الباري في الكلام على حديث علي من طريق ابراهيم التيمي عن ابيه :

« وسبب قول علي هذا يظهر بما اخرج احمد من طريق قتادة عن ابي حسان الاعرج أن عليا كان يأمر بالامر فيقال له « فعلناه » فيقول : صدق الله ورسوله . فقال له الاشر : إن هذا الذي تقول اهو شيء عهدك اليك رسول الله (ص) ؟ فقال ما عهد الي شيئا خاصة دون الناس الا شيئا سمعته منه فهو في صحيفة في قراب سيفي . فلم يزالوا به حتى اخرج الصحيفة فاذا فيها - فذكر الحديث - وزاد فيه « المؤمنون تكافأ دماؤهم ، ويسمى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم . ألا لا يقتل مؤمن بكافر ، ولا ذو عهد في عهده (وقال فيه) ان ابراهيم حرم مكة واتي أحرم المدينة ما بين حرتيها وحماها كله ، لا يخنل خلاها ولا ينفر صيدها ، ولا تلتقط لقطتها ، ولا يقطع منها شجرة ، الا ان يعاف رجل بعيره ، ولا يحمل فيها السلاح لقتال » والباقي نحوه . وذكر في موضع آخر ان سبب سؤال علي زعم بعضهم ان النبي خصه بشيء دون الناس .

وقال في الكلام على حديثه في باب لائم من تبرأ من غير مواليه : وكان فيها ايضا ما مضى في الحسن من حديث محمد بن الحنفية ان ابا علي بن ابي طالب ارسله الى عثمان بصحيفة فيها فرائض الصدقة ، فان رواية طارق بن شهاب عن علي في نحو حديث الباب عند احمد انه كان في صحيفته فرائض الصدقة .

وقال الحافظ : ان الصحيفة كانت مشتملة على كل ما ورد . أي فكان يذكر كل راو منها شيئا ، إما لاقتضاء الحال ذكره دون غيره ، وإما لان بعضهم لم يحفظ كل ما فيها او لم يسمعه . ولا شك انهم نقلوا ما نقلوه بالعلم دون التزام اللفظ كله ، ولذلك وقع الخلاف في الفاظهم . ولم يقل الرواة أنه قرأها عليهم برمتها فحفظوها او كتبوها عنه ، بل تدل الفاظهم على أنه كان يذكر ما فيها او بعضه من حفظه ، ومن قرأها لهم كلها أو

بعضها لم يكتبوها بل حدثوا بما حفظوا ومنه ما هو من لفظ الرسول (ص) ومنه ما هو اجمال للمعنى كقوله «العقل وفكك الاسير» فان المراد بالعقل دية القتل وسيت عقلا لأن الاصل فيها ان تكون إبلا تعقل اي تربط باله عقل في فناء دار المقتول أو عصبته المستحقين لها . وقوله «اسنان الابل» في بعض الروايات معناه ما يشترط في اسنان ابل الدية أو الصدقة . وفكك الاسير ما يفك به من الاسر من فداء أو مال . ففي الصحيفة بيان ذلك ، لا لفظ «العقل» وفكك الاسير ، واسنان الابل . . وجملة القول اتنا لا نعلم ان احدا كتب عن أمير المؤمنين ما كان في تلك الصحيفة بنصه ، ولا انه هو كتبها بأمر النبي (ص) لانه قال في رواية قتادة عن أبي حسان انه سمع شيئا فكتبه

واما كتابة الصحيفة مع ما ورد من النهي عن كتابة شيء عن النبي (ص) غير القرآن، فيقال فيه ان النهي عن الكتابة معارض بالامر بها كحديث «اكتبوا لابن شاه» وغيره ، والكتابة لاهل اليمن ، وكتاب الصدقات الذي كتبه ابو بكر (رض) الى انس لما وجهه الى البحرين أي عاملا على الصدقة . فانه قال فيه «ان هذه فريضة - وفي رواية فرائض - الصدقة التي فرض رسول الله (ص) على المسلمين والتي أمر الله بها رسوله» الخ رواه الشافعي واحمد والبخاري وابو داود والنسائي وغيرهم . وروى ابو داود والترمذي وابن ماجه عن الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب (رض) قال : كتب رسول الله (ص) كتاب الصدقة فلم يخرج به الى عماله حتى قبض فقرنه بسيفه . فعمل به ابو بكر حتى قبض ثم عمل به عمر حتى قبض» الخ هذا لفظ ابي داود ثم بينه بنحو حديث انس مختصرا ولم يذكر الزهري البقر . وفي رواية عن يونس بن يزيد عن الزهري قال هذه نسخة كتاب رسول الله (ص) الذي كتبه في الصدقة وهو عند آل عمر بن الخطاب . قال ابن شهاب أقرأنيها سالم بن عبد الله ابن عمر فوعيتها على وجهها» ثم ذكر ان عمر بن عبد العزيز انتسخها . وقد تفرد بوصل هذا الحديث سفيان بن حسين وهو من رجال مسلم الا انه ضعيف فيما يرويه عن الزهري خاصة ، وتابعه سليمان بن كثير من رجال الصحيحين . وفي رواية ابي داود لحديث انس ان الكتاب كان عليه ختم رسول الله (ص) وغير ذلك مما ورد في الكتابة .

فمن الناس من يجعل الاذن ناسخا ومنهم من يجعل احد النصين مطلقا والآخر مقيدا كتقييد كون الكتابة عنه لتبليغ نصها والتعبد بلفظها عنه كالقرآن ، لتلا يشبهه

بعض الناس، فيمتنع التنافي بينهما حينئذ . وقد سبق للمنار البحث في ذلك كما يعلم السائل
واما الاخذ بالاحكام المروية عن تلك الصحيفة : هل هو متفق عليه أم لا ؟
فجوابه أن العلماء لم يتفقوا على العمل بها ، فمنهم من لم يحرم المدينة كسكة ، ومنهم
من يقول : يقتل المؤمن بالكافر . كالحنفية . ومن خالف من العلماء شيئا مما في الصحيفة
فله من الدليل المعارض له ما يراه مرجحا عليه ، كاحتجاجهم باقرار النبي (ص)
لمن صاد النفر (طائر احمر المنقار كالصفور) على جواز صيد المدينة ، على ان
تلك واقعة حال مجهول تأويلها ، واحتجاجهم على قتل المؤمن بالكافر بان النبي
(ص) قتل مسلما بعهده وقال « انا اكرم من وفي بذمتي » رواه البيهقي من
حديث عبد الرحمن اليلامي مرسلا وهو ضعيف . وبقوله في بعض روايات حديث
الصحيفة وفي احاديث أخرى « لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده » قالوا
معناه المناسب لمطافه على منع قتل المؤمن بالكافر - : ولا يقتل معاهد حال كونه في
عهده لم ينقضه بكافر . وحينئذ يكون المراد بالكافر الحربي ، اي من كان محاربا
للمسلمين بالفعل او بالقوة بان لم يكن بينه وبينهم عهد ولا ذمة . لان المعاهد والذي لا
يقتل بالحربي اجماعا ، وبمهوم أدلة القصاص ، وليس هذا محل تحرير هذا البحث ، وانك
تجد تحرير الأدلة فيه من غير تعصب في (فتح الباري) و (نيل الاوطار)
فمن صح عنده قتل المسلم بالكافر فله ان يعده من عجائب مبالغة الاسلام في العدل
والمساواة ، ومن صح عنده خلافه فلا يراه بدعا في اعمال الامم الفاتحة ، والزمن
ومن الاحكام العرفية او العسكرية ، بل ترى الافرنج لا يقبلون ان يكونوا مساوين
لائم الشرق والجنوب في الدماء لا في البلاد التي يفتحونها فتحا حريا ولا سلميا
ولا في البلاد التي يكونون فيها نزلاء معاهدين كاضيوف . اما احكامهم العرفية
فحسبك نموذجا منها ماجرى في (دنشواي) من هذه البلاد من عزيق جلود بعض
المصريين بالضرب المبرح بالسياط ذات العقد ، ثم شنعهم وصابهم على أعين الناس من
رجال ونساء وأطفال من أهلهم وغير أهلهم ، لانهم تجرؤا على بعض عسكر الانكليز
الذين صادوا حمامهم عن يادهم بالمقاومة والضرب المعتاد الذي لا يقصد به القتل ،
ولا يقتل مثله . هذا وقد اشتهر الانكليز بانهم أعدا الاوربيين وأقربهم الى الرحمة .
وحجة الافرنج في تمييز انفسهم على الشرقيين انهم ارقى منهم عدلا وفضيلة ، وهكذا
كان المسلمون فوق جميع الامم عدلا وفضيلة بشهادة جميع مؤرخي الامم . وانما
ذكرت السائل بمسألة الاحكام العرفية وبهذا الشاهد منها ، وبما يماثلها به الافرنج

في بلادنا ، ايجاج به من يجادل في أمثال هذه المسائل من المخالفين أو متفرنجة المسلمين ، محجوبين بنظريات الحقوق عن سيرة العالم العملي . ومن لم يسدل على نظره هذا الحجاب يقول كما قال غوستاف لوبون الحكيم الفرنسي « ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب » وكذا سائر المسلمين كانوا في فتوحاتهم أعدل وأرحم من غيرهم وإن كانوا دون العرب .

دليل منع الحائض من الصلاة وحكمته

(س ١٣) من صاحب الامضاء في (هيبا - شرقية)

سيدي الاستاذ الرشيد المرشد

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد قرأت مباحثكم الرائقة الحكيمة في موضوع الوضوء والطهارة في المنار فاعجبتني جدا ، واستفدت منها الشيء الكثير ، فجزاكم الله عني وعن الاسلام والمسلمين خير الجزاء . واني لمناسبة هذا المقام لسؤال عندي قديم ، أنهر هذه الفرصة لا بديه ، عسى ان تتكرموا بالجواب على طريقتكم العصرية فأقول :

هل سقوط فريضة الصلاة عن المرأة وهي حائض أو في نفاس من الاشياء المجمع عليها بين جميع فرق المسلمين ، واذا كانت كذلك أو كانت صحيحة فلم لم تذكر في القرآن مع أنه تعالى نهى عن الجماع في الحيض فكان من باب أولى أن ينهى عن الصلاة في مثل هذه الحالة لو كان اراد سبحانه وتعالى ان يكون النهي لكل زمان ومكان ، كما ذكر مسوغات عدم الحج بقوله (والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) ومسوغات عدم الصيام او بالأحرى ما يمنع الصيام بقوله تعالى (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من ايام أخر)

لم تذكر موانع للصلاة مطلقا وإنما ذكرت أعمال يؤتى بها قبل الشروع فيها ، فلا الخوف من الاعداء أو غيرهم في الحرب أو غيرها مسوغات ترك أو تأجيل الصلاة ، فكيف يكون دم الحيض وهو ذلك الدم الذي يتغذى منه الجنين في بطن امه مانعا من الصلاة ؟ فإن صح ان يقال انه نجس ، يصح ان يقال ان جسم الطفل بل جسم كل انسان نجس ، لأن اصله من ذلك الدم

العلم الحديث لم يثبت ان في دم الحيض عناصر خبيثة في ذاتها بل اثبت ان الاتيان اثناء وجوده ضار جدا بالمرأة ، لأن أعضائها التناسلية تكون في حالة احتقان ، والاووعية الدموية فيها تكون متمددة ، فيسهل حصول نزيف بسبب

حركة عنيفة، كما يسهل جدا دخول مكروبات الامراض، فتحدث التهابات موضعية وغيرها قد تذهب بحياة المرأة أو تورثها العقم الدائم مع الآلام الشديدة، ولا سيما عند مجيء الحيض في كل شهر. والرجل لا يخلو أيضا من الضرر، فقد يدخل بعض السائل من الحيض في مجرى البول من القضيبي فيحدث التهابا يشبه السيلان وهذا كله ينطبق على قوله عز وجل (ويسألونك عن الحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في الحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن، فإذا طهرن فاتوهن من حيث أمركم الله، ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)

فإن هذا من نهي الحائض عن الصلاة وهي عماد الدين؟ ومثلها في طهارة الارواح كمثل الماء في طهارة الاجسام، على ان حركاتها من قيام وركوع وسجود لا تضر الحائض غالبا، وان خيف منها الضرر فيمكن أن تؤتى بشكل خال من كل مضرة. وليكن أخذ ذلك من قوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين). فان خفتم فرجالا أو ركبانا. فإذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون)

الحيض لا يمكن اعتباره الا مرضا شهريا من اخف الامراض فلم تؤمر المرأة بالصلاة في أشد الامراض وأكثرها اذى لها ولغيرها وتنتهي عنها في الحيض الذي لا ينهي عن القيام بأكثر أعمالها اليومية؟ فأرايكم دام فضلكم

المستفيد من علمكم والمستضيء بمناركم

الدكتور عبده ابراهيم

(ج) نقل الحفاظ إجماع المسلمين على ان الحائض لا يشرع لها الصلاة ولا الصيام، وانها تنقضي الصيام دون الصلاة. الا انهم نقلوا ان سمرة بن جندب من الصحابة (رض) كان يقول بمطالبة المرأة بقضاء الصلاة أيضا فأنكرت ذلك عليه ام المؤمنين ام سلمة (رض) ونقلوا أيضا مثل ذلك عن بعض الخوارج ولم يعتدوا به ولا رأوه مخلا بالاجماع. وأما مخالفة سمرة فهي تحرق الاجماع، وظاهر كلامهم انه رجع الى قول ام سلمة لأن امهات المؤمنين هن القدوة فيما يروينه من هذه الاحكام المتعلقة بالنساء، اذ لا يجوز ان يوجب الله على النساء قضاء الصلاة ولا يأمرهن به النبي (ص) بل لا يجوز منه السكوت عن ذلك أو إقرارهن عليه. وقد جعل العلماء حجة الاجماع على ذلك ما ورد فيه من الحديث

ويمكن ان يستنبط الدليل من القرآن على منع الحائض من الصلاة، فانه تعالى قد اشترط الطهارة للصلاة، والطهارة متعذرة على الحائض مع استمرار سببها وهو نزول الدم. أما الطهارة المشترطة للصلاة إجماعا فهي الوضوء من الحدث الأصفر والغسل من الحدث الأكبر، وأما المشترطة عند الأكثرين فقط فطهارة البدن

والثوب والمكان . وقد صرح القرآن في آيتي الوضوء والتيمم بأن طهارة الجنب الغسل، والحائض ملحقة بالجنب لأن حدثها كحدثه في تأثيره في الروح والجسد، كلاهما يحدث في الجسد ضرباً من الضعف والفتور يزيله تعميم البدن بالماء كما يناله في حكمة الوضوء والغسل، وكلاهما يضعف الروحانية . وقد ثبت في السنة والاجماع القولي والعمل المتواترين أن المراد بقوله تعالى في بيان طهارة الحيض (فاذا تطهرن) فاذا اغتسلن، فطهارتهن الغسل بالكتاب والسنة والاجماع، وهي متعذرة مع وجود سببها وإنما تجب بزواله، فاذا تعذرت الطهارة تعذرت الصلاة شرعاً لأنها مشروطة بها . وتتعدر عليها الطهارة من الخبث كما تتعدر عليها الطهارة من الحدث، فإن الدم نجس شرعاً وعرفاً لأنه مستقذر جداً باتفاق الطبائع السليمة من كل الأمم . ولا يلزم من نجاسته نجاسة الجنين الذي يتغذى به، كما لا يلزم أن يكون النبات الذي يتغذى بالعدرة والروث وغيرهما من الاقذار نجساً، فالنجاسة في الشرع والعرف لا تبني على قواعد الطب، فإن جميع ادباء البشر بل جميع طبقاتهم تستقذر المطلق بالدم وتعاف بمجالسته ومواكاته ومصاحبته، وإن لم يضرهم ذلك الدم بفساد تحتهم عليهم، وخروج المني يوجب الغسل وهو طاهر عند بعض الأئمة . وصرح الفقهاء بأن الدم وغيره لا يحكم بنجاسته في معدنه من البدن بل بعد خروجه . ومتى خرج دم الحيض صار قدراً ولم يعد غذاءً للجنة .

وقد علم مما تقدم أن ما ثبت في السنة العملية والاجماع من سقوط الصلاة عن الحائض له مأخذ ما من القرآن، والقرآن لم يبين احكام الصلاة التفصيلية بل تركه لبيان النبي (ص) الذي خاطبه بقوله (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) اذ يشمل هذا بيان الذكر المنزل وتبليغه، وبيان الجمل منه، وما يستنبط من دقائق تعبيره وأساليبه - كاستنباط النبي (ص) تحريم الأكل والشرب في أواني الذهب والفضة من قوله تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) يجعل الاسراف في لزوم الشيء ومتعلقاته كالاسراف فيه نفسه، واستنباطه تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها من تحريم الله الجمع بين الاختين، لاتحاد العلة، واطراد الحكمة .

ولم نذكر في سياق هذا الاستدلال ما عليه السواد الاعظم من المسلمين من تحريم قراءة القرآن على الجنب والحائض، والقرآن ركن من أركان الصلاة لا تقام بدونه، لانه وقع فيه خلاف ما . ولهذا مأخذ من القرآن وإن لم يكن نصاً فيه، وهو قوله تعالى (لا يمسه إلا المطهرون)

وجملة القول أن الصلاة أكل العبادات إذا لم تصح مع الجنابة فلا تصح مع الحيض بالأولى، وكلا السائلين فيهما من اسباب النسل . والحيض مرض قد تضر

معه الصلاة كما قلتم ، والفرق بينه وبين سائر الامراض التي تسقط معها الصلاة انه طبيعي دائم وسائر الامراض ليست كذلك ، وهي خلاف الاصل ومقتضي الطبيعة الممتدلة ، واذا اسقطها الشرع عن المرأة تخفيفا عليها ، فان لها من العبادة المزية للروح ما لا يشترط فيه ما يشترط فيها وهو ذكر الله عز وجل بالقلم واللسان والتفكير في خلق السموات والأرض (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر)

حقيقة الاعجاز^{*}

اما الذي عندنا في وجه إعجاز القرآن ، وما حققناه بعد البحث ، واتبيننا اليه بالتأمل وتصفح الآراء وإطالة الفكر وانضاج الروية ، وما استخرجناه من القرآن نفسه في نظمه ووجه تركيبه واطراد أسلوبه . ثم ما تعاطيناه لذلك من التنظير والمقارنة واكتناه الروح التاريخية في اوضاع الإنسان وآثاره ، وما نتج لنا من تتبع كلام البلغاء في الأغراض التي يقصد اليها ، والجهات التي يعمل عليها ، وفي رد وجوه البلاغة الى اسرار الوضع اللغوي التي مرجعها الى الإبانة عن حياة المعنى بتركيب حي من الألفاظ يطابق سنن الحياة في دقة التأليف وإحكام الوضع وجمال التصوير وشدة الملاءمة ، حتى يكون اصغر شيء فيه كأكبر شيء فيه - نقول : ان الذي ظهر لنا بعد كل ذلك واستقر معنا أن هذا القرآن معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه ، فهو امر لا تبلغ منه الفطرة الانسانية مبلغاً ، وليس الى ذلك مأى ولا جهة ، وانما هو أثر كغيره من الآثار الإلهية يشاركها في إعجاز الصنعة وهيئة الوضع . وينفرد عنها بأن له مادة من الألفاظ كأنها مفرغة إفراغاً من ذوب تلك المواد كلها . وما نطنه الا الصورة الروحية للإنسان . اذا كان الإنسان في تركيبه هو الصورة الروحية للعالم كله ،

فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب ، ومعجز في أثره الانساني ، ومعجز في حقائقه . وهذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الانسانية في شيء ، فهي باقية ما بقيت .

(* فصل من الجزء الثاني من كتاب آداب لغة العرب لمصطفى صادق افندي الرافعي

وقد اشرنا اليها في بعض الفصول المتقدمة، على انها ليست من غرضنا في هذا الباب. وانما مذهبنا بيان إعجازه في نفسه من حيث هو كلام عربي. لانا انما نكتب في تاريخ الآداب. ونحن في كل ما نضعه من هذا الكتاب إنما نسلك الجانب الضيق من الطريق. ونقتص الأثر الطامس، ونلتزم الخطة التي تحمل عليها النفس حملاً. وقد كان فيما قدمناه بل فيما دونه مقنع لو آثرنا ما تستوسطه النفس. وعطفنا على ما تنازع اليه من السكون، كما انتهت الى حجة واضحة او استبانة لألحجة مسفرة، ولكننا نمضي ما اعتزمنا فاللهم عونك واللهم عونك.

هذا ولا بد لنا قبل الترسل في بيان ذلك الإعجاز ان نوطي ببند من الكلام في الحالة اللغوية التي كان عليها العرب عند ما نزل القرآن فسنقلب من كتاب الدهر ثلاث عشرة صفحة تحتوي ثلاثة عشر قرناً لتصل بذلك العهد، حتى نخبر عنه كأننا من اهله وكأنه رأي العين. وانما سبيل الصحة فيما نحن فيه أن يشهد عليه الشاهد ان العين والأذن إذ كان من شأنهما ان لا تثبت دعوى في حادثة دون ان يشهد عليها احدهما او كلاهما.

بلغ العرب في عهد القرآن مبلغاً من الفصاحة لم يعرف في تاريخهم من قبل، فان كل ما وراءه انما كان ادواراً من نشوء اللغة وتهذيبها وتنقيحها واطرادها على سنن الاجتماع، فكانوا قد اطلوا الشعر وافتتوا فيه وتوافى عليه من شعرائهم افراد معدودون، كان كل واحد منهم كأنه عصر من تاريخه، بما زاد في محاسنه وابتدع من اغراضه ومعانيه، وما نفص عليه من الصبغ والرونق، ثم كان لهم من تهذيب اللغة واجتماعهم على نمط من القرشية يروونه مثلاً لكمال الفطرة الممكن ان يكون، واخذهم في هذا السمت ما جعل (الكلمة) نافذة في اكثرهم، لا يصدها اختلاف من اللسان، ولا يعترضها تناكر في اللفظة، فقامت فيهم بذلك دولة الكلام، ولكنها بقيت بلا ملك حتى جاءهم القرآن.

وكل من يبحث في تاريخ العرب وآدابهم وينفذ الى ذلك من حيث تنفذ به الفطنة وتتأني حكمة الاشياء، فانه يرى كل ما سبق على القرآن من امر الكلام العربي وتاريخه انما كان توطيداً له، وتهيئة لظهوره، وتناهيًا اليه، ودربة لاصلاحهم به،

وليس في الارض امة كانت تربيتها لغوية غير اهل هذه الجزيرة ، فما كان فيهم كالبيان آتق منظراً وأبداع مظهراً ، وأمدت سبباً الى النفس ، وارتدت عليها بالعاقبة ، ولا كان لهم كذلك البيان اذكى في ارضهم فرعا ، واقوم في سمائهم شرعا ، واوفر في انفسهم ريعا ، واكثر في سوقهم شراءاً وبيعاً . وهذا موضع عجيب للتأمل ما ينفذ عجبه على طرح النظر وإبعاده ، وإطالة الفكر وترداده ، واي شيء في تاريخ الأمم اعجب من نشأة لغوية ، تنتهي بمعجزة لغوية ، ثم يكون الدين والعلم والسياسة وسائر مقومات الأمة مما تنطوي عليه هذه المعجزة ، وتأثي به على اكمل وجوهه واحسنها ، وتخرج به للدهر خیر امة كان عملها في الأمم صورة اخرى من تلك المعجزة ؟ هذا على انه - كما علمت - انشأهم على الكبر ، ولم يجر معهم على المألوف من مذاهب تربية الأمم ، ولا هو كان طباقاً لروح الأخلاق التاريخية فيهم التي تظهرها العادات على كل دين وشريعة وسياسة ، إذ كانت ميراث الدهر ، وكانت مستقرة في كل عريق سار ، وفي كل شبه نازع . وكانت روح المجموع لا تكون الا منها ، ولا تعرف الا بها ، ولا تظهر الا فيها . فما عدا ان سفه احلامهم ، ونكس اصنامهم ، وازرى عليهم وعلى آباتهم الأولين وقام على رؤسهم بالتقريع والتأنيب ، وهم اهل الحمية والحفاظ ، واهل النفوس التي تصب كالمعاني في الالفاظ ، ثم ذهب بطريقة كانت لهم معروفة ، وعادات كانت لهم مألوفة ، وارسلهم في طريق العمر الى الفناء ، فكأنما طلع بهم من اولها ، وكأنهم بعد ذلك على آدابه نشأوا وهم اغفال واحداث ، بل كأنهم سلالة اجيال كانت القرآن في اوليتهم المتقادة فكانوا هم الوارثين لا الموروثين ، والناشئين لا المنشئين ، مصداقاً للحديث الشريف « خير القرون قرني ثم الذي يليه » . ولعمرك ان هذا لعجيب . وليس اعجب منه إلا ان اول جيل انسل من هؤلاء القوم كان هو الذي تناول مفتاح العالم فأداره . وقد خرج للغاية التي جاء بها القرآن ، وكأنه دارمها في الاصلاب دهرا طويلا ، حتى احكمته الوراثة الزمنية ، وردت عليه من الطباع ما لا يتبأ الا في سلالة بعد سلالة وجيل بعد جيل ، من قوم قد مروا منذ اولهم في ادوار الارتقاء . على سنن واضح وطريق نهج ، لم ينتقض لهم في

اثناء ذلك طبع من طباع الاجتماع ، ولا رذات شيمة ، ولا التوت طريقة ، ولا سقطت مروءة ، ولا ضل عقل ، ولا غوت نفس . ولا عرض لهم بغي ولا افسدتهم عادة . وابن هذا كله او بعضه من قوم كانوا بالامس عاكفين على الاوثان يأكل بعضهم بعضاً ، ولهم العادات المردولة ، والعقائد السخيفة . والطباع المزوجة الى غيرها مما يحمل عليه الإفراط فيما زعموه فضيلة . كحمية الأنف واستقلال النفس . ومما كان من عكس ذلك كالتسليم للعادة والالتقياد لطبيعة التاريخ . والمضي على ما وجدوا ثم الموت على ما ولدوا ؟ لا جرم ان في ذلك سرا من اسرار الفطرة . فلو لا ان اكبر الأمر بينهم كان للنصاحه واساليبها بما استقام لهم من شأن الفطرة اللغوية وما بلغوا منها كما فصلناه في بابها ، حتى صارت هذه الأساليب كأنها اعصاب نفسية في اذهانهم . تنبعث فيها الإرادة بأخلاق من معاني الكلام الذي يجري فيها . وتعتزم على اخلاقهم وطباعهم فتصرفهم في كل وجه . كأنها إرادة جبار معتزم لا يلوي ولا يستأني ولا يتشد . ولو لا ان القرآن الكريم قد ملك سر هذه الفصاحة وجاءهم منها بما لا قبل لهم برده ، ولا حيلة لهم معه . مما يشبه على التمام اساليب الاستهواء في علم النفس . فاستبد بإرادتهم ، وغلب على طباعهم . وحال بينهم وبين ما نزعوا اليه من خلافه . حتى انعقدت قلوبهم عليه وهم يجهدون في تقضها . واستقاهوا لدعوته وهم يبالبون في رفضها . فكانوا يفرون منه في كل وجه ثم لا ينتهون الا اليه . لأنه اخذ عليهم بفصاحته وإحكام اساليبه جهات النفس العريية . والمكابرة في الأمور النفسية لا تتجاوز اطراف الألسنة . فإن اللسان وحده هو الذي يستطيع ان يتبرا من الشعور ، إذ هو أداة مغلبة تتعاورها الألفاظ . والألفاظ كما يرمى بها في حق او باطل ، لا تمتنع على من ارادها لأحدها او لها جميعاً .

قلنا لو لا ان ذلك على وجهه الذي عرفت لما صار امر القرآن الى اكثر مما ينتهي اليه امر كل كتاب في الأرض . بل لما كان له في اولئك العرب امر البتة . لأنهم قوم أميون قد تأثلت فيهم طباع هذه الأمية ، وكان لهم الشيء الكثير من العادات والأخبار والتواريخ ، وبينهم اهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ثم هم لم يعلموا الحكماء من خطبائهم وشعرائهم ، ومن جنح الى التأله منهم . كامية بن ابي

الصلت وقس ابن ساعدة وغيرهما .

وما جاءهم القرآن بشيء لا يفهمونه ولا يثبتون معناه على مقدار ما يفهمون ، ولا كان هذا القرآن كتاب سياسة ولا نظام دولة ، ولو كان اصراً من ذلك ما حفلوا به ولا استدعى هو منهم الإجابة ، لأن لم منزعاً في الحرية لم تغلبهم عليه دولة من دول الأرض . ولا أفلح في ذلك من حاوله من ملوك هذه الدول في الأكسرة والقيصرية والتبابعة . بل خلقوا عرباً يشرقون وينربون مع الشمس حيث أرادوا وحيث ارتادوا ، وهم على ذلك لم يجمعهم ولم يخرجهم الى الدنيا ولم يقلبهم على تصارييف الأهور غير القرآن .

فلو ان هذا القرآن غير فصيح ، او كانت فصاحته غير معجزة في اساليبها التي ألفت اليهم ، لما نزل منهم على الدهر منالاً ، ونملاً منه موضعه الذي هو فيه ، ثم لكان سبيله يذمهم سبيل القصائد والخطب والأقاصيص ، وهو لم يخرج عن كونه في الجملة كأنه موجود فيها بأكثر معانيه ، قبل ان يوجد بألفاظه واساليبه ، ثم لنقضوه كلمة كلمة وآية آية . دون ان تتخاذل ارواحهم ، او تراجع طباعهم ، وان كان لهم وله شأن غير ما عرف . ولكن الله بالغ امره .

وقد اوهأنا في بعض ما سلف الى ان هذا القرآن يكبر ان يكون حياً بروح عصره الذي أنزل فيه . فلا يستطيع من يقول باعجازه ان يقصره على زمن الجاهلية ، او يتعلل في ذلك . وهو بعد من الأحكام والسدو وشرف الغاية وحسن المطابقة ، بحيث تعرف منه روح كل أمة قد فرغت الأمم واستولت على الأمد التاريخي ، ونالت ما لا ينال الا مع بدعة في العلم ، وزيادة في المعرفة بوجوه العمل ، وفضل من القوة ، ومع كمال المنزلة في كل ذلك واشباهه من مقومات الأمة ، فذلك ما علمت .

وان ههنا وجهاً آخر هو اعجب مما اوهأنا اليه ، على انه ضربه في الحكمة وقسيمه في الاعتبار . إذ هو متعلق بطبيعة الأرض كما ان ذلك متعلق بطبيعة اهلها ، فان من اثابت البين ان لميئة الطبيعة جية من التأثير في تهيئة الاخلاق ، فترى في الجهات المقفرة او المخوفة . او التي يلقي منظرها في نفسك اهبة دون المحبة والفرع دون الاطمان . اقواماً كأنما نشؤوا في المعابد وولدوا في الصوامع ، فليس في اخلاقهم

الا الاستسلام للوهم والتخيل ، والا الخوف من كل شيء تكون فيه روح الطبيعة ، كما
 زعم العرب من البيات مع الغيلان وتزوج السعالى ومجاوبة الهواتف ، والروغان هن
 الجن الى الجن . واصطياد الشق ومحاربة النسناس وصحبة الرئي ، وما كان لهم من خدع
 الكاهن وتأسيس العراف . ومن العياقة والتنجيم والزجر والطرق بالحصى^(١) وغيرها
 من خرافاتهم ، ثم الخوف من كل شيء تعرف فيه روح الطبيعة كالأوثان
 وسائر ما قدسته العادات والشعائر ، وان كانوا في غير ذلك اهل جلد ونجدة ومضاء
 وبدية وعارضة ، لان هذه الصفات وامثالها تكتسب من طبيعة الخيال حدة وشدة ،
 وانت واجد عكس ذلك فيمن تكون طبيعة ارضهم ساكنة مطمئنة لا تحتاج اهلها
 ولا ترميهم بالفرع ، فانهم لا يقرون على خوف وتوثب ، ولا يكون في اخلاقهم الجنوح
 الى عبادة ما يخيفهم ، او تقديس ما اتصلت به روح الطبيعة ، ثم لا يكونون الا اهل
 عمل بالحواس دون التخيل . قد غير احدهم دهره عاملا فليس يبالي الا بالحاضر
 الذي تتعلق به روح العمل ، دون الماضي الذي يجتمع عليه حرص أولئك لانه غيب
 الطبيعة التي يقدسونها . فكان من اخلاق العرب هو ما مشهور عنهم من التفاخر
 بالآباء والأجداد ، والذهاب مع الوهم في كل مذهب وعدم المبالاة بما يلحقهم
 بآبائهم ويجعلهم في عداد الماضين ، ليكون لهم فيمن يخلفهم من الشأن والتقديس
 والتعظيم بهم ما كان فيهم لمن تقدمهم ، فيتقون سوء القالة وخيب الأحدث ، وصائر
 ما يفسد عليهم هذا الشأن بكل ما وسعهم ، لا يألون في ذلك جهداً ولا يفضون فيه ،

(١) للعرب مذاهب كثيرة من مثل ، اوصفنا ولا محل لبسط القول فيها ، ولكننا
 تقتصر على تعريف ما أتينا به تعريفاً لفظياً ، فالغيلان إناث الجن والسعالى جمع سعالاة
 وهي سحرة الجن . ويقال ان الغيلان من السعالى . والهواتف جمع هاتف وهي الجن
 مهتف بهم وتندرهم . والجن نوع من الجن والشق جنس من أجناسهم والنسناس
 جنس من الخلق بعد فيهم . والرئي جني يكون لبعض الناس فيخبره بالغيب . والكاهن
 من يتنبأ بما سيقع . والعراف من يستدل بالاسباب والحوادث ويتنبأ من ذلك . والعياقة
 التمكن بالطير أو غيرها . والزجر أن يزجر الطير ليتسعد أو يتشأم اذا أراد ان يهزم بأمر .
 والطرق بالحصى وسيلة من وسائل التكمين . وفي كل ذلك شرح طويل واختلاف كثير .

ولا يتقدمون في سد غيره قبل إحكامه واستفراغ قوتهم له . الى غير هذا مما هو معروف متظاهر عنهم .

ثم كان هواهم كله في الشعر لانه عبادة ارواحهم لطبيعة ارضهم . وهو الصلة المحفوظة بينهم وبين ماضيهم فجاء القرآن يسفه تلك الطباع منهم . ويحول بينهم وبين ذلك الماض . ويصرفهم الى العمل . ويذهب عنهم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، ويأتيهم بالبصائر من ربهم . ويهديهم بالعقل الى اسرار الطبيعة . ليعلموا انها مسخرة لهم فلا يسخروا انفسهم لها ، وحرّم عليهم التقديس وما في حكمه . وبصرهم بما مسهم من طائف الشيطان وما نزغهم من امره خيالا او وهما او شعرا او عبادة ، وجعل افضل الفضائل في النبي الذي قام يدعوهم وهو النبي صلى الله عليه وسلم انه ابن يومه وابن عمله وابن عقابه فلا هو مفاخر ولا واهم ولا شاعر ، وتلك الخص فضاءاتهم الاصطلاحية . وخاطبه بهذه الآية الكريمة التي هي روح الثبات في امم العلم والعمل وهي قوله « وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم ، اتم بريثوث مما اعمل وانا بري مما تعملون » . فكيف يمكن ان يكون هذا القرآن مع ذلك كله مما يطابق ارض العرب في طبيعتها وهي ما علمت ، وكيف يتفق ان يكون كل ذلك من صنعة رجل قد نشأ فيهم واتصل بهم ، وذهبت عروقه بينهم واشجته ، وهو من صميمهم نسباً ووراثته ، يعرفونه ويحققون جملة امره ، ولم يخرج عنهم قط للعالم او الطالب ، ولا طرا عليهم من غير ارضهم ، ولا انكروا عليه امراً من لدن نشأته الى حد الكمولة والى ان دب الشيب في عذاريه ، وهم مستيقنون انه ما كان يتلو من قبله من كتب ولا يخطه ؟

وما عهدنا رجلا من عظماء التاريخ قد اهاب بأمة طبيعية كالعرب ذات بأس وصرامة وحمية وحفاظ ، وذات خيال وتصور . يدعوها ان تخلع نفسها مما هي فيه ، وان تضع اعناقها للحق الذي لم تألفه حقاً ، وان تعطيه مع ذلك محض ضمائرهما وتسوغه تاريخها وعاداتها ، وما هوا كبر من تاريخها وعاداتها . وهم لا يرونه في ذلك الامسحوط الرأي ، ذاهب الوهم ، بعيداً منهم ومن نفسه ومن الحقيقة جميعاً . ولا يرون من امره ذلك الا قلة وضرباً وهو انما واستخفافاً ، وان كانوا يعرفونه من قبل بحسن الخلق

وبصفاء الذمة وتخشع السمعة، ويعرفون أنه لا يريد ملكاً ولا يبني دولة، ولا يصنع لحديث من الأحداث السياسية، ولا يهتبل غرة ذاهلة، ولا يستعد لنهزة سائحة « وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون » .

ثم هو على هذا كله من أمره وأمرهم لا يتأتى إليهم بالقوة، ولا يداخلهم بالتفاق، ولا يتألفهم على باطلهم، ولا ينزل في العقيدة على حكمهم، ولا يدا من في خطابهم، ولا يرفق بهم فيما يتخيّلون وما يعبدون، ولا يحكم ذلك الأمر من ناحية الدهاء والمخاطلة، فيقرهم على طبائعهم وعاداتهم، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون، ويمد لهم في الغي مداء، من أمر ما أعجبهم، ومن شأن ما استخفهم، كما يصنع دهاة السياسة وقادة الأمم، وكما صنع داهية أوربا نابليون الذي انتحل الكثرة في حرب الفنديين، واسلم في مصر، وجهر بعصمة البابا في حرب إيطاليا، وقل مع ذلك: ولو كنت أحكم شعباً يهودياً لأعدت هيكل سليمان... ثم يكون مع هذا كله من فعله وفعلهم أن يثوب إليه الأمر، ويستوثق على ما أراد، وأن تعطيه تلك الأمة عن يمين وهي صاغرة للحق، وتبذل نصرها له بعد التخاذيل عنه، وتسكن إليه بمواطنها المستنفرة، وتعطف عليه بقلوبها الجامحة، وهو الراغب عن سذمهم، والمستهف لأحلامهم، والطاعن عليهم وعلى آبائهم، والمفارق لشرائعهم وعاداتهم، وهو الذي خرج من الأمة أولاً، ثم أخرج الأمة كلها من نفسه آخرًا، كما اتفق للنبي صلى الله عليه وسلم .

ما عهدنا ذلك، ولا عهدنا أن الأمم تخرج عن طبائعها النفسية وتستقيم لمن يلتوي لها مثل هذا الالتواء، وتدخل في أمره وتثبت على طاعته ومحبة، وهو اضمف ناصراً وأقل عداداً، إلا أن يغلبها على نفسها ويمتلك خيالها ويستبد بتصورها. وكيف له أن يغلب على النفس، بتفكيرها ويمتلك الخيال بالعنف عليه، ويستبد بالتصور وهو يسترذله؟ ومن أين له ذلك إلا أن يأتي الفطرة التي هي أساس هذه كلها فيملكها، ثم يصوغها ثم يصرفها؟ فإن الذي لا يدفع الطبع لا يدفع الرغبة، ومن لم يقد الأمة من رغائبها لم يقد في زمامه غير نفسه، وإن كان بعد ذلك من كان؟ وهذا الذي وصفناه أمر لو ذهبت تلمسه في تاريخ الأرض كلها ما رأيت

اسبابه الفطرية في غير أولئك العرب، ولا رأيت تحقيقه في العرب، إلا من ناحية القرآن وإعجازه بنظمه وآساليه، وافتنانه على هذه الوجوه المعجزة، التي اقل ما توصف به أنها السحر بل السحر بعضها (١)

(١) وذلك فيما نرى أنما هو وجه الحكمة في نشأة هذا الدين عربياً واختصاص العرب بالقرآن دون غيرهم من الأمم، وإفراد قريش بذلك دون غيرها من العرب. ومن يقرأ صدر التاريخ في الاسلام ويعتبر حوادثه ويتدبر آثار القرآن في قبائل العرب، يرى أن شدة الايمان كانت عند شدة الفصاحة، وأن خلوص الضمائر كان يتبع خلوص اللغة، وأن القائلين بهذا الدين والذين افاضوه وصرفوا اليه جمهور العرب وقتلوهم عليه وجمعوا ألفتهم وقوموا أودهم إنما كانوا اهل الفصاحة الخالصة، من قريش الى سرة البادية، وإن الفتن إنما استطارت في الجزيرة استطارة الحريق فيمن وراء هؤلاء الى اطراف اليمن، فكانوا قوماً مدخولين منقوصين، وما كان ضعف اعتقادهم الا في وزن الضعف من لغتهم. وقد اسلفنا في غير هذا الموضع أن غرابة الدين ما تزال تتبع غربة العربية. ولما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عمرو بن العاص بعمان فأقبل منها الى المدينة يخترق بلاد العرب فأطافت به قريش وسألوه فقال لهم إن العساكر معسكرة من دبا « سوق بعمان » الى حيث انتهيت اليكم. فتفرقوا حائفاً، ومر عمر بن الخطاب بجماعة فسألهم فيم اتم؟ فلم يجيبوه. فقال: اظن قائم ما اخوفنا على قريش من العرب. قالوا صدقت، قال: فلا تخافوا هذه المنزلة أنا والله منكم على العرب أخوف مني من العرب عليكم، والله لو تدخلون معاشر قريش جحراً لدخلته العرب في آثاركم. اهـ

وحسبك من اثر القرآن في العرب الفصل سبعا وصوغ فطرتهم وتصريفها ان احدهم كان اذا اتهم في بعض اخلاقه لم يشكر ذلك بأشد من قوله: بئس حامل القرآن أنا اذن! ولما أعطي سالم مولى أبي حذيفة راية المسلمين يوم قتال مسيلمة الكذاب وكان من اشد الايام واعظماً نكابة قال لأصحابه: ما اعلمني لأي شيء أعطيتهم ونبيها! قلتم صاحب قرآن وسيثبت كما ثبت صاحبها قبله حتى مات؟ قالوا اجل فانظر كيف تكون. قال بئس والله حامل القرآن أنا ان لم اثبت. فتأمل. وكان صاحب الراية قبله عبد الله بن حنظل. وفي هذه الموقعة صاح أبو حذيفة وقد اضطرب المسلمون: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال، ثم حمل على القوم فحازهم حتى اتفدهم ولو أن هذا المعنى من غرض كتابنا لبسطناه بسطاً، ولكن القول فيه يتسع بما نخرجنا الى تاريخ الاسلام وفلسفة آدابه ومعانيه الاجتماعية، وهي اغراض أنما نلم بها إماماً في هذا الكتاب كما عرفت.

وليت شعري ما هو امر المعجز في العقل ان لم يكن هذا من امره ؟ « ذلك بأن الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير » .

(المنار)

ان مسألة إعجاز القرآن قد صارت من المسائل المألوفة بالضرورة بعجز العرب والمستعربين عن الاتيان بمثله ، ووقوفهم حيارى منهري الانفاس خاشعي الأبصار ناكسي الرؤس في نور شمس . ولا عجزه وجوه كثيرة يعقل كل ذي علم وبصيرة منها مقدار ما يتوجه اليه ذهنه ، مما استعد لادراكه عقله ، ومن الناس من لا يدرك من ذلك شيئا ، كالأطفال والعوام الذين لا يدركون علل عجز ضعفاء البنائين الاميين بغير نظام ولا هندسة عن بناء هرم مثل هرم الجيزة في عظمتها ، وما روعي فيه من دقائق الهندسة ، والاشارات العمرانية ، والتقاليد الدينية ، والمقاصد الخفية . وانما يفهم وجوه هذا المعجز الرياضي والفلكي والعالم بتاريخ مصر وآثارها ، كل بقدر بحثه في فنه .

وقد كتب كثير من العلماء في بيان وجوه إعجاز القرآن ، وما أطالوا الا في شرح فصاحته و بلاغته ، وقد تعب مصنف هذا الكتاب (تاريخ آداب العرب) في تصفح ما كتبوا ، وتبع ما صنفوا ، ولم يعجزه مع ذلك ان يكون مصداق المثل السائر « كم ترك الأول للآخر » ، فجعل ٢٨٨ صفحة من الجزء الثاني من كتابه في إعجاز القرآن ، وباقيه الى ص ٣٦٤ في البلاغة النبوية . واذا كان قد انفرد ببيان نكت ودقائق لم تعرف لغيره ، فقد جلى بعض ما سبقه اليه من النكت والوجوه من قبله ، بعبارة مؤثرة بما ألبسها من حلال الخيال ، حتى تحلت في أربع مثال . وثم مباحث مفيدة في هذا الباب ، تراها في الفصول الكثيرة من الكتاب ، وسترى الاشارة اليها في تقريظه من جزء آخر من المنار

بعد هذا كله نقول انه قد بقي من وجوه الاعجاز ما لم يغص المؤلف بحره ، حتى يستخرج دره ، وقد أجهلنا في (عقيدة الاسلام) التي كتبناها لطلاب المدارس الوسطى من هذه الوجوه ما يمكن شرحه في سفر أو أسفار . والتحقيق ان اعجاز القرآن بمعانيه من الهداية والعلم اعظم من إعجازه بفصاحته و بلاغته أسلوبه ، وهي التي كانت سبب بقاء الدين في العرب والعجم ، بعد ان قل من يذوق طعم تلك البلاغة .

﴿ الرضا بقضاء الله تعالى وقدره ﴾

قد اضطربت في هذه المسألة الافهام ، وزات فيها أقلام وأقدام ، وأوردوا فيه آياتا يهودي حقيينة أو حكمية يقول فيها اذا : قضى الله ان يكون يهوديا وأمره ان يرضى قضاؤه فما حيلته في ذلك . وأوردوا له أجوبة لم يرها الكثيرون مقنعة . ولذلك طالب الثمري في بعض كتبه ممن ظن بجواب أحسن مما أوردده ان يلحقه بما ذكره منها . ولم نر لأحد من العلماء تحريراً لهذه المسألة كتحريروا ابن القيم لها في (كتاب مدارج السالكين) وابن نجيد كما بن القيم في المحققين المحررين ؟ قل قدس الله روحه في شرح كلام الهروي من الجزء الثاني :

قوله « وهو الرضا عنه في كل ما قضى » هاهنا ثلاثة أمور : الرضا بالله رباً ، (١) والرضا عن الله ، والرضا بقضاء الله . فالرضا به فرض ، والرضا عنه - وإن كان من أجل الأمور واشرف أنواع العبودية - فلم يطالب به العموم لمعجزهم ومشقته عليهم - وأوجبه طائفة كما أوجبوا الرضا به ، واحتجوا بحجج (منها) انه إذا لم يكن راضياً عن ربه فهو ساخط عليه - إذا لا واسطة بين الرضا والسخط - وسخط العبد على ربه مناف لرضائه به رباً . قالوا - وايضا فعدم رضائه عنه يستلزم سوء ظنه ومنزعته له في اختياره لمبده ، وإن الرب تبارك وتعالى يختار شيئاً ويرضاه ولا يختاره العبد ولا يرضاه ، وهذا مناف للعبودية . قالوا - وفي بعض الآثار الإلهية « من لم يرض بقضاي ، ولم يصبر على بلاي ، فليتخذ له (٢) رباً سواي » ولا حجة في شيء من ذلك . أما قوله (٣) « لم يتخلص من السخط على ربه إلا بالرضا عنه إذا لا واسطة بين الرضا والسخط » فكلام مدخول ، لأن السخط بالمقضي لا يستلزم السخط على من قضاه ، كما أن كراهة المقضي وبغضه والنفرة عنه لا يستلزم تناف ذلك بالذي قضاه وقدره ، فالمقضي قد يسخطه العبد وهو راض عن قضاه وقدره ، بل يجتمع تسخطه والرضا بنفس القضاء - كما سيأتي ان شاء الله - وأما (١) سقط من البندادية كلمة « رباً » (٢) سقط من البندادية كلمة « له »

{ ٣ } وفيها « انه لم »

٣٥٤ اختيار العبد لنفسه واختيار الرب له وتحرير مسألة الرضا بالقضاء (المنار - ج ٥ ص ١٧)

قولكم (١) انه يستلزم سوء ظن العبد بربه ومنازعة له في اختياره ، فليس كذلك ، بل هو حسن الظن بربه في الحالتين ، وانه انما يسخط المقدور وينازعه بمقدور آخر ، كما ينازع القدر الذي يكرهه ربه بالقدر الذي يحبه ويرضاه ، فينازع قدر الله بالله (٢) كما يستعين برضاه من سخطه ، وبمعافاته من عقوبته ، ويستمد به منه .

فاما « كونه يختار لنفسه خلاف ما يختاره الرب » فهذا موضع تفصيل لا يسحب عليه ذيل النفي والاثبات . فاختيار الرب تعالى لعبده نوعان (احدهما) اختيار ديني شرعي ، فالواجب على العبد ان لا يختار في هذا النوع غير ما اختاره له سيده ، قال تعالى (وما كان المؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم) فاختيار العبد ذلك مناف لايمانه وتسليمه ورضاه بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا (النوع الثاني) اختيار كوني قدرى لا يسخطه الرب ، كالمصائب التي يبذل الله بها عبده ، فهذا لا يضره فراره منها الى القدر الذي يرفعها عنه ويدفعها ويكشفها ، وليس في ذلك منازعة للربوية - وان كان فيه منازعة للقدر بالقدر - فهذا يكون تارة واجبا ، وتارة مستحبا ، وتارة يكون مباحا مستوي الطرفين ، وتارة يكون مكروها ، وتارة يكون حراما . واما القدر الذي لا يحبه ولا يرضاه ، مثل قدر المايب والذنوب ، فالعبد مأمور بسخطها ومنهي عن الرضا بها . وهذا هو التفصيل الواجب في الرضا بالقضاء . وقد اضرب الناس في ذلك اضطرابا عظيما ونجا منه اصحاب الفرق والتفصيل ، فان لفظ الرضا بالقضاء لفظ محمود مأمور به ، وهو من مقامات الصديقين ، فصارت له حرمة اوجبت لطائفة قبوله من غير تفصيل ، وظنوا ان كل ما كان مخلوقا للرب تعالى فهو مرضى له يذفي الرضا به ، ثم انقسموا فرقتين ، فقالت فرقة : اذا كان القضاء والرضا متلازمين فمعلوم اننا مأمورون بنقض الماصي والكفر والظلم ، فلا تكون مقضية مقدرة . وفرقة قالت :

(١) في البغدادية هنا « قولهم » وانص نسختنا « قولكم » وفيها القولة السابقة « قوله » فيها وكان الاولى ان تكون « قولهم » فيها (٢) نص البغدادية « فينازع قدر الله بقدر بالله والله » .

قد دل العقل والشرع على أنها واقعة بقضاء الله وقدره فنحن نرضى بها .
والطائفتان منصفتان جاثرتان عن قصد السبيل ، وأوائك اخرجوها عن قضاء الرب
وقدره ، وهؤلاء رضوا بها ولم يسيخطوها . هؤلاء خالفوا الرب تعالى في رضائه
وسخطه ، وخرجوا عن شرعه ودينه ، وأوائك انكروا تعلق قضائه وقدره بها .

واختلفت طرق أهل الإثبات للمقدر والشرع في جواب الطائفتين ، فقالت
طائفة : لم يقم دليل من الكتاب ولا السنة ولا الإجماع على جواز الرضا بكل
قضا ، فضلا عن وجوبه واستحبابه ، فأين أمر الله عباده أو رسوله أن يرضوا بكل ،
ما قضاه الله وقدره ؟ وهذه طريقة كثير من أصحابنا وغيرهم ، وبه أجاب القاضي
أبو يعلى وابن الباقلاني قال — فإن قيل : أفترضون بقضاء الله وقدره ؟ قيل له :
نرضى بقضاء الله الذي هو خلقه الذي أمرنا أن نرضى به ، ولا نرضى من ذلك
ما نهانا عنه أن نرضى به ، ولا نتقدم بين يدي الله ، ولا نعترض على حكمه .

وقالت طائفة أخرى : يطلق الرضا بالقضاء في الجملة دون تفاصيل المقضي
المقدر . فنقول : نرضى بقضاء الله جملة ولا نسيخطه ، ولا نطالع الرضا على كل
واحد من تفاصيل المقضي — كما يقول المسلمون : كل شيء يبيد ويهلك ، ولا
يقولون : حجج الله تبيد وتهلك ، ويقولون : الله رب كل شيء ، ولا يضيفون
ربوبيته إلى الأعيان المستخينة المستفجرة بخصوصها .

وقالت طائفة أخرى : نرضى بها من جهة اضافتها إلى الرب خلقا ومشيتته ،
ونسيخطها من جهة اضافتها إلى العبد كسبا له وقيامه بها .

وقالت طائفة أخرى : بل نرضى بالقضاء ونسيخط المقضي ، فالرضا والسيخط
لم يتعلق بشيء واحد . وهذه الأجوبة لا يتشكى شيء منها على أصول من يجعل
محبة الرب تعالى ورضاه ومشيتته واحدة — كما هو أحد قولنا الأشعري وأكثر أتباعه .
فإن هؤلاء يقولون : إن كل ما شاء وقضاه فقد أحبه ورضيه ، وإذا كان الكون
محبوبا له مرضيا فنحن نحب ما أحبه ونرضى ما رضيه . وقولكم : إن الرضا بالقضاء
يطلق جملة ولا يطلق تفصيلا . فذلك لا يمنع دخوله في جملة المرضي به ، فيعود
الاشكال . وقولكم : نرضى بها من جهة كونها خلقا لله ، ونسيخطها من جهة كونها

كيا للعبد ، فكسب العبد ان كان امرا ، وجوديا فهو خلق لله فمرضى به ، وان كان امرا عدميا فلا حقيقة له رضي ولا تسخط . واما قواكم : رضي بالقضاء دون انقضي . فهذا انما يصح على قول من جعل القضاء غير المقضي ، والفعل غير المفعول ، واما من لم يفرق بينهما فكيف يصح هذا على اصله ؟

وقد اورد القاضي ابو بكر على نفسه هذا السؤال فقال - فان قيل : القضاء عندكم هو المقضي او غيره ؟ قيل : هو على ضربين ، فالقضاء بمعنى الخلق هو المقضي ، لان الخلق هو المخلق ، والقضاء الذي هو الالزام والاعلام والكتابة غير المقضي ، لان الامر غير المأور والخبر غير الخبر عنه . وهو الجواب لا يخصه ايضا ، لان الكلام ليس في الالزام والاعلام والكتابة ، وانما الكلام في نفس الفعل المقدر الملم به المكتوب : هل مقدره وكتابه سبحانه راض به أم لا ؟ وهل العبد مأور بالرضا به نفسه ام لا ؟ هذا حرف المسئلة .

وقد انكر الله سبحانه تعالى على من جعل مشيئته وقضاه مستلزما لمحبه ورضاه ، فكيف بمن جعل ذلك شيئا واحدا ؟ قال الله تعالى (سيقول الذين اشركا : لو شاء الله ما اشرطنا ولا آبؤنا ، ولا حرمنا من شيء . كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بآسنا ، قل : هل عندكم من علم فتخرجهم انا ؟ ان تذبعون الا الظن وان انتم الا تخرون - وقال تعالى - وقال الذين اشركا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آبؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء . كذلك فعل الذين من قبلهم - وقالوا : لو شاء الرحمن ما عبدناهم . ما لهم بذلك من علم) فهم استدلوا على محبه ورضاه لشركم بمشيئته لذلك ، وعارضوا بهذا الدليل امره ونهيه . وفيه ابن الرد لقول من جعل مشيئته غير محبه ورضاه ، فلا شك انما نشأ من جملة المشيئة نفس المحبة ، ثم زادوه بجملة الفعل نفس المفعول ، والقضاء عين المقضي ، فنشأ من ذلك إلزامهم بكونه تعالى راضيا محبا لذلك ، والتزام وضئهم به .

والذي يكشف هذه الفمة ، ويصر من هذه الغاية ، وينجي من هذه الورطة التفريق بين ما فرق الله بينه ، وهو المشيئة والمحبة ، فانها ليسا واحدا ولا هما

متلازمين ، بل قد يشاء ما لا يحب ويحب ما لا يشاء كونه ، (فلا أول) كشيئه اوجود ابليس وجنوده ، ومشيتته العامة لجمع ما في الكون مع نفسه لبعضه ، (والثاني) كحبه ايمان الدفار ، وطامات الفجار ، وعدل الظالمين ، وتوبة الفاسقين ، ولو شاء ذلك لوجد كله وكان جسيمه ، فانه ماشاء . كان وما لم يشأ لم يكن .

فذا تقرر هذا الاصل وان الفعل غير المأمور ، والقضاء غير التقضي ، وان الله سبحانه لم يأمر عباده بالرضا بكل ما خلقه وشاء - زالت الشبهات ، وانحلت الاشكالات ، والله الحمد ، ولم يبق بين شرع الرب وقدره تناقض بحيث يظن ابطال احدهما الآخر ، بل التمدد ينصر الشرع والشرع يصدق القدر ، وكل منهما يحق الآخر .

اذا عرف هذا فالرضا بالقضاء الديني الشرعي واجب وهو اساس الاسلام ، وقاعدة الايمان ، فيجب على العبد ان يكون راضيا به بلا هرج ولا منازعة ولا معارضة ولا اعتراض ، قال الله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) فقسم انهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله ، ويرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه ، ويسلموا لحكمه تسليما . وهذا حقيقة الرضا بحكمه . فالتحكيم في مقام الاسلام ، وانتفاء الحرج في مقام الايمان (١) وتسليم في مقام الاحسان . ومتى خالط القلب بشبهة الايمان ، واكتنحت بصبرته بحقيقة اليقين ، وحي روح الوحي ، وتهدت طبيعته ، وانقلبت النفس الامارة مطيئة راضية وادعة ، وتلقى احكام الرب تعالى بصدر واسع منشرح مسلم ، فقد رضي كل الرضا بهذا القضاء الديني المحبوب لله ورسوله .

والرضا بالقضاء الكوني القدرى الموافق لمحبة العبد وارادته ورضاه من الصحة والفنى والمافية واللذة امر لازم بمقتضى الطبيعة ، لانه ملائم للعبد ، محبوب له ، فليس في الرضا به عبودية ، بل العبودية في مقابله بالشكر والاعتراف بالمنة ، ووضع النعمة مواضعها التي يحب الله ان توضع فيها ، وان لا يصحى المنعم بها ، ويرى التقصير في جميع ذلك .

والرضا بالقضاء الكوني القدري الجاري على خلاف مراد العبد ومحبه مما لا يلائمه ولا يدخل تحت اختياره مستحب ، وهو من مقامات أهل الإيمان ، وفي وجوبه قولان ، وهذا كالمريض والفقر واذى الخلق له ، والحر والبرد والآلام ونحو ذلك .

والرضا بالقدر الجاري عليه باختياره مما يكرهه الله ويسخطه وينهى عنه ، كأنواع الظلم والفسوق والمصيان حرام يعاقب عليه وهو مخالفة لربه تعالى ، فإن الله لا يرضى بذلك ولا يحبه ، فكيف تتفق المحبة ورضا ما يسخطه الحبيب ويبغضه ؟ فمليك بهذا التفصيل في مسألة الرضا بالقضاء .

فان قلت : كيف يريد الله سبحانه أمرا لا يرشاه ولا يحبه ؟ وكيف يشاؤه ويكونه ؟ وكيف تجتمع ارادة الله له وبغضه وكراهيته ؟ . قيل : هذا السؤال هو الذي افترق الناس لأجله فرقا ، وتباينت عنه طرقهم وأقوالهم . فاعلم ان المراد نوعان : مراد لنفسه ومراد لغيره . فالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير ، فهو مراد ارادة الغايات والمقاصد ، والمراد لغيره قد لا يكون في نفسه مقصودا للريد ، ولا فيه مصالحة له بالنظر الى ذاته ، وان كان وسيلة الى مقصوده ومراده ، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته ، مراد له من حيث افضائه وإيصاله الى مراده ، فيجتمع فيه الأمران بغضه وارادته ، ولا يتناقضان لاختلاف متعلقهما ، وهذا كالدواء المتناهي في الكراهة اذا علم متناوله أن فيه شفاء ، وكقطع المضوئ المتأكل اذا علم ان في قطعه بقاء جسده ، وكقطع المسافة الشاقة جدا اذا علم أنها توصله الى مراده ومحجوبه . بل الماقل يكتفي في اثار هذا المكروه وارادته بالظن الغالب وان خفيت عنه عاقبته وطويت عنه مغيبته ، فكيف بمن لا تخفى عليه المواقب ؟ فهو سبحانه وتعالى يكره الشيء ويبغضه في ذاته ، ولا ينافي ذلك ارادته لغيره (١) وكونه سببا الى ما هو احب اليه من فوته .

مثال ذلك انه سبحانه خلق ابليس الذي هو مادة لفساد الاديان والاعمال والاعتقادات والارادات ، وهو سبب شقاوة العبيد وعلمهم بما يغضب الرب تبارك

(١) أي لأجل أمر غيره وهو ما بينه بقوله : وكونه سببا الخ

وتعالى ، وهو الساعي في وقوع خلاف ما يحبه الله وبرضاه بكل طريق وكل حيلة .
فهو مبعوض للرب سبحانه وتعالى مسخوط له ، لعنه الله ومقتنه وغضب عليه ، ومع
هذا فهو وسيلة الى محاب كثيرة للرب تعالى ترتبت على خلقه ، وجودها احب اليه
من عدمها .

(منها) ان تظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات ، فخلق
هذه الذات التي هي من اخبث الذوات وشرها ، وهي سبب كل شر ، في مقابلة
ذات جبرائيل صلى الله عليه وسلم التي هي اشرف الذوات واطهرها وازكاها ، وهي
مادة كل خير ، فبارك الله خالق هذا وهذا . كما ظهرت لهم قدرته التامة في خلق
الليل والنهار ، والضياء والظلام ، والداء والدواء ، والحياة والموت ، والحر والبرد ،
والحسن والقبح ، والارض والسماء ، والماء والنار ، والخير والشر . وذلك من ادل
الدلائل على كمال قدرته وعزته وسلطانه وملكه ، فانه خلق هذه المتضادات وقابل
بعضها ببعض وسلط بعضها على بعض ، وجمالها بحال تصرفه وتدبيره وحكمته ،
فخلو الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكال تصرفه وتدبيره بملكته

(ومنها) ظهور آثار اسمائه القهرية ، مثل القهار والمتقم والمدل والضار ،
وشديد العقاب ، وسريع الحساب ، وذوي البطش الشديد ، والخافض والمذل ،
فان هذه الاسماء والافعال كمال فلا بد من وجود متعلقها ، ولو كان الخلق كلهم
على طبيعة الملك لم يظهر اثر هذه الاسماء والافعال

(ومنها) ظهور آثار اسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن
حقه وعنفه لمن شاء من عباده ، فلولا خلق ما يكرهه من الاسباب المنفضية الى ظهور
آثار هذه الاسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد ، وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم
الى هذا بقوله « لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله
فيغفر لهم »

(ومنها) ظهور آثار اسماء الحكمة والخبرة ، فانه سبحانه الحكيم الخبير الذي
يضم الاشياء مواضعها ، وينزلها منازلها الثلاثة بها ، فلا يضم الشيء في غير موضعه ،
ولا ينزله غير منزلته ، التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته ، فلا يضم الحرمان

والمنع موضع العطاء والفضل ، ولا الفضل والعطاء موضع الحرمان والمنع ، ولا الثواب موضع العقاب ولا العقاب موضع الثواب ، ولا الخفض موضع الرفع ولا الرفع موضع الخفض ، ولا العز مكان الذل ولا الذل مكان العز ، ولا يأمر بما ينهي النهي عنه ، ولا ينهي عن ما ينبغي الأمر به . فهو أعلم حيث يجعل رسالته ، وأعلم بمن يصلح لقبه ويشكره على انتهائها إليه ووصوها ، وأعلم بمن لا يصلح ذلك ولا يستأهله ، وأحكم من أن يمنه أهلها ويضربها عند غير أهلها ، فلو قدر عدم الأسباب المكونة للفيض له لم تطلت هذه الآثار ولم تظهر الحقائق ، ولقد أتت الحكمة والمصالح المرببة عليها ، وفوائدها شر من حصول تلك الأسباب ، فلو عطلت تلك الأسباب لما فيها من الشر لتعطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الأسباب . وهذا كالشمس والمطر والرياح التي فيها من المصالح ما هو أضاف أضاف ما يحصل بها من الشر والضرر ، فلو قدر تعطيلها لثلا يحصل منها ذلك الشر الجزئي لتعطل من الخير ما هو أعظم من ذلك الشر بما لا نسبة بينه وبينه .

فصل

(ومنها) حصول العبودية المتنوعة التي اولا خالق اليلس لما حصلت ، ولكن الحاصل بعضها لا كلها ، فن عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية إليه سبحانه ، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابها من الموالاة فيه سبحانه والمعاداة فيه والحب فيه والبغض فيه . وبذل النفس له في محاربة عدوه ، وعبودية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعبودية الصبر وخفاة الهوى ، وإيثار محاب الرب على محاب النفس .

(ومنها) عبودية التوبة والرجوع إليه واستغفره ، فإنه سبحانه يحب التوابين ويحب توبتهم ، فلو عطلت الأسباب التي يثاب منها لتعطلت عبودية التوبة والاستغفار منها .

(ومنها) عبودية مخافة عدوه ومراغمته في الله وإحاطته فيه ، وهي من أحب أحب أنواع العبودية إليه ، فإنه سبحانه يحب من وآيه أن يفيظ عدوه وبرائمه ويسوءه ، وهذه عبودية لا يتفطن لها الا الأكياس .

(ومنها) أن يتعبد له بالاستعاذة من عدوه وسؤاله أن يجبره منه و يعصمه من كيد و أذاه .

(ومنها) ان عبيده يشتد خوفهم وحذرهم اذا رأوا ما حل بعبده بمخالفته وسقوطه من المرتبة الملكية الى المرتبة الشيطانية ، فلا يتخذون الى غرور الامل بعد ذلك .

(ومنها) أنهم ينالون ثواب مخالفته ومعاداته الذي حصله ، بشروط بالمعاداة والمخالفة ، فأكثر عبادات القلوب والجوارح مرتبة على مخالفته .

(ومنها) ان نفس اتخاذه عدوا من اكبر انواع العبودية واجابها ، قل الله تعالى (انت الشيطان لكم عدوا فاتخذوه عدوا) فاتخاذه عدوا أنعم شيء للعبد وهو محبوب للرب .

(ومنها) ان الطبيعة البشرية مشتملة على الخير والشر ، والطيب والخبيث ، وذلك كامن فيها كمن النار في الزناد ، فخلق الشيطان مستخرجا ما في طبائع أهل الشر من القوة الى الفعل ، وأرسل الرسل تستخرج ما في طبيعة أهل الخير من القوة الى الفعل ، فاستخرج احكم الحاكمين ما في قوى هؤلاء من الخير الكامن فيها ليرتب عليه آثاره ، وما في قوى أولئك من الشر ليرتب عليه آثاره ، وتظهر حكمته في الفريقين وينفذ حكمه فيهما ، ويظهر ما كان معلوما له مطابقا لعلمه السابق . وهذا هو السؤال الذي سأله ملائكته حين قالوا (انجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) قل : اني اعلم ما لا تعلمون) فظانت الملائكة ان وجود من يسبح بحمده ويطيعه ويمجده أولى من وجود من يعصيه ويخالفه ، فأجابهم سبحانه بأنه يعلم من الحكم والاصالح والغايات المحمودة في خلق هذا النوع ما لا نعلمه الملائكة .

(ومنها) ان ظهور كثير من آياته وعجائب صنمه حصل بسبب وقوع الكفر والشر من النفوس الكافرة والظالمة ، كآية الطوفان ، وآية الريح ، وآية إهلاك عمود وقوم لوط ، وآية انقلاب النار على ابراهيم برذا وسلاما ، والآيات التي اجراها

الله تعالى على يد موسى ، وغير ذلك من آياته التي يقول سبحانه عقيب ذكر كل آية منها (ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم يؤمنين) وان ربك هو العزيز الرحيم (فلو لا كفرالكافرين ، وعناد الجاحدين ، لما ظهرت هذه الآيات الباهرة التي يتحدث بها الناس جبلا بعد جبل الى الابد .

(ومنها) ان خلق الاسباب المتقابلة التي يقهر بعضها بعضا ، ويكسر بعضها بعضا ، هو من شأن كل الربوبية ، والقدرة النافذة ، والحكمة النامة ، والملك الكامل ، وان كان شأن الربوبية كاملا في نفسه واو لم يخلق هذه الاسباب ، لكن خلقها من اوازم كماله وما كنهه ، وقدرته وحكمته ، فظهور تأثيرها واحكامها في عالم الشهادة تحقيق لذلك الكمال ، ووجوب من وجباته . فتعبر مراتب الغيب والشهادة بأحكام الصفات من آثار الكمال الإلهي المطلق بجميع وجوهه وأقسامه وغاياته . وبالجملة فالعبودية والآيات والمعاني التي ترتبت على خلق ما لا يحبه ولا يرضاه وتقديره وشيئته . أحب الى الله سبحانه وتعالى من فواتها وتمطيلها بتمطيل أسبابها .

فان قلت : فهل كان يمكن وجود تلك الحكم بدون هذه الاسباب ؟ : فهذا سؤال باطل اذ هو فرض وجود الملزوم بدون لازمه . كفرض وجود الابن بدون الاب ، والحركة بدون المتحرك ، والتربة بدون التثب .

فان قلت : فاذا كانت هذه الاسباب مرادة لما تنفي اليه من الحكم ، فهل تكون مرضية محبوبه من هذا الوجه ؟ أم هي مستخينة من جميع الوجوه ؟ قلت هذا السؤال يورد على وجهين (أحدهما) من جهة الرب سبحانه وتعالى . وهل يكون محبا لها من جهة افضائها الى محبوبه وان كان ينفذها لذاتها ؟ (والثاني) من جهة العبد . وهو انه هل يسوغ له الرضاء بها من تلك الجهة أيضا ؟ فهذا سؤال له شأن .

فأعلم ان الشر كله يرجع الى العدم ، اغني عدم الخير واسبابه المنفضة اليه ، وهو من هذه الجهة شر ، واما من جهة وجوده المنفص فلا شرفية . مثاله ان النفس الشريرة وجودها خير من حيث هي ، وجودة ، وانما حصل لها الشر بقطع

مادة الخير عنها ، فأنها : (١) خلقت في الاصل متحركة لا تسكن ، فان اعينت بالعلم وإلهام الخير تحركت (٢) وان تحركت تحركت بطبيعتها الى خلافه ، وحركتها من حيث هي حركة خير ، واما تكون شرا بالاضافة ، لا من حيث هي حركة ، والشر كله ظم ، وهو وضع الشيء في غير موضعه ، فلو وضع في موضعه لم يكن شرا ، فعلم ان جهة الشر فيه بنسبته بمشيئته (٣) اضافة ، ولهذا كانت المقربات الموضوعات في محلها خيرا في نفسها وان كانت شرا بالنسبة الى المحل الذي حلت به ، لما أحدثت فيه من الألم الذي كانت الطبيعة قابلة لحدسه من اللذة ، مستمدة له ، فصار ذلك الألم شرا بالنسبة اليها ، وهو خير بالنسبة الى الفاعل ، حيث وضعه موضعه ، فانه سبحانه لا يخلق شرا محضا من جميع الوجوه والاعتبارات (٤) فان حكيمته تأتي ذلك بل قد يكون ذلك الخلق شرا ومفسدة ببعض الاعتبارات ، وفي خلقه مصالح وحكم باعتبارات أخر أرحح من اعتبارات مفسده ، بل الواقع منحصر في ذلك ، فلا يمكن في جناب الحق جل جلاله ان يريد شيئا يكون فسادا من كل وجه بكل اعتبار لا مصلحة في خلقه بوجه متا . هذا من أبين المحال ، فانه سبحانه يده الخير ، والشر ليس اليه ، بل كل ما اليه خير ، والشر انما حصل لعدم هذه الاضافة والنسبة اليه ، فلو كان اليه لم يكن شرا ، فتأمل . فانقطاع نسبته اليه هو الذي يحيره شرا .

فان قلت : لم تقطع نسبته اليه خلقا وشيئا . قلت : هو من هذه الجهة ليس بشر ، فان وجوده هو المنسوب اليه ، وهو من هذه الجهة ليس بشر ، والشر الذي فيه من عدم امداده بالخير واسبابه ، والمدم ليس بشي (٥) حتى ينسب الى من يده الخير .

فان اردت مزيد إيضاح لذلك ، فاعلم ان اسباب الخير ثلاثة : الایجاد ،

(١) حذف من البمدادية كلمة « به » ولله الصواب (٢) في الحجازية « تحركت في الخير » (٣) حذف من البمدادية كلمة « بمشيئته » (٤) في الحجازية « من جميع وجوه الاعتبارات » وفي البمدادية « من جميع الوجوه والاعتبارات » وافردت نبيختنا باللفظ ونصها « من جميع الوجوه الاعتبارات » (٥) في البمدادية « بشر »

٣٦٤ الإيجاد والاعداد والامداد وحكمة عدم امداد كل مخلوق (الناشر ج ٥ م ١٧)

والاعداد والامداد. فمذه هي الخبرات واسماها ، فإيجاد هذا السبب خير وهو الى الله ، واعداده خير وهو اليه أيضا ، وامداده خير وهو اليه ، فاذا لم يحدث فيه اعدادا ولا امدادا حصل فيه الشر بسبب هذا العدم الذي ليس الى الفاعل ، وإنما اليه ضده .

فإن قلت : فملا أمده اذ أوجده ؟ قلت : ما اقتضت الحكمة ايجاده وامداده فإنه سبحانه يوجد ويمده ، وما اقتضت الحكمة ايجاده وترك امداده اوجده بحكمته ولم يمدده بحكمته ، فإيجاده خير ، والشر وقع من عدم امداده .

فإن قلت : فملا امد الموجودات كلها ؟ فهذا سؤال فاسد ، بطلان موده ان التدوير بين الموجودات الباطن في الحكمة ، وهذا عين الجهل ، بل الحكمة كل الحكمة في هذا اتفاوت العظيم الواقع بينها ، وليس في خلق كل نوع منها تفاوت ، فكل نوع منها ليس في خلقه من تفاوت ، والتفاوت إنما وقع بامور عديمة لم يتعلق بها الخلق ، والا فليس في الخلق من تفاوت . فإن انتقص ذلك عليك ولم تفهمه حق الفهم فراجع قول الفائل :

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

كما ذكر ان الاصمعي اجتمع بالخليل بن احمد وحرص على فهم المروض فاعياه ذلك ، فقال له الخليل يوما : قطع لي هذا البيت . وانشده (إذا لم تستطع) البيت ، ففهم ما اراد فامسك عنه ولم يشتغل به

وسر المسئلة ان الرضاء بالله يستلزم الرضاء بصفاته وأفعاله واسماها واحكامه ، ولا يستلزم الرضاء بمفعولاته كلها ، بل حقيقة العبودية ان يوافقه عبده في رضاء وسخطه ، فيرضى منها بما يرضى به ويسخط منها (١) ما سخطه . فان قيل : فهو سبحانه يرضى عقوبة من يستحق العقوبة . فكيف يمكن العبد ان يرضى بعقوبته له ؟ قيل او وافقه في رضاء بعقوبته لا قلبت لذة وسرورا ، ولكن لا يقع ذلك (٢) فإنه لم يوافقه في محبته وطاعته التي هي سرور النفس وقرّة العين وحياة القلب ، فكيف يوافقه في محبته للعقوبة التي هي اكره شيء اليه ، واشق شيء عليه ؟ بل

(١) حذف من البندادية كلمة «منها» (٢) وفيها «منه ذلك»

كان كارهها لما يحبه من طاعته وتوحيده ، فلا يكون راضيا بما يختاره من عقوبته ، ولو فعل ذلك لارتفعت عنه العقوبة .

فان قلت : فكيف يجتمع الرضا بالقضاء الذي يكرهه العبد من المرض والفقر والألم مع كراهته ؟ قلت : لا تنافي في ذلك فانه يرضى به من جهة افضائه الى ما يحب ، ويكرهه من جهة تألمه به ، كالدواء الكريه الذي يعلم ان فيه شفاؤه ، فانه يجتمع فيه رضاؤه به وكراهته له .

فان قلت : كيف يرضى العبد شيئا ولا يسئنه عليه ؟ قلت : لأن اعاقبه عليه قد تستلزم فوات محبوب له أعظم من حصول تلك الطاعة التي رضى بها له ، وقد يكون وقوع تلك الطاعة منه يتضمن مفسدة هي اكراهه الى سببها من محبة تلك الطاعة ، بحيث يكون وقوعها منه مستلزما لمفسدة راجحة ، ومفوتها لمصلحة راجحة ، وقد اشار تعالى الى ذلك في قوله (واو ارادوا الخروج لأعدوا له عدة ، ولكن كره الله انبعاثهم فبطهم وقيل : أقعدوا مع القاعدين * او خرجوا فيكم ما زادوكم الا خيالا ولا وضعوا خلاكم ببغونكم الفتنة وفيكم ساعون لهم ، والله عليم بالظالمين) فاخبر سبحانه انه كره انبعاثهم مع رسول الله للفزع وهو طاعة وقرينة ، وقد امرهم به ، فلما كرهه منهم ثبطهم عنه ، ثم ذكر سبحانه بعض المفسد التي كانت تترتب على خروجهم لو خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خيالا » أي فسادا « ولا وضعوا خلاكم » أي سموا فيما بينكم بالفساد والشر « ببغونكم الفتنة وفيكم ساعون لهم » أي قابلون منهم مستجيبون لهم ، فيتولد من بين سعي هؤلاء بالفساد وقبول اوائلك منهم من الشر ما هو أعظم من مصلحة خروجهم ، فاقنضت الحكمة والرحمة ان منعهم من الخروج وأقعدهم عنه . فاجعل هذا المثال أصلا لهذا الباب وقس عليه .

فان قلت قد تصور لي هذا في رضا الرب تعالى لبعض ما يخلقه من وجه وكراهته من وجه ، فكيف لي بان يجتمع الامر ان في حقي بالنسبة الى الماهي والفسوق ؟ قلت : هو متصور ممكن ، بل واقع ، فان العبد يسخط ذلك ويبغضه ويكرهه من حيث هو فعل له واقع بسببه وارادته واختياره ، ويرضى بعلم الله

وكتابت ومشيتته واذنه الكوني فيه ، فيرضى بما من الله ، ويسخط ما هو منه .
فما سلك طائفة من أهل العرفان ، وطائفة أخرى رأوا كراهة ذلك مطلقا ،
وعدم الرضاء من كل وجه ، وهؤلاء ، في الحقيقة لا يخالفون اولئك ، فان العبد
اذا كرهها مطلقا فان الكراهة انما تنم على الاستيثار المكروه منها ، وهؤلاء لم يكرهوا
علم الرب وكتابتته ومشيتته وإلزامه حكمه (١) الكوني ، واولئك لم يرضوا بها من
الوجه الذي سخطها الرب وابغضها لأجله .

وسر المسئلة ان الذي الى الرب منها غير مكروه ، والذي الى العبد منها هو
المكروه والمسخوط ، فان قلت : ليس الى العبد شيء منها - قلت : هذا هو الجبر
الباطل الذي لا يمكن صاحبه التخلص من هذا المكان الضيق ، والقدرى اقرب الى
التخلص منه من الجبري ، وأهل السنة المتوسطون بين القدرية والجبرية هم اشد
بالتخلص منه من الفريقين .

فان قلت : كيف يتأتى الندم والتوبة مع شهود الحكمة في التقدير ، ومع شهود
القيومية والمشيتة النافذة ؟ قلت : هذا الذي أوقع من عميت بصبرته في شهود الامر
على خلاف ما هو عليه ، فرأى تلك الافعال طاعات لموافقته فيها المشيتة والقدر ،
وقال : ان عصيت أمره فقد اطمت ارادته في ذلك . قيل

أصبحت منفلا لما تختاره مني ففلي كله طاعات

وهؤلاء اعنى الخلق بصائر ، واجهارهم بالله واحكامه الدينية والكونية ، فان
الطاعة هي موافقة الامر لا موافقة القدر والمشيتة ، ولو كانت موافقة القدر طاعة لله
لكان ابليس من اعظم المطيعين لله ، وكان قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم
فرعون كلهم مطيعين له ، فيكون قد عذبهم اشد المذاب على طاعته ، وانتقم منهم
لأجلها ، وهذا غاية الجهل بالله واسماؤه وصفاته وافعاله .

فان قلت : ومع ذلك فاجمع لي بين الندم والتوبة وبين مشهد القيومية
والحكمة . قلت : العبد اذا شهد عجز نفسه ونفوذ الاقدار فيه ، وكال فقره الى
ربه ، وعدم استغنائه عن عصيته وحفظه طريقة عين - كان (٢) بالله في هذه الحال

لا بنفسه ، فوقع الذنب منه لا يثنى في هذه الحال البتة ، فإن عليه سمنا حصينا
من « في يسمع وبي يبصر وبي يهش وبي يشي » فلا يتصور منه الذنب
في هذه الحال ، فإذا حجب عن هذا المشهد وسقط إلى وجوده الطبيعي وبقي
بنفسه استولى عليه حكم النفس والطبع والهوى ، وهذا الوجود الطبيعي قد نصبت
فيه الشباك والاشراك ، وأرسلت عليه الصيادون ، فلا بد أن يقع في شبكة من
تلك الشباك ، ومترك من تلك الاشراك ، وهذا الوجود وهو حجاب بينه وبين
ربه ، فمعد ذلك يقع الحجاب ويقوى المتعدي ، ويضعف المانع ، وتشتد الظلمة ،
وتضعف القوى ، فأنى له بالخلاص من تلك الاشراك والشباك ؟ فإذا انتشع ضباب ذلك
الوجود الطبيعي وأنجاب ظلامه ، وزال قتامة ، وصرت ربك ، ذاهبا عن نفسك وطبعك

بدالك سر طال علمك اكتامه ولاح صباح كنت انت ظلامه

فان غبت عنه حل فيه وطببت على منكب الكشف المصون خيامه

فانت حجاب القاب عن سر غيبه واولاك لم يطبع عليه ختامه

وجاء حديث لا يعلم مبعاه شهبي الينا نثره ونظامه

اذا ذكرته النفس زال عناؤها وزال عن القاب المعنى قتامة

فهذا يكفركم الندم والتوبة والالابة ، فانه كان في المعصية (١) بنفسه ، فحجوبا
فيها عن ربه وعن طاعته ، فلما فارق ذلك الوجود وصار في وجود آخر بقي بربه
لا بنفسه ، واذا عرف هذا فالتوبة والندم يكونان في هذا الوجود الذي هو فيه بربه ،
وذلك لا ينافي مشهد الحكمة والقيومية ، بل يحاميه ويستمد منه . والله التوفيق .

(١) سقط من الحجازية « في المعصية »

القول السديد

﴿ في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين وعليه نتوكل

اللهم ارنا الحق حقا واهدنا لا تباعه ، وارنا الباطل باطلا ووفقنا لا جتنابه
الحمد لذاته وجميل صفاته ، والشكر له على آلائه ونعمائه وعطائه
ومباهيه ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله المبعوث بالدين النبين ، والكتب
الامين ، سيدنا ومولانا ونبينا محمد الرسول الامين ، وعلى آله واصحابه
الهداة المهتدين .

أما بعد فهذه تعليقة موسومة (بالقول السديد . في بعض مسائل
الاجتهاد والتقليد) اذكر فيها ما حضرني من بعض مسائل الاجتهاد ،
واقتراء المقلد بامام يرى خلاف قول مقلده — بفتح الام — إما اجتهدا
او تقليدا ، وما يتعلق بذلك ويتبدل عليه ، متصد لتبع في ذلك ، بل
قيدت ما سنح للخاطر القارئ ، في الوقت الحاضر ، من غير تفيد بمراجعة
في ذلك ، وهي نبذة يسيرة من شيء كثير . فانول وبالله الاعانة
الكلام في هذه المسائل على فصول .

* هذه الرسالة هي تأليف الفقيه الاصولي الشيخ محمد بن عبد العظيم المكي
الحنفي ابن المقدسي المبرور الملا فروخ بن عبد الحسن الرومي الموروي ، اتم تأليفه
سنة ١٠٥٢ للهجرة طفر بنسخة خطية منها صديقنا الشيخ مصطفى بن محمد سليم
الخلايني فأرسلها الينا فاستحيينا نشرها في المنار لقوائدها ولا استشهاد بها على وجود العلماء
المتصفين بالبسر بن الجامعين للكلمة في كل شعب اسلامي وكل عصر من تصورات العلم

الفصل الأول

إِعلم أنه لم يكلف الله أحدا من عباده بأن يكون حنфия أو مالكيا أو شافعيا أو حنبليا ، بل أوجب عليهم الإيمان بما بعث به محمدا صلى الله عليه وسلم ، والعمل بشريعته . غير أن العمل بها متوقف على الوقوف عليها ، والوقوف له طرق ، فما كان منها مما يشترك به الموم وأهل النظر كالعلم بربطة الصلاة والزكاة والصوم والحج والوضوء أجمالا ، وكالدلم بجرمة الزنا والخمر والواطاة وقتل النفس ، وغير ذلك مما علم من الدين بالضرورة ، فذلك لا يتوقف فيه على اتباع مجتهد ومذهب معين ، بل كل مسلم عليه اعتقاد ذلك . فمن كان في المصير الأول فلا يخفى وضوح ذلك في حقه ، ومن كان في الآخر المأخرة ، فلوصول ذلك الى علم ضرورة من الإجماع والنواير وسماع الآيات والسنن ، أي الأحاديث الشريفة المستفيضة المصروفة بذلك في حق من وصلت اليه .

وأما ما لا يتوصل اليه إلا بشرب من النظر والاستدلال فمن كان قادرا عليه بتوفر آلاته وجب عليه فله ، كالأئمة المجتهدين رضوان الله عليهم اجمعين ، ومن لم يكن له قدرة عليه وجب عليه الاتباع الى من يرشده^(١) الى ما كلف به ممن هو أهل النظر والاجتهاد والمدالة ، وسقط عن العاجز تكليفه بالبحث والنظر لمجزه بقوله تبارك وتعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) وقوله عز من قائل (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم

(١) المنار : حق العبارة ان تكون « اتباع من يرشده »

لا تعلمون) وهي الاصل في اعتماد التقليد، كما اشار اليه المحقق السكال
ابن الهمام في التحرير^(١).

فصل

إذا علمت ذلك، فاعلم ان ابا حنيفة ومالكا والشافعي واحمد بن محمد
ابن حنبل رحمة الله عليهم اجمعين، كل كان من اهل الذكر الذين وجب
سؤالهم لمن لم يصل الى درجة النظر والاستدلال، فاذا عمل احد من
المقلدين في طهارته وصلاته او شيء مما جرى به التكليف بقول واحد
منهم مقلدا له فيه - لو صادف قوله، ولو لم يعلم به حين العمل فقلده فيه
بعد انقضائه على ما ظهر لي في المسئلة، كما يدل عليه ما استشهد به في
المسئلة بعد هذا - فقد ادى ما عليه، وليس لاحد ممن هو في درجته التقليد
له. قلت: بل ولا للمجتهد الانكار عليه، كما صرح به في غير كتب
عندنا من تصانيف الصدر الشهيد حسام الدين وغيره من كتب المذهب
المعتبرة، كالتجنيس والمؤيد لشيخ الاسلام برهان الدين صاحب الهداية
كما نقلته بخطي عنها في مظانه.

اذا ثبت ذلك فليس لحنفي او مالكي او شافعي من المقلدين ان
يتمتع من الاقتداء بالامام المخالف لمذهبه، وليس له ان يحتج بانى لما قلدت
الشافعي والاحنيفة - مثلا - فقد وجب على الحكم بطلان ما خالف

(١) المنار: التقليد الاخذ بالرأي من غير دليل. وإنما تدل الآية على السؤال عن
الدليل، وهو ما تواتر عند أهل الكتاب من كون جميع الرسل كانوا رجالا. ومثله
طلب النص دون الرأي. هذا وان الاجتهاد يجزأ فمن لم يقدر على معرفة جميع
الاحكام أو أكثرها بالنظر والاستدلال يجوز ان يقدر على ما يحتاج اليه منها كاه او
بعضه، وحينئذ يتم عليه ان يأخذ فيه برأي غيره واجتهاده، كما ثبت في علم الاصول

اجتهاده ، لانا نقول : انما ابيح التقليد بقدر الضرورة . وذلك يندفع بتقليدك له في عمالك وكيفية فقط ، وان شئت قل : في كيفية ايقاع ما كانت به فقط . واما الحكم ببطالان مخالفه فليس ذلك اليك ، بل للكلام مجال في تسوية ذلك للمجتهد الذي قلده .

وَأَمَّا أَنْتَ ، ومن هو في مرتبتك من المقلدين ، فقول « كل مجتهد » عنده على حد سواء ، اذ ليس الترجيح بالدليل من وظائفك ، والا كنت في درجتهم ووجب عليك الاجتهاد وارفع التقليد ، ولكن لا بد للعمل في تصحيحه من مستند ، فانت استندت الى امامك - ونعم الامام - وهذا الآخر استند الى امام في فعله مثل امامك أو أعلى منه ، فلا يمكنك الحكم على عمله بالبطالان البتة ، فليست حينئذ في تخلفك عن الاقتداء به الا عاملا بمحض التعصب ، وقد نص علماءنا وغيرهم من اصحاب المذاهب على حرمة التعصب وتصويب الصلاة في المذهب ، ومعنى الصلاة أي^(١) الثبات على ما ظهر للمجتهد من الدليل ، وليس ذلك الا للمجتهد نفسه او لمن هو من اهل النظر ممن اخذ بقوله

والتعصب هو الميل مع الهوى لاجل نصرته المذهب ومعاملة الامام الآخر ومتلديه بما يحطط عنهم . وقد نص في جواهر الفتاوى وغيرها من كتب اصحابنا ان الامام الشافعي رحمه الله تعالى لم يكن له تعصب على امتنا رحمهم الله تعالى .

(١) لفظ « أي » لاحاجة اليه . فاعلمه سبق قلم من النسخ أو المؤلف

فصل

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يقتدي بعضهم ببعض ، وكذا التابعون لهم ، - وفيهم المجتهدون - ولم ينزل عن احد من السلف رحمهم الله تعالى انه كان لا يرى الاقتداء بمن يخالف قوله في بعض المسائل ولو في خصوص الطهارة والصلاة ، بل نأى يقتدي بعضهم ببعض ، وربما اعتمد بعضهم ولاية بعض ، حتى ان الشافعي رضي الله عنه بحث في طلب قيس الامام أحمد بن حنبل من بغداد يستشفي به في مدة مرضه بفعله وشرب مائه - كما رأيت مثبتا في مناب أحمد رضي الله عنه - وقد روي ذلك بالعكس^(١) وكذلك كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يعامل بعضهم بعضاً ، كما يعلم ذلك من سيرهم واحوالهم

ولا يفت الى ما قد تمسك به من لا معرفة عنده بان الاختلاف بينهم لم يكن بينهم بهذه الصفة التي عليها المذاهب الآن ، لانا قد قررنا ان ذلك لا يمنع ، لأن الكل كانوا في طلب الحق على حد متساو ، واجتهاد كل واحد منهم يحتمل الخطأ كغيره بعد تسليم بلوغهم درجة الاجتهاد ، وان تفاوتوا فيه .

(١) في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي أن الشافعي أرسل الى أحمد كذا من مصر وهو بغداد مع الربيع يذكر له فيه ان أبي (ص) أمره ان يكتب اليه « إنك متمتع وتدعى الى الفول بخلاف القرآن فلا تجهم فيرفع الله لك علما الى يوم القيامة » وان أحمد أعطى الربيع قيصه بشارته ، وأن الشافعي قال للربيع لما عاد : ليس تفجعت به ولكن به وارفع الى الله لا تبرك به . فهذا أصل الحكاية وبعض الناس يتصرفون فيها . والسند الذي ذكره السبكي لا يصح ، ولكنهم يقبلون مثله في المناقب

فَإِنْ قُلْتُ : قد نقل الامام حافظ الدين النسفي صاحب الكنز والكافي في مصنفه عن المشايخ المتقدمين : انا اذا سئنا عما ذهبنا اليه في الفروع نجيب بأن مذهبنا اليه صواب يحتمل الخطأ ، وما ذهب اليه الغير خطأ يحتمل الصواب . انتهى بمعناه ، وان لم يكن بالنظر . وهذا يوجب امتناع المقلد من اتباع امام يرى مخالفة قول امامه انكونه خطأ ، وما قلد فيه صواب عنده .

قُلْنَا : المراد من هذا تخصيص (أن) مذهب اليه ائمتنا هو صواب عندهم مع احتمال الخطأ ، اذ كل مجتهد قد يصيب وقد يخطئ في نفس الامر . واما بالنظر الينا فهو مصيب في اجتهاده ، وهو معنى ما روي ان كل مجتهد مصيب ، فليس معناه ان الحق يتعدد .

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَدْ أَرَادَ الْكَلَامُ ^(١) أَنْ لَا يَجْتَهِدَ الْحَكَمُ ظَنًّا لَا قَطْعًا بِأَنْ اجْتَهِدَ غَيْرَهُ خَطِئًا . واما نفس المجتهد المخالف فهو مصيب في العمل باجتهاد نفسه لا يخطئ في ذلك ، وان كان محكوما بخطأ اجتهاده عند غيره ، لانه مأمور باجتهاد نفسه كما لا يخفى .

قال الامام نضر الاسلام علي بن محمد البزدوي في شرح الجامع الصغير في مسألة التجري بانقبة في اليلة المقامة : وهذا نص من اصحابنا على انهم لم يقولوا : كل مجتهد مصيب . خلافا للمعتزلة ، فان من نسب ذلك اليهم فقد تتول عليهم . هذا لفظ نضر الاسلام رحمة الله عليه .

قُلْتُ وقد ذهب بعضهم الى ان الحق يتمدد في المسئلة ، وهو ما أدى

(١) النار : كانت هذه الجملة الى الاربعة الاسطر موضوعة في الفصل السابق قبل قوله « وأما أنت » الخ ولا معنى لها هناك ولا مرجع لضميري يكون وأراد .

اليه اجتهاد كل مجتهد فيها ، فقد جعل الله تبارك وتعالى حكم المسئلة ما أدى اليه اجتهاد كل مجتهد . ولكن لا نقول به ، بل معناه انه مصيب في اجتهاده ثم العمل به ، والحق عند الله واحد ، ولكن لما ظهر اهم بالدليل حكم من الاحكام وجب عليهم اتباع الدليل ، ومن ضرورة وجوب الاتباع التصويب ، والا فالشرع لا يأمر باتباع الخطأ . ثم من ضرورة تصويب قواهم مخطئة قول مخالفهم مع احتمال الاصابة من مخالفهم ، لان المجتهد لم يحصل له الا الظن لا القطع بذلك ، ولهذا لو حكم بشيء من القطعيات في العقائد يجزم بالاصابة ومخطئة المخالف ، كما ذكره النسفي في تلك المسئلة في المصنف ايضا .

فَالْحَاصِلُ ان المراد من اثبتنا ومن اخذ بقولهم من اهل النظر - كمشايخ المذهب الكبار المتقدمين ، كالشيخ ابى الحسن الكرخي والامام ابى جعفر الطحاوي ، والمتأخرين مثل شمس الأئمة الحلواني وتلميذه السرخسي ونفر الاسلام البرزدي وامثالهم من النظائر في القرن الخامس ، والامام قاضي خان وخسرويه صاحب الهداية ، واضرابهما من اهل الانظار ذوي القدر الخطير في القرن السادس - لو سئلوا لكان جوابهم ما ذكره . ويرشد الى ذلك تعبيره بقوله « لو سئلنا » وقوله « عما ذهبنا » الى آخره . ولم يقل : لو سئل المقلد . فهذا الجواب مقدر من جانب الأئمة انفسهم فيما ذهبوا اليه ، وليس المراد ان يكلف كل مقلد ان يعتقد ذلك فيما قلده فيه ، اذ ذلك تقليد فيما لا يحتاج اليه ، وهو ممنوع ، كما افدتك من قبل ان التقليد انما يسوغ بقدر الضرورة ، وهو محتاج الى العمل ، فلا بد من التقليد في كيفية حصوله ، واما اعتقاد صحة ما قلده

فيه ولا يدري^(١) بطلان كل ما عداه فليس مكلفا .
فإن قلت : بل هو مكلف ، والألزم إذا التكليف مع اعتقاد
عدم صحتها .

قلت : لا يلزم ذلك إلا لو اعتقد عدم صحة ما قلده فيه ، ونحن لا نقول
به ، بل هو على الصواب ظاهرا حيث فعل ما عليه ، وهو الأخذ بقول
مجتهد ، وأما تخطئة من اخذ بخلاف قول مقلده فما هو مكلف بها .
وإذا تقرر هذا فلا يسوغ لحنفي أو شافعي وجد في المسجد اماما
على خلاف مذهبه إمدان كان من اهل السنة والجماعة ترك الاقتداء به ،
نظرا الى عدم صحة صلاته على مقتضى مذهب امامه^(٢) .

فصل

يؤيد ما ذكرته ما نقله التقي الشهني في شرح المختصر والشيخ
عثمان الزيلعي وصاحب البحر الرائق وغيرهم عن الامام الجليل أبي بكر
الرازي رحمه الله من صحة الاقتداء بامام رفق ولم يتوضأ ، وهذا يشمر
بالاكتفاء باعتقاد الامام نفسه في صحة صلاته ، ولا عبرة حينئذ بفسادها
في اعتقاد المقتدي ، كما اشار اليه النسفي ايضا ، وهذا القول هو المقصود
روايته وان اعتمد خلافه رواية عندنا . وهو الذي اميل اليه ، وعليه

(١) المنار : كذا في الاصل وامل في الكلام حذف والمراد ظاهر . أي : وأما
اعتقاد صحة ما قلده فيه ولا يدري مادليه ، وبطلان كل ما عداه فليس مما يكلفه .
{٢} تقيده بأهل السنة فيه بحث فقد أجازوا الاقتداء بالفاسق . ولو في الاعتقاد
كالبتدع ولكن مع الكراهة وهذا مما يحتاج به كونهم أهل الجماعة أي بجمعون كلمة
المسلمين ولا يفرقونها

يتمشى ما ذهبنا اليه في هذه الوريقات .

بل أزيد وأقول : والذي يقتضيه النظر — فيما ذهبنا اليه — لا ينبغي تخصيص عتيدة الامام بالاعتبار في الصحة ، بل يقول : يكفي حصول الصحة على قول مجتهد - واء في ذلك مطابقة عتيدة الامام والمأموم او غير مطابقة ، كمثل شافعي ممن فرجه وصلي ناسيا اماما واقتدى الحنفي بانشافعي ثم نسي ودخل في الصلاة ، والحنفي كان عالما به وهو ذاكر له ، فنقول : له ان يقتدي به لانه في حاله بدد المس ، وهو مترضى في اعتقاد الحنفي المقتدي فيكفي ذلك .

وقد قال المحقق في فتح القدير في مثل هذه الصورة : ان الأكثر على الصحة خلافاً للمندواني وغيره ، ففي هذه الصورة قد اعتبرنا اعتقاد الحنفي المقتدي ، واكتفينا بصحتها في عتيدته ، وصححنا الاقتداء ، كما انه في مسئلة اقتداء الحنفي بالامام الذي راعف ولم يتوضأ اكتفينا بصحتها في عتيدة الامام الراعي ، وصححنا الاقتداء به ، وهو الذي نقلوه عن الامام الرازي .

وقد ذكر الشيخ الامام المحقق كمال الدين بن الهمام في شرحه على الهداية عن شيخه الامام سراج الدين الشهير بقاري الهداية انه كان يعتقد قول ابي بكر الرازي ، وانه انكر مرة ان يكون فساد الصلاة بذلك مرويا عن المتقدمين انتهى .

ورأيت في رسالة لبعض الفضلاء ، ان بعض الفضلاء كانوا يرجحون قول ابي بكر الرازي بناء على قوة دليله ووضوح بيانه ، وهو ان شرط صحة صلاة المأموم صحة صلاة الامام في نفسها ، وصلاة كل

مكلف انما تصح في نفسها إماما ومأموما باعتبار رأيه ومذهبه، لا على مذهب الغير، إذ كل مجتهد مطاع في حكمه، وعجزى عن عمله الذي رآه ومثاب عليه، وإن لم يصب الحق، فالحنفي لا يجزم بفساد صلاة مجتهد خرج منه الدم وهو يرى أنه غير ناقض، وإن قطع بفسادها من حنفي ابتلي به - على رأيه - .
قوله : لا يجزم . وقوله : وإن قطع . لا يخفى أنه لا جزم ولا قطع في الظنيات ، فالصواب أن يقال : لا يحكم . أو لا يقول بفسادها . وكذا أن يقول : وإن حكم - أو - وإن قال بفسادها ، بدل قوله : وإن قطع . قال جامعها .
وإن قطع بفسادها من حنفي ابتلي به بناء على رأيه ومذهبه - إلى آخر ما ذكره مما تركت ذكره قصد الاختصار على ما هو المقصود منه .

وكذلك أيضاً أجاب عنه الشهني في شرح المختصر وغيره من المصنفين في مسألة صحة اقتداء مقلد أبي حنيفة في الوتر بمن يرى عدم وجوبه ، بأنه لا يجب عليه اعتقاد الوجوب . يدل أيضاً على ما ارشدتكم إليه من أن التقليد إنما هو بقدر الحاجة ، واعتقاد الوجوب في عمل لم يجمعوا على وجوبه لا يجب ، بل ربما لا يسوغ كما سيأتي قريباً . فلذلك نقول : المقلد محتاج إلى إيقاع ما كلف به بطريقة لا غير . فتنبه ! فقد نقل صاحب البحر الرائق - وهو خاتمة المتأخرين مولانا العلامة ابن نجيم رحمه الله تعالى في (البحر الرائق شرح كنز الدقائق) عن (شرح منية المصلي) أنه صرح بعض مشايخنا بأنه لا ينوي في الوتر أنه واجب للاختلاف في وجوبه ، ونقل هو أيضاً عن المحيط والبدائع أنه ينوي صلاة الوتر والعيد فقط ، انتهى . وهذا نص فيما اشرت إليه .

فصل

قد استفاض عند فضلاء العصر منع التلفيق في التقايد ، وذلك بأن يعمل - مثلاً - في بعض أعمال الطهارة والصلاة ، أو أحدهما بمذهب امام ، وفي بعض العبادات بمذهب امام آخر . ولم اجد على امتناع ذلك برهاناً ، بل قد اشار الى عدم منعه المحقق في التحرير ، وانه لم يرد ما يمنع ، ونقل منع التلفيق عن بعض المتأخرين . قال شارح تحريره العلامة ابن امير حاج : القائل بالمنع العلامة القرافي رحمه الله تعالى .

قلت : والقرافي رجل من فضلاء الأصوليين من المالكية ، ولا عايننا ان نأخذ بقوله ، خصوصاً وقد وجدت عن بعض أئمتنا ما يدل على جرازه ، بل على وقوده ، وهو ما نقل في البرازية ان من علماء خوارزم من اصحابنا من اختار عدم فساد الصلاة بالاطا في القراءة فيها أخذاً بمذهب الامام الشافعي رحمه الله . ف قيل له : مذهبك في غير الفاتحة ^(١) . فقال : اخترت من مذهبه الاطلاق ، وتركت القيد ^(٢) . لما تقرر في كلام محمد ^(٣) رحمه الله تعالى : ان المجتهد يتبع الدليل لا القائل . حتى صبح القضاء بصحة النكاح بعبارة النساء على الغائب ، انتهى . نقله عنهما العلامة خاتمة المتأخرين ابن نجيم في بعض رسائله في الوقف . فانظر كيف لفق اخذاً بمذهبه بأن الفاتحة ليست بركن فلا يضر نقصان بعضها

(١) أي ذلك مذهبه في غير الفاتحة (٢) سينقل المصنف قريباً قول الخوارزمي في هذا السياق « وتركه القيد في غير محله » - أي الشافعي - فهل هو عين هذه العبارة ووقعت هنا محرفة ؟ أم سقطت من الكلام هنا ؟ (٣) سيعيد العبارة بلفظ « من كلام محمد »

فما أخطأ فيه ، أعني خطأ فاحشاً كمن قال : أياك نعبد وأياك نستعين . نسبه
اللسان خطأ . فان الفاتحة نقصت كلمة نعبد فلم تجز صلاته على مذهب
الامام الشافعي رحمه الله ما لم يعد قراءة نعبد ، فاذا اعادها صحت صلاته
ولم تفسد عنده بهذا الخطأ ، لأن عنده الكلام الخطأ لا يفسد اذا كان قليلاً ،
وعندنا هو مفسد ، فاذا اعادها على الصحة لا يفيد لأن الصلاة قد فسدت .
هذا وقد قال بعدم الفساد عندنا بعض المشايخ ان اعادها على الصحة
كما نقله الزاهدي ، ولكن ظاهر ما في البرازية عن بعض علماء خوارزم
انه لا تفسد ولو لم يعد على الصحة ، وان اخذه بمذهب الشافعي في عدم
الفساد بالخطأ ، وهو عين التلويح .

فان قلت : ان ذلك البعض من علماء خوارزم لماله انما قال بذلك
اجتهاداً بدليل قوله : ان المجتهد يتبع الدليل لا القائل . قلت : يمنع من
ذلك قوله : اخذاً بمذهب الشافعي ، فان المتبادر من ذلك انه قلده في
ذلك . ومعنى قوله حينئذ : لما تقرر من كلام محمد - الى آخره - يعني
ان المجتهد كما يتبع ما دل عليه الدليل باجتهاد لا باتباع من قال بمثل ما اداه
اليه اجتهاده ، فكذلك المقلد انما يلزمه خصوص ما قلده فيه ، لا اتباع ذلك
المجتهد الذي قلده في جميع ما قال به ، وخصوص ما قلت فيه انما هو عدم
الفساد بالخطأ في القراءة مطلقاً ، سواء كان ذلك في الفاتحة او غيرها ،
وذلك هو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ورضي عنه وعن سائر الائمة
المجتهدين . وفساد الصلاة بوقوع الخطأ في الفاتحة عنده ليس لخصوص
كونه في الفاتحة ، بل لفوات بعض الفاتحة عنده في الصلاة ، ولهذا لو
أتى بما أخطأ فيه منها على الصحة فانه لا يقول بفساد صلاته حينئذ .

والخوارزمي لم يقلده في ركنية الفاتحة ، بل قلده في عدم الفساد بالخطا في القراءة - اعني الشافعي رحمه الله تعالى يقول باطلاقه ، وقول القائل «له مذهبه في غير الفاتحة» غير صحيح ، - كما تقدم بيانه - وكذلك قول الخوارزمي له ، وتركه القيد واقع في غير محله ، لانه لم يقيده الشافعي بغير الفاتحة ، بل خرج ذلك من الخوارزمي لامساكلة في الجواب لمن نسب اليه القيد ، اي الى الشافعي ، وذلك إما جهل من ذلك القائل بمذهب الشافعي ، او توسع في العبارة وتسامح ، لانه لما كان الشافعي يقول بالفساد بوقوع الخطا في الفاتحة اذا لم يعد على الصحة ، فكان غير الفاتحة صار كالقيد لا طلاق الجواز ، وليس قييدا حقيقة - كما بينته في اول الكلام فافهم - .
والحاصل انه لم يثبت من كل وجه كون الخوارزمي قال بذلك الاجتهاد ، ولو فرضنا ثبوت ذلك فما ضرنا ذلك فيما قصدنا اليه من جواز التلقيق ، فكما انه لو حصل التلقيق بالاجتهاد حكمنا بالصحة ، فكذلك اذا حصل التلقيق بالتقليد حكمنا بالصحة ، لان الاجتهاد اصل في العمل والتقليد فرع . التكليف في الاصل انما هو بالاجتهاد عند عدم النص ، فان عجز عن ذلك الاجتهاد نزل الى التقليد ، فني كل موضع قلنا بالصحة مع الاجتهاد نقول بها مع التقليد عند العجز عنه من غير زيادة امر آخر ، وما زاد على ذلك فهو قول مخترع لا يقوم به دليل مرضي ، ولا تنهض به حجة .

وما يزعمه من منم التلقيق من ان كلام المجتهدين اللذين قلدهما - مثلا - يقول بطلان صلاته الملققة - مثلا - او سئل عنها بانفرادها ، فغالطة مدفوعة بما لا يسع هذا المحل بيانه .

واجمال ذلك انه انما يقول له : انها باطلة ان كنت اخذت في ذلك الامر الذي حكمت اذا بطلانه من اجله بمذهبي . واما ان كنت قلدت فيه غيري فلا احكم بطلانها حينئذ في حقتك ان كنت متمسكا بقول مجتهد . وكذلك يقول له الآخر والآخر والآخر ، فبطل اطلاق قولهم : يمنع التلقيق بان كلام المجتهدين حاكم ببطلان صلاته مثلاً ، بل يقيد الحكم منه بطلانها بما اذا كان متمسكا فيها بمذهبه فيما يرى ذلك المجتهد بطلانها بسبب فعله او تركه ، لا ان قلده غيره فيه ، فافهم ما فيه ، فتدفع تلك المغالطة التي حكم من حكم بمنع التلقيق بسببها . فان ايدت وقلت : لا بل المجتهد يطلق القول ببطلانها على رأيه . فنقول : لا يليق هذا الابطال بما اذا قلده مجتهدا غيره في ذلك الامر الذي ابطالها بسببه ، كما لا يليق ابطاله بنقض قول ذلك المجتهد المصحيح لها مع وجود ذلك الامر الذي ابطالها بسببه ذلك المجتهد الآخر ، فسلمت له صلاته - اي المقلد - بتقليده لها كل امر من امورها مجتهدا يرى صحة ذلك ، فصار حكم المجتهد المبطل في مصروفه عنه بتقليده من يرى الصحة بذلك الامر ، وبذلك ينصرف عنه حكم كل المجتهدين ، ويبطلانها بيان قول المانع فيما اذا قلده المكلف ابا حنيفة رضي الله عنه في ان المس غير ناقض مثلاً ، وقلد الشافعي رحمه الله تعالى في الاكتفاء بمسح بعض شعرات من الرأس لا تبلغ الربع ، او مقدار ثلاثة اصابع باعتبار الرواية الاخرى في مذهب ابي حنيفة رحمة الله عليه في المقدار المفروض في مسح الرأس ، فان المانع يقول : ان ابا حنيفة والشافعي حاكمان ببطلان صلاته ، فابو حنيفة لقعد مسح المقدار المفروض عنده ، والشافعي لوجود المس ، فهي غير جائزة عندهما .

اقول : وجوابه ما بيناه بأن هذه مغالطة ، وإطلاق في محل تقييد ، بل الحكم بطلانها عند كل منها مقيد بما اذا كان آخذاً في ذلك الامر الذي حكم من حكم بطلانها بسببه بمذهب المبطل - كما تقدم بيانه قريباً - فافهم والله اعلم بالصواب .

الاهم لو ذهب مجتهد الى ان المفروض من الرأس في المسح مقدار ما قال به الشافعي ، والى ان المس غير ناقض ، والى ان الدلك والمواالة في الوضوء لا يلزمان ، لم يسوغ ايمان له حينئذ اجتهاده ؟ (١) فكذلك عليه ان يسوغ للمقلد تقليده في كل واحد من المذكورات لمجتهد قال بذلك . كما لا يخفى ، فان تأبى متأبٍ عن تلقي هذا البيان بالقبول بمد صحة ووضوحه فافرحه بما تقدم قريباً من عدم لحوق الإبطال من المجتهد بالمقلد لغيره فيما أبطله بسببه ، وان صادف حكمه عنه بذلك .

ثم رجع ونقول : وكذلك مسألة النكاح . فانه لا يصح بعبارة النساء على الغائب ، وعندنا الحكم بالعكس في المسألتين ، فاذا حكم بصحته بعد وقوعه بعبارة النساء على الغائب فقد لفق ، ومع هذا فتدحكوا بصحة هذا الحكم الملتق من المذهبيين . وكذلك مسألة الامام أبي يوسف رحمه الله تعالى لما صلى بالناس الجمعة فاخبر بوجود فأرة في ماء الحمام الذي كان اغتسل منه للجمعة . فقال : نأخذ بقول اخواننا من اهل المدينة « اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً » قال في المحيط البرهاني والفتاوي الظهيرية

(١) قوله لم يسوغ الخ جواب لو . ومعنى النفي باطل لأن مانع التلبيق لا يمنع المجتهد من القول بهذه المسائل ، ولا يصح النفي الا اذا جعلت الجملة الاستفهام ولا تبعد على المصنف لضعفه في العربية ، والا فالعبارة محرفة

وغيرها من كتاب النكاح مستشهدا بها في مسألة من مسائل النكاح
سيأتي ذكرها : للحنفي ان يعمل فيها بنير مذهبه .

اقول : فهذا ابو يوسف رحمه الله امام المذهب وكبيره المجتهد
الكامل قد قلده عند الضرورة ولم يكن ذلك مذهبا له ، بل مذهبه تنجس الماء
القاليل وان لم يتغير بوقوع ما ينجسه فيه ، ولا شك ان الظاهر انه فعل
الطهارة وصلى الصلاة على مقتضى مذهبه وانما قلده في خصوص الماء فقد
حصل التاميق منه ، وهو اوفى حجة لنا ، ويستفاد منه ايضا انه يقلد اذا
احتاج ، اذ هو الظاهر من فعله هنا ، وان كان نقل في جواهر الخاوي
عن الخاوي من كتبنا : ان ابا يوسف رحمه الله بقي على هذا المذهب ستة
اشهر ، ثم رجع الى مذهب ابي حنيفة رحمه الله تعالى في المسئلة . فانه يحتمل
انه ظهر له بالدليل بعد التقليد صحة ما ذهب اليه غيره ممن قلده في المسئلة
خصوصا ، ولعل نقل المحيط والظهيرية « ولم يكن ذلك مذهبا له بل
يدل على وقوعه تنليدا »

وهذه المسئلة وهي : هل للمجتهد ان يقلد مجتهدا في مسألة فيها
خلاف ؟ المشهور انه ليس له ذلك ، وروى عن الامام محمد رحمه الله
جواز تقليد العالم الا علم ، والفقيه للافته ، وفرع ابي يوسف هذا بوافقه .
ثم رأيت في أصول الامام شمس الأئمة ابي بكر بن محمد بن احمد بن ابي
سهل السرخسي رحمه الله تعالى — وهو صاحب — المبسوط ما نصه :
على اصل ابي حنيفة رحمه الله تعالى — اذا كان عند مجتهد ان من يخالفه
في الرأي اعلم بطريق الاجتهاد فانه مقدم عليه في العلم فانه يدع رأيه لرأي
من عرف زيادة قوة في اجتهاده — الى ان قال — : وعلى قول ابي

يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى « لا يدع المجتهد في زماننا رأيه لرأي من هو مقدم عليه في الاجتهاد من اهل عصره » الى آخر ما ذكره . فافاد عن محمد خلاف ما رأته عنه ، فاعل ان له في المسئلة روايتين ، ونقل صاحب الفتاوى الصيرفية عن فوائد تجنيس الملتقط : اشترى الامام الشافعي رحمه الله تعالى الباقلاء من منادى السمك ، فاكل واكلوا وصلوا بعد ما حاق وعلى ثوبه شمر كثير ، فقبل له في ذلك ، فقال : حين ابتلينا انحططنا الى مذهب اهل العراق . وهو يفهم بظاهره انه قلد في ذلك .

فقد تلخص من المنقول عن الأئمة ان التلقيق ^(١) من مسأتي ابي يوسف وبعض علماء خوارزم ، ومسئلة صحة الحكم على الغائب بصحة النكاح بعد وقوعه - كما سبق في المسئلة التي ذكروها - واستثناسي بمقالة المحقق في التحرير ، وما على الانسان ان يختار الاسهل في العمل . ثم وجدت شيخ الاسلام خاتمة الأئمة المتأخرين مولانا العلامة زين الدين ابن نجيم صرح في رسالة الفها في بيع الوقف على وجه الاستبدال - بان ما وقع في آخر التحرير من منم التلقيق فانما عزاه الى بعض المتأخرين وليس هذا المذهب . انتهى . فحمدت الله تبارك وتعالى على موافقة ما ادعيت له لما نص عليه مولانا العلامة ابن نجيم .

(للرسالة بقية)

{١} كذا والمعنى مأخوذ من مسأتي ابي يوسف الخ

الصهيونية

(تنقل هذا الفصل من جزء نوفمبر سنة ١٩١٣ لمجلة الهلال المفيدة لاطلاع من لم يطلع عليه من قرائنا في هذه الايام التي كثر فيها الخوض في هذه المسألة)

تاريخها وأعمالها

الصهيونية دعوة اجتماعية سياسية انتشرت في الامة الاسرائيلية باواخر القرن الماضي وكثر تحدث الناس فيها بالاعوام الاخيرة . وقد همنا امرها على الخصوص في اثناء رحلتنا بفلسطين . ولا بد لنا في بحثنا عن احوال تلك البلاد الاجتماعية والاقتصادية من الاشارة الى هذه الدعوة وتأثيرها الشديد في تلك الاحوال . فرأينا ان نأتي على خلاصة تاريخها وحقيقة غرضها لزيادة الايضاح فنقول .

موضوعها

قد تقدم في كلامنا عن تاريخ فلسطين في الهلال الماضي كيف نشأت اليهود في انحاء العالم بعد ان جاهدوا في الدفاع عن اورشليم دفاع الاسود . وقد مضى عليهم في هذه الهجرة نحو ١٩ قرنا وهم يندبون وطنهم ودولتهم وهياكلهم . ولا سيما هيكل سليمان الباقية آثاره في القدس الى الآن كما سنبينه مصورا في رحلتنا . وقد حاولوا استرداد ذلك الوطن عبثا ونظموا الاشعار في رثائه . ولا يزالون الى اليوم يكون ذلك المجد الذاهب كل اسبوع عند احجار يعتقدون انها من بقايا هيكل سليمان وقد حاول اليهود المهاجرون السعي في استرجاع ذلك الوطن غير مرة باساليب مختلفة آخرها الحركة الصهيونية التي نحن في صددنا

ولا بد لكل دعوة اجتماعية او سياسية من غرض ترمي اليه وغرض الصهيونية « جمع الشعب الاسرائيلي في فلسطين وجعلها وطنا خاصا به » وهي مبنية من الوجهة الدينية على آيات جاءت في سفر ارميا الفصل ٣٠ عدد ١٠ حيث يقول « لا تخف يا عبدي يعقوب يقول الرب ولا تفزع يا اسرائيل فاني اخلصك من الغربة وذريتك من ارض جلاهم فيرجع يعقوب ويستقر في الراحة والخصب ولا يرعبه احد » وفي حزقيال (ص ٣٩ عدد ٢٨) « فيعلمون اني انا الرب الههم باجلائي اياهم الى الامم ثم جمعي

اياهم الى ارضهم بحيث لا أبقي هناك منهم احداً من بعد » وفي عاموس قول صريح (ص ١٤:٩) « واردة شعبي اسرائيل فيبنون المدن الخربة ويسكنونها ويفرسون كروما يشربون من خمرها وينشئون جنات يأكلون من ثمرها واغرسهم على ارضهم فلا يقتلون فيما بعد من ارضهم التي اعطيها لهم »

وهناك نبوات أخرى بهذا المعنى او نحوه في زكريا واسميا وميخا وغيرها . في ما عندهم من الاعتقاد بالمسيح الذي سيأتي ويجمع بني اسرائيل حوله . ويزحف على القدس ويميد العبادة للهياكل وغير ذلك مما جاء في التلمود

على ان هذه الاقوال وامثالها لا تكفي لاجماع الامة على العمل بها ان لم يتوقع اصحابها نقما اقتصاديا او سياسيا من ورائها او ان يدفعهم للعمل جوع او اضطهاد او ظلم . وكم من اعتقاد يعتقد القاس ولا يجتمعون للعمل به لمجزهم عن ذلك او لعدم الاضطراب اليه ؟ وانما يجتمعون للعمل في ما يرون لهم فيه مصلحة حقيقية . ويتذرعون الى الاجتماع غالبا باسباب دينية يتوكلون عليها ويؤولونها الى ما يساعدهم على ذلك القيام ولا بد في مثل هذه الحال من محرك يبعث على النهوض . وقد بعث اليهود على هذه الحركة اراكان : الاول تمكن الروح المالية من نفوسهم على اثر الارتقاء الاجتماعي والعلمي في العالم المتقدم . فان شيوع الحرية الشخصية ولد في نفوس الامة عصبية عنصرية غلبت على الجامعات الاخرى . وبهذه العصبية يطلب الحرج التخلص من النساء ويحاول البلقانيون الخروج من سلطة تركيا . والبلقانيون انفسهم يتحدون الآن باسم النصرانية مع انهم من مذهب واحد واقليم واحد . والامر الثاني مبالغة الامة النصرانية في امتنان اليهود باسم الانتسيميزم (Antisemitism) ومعنى اللفظة « مقاومة الساميين » لكنهم يريدون بهم اليهود خاصة . قال ذلك طبعا الى اجتماع كلمة اليهود باوربا وفيهم طائفة حسنة من اصحاب الاموال ورجال السياسة والعلم واهل الهمة والنشاط فاخذوا يبحثون في الدفاع عن امهم . وآنسوا في انفسهم المقدرة على العمل بتلك الآيات فوجهوا عنايتهم اليها ، فاخذ كتابهم يحرضون قومهم على الاستعمار في فلسطين لتخلص من اضطهاد الامة لهم . وقال بعضهم « اذا لم يكن ابتياح فلسطين يمكننا فلتطلب وطننا في مكان آخر على وجه هذه البسيطة »

ونشط آخرون لاستنصار الجمعيات الخيرية الاسرائيلية كجمعية الاتحاد الاسرائيلي على القيام بهذا العمل سنة ١٨٦٣ ولكن هذه الجمعية غرضها الرئيسي تهذيب الشبيبة اليهودية . وحاول غيرهم استنهاض جمعية اليهود الانكليزية في لندن وجميعهم في برلين فترتب

على ذلك تأسيس الجمعية العمومية الفلسطينية وجمعية الاستعمار الفلسطيني . لكن الدعوة لم تكن نضجت بعد فلم تأت هذه المساعي ثمرة . فوجهوا التفاتهم الى وادي الفرات لعله يصح ان يكون مهجرا لهم . وبذل السياسي اولفانت الانكليزي جهده في نيل امتياز خط حديدي في ذلك الوادي ليسكن فيه مهاجري اليهود من روسيا . واقترح انشاء مهجر يهودي في فلسطين بنواحي الساط على ان تتألف جمعية رأس مالها عشرة ملايين فرنك تباع مليون فدان يستثمرها يهود بولندا ورومانيا والاناطول . فلم يأذن لهم السلطان - وقس على ذلك سائر مساعيهم في هذا السبيل

لكن روح الصهيونية اخذت تتمكن من قلوب اليهود . وهم يزدادون تمسكا بالعضوية كلما زاد مقاومتهم شدة . فكثرت الجمعيات التي تألفت لهذه الغاية . واول جمعية افلحت في استثمار ارض فلسطينية نشأت سنة ١٨٧٩ ولما التأم المؤتمر الاسرائيلي سنة ١٨٨٤ للنظر في احوال المستعمرين والاخذ بناصرهم حضروا مندوبون عن خمسين جمعية فازداد القوم نشاطا وبلغت الحركة اشدها سنة ١٨٩٤ واوشكوا ان ينفخوا غايتهم لكن العثمانيين انتبهوا لانغراضهم فخالوا بينهم وبين ما يريدون . ولم يستقر عملهم على قواعد متينة الا بعد ظهور الدكتور تيودور هرتسل صاحب الدعوة الصهيونية

وهو رجل نمساوي شديد الفيرة على العنصر الاسرائيلي عالي الهمة قوي الحجة كتب وهو في باريس سنة ١٨٩٥ كتابا في استعمار اليهود سماء « الوطن الاسرائيلي » لم يزعم انه يستنهض به الهمم او يستثير المزاج بل قال انه كتبه لنفسه ولا يقف بعض اصدقائه على آرائه . ولكن الكتاب مالبث ان طبع في فينا بالنمساوية حتى نقل الى الفرنسية والانكليزية والعبرانية واعيد طبعه مرارا وراج رواجا عظيما . وحرك الهمم فوق ما كان يتوقع الناس منه . وقد عارضه كثيرون لكن المجاري الاجتماعية اقتضت ظهور ثمره لان فكرة استعمار اليهود لفلسطين كانت قد نضجت واستعدت لها الاذهان وناقت اليها النفوس

وخلاصة آراء هرتسل في ذلك الكتاب « ان اعداء الساميين آخذون في الازدياد ولا يستطيع اليهود مقاومتهم لتشتت شملهم في الارض فهم في حاجة الى الاجتماع في وطن خاص بهم » فاقترح انشاء شركة يهودية اقتصادية رأس مالها ١٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه مركزها لندن . وان تتألف جمعية سياسية يهودية تدبر اعمال هذه الشركة وتشير عليها بما ينبغي عمله . واقترح للقيام بذلك ابيعاع فلسطين او الارجتين على ان

فبشر عبادي الذين يستمعون للقول فيلبون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(ج) ما ذكره البرماوي ليس بسنة ، ولم يرد فيه حديث يثبت السنية ولا الاستحباب ، بل لم يرد في التلقين حديث صحيح ولا حسن ، وإنما ورد فيه حديث واحد ضعيف لم يخرج أصحاب الصحاح ولا السنن ، بل رواه الضعاف والمناكير والموضوعات وغيرها لأجل تدوينها ، على أن الاعتماد في مسألة الاحتجاج على أسانيدنا ومتونها ، وقد اختلفت ألقاظهم فيه بمض الاختلاف ، وهو حديث أبي أمامة رضي الله عنه . رواه ابن عساکر وابن النجار والطبراني والديلمي ، وهاك رواياتهم مرموزا فيها اليهم ، من سنن الأقوال ، من كنز العمال ، وهي ثلاث :

١- «إذا مات الرجل فدفنتموه فليقم أحدكم عند رأسه فليقل : يا فلان ابن فلانة ! فإنه سبسمع ، فليقل يا فلان ابن فلانة ! فإنه سيستوي قاعدا ، فليقل يا فلان ابن فلانة ! فإنه سيقول له أرشدني رحمك الله ، فليقل : اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وإن الساعة آتية لا ريب فيها ، وإن الله يبعث من في القبور . وإن منكرا ونكير عند ذلك كل واحد يأخذ بيد صاحبه ويقول : قم ما تصنع عند رجل لقن حجته ؟ فيكون الله حجيجهما دونه (كر عن أبي أمامة)

٢- «إذا مات أحد من اخوانكم فثرّم عليه التراب فليقم رجل منكم عند رأسه ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع ولكن لا يحيب . ثم ليقل يا فلان ابن فلانة ، فإنه يستوي جالسا ، ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فإنه يقول أرشدنا رحمك الله ، ولكن لا تشعرون . ثم ليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا - شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وإنك رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً . فإنه إذا فعل ذلك أخذ منكرا ونكير أحدهما بيد صاحبه ثم يقول له : اخرج بنا من عند هذا ، ما تصنع به فقد لقن حجته ؟ ولكن الله عز وجل حجته دونهم . قال رجل يارسول الله فإن لم أعرف أمه ؟ قال انسبه إلى حواء (طب . كر الديلمي . عن أبي أمامة)

٣- «يا أبا أمامة : ألا ادلكم على كلمات هي خير للميت من الدنيا وما فيها وما غابت عليه الشمس وطالت ؟ إذا مات أخوك المؤمن وفرغتم من دفنه فليقم أحدكم عند قبره ثم ليقل يا فلان ابن فلانة ! والذي نفس محمد بيده أنه ليستوي قاعدا ، ثم ليقل يا فلان ابن فلانة : فيقول أرشدني إلى ما عندك يرحمك الله (١) فليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا . شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وقد كنت رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبيا ، فيقوم منكرا فيأخذ بيد نكير فيقول قم بنا ما يقدمنا عند

(١) لمن يذكر النداء في هذه الرواية الأمرتين ، ولعله الألف من النسخ

هذا وقد اقر حجته ؟ ويكون الله حبيبيهما دونه . قيل : ان كنت لا احفظ اسم أمه ؟ قال فانسبه الى حواء (ابن التجار عن أبي امامة)

واورده في سنن الافعال معزوا الى ابن عساكر بهذا اللفظ : عن سعيد الأموي قال شهدت أبا امامة وهو في التزع فقال لي : يا سعيد اذا أتت قافلوا بي كما أصرنا رسول الله (ص) قال لنا رسول الله (ص) « اذا مات احد من إخوانكم فسيوئهم عليه التراب » الخ ما تقدم

فانت ترى أنه ليس في شيء من ألفاظ هذا الحديث شيء من تلك الآيات ، ولا تلك السجعات ، ولهذا سكت بعض الفقهاء عن مسألة التلقين وقال بعضهم باستحبابه بناء على تساهلهم في العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ، وقد أدخل هذا التساهل بدعا كثيرة في الاسلام ، كما حققه الامام الشاطبي في الاعتصام ، وحسبك منه ما تنقله عنه في هذه الايام ، من اثبات بدعية الدعاء بعد الصلاة من الجماعة مع الامام . حتى الادعية والاذكار المأثورة عنه عليه الصلاة والسلام ، فان ما ثبت عمله على الافراد ، لا يجوز فيه التزام الاجتماع ، والمدققون من الفقهاء لم يزيدوا على ما ورد في حديث أبي امامة

قال النووي : هذا التلقين استحبه جماعات من اصحابنا منهم القاضي حسين وصاحب التمه والشيخ نهر المقدسي في كتابه التهذيب وغيرهم . ونقله القاضي حسين عن الاصحاب مطلقا . والحديث الوارد فيه ضعيف ولكن احاديث الفضائل يتسامح فيها عند أهل العلم من المحدثين وغيرهم . وقد اعترض هذا الحديث بشواهد من الاحاديث الصحيحة كحديث « اسألوا الله له النشيت » ووصية عمرو بن العاصي اه المراد منه أقول أن حديث الدعاء للميت بالثبوت لا يعارض شرعية التلقين التي يراد بها منع السؤال الذي ثبت الدعاء بالثبوت لاجله ورجاء السداد فيه ، ولو كان التلقين يحول دون السؤال لكان تلقينه خيرا من الدعاء له . وكذلك وصية عمرو لا تعضده ، فانه أوصى بان يقيموا عند قبره قدر ما ينحر جزور ويفرق اللحم ، لاجل أن يستأنس بهم ، يعني ان روحه تشمر بوجودهم فتستأنس بهم في ذلك الوقت الذي هو أول العهد بذلك العالم وحيث يتمتعن الداخل فيه . فمسائل التشريع لا تبني على مثل هذا . وانت ترى فيما نقله الشاطبي عن الامام مالك اصلا راسخا من أصول الشريعة وهو ان ما تركه النبي (ص) والصحابة (رض) مع وجود سببه وداعيته فتركهم لياه لإجماع علي انه غير مشروع ولا جائز في الدين - أي في العبادات دون المعادات -

وقد ذهب بعضهم الى تقوية الحديث بعمل أهل الشام به من العصر الاول في زمن من يقتدى به . قال في شرح الاقناع من كتب الخبابة بعد ذكر المتن استحباب الاكثر للتلقين وذكر الحديث وضمفه ما نصه : وقال الاثرم قلت لابي عبد الله (أي الامام أحمد) هذا الذي يصنعون اذا دفن الميت يقف الرجل ويقول : يا فلان ابن فلانة اذكر ما فارقت عليه شهادة أن لا إله الا الله - فقال ما رأيت احدا نقل هذا الا أهل الشام حين مات أبو المنيرة ، جاء إنسان فقال ذاك . وكان أبو المنيرة يروي فيه عن أبي بكر بن مريم عن اشياخهم أنهم كانوا يفعلونه اهـ

أقول أبو بكر بن أبي مريم ضعيف وقد احتاط عقابه . وأما أبو المنيرة فهو عبد القدوس بن الحجاج الحمصي روى عنه أحمد والبخاري في غير الصحيح وأصحاب السنن وهو ثقة وقال النسائي لا بأس به وقد ذكر التلقين أبو عبد الله ابن القيم في سياق الاستدلال على سماع الموتى بعد الدفن . قال وقد سئل عنه الامام أحمد فاستحسنه واحتج عليه بالعمل . ويروي فيه حديث ضعيف ذكره الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة . - فذكر الحديث وقواه باتصال العمل به في سائر الامصار والاعصار من غير انكار . ثم ذكر حكايات مناسبة لمعنى التلقين

أقول لو أن ابن القيم رحمه الله تعالى اراد تحقيق هذه المسألة في حد ذاتها لكتب غير هذا ، ولكنه أوردتها في سياق يريد تقويته بسرد الدلائل الكثيرة كمادته فجاء كلامه فيه موضعا للنظر والنقد . فاما جواب الامام أحمد عنه للأثرم فلا يدل على استحسانه ولا على تقويته بالعمل به ، اذ لم ينقل العمل به الا عن أهل الشام من رواية أبي بكر بن أبي مريم وهو ضعيف ، فيدل لفظ الامام أحمد على ان التلقين في عصره من القرن الثالث لم يكن معروف الا عن أهل الشام ، فسقط بهذا قول ابن القيم باتصال العمل به في سائر الامصار والاعصار والحق أن العمل لا يمد حجة الا اذا كان مستفيضا عن أهل الصدر الاول من الصحابة والتابعين فما حدث بعد ذلك فلا قيمة لشيوعه وكثرة العمل به ، فكم من بدعة عمت الاقطار والامصار ، يقيم الحجج على بطلانها وقبحها مثل ابن القيم واستاذه ابن تيمية من انصار السنة . وجملة القول ان التلقين لم يثبت بكتاب الله ولا بسنة رسوله ولا قال احد من المحققين انه سنة ، بل قال بعض الفقهاء باستحبابه لاتساعه في العمل بالحديث الضعيف والاستئناس له بما يناسبه . والبرماوي ليس قدوة ، وكم في كتب أمثاله وكتب من هم اعلم منه من البدع ، فلا ينبغي لاحد ان يثق الا بما يصرح المحققون بثبوت نقله عن النبي وجمهور السلف ، دون ما يذكرون غفلا

فصل^{*)}

وكذلك مسألة التحرير ايضا - وهي التي عبر عنها بعضهم بقوله :
 « لا تقليد بعد العمل » - فيها نظر . وهو ان هذه العبارة لها معنيان (احدهما)
 انه اذا عمل وصادف الصحة على مذهب امام ولم يكن عالما بذلك ، والحال
 انه على مقتضى مذهبه بطل ذلك العمل ، فهل له ان يقول : اخذت بمذهب
 من يرى صحة ذلك ، ام لا ؟ فعلى ما ذكر ليس له ذلك على تقدير تفسير
 العبارة بهذا المعنى . اقول : وفرع ابو يوسف المنقول في مسألة الفأرة
 يرده ، اذ هو عين التقليد بعد انتهاء العمل ، وهو الذي اذهب اليه واقول
 به ، بل قد اختار عالم قطر اليمن في زمانه الامام العلامة الفقيه عبد الرحمن
 ابن زياد الشافعي في فتاويه - ان العامي اذا وافق فعله مذهب امام من
 الأئمة الذين يجوز تقليدهم صح وان لم يقلده ، توسعة على المباد ، واختلاف
 الأئمة رحمة . وقال المحقق ابن حجر : لا يكون صحيحاً الا ان قلد ذلك
 القائل بالصحة ، لأن تقليده لامام من الأئمة المذكورين التزم متابعتة في
 الاحكام كلها ، فلا يجزئ في خلاف ذلك الا بتقليد صحيح .

وقد ذكر بعض أولياء الله تعالى الصالحين انه كشف له ان الله
 لا يعذب من عمل في المسئلة بقول امام مجتهد من الذين يجوز تقليدهم ،
 وهم الآن الأئمة الاربعة المدونة مذاهبهم ، والمحرة اصول وفروع
 مسائلهم ، أما المجتهدون السابقون فلا ، للجهل بضوابط الاحكام عندهم ،

(*) تابع لما نشر في ص ٣٦٨ ج ٥

١٨٤ انتقال العامي من مذهب الى غيره واوبعض المسائل (المنار-ج ٦ ص ١٧٢)

لفقد التدوين، لتطاول السنين. كذا رأيت ما حكته في بعض المجاميع.

قلت: وفي تخصيص الأئمة الأربعة كلام لا يسع في هذا المحل بيانه
ثم رأيت في البحر الرائق شرح الكنز للعلامة ابن نجيم في باب
قضاء الفوائت عند قوله: ويسقط بضيق الوقت والنسيان، ما نضه:
وان كان عاميا ليس له مذهب معين فذهبه فتوى مفتية - كما صرحوا
به - فان أفتاه حنفي أعاد العصر والمغرب، وان أفتاه شافعي فلا يعدها
ولا عبرة برأيه، وان لم يستفت أحدا وصادف الصحة على مذهب مجتهد
أجزأه، ولا إعادة عليه إنتهى. وهذا موافق لما اختاره عالم قطر اليمن
في زمانه وفقهه العلامة عبد الرحمن بن زياد الشافعي رحمه الله تعالى.

والمعنى الثاني انه ليس للانسان اذا عمل في مسألة بمذهب ان يعمل
بخلافه فيها ثانيا، وهذا أيضا مدفوع من وجوه (الاول) انه لم يقم عليه
دليل الا لزوم صورة التلاعب، وذلك لا يلزم الا لو قصد به ذلك، أو
دلت عليه قرائن احوال، أو مكلف ضاق به الحال فالتجأ الى الاخذ في
واقعة كان عمل فيها مرة بقول امام فوقعت له مرة ثانية، فاراد الأخذ
فيها في المرة الثانية بقول امام آخر، لدفع ضرورة ألتجأه الى ذلك
- والغرض صحيح - فلا ينسب الى التلاعب، وقد صرح وثبت عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه انه رجع عن قوله في مسألة كان حكم فيها بحكم،
ثم تكررت فتبدل نظره فيها فحكم بخلافه، وقال: تلك على ما قضينا
وهذه على ما نقضي.

فان قلت: انه مجتهد وهذا حال المجتهد انه يجب عليه الرجوع الى
ما سنع له من الدليل بخلاف المقلد. قلت: مهلا يا اخي، فان المقلد لم

(المدار - ج ١٧م) التقليد الباطل بعد العمل - ما تقضى ذلك العمل ٤١٩

يظهر له بالدليل صحة ما قلده فيه أولا كما ظهر للمجتهد ، وهنا مجتهد آخر قائل بخلافه فهو احرى بتجاوز الانتقال له .

ثم ظهر لي بعد مدة من تسطيري هذه الاسطر ظهوراً بينا منكشفا لا ريب فيه - ان مرادهم من قولهم : لا تقليد بعد العمل . انه اذا عمل مرة في مسألة بمذهب في طلاق أو عتاق أو غيرها واعتقده وأمضاه ، ففارق الزوجة مثلاً واجتنبها وعاملها معاملة من حرمت عليه ، واعتقد اليئونة بينه وبينها بما جرى منه من اللفظ مثلاً ، فليس له ان يرجع عن ذلك ويبطل ما أمضاه ويعود اليها بتقليده ثانياً اماماً غير الامام الاول الذي قلده فيها ، حيث كان الثاني يرى خلاف ما رآه الامام الاول ، فهذا معنى قولهم « ليس له التقليد بعد العمل ولا يرجع عما قلده فيه وعمل به » ونحو ذلك من العبارات ، فاما اذا وقعت تلك الواقعة مرة ثانية مع امرأة اخرى أو مع زوجها بنكاح جديد ، فله الاخذ بقول امام آخر ، ولا مانع منه - كما سيأتي قريباً -

على انه قد نقل العلامة ابن امير الحاج الحلبي الحنفي تلميذ المحقق ابن الهمام عن الزركشي من أئمة الشافعية في شرح التحرير - ان في كلام بعض الأئمة ما يقتضي جريان الخلاف في جواز التقليد بعد العمل أيضاً وان منعه ليس باتفاق فاعلمه . وقد نقل صاحب الفتاوى الصرفية عن الظهيرية والنسفية والنصاب - واللفظ من الظهيرية - انه سئل شيخ الاسلام عطاء بن حمزة السندي ، عن الصغيرة اذا زوجها ابوها من صغير وقبل ابوه وكبر الصغير وبينهما غيبة منقطعة وقد كان التزويج بشهادة الفسقة : فهل يجوز للقاضي ان يبعث الى شافعي المذهب ليبطل

هذا النكاح بينهما بهذا السبب ؟ قال : نعم . وللحنفي أن يفعل ذلك بنفسه أيضاً اخذاً بمذهب الخصم ، وإن لم يكن ذلك مذهبه . انتهى .
ثم أورد في المحيط والظهيرية مسألة أبي يوسف في الفأرة عقبها مستشهداً فاعلم ذلك . وكذا مولانا خاتمة المتأخرين العلامة ابن نجيم رحمه الله في البحر الرائق في مسألة اليمين المضافة عن البرازية عن أصحابنا أنه لو استفتى فقيها عدلاً فافق ببطلان اليمين : هل له العمل بفتواه وأمساكها؟ وروى أوسع من هذا وهو أنه لو افتاه مفت بالحل ، ثم افتاه آخر بالحرمة بعد ما عمل بفتوى الأول ، فإنه يعمل بفتوى الثاني في حق امرأة أخرى لا في حق الأولى ، أي في هذه المرأة التي مضت - كما نبهتك عليه قريباً - وانظره فقد صرح بجواز العمل بخلاف ما عمل للعامي ، وإنما منع من أن يفتي به المفتي لئلا ينسب إلى الغرض والتشهي والتلاعب ، ولئلا ينسب العلماء إلى التناقض من جهة العوام ، فافهم ^(١) . هذا ما قام عندي في وجه ذلك ، ورأيت في عبارة بعضهم تعليقه « بكياً لا يتطرق به إلى هدم مذهب أصحابنا » أو نحو ذلك من العبارة والله أعلم .

واعلم أن من المسائل ما يقع التصريح بها من بعض المتأخرين رحمة الله عليهم أجمعين - وخصوصاً في الأصول التي ألفها المتأخرون - وليست

(١) هذا التعليل ضعيف وأضعف منه ما يذكره بعده عن بعضهم . وله تعليل آخر أقوى منهما وهو أن تقليده الثاني يجب أن لا يبطل عمله بالتقليد الأول بعد التزامه لأنه تناقض في حقه . ولا يباح لأحد أن يلتزم التناقض ويعمل به وهو لا يتحقق إلا في الموضوع الواحد والمسألة الواحدة كالطلاق والعق الذي أمضاه بالفعل . ومثله المجتهد إذا تغير رأيه في المسألة بعد إمضاها لا ينقض اجتهاده الثاني ما أمضاه بالأول

بمرضية، بل ربما يقع التصريح بخلافها من المتقدمين، ويوجد من هذا النوع في كتاب التحرير الذي ألفه المحقق وجمع فيه من مقالات المتأخرين من فضلاء عصره فن قبلهم بقليل حتى من كلام أرباب المذاهب غير مذهبنا، فلا علينا ان نأخذ بما ظهر لنا صواب خلافه ^(١) ان أنعم الله علينا بحصول ضرب من النظر يمكن الوقف به على الصواب. هذا ونحن مع ذلك بحمد الله تعالى لا نخرج عن درجة التقليد لآماننا الاعظم ابي حنيفة رحمة الله عليه، ونحن مقلدون له ولكبار أصحابه ومن بعدهم من كبار أئمتنا كشمس الأئمة واضرابه ^(٢). وأما ما يبحثه ويقرره المتأخرون من أهل التاسع والعاشر ^(٣) من فضلاء المذهب فلنا النظر فيه ان أمكن، وعلينا التمسك بما هو منقول عن المتقدمين وخصوصاً اذا انتهض متمسكاً لنا فيما نرتضيه. والله الموفق الى الصواب وبه الاعتصام.

فصل

ومما ينشأ من الجهل والتعصب تفويت فرض من فروض الله تعالى مع امكان اقامته على رأي مجتهد جليل، بل على رأي جمع من المجتهدين، وذلك (ان) جهالة المتعصبين يمتنعون ويمنعون من جمع الصلاتين في السفر التي ذهب الى جوازها الامام الشافعي وغيره من صدر الاسلام رحمة الله عليهم، ويؤدي ذلك الى تفويت الغرض رأساً، وذلك انهم

(١) يوشك ان يكون قد سقط بعض الكلام من هذا السياق (٢) يريد بتقليدهم العمل بأصولهم والسير على طريقتهم في الفهم والعمل (٣) أي أهل القرنين التاسع والعاشر والمصنف من أهل القرن الحادي عشر. فهو يعد أهل ذين القرنين كأهل قرنه لغلبة التقليد المحض عليهم وبعدهم عن الاستقلال والاجتهاد حتى في المذهب

لما يعزمون على السير عند الزوال مثلاً فيصلون الظهر^(١) لأول وقتها ويمتنعون من جمع العصر إليها ، فيركبون ويسرون بناء على أنهم ينزلون قبل المغرب آخر وقت العصر فيدركونها ، والحال أنهم قد لا يتهيأ لهم النزول إلا مع المغرب أو الغروب بحيث لا يتسع الوقت إلى الطهارة والصلاة^(٢) وخصوصاً في حق من تنصر الطهارة عليه فتفوتهم الفرصة ، وقد كانوا يمكنهم أدائها في المنزل^(٣) مجموعة جمع تقديم إلى الظهر على مذهب الإمام الشافعي رحمة الله عليه ، وعلى مذهب غيره ممن يجوز الجمع لأجل السفر ، فيمتنعون عن ذلك ويرضون بتفويتها ، ولا يفعلها^(٤) على مذهب مجتهد يجوز لهم أو عليهم يجب اتباعه ، والحال ما قرر ، لأن تحصيل الفرض من وجه مقدم على تفويته من كل وجه ، وما هذا إلا محض التعصب والجهل . وقد (ذكر) الإمام الأجل ظهير الدين الكبير المرغيناني عن استاذة السيد الإمام أبي شجاع رحمه الله تعالى : أنه سئل شمس الأئمة الحلواني عن كسالي بخاري أنهم يصلون الفجر والشمس طالعة : فهل تمنعهم من ذلك ؟ فقال : لا يمتنعون ، لأنهم لو منعوا يتركونها أصلاً ظاهراً . (أي مما يظهر من حالهم) ولو صلوها تجوز عند أصحاب الحديث ، ولا شك أن الأداء الجائز عند البعض أولى^(٥) من الترك أصلاً . هذا جواب الحلواني ، ونأهيك به إذ هو شيخ المذهب في عصره تخرج به الفحول النظار من أئمتنا كشمس الأئمة السرخسي ونحو الإسلام

(١) كان الظاهر أن يقول : وذلك أنهم عند ما يعزمون على السفر بعد الزوال يصلون الظهر الخ (٢) الصواب للطهارة والصلاة : يقال اتسع لكذا لا إلى كذا (٣) لعل أصله « في المنزل الأول » أي من منازل السفر (٤) لعل أصله « ولا يرضون بفعلها » الخ (٥) لعل الأصل « وهو أولى من الترك »

الزردوي صاحب البسوطين واضرابهم من رؤساء المذهب الذين هم قدماء الدهر، وعظماء ما وراء النهر .

هذا مع أن الجاهل المتعصب النفي يكفيه ايقاعها بمجموعة مع الظهر تقليد الامام^(١) الشافعي وغيره، ثم ان اراد الاحتياط وادرك في الوقت فسحة اعادها على مذهبه أو قضاها بعد المغرب احتياطاً ان لم تطعه نفسه في ادائها بمجموعة مع الظهر، والله أعلم والموفق لأرب غيره وهو حسبي ونعم الوكيل .

قال جامعها محمد عبد العظيم المكي الحنفي غفران الله تبارك وتعالى له ولوالديه ولسائر المسلمين : ثم بعد تسطير هذه الاسطر ظفرت في أثناء المطالعة بمدة من النقول تؤيد ما ذكرته بهذه الرسالة وتشهد له لم انشط لإلحاقها . ثم رأيت كلاماً للإمام الكبير المجتهد في العلوم رأس الفقهاء والمحدثين الشهير بابن تيمية الحنبلي رحمه الله تعالى فاحببت تعاقبه في ذيل هذه الرسالة وهو مؤيد لما اشرنا اليه مطابق الى جميع^(٢) ما اورده فيها، فالحاصل وان كان في كلامي زيادة أيضاح وبيان فهو لا يخالفه بل يعضده ويؤيده . ولفظ ما رايته :

« مثل الامام العلامة شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحنبلي رحمه الله تعالى عن أهل المذاهب الأربعة : هل يصح اقتداء بعضهم ببعض في الصلوات المفروضة وغيرها أم لا ؟ وهل قال احد من السلف انه لا يصلي بعض المسلمين

(١) لا بد ان يكون الاصل : بتقليد الامام - أو - تقليداً للامام الخ

(٢) الصواب « لجميع »

خلف بعض اذا اختلفت مذاهبهم أم لا ؟ وهل قائل ذلك مبتدع أم لا ؟
 واذا فعل الامام ما يعتقد ان صلاته صحيحة والمأموم يعتقد خلاف ذلك
 مثل ان يكون الامام تقايا أو رعف أو احتجم أو لمس النساء بشهوة أو
 مس ذكره أو قهقهه في صلاته أو أكل مامسته النار أو أكل لحم الابل
 وصلى ولم يتوضأ ، وهو لا يعتقد وجوب الوضوء من ذلك ، أو كان
 الامام لا يقرأ البسملة أو لم يتشهد التشهد الاخير أو لم يسلم من الصلاة
 والمأموم يعتقد وجوب ذلك - : فهل تصح صلاة المأموم والحالة هذه ؟
 افتونا مأجورين ولكم الثواب .

«أجاب رحمه الله تعالى : الحمد لله رب العالمين . نعم تجوز صلاة المسامين
 بعضهم خلف بعض كما كان الصحابة والتابعون لهم باحسان ومن بعدهم
 من الأئمة الاربعة رضوان الله عليهم أجمعين يصلي بعضهم خلف بعض
 مع تنازعهم في هذه المسائل المذكورة وغيرها ، ولم يقل أحد من السلف
 الصالح رحمهم الله تعالى : انه لا يصلي بعضهم خلف بعض . ومن انكر
 ذلك فهو مبتدع ضال مخالف للكتاب والسنة واجماع سلف الامة
 وائمتها ، وكان الصحابة والتابعون ومن بعدهم منهم من يقرأ البسملة
 ومنهم من لا يقرأها ومنهم من يجهر بها ومنهم من لا يجهر بها ، وكان منهم
 من يقنت في الفجر ومنهم من لا يقنت ، ومنهم من يتوضأ من الحجامه
 والرعاف والقيء ومنهم من لا يتوضأ من ذلك ، ومنهم من يتوضأ من
 لمس النساء بشهوة ومس الذكر ومنهم من لا يتوضأ من جميع ذلك ، ومنهم
 من يتوضأ مما مسته النار ومنهم من لا يتوضأ من ذلك ، ومنهم من يتوضأ
 من أكل لحوم الابل ومنهم من لا يتوضأ من ذلك ، ومع هذا كان بعضهم

يصلي خلف بعض مثل ما كان أبو حنيفة وأصحابه والشافعي وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين يصلون خلف الأئمة المرتبة من المالكية وغيرهم وإن كانوا لا يقرؤون البسملة لاسراً ولا جهرًا . وصلى الرشيد إماما وكان قد احتجم فصلى الإمام أبو يوسف خلفه ولم يعد صلاته ، وكان أفتاه الإمام مالك بأنه لا وضوء عليه ، وكان الإمام أحمد ابن حنبل يرى الوضوء من الرعاف والحجامة ، فقليل له في ذلك إذا كان الإمام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ يصلي خلفه ؛ فقال كيف لا أصلي خلف مالك وسعيد بن المسيب ^(١)

وفي الجملة فهذه المسائل لها صورتان (أحدهما) أن لا يعرف المأموم أن إمامه فعل ما يبطل الصلاة ، فهذا يصلي خلفه باتفاق السلف والأئمة الأربعة وغيرهم ، وليس في هذا خلاف متقدم ، وإنما خالف بعض المتصيين من المتأخرين فزعموا أن الصلاة خلف الحنفي لا تصح وإن أتى بالواجبات — قل — لأنه إذاها وهو لا يعتقد وجوبها . وقائل هذا القول إلى أن يستتاب كما يستتاب أهل البدع أحوج منه إلى أن يعتد بخلافه ^(٢) ، فإنه ما زال المسلمون على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه رضي الله عنهم يصلي بعضهم ببعض ، وأكثر الأئمة لا يميزون بين المسنون والمفروض بل يصلون الصلوات الشرعية ، ولو كان العلم بهذا واجبا لبطلت صلاة أكثر المسلمين ولم يمكن الاحتياط ، فإن كثيرا

(١) كأن سقط من هذه العبارة كلمات أوفقرات من نسختنا فأعمنناها من أصل فتاوى ابن تيمية ، وفي الأصل تقديم سعيد بن المسيب على مالك لأنه أعلم التابعين
(٢) هذا نص الفتوى وعبارة نسختنا « إلى أن يعتقد بطلانها »

من هذا فيه نزاع وأدلة ذلك خفية ، وأكثر ما يمكن المتقدمين ان يحتاط من الخلاف ، وهو لا يجزم باحد القولين وان كان الجزم باحدهما واجبا ؛ فكثر الخلق لا يمكنهم الجزم بذلك ، وهذا القائل ليس معه الا تقليد بعض الفقهاء ، ولو طولب بأدلة شرعية تدل على صحة قول امامه دون غيره لعجز عن ذلك ، ولهذا لا يعتد بنقل مثل هذا فانه ليس من أهل الاجتهاد .

(والصورة الثانية) ان يتيقن المأموم ان الامام فعل مالا يسوغ عنده ، مثل ان يمس ذكره أو يلمس النساء بشهوة ، أو يحتجم ، أو يتقايأ ثم يصلي بلا وضوء . فهذه الصورة فيها نزاع مشهور ، فاحد القولين : لا تصح صلاة المأموم لانه يعتقد بطلان صلاة امامه — كما قال ذلك جماعة من اصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى — والقول الثاني : تصح صلاة المأموم ؛ وهو قول جمهور السلف وهو مذهب مالك رحمه الله ، واحد قولي الشافعي وأحمد ، بل وأبي حنيفة ، وأكثر نصوص الامام أحمد على هذا ، وهذا هو الصواب ، لما ثبت في الصحيح وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « يصلون بكم فان أصابوا فلكم ولهم وان أخطوا فلكم وعليهم » فقد بين صلى الله عليه وسلم ان خطأ الامام لا يتعدى الى المأموم ، ولأن المأموم يعتقد ان ما فعله سائغ له ، وأنه لا اثم عليه فيما فعل فانه مجتهد ، أو مقلد مجتهد ، وهو يعلم ان هذا قد غفر الله له خطأه ، فهو يعتقد صحة صلاته ، وأنه لا يأثم اذا لم يعدها ، بل لو حكم حاكم بمثل هذا لم يجز له نقض حكمه ، بل كان ينفذه ؛ واذا كان الامام قد فعل باجتهاده — ولا يكلف الله نفسا الا وسعها — والمأموم قد فعل ما يجب

عليه كانت صلاة كل منهما صحيحة، وكان كل منهما قد أدى ما يجب عليه؛ وقد حصلت موافقة الامام في الافعال الظاهرة .

وقول القائل: «ان المأموم يعتقد بطلان صلاة الامام» خطأ منه لأن المأموم يعتقد ان الامام قد فعل ما وجب عليه، وان الله قد غفر له ما اخطأ فيه، وانه لا تبطل صلاته لاجل ذلك؛ ولو اخطأ الامام والمأموم فسلم الامام خطأ واعتقد المأموم جواز متابعتة فسلم كما سلم المسلمون خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من ركعتين سهوا مع علمهم بانه انما صلى ركعتين، وكما لو صلى خمسا سهوا فصلاوا خلفه سهوا مع علمهم بانه صلى خمسا لا اعتقادهم جواز ذلك فانه تصح صلاة المأموم في هذه الحالة، فكيف اذا كان المخطئ هو الامام وحده؟ وقد اتفقوا كلهم على ان الامام لو سلم خطأ لا تبطل صلاة المأموم اذا لم يتابعه، فدل ذلك على أن ما فعله الامام خطأ لا يلزم فيه بطلان صلاة المأموم والله أعلم .

انتهى بلفظه فانظره فانه مطابق ومؤيد لما ذكرته في هذه الرسالة والله الحمد على موافقة من مضى من كبار الأئمة .

وكثيرا ما أختار شيئا الا فأجد من قد سبقني الى اختياره الفحول من الرجال من الأئمة ^(١) أو أستشكل شيئا فأجد استشكله منقولا عن كبار المتقدمين، وكذلك اذا ابدت قولا لم يكن وقف من رأى كلامي على

(١) كلمة « الا » وكلمة « من » قبل الأئمة زائدتان . أي كثيرا ما أختار شيئا فأجد الذين قد سبقوني الى اختياره هم الفحول من الرجال والأئمة . وسبب موافقة المصنف في كثير من المسائل لهؤلاء عدم التعصب للمذهب وحب الانصاف . ولو عني بالتفسير والحديث كما عني بالفقهاء الحنفي مع زيادة اتقان للعربية لكان مجتهد مستقلا تمام الاستقلال

نقله فيقع منهم موقع الانكار ويحملهم الجهل والتعصب على رده ثم اجده منقولاً بعد ذلك بعينه أو بما يوافقه عن السلف فمن بعدهم من كبار الأئمة؛ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، بل ربما افعل أموراً من الأمور العادية فيستغربه الناس ويتمجبون من صدوره مني، وربما عيب علي، بل ربما أنسب به عند بعض الجهال إلى سخافة العقل ثم اجده أو مثله محكياً عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أو عن التابعين أو عن بعض الخلفاء أو السلاطين الكبار المجمع على اصابه فعلهم وجلالتهم، والحمد لله رب العالمين ثم لخص لي تلخيصاً شافياً شافعي زمانه السيد الجليل عمر بن عبد الرحيم البصري المكي رحمه الله تعالى، ومن خطه الكريم نقلت مانصه: « قال الامام الرافعي في ^(١) وان كانت صلاته صحيحة

في اعتقاد الامام دون المأموم أو بالعكس، فان كان الاختلاف في الفروع كما اذا مس الحنفي فرجه وصلى، أو ترك الاعتدال أو قرأ غير الفاتحة: ففي صحة اقتداء الشافعي به وجهان (أحدهما) يصح؛ وبه قال القفال لان خطأه غير مقطوع به (والثاني) - وبه قال الشيخ ابو حامد: لا يصح لفسادها عند المأموم - فأشبه ما لو اختلف اجتهد رجلين في القبلة لا يقتدي احدهما بالآخر، وهو اظهر عند الاكثرين انتهى.

قال الامام الزركشي في الخادم ما حاصله: وخلاصة مارجحه ونقله عن الاكثرين غير مسلم فانما تعرض له طائفة كالبرزنجي والرويانى في الحلية والبغوي وصاحب الكافي والغزالي في فتاويه، ولم يذكر المسئلة طائفة

(١) بياض في الاصل والذي سقط اسم الكتاب واعمله « الشرح الكبير » للوجيز ولا يبعد ان يكون مما سقط اسم الباب او البحث

كالماوري والدارمي والشيخ في المذهب والتنبية ، وكلام الشيخ أبي حامد فيها محتمل فانه قال : لو اقتدى به وهو يحتمل الكراهة وعليها جرى الروياني في البحر ، ولم يصح عن القاضي أبي الطيب شيء ، بل حكى عن الدارمي الجواز ، وعن أبي اسحاق المنع ، والقائلون به لم يقفوا للشافعي على نص ، بل قالوا : إنه قياس مذهبه في المختلفين في القبلة والاولاني . وهذا ممنوع نقلا وتوجيها . (أما) النقل ، فان المنصوص للشافعي - ما نقله القفال - الصحة ، ومما يشهد للصحة ما حكاه المحامي في المجموع قال : قال الشافعي رحمه الله تعالى في الامالي : واذا دخل الرجل بلاد فتوى ان يقيم أربعين يوما ، وكان يرى جواز القصر حينئذ ، ومعه رجل يعتقد عدم جوازه ، فيكره له ان يقدمه ويصلي خلفه لانه يعتقد ان صلاته المقصورة لا تجوز ، فان قدمه وصلى خلفه جاز لانه محكوم بصحة صلاته في حقه . هكذا حكاه القاضي أبو الطيب عن الامالي .

ولو كانت العبرة باعتقاد المأموم لكان اقتداؤه به باطلا لان عند المأموم ان نية القصر لا تنعقد معها الصلاة . ومع ذلك صحح الشافعي الاقتداء به اعتبارا باعتقاد الامام ، وهذا النص ذكره الامام النووي أيضا في باب صلاة المسافر في شرح المذهب ، ووقع في بعض نسخ شرح المذهب هكذا « والمختار والظاهر قول القفال » فلم تزل الأئمة المختلفون في الفروع يصلي بعضهم خلف بعض ويشهد له تصحيحهم ان المساء الذي تروضا منه الحنفي وغيره - ممن لا يرى وجوب النية - مستعمل وان لم ينو على الاصح ، وهذا هو الصواب الذي ينبغي ان تكون الفتوى عليه ، وقد كان الامام الشافعي رحمه الله تعالى يصلي خلف أئمة المدينة ومصر ،

٤٣٠ الخلاف في العبرة برأي الامام او المأموم خاص بالمجتهدين (المار ج ٦ م ١٧)

وكانوا لا يسامون ؛ ولم يتقل عنه الامتناع عن الاقتداء بهم ، وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه انه أتم بمنى مع عثمان رضي الله عنه مع انكاره عليه ذلك ؛ فقليل له في ذلك ، فقال : الخلاف شرفته .

وأما توجيه المانعين بقولهم : « ان المأموم يعتقد بطلان صلاة الامام » فردود ؛ فانها مسألة اجتهاد واعتقاد ، والخطأ فيها لا يسوغ كما في غيرها من المسائل الاجتهادية ، كالحكم بصحة حكمه وامتناع نقضه بشرطه وأما قياسهم على المجتهدين في القبلة أو في الاواني فيصرف بان الامام والمأموم فيها يعتقدان فساد صلاة من صلى بطهارة من اداء نجس ، أو صلى الى غير القبلة ، بخلاف المأموم في اقتدائه بتارك الفاتحة فانه لا يعتقد بطلان صلاته مع تركها ، لانه مستند لاجتهاد من جملة عقيدة المأموم التي يدن بها ربه اعتقاد صحته ؛ وبان المجتهد لو بان له في مسئلتى الاواني والقبلة ان الامر على خلاف ظنه يقينا لزمته الاعادة ، بخلاف المجتهد في الفروع لو عثر على نص جلي مخالف لاجتهاده السابق ، لا تلزمه اعادة ما صلاه بالاجتهاد السابق ؛ وسر ذلك ان الاجتهاد الاول مستند الى امر عادي وقرائن تشير ^(١) الظن اكتفى بها الشارع تخفيفا على الامة ، فان تحقق الخطأ فيها رجع الى الاصل وتبين عدم صلاحيتها لمن ظن بها ، بخلاف الاجتهاد الثاني فانه مستند الى امر شرعي أوجب الشارع عليه اتباعه ، فلم يقع عمله السابق على خلاف حكم الله تبارك وتعالى ؛ وان فرض وصرح النص الثاني المعثور عليه بحيث افاد اليقين أو ما قاربه من

(١) سقط من هنا كلام والمعنى ان الاجتهاد الأول مبني على قرائن ظنية لا هي علم ولا شرع وانما اجازها الشرع للضرورة

(المنار - ج ٦ م ١٧) العوام لا مذهب لهم وانسابهم للمذاهب عصبية ٤٣١

الظن القوي ؛ وأيضاً الاجتهاد الاول يمكن التوصل ^(١) الى القطع بالخطأ فيه بخلاف الثاني

وممن اختار ذلك من المتأخرين صاحب الذخائر وأفرد المسئلة بتصنيف سماه « بيان المشروع في الاقتداء بالخالفين في الفروع » وقال ابن أبي الدم في باب الجنائز من شرح الوسيط : لعل الاصح الصحة مطلقاً ، واقام الدليل على الجواز من وجوه ، ثم نبه على أمر حسن فقال : وهذا الخلاف كله في المجتهدين ، وأما عوام الناس فليسوا مقصودين في الخلاف فانهم لا مذهب لهم يعولون عليه ، وانما فرضهم التقليد عند نزول المنازعة فمن أفتاهم من أهل الفتوى وجب عليهم قبول قوله ؛ وانسابهم الى المذاهب عصبية ، ومعناه ارتضى ان يعمل في عبادته وكل احواله بقول امام انتسب اليه ، فهو لاء يصح قدوة كل منهم باي امام كان من غير تفصيل .

ونقل عن الامام أحمد بن حنبل : رحمه الله تعالى أنه كان يرى الوضوء من الدم الكثير فقيلاً له : اذا كان الامام لا يتوضأ من ذلك أتصلي خلفه ؟ فقال : سبحان الله تعالى : أقول إنه لا يصلي خلف سعيد ابن المسيب ومالك رضي الله عنهما ؛

وكان القاضي أبو عصام العاصري الحنفي ماراً في باب مسجد القفال والمؤذن يؤذن المغرب فنزل عن دابته ودخل المسجد ، فلما رآه القفال أمر المؤذن أن يثني في الإقامة ، وقدم القاضي أبا عصام فتقدم وصلى

(١) لعل الاصل « يمكن التوصل به »

وجهر بالبسملة ، وأم بشعار الشافعية في صلاته ، وكان ذلك منها تهوينا
 لأمر الخلاف في الفروع . وقال القاضي الحسين في تعليقه : والمختار
 أن كل مجتهد مصيب ، إلا أن أحدهم أصاب الحق عند الله والباقيون
 أصابوا الحق عند أنفسهم . وقال ابن السمعاني : قال علماؤنا : من أخطأ
 كان مخطئاً للحق عند الله مصيباً في حق عمل نفسه ، حتى إن عمل نفسه
 يقع صحيحاً عند الله شرعاً كأنه أصاب الحق عند الله . وقد حكى الامام
 الشافعي رحمه الله عليه الاجماع على أن كل مجتهد اداء اجتهاده الى أمر
 فهو حكم الله تعالى في حقه ولا يشرع له العمل بغيره حينئذ ، فمن صلى
 بحكم اجتهاده فصلاته صحيحة عنده وعند من يخالفه في المسئلة لا اعتقاده
 ان ذلك حكم الله تعالى عنده ، وصلاته صحيحة لا تيانه بها على الوجه
 المأمور به حينئذ ، فكيف يمنع الاقتداء به مع الحكم بصحة صلاته
 في نفسه ؟ انتهى مع تلخيص وتحرير . واقتضى نسخه الى هنا انتهى
 ما رأيته بخط المذكور دامت افادته ، وقد أرسل به الي في ذيل نسخة
 من هذه الرسالة بعد اصرار نظره السيد عليها ، وهذا بحمد الله تعالى
 أيضاً مؤيد لما أشرت اليه ، واعتمدت فيها عليه ، والله الموفق الى الصواب .
 قال جامعها ومؤلفها محمد بن عبد العظيم المكي الحنفي بن المقدسي
 الميروز الملا فروخ بن عبد المحسن الرومي الموروي حفظه الله تعالى في
 نفسه واولاده وجميع نعم الله تعالى عليه ، واحياه حياة طيبة سالمة من
 الاسواء فيما وصل ويصل من منة الله اليه ، بعد ان علم بانه مر عليه
 مطالعة وتصحيحاً وتمة في يوم الجمعة الثانية من شوال سنة اثنين وخمسين
 والـف من الهجرة النبوية ، والحمد لله على ذلك ، وصلى الله على نبيه كذلك .

فصل

﴿الابتداع بالتشدد في الدين . والتزام ما لم يرد وتبع آثار الصالحين﴾
من كتاب الاعتصام للامام الشاطبي

ثبت بمضمون هذه الفصول المتقدمة أننا ان الحرج منفي عن الدين
جملة وتفصيلا ، - وان كانت قد ثبت ايضا في الاصول الفقهية على
وجه من البرهان ابلغ - فلنبن عليه فنقول :

قد فهم قوم من اصول "السلف الصالح واهل الاقطاع الى الله ممن
ثبتت ولايتهم انهم كانوا يشددون على انفسهم ، ويلزمون غيرهم الشدة
ايضا والتزام الحرج ؛ ديدنا في سلوك طريق الآخرة . وعدوا من لم
يدخل تحت هذا الالتزام مقصرا مطرودا ومحروما . وربما فهموا ذلك
من بعض الاطلاقات الشرعية ، فرشحوا بذلك ما التزموه ، فافضى الأمر
بهم الى الخروج عن السنة الى البدعة الحقيقية او الاضافية .

فمن ذلك ان يكون للمكلف طريقان في سلوكه للآخرة ، احدهما
سهل والآخر صعب ، وكلاهما في التوصل الى المطلوب على حد واحد ؛
فيأخذ بعض المتشددون بالطريق الاصعب الذي يشق على المكلف مثله ،
ويترك الطريق الاسهل بناء على التشديد على النفس ، كالذي يجد للطهارة
ماءين سخن وبارد فيتحرى البارد الشاق استعماله ، ويترك الآخر .
فهذا لم يمت النفس حقها الذي طلبه الشارع منه . وخالف دليل رفع
الحرج من غير معنى زائد ؛ فالشارع لم يرض بشرعية مثله ، وقد قال تعالى

(١) كلمة « أصول » لا يظهر لها معنى ههنا ولعلها محوالة

٤٣٤ احتمال المكارة في سبيل الحق مشروع لا اكنتسابها وقصدها (المنار - ج ٦ ص ١٧)

(ولا تقتلوا انفسكم ، ان الله كان بكم رحيمًا) فصار متبعاهواه ؛ ولا حجة له في قوله عليه السلام « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ اسباغ الوضوء عند الكريهات » - الحديث . من حيث كان الاسباغ مع كراهية النفس سببا لمحو الخطايا ورفع الدرجات ، ففيه دليل على ان للانسان ان يسمى في تحصيل هذا الاجر باكره النفس ، ولا يكون الا بتحري إدخال الكراهية عليها . لانا نقول : لا دليل في الحديث على ما قلتم ، وانما فيه ان الاسباغ مع وجود الكراهية ، ففيه امر زائد ، كالرجل يجد ماء باردا في زمان الشتاء ولا يجده سخنا فلا يمنعه شدة برده عن كمال الاسباغ .

واما المقصد الى الكراهية فليس في الحديث ما يقتضيه ، بل في الأدلة المتقدمة ما يدل على انه مرفوع عن العباد ، ولو سلم ان الحديث يقتضيه لكانت ادلة رفع الحرج تعارضه ، وهي قطعية وخبر الواحد ظني ، فلا تعارض بينهما للاتفاق على تقديم النظمي . ومثل الحديث قول الله تعالى (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة) - الآية . ومن ذلك الاقتصار من المأكول على اخشنه وافظمه لمجرد التشديد لا لغرض سواء ، فهو من النمط المذكور فوقه ، لان الشرع لم يقصد الى تعذيب النفس في التكليف ؛ وهو ايضا يخالف لقوله عليه السلام « ان لنفسك عليك حقا » وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل الطيب اذا وجدته ، وكان يحب الخلاء والعسل ، ويعجبه لحم الذراع ، ويستعذب له الماء . فاین التشديد من هذا ؟

ولا يدخل الاستعمال المباح في قوله تعالى (اذهبتم طياتكم في

حياتكم الدنيا) لأن المراد به الاسراف الخارج عن حد المباح ، بدليل ما تقدم . فإذا الاقتصار على البشيع في الأكل من غير عذر تنقطع ، وقد مر ما فيه في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) الآية .

ومن ذلك الاقتصار في اللبس على الخشن من غير ضرورة ، فإنه من قبيل التشديد والتنطع المذموم . وفيه ايضا من قصد الشهرة ما فيه . وقد روي عن الربيع بن زياد الحارثي أنه قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : أتعد بي على اخي عاصم . قل : ما باله ؟ قل : لبس العباء يريد النسك . فقال علي رضي الله عنه : علي به . فأثنى به مؤثرا بعباءة مرتديا بالآخرى ، شعث الرأس والملحية ، فعبس في وجهه وقال : ويحك ! أما استحييت من أهالك ؟ أما رحمت ولدك ؟ ترى الله أباح لك الطيبات وهو يكره ان تنال منها شيئا ؛ بل انت اهون على الله من ذلك ؛ اما سمعت الله يقول في كتابه (والارض وضعا للانام — الى قوله — يخرج منهما الاولاد والمرجان) ؟ أفترى الله أباح هذا لعباده الا ليتذلقوه ^(١) ويحمدوا الله عليه فيثيبهم عليه ؟ وان ابتذالك ثم الله بالفعل خير منه بالقول . قال عاصم : فما بالك في خشونة ما كلك وخشونة ملابسك ؟ قال : ويحك ! ان الله فرض على أمة الحق ان يقدروا انفسهم بضعفة الناس .

فتأملوا كيف لم يطالب الله العباد بترك اللذونات ؛ وانما طالبهم

(١) الابتذال ضد الصون ، وما يستعمل يتخذ ، فالمراد استعمال النعم والطيبات والانتفاع بها . ويستعمل الابتذال في لازمه وهو الامتهان والاحتقار ، وليس بمراد هنا .

بالشكر عليها إذا تناولوها ، فالمتحري للامتناع من تناول ما أباحه الله من غير موجب شرعي مفتات على الشارع ^(١) وكل ما جاء عن المتقدمين من الامتناع عن بعض المتناولات من هذه الجهة وإنما ^(٢) امتنعوا منه لعارض شرعي يشهد الدليل باعتباره ، كالامتناع من التوسع لضيق الحال في يده ، أو لأن المتناول ذريعة إلى ما يكره أو يمنع ، أو لأن في المتناول وجه شبهة تقطن إليه التارك ولم يفتن إليه غيره ممن علم بامتناعه . وقضايا الأحوال لا تعارض الأدلة بمجرد ما ، لا حيلها في أنفسها . وهذه المسئلة مذكورة على وجهها في كتاب الموافقات .

ومن ذلك الاقتصار في الأفعال والأحوال على ما يخالف محبة النفوس ، وحملها على ذلك في كل شيء من غير استثناء ، فهو مع قبيل التشديد . ألا ترى أنك الشارع أباح أشياء مما فيه قضاء مهمة النفس وتمتعها واستلذاذها ؟ فلو كانت مخالفتها برأ الشرع ، ولندب الناس إلى تركه فلم يكن مباحاً ، بل مندوب التارك أو مكروه الفعل .

وايضاً فإن الله تعالى وضع في الأمور المتناولة إيجاباً أو ندباً أشياء من المستلذات الحاملة على تناول تلك الأمور ، لتكون تلك اللذات كالحادي إلى القيام بتلك الأمور ، كما جعل في الأوامر إذا امتثلت وفي النواهي إذا اجتنبت اجوراً منتظرة ، ولو شاء لم يفعل ، وجعل في الأوامر إذا تركت والنواهي إذا ارتكبت جزاء على خلاف الأول ، ليكون جميع ذلك منهضاً لعزائم المكلفين في الامتناع ، حتى أنه وضع لأهل الامتناع

(١) يقال افتأت على فلان افتأتا وافتأت افتياتا . إذا تصرف بشيء من شؤونه بدون إذنه ولا رضاه (٢) لعل الأصل « فاعا » والجملة خبر قوله « وكل ما جاء عن المتقدمين » ويعد أن يكون خبر المبتدأ قوله « من الجهة »

الثائرين على المباينة^(١) في انفس التكاليف انواعا من اللذات العاجلة ،
والانوار الشارحة للصدور ، ما لا يدله من لذات الدنيا شيء ، حتى يكون
سببا لاستلذاذ الطاعة والفرار اليها وتقضيها على غيرها ، فيخف على
العامل العمل ، حتى يتحمل منه ما لم يكن قادرا قبل على تحمله الا بالمشقة
المنهي عنها ، فاذا سقطت سقط النهي .

بل تأملوا كيف وضع للأطعمة على اختلافها لذات مختلفات
الالوان ، وللأشربة كذلك ، ولأقاع الموضوع سببا لاكتساب العيال .
وهو أشد تعباً عن النفس - لذة على من لذة المطعم والمشرب ؛ الى غير
ذلك من الامور الخارجة عن نفس المتناول ، كوضع القبول في الارض
وترفع المنازل ، والتقدم على سائر الناس في الامور العظام ؛ وهي ايضا
تقتضي لذات تستصغر في جنبها لذات الدنيا

واذا كان كذلك ، فاین هذا الموضع الكريم ، من الرب اللطيف
الخبير ؟ فمن يأتي متعبدا بزعمه بخلاف ماوضع الشارع له من الرفق
والتيسير والاسباب الموصلة الى محبته ؛ فيأخذ بالاشق والاصعب ،
ويجعله هو السلم الموصل والطريق الاخص ؟ : هل هذا كله الا غاية
في الجهالة ، وتلف في تيه الضلالة ؟ عافانا الله من ذلك بفضله .

فاذا سمعتم بحكاية تقتضي تشديدا على هذا السبيل ، أو يظهر منها
تنطع أو تكلف ؛ فإما ان يكون صاحبها ممن يعتبر كالسلف الصالح ،
او من غيرهم ممن لا يعرف ولا ثبت اعتباره عند اهل الحل والعقد من
العلماء ، فان كان الاول فلا بد أن يكون على خلاف ما ظهر لبادي

الرأي - كما تقدم - وان كان الثاني فلا حجة فيه ، وانما الحجة في المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم . فهذه خمسة في التشديد في سلوك طريق الآخرة يقاس عليها ما سواها .

فصل

قد يكون اصل العمل مشروعاً ولكنه يصير جاريًا مجرى البدعة من باب الذرائع ، ولكن على غير الوجه الذي فرغنا من ذكره . وبيان ان العمل يكون مندوباً اليه - مثلاً - فيعمل به العامل في خاصة نفسه على وضعه الاول من الندية ؛ فلو اقتصر العامل على هذا المقدار لم يكن به بأس ، ويجري مجراه اذا دام عليه في خاصيته غير مظهر له دائماً ، بل اذا اظهره لم يظهره على حكم الملتزمات من السنن الرواتب والفرائض اللوازم ، فهذا صحيح لا اشكال فيه . واصله ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا إخفاء النوافل والعمل بها في البيوت ، وقوله « افضل الصلاة صلاتكم في بيوتكم الا المكتوبة » فاقصر في الاظهار على المكتوبات - كما ترى - وان كان ذلك في مسجده عليه السلام او في المسجد الحرام او في مسجد بيت المقدس ؛ حتى قالوا : ان النافلة في البيت افضل منها في احد هذه المساجد الثلاثة بما اقتضاه ظاهر الحديث . وجري مجرى الفرائض في الاظهار السنن كالعيدين والخسوف والاستسقاء وشبه ذلك ؛ فبقى ما سوى ذلك حكمه الاخفاء ؛ ومن هنا ثابر السلف الصالح رضي الله عنهم على اخفاء الاعمال فيما استطاعوا او خف عاينهم اقتداء بالحديث وبفعله عليه السلام ؛ لأنه القدوة والاسوة .

ومع ذلك فلم يثبت فيها اذا عمل بها في البيوت دائماً ان يقام جماعة في المساجد البتة ، ما عدا رمضان — حسبما تقدم — ولا في البيوت دائماً ، وان وقع ذلك في الزمان الاول في الفرط^(١) كقيام ابن عباس رضي الله عنهما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما بات عند خالته ميمونة ، وما ثبت من قوله عليه السلام « قوموا فلا صلى لكم » وما في الموطأ من صلاة يرفا^(٢) مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقت النسخي ، فمن فعله في بيته وقتاً ما فلا حرج ، ونص العلماء على جواز ذلك بهذا التقييد المذكور ، وان كان الجواز قد وقع في المدونة مطلقاً فما ذكره تقييده ، واظن ابن حبيب نقل^(٣) عن مالك مقيداً ، فاذا اجتمع في النافلة أن تلتزم التزام السنن الرواتب إما دائماً وإما في اوقات محدودة وعلى وجه محدود ، واقامت في الجماعة في المساجد التي تقام فيها الفرائض ، او المواضع التي تقام فيها السنن الرواتب ، فذلك اتباع^(٤) . والدليل عليه انه لم يأت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن اصحابه ولا عن التابعين لهم باحسان فعل هذا المجموع هكذا مجموعاً ، وان أتى مطلقاً من غير تلك التقييدات . فالتقييد في المطلقات التي لم يثبت بدليل الشرع تقييدها رأي في التشريع ، فكيف اذا عارضه الدليل ، وهو الاصر بأخفاء النوافل مثلاً ؟

(١) كذا ولا يظهر لهذه الكلمة هنا معنى . والمثل الذي ذكره ثابت في الصحيح هو ان ابن عباس أراد ان يعرف صلاة النبي (ص) في الليل فبات عند خالته ميمونة في ليلتها ، فلما قام النبي (ص) من الليل قام معه واقتدى به فصلى إحدى عشرة ركعة فهي قيامه ووتره (٢) كذا في الاصل (٣) لعله « نقله » أو نقل ذلك (٤) كذا . وصوابه « ابتداء » اذ لا تصح تسميته اتباعاً الا بمحل بعيد

ووجه دخول الابتداع هنا ان كل ما واظب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من النوافل واظهره في الجماعات فهو سنة ، فالعمل بالنافلة التي ليست بسنة على طريق العمل بالسنة ، إخراج للنافلة عن مكانها المخصوص بها شرعاً . ثم يلزم من ذلك اعتقاد العوام فيها ومن لا علم عنده انها سنة . وهذا فساد عظيم ، لأن اعتقاد ما ليس بسنة والعمل بها على حد العمل بالسنة نحو من تبديل الشريعة ، كما لو اعتقد في الفرض انه ليس بفرض ، او بما ليس بفرض انه فرض ، ثم عمل على وفق اعتقاده فانه فاسد ، فهب العمل في الاصل صحيحاً فاخرجه عن بابه اعتقاداً وعملاً من باب إفساد الاحكام الشرعية . ومن هنا ظهر عذر السلف الصالح في تركهم سننا قصداً لئلا يعتقد الجاهل أنها من الفرائض كالاصحية وغيرها . — كما تقدم ذلك —

ولأجله ايضاً نهى اكثرهم على اتباع الآثار ، كما خرج الطحاوي وابن وضاح وغيرهما عن معروز بن سعيد الاسدي قال : وافيت الموسم مع امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلما انصرفنا الى المدينة انصرفت معه ، فلما صلى لنا صلاة الفداء قرأ فيها (ألم تترك فعل ربك) و (لا يلاف قريش) ثم رأى ناساً يذهبون مذهباً ، فقال : اين يذهب هؤلاء ؟ قالوا يأتون مسجداً هاهنا على فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : انما هلك من كان قبلكم بهذا ، يتبعون آثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبيعاً ، من ادركته الصلاة في شيء من هذه المساجد اتي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فليصل فيها والا فلا يتعمدها . وقال ابن وضاح : سمعت عيسى بن يونس مفتي أهل طرسوس

يقول : أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع الشجرة التي بويج تحتها النبي صلى الله عليه وسلم ، فقطعها لان الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها يخاف عليهم الفتنة .

قال ابن وضاح : وكان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك الآثار للنبي صلى الله عليه وسلم ماعدا قباء وحده - وقال - وسمعتهم يذكرون ان سفيان دخل مسجد بيت المقدس فصلى فيه ولم يتبع تلك الآثار ولا الصلاة فيها ، وكذلك فعل غيره أيضا ممن يقتدى به ، وقدم وكيع أيضا مسجد بيت المقدس فلم يعد فعل سفيان - قال ابن وضاح - فعليكم بالاتباع لأئمة الهدى المعروفين ، فقد قال بعض من مضى : كم من امر هو اليوم معروف عند كثير من الناس كان منكرا عند من مضى ؟

وقد كان مالك يكره كل بدعة وان كانت في خير . وجميع هذا ذريعة لئلا يتخذ سنة ماليس بسنة ، أو يعد مشروعا ما ليس معروفا . وقد كان مالك يكره المجيء الى بيت المقدس خيفة ان يتخذ ذلك سنة ، وكان يكره مجيء قبور الشهداء ، ويكره مجيء قباء خوفا من ذلك ، مع ما جاء في الآثار من الترغيب فيه . ولكن لما خاف العلماء عاقبة ذلك تركوه .

وقال ابن كنانة واشهب : سمعنا مالكا يقول : لما اتاه سعد ابن أبي وقاص قال : ووددت ان رجلي تكسرت وأني لم أفعل .

وسئل ابن كنانة عن الآثار التي تركوا بالمدينة فقال : اثبت ما في ذلك

عندنا قباء ، إلا ان مالكا كان يكره مجيئها خوفا ان يتخذ سنة .

وقال سعيد بن حسبان : كنت اقرأ على ابن نافع ، فلما مرت بحديث التوسعة ليلة عاشوراء قال لي : حرق عليه ^(١) قلت : ولم ذلك يا ابا محمد ؟ قال خوفا من ان يتخذ سنة .

فهذه امور جائزة او مندوب اليها ، ولكنهم كرهوا فعلها خوفا من البدعة ؛ لان اتخاذها سنة انما هو بأن يواظب الناس عليها مظهرين لها ؛ وهذا شأن السنة ؛ واذا جرت مجرى السنن صارت من البدع بلا شك . فان قيل : كيف صارت هذه الاشياء من البدع الاضافية ؛ والظاهر منها انها بدع حقيقية ، لأن تلك الاشياء اذا عمل بها على اعتقاد أنها سنة فهي حقيقية ، اذ لم يضعها صاحب السنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا لم توجه ^(٢) فصارت مثل ما اذا صلى الظهر على انها غير واجبة واعتقدوها عبادة فانها بدعة من غير اشكال ؛ هذا اذا نظرنا اليها بما لها ، واذا نظرنا اليها أولا فهي مشروعة من غير نسبة الى بدعة اصلا .

فالجواب ان السؤال صحيح ، الا ان لوضعها أولا نظرين (احدهما) من حيث هي مشروعة فلا كلام فيها . و (الثاني) من حيث صارت كالسبب الموضوع لا اعتقاد البدعة ، أو للعمل بها على غير السنة ، فهي من

(١) لعلها حوق بالواو . يقال حوق عليه الكلام اذا خلطه وأفسده عليه بحيث لا يفهم ، او لا يقرأ اذا كان مكتوبا . وهو من الحواقة اي الكناسة التي يختلط بها ما يكتسب بعضه ببعض . يقال حاق الدار بالحوقة : كئسها . ومما حفظته من صبيان المكتب اذ كنا نتعلم الخط « حوق » عليه أي السطر (مثلا) أي رجه او جعل حوله خطا ليعلم انه غير مقصود . وهو استعمال عربي . وأما حرق عليه بالراء فلا يظهر له معنى هنا الا اذا كانوا استعملوا التحريق بمعنى برد المعدن بالمبرد في حك الحروف المكتوبة بعبارة القلم ولم أره (٢) لعله « على هذا الوجه »

هذا^(١) غير مشروعة ؛ لأن وضع الأسباب للشارع لا للمكلف ، والشارع لم يضع الصلاة في مسجد قباء أو بيت المقدس — مثلا — سببا لأن يتخذ سنة ؛ فوضع المكلف لها كذلك رأي غير مستند الى الشرع ، فكان ابتداعا .

وهذا معنى كونها بدعة اضافية . أما اذا استقر السبب وظهر عنه مسببه الذي هو اعتقاد العمل سنة والعمل على وفقه ، فذلك بدعة حقيقية لا اضافية ؛ ولهذا الاصل أمثلة كثيرة وقعت الاشارة اليها في أثناء الكلام ، فلا معنى للتكرار .

واذا ثبت في الامور المشروعة أنها قد تعد بدعا بالاضافة ، فما ظنك بالبدع الحقيقية ؛ فانها قد تجتمع فيها ان تكون حقيقية واطرافها ، لكن من جهتين ؛ فاذا بدعة « اصبح والله الحمد » في نداء الصبح ظاهرة . ثم لما عمل بها في المساجد والجماعات مواظبا عليها لا ترك كما لا ترك الواجبات وما اشبهها ، كان تشريعا أولا يلزمه ان يعتد فيها الوجوب او السنة ، وهذا ابتداع ثان اضافي ؛ ثم اذا اعتد فيها ثانيا السنة او الفرضية صارت بدعة من ثلاثة اوجه . ومثله يلزم في كل بدعة اظهرت والتزمت ، واما اذا خفيت واختص بها صاحبها فالامر عليه اخف ؛ فيا لله وبيا للمسلمين ؛ ما ذا يحني المبتدع على نفسه عما لا يكون في حسابه ؛ وقانا الله شرور انفسنا بفضله .

(١) لعل الاصل « من هذا القبيل » أو « من هذا الوجه » وكتب في الاصل « فهي من هذه البدعة غير شرعية » ووضع فوق كلمة « البدعة » علامة الترميز

فصل

من تمام ما قبله

وذلك انه وقعت نازلة : أمام مسجد ترك ما عليه الناس بالاندلس من الدعاء للناس بآثار الصلوات بالهيئة الاجتماعية على الدوام - وهو ايضا معهود في اكثر البلاد ، فان الامام اذا سلم من الصلاة يدعو للناس ويؤمن الحاضرون - وزعم التارك ان تركه بناء منه على انه لم يكن من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا فعل الأئمة بعده ، حسبما نقله العلماء في دواوينهم عن السلف والفقهاء . أما أنه لم يكن من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهر ، لان حاله عليه السلام في ادبار الصلوات مكتوبات او نوافل - كانت بين امرين : إما ان يذكر الله تعالى ذكرا هو في العرف غير دعاء ، فليس للجماعة منه حظ ، الا ان يقولوا مثل قوله او نحوا من قوله كما في غير ادبار الصلوات ، كما جاء انه كان يقول في دبر كل صلاة « لا إله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما اعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجند منك الجند » وقوله « اللهم انت السلام ومنك السلام ، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام » وقوله « سبحان ربك رب العزة عما يصفون » الآية ، ونحو ذلك . فانما كان يقوله في خاصة نفسه كسائر الاذكار ، فمن قال مثل قوله فحسن ؛ ولا يمكن في هذا كله هيئة اجتماع .

وان كان دعاء فعامة ما جاء من دعائه عليه السلام بعد الصلاة مما سمع منه انما كان يخص به نفسه دون الحاضرين ، كما في الترمذي عن

علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قام الى الصلاة المكتوبة رفع يديه - الحديث الى قوله : ويقول عند انصرافه من الصلاة « اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت ، انت إلهي لا إله الا انت » حسن صحيح . وفي رواية ابي داود : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة قال « اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما اسرفت وما انت اعلم به مني ، انت المقدم وانت المؤخر لا إله الا انت » .

وخرج ابو داود : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دبر كل صلاة « اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد أن محمدا عبدك ورسولك ، اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد ان العباد كلهم اخوة ، اللهم ربنا ورب كل شيء اجمعاني مخلصالك واهلي في كل ساعة في الدنيا والآخرة ، يا ذا الجلال والاكرام اسمع واستجب ، الله اكبر الله اكبر ، الله نور السموات والارض ، الله اكبر الله اكبر ، حسبي الله ونعم الوكيل » .
ولأبي داود في رواية^(١) « رب اعني ولا تعن علي ، وانصرني ولا تنصر علي ، وأمكن لي ولا تمكّن علي ، واهدني ويسر الهداي الي ، وانصرني على من بنى علي » - الى آخر الحديث .

وفي النسائي انه عليه السلام كان يقول في دبر الفجر اذا صلى « اللهم اني اسألك علما نافعا ، وعملا متقبلا ، ورزقا طيبا » . وعن بعض الانصار قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر الصلاة « اللهم اغفر لي وتب علي انك انت التواب الغفور » حتى يبلغ مائة مرة .

(١) حذف لفظ رواية من نسختنا

وفي رواية ان هذه الصلاة كانت صلاة الضحى .

فتأملوا سياق هذه الادعية كلها مساق تخصيص نفسه بها دون الناس ، فيكون مثل هذا حجة لفعل الناس اليوم ؟ الا ان يقال : قد جاء الدعاء للناس في مواطن ، كما في الخطبة التي استسقى فيها ، ونحو ذلك . فيقال : نعم ، فاین التزام ذلك جبراً للحاضرين في دبر كل صلاة ؟

ثم نقول : ان العلماء يقولون في مثل الدعاء والذكر الوارد على اثر الصلاة : انه مستحب لا سنة ولا واجب . وهو دليل على امرين (احدهما) ان هذه الادعية لم تكن منه عليه السلام على الدوام . (والثاني) انه لم يكن يجبر بها دائماً ولا يظهرها للناس في غير مواطن التعليم ؛ اذ لو كانت على الدوام وعلى الاظهار لكانت سنة ، ولم يسمع العلماء ان يقولوا فيها بغير السنة ؛ اذ خاصيته — حسباً ذكره — الدوام والاظهار في مجامع الناس . ولا يقال : لو كان دعاؤه عليه السلام سرا لم يؤخذ عنه . لا نأقول : من كانت عادته الاسرار فلا بد أن يظهر منه ، او يظهر منه ولو مرة ، اما ^(١) بحكم العادة بقصد التنبيه على التشريع .

فان قيل : ظواهر الاحاديث تدل على الدوام بقول الرواة « كان يفعل » فانه يدل على الدوام كقولهم « كان حاتم يكرم الضيفان » . قلنا : ليس كذلك ، بل يطلق على الدوام وعلى الكثير والتكرار على الجملة ، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام كان اذا اراد أن ينام وهو جنب توضأ وضوءه للصلاة . وروت أيضاً انه كان

(١) يظهر ان في العبارة تحريفاً وحذفاً . ولعل الاصل « فلا بد ان يظهر منه إما بحكم العادة وإما بقصد التنبيه على التشريع »

عليه السلام ينام وهو جنب من غير أن يمس ماء ، بل قد يأتي في بعض الأحاديث « كان يفعل فيما لم يفعله الاصره واحده » نص عليه اهل الحديث . ولو كان يداوم ^(١) المداومة التامة للحق بالسنن كالوتر وغيره ؛ ولو سلم : فإن هيئة الاجتماع ؟

فقد حصل ان الدعاء بهيئة الاجتماع دائماً لم يكن من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما لم يكن من قوله ولا إقراره .

وروي البخاري من حديث أم سلمة انه صلى الله عليه وسلم كان يمكث اذا سلم يسيراً . قال ابن شهاب : حتى ينصرف الناس فيما نرى . وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها : كان اذا سلم لم يقعد الا مقدار ما يقول « اللهم أنت السلام ومنك السلام . تباركت يا ذا الجلال والاكرام » . واما فعل الأئمة بعده فقد نقل الفقهاء من حديث أنس في غير

كتب الصحيح : صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان اذا سلم يقوم . وصليت خلف ابي بكر رضي الله عنه فكان اذا سلم وثب كأنه على رصفة (يعني الحبر المحمي) ونقل ابن يونس الصقلي عن ابن وهب عن خارجة انه كان يعيب على الأئمة قعودهم بعد السلام ، وقال : انما كانت الأئمة ساعة تسلم تقوم . وقال ابن عمر : جلوسه بدعة . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لأن يجلس على الرصف خير له من ذلك . وقال مالك في المدونة : اذا سلم فليقم ولا يقعد الا ان يكون في سفر او في فناءه .

(١) اي على ما ذكر من الادعية والاذكار . ويوشك ان يكون قد سقط من النسخ ما يدل على ذلك . والمداومة والاجتماع لا تكون الا لشعائر الدين وانما ثبت الشعائر بعمل الرسول

وعده الفقهاء اسراع القيام ساعة يسلم من فضائل الصلاة، ووجهوا ذلك بأن جلوسه هنالك يدخل عليه فيه كبر وترفع على الجماعة، وانفراده بموضع عنهم يرى به الداخلة انه امامهم؛ واما انفراده به حال الصلاة فضروري. قل بعض شيوخنا الذين استفدنا منهم: واذا كان هذا في انفراده في الموضع، فكيف بما انضاف اليه من تقدمه امامهم في التوسل به بالدعاء والرغبة وتأمينهم على دعائه جهراً؟ - قل - ولو كان هذا حسناً لفعله النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم، ولم ينقل أحد من العلماء مع تواترهم على نقل جميع أموره، حتى: هل كان ينصرف من الصلاة عن اليمين أو عن الشمال؟ .

وقد نقل ابن بطال عن علماء السلف انكار ذلك والتشديد فيه على من فعله بما فيه كفاية .

هذا ما نقله الشيخ بعد أن جعل الدعاء باثر الصلاة بهيئة الاجتماع دائماً بدعة قبيحة، واستدل على عدم ذلك في الزمان الاول، بسرعة القيام والانصراف لأنه مناف للدعاء لهم وتأمينهم على دعائه، بخلاف الذكر ودعاء الانسان لنفسه، فان الانصراف وذهاب الانسان لحاجته غير مناف لهما. فبلغت الكاثنة بعض شيوخ العصر فردى على ذلك الامام رداً امرع فيه على خلاف ما عليه الراسخون، وبلغ من الرد على زعمه الى أقصى غاية ما قدر عليه، واستدل بامور اذا تأملها الفطن عرف ما فيها، كالا ممر بالدعاء إثر الصلاة قرآناً وسنة، وهو - كما تقدم - لا دليل فيه، ثم ضم الى ذلك جواز الدعاء بهيئة الاجتماع في الجملة الا في ادبار الصلوات، ولا دليل فيه أيضاً - كما تقدم - لاختلاف المتأصلين .

وأما في التفصيل فزعم انه مازال معمولاً به في جميع اقطار الارض
أو في جلها من الأئمة في مساجد الجماعات من غير تكير الا تكير ابي
عبد الله ؛ ثم اخذ في ذمه . وهذا النقل تهور بلا شك ؛ لانه نقل إجماع
يجب على الناظر فيه والمحتج به قبل التزام عهده ان يبحث عنه بحث
اصل عن الاجماع ، لأنه لا بد من النقل عن جميع المجتهدين من هذه الأمة
من اول زمان الصحابة رضي الله عنهم الى الآن . هذا أمر مقطوع
به . ولا خلاف انه لا اعتبار باجماع العوام وان ادعوا الامامة .

وقوله «من غير تكير» تجوز ، بل مازال الانكار عليهم من الأئمة ؛
فقد نقل الطرطوشي عن مالك في ذلك اشياء تخدم المسئلة ، فحصل انكار
مالك لها في زمانه ، وانكار الامام الطرطوشي في زمانه ، واتبع هذا
اصحابه وهذا اصحابه ؛

ثم القرافي قد عدّ ذلك من البدع المكروهة على مذهب مالك ،
وسلمه ولم ينكره عليه أهل زمانه — فيما نعلمه — مع زعمه ان من البدع
ما هو حسن ؛

ثم الشيوخ الذين كانوا بالاندلس حين دخلتها هذه البدعة — حسبما
يذكر بحول الله — قد انكروها ، وكان من معتقدهم في ذلك أنه مذهب
مالك . وكان الزاهد ابو عبد الله بن مجاهد وتلميذه ابو عمران الميرتلي
رحمهما الله ملتزمين لتركها ، حتى اتفق للشيخ ابي عبد الله في ذلك
ماسند كره ان شاء الله .

قال بعض شيوخنا راداً على بعض من نصر هذا العمل : فاننا قد

شاهدنا العمل الأئمة ^(١) الفقهاء الصالحاء المتبعين للسنة المتحفظين بأمور دينهم يفعلون ذلك أئمة ومأمومين ، ولم نر من ترك ذلك إلا من شذ في أحواله . - فقال - وأما احتجاج منكر ذلك بأن هذا لم يزل الناس يفعلونه فلم يأت بشيء ؛ لأن الناس الذين يقتدى بهم ثبت أنهم لم يكونوا يفعلونه . قال - ولما كانت البدع والمخالفات وتواطأ الناس عليها صار الجاهل يقول : لو كان هذا منكرا لما فعله الناس . ثم حكى أثر الموطأ « ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة » - قال - فإذا كان هذا في عهد التابعين يقول : كثرت الأحداث فكيف بزماننا ؟ ثم هذا الإجماع لو ثبت لزم منه محذور ، لأنه مخالف لما نقل عن الأولين من تركه ؛ فصار نسخ إجماع بإجماع ، وهذا محال في الأصول .

وأيضاً فلا تكون مخالفة المتأخرين لإجماع المتقدمين على سنة حجة على تلك السنة ابتداءً ؛ فما أشبه هذه المسئلة بما حكى عن أبي علي بإشاذان ^(٢) بسند يرفعه إلى أبي عبد الله ابن إسحاق الجعفري ، قال : كان عبد الله بن الحسن - يعني ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم - يكثر الجلوس إلى ربيعة ، فتذاكروا يوماً ، فقال رجل كان في المجلس : ليس العمل هذا ^(٣) فقال عبد الله : رأيت أن كثر الجهال حتى يكونوا هم الحكماء ، أفهم الحجة على السنة ؟ فقال ربيعة : أشهد أن هذا كلام أبناء الأنبياء . انتهى .

(١) لعله « من الأئمة » (٢) شاذان لقب رجلين من رواة الحديث أحدهما الأسود بن عامر أبو عبد الرحمن الشامي نزيل بغداد مات سنة ٢٠٨ و ثانيهما عبد العزيز بن عثمان بن جبلة مات سنة ٢٢١ وظاهر أن في عبارة نسختنا تحريفاً (٣) لعل الأصل « ليس العمل على هذا » أي الذي تقولونه

الا اني اقول : ارأيت ان كثير المقلدون ثم أحدثوا بأرائهم فحكموا بها ، افهم الحجة على السنة ولا كرامة ؟

ثم عضد ما ادعاء باشيء من جملتها « قوله » : ومن امثال الناس « أخطئ مع الناس ولا تصب وحدك » أي ان خطأهم هو الصواب ، وصوابك هو الخطأ . — قال — ومعنى ما جاء في حديث « عليك بالجماعة فانما يأكل القاصية » ^(١) فجعل تارك الدعاء على الكيفية المذكورة مخالفاً للاجماع . كما ترى . وحض على اتباع الناس وترك المخالفة لقوله عليه السلام « لا تختلفوا فتختلف قلوبكم » وكل ذلك مبني على الاجماع الذي ذكرنا ^(٢) ان الجماعة هم جماعة الناس كيف كانوا . وسيأتي معنى الجماعة المذكورة في حديث الفرق ، وانها المتبعة للسنة وان كانت رجلاً واحداً في العالم . قال بعض الحنابلة : لا تبعاً بما يعرض من المسائل ويدعى فيها الصحة بمجرد التهويل ، أو بدعوى ان لا خلاف في ذلك . وقائل ذلك لا يعلم احداً قال فيها بالصحة فضلاً عن نفي الخلاف فيها ، وليس الحكم فيها من الجليات التي لا يقدر المخالف ^(٣) — قل — وفي مثل هذه المسائل قل الامام أحمد بن حنبل : من ادعى الاجماع فهو كاذب وانما هذه دعوى كثير وابن عليه يريدون ان يبطلوا السنن بذلك . يعني أحمد ان المتكلمين في الفقه على أهل البدع اذا ناظرتهم بالسنن والآثار قالوا : هذا خلاف الاجماع . وذلك القول الذي يخالف ذلك الحديث لا يحفظونه الا عن

(١) لفظ الحديث « ... فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية » (٣) كذا في نسختنا ، والظاهر ان النسخ قد اسقط كلاماً من هذا الموضع واقل ما يفهم به الكلام ان يقال « وان الجماعة » الخ (٣) كذا في نسختنا ، ولعله : لا يعذر المخالف بجهله

بعض فقهاء المدينة أو فقهاء الكوفة - مثلاً - فيدعون الاجتماع من قلة معرفتهم بأقاويل العلماء، واجترأهم على رد السنن بالآراء، حتى كان بعضهم تسرد عليه الأحاديث الصحيحة في خيار المجلس ونحوه من الأحكام فلا يجد لها معصماً إلا أن يقول: هذا لم يقل به أحد من العلماء؛ وهو لا يعرف إلا بأحيفة أو مالكا، لم يقولوا بذلك، ولو كان له علم لرأى من الصحابة والتابعين وتابعيهم ممن قال بذلك خلقاً كثيراً.

ففي هذا الكلام إرشاد لمعنى ما نحن فيه، وأنه لا ينبغي أن ينقل حكم شرعي عن أحد من أهل العلم إلا بعد تحققه والتثبت، لأنه مخبر عن حكم الله؛ فإياكم والتساهل فانه مظنة الخروج عن الطريق الواضح إلى البنيات. ثم عدّ من المفسد في مخالفة الجمهور أنه يرميهم بالتجهيل والتضليل؛ وهذا دعوى من خالفه فيما قال، وعلى تسليمها، فليست بمفسدة على فرض اتباع السنة، وقد جاء عن السلف الحض على العمل بالحق، وعدم الاستيحاش من قلة أهله.

وأيضاً فمن شنع على المبتدع بلفظ الابتداع فاطلق العبادة بالنسبة إلى المجتمعين يوم عرفة بعد العصر للدعاء في غير عرفة - إلى نظائرها - فتشيعه حق كما يقوله بالنسبة إلى بشر المريسي ومعيد الجهني وفلان وفلان؛ ولا يدخل بذلك - أن شاء الله - في حديث «من قال: هلك الناس - فهو أهلكهم» لأن المراد أن يقول ذلك ترفعا على الناس واستحقاراً، وأما أن قاله تحزناً وتحسراً فلا بأس. قال بعضهم: ونحن نرجو أن نخرج على ذلك - أن شاء الله - فلا استدلال به ليس على وجهه.

وعدّ من المفسد الخوف من فساد نيته بما يدخل عليه من العجب

(المنار-ج ٦م ١٧) ترك السنة المهجورة خوف الرمي بالبدعة وإدارة العامة ١٣٣٥ هـ

والشهرة المنهي عنها ، فكانه يقول : اترك اتباع السنة في زمان الغربة خوف الشهرة ودخول العجب . وهذا شديد من القول وهو معارض بمثله ؛ فان انتصابه لا يكون داعيا للناس باثر صلواتهم وإنما مظنة لفساد نيته بما يدخل عليه من العجب والشهرة ؛ وهو تعليل القرافي ، وهو اولى في طريق الاتباع ، فصار تركه للدعاء لهم مقرونا بالاعتداء ، بخلاف الداعي فانه في غير طريق من تقدم ؛ فهو اقرب الى فساد النية .

وعد منها ما يظن به من القول برأي اهل البدع القائلين بان الدعاء غير نافع ؛ وهذا كالذي قبله لانه يقول للناس : اتركوا اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في ترك الدعاء بهيئة الاجتماع بعد الصلوات لئلا يظن بك ^(١) الابتداع . وهذا كما ترى .

قال ابن العربي : ولقد كان شيخنا ابو بكر الفهري يرفع يديه عند الركوع وعند رفع الرأس منه ، وهو مذهب مالك والشافعي ، وتفعله الشيعة - قال - فحضر عندي يوما في محرس ابي الشعراء بالشعر موضع تدريسي عند صلاة الظهر ، ودخل المسجد من المحرس المذكور ، فتقدم الى الصف الاول وانا في مؤخره على طاقت البحر ، أتسم الريح من شدة الحر ، ومعي في صف واحد ابو ثمنة رئيس البحر وقائده في نفر من اصحابه ينتظر الصلاة ، ويتطلع على صراكب المنار ؛ فلما رفع الشيخ الفهري يديه في الركوع وفي رفع الرأس منه ، قل ابو ثمنة واصحابه : الاترى الى هذا المشرقي كيف دخل مسجدنا ؛ قوموا اليه فاقتلوه وارموا به في البحر فلا

(١) المناسب لقوله « اتركوا » ان يقول هنا « بكم » ويعبر عن هذا المعنى بعبارة اخرى فيقال : ابتدعوا بالفعل لئلا يظن باطلا انكم ابتدعتم . او اتركوا السنة بالفعل ، لئلا تتهموا بتركها بسوء الظن

١٧٠ اتفاق أئمة المساجد في الدعاء بهيئة الاجتماع لأحجة فيه (المنار - ج ٦ م ١٧)

يراكم احد . فطار قاي من بين جوانحي ، وقلت : سبحان الله ! - هذا الطرطوشي فقيه الوقت . فقالوا لي : ولم يرفع يديه ؟ فقلت كذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ، وهو مذهب مالك في رواية اهل المدينة عنه ، وجعلت أسكنهم واسكنهم حتى فرغ من صلاته ، وقتت معه الى المسكن من المحرس ، ورأى تغير وجهي فانكره ، وسألني فأعلمته فضحك ، وقال : من اين لي ان اقتل على سنة ؟ فقلت له : ويحل لك هذا ؛ فانك بين قوم ان قت بها قاموا عليك ، وربما ذهب دمك . فقال : دع هذا الكلام وخذ في غيره . فتأملوا في هذه القصة ففيها الشفاء ، اذ لا مفسدة في الدنيا توازي مفسدة امانة النفس ، وقد حصلت النسبة الى البدعة ، ولكن الطرطوشي رحمه الله يرى ذلك شيئاً ^(١) فكلامه للاتباع ^(٢) اولى من كلام هذا الراد ، اذ ينهيا في العلم ما ينهيا .

وأيضاً فلو اعتبر ما قال لزم اعتباره بمثله في كل من انكر الدعاء بهيئة الاجتماع يوم عرفة في غير عرفة ، ومنهم نافع مولى ابن عمر ومالك والليث وعطاء وغيرهم من السلف ، ولما كان ذلك غير لازم فسالنا كذلك ثم ختم هذا الاستدلال الاجماعي بقوله وقد اجتمع أئمة الاسلام في مساجد الجماعات في هذه الاعصار في جميع الاقطار على الدعاء اذ بار الصلاة ، فيشبه ان يدخل ذلك مدخل حجة اجماعية عصرية

فان اراد الدعاء على هيئة الاجتماع دائماً لا يترك كما يفعل بالسنن - وهي مسألتنا المفروضة - فقد تقدم ما فيه . (انتهى الفصل والبحث طويل)

(١) كذا في نسختنا ، والسياق يقتضي النفي أي كان لا يرى ذلك شيئاً - ولا ظهر ان تكون العبارة : لم ير ذلك شيئاً . (٢) لعلمه بالاتباع

﴿ حظر الشحاذة والسؤال والذل لغير الله ﴾

فصل من فصول كتاب (مدارج السالكين . بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين) للإمام المحقق ابن القيم . ذكره في بحث منزلة الرضاء بالله ومن الله ، فخر المسألة به تحريرا كعادته ، قال أجزل الله ثوابه :

(فصل) والمسئلة في الاصل حرام ، وانما أيجت للحاجة والضرورة ، لانها ظلم في حق الربوبية وظلم في حق المسئول ، وظلم في حق السائل

(أما الاول) فلانه بذل سؤاله وفقره وذل واستعطائه لغير الله ، وذلك نوع عبودية ، فوضع المسئلة في غير موضعها وانزلها بغير اهليها ، وظلم توحيدده وخلاصه وفقره الى الله وتوكله عليه ورضائه بقسمه ، واستغنى بسؤال الناس عن مسئلة رب الناس ، وذلك كله يهضم من التوحيد ويطفئ نوره ويضعف قوته

(واما ظلمه) المسئول فلانه سأل ما ليس له عنده ، فأوجب له بسؤاله عليه حقا لم يكن له عليه ، وعرضه لمشقة البذل أولوم المنع ، فان اعطاه اعطاه على كراهة ، وان منعه منعه على استحياء وانماض . هذا اذا سأل ما ليس عليه ، واما اذا سأل حقا هو له عنده ، لم يدخل في ذلك ، ولم يظلمه بسؤاله .

(واما ظلمه لنفسه) فانه اراق ماء وجهه ، وذل لغير خالقه ، وأنزل نفسه ادنى المنزلتين ، ورضي لها بأبجس الخالتين ، ورضي باستقاط شرف نفسه وعزة تعففه وراحة قناعته ، وباع صبره ورضائه وتوكله وقنعه بما قسم له واستغناؤه عن الناس بسؤالهم ، وهذا عين ظلمه لنفسه ، اذ وضعها في غير موضعها ، وأخل شرفها ، ووضع قدرها ، وأذهب عزها ، وصفرها وحقرها ، ورضي ان تكون نفسه تحت نفس المسئول ، ويده تحت يده ، وأولا الضرورة لم يبح ذلك في الشرع . وقد ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في

وجهه مزة لحم « وفي صحيح مسلم عن (١) أبي هريرة رضي الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سأل الناس أموالهم تكثرا ، فإنما يسأل حجرا ، فليستقل أو ليستكثر » وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحطب على ظهره خير له من ان يأتي رجلا فيسأله ، أعطاه أو منعه » وفي صحيح مسلم عنه أيضا قل : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره فيصدق به ، ويستغني به عن الناس ، خير له من ان يسأل رجلا ، أعطاه أو منعه ذلك فمن (٢) اليد العليا خير (٣) من اليد السفلى وأبدأ بمن تقول - زاد الامام أحمد - ولأن يأخذ ترابا فيجعله في فيه خيرا له من ان يجعل في فيه ما حرم الله عليه » وفي صحيح البخاري عن الزبير بن العوام رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها (٤) وجهه ، خيرا له من ان يسأل الناس اعطوه أو منعه » وفي الصحيحين عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان ناسا من الانصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، ثم سألوه فاعطاهم . حتى نفد ما عنده ، فقال لهم حين انفق كل شيء بيده « ما يكون عندي من خير فان ادخره عنكم ، ومن يستغف (٥) بعفه الله ، ومن يستغن بعفه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر » وعن عبد الله بن عمر (٦) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ، وذكر الصدقة والتغف عن المسئلة (٧) « اليد العليا خير من اليد السفلى ، فاليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي السائلة » ورواه البخاري ومسلم .

(١) في الحجازية « عنه أيضا » وهو الحديث الآتي « لان يغدو أحدكم » الخ
 حذف منها حديثان (٢) في نسختنا والبغدادية « بان » وفي الحجازية « فان »
 (٣) في البغدادية « افضل » (٤) حذف من الحجازية اسم الجلالة (٥) في غير الحجازية « يستغف » (٦) وفي غيرها « ابن عامر » وهو غلط (٧) وفي غيرها « والمسئلة »

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ، ثم سأله فأعطاني ثم قال « يا حكيم ! ان هذا المال خضيرة حلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف (١) نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى » قال حكيم فقلت : يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ احدا بعدك شيئا حتى افارق الدنيا . وكان ابو بكر رضي الله عنه يدعو حكيم الى العطاء فيأبى ان يقبله منه ، ثم ان عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى ان يقبل منه شيئا ، فقال عمر : اني اشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم اني اعرض عليه حقه من هذا الفى ، فيأبى ان يأخذه . فلم يرزأ حكيم احدا من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي . متفق على صحته .

وعن الشعبي قال حدثني كاتب المغيرة بن شعبة ، قال كتب معاوية الى المغيرة ابن شعبة ان اكتب الي شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله كره لكم ثلاثا . قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال » رواه البخاري ومسلم . وعن معاوية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تاحفوا في المسئلة ، فوالله لا يسألني احد منكم شيئا فتخرج له مسأله مني شيئا وانا له كاره فيبارك له فيما اعطيته » - وفي لفظ - انما اذا خازن ، فمن اعطيته عن طيب نفس يبارك له فيه ، ومن اعطيته عن مسئلة وشراء كان كالذي يأكل ولا يشبع » رواه مسلم .

وعن ابي مسلم الخولاني قال حدثني الحبيب الامين - اما هو فحبيب الي واما هو عندي فأمين - عوف ابن مالك الاشجعي رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تسعة او ثمانية او سبعة فقال « ألا تباعون رسول الله ؟ » صلى الله عليه وسلم - وكنا حديث عهد ببينة - فقلنا قد بايعناك يا رسول الله . قال « ألا تباعون رسول الله ؟ » فقلنا قد بايعناك يا رسول الله ثم قال . - الا

(١) في البغدادية « بإشراف » والرواية بالمعجمة . ومعنى الإشراف التطلع

الى الشيء بحرص

تبايعون رسول الله؟ - قال فبسمنا ايدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلى م
 نبايعك؟ - قال . أنت تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، والصلوات (١) الخمس
 وتطامبوا الله - واسر كلمة خفية - ولا تسألوا الناس شيئاً « فلقد رأيت بعض
 أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه . رواه مسلم .

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « ان المسئلة كد يكذب بها الرجل وجهه الا أن يسأل الرجل سلطاناً او في امر
 لا بد منه » رواه الترمذي وقال . حديث حسن صحيح .

وفي مسند الامام احمد عن زيد بن عتبة الفزاري ، قال دخلت على الحجاج
 ابن يوسف الثقفي فقلت : أصلح الله الأمير ، ألا أحدثك حديثاً سمعته من سمرة
 ابن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال بلى ، قال سمعته يقول « المسائل
 كد يكذب بها الرجل وجهه ، فمن شاء ابقى على وجهه ومن شاء ترك ، إلا أن يسأل
 رجل ذا سلطان ، او يسأل في امر لا بد منه »

وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يتقبلني بواحدة
 اتقبل (٢) له بالجنة - قلت انا . قال - لا تسأل الناس شيئاً » فكان ثوبان
 يقيم سوطه وهو راكب فلا يقول لأحد ناولنيه ، حتى ينزل هو فيتناولوه . رواه الامام
 احمد واهل السنن . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « من اصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن انزلها بالله اوشكت
 الله له بالغنى ، اما بموت عاجل او غنى عاجل » رواه ابوداود والترمذي ، وقال حديث
 حسن صحيح (٣)

وعن سهل بن الحنظلية قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عينة بن
 حصن والاقرع بن حابس فسألاه فامرهما بما سألا ، وأمر معاوية فكتب لهم
 بما سألا ، فأما الاقرع فأخذ كتابه فلفه في عمامته وانطلق ، واما عينة فأخذ كتابه
 فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتابه ، فقال : يا محمد أراني حاملاً الى قومي كتاباً .

(١) في البغدادية « وتقيموا الصلوات » (٢) كان نص نسختنا « واتقبل »

(٣) حذف من البغدادية - لفظ حسن -

لا أدري ما فيه كصحيفة المتلمس ، فأخبر معاوية بقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سأل وعنده (١) ما يقنيه فأنا يستكثر من النار - وفي لفظ آخر - من جرحهم ، قالوا : يا رسول الله ! وما يقنيه ؟ - وفي لفظ - وما القنى الذي لا تبغى معه المسألة ؟ قال - قدر ما يقديه ويعشيه - وفي لفظ - ان يكون له شبع يوم ليلة » رواه أبو داود والامام احمد .

وعن أبي الفراس (٢) قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أسأل يا رسول الله ؟ قال « لا ، وأن كنت سائلا لا بد فسل (٣) الصالحين » رواه النسائي .
وعن قبيصة بن مخارق الهلالي ، قال : تحملت حمالة فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم أسأله فقال « أقم حتى تأتينا الصدقة فأمر لك بها - قال ثم قال - يا قبيصة إن المسئلة لا تحمل إلا لاحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسئلة حتى يصيبها ثم يمساك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسئلة حتى يصيب قواما من عيش ، - او قال - سدادا من عيش ، ورجل أصابته فاقة ، حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجى من قومه : لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسئلة حتى يصيب قواما من عيش - او قال - سدادا من عيش ، فما سواهن من المسئلة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا » رواه مسلم .

وعن عائذ بن عمرو ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله فاعطاه ، فلما وضع رجله على اسكفة الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو يعلمون ما في المسئلة ما مشى احد إلى احد يسأله شيئا » رواه النسائي .
وعن مالك بن نضلة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الايدي ثلاثة - بيد الله العليا ، و بيد المعطي التي تليها ، و يد السائل السفلى ، فأعط الفضل ولا

(١) في البغدادية « وله » بدل « وعنده » (٢) في البغدادية « وعند ابن الفراس ان الفراس » والصواب « وعن ابن الفراسي أن الفراسي » . وفي الإصابة ان البخاري سماه فراسا . وأطلق عليه غيره لفظ الفراسي . فقل هو اسم وقيل نسب والاسم مجهول ، وعزى الحديث الى ابن ماجه وابن حبان ، أقول : وهو في أبي داود أيضا (٣) وفيها « فاسأل »

تعبز من نفسك » رواه الإمام أحمد وأبو داود .

وعن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من سأل مسألة وهو عنها غني كانت شينا في وجهه يوم القيامة » رواه الإمام أحمد . وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ثلاث والذي نفس محمد بيده أن كنت لخالفنا عليهن : لا ينقص مال من صدقة ، فتصدقوا ، ولا يعضو عبد عن مظالمه يتغني بها وجه الله ألا رفعه الله بها ، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر » رواه الإمام أحمد .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه « قال : سرحني أخي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله . فأثبته ففعدت - قال - فاستقباني فقال « من استغنى اغناه الله ، ومن استعفف اعفاه الله ، ومن استكفى كفاه الله ، ومن سأل وله قيمة أوقية فلقد ألحف » فقلت ناقتي هي خير من أوقيه ، ولم أسأله . رواه الإمام أحمد وأبو داود (١) . وعن خالد بن عدي الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جاءه من أخيه معروف من غير اشراف ولا مسألة فليقبله ولا يردده . فأما هو رزق ساقه الله إليه » رواه الإمام أحمد .

(١) هذا الحديث لم يخرج أبو داود وإنما أخرج حديثه المتفق عليه في سؤال الانصار وتقديم في ص ١٣٠ وأما هذا الحديث فمراه الحافظ في الفتح إلى النسائي . وامل هذا من سهو النساخ لا المصنف ، إذ رأيت في هذه الأحاديث أغلاطا كثيرة صححتها على الأصول

تشریف أمير البلاي

مدرسة دار الدعوة والارشاد

ان عناية مولانا عزيز مصر العباس (أيده الله تعالى) برفع منار العلم والعرفان ، مما سارت به الركبان ، وعرف فضله فيه الثقلان ، وقد أدرك حفظه الله بنور بصيرته الثاقب ، أن التعليم الذي شيد لمعاهده أركانها ، وأقام من مدارسه بنيانها ، لا تصلح به حال الأمة الا اذا قرن بالتربية العملية ، وتهذيب الاخلاق في المدارس الداخلية ، ولما وقف على مشروع مدرسة دار الدعوة والارشاد ، ورأى قواعد نظامها قائمة على هذا الاساس ، أظهر ميله الشريف اليها ، واستحسنه لطريقتها ، وقد أراد في هذه الايام أن يظهر للأمة مياله اليها ، وعنايته السامية بها ، تشجيعاً للقاتنين بأمر المدرسة على عملهم ، وارشاداً للحبي الخير الى شد أزرم ، فأظهر لناظر المدرسة عزمه الشريف على زيارتها في ضحوة يوم الاثنين (٢ جمادى الآخرة) وأنه يجب أن يراها كما هي من غير زينة ولا كلفة ، ولم يأذن لي بدعوة أحد الى استقباله فيها ، الا من حضر من أعضاء جماعتها . وكانت ذلك اليوم قد ضرب موعداً لاجتماع مجلس النظار في الساعة العاشرة صباحاً ، وموعد خروج الامير من قصر القبة رأس الساعة التاسعة . فكان اجتهاد رجال التشريفات انه يشرف قصر عابدين أولاً ثم يؤم المدرسة منه ، وان مدة مكثه في المدرسة تكون من عشر دقائق الى ١٥ دقيقة

ولما تشرفت يوم السبت الماضي بتهنئته بعيد مولده السعيد في

المقابلة العامة تفضل باجلاسي بجانبه وقال لي عند الانصراف انه سيخرج من قصر القبة على رأس الساعة التاسعة ويقصد المدرسة تَوَّاء ، فاستبشرت حينئذ بأن مدة تشریفه ستكون طويلة

وفي ضحوة ذلك اليوم الميمون جاء المدرسة صاحب العزة محمد بك فهمي التشریفاتي الاول فتعهد المدرسة والطريق الموصل اليها ، وكان قد تعهد الطريق غيره من رجال المعية السنية وكذا مهندس السيارات ، ثم جاءت فصيلة من العسكر المصري ووقفت عند طريق المدرسة الخاص لاداء السلام العسكري لسموه

ولما كان تمام الساعة التاسعة جاء نبأ المسرة بلسان المسرة (التلفون) من قصر القبة بأن الركاب العالي قد تحرك ، وكان قد جاء المدرسة لاستقبال سموه صاحب الفضيلة السيد عبد الحميد البكري رئيس جماعة الدعوة والارشاد ، وكل من الاستاذ الشيخ محمد المهدي المدرس بمدرسة القضاء الشرعي والاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار المدرس بمدرسة البوليس وأصحاب العزة محمود بك سالم ومحمود بك صادق ومحمد بك لبيب البتانوتي وعبد الله بك فائق والطبيب محمد توفيق افندي صديقي من أعضاء جماعة الدعوة والارشاد ، وشقيقي السيد صالح رضا ، نخف الجميع مع محمد بك فهمي الى باب حديقة المدرسة ، ووقفنا خارجه ، وبعد ربع ساعة من نيا المسرة وصل سموه الى المدرسة في سيارة كهربائية تسابق البرق ، فصافح المستقبليين كما هو دأبه الشريف ، وكان مع سموه رئيس حجاب معيته السنية ، وجاء أيضا صاحب السعادة علي باشا ذوالفقار محافظ العاصمة وحده ليكون في خدمته مدة زيارته للمدرسة

ثم دخل سموه المدرسة فكان أول شيء رآه وتعااهده فيها مسجدها
في الطبقة الاولى منها . ثم صعد الى الطبقة الثانية فشرف حجرة الناظر
أولاً ، ثم حجرة المعلمين . فقدمت له المعلمين واحداً بعد واحد ، فكان
يسأل كل واحد عن العلم الذي يدرسه وعن عدد دروسه . ثم دخل
حجرة السنة التمهيدية ، فبينت لسموه أجناس الطلبة بالإشارة اليهم فكان
يسأل : أين كانوا قبل الانتساب الى المدرسة ، وعن درجة فهم الاعاجم
منهم للعربية ونطقهم بها . فاستأذنته بسماع إلقاء طالب هندي لبعض
محفوظه من الشعر العربي فأذن . فقام الطالب عبد الله خدايار وأنشد
بلسان فصيح أبيات أبي تمام التي أولها

يا صاحبيّ تقصياً نظريكما تريا وجوه الروض كيف تصور

ترياً نهاراً مشمساً قد شابه زهر الربى فكأنما هو مقرر

فأعجبه إنشاده وإلقاؤه وفصاحة لسانه . ثم عرضت على سامع
سموه ان بعض الطلبة قد نظموا على ضيق الوقت شيئاً من الشعر
ترحياً بتشريفه : فهل يأذن بإنشاد شيء منها ؟ فأذن فأشدوا ما سيذكر
بعد ، وهو واقف يسمع ، وقد جبر قلوب المنشدين بإشارة الرضا
والاستحسان . ثم مر سموه من وسطهم متفرساً فيهم ، ودخل حجرة
السنة الاولى ، فاستأذن الطالب الاول فيها وهو محمد أبو زيد وأنشد
هذين البيتين :

شرفت دار المرشدين ياملي كما نورت أضواءه لمن سلك

عباسنا في رفع شأن شعبه لم يأل جهداً فهو خير من ملك

وكان بعض الطلبة من هذه الفرقة قد نظموا شيئاً من الشعر أيضاً فلم

أر من الذوق استئذان سموه بانشاده .

ثم انه حفظه الله تعالى سأني عن جميع الدروس التي يتلقونها ؛ وأصر
أن يسألهم معلم اللغة الانكليزية أمامه بعض الاسئلة ، وأن يطلعه على
خطوطهم وترجمتهم ففعل ، ونطق حفظه الله تعالى بكلمات من الحكمة في
منافع لغات العلم الاوربية وحاجة طلاب هذه المدرسة اليها في هذا العصر .
ثم عاد الى حجرة ناظر المدرسة فاستأذنته بالقاء بعض ما يحتاج القلب
من واجب الشكر والدعاء ، فأذن فألقيت ما سيدكر بعد ، وهو حفظه الله
واقف والجميع وقوف في خدمته ، فتكرم بكلمة القبول المؤذنة بتواضعه
المعهود ، وأظهر استحسنه لكل مارأى . ووعد بأن يزور المدرسة في
كل سنة . ودعا الله تعالى بأن يراها تزداد تقدما وارتقاء في كل عام .
فشكرت له هذا بما يليق بالمقام ، وأطلعت على دفاتر ذات جداول
وضعتها في هذا العام لتكون سجلات لتاريخ الطلبة في تربيتهم
وتعليمهم ، تحصى فيها درجات الامتحانات المختلفة ، وأنواع المخالفات
والمقاب عليها ، وغير ذلك ، فأظهر استحسنه لها .

ثم انه نزل الى الطبقة الاولى فتفقد حجرات النوم والطعام ، والمتوضأ
والحمام ، فأعجبه كل ذلك . وعلم برؤية ذلك اننا جددنا عمارة في المدرسة
لم تكن ، فسأل عن ذلك فذكرت لسموه ما جددناه فيها . وسأل عن
اجارتها وأجرتها وكم بقي لنا من مدتها ، فأجبتة عن ذلك ، وقد كرر
عبارات استحسان المكان في بنائه وموقعه ، فذكر ذلك في بدء الدخول

وعند ارادة الخروج

وبعد أن أتم بحثه وتفتيشه بدقة يعجز عن مثلها أمهر المفتشين خرج

مشيما بالقلوب والاجسام . حتى اذا ما بلغ باب حديقة المدرسة ودع المشيعين وودعوه بتقبيل يده الكريمة . وأراد أن يمشي في الشمس الى الشارع العام ، فلما رأى أننا نريد المشي في خدمته ركب سيارته . وأمر سعادته محافظ العاصمة بالركوب معه . وانصرف والالسنه تلهج بحمده والدعاء له . وكانت الساعة بلغت ١٠ وه دقائق .

وعلى أثر ذلك تألف وفد من رئيس الجماعة والشيخ محمد المهدي والشيخ عبدالوهاب النجار وكاتب هذه السطور (ناظر المدرسة) لاداء واجب الشكر الى سموه ، فحطنا قصر عابدين ، فأبلغنا رجال التشريفات أن موعد انعقاد مجلس النظار قد حان ، فلا وقت لمقابلة سموه الآن . فاكففينا بكتابة أسمائنا في الدفتر كما هي العادة المتبعة

ثم ان كاتب هذه السطور أمّ قصر عابدين مرة أخرى في أصيل ذلك اليوم فتكرم الجناب العالي بمقابلته مقابلة خاصة ، فأدبت ما يجب من الشكر بلساني ولسان اخواني ، وتفضل أيده الله تعالى بإبداء سروره من زيارة المدرسه ورضاه عنها ، وبعض الاواصر الارشادية المتعلقة بها وبما تبرع به لها ، فخرجت حامداً شاكرآ داعياً . أما ما تبرع به لها فهو خمسمائة جنيه مصري . وما يرجى من عنايته وبره فوق ذلك ، أدام الله توفيقه وتأيدته ، آمين .

كلمة الدعاء والشكر

التي وجهها الى سمو أمير البلاد، ناظر مدرسة دار الدعوة والارشاد^(١)
وهو واقف بين يديه في حجرة من المدرسة
مولانا العزيز العظيم !

ليس في طاقتنا ولا في طاقة الامة أن تقوم بما يجب لك من
الاحلال والتكريم، بتشريفك هذا المعهد الاسلامي من معاهد التربية
والتعليم، ولكن لسان كل منا يردد قول الابوصيري :

ماله حيلة سوى حيلة العا جز إما توسل أو دعاء

فنقول : أعز الله بك أيها العزيز الاسلام، ورفع بهمتك منار العلم
والعرفان، واحيا بهديك السنة، وجدد بعنايتك مجد الامة .

نحمد الله تعالى اسماؤه ثم نحمدك، ونشكره جل ثناؤه ثم نشكرك،
ولو كبر عن الثناء محسن لكبرت يا مولاي عن الحمد، ولو جل عن
شكر الصنيعة منعم لجلت صنائعك عن الشكر .

فانت أنت الذي انقرت دون أصراء المسلمين، بالجمع بين المدنية
الصحيحة واقامة شعائر الدين . ففي أوروبا تراحم بمنكبك مناكب أعظم
الملوك، وفي حرم الله ورسوله يزاحم بمنكبه البدوي والصلوك .

وانت أنت الذي أفضت المال والنظام على معاهد العلم الدينية، ولم
تنس من فيضك مدارس الفنون الدنيوية، ولم ترض بما رفعت من شأن
الازهر حتى أنشأت أزهاراً ثانياً في مدينة الاسكندرية، كما نفخت

(١) نشرت هذا وما قبله في الجرائد اليومية المشهورة عقب تشريف الامير ثم
نشرته هذا بالنص الذي نشر في الجرائد فلماذا قلت وجهها ناظر المدرسة ولم أقل وجهتها

روح الثقة في جسم الجامعة المصرية ، باعانتك المالية وعنايتك المعنوية .
وأنت أنت الذي رقيت بعلمك وعملك الزراعة ، وجددت في
قطرك السعيد أعمال الصناعة ، ووسعت بهديك دائرة التجارة .
تفعل كل هذا بحق ، بما آتاك الله من الهمة العلية ، وتجري فيه على
عرق ، بالوراثة المحمدية العلوية .

فأنت أنت الذي لله مفعلا وأنت أنت الذي لله ماصنا
وأنت أنت الذي لله ماوصلا وأنت أنت الذي لله ماقطعا
ولكن : هل رضيت نفسك الكبيرة بكل هذا ووقفت همتهك
العلية عنده ؟ كلا ! انك أيديك الله بروح منه قد توجهت الى ما وراءه من
الاصلاح الاجتماعي والسياسي ، والاصلاح الديني الروحي
أما الاول : فقد أشهدت الشرق والغرب - وكفى بالخافقين شاهدي
عدل - على انك تريد أن تشاركك أمتك في سلطتك الذاتية ، وتجعل
حكومتك حكومة نياية ، ولا تزال تمهد لذلك السبيل ، وتخرج مع الامة
من كل قبيل ، وهذه رحلتك الميمونة المباركة التي أزمعتها . آية بينة على
أحيائك سنة الراشدين في احترام الامة ومعاشرتها ، ومحبتها والتعجب
اليها ^(١)

وأما الثاني : فهو عنايتك بأمر هذه المدرسة ورغبتك في نجاحها ، على

(١) كنت بدأت في صبيحة يوم تشریف الأمير بكتابة كلمة الدعاء والشكر
لأجل أن ترسل الى الصحف بنصها ولكنني كتبت قليلا منها وشغلي استقبال
من حضر وتعاهد نظام المدرسة عن أتمامها كتابة فأتممتها ارتجالا ، ولما نشرتها في
الجرائد قال لي غير واحد ممن كان حاضرا ان ما قلته في هذه الرحلة كان اوسع
عما كتب وابلغ عبارة وأحسن تأثيرا

علم منك بأنها تقوم في الاسلام بخدمة لا يعني غيرها غناءها ، من حيث انها رباط تربية الاخلاق والاداب الاسلامية ، على ما كان عليه السلف الصالح وقدماء الصوفية ؛ ومعهد لتعليم العلوم الدينية ، وما يحتاج اليه المرشدون والدعاة من العلوم الكونية والعقلية ؛ وان الغرض منها احياء دعوة الاسلام والدفاع عنه بحسب ما تقتضيه حال العصر ، وارشاد عامة المسلمين الى ما يصلح به أمر دينهم ودنياهم ، ويحاربون به غيرهم ويمشون عيشة الوفاق مع من عداهم .

وان ارتباط جماعة الدعوة والارشاد بمشيخة الطرق الصوفية . مما يمهّد السبيل للمرشدين الذين يتخرجون في هذه المدرسة لاصلاح شؤون العامة ، لان أكثر العامة تنتمي الى طرق الصوفية ، فاذا انبث المرشدون المستعدون بالتأثير بالوعظ والخطابة في هؤلاء الناس ، وعهدت اليهم المشيخة الصوفية بارشادهم وتعليمهم . فالمرجو بحسب سنة الله تعالى في تأثير الدين في النفوس أن يصلح حالهم في أقرب وقت ، وبذلك تقل الجرائم والجنايات ، والتعدييات على الزرع والبهائم والناس ، بعد ان أعيا الحكومة أمرها ، وحارت في الوسائل التي تقللها . فعنايتك يا مولانا بهذه المدرسة ستكون عهد اصلاح جديد للامة والبلاد . ان شاء الله تعالى

هذا . ولولا أن أشق على مولاي باطالة الوقوف لا طلت القول بحمده وشكره ، وشرح ما أعتقد من الخير والنفع للامة بعنايته وبره . ولكنني أكتفي بما في القلب ، وما في القلب كثير .

القصائد والمقاطيع التي انشدها الطلاب

على مسامع مولانا الامير

القصيدة الاولى لمحمد افندي الشريفي اللاذقي من الطلاب المستمعين في القسم الخارجي الذين يختلفون الى المدرسة في هذا العام ، وهو حسن الالقاء والانشاد ، وكنت اشترت اليه بعد انشاد ابيات من الغزل أن يختصر منه ، تفاديا من طول وقوف مولانا العزيز على قدميه ، فأشار أعزه الله وأشارته أمر مطاع ، وحكم لا يقرن الا بالتنفيذ والاتباع ، بأن يتم الطالب إنشاده فآتمه ، وهذا نص قصيدته :

بلا بل الروض بالتفريد تطربنا	وبالنواح حمام الروض يشجينا
وما أحلى نسيات الصبا سحرا	رسائل الحب نهديها وتهدينا
والطل يحنو على الأزهار يلثمها	حسبته والها بالحب مفتونا
وقفت أرنو إلى الأزهار مبتسما	لله يازهر ما أحلى تدانينا
وقفت والقلب لا يدري محبته	أيعشق الورد أم يهوى الرياحينا
حتى إذا ما بدت والغصن قامتها	مليكة الروض عن بعد تحيينا
شعرت ان الهوى قد دب في كبدي	يا وجد رفقا بأكباد المحبيننا
رنت اليّ بطرف زانه حور	فالوجه يجذبنا والطرف يرمينا
راقت ورقت فلما جثتها ولها	قطفت من خدها وردا ونسرينا

دع الخيال خيال الشعر ما خطر	بنت الحقيقة تجلي في مغانينا
ما ذاك الروض عندي غير مدرسة	وما أزهرها الا المريدنا
وما مليكة ذاك الروض باسمه	الا مثال حياة العلم تحيينا
حياة مدرسة نقضي صراحها	والدرس رائدنا والجد حادينا
تشر أذهاننا تملي مداركنا	فلا يلذ لنا الا تأخينا

كم قربت بيننا سقيا لعاملها
حياة مدرسة قلبي بها وله
حياة مدرسة تذكي قرائحنا
نبغي الحقائق مهما عزم طلبها

*

أرى بأفق العلا نورا يجللنا
نور الأمير الذي قدم نائله
فاسجع حمام الحمى واطرب بلا ملل
إني أرى مصر في أيام دولته
والنيل يجري فراتا في كنياته
مولاي أني عشقت العلم من صغره
وأنت خير أمير شاد معهده
لذا كنت فؤادي دون ما عجب
هذا فؤادي باخلاص أقدمه

لله نور أضاء اليوم نادينا
وغيث نعمة أروى مغانينا
واهتفأ لعباسنا وأحمد خديونا
بغدادنا وأرى العباس هارونا
وما وردناه إلا راح يروينا
ولا أزال بحب العلم مفتونا
وقام للعلم والتحصيل يدعونا
وكنتم أفضل من أحياء مانينا
على وفائي إلى مولاي عربونا

ثم أشد الطالب الشيخ أحمد كمال الغزي الطالب الداخلي في القسم التمهيدي هذه
القصيدة وجعل عنوانها (الترحيب)

أهلاً بمن طلعت شمس سموده
أهلاً بمن نال المعالي والذي
أهلاً بمن ملك النفوس وساسها
أهلاً بعباس الذي لولاه ما
فلأنت للإسلام أقوى ساعد
وفعله تاج لكل زمان
سهر الدجى لمصالح الأوطان
بالحزم فاتقادت مع الأبدان
نشرت علينا راية العرفان
يسمى إلى الإصلاح والعمران

وأقمت صرح العلم والأدب الذي
وأريتنا كيف الصعود إلى العلى
لو تعرف الأبطال فعلك بالوغي
أو يشهدونك في المكارم والندى
ولقد نرى ملك البلاد وكأنه
مولاي أن المسلمين كما ترى
والدين أنت نصيره وحفاظه
وانهض فدار الرشيد تعل شانه
فمنارها للشرق أعظم مصلح
قائم دعائها وشيد ذكرها
لازلت عز المسلمين وكهفهم
أخنت عليه نوائب الحدثان
وعظمت حتى لا يرى لك ثان
علموا بأنك فارس الميدان
شهدوا بأنك نخبه الأزمات
ملك بدا في صورة الانسان
ما بين مظلوم وبين مهان
فارفع دعائه على الأديان
تهدي القلوب بساطع البرهان
يحي النفوس بمحكم القرآن
فهي السبيل إلى هدى الانسان
ماغرد القمري في الافنان

ثم أنشد الطالب الداخلي في ذلك القسم الشيخ عبد السميع البطل هذه الآيات
أهذا كوكب أم ضوء صبح
وذا ملك كريم أم ملك
هو العباس مولي كل خير
ملك القطر أنا قد بسطنا
فنحن غراسكم نحميا إذا ما
أرضي أن يكون لكل دين
ولا يدعو إلى الاسلام داع
اعباس هداة الناس أموا
فأنت المرتجي لسداد أمر
أم القمر المنير أم الأمير
أم العباس يعلوه السرور
وطل عطائه بحر غزير
إليك يدا إلى الجدوى تشير
سقاء ماء جودكم النير
دعاة في ممالكنا تسير
ولا يبدى حقائقه بشير
علاك وملء قلبهم سرور
وأنت لدينا نعم النصير

مصائب مصر والشام

رجال العلم وحملات الاقلام

اكبر مصائب البلاد موت العلماء والادباء والكتاب الذين يغذون العقول ويزكوت النفوس بالتعليم والتصنيف ونشر العلوم والآداب . وقد رزئت الديار المصرية والسورية في هذه الأيام بوفاة اربعة كهول من اشهر رجالهما في علوم الدين والدنيا واللغة ، يعدون من عوامل التحول والاطلاق الاجتماعي في الامة العربية . وهم احمد فتحي باشا زغلول المصري والشيخ حسن المدور والشيخ محي الدين الخياط البيروتيان - والشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي

١ - احمد فتحي باشا زغلول

في آخر يوم من الشهر الماضي شيعت مصر جنازة نابغة العرب فيها صديقنا احمد فتحي باشا زغلول ، وشعر كل ذي بصيرة فيها بأنها فقدت رجلا لا خلف له في مواهبه ومزاياه

ولد الفقيد لليلتين او ثلاث خلت من شهر رمضان ١٢٧٩ (الموافق اول شهر الشتاء الثاني سنة ١٢٤١ هجرية شمسية - ٢٢ فبراير ١٨٦٣ م) والده من بيت كريم ينتمي الى بعض قبائل العرب التي استوطنت القطر المصري ، ووالدته من بيت كريم يسمى بيت بركات وهما من قرية من قرى مديرية الغربية اسمها (إيان) وكان والده سماه (فتح الله صبري) ثم غير اسمه ناظر المعارف فسماه باسمه (احمد) لما ظهر له من نجابته ، ولقبه بفتحي للإشارة الى اسمه الأول . وتلقى التعليم الابتدائي والوسط في مدارس الحكومة بمصر والاسكندرية ، واختار له ناظر المعارف ان يتلقى التعليم العالي في فرنسا ، فكان في مدارس التعليم كلها آية الذكاء والاجتهاد . ولما عاد من اوروبا دخل في خدمة الحكومة في النيابة والقضاء حتى صار رئيسا لمحكمة مصر الاهلية ثم وكلا لانتظار الحفانية ، ونال مانال من رتب الحكومة واوسمتها العالية ، وكان العارفون يحزمون بأن ترقبه دون استحقاقه واستعداده . فهل هذا هو احمد فتحي باشا زغلول ؟

تعلم في مدارس مصر واوروبا ألوف ، عاش اكثرهم ومات كما يعيش ويموت الملايين من الجهلة والمعمولين ، وتقلب كثيرون منهم في مناصب الحكومة واعمالها . وما كل واحد منهم يستحق ان يترجم في الصحف ويخذ اسمه في دواوين التاريخ ، اللهم الا توارى المناقذين الذين يعظمون كل صاحب منصب او ثروة وان لم يكن

له اثر يذكر ، او منقبسة تؤثر ، الا جمع المال واقتناء العقار ، والتعالي على الناس ولو بالظلم والافساد .

احمد فتحي زغلول ذلك الرجل الذي شهد له كل ذي علم وفهم في مصر بانه بذ الاقران ، وكان المجلي من حلبة المدنية في كل ميدان ، لم يجمع مالا ، ولم يتأثل عقارا ، ولم يترك درهما ولا دينارا ، وانما كان هو ذلك الرجل بما آناه الله من الذكاء واللوزعية ، والعقل والروية ، والهمة العالية ، وما تربى عليه من ملكة الاستقلال ، وما اكتسبه من العلوم وما احسنه من الاعمال .

خلق احمد فتحي زغلول كبير الاستعداد ، آناه الله فؤاداً ذكياً ، وذهناً لوزعياً ، والأذكاء في أمتنا العربية كثيرون ، فان كان حظ هذا الرجل من الذكاء عظيماً فكم من عظيم الذكاء اطفأت التربية السوءى والبيئة الفاسدة نور ذكائه ، وهدمت ما بنته الفطرة من قوة استعداده ، وكم من ذكي وجهت القدوة السوءى ذكائه الى ما يضره او يضر أمته كلها ، وقد اتفق لهذا الذكي اللوزعي ان نبى في بيئة خاصة ، مثل فيها امام عيانيه من اول العهد بالتميز امام الاصلاح في هذا الزمان ، ومن حوله من المريدين والاخوان ، الذين لم يكن لهم سمر ولا حوار ، الا في شؤون التربية والاصلاح ، فكان يرى منذ عهد التعليم الابتدائي الاستاذ الامام متجلياً في فضائله وحكمته ، والشيخ عبد الكريم سلمان متجلياً بأدابه وفضته ، واخاه (سعداً) معتصماً باستقلاله وحقته ، مع أتراب لهم من مريدي السيد جمال الدين حكيم الاسلام ، وخليفته الاستاذ الامام ، وكل في فلك العلم والحكمة يسبحون ، وحول قطب الاصلاح وتجديد حياة الامة يدورون ، فلقح استعداد احمد فتحي بفكرة العمل والسعي لتجديد حياة الامة ، وعجب الاستاذ الامام بعد عودته من أوربة ودخوله في اعمال الحكومة كاخيه الاكبر (سعد باشا) بحجة المرید الصادق ، والمرشد الكامل ، فاستفاد من تلك الافكار السامية والمقاصد العالية ، والفصاحة الخلاقة ، والبلاغة الجذابة ، ما شاء الله ان يستفيد . وكان زيته صافياً يكاد يضيء ولو لم تمسه نار ، فاقصص بذلك القبس المتألق فشتعل نورا على نور .

أروي عن فقيدها النبغة كلمتين في أستاذنا الامام رحمهما الله تعالى . الاولى سمعتها منه في أول مجلس لقيته فيه : زار الفقيه طرابلس الشام بصحبة الاستاذ ايام كنت اطلب العلم فيها ، فكنيت مدة مكثهما في طرابلس ملازماً لهما من الصباح الى وقت النوم ، لاني كنت اطلمت على ما صدر من جريدة (العروة الوثقى)

فعثقت السيد جمال الدين مدير سياستها، والشيخ محمد عبده رئيس تحريرها، وصرت صريدا لهما بالغيب. وقد جئت الدار التي ناما فيها ليلة قدما فقيل لي انهما ذهبا الى حمام عز الدين، جئت الحمام فألفت بعض العلماء والوجهاء قعودا في خارج الحمام ينتظرون مع الفقيد، والاستاذ في الداخل، فترجمني الشيخ خير الدين الميقاتي من علماء طرابلس للفقيد، وكان مما قاله: انه اكتب الكتاب عندما وهو لا يرى لنفسه استاذ في الكتابة الا الاستاذ الشيخ محمد عبده على انه لم يره. فقال الفقيد كلنا ليس لنا استاذ في الكتابة غير الاستاذ. واحسب انه فسر ذلك بان التمايز في الكتابة انما هو بالافكار واساليب التصرف في الكلام، وأن كل من يقرأ ما كتبه الشيخ او يسمع كلامه يجد فيه القدوة المثلى والمادة الغزيرة في ذلك. ولم احفظ من كلامه بنصه وقتئذ الا تلك الكلمة

واما الكلمة الثانية فقد قالها منذ ثلاث سنين اذ كنا نتذاكر في داره ببعض المسائل الاجتماعية، فذكرنا كلمة من حكم الاستاذ في ذلك فسرتمها الحوادث فقال: ان كثيرا من كلام الشيخ لم يظهر لنا معناه المراد الا بعد مونه. وقد كان يقول الكلمة فنظن اننا فهمناها ثم يظهر لنا بعد عدة سنين اننا لم نكن فهمنا بعد غوره فيها، حتى كشفه طول البحث وسعة الاختبار. اه بالمعنى

تلك البيئة الاصلحية هي التي جعلت من استعداد احمد فتحي زغلول خطيبا مفوها، كما جعلته كاتباً قديراً، فكان في مصر ثاني الاستاذ الامام في فصاحة لسانه، والزام الفصحى في اكثر كلامه، اما الاستاذ فقد كتب الشيخ ابراهيم اليازجي في ترجمته، - وناهيك بنقده ودقته - ان كلامه الذي كان يلقيه في مجالسه العادية كابلغ ما يكتبه المترسلون المتأفقون. أقول: وناهيك به قدوة صالحة، ومربيا للملكة.

تلك البيئة الطيبة والقدوة الصالحة هي التي لفحت ذلك الذهن الوقاد بلقاح الاستقلال، الذي به تظهر ثمرات العلوم عند القيام بالاعمال، فكان مضطاما بالعمل بما تعلم، وكان علمه ملكة ثابتة، وصفة راسخة، وشجرة مثمرة، واكثر المتعلمين منا مقلدون، يودعون العلم بوداع المدرسة، وما عرفنا رجلا مثله كانت الحكومة تشعر بحاجتها الى عامه، وترجع اليه حق في القوانين والاعمال التي لا تتعلق بعمله، فهو واضع اللائحة الاصلحية للمحاكم الشرعية، وهو واضع قانون إصلاح الأزهر، وناهيك بهما، وبما يتوقف عليه وضعهما، وقد اشتهر أنه كان في نظارة الحفانية الركن الركين، لوضع جميع الانظمة واللوائح والقوانين. لم تشغل الفقيد خدمة الحكومة التي كان يتقنها من كل وجه، عن خدمة الامة بالعلم والعمل، فقد كان عضوا عاملا في الجمعية الخيرية الاسلامية، وألف

وترجم عدة كتب يتتبعي بها الإصلاح والنهوض بالامة ، دون الكسب والثروة ، وكان اول ما اخرجته للغة العربية . من نقائس مصنفات الافرنج (كتاب أصول الشرائع) لبنتام ، وهو كتاب جليل في فلسفة القوانين وعلاها ومداركها ، يعجز عن ترجمته من لم يكن راسخا في علوم القوانين والفلسفة ، وسعة الاطلاع في علم اللغة ، ولو كان العلم في الامة حيا لا عيد طبع هذا الكتاب مرارا .

وكان آخر كتاب ألفه في القضاء (شرح القانون المدني المصري) شرحه شرح العالم المجتهد المستقل ، وتصرف في تنسيقه وترتيبه تصرف المصالح المنقح ، وغير في هذه الترجمة كثيرا من الاصطلاحات القضائية المترجمة عن اللغة الفرنسية ترجمة غير صحيحة ، فأعجبت الحكومة وجمهور رجال القضاء بهذا الشرح ، واعترفوا بشدة الحاجة اليه ، وكان هو الباعث على احتفالهم بالشارح ذلك الاحتفال الذي نوهنا به في وقته وله في هذه المباحث القضائية كتاب حافل سماه (المحاماة) وقد بين في هذا الكتاب تاريخ المحاماة عند الامم القديمة بالاجمال وعند الامم العربية بالتفصيل . ومنه الكلام في نظامها عند هذه الامم ، والمؤتمر الذي عقد لها ، ثم افاض القول في المحاماة في مصر ، وبيان حال المحاكم المصرية وتاريخها وتأسيس الحكومة المصرية ودخولها في سلك النظام الاوربي ، وأطال الكلام على القضاء فيها ، وبعد استيفاء كل ما أراده من الكلام على المحاماة وأهلها من التاريخ والنظام والقوانين والآداب وما يناسب ذلك ختم الكتاب بملحقات في قوانين مصرية سابقة ولوائح وأوامر رسمية مصرية متممة للموضوع . فكانت صفحات الكتاب ٤٣٤ و صفحات الذيل ٢١٠ وله رسالة قضائية في التزوير مفيدة في بابها

وله ترجمة كتاب (الاسلام - خواطر وسوانح) للكونت هنري دي كاستري الفرنسي ، في رد مفتريات الصليبيين وأشباههم على الاسلام ، فقد كان هذا الكونت واسع الاطلاع في كتب المسلمين ، وتقل في هذا الكتاب من مطاعن الافرنج في الاسلام ما لم يخطر على بال مسلم في الدنيا ، وردّها واثنى على الاسلام خير الثناء . وقد ترجم هذا الكتاب وطبعه في اواخر سنة ١٣٠٥ وهي التي صدر فيها المنار ، وقرظناه في العدد الحادي عشر من السنة الاولى ، ونشرنا مقدمته للترجمة العربية التي تقل الفقيه فيها نبذة من المنار . وكان غرضه من ترجمة هذا الكتاب الدفاع عن الاسلام وبيان محاسنه وتنبيه المسلمين الى ذلك

وأما الكتب التي ترجمها لغرض التجدد العلمي والمدني في مصر وسائر الامة

العربية فهي كتاب (سر تقدم الانكليز السكسونيين) في الطريقة المثلى للتربية والتعليم ،
لعالم فرنسي اسمه (آدمون ديولان) وكتاب (روح الاجتماع) وكتاب (تطور
الامم) كلاهما للفيلسوف الفرنسي الكبير (غوستاف لوبون) فكان غرضه من هذه
الكتب بث فكرة التربية الاستقلالية والتعليم العملي في الامة ، واعتماد الافراد على
انفسهم لاعلى حكوماتهم (١) وتبنيها الى اسباب التحول والانتقال في الامم والشعوب ،
وكونه لا يحصل الا بالتدريج البطيء ، وتذكرها بالآفات والعلل الكامنة في التطورات
الاجتماعية الحديثة في الافرنج ، كالاشراف والاحزاب والجماعات السياسية والاقتصادية
وغيرها . ولغوستاف لوبون مذهب خاص في هذه المباحث يخالفه في كثير من آرائه
بعض علماءهم . والناظر المستقل لا يقلد أحدا من المختلفين ، وانما يمحس المسائل
ويتبع قوة الحجة والدليل

ويقال انه كان بدأ بترجمة كتاب مدينة العرب أو حضارة العرب لغوستاف
لوبون أيضا ، وكان الأستاذ الامام حضه على ترجمته . وآخر ما أخرجه قلمه للناس
ترجمة رسالة سياسية في سوء حال الدولة العثمانية وشدة حاجتها الى تغيير وضعها
ونظامها ، وهي الامير مصطفى قاضل باشا زعيم الاحرار الاول في الآستانة خاطب
بها السلطان عبد العزيز ، ورسالة أخرى في قواعد وفذالكات اجتماعية لغوستاف
لوبون جعلها كالمذكرات والمنارين لما فصله في كتبه الاجتماعية . فترجمها الفقيد
بالعربية وسماها (جوامع الكلم)

وقصارى القول في صفة الرجل الاجتماعية والسياسية انه حجة على كفاءة العربي
وقدرته على العلم والعمل بالنظام الاوربي كما رقي الاوربيين ، لانه ركن في العمل بذلك .
وأما صفاته الشخصية فقد كان حسن المعاشرة ، حلوا المفاكمه ، نزه النفس واللسان ،
يقدر على إرضاء كل جالس بغير دهان ، لا يعل جليسه جده ، ولا يعبث بوقاره
هزله ، وقلما تربى في اوروبا شاب مثله في عفنه وصيائه ، والاعتصام من استخفاف حرية
النسق لشرة الصبا وخفته . وكان دقيق النظام في كل شيء متأنقا جد التأنق في زيه ومعيشته
بلا تكلف ، ولا اضاءة وقت في العبث . وأما رأيه في الاصلاح والتجديد فهو ان يبني
ولا يهدم ، لان الامة اذا وجدت البناء الجديد اصلح لها ، تركت المباني السيئة تسقط

(١) كتبت في منار اول المحرم سنة ١٣١٧ مقالة عنوانها (الاعتماد على النفس) فقال لي
وقئذ : انني استعنت هذه الكلمة في ترجمة كتاب (سر تقدم الانكليز) الذي يطبع الآن
واراك سبقتني الى استعمالها ، ثم كثر استعمال هذه الكلمة بانتشار ذلك الكتاب لا بمقتاتي

من تلقاه نفسها ، فلم يكن يدعو الى ترك العادات الضارة ويشنع على أنصارها ، لذلك لم يطمئن الناس في رأيه ومذهبه كما طمئنا في صديقه قاسم بك أمين ، بل لم يكن الجمهور يعرفون ان له رأيا يرمي اليه في الانقلاب الاجتماعي . فان فهم بعض اذكياء الحزب الوطني ان ما شرحه كتاب روح الاجتماع من امر اندفاع الجماعات بغير عقل ولا شعور ينطبق على حزبهم ، فهل كان يسهل عليهم ان يطمئنا بوطية مترجم الكتاب ويعدونه خصما لهم ؟

هذا وان الفقيد قد كان ميالا الى الاصلاح الديني ، معتقدا انه شطر أو شطر للاصلاح المدني والسياسي ، وقد كان أخبرني في أوائل العهد بإنشاء المنار ان ابراهيم باشا فؤاد ناظر الحقانية مقتبط بالمنار ويرى وجوب تعميم نشره بين المسلمين . وأنه هو قد سبر بذلك وتواعد مع الناظر باتخاذ وسيلة لذلك يوزع بها الوف من النسخ على طلاب العلم وفقراء القراء ثمن قليل . ثم لم أراجعه ولا كتبت ابراهيم باشا في ذلك عندما كنت ألقاه وأسمع منه الثناء على المنار . ولا ها وفقا لشيء مما تحدثنا به .

ولما توفي شيخنا الاستاذ الامام تذكر أصدقائه ومريدوه في عمل شيء يذكر به ، فافترحت ان تنشأ باسمه مدرسة كلية يجمع بها بين التربية الدينية الصحيحة وتعليم العلوم الدينية والدينية على طريقته التي كان يسمى لها سعيها باصلاح الازهر ، فقبلوا الاقتراح بكل ارتياح ، واتخبروا في دار سعد باشا زغلول لجنة لوضع نظام المدرسة مؤلفة من حسن باشا حاصم والفقيد وصاحب هذه المجلة ، فكان الفقيد مهتما بهذا ، وذاكر به لورد كرومر - كما تقتضي المصلحة - فظهر اللورد له الاستحسان . ووعده بأن يحضر له نظام وبرنامج مدرسة عليكرة الاسلامية الهنرية الاقتباس منه واستحسن ان يبدأ بالاهل صغيرا ليكبر بالندرج . ويعلم الذين يقرؤن المنار منذ سنين ان الذي كان دون إنشاء هذه المدرسة هو ظهور مشروع مدرسة الجامعة المصرية ونوط أمرها بسعد باشا زغلول وقاسم بك أمين . وكان سعد باشا هو الركن الركين لمشروعنا فتركه للجامعة وما كان يمكن ان يشتغل به ويمشروع الجامعة مما

ولما عزمنا على السفر الى الاستانة منذ أربع سنين لاجل مشروع الدعوة والارشاد اهتم بذلك الفقيد اهتماما عظيما ، وجاءني ليلة من ليالي رمضان الذي سافرت فيه واقترح ان تسكن في المشروع منفردين ، فاقفلنا باب الدار ، وظللنا نتحدث في المشروع الى ما بعد نصف الليل ، فلما شرحت له وسائله ومقاصده سر به وبالع في استحسانه ، وواعد بأن يساعد الجمعية التي تؤسس له هناك بقدر الطاقة وعهد الي

بأن أتعاهده بالكتابة من الآسنة ، فكانت الكتابة بيننا متصلة في ذلك ، ولم أر
أحداً من أصدقائي بمصر أهتم بذلك بمضاهيهم رحمه الله تعالى
كان سبب موته مرض ألمّ بدماغه ، سببه كثير تفكره واشتغاله ، ولا غرو فقد
كانت قوة ذلك الدماغ أعظم من مادته ، وعماله فوق استطاعته ، وذلك منتهى أكثر
الرجال الذين همهم أكبر من قوتهم ، تنسى تقوّلهم حقوق أبدانهم ، فيجنون على
أمتهم بجنايتهم على أنفسهم ، إذ يترعهم القدر منها ، أقدر ما كانوا على خدمتها ، فمنهم من
يفتضّر في سن الشباب ، ومنهم من يبقى بمصرعه عند الإكتهال ، وبلوغ قواه كلها
مستوى الكمال ، كن فقدنا اليوم ، ومن فقدنا بالأمس ، ورحمهم الله تعالى .

محاربة متعصبي القبط وغيرهم للمنار

في يوم السبت في ٢١ جمادى الآخرة دعانا بالمسرة (التلفون) رئيس النظار حسين
رشدي باشا الى داره فوافيناه فيها فاذا هو في سرير النوم لانحراف حنجرته ، واذا بجانبه
جريدة مصر القبطية ، فأطلعنا عليها ، وسألنا عما تنسبه الى المنار من الطعن المعلم عليه
بالجبر الأحمر فيها ، وملخصه أنه يجعل النصارى كلهم وثنيين وان طعنه يكاد يضر
نار الثورة في البلاد ؟؟ فلما قرأت ما فيها قلت للرئيس : يا عطوفة الرئيس ! انت قاض
قبل كل شيء ، وقد اشتهرت في حياتك القضائية بالاستقلال ، ومن مقتضى ذلك ان تقرأ
الطعن الذي تشير اليه جريدة مصر ، قبل ان تحكم في المسألة بشيء . هذه العبارة التي تشير
اليها جريدة مصر اوردها المنار كعنوان لموضوع كتاب في سياق تقريره . هذا الكتاب
اسمه « نشوء فكرة الله » مؤلفه انكليزي ، وخلصه بالعربية سلامة افندي موصي القبطي ،
وطبعه بمطبعة يوسف افندي الخازن الماروني السوري ، محرر جريدة الوطن القبطية ،
وقرظته الجرائد والمجلات السورية والقبطية والاسلامية ، ولم يعب المترجم والناشر احد
منها بانه عاب النصرانية وكاد يضر نار الثورة في البلاد ! ولكن لما قرظته مجلة
المنار الاسلامية وذكرت ان ملخصه اثبات كون الديانة النصرانية وثنية الاصل
- وقيدتها بالخاضرة تبرئة للمسيحية الصحيحة التي كان عليها المسيح عليه السلام
وحواريه رضي الله عنهم - صار ذلك اكبر الجرائم المحركة للثورات والفتن ، واستحق
صاحب المنار النفي من مصر ، واستحققت الحكومة هذا الانذار من جريدة مصر
- اذ فيها : ان من انذر فقد اعذر - بعد الاقتراح على الحكومة ان بان تعاقب
صاحب المنار بمثل ما عاقبت به عبد العزيز شاويش عدو القبط من سجن ونفي .
ثم اعطيت للرئيس نسخة المنار فلما قرأ التقرير فيها ضحك مستغربا كتابة

جريدة مصر . ثم ذكرت له ان المنار لما كان هو المجلة الاسلامية الوحيدة التي اخذت على نفسها الدفاع عن الاسلام في هذه البلاد الحرة التي ينشر المبشرون فيها الصحف والرسائل الكثيرة في الطعن في الاسلام والقرآن والنبي (ص) وجب علينا شرعا ان نرد عليها اعتدائها ولو بما هو دونه ، اذ لا يسمح لنا ديننا أن نطعن في سيدنا عيسى ولا في اصل دينه وكتابه . فأنا لا أنكر مدافعة المبشرين الا اذا كانت الحكومة تريد منع حرية المسلمين في دينهم وتجعل الحرية للتصاري وحدهم . فقال الرئيس كلا ان الحكومة لا تسلبك حرية الدفاع عن الاسلام ولا كن توصيك بالاعتدال والزام خطة الدفاع ، قلت اني أعني بالدفاع انهم البادئون واننا نجزيهم بما دون عملهم ، وانهم اذا تركوا الكلام في ديننا تركنا الكلام في دينهم ، واني مستعد لتقديم جدول للحكومة بالشواهد من كتب المبشرين ورسائلهم على ما فيها من الطعن الفاحش في الاسلام الخ . . .

كان ما أطلعني عليه الرئيس اول ما اطلعت عليه من المطاعن الكثيرة التي وجهتها الي والى المنار جريدة مصر ، وكنت اسمع بها ، ولا احاول الاطلاع على شيء منها . ثم جاءني أحد الاصدقاء بمد يد من منها فاذا في أحدهما ما نصه تحت عنوان (صاحب المنار) « اتصل بنا ان ولاية الامر قد اهتموا بما كتبناه عن الشيخ صاحب المنار وطعنه الطعن الجارح في الدين المسيحي واهله فاستدعاه عطوفة رئيس النظار الى منزله وحذره من الكتابة في مثل هذه المواضيع المهيجة وانذره بتعطيل مجلته ان عاد الى تلك الكتابات . فعمى ان يكون هذا الانذار مانعا من الوقوع في المصائب التي يريد صاحب المنار جلبها على البلاد واهلها . »

دع كذب جريدة مصر على رئيس الحكومة في هذا العدد وانتظر ما كتبت في الآخر : كنت كتبت مقالة في الرد على جريدة (دوكير) التي تصدر بمصر باللغة الفرنسية اذ نشرت مقالة تنكر فيها على المنار ما كتبه في النصرانية يظهر انها لا أحد السوريين ، يثبت فيها طريقة المنار في الجمع بين الاسلام والمدنية الصحيحة والتأليف بين المسلمين وغيرهم ، والصحف الفرنسية التي شهدت له بذلك ، وكون رده على دعاة النصرانية لا ينافي ذلك . وارسلت المقالة الى المؤيد فلم ينشرها الا بعد زهاء شهر من ارسالها اليه . وقد هاج نشرها جريدة مصر فكتبت مقالة في اليوم التالي انشر المقالة في المؤيد (وهو ٢٧ جمادى الآخرة) استفرغت فيها ما في قلب صاحبها ومحررها من السباب والشتائم والحققد والضغينة على صاحب المنار ، فظهر من فحوى ذلك سر من الأسرار ، وهو سبب حملة جريدة مصر علينا في هذا الشهر ، مع ان المنار يرد على المبشرين من بضع عشرة سنة . وهالكنا فضح السر منها : « ولكن هذا الرجل المسكين لم يعد يعطف أحد عليه . فالوطنيون يكرهونه

لأنه يعاكس مبادئهم . والانكليز يعضونه لأنه عدو مدينتهم . وعلماء المسلمين يكرهونه لأنه غير واقف على اسرار الدين . وقد ادركت الحكومة سوء طويته وستوقفه عند حده عن قريب .

« اننا اذا اغتفرنا لهذا الرجل كل سيئاته وتعاضينا عن مدرسته التي لا تدري الغرض منها . فانه لا يرضينا منه تداخله في ما لا يعنيه وشرحه للدين المسيحي شرحا يخالف ما يعتقد به اهله . وطعنه ذاك الطعن الاليم في المدنية الاوربية ، ووضعه لقناصل والمبشرين والمومسات والقوادين في مستو واحد .

لذلك كله نرى من واجباتنا الوطنية ان نلاحق هذا الرجل ونعمل جهد استطاعتنا لمحاربته كما تحارب الحكومات الامراض المعدية ولو تسلح برضا بعض ولاية الأمر عنه وشد جريدة مثل المؤيد لأزره بقولها عنه : « ان صاحب المنار مهضوم الجانب وفي حاجة الى الدفاع عن نفسه ودينه » اه بحروفه

(المنار) ظهر لنا من هذا التصريح الذي لا يحتمل التأويل ان سبب انفجار بركان التعصب على صاحب المنار في جريدة مصر هو تشريف مولانا الامير عزيز مصر مدرسة دار الدعوة والارشاد ، وما تضمنته هذه الزيارة من اعلان ثقته بالمدرسة وعطفه السامي على ناظرها صاحب المنار ، ولذلك عرضت جريدة مصر بذكر المدرسة وقالت انها تعاضت عنها ، على كونها لا تدري الغرض منها !! كأنه يجب على كل مسلم يعمل للاسلام عملا ان يوقف جريدة مصر على غرضه من عمله !! ? تقول جريدة مصر في صاحب المنار ان المصريين والانكليز يعضونه وإن الحكومة قد ادركت سوء طويته وستوقفه عند حده عن قريب : أثبتت جريدة مصر كل هذا ، فكان ينتظر من مديرها ومحرريها انصار الديانة المسيحية بزعمهم ان يجد صاحب المنار من قلوبهم عطفة او نفحة من الرحمة المسيحية المبني اساسها على محبة الاعداء ومباركة الالاعين !! ولكنهم لم يزدادوا الا قسوة وحقداء عليه ، فبعد الجزم بجميع ما ذكر قالوا ان الواجب عليهم أن يعملوا جهد استطاعتهم لمحاربته ولو تسلح برضا بعض اولياء الامور عنه ؟ فاذا كان الانكليز ورجال الحكومة غاضبين عليه . فمن تعني ببعض اولياء الامور المتسلح برضاهم عنه ??

ثم ماذا تريد جريدة مصر بالمخاربة الجديدة التي توعدتنا بها ، بعد ما كان من تهيجها المبشرين وغيرهم من رجال النصرانية علينا ، وبعد هذه السباب والشتائم وبعد انذار الحكومة بخطر الثورة اذا لم تنكل بصاحب المنار ؟ وهل بعد هذا من حرب تقدر عليه جريدة ؟ نعم بلغني ممن يعاشر بعض محرري جريدة مصر أنهم يعنون بهذه المخاربة الاستعانة بنفوذ المبشرين في انكثرة على اقناع حكومة لندرة نفسها بوجوب إلغاء المنار والتكيل بصاحبه وإقفال مدرسة دار الدعوة والارشاد . — الى هذا الحد وصلت ثقة متعصبي القبط بكيدهم للمسلمين ، فاعتبروا يا أولي الابصار

قُبِّرَ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ

الْمَلِكُ
١٣١٥

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُهِنِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

﴿ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : إِنَّ لِلْإِسْلَامِ صَوِي وَ « مَنَارًا » كَنَارِ الطَّرِيقِ ﴾

هــ صـر سـلـخ رـجـب ١٣٣٢ هــ ق ٦ الصـيـف الـأول ١٢٩٢ هــ شـ ٢٣ يـونـيـو ١٩١٤

فتاوى المفتين

التعنا هذا الباب لا حاجة لسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسم عامة الناس ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وهمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحرروف ان شاء ، وان نافد كر الاسئلة بالتدرج غالبا وربما قد منام تاخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما احيانا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهر ان او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا فضاله

(السكروته والحرير)

(س ١٥) من صاحب الامضاء الرمزي بدمياط

صاحب الفضيلة حضرة الاستاذ المرشد والامام المصلح السيد محمد رشيد رضا

سدد الله ووفقه

ما قولكم يا فضيلة الاستاذ في هذه الثياب المعروفة بمصر التي تسمى بالسكروته وما حكم لبسها مع اختلاف الناس فيها هي حرير أم من نبات ؟ فبعضهم يقول انها من حرير الدودة المحرم . وبعضهم يقول انها ألياف نباتية تنبت بارض الهند كالتيل والكتان . واختلف الناس في شأنها كثيرا ، وقد اصبح الناس يلبسونها كثيرا وخصوصا علماء الدين فلا تجد واحدا منهم الا وهو يقتني منها ثوبا او اثوابا ، بل ربما يديم لبسها طول الصيف ويقتي الناس بحلبها ، بناء على انها نباتية ، ويقول ذلك ويقرره بجرأة غريبة ، وقد وقع الناس الآن في شأنها كثيرا في بلدة دمياط ، واهتموا بهذا الموضوع اهتماما ذابا ، فترجو فضيلتكم اجابتنا بما ترونه في ذلك منطبقا على دين الله ، وما تعلمونه عن حقيقة مادة السكروته هذه ، مع ذكر مسألة الحرير وتحريمه في الدين وحكمة التحريم ، ورايكم الخاص في ذلك . فان الخلاف فيه قديم بين الجمهور وقليل من السلف والخلف واقبلوا مزيد الاحترام (م . ل)

(ج) من اعتقد من الرجال ان النسيج المسمى بالسكروته حرير عليه لبسه ، ومن لم يعتقد ذلك لم يحرم عليه . والمتبادر من التسمية ان السكروته غير الحرير . وقد سألت تاجرا مسلما سوريا يتجر بهذا الصنف في (شنغاي) من واني الصين فقال ان الذي يعلمه هو ان السكروته من نسيج دود غير دود الحرير ، اي فلهذا وضع لها

اسم غير اسم الحرير . وتفارق الحرير في اخص صفاته وهي النعومة . ولا يمكن ان يقال ان جميع ما تنسجه الحشرات حرير ، فقد كان نسج العنكبوت معروفا عند العرب ولم يسمه احد حريرا . وبلغنا أن الإفرنج يتخذون منه قفايز وغيرها .
والحكمة في تحريم السنة لبس الحرير الخالص على الرجال هي كونه مبالغة في الترف والنعيم المضعفين للرجولية ، والمفسدين لبأس الأمة . وكان ولا يزال عند أكثر الأمم من خصائص النساء . ومثل هذه العلة ورد النهي في السنة عن لبس المعصفر والمزعفر اذ كانت من زينة النساء خاصة . فما نعلم من حكمة تحريم الحرير لا يوجد في السكروته . نعم ان الرقيق من السكروته اذا كوي بالمكواة يكون له لمعان كالحرير ، ولكن من نسيج القطن والكتان مثل ذلك . فالظاهر لنا ان لبس السكروته غير محرم . والله اعلم واحكم

تكرار الفدية بتأخير قضاء الصيام

(س ١٦) من نوح ابن الحاج عبد القادر القاهري السندي
ما قولكم ايها العلماء الاعلام وائمة الاسلام في قول المنهاج في كتاب الصيام :
«والأصح تكرره بتكرار السنين» ما المراد بتكرار السنين؟ هل هو تأخير قضاء رمضان
او أكثر الى رمضان آخر؟ أم تأخير قضاء رمضان الواحد الى رمضان فصاعدا؟ فان
قلتم بالثاني فما المراد بقول الشرقاوي في حاشيته على شرح التحرير: قوله «الى رمضان
آخر» بالتأنيب مصر وفا لانه نكرة اذ المراد به غير معين، بدليل وصفه بالنكرة وهي
«آخر» وزالت منه احدي العلتين وهي العلية . وبقاء الألف والنون الزائدتين
لا يقتضي منعه من الصرف اه وما المراد بقول السيد الفاضل المصطفى الذهبي في
تقريبهما على على هامش تلك الحاشية : قوله رمضان آخر هو مصروف لانه غير
معين ، انظر ما الفرق بينه والاول؟ وغاية ما يقال الاول مقصود منه الشهر الذي يستقبله
المدرک بعينه بخلاف الثاني فانه يتناول ما بعده لا الى نهاية ، فتكرر الكفارة بكل
رمضان يأتي بعد الاول فهل يكفي هذا في منع الصرف حرره اه وما المراد بقول
السيد علوي ابن السيد احمد ستاف في حاشيته على فتح المعين : قوله «لكل سنة»

اي لصوم كل يوم من رمضان كالسنة ، وبه قال مالك واحمد اه وقد قال العلامة الدسوقي المالكي في حاشيته على شرح المختصر ما نصه : فاذا كان عليه يومان من رمضان ومضى عليه ثلاث رمضان او اكثر فانه انما يلزمه مدان . افيدونا بالمطور جزاكم الخير رب غفور .

(ج) مراد المنهاج : « والأصح تكرره بتكرر السنين » أن من أخر قضاء ما فاتته من رمضان واحد الى رمضانين فأكثر يطعم عن الرمضانين مسكينين لكل مسكين مد - وعن ثلاث رمضانات ثلاث مساكين وهلم جرا ، ولا يمكن ان يكون معناه من أخر قضاء يومين فأكثر من رمضانين فأكثر الى رمضان آخر لزمه عن كل يوم مد . لأن هذا لغو من القول للاستغناء عنه بما قبله وهو قوله « ومن أخر قضاء رمضان مع امكانه حتى دخل رمضان آخر لزمه مع القضاء لكل يوم مد » ولأنه لا خلاف فيه حينئذ فلا يكون لوصفه بالأصح معنى ، اذ مقابل الأصح - وهو الصحيح - انه لا يتكرر . فهل يمكن ان يكون المراد بعدم التكرر على الصحيح ان من أخر قضاء يومين من رمضانين الى رمضان آخر لا تجب عليه فديتان ؟ لا لا . واذا تبين الحق فمن إضاعة الوقت البحث في كلام من لم يعرفه والاهتمام بفهم المراد منه . على ان بحث الشرقاوي والذهبي في العلة التحوية لصرف رمضان لا ينافي هذا ، ولا حاجة الى العناية والبحث فيما جاء به السقاف ، ولا الرجوع الى عبارة الدسوقي المالكي فانه ليس تفسيراً لعبارة المنهاج ولا يتفق مع مذهب الشافعي . فالعلمنى واضح والمذهب معروف .

(التقليد والمذاهب وجمع المسلمين على الكتاب والسنة)

(س ١٧) من صاحب الامضاء المصري في (السودان)

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأستاذ منار الدين الحق السيد محمد رشيد رضا ادامہ الله ساميا لدينه .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

سيدي ارفع سؤالي هذا ولي عظيم الأمل في اني سأحصل على الجواب الشافي الذي يرج ضميري واغلب المسلمين . نرى اختلافا كثيرا بين الأئمة المجتهدين

رضوان الله عليهم في مسائل عديدة ، الا انا نعتقد فيهم مشابون ومصيبون في ذلك ، لما نعلم من اعذارهم في مثل هذا ، كبلوغ احدهم الدليل وعدم بلوغه للآخر ، او بلوغه وعدم صحته . فهم مشابون ومصيبون من حيث تحريرهم الحق ، لا من حيث اصابتهم لحقيقة الحكم ، اذ يستحيل ان يكونوا كلهم مصيبين مع هذا الاختلاف ، والا فيكون هذا حكما صريحا على ان في الشرع تناقضا وحاشاه من ذلك . اذا علمنا ان هذا هو سبب اختلافهم واقوالهم بين ايدينا فلماذا نختلف نحن ايضا ويتبع كل فريق منا مذهباً ؟ وهل يتعين على المسلمين في هذه الحالة ان يستخلصوا الأدلة الصحيحة الثابتة ويتركوا ما عداها وقد علموا عذر الأئمة في ذلك ؟ والا فان المقلد لا يسلم من ان يكون متبعاً امامه فيما أخطأ فيه او على الأقل فيما كان مذهباً او مرجوحاً . وهل يصح ان يلتمس له عذراً من قلده مع خلوه عنه ؟ وهل الخطاب بالكتاب والسنة عام لكل اناس أو مختص بالأئمة الأربعة فقط ؟ واذا كان الخطاب عاماً فما عذر من عدل عنهما الى سواهما ؟ وان قيل ان الاستدلال بالكتاب والسنة لا يتأتى الا للعلماء وهم الأقلون ، فهل يتحتم على هؤلاء العلماء ارشاد العامة الى السبيل القيم مينة لهم الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله تاركين هذه الاختلافات القديمة التي لا تخلو من ضرر وقد اصبحت ذلك يسوراً ؟ . رجائي الاجابة على هذه على صفحات مناركم الأغمر ، مبينين السبيل الحق في ذلك ، أثابكم الله وادامكم نوارا يستضاء به ، تفضلوا بقبول احتراماتي محسوبكم سليمان حلبي

(ج) قد سبق للمناظر بيان هذه المسائل كلها مرارا ، وأول ما كتبناه فيها (محاورات المصلح والمقلد) التي نشرت في المجلدين الثالث والرابع . ثم جمعت في كتاب على حديثها . ثم وقفنا على مناظرة في بحث الاجتهاد والتقليد المحقق ابن القيم نشرناها في المجلدين السادس والسابع . وتكرر ذلك في التفسير والفتاوى ، ومما ورد في باب الفتوى اجوبة المسائل الباريسية التي سئل عنها أحمد باشا زكي في باريس فارسلها الينا . وقد طبعت في ذيل كتاب محاورات المصلح والمقلد . فاذا لم يتيسر للسائل مراجعة هذه المسائل في مواضعها المتفرقة من مجلدات المنار فليكتف بقراءة كتاب محاورات المصلح والمقلد وذيله ، ثم اذا بقي عنده او تجدد لديه بعض

الاسئلة في ذلك فليسأل عنها . ونزيده هنا فائدة ينبغي ان يفكر فيها بعد ان يقرأ في اواخر ذلك الكتاب ما قرره المصلح في مسألة وحدة الأمة . وهي ان هذه الوحدة الدينية قد توجهت اليها نفوس عقلاء المسلمين من جميع المذاهب في جميع الاقطار . وانه لا يرجى حصولها في وقت قريب الا اذا ايد الاصلاح الديني دولة او ايمارة اسلامية . على ان الأمة لا بد ان تنبذ كل خلاف ، وتسير الى الوحدة ولو بعد جيل او اجيال .

﴿ اخلاعة في التمثيل ﴾

(س ١٨) من صاحب الامضاء في يروت

سلام على امامنا السيد الرشيد ايده الله

وبعد فلا يخفي ان مولانا السيد كان اقبى في المنار من استفته من دمشق في امر التمثيل الروائي بانه جائز اذا لم يكن فيه خلاعة . ونظر الاستاذ ذلك الجواز بكتب الأدب واللغة التي هي روايت خيالية ، وعلمية لا عملية كالمقامات . ولما كان الداعي مختلفا هو وبعض العلماء في تلك الاخلاعة اتفقنا على ان استقتي سيادة الاستاذ في بيان وجهها . فسر الداعي تلك الاخلاعة بما يتخاها الفساق ويحصل في المراقص لاني الروايات التي يمثل فيها النساء مع الرجال ، وهي روايات ادب وعلم وصدق وعدل . وفسر ذلك البعض الاخلاعة بحال تلك النساء الممثلات . فانهن يكن كاشفات الرأس والوجه واليدين حتى ما فوق المرفقين واعلى الصدر . مع المعانقة الجزئية بين العاشق والمعشوقة وتقبيل جبهتها حسب ما يقتضي التمثيل . ويمكن ايضا لابسات الفخر الثياب مع زينة الحلي . فذكرت لهذا المفسران هذه الحال لا تكون الا لمجرد التمثيل كي تظهر تليجتها من حيث التوفيق بين العاشقين او الحكم عليهما حسب مقتضى امرهما كما هو من فوائد التمثيل التي تحدث عظة او خلقا في نفس الراي .

ثم اتني ذكرت لذلك العالم انه يسوغ أن يقاس ما فسرنا انا على الحديث الصحيح الذي فيه ان عائشة رضي الله عنها كانت تنظر مع النبي صلى الله عليه وسلم الى الرجال وهم يلعبون . فلما اورد هذا الحديث على الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وهو يحرم نظر الاجنبية الى الاجنبي ، اجاب ان نظرها انما هو للعب نفسه ولم يكن مقصودا به النظر المجرد الى الرجال . فقال لي ذلك العالم ان ذلك كان في

زمن غير زمتنا المعروفة احواله . فاجبته بان تمثيل الفسق يكون أئمه على من يتخيله .
فهذا خلافتنا رفعته الى مولاي الاجل كي يحكم بيننا بالحق . فالمرجو الجواب في الجزء
الآتي من المنار اعز الله به الاسلام وناصريه والحمد لله أولا وآخرا .

بيروت : الأرباء ٢٤ رجب سنة ١٣٣٢ الداعي : راغب القباني

(ج) ان الخلاعة التي ينبغي ان تكون مانعة من رؤية تمثيل القصص هي
ما كان ذريعة للفسق وفساد الأخلاق . فانه ليس لأحد ان يحرم شيئا غير ما حرم
الله ورسوله بالنص او اقتضاء النص وهو سد الذرائع . فمن يخاف ان يغريه هذا
التمثيل في بعض القصص بفعل محرم وجب عليه اجتنابه . ومن لا يخاف على نفسه
ذلك تباح له رؤيته . واذا غلب فيه كونه ذريعة لمحرم يصح اطلاق القول بتحريمه .
ولم يثبت هذا . بل المعروف ان من يحضرون هذا العمل يكون جل همهم مراقبة
الاعمال كروية عائشة للعب الحبش ، وان يعرفوا الوقائع وعاقبتها وما لها . وقلم سمعنا
أن احدا منهم يحفل بغير ذلك . فان وجد من افتتن في بعض البلاد باصراة ممثلة فلا
يصح ان يجعل نفس التمثيل ذريعة لذلك على الاطلاق . اذ ثبت في كل زمن ان
بعض الناس يفتنون ببعض الحسان في الطرق او المعابد . اما النساء التي يمثلن في بعض
القصص مكشوفات الرؤوس والسواعد فلسن كما يعهد في هذه الاقطار بمسلمات
ولا يكلفن من فروع الشريعة ما تكلفه المسلمات . وقد جرى عرف أهل ملتهن
على اسقاط حرمة الستر فلا يعدونه فضيلة بل نقصا . وهن يمشين في الأسواق والشوارع
حاسرات كما يكن في معاهد التمثيل . ولا فرق بين رؤيتهن في الأسواق ورؤيتهن
في تلك المعاهد ولا بين الاختلاف الى الأسواق وهن فيها والاختلاف الى تلك المعاهد
وهن فيها . والعبرة في ضرر ما يمثل من حيث الخلاعة والتهتك وغيره بموضوع القصة .
فاذا كان موضوعها اعمالا منكورة بحيث يكون تأثيرها سيئا ضارا ، فلا وجه للتردد
في حظر ما كان كذلك ومنعه ان امكن والا فلا امتناع من رؤيته . واما ما كان
موضوعه حسنا مرغبا في الفضيلة ، منفرا عن الرذيلة ، اومينا لعواقب ظلم الحكام ،
واستبدادهم في الاحكام . ومرشدا للأمة الى ازالة الظلم ، وأطر الظالمين على الحق ،
ومجرثا لها على مقاومة العدوان والبغي — فهو الذي يعده الحكماء من مربيات
الأمم ، ومهذبات الاخلاق ، وينظمونه في سلك اساليب التربية العملية

نموذج آخر من مدارج السالكين

من بحث تغير الأخلاق وعدمه في ضرب مثل الانتفاع بكل خلق وكل غريزة وعدم محاولة تغييرها

فصل

نافع جدا عظيم النفع للسالك يوصله عن قريب ، ويسير بأخلاقه التي لا يمكنه إزالتها ، فإن أصعب ما على الطبيعة الإنسانية تغير الأخلاق التي طبعت عليها ، وأصحاب الرياضات الصعبة والمجاهدات الشاقة إنما عملوا عليها ولم يظفر أكثرهم بتبديلها ، لكن النفس اشتغلت بتلك الرياضات عن ظهور سلطانها ، فإذا جاء سلطان تلك الأخلاق وبرز كسر جيوش الرياضة وشتها واستولى على مملكة الطبع . وهذا فصل يصل به السالك مع تلك الأخلاق ولا يحتاج إلى علاجها وإزالتها ، ويكون سيره أقوى وأجل وأسرع من سير العامل على إزالتها .

ونقدم قبل هذا مثالا نضرب به مطابقا لما نريده وهو : نهر جار في صبيه ومنحدره ، ومنته إلى تغريق أرض وعمران ودور ، وأصحابها يعلمون أنه لا ينتهي حتى يخرب دورهم ويتلف أراضيهم وأموالهم ، فاتفقوا ثلاث فرق : فرقة صرفت قواها وقوى أعمالها إلى سكره وحبسه وإيقافه فلم تصنع هذه الفرقة كبير أمر ، فانه يوشك أن يجتمع ثم يحمل على السكر فيكون إفساده وتخريبه أعظم . وفرقة رأت هذه الحالة وعلمت أنه لا يعني عنها شيئا فقالت : لا خلاص من محذوره إلا بقطعه من أصل ينبوع ، فرامت قطعه من أصله فتعذر عليها ذلك غاية التعذر ، وأبت الطبيعة النهرية ذلك أشد الإباء ، فهم دائميا في قطع ينبوع ، وكلما سدوه من موضع نبع من موضع ، فاشتغل هؤلاء بشأن هذا النهر عن الزراعات والعمارات وغرس الأشجار . فجاءت فرقة ثالثة خالفت رأي الفرقتين وعلموا أنهم قد ضاعت عليهم كثير من مصالحهم فاخذوا في صرف ذلك النهر عن مجراه المتسهي إلى خراب العمران ، وصرفوه إلى موضع ينتفعون بوضوئه إليه ولا يتضررون به ، فصرفوه إلى أرض قابلة للنبات وسقوها به ، فانبتت أنواع العشب والكلام والثمار المختلفة الأصناف ، فكانت هذه الفرقة هم أصوب الفرق في شأن هذا النهر :

فاذا تبين هذا المثل فالله سبحانه اقتضت حكمته ان ركب الانسان بل سائر الحيوان على طبيعة محمولة على قوتين غضبية وشهوانية وهي الارادية ، وهاتان القوتان هما الحاملتان لاخللاق النفس وصفاتها ، وهما مركزتان في جملة كل حيوان ، فبقوة الشهوة والارادة يجذب المنافع الى نفسه ، وبقوة الغضب يدفع المضار عنها ، فاذا استعمل الشهوة في طلب ما يحتاج اليه تولد منها الحرص ، واذا استعمل الغضب في دفع المضرة عن نفسه تولد منه القوة والعزة ، فاذا عجز عن ذلك الضار أورثه قوة الحقد ، وان اعجزه وصول ما يحتاج اليه ورأى غيره مستبدا به أورثه الحسد . فان ظفر به أورثته شدة شهوته وارادته خلق البخل والشح ، وان اشتد حرصه وشهوته على الشيء ولم يمكنه تحصيله الا بالقوة الغضبية فاستعملها فيه اورثه ذلك العدوان والبغي والظلم ، ومنه يتولد الكبر والفخر والخيلاء ، فانها اخلاق متولدة من بين قوتي الشهوة والغضب ، وتزوج احدهما بصاحبه .

فاذا تبين هذا فالنهر مثال هاتين القوتين ، وهو منصب في جدول الطبيعة ومجراها الى دور القلب وعمرانه وحواصله بذهبها ويطبقها ولا بد ، فالنفوس الجاهلة الظالمة تركته ومجراه تخرب ديار الايمان وقلع آثاره وهدم عمرانه ، وانبت موضعها كل شجرة خبيثة من حنظل وضريع وشوك وزقوم ، وهو الذي يأكله أهل النار يوم القيامة يوم المعاد ، واما النفوس الزكية الفاضلة فانها رأت ما يؤول اليه امر هذا النهر فافترقوا ثلاث فرق ، فاصحاب الرياضات والمجاهدات والخلوات والتمرنات راموا قطعه من ينبوعه فابت ذلك حكمة الله تعالى وما طبع عليه الجبلية البشرية ، ولم تنقد لهم الطبيعة ، فاشتد القتال ودام الحرب وحمى الوطيس وصارت الحرب دولا وسجالا ، وهؤلاء صرفوا قواهم الى مجاهدة النفس على ازالة تلك الصفات .

وفرقة اعرضوا عنها وشغلوا نفوسهم بالاعمال ولم يجيبوا دواعي تلك الصفات مع تخليتهم اياها على مجراها ، لكن لم يمكنوا نهرا من افساد عمرانهم بل اشتغلوا بتحسين العمران واحكام بنائه واساسه ، ورأوا ان ذلك النهر لا بد ان يصل اليه فاذا وصل الى بناء محكم لم يهدمه بل يأخذ عنه يمينا وشمالا ، فهؤلاء صرفوا قوة عزيمتهم وارادتهم في العمارة واحكام البناء ، وأولئك صرفوها في قطع المادة الفاسدة من اصلها خوفا من هدم البناء . وسألت يوما شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذه المسألة وقطع الآفات والاشتغال بتنقية الطريق وتنظيفها ، فقال لي جملة كلامه : النفس مثل الباطوس (وهو جيب القدر) كما نبشته ظهر وخرج

ولكن ان أمكنك ان تسقف عليه وتعبه وتجوّزه فافعل ، ولا تشتغل بنشبه فانك ان تصل الى قراره ، وكما نبشت شيئا ظهر غيره ، فقلت : سألت عن هذه المسألة بعض الشيوخ فقال لي : مثال آفات النفس مثال الحيات والمقارب التي في طريق المسافر فان اقبل على تفتيش الطريق عنها والاشتغال بقتلها انقطع ولم يمكنه السفر قط . ولكن لتكن همتك المسير والاعراض عنها وعدم الالتفات اليها . فاذا عرض لك فيها ما يعوقك عن المسير فاقتله ثم امض على سيرك . فاستحسن شيخ الاسلام ذلك جدا ، واثني على قائله .

اذا تبين هذا فهذه الفرقة الثالثة رأيت ان هذه الصفات ما خلقت سدى ولا عبثا ، وانها بمنزلة ماء يسقى به الورد والشوك والثمار والخطب ، وانها صوان واصداف لجواهر منطوية عليها دواما فما خاف منه أولئك هو نفس سبب الفلاح والظفر ، فأروا أن الكبر نهر يسقى به العلو والفخر والبطر والظلم والعدوان ، ويسقى به علو الهمة والانفة والحمية والمراغمة لاعداء الله وقهرهم والعلو عليهم ، وهذه درة في صدفته ، فصرفوا مجراه الى هذا القراس واستخرجوا هذه الدرة من صدفته وابقوه على حاله في نفوسهم ، لكن استعملود حيث يكون استعماله اتفع ، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ابا دجاجة يتبختر بين الصنفين فقال « انها لمشية يبعثها الله الا في مثل هذا الموضع » فانظر كيف خلى مجرى هذه الصفة وهذا الخلق يجري في احسن مواضعه ، وفي الحديث الآخر واطنه في المستند « ان من الخيلاء ما يحبها الله ومنها ما يبعثها الله ، فالخيلاء التي يحبها الله اختيال الرجل في الحرب وعند الصدقة » فانظر كيف صارت الصفة المذمومة عبودية ، وكيف استحال القاطع موصلا . فصاحب الرياضات والعامل بطريق الرياضات والمجاهدات والخلوات ، هيئات هيئات ، انما يوقع ذلك في الآفات والشبهات والضلالات ، فان تزكية النفوس مسلم الى الرسل ، وانما بعثهم الله لهذه التزكية وولاهم اياها ، وجعلها على ايديهم دعوة وتعلما وبيانا وارشادا ، لا خلقا ولا إلهاما ، فهم المبعوثون لعلاج نفوس الامم ، قال الله تعالى (هو الذي بعث في الامم رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم - الى قوله - لفي ضلال مبين) وقال تعالى (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون * فاذا كروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) وتزكية النفوس أصعب من علاج الابدان واشد ، فمن زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة التي لم يحى بها الرسل ، فهو كالمرضى الذي يعالج نفسه برأيه ، وأين رأيه من معرفة الطبيب ؟ فالرسل اطباء القلوب فلا سبيل الى تزكيتها وصلاحها الا من طريقهم وعلى ايديهم ، وبمحض الاتقياد والتسليم لهم ، والله المستعان .

الدين والتدين . والالحاد والتعطيل

التدين غريزة فطرية ، والدين حاجة من حاجات البشر الطبيعية ، والالحاد والتعطيل إما نقص في الفطرة . كما يولد بعض الناس مخدوجا بنقص حاسة من حواسه ، او تشوه عضو من اعضائه ، واما تصرف سيئ في الفطرة ، وجناية على الطبيعة . وقد خلق الله الانسان في هذه الأرض واعطاه فيها سلطان التصرف فيها وفي نفسه . واسجد له من فيها من ملائكته ، الذين هم كالملكات والقوى في تدبير الأمر ، واقامة النظام في الخلق ، فهو بهذا التصرف فيها يفسد فيها ويسفك الدماء ، كما يصلح ويعمر وينفع الناس : يجني على نفسه فيحملها فوق طاقتها ، ويعرضها للأمراض التي لا قبل له بها ، ويجني على غيره بالعدوان والبغي ، واهلاك الحرث والنسل . فلا غرو اذا جنى على الدين ، بشبهة دليل او بغير دليل .

كان السواد الأعظم من الناس متدينا ، ولا يزال السواد الأعظم من الناس متدينا ، وسيبقى السواد الأعظم من الناس متدينا . ولكنهم يتصرفون في اديانهم ، كما يتصرفون في انفسهم وابدايهم ، وسيظلون زمنا طويلا في اضطراب ومخض ، بين رفع وخفض ، وابرار ونقض ، حتى تزول العصبية الدينية ، وتسقط الرياسات المذهبية ، ويكون الدين لله ، لا للخلفاء والاشياخ ، ولا للرهبان والأخبار ، ويكون للانسان الحرية فيه والاستقلال ، فيتفق أكثر المختلفين ، ويجتمع أكثر المتفرقين ، فتنتشع السحب عن دين الفطرة ، ويدخلون في السلم كافة

كان الناس متدينين ، وكان يكون في كل جيل منهم في كل عصر اناس من المعطلين ، وافراد من الملحدين ، كما يوجد فيهم العمي الذين لا يبصرون . والصم الذين لا يسمعون ، والبكم الذين لا ينطقون . (٤٥ : ٣٣ وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا ، نموت ونحيا ، وما يهلكنا الا الدهر . وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) هذه حكاية القرآن عن بعض جاهلية العرب . وحكى مثله عن قوم نوح أقدم من أثر تاريخهم من الأمم . ولكن بعض ملاحدة عصرنا يظنون لجهلهم بالتاريخ ان هذا الشذوذ خاص بالفلاسفة ، واصحاب الافكار الراقية ، ولهذا الامتياز الوهمي

صار بعض الفوغاء يكفر بالتقليد ، لينتظم في سلك الفلاسفة الجديد . ويتفقت من قيد التكليف

نعم يوجد من اهل النظر من حجبه نظريات الفلسفة ، ومسائلها وتعليقاتها المسلمة ، عن الدين وجوهراء ، وما كان من حسن أثره ، فطفقوا يتذفون بتلك النظريات والمسلّمات ، ظواهر الدين وتقاليد المحدثات ، وخيل اليهم انهم فازوا بقصب الرهان ، وأبرهوا جيوش الأوهام بسيف البرهان . وما ذلك الا وهم يناطح وهما ، هذا يسميه هدى وذلك يدعوه علما ، ولو كانت تلك النظريات علما يقينيا لما تنازعت فيها الافكار ، واختلفت باختلاف الأجيال والأعصار ، فان فلسفة هذا الزمان ، قد نقضت معظم فلسفة اليونان ، وينقض بعضها بعضا في كل عام . واما علم اليقين ، فلا شيء منه يناقض لهداية الدين ، وان نقض بعض تواريج الكتب المقدسة في بعض الأديان ، وبعض عقائدها المخترعة التي ما انزل الله بها من سلطان . وحاشا دين القرآن ، الذي كفل حفظه الرحمن ، فلم تؤثر فيه تأويلات المتكلمين ، ولا تعليقات المتفقيين ، دع اباطيل أهل الزيغ او الزندقة ، كالباطنية والمتفلسفة . ان في الفلاسفة متدينين ، كما ان فيهم ماديين ، وكذلك اصحاب العقول الكبيرة من العلماء والقواد والسياسيين . فتولستوي الفيلسوف الروسي كان متدينا . والبرنس بسمارك كان متدينا ، وإمام الاطباء باستور كان متدينا ، وان اكبر قائد حربي في فرنسة اليوم متدين . كما كان ابن سينا والفارابي والغزالي وابن رشد من فلاسفة المسلمين متدينين . وأمثالهم كثيرون في كل أمة

نعم ان دين امثال هؤلاء قد يخالف في أصوله وفروعه دين العوام المقلدين ، لان لعلومهم وفلسفتهم طريقا خاصا في فهمهم الدين ، والعامي المقلد تابع لمن يلقيه ، وللبيئة التي يعيش فيها كل منهم تأثير في فهم ما يتلقنه . فاذا كان العالم المستقل يخطئ فهم حقيقة الدين في قليل من المسائل ، فالجاهل المقلد اجدر بالخطأ في فهم الاكثر منها . يفتخر كثير من مقلدة الاحاد في أمتنا بمن اشتهر من ملاحدة علماء الأفرنج ، غافلين عن الاعتبار بحال المتدينين منهم ، وما كل من طعن في الكنيسة واهلها من علماء الأفرنج كافر بالله ورسوله . بل هؤلاء دين غير دين الكنيسة ، وتكفير الكنيسة

لهم كتكفير بعض المتكلمين والصوفية لابن سينا وامثاله. فمن متدنيي الافرنج المقلدون، ومنهم العقليون والموحدون. ولعل دين السواد الاعظم من المتعلمين المذهبيين منهم كدين (مدام كلاير) : عجوز فرنسية ذات علم وادب، من بيت في ليون محترم، جاورتنا مرة في الدار، فرأيتها لا تذهب الى الكنيسة في ايام الاحاد، فسألتها : ما بالك لا تذهين الى الكنيسة؟ الست متدينة؟ قالت : انا مؤمنة بالله وأصلي له في بيتي، وما فضل الكنيسة على البيت؟ انها لا فضل لها الا ان فيها رجالا يأكلون اموالنا... قلت : اتدينين بعقيدة التثليث؟ قالت لا اعرف التثليث، اعرف ان الرب واحد. قلت وما تقولين في السيد المسيح عليه السلام؟ قالت « مثل نبي » فمذه حال اهل التعليم العالي في القوم. دع السواد الاعظم من العامة، وكثيرا ممن يعدون من الخاصة، الذين يتمسكون بمذاهبهم التقليدية، لا يثنيهم عنها انكار العقليين ولا غيره

أفلا ينظرون من وراء ذلك كله - جهلوه ام عرفوه - الى ما يبذله الافرنج من ملايين الجنيهات لجمعياتهم الدينية لأجل نشر دينهم في الخافقين، وتعميمه في المشرقين والمغربين؟ يقول بعضهم بغير علم: ان الغرض من ذلك سياسي لا ديني. كذبوا، وحكموا بما لم يعلموا، ان تلك الملايين يبذلها الشعب الذي لا يعرف السياسة. ولا ننكر ان اهل السياسة يستفيدون من سعي المبشرين، فاذا كانت حكومة روسيا تستفيد بسياستها من تنصير دعاة الارثوذكسية لسلبي بلادها، وانكلترا تستفيد من تنصير دعاة البروتستانتية لمن ينصرون من اهل الهند والسودان، فاي فائدة سياسية لأمر يرك في بث دعاة النصرانية في بلاد العرب والترك والفرس والهند وسائر الأقطار؟

تأملت في حال ملاحدة هذا العصر، فما رأيت اشد عمية، وابعد غواية، واضل سبيلا، وافسد قيلا، من ملاحدة المسلمين الجغرافيين. ما رأيت احدا منهم صاحب دعوة سياسية في أمتة قد ثبت عنده ان الاسلام يعارضها، ويحول دون التحول السياسي والاجتماعي الذي يراد بها، فهو ينفر من الاسلام وينفر عنه لأجلها، كيف وهم يعترفون تبعاً لحكام الافرنج بان الدين اقوى

عوامل السياسة ولا سيما دين الاسلام ، كما صرح بذلك علماء الاجتماع
ما رأيت احدا منهم صاحب مذهب فلسفي أدبي ثبت عنده أن حكمة الاسلام
تناقضه ، وإن صلاح الأمة لا يكون الا به ، فهو يلجج بالاعتراض على الاسلام ، لانه
عقبة في طريق ما يحاول من الاصلاح . كيف وإن التربية عند أئمتهم - أكثر الافرنج
لاتزال قائمة على اساس آداب الدين ؟

ما رأيت احدا منهم عني بقعه القرآن وصحيح السنة ، وما كان عليه سلف
الأمة ، ثم عرضت له شبه قوية على صحة تلك الهداية فهو يريد التفصي منها ، وقد
خاتته اليينات والدلائل المزيلة لها . كيف ونحن نعلم ان أكثرهم لم يقرأ تفسير سورة
من السور . ولا يميز بين الصحيح والموضوع من الأثر ؟ وإن من له الملم بشيء من
علم الدين ، قلما يعرف الا بعض القشور من هذه التقاليد ، فهو يهزأ بالدين لأجل
خرافة او بدعة ، يحسب انها عقيدة ثابتة اوسنة .

ألا انهم على ما هم عليه من جهل بحقيقة الاسلام ، وقصور عن النهوض بدعوة
الى الاصلاح ، يطلقون لسانهم العنان ، فيجمع بهم في كل ميدان . فمنهم من
يتشدق بالسياسة ، ومنهم من يتفهبق بالمقابلة بين القانون والشرعية ، ومنهم من يهتذر
بالأخلاق والآداب ، ومنهم من يهذي بالاعتراض على العبادات ، يتخفون الكلام
في ذلك هزوا ولجا ، وفاقا كيه تلهذون بها تلهذا ، في زمن قل فيه العليم بأسرار الدين ،
والبصير بحكم التشريع ، الذي يفرق بين الأصول الثابتة بالدليل ، والنصوص التي لا
تحتل التأويل . وبين الفروع المستنبطة بالاجتهاد ، والظواهر التي لم يتعين منها المراد .
على ان الأرض لا تخلو من قائم لله بحجته ، ومن مفصح للشرع عن حكمته ،
ولكن هؤلاء بمعزل عن الحجة واهلها ، هي مجهولة لهم فهم لا يطلبونها ، ثقيلة عليهم
فاذا تليت عليهم آياتها لا يسمعونها . الا من كان سليم الفطرة ، قريب العهد بهذه
المعجزة . وطالما تأذنتهم المنار ، بما يذهب بالتعلات والاعذار ، من الاستعداد
لإزالة كل شبهة ، والتصدي لكشف كل غمة .

يا سبحان الله ! أتبيع السياسة لبسمرك أعظم رجال أوربة في القرن الماضي -
وهو كما قال جمهوري بالطبع - ان يكون على دين يناقض طبعه فيجعله عبدا لملك

بروسية ، لأنه يقول له ان سلطة الملوك من الله ؛ - ولا تبيح هؤلاء المتشدقين منا ان يكونوا على دين سبق كتابه الى وضع اعظم اساس للحكم الذاتي بقوله (وامرهم شورى بينهم) ؟ واقام على هذا الاساس اركان المصالح المرسلة ، وجعل رفع المفسدة مقدما على جلب المصلحة ؛ - الى غير ذلك من الاركان الثابتة ، ثم قس على هؤلاء المتشدقين ، أمثالهم من المتفهبين والهاذين والهاذرين .

وان تعجب فمجب خوضهم في مسائل الاخلاق والآداب ، فقد اقلبت عقولهم فيها شر الانقلاب ، حتى صار فيهم من يعد العفة والغيرة والرحمة من الرذائل ، وأضدادها من الفضائل ، بناء على قاعدة الانتخاب الطبيعي التي تعري القوي بالضعيف ، وتبيح له ان يعجل بسلب حياته ويستأردونه بزوجه وماله ، ولعل واحدهم لا يرجع عن هذه الغواية الا اذا مسه الضر ، وعرضه ناب الفقر ، وتصدى اخوانه في الكفر لإزهاق روحه ، وتعدى أخذانه في الاحاد على عرض زوجه ، ومنموها من خدمته ومواساته . بناء على قاعدتهم في كون الحق في ذلك للقوي القادر على الإتيان ، والقيام بشؤون الاجتماع !

ألا إن من بلغ هذه الغاية من ارتكاس الفطرة ، واتكاس الفكرة ، فصار يرى الحقائق بغير صورها ، ويزن الاشياء بغير ميزانها ، فلا طمع في هدايته ، ولا رجاء في مناظرته ، أولئك الذين ختم الله على قلوبهم وسممهم وأبصارهم ، يجادلونك في الحق بعد ما تبين ، ويمارونك في البديهي وقد تبين .

واما أكثر المخدوعين ، بأوهام هؤلاء المبطلين ، فهم مستعدون لقبول الدليل ، والاهتداء الى سواء السبيل ، اذا تداركهم العلماء والراسخون ، وتجاهدوا الحكماء الربانيون ، ولكن قل العلماء القادرون على كشف الابهات ، وكثر المشتبّهون ، فالاصلاح موقوف على تكثير سواد المصلحين الجامعين بين علوم الدنيا والدين ، مع استقلال الفكر ، وتزكية النفس ، ولا يكون هذا الا تربية وتعليم ، على صراط الحق المستقيم . فقل للذين هم على الدين يقارون ، : لمثل هذا فليعمل العاملون . فسارعوا اليه ان كنتم صادقين ، . وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين .

فصل^(*)

(الابتداع بالتشدد في الدين . والنزاع ما لم يرد وتبع آثار الصالحين)
من كتاب الاعتصام للشاطبي

ثم اتى بما أخذ آخر من الاستدلال على صحة ما زعم ، وهو أن الدعاء على ذلك الوجه لم يرد في الشرع نهي عنه مع وجود الترغيب فيه على الجملة ، ووجود العمل به . فإن صح أن السلف لم يعملوا به ، فالترك ليس بموجب الحكم في المتروك الا جواز الترك وانتفاء المارج خاصة ، لا تحريم ولا كراهية .

وجميع ما قاله مشكل على قواعد العلم وخصوصا في العبادات - التي هي مسائلنا - اذ ليس لأحد من خلق الله ان يخترع في الشريعة من رأيه امرا لا يوجد عليه منها دليل ، لانه عين البدعة ، وهذا كذلك ، اذ لا دليل فيها على اتخاذ الدعاء جهرا للحاضرين في آثار الصلوات دائما ، على حد ما نقام ، بحيث يمد الخارج عنه خارجا عن جماعة أهل الاسلام متجزا ومتميزا^(١) - الى سائر ما ذكر ، وكل ما لا يدل عليه دليل^(٢) فهو البدعة والى هذا^(٣) فان ذلك الكلام يوم ان اتباع المتأخرين المتقلدين خير من اتباع الصالحين من السلف ، ولو كان في احد جانزين ، فكيف اذا كان في امرين احدهما متيقن انه صحيح والآخر مشكوك فيه ؟ فيتبع

(*) تابع لما نشر في ص ٣٣٣ ج ٦

(١) كذا في الاصل (٢) سقط لفظ دليل من الاصل (٣) لعله : وعلى هذا

المشكوك في صحته ، ويترك ما لا مزية في صحته ولو لما من يتبعه ^(١)
ثم اطلاقه القول بان الترك لا يوجب حكماً في المتروك الا جواز
الترك ، غير جار على أصول الشرع الثابتة . فنقول ان هنا أصلاً لهذه
المسئلة لعل الله ينفع به من أنصف من نفسه : وذلك ان سكوت الشارع
عن الحكم في مسئلة ما او تركه لا أثر ما على ضريين .

(أحدهما) ان يسكت عنه أو يتركه لأنه لا داعية له نقتضيه ، ولا
موجب يقرر لاجله ، ولا وقع سبب تقريره ، كالنوازل الحادثة بعد وفاة
النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنها لم تكن موجودة ثم سكوت عنها مع وجودها ،
وانما حدثت بعد ذلك ، فاحتاج أهل الشريعة الى النظر فيها واجراءها على
ما تبين في الكليات التي كل بها الدين ، وإلى هذا الضرب يرجع جميع
ما نظر فيه السلف الصالح مما لم يسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الخصوص مما هو معقول المعنى ، كتمين الصناعات ، ومسئلة الحرام ،
والجد مع الاخوة ، وعول القرائض . ومنه جمع المصحف ، ثم تدوين
الشرائع ، وما أشبه ذلك مما لم يحتج في زمانه عليه السلام الى تقريره
للتقديم ^(٢) كلياته التي تستنبط منها ، اذا لم تقع اسباب الحكم فيها ولا الفتوى
منه عليه السلام ، فلم يذكر لها حكم مخصوص .

فهذا الضرب اذا حدثت اسبابه فلا بد من النظر فيه واجراءه على
أصوله ان كان من العاديات ، أو من العبادات التي لا يمكن الاقتصار فيها
على ما سمع ، كمسائل السهو والنسيان في اجراء العبادات . ولا اشكال

(١) كذا في الاصل (٢) كذا في الاصل وهو محرف . ولعل في الكلام
محذوفاً أيضاً والمعنى المراد ظاهر ، وهو ان ما لم يحتج الى تقريره في عصر النبوة
من جزئيات الاحكام قد وجد في الشريعة من القواعد الكلية ما دخل به ويسمونه تنبسط هو

في هذا الضرب ، لأن أصول الشرع عقيدة ، وأسباب تلك الأحكام لم تكن في زمان الوحي ، فالكسوت عنها على الخصوص ليس بحكم يقتضي جواز الترك أو غير ذلك ، بل إذا عرضت النوازل روجع بها أصولها فوجدت فيها ، ولا يجدها من ليس بمجتهد ، وإنما يجدها المجتهدون الموصوفون في علم أصول الفقه .

(والضرب الثاني) أن يسكت الشارع عن الحكم الخاص أو يترك أمراً ما من الأمور ، وموجبه المقتضي له قائم ، وسببه في زمان الوحي وفيما بعده موجود ثابت ، إلا أنه لم يحدد فيه أمر زائد على ما كان من الحكم العام في أمثاله ولا ينقص منه ، لأنه لما كان المعنى الموجب لشرعية الحكم العقلي الخاص موجوداً ثم لم يشرع ولا نبه على السبب^(١) كان صريحاً في أن الزائد على ما ثبت هناك بدعة زائدة ومخالفة لقصد الشارع ، إذ فهم من قصده الوقوف عند ما مد هناك لا الزيادة عليه ولا النقصان منه ولذلك مثال فيما نقل عن مالك بن أنس في سماع أشهب وابن نافع هو غاية فيما نحن فيه ، وذلك أن مذهبه في سجود الشكر الكراهية وأنه ليس بمشروع وعليه بني كلامه . قال في العتبية : وسئل مالك عن الرجل يأتيه الأمر يحبه فيسجد لله عز وجل شكراً ؟ فقال : لا يفعل هذا مما مضى من أمر الناس . قيل له : أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه - فيما يذكر - سجد يوم اليمامة شكراً لله . أفسمعت ذلك ؟ قال : ما سمعت ذلك ، وأنا أرى أن قد كذبوا على أبي بكر . وهذا من الضلال أن يسمع المرء الشيء فيقول : هذا لم تسمعه مني . قد فتح الله على رسول الله صلى

(١) كذا والمعنى ولم ينبه على قاعدة لاستنباطه منها

الله عليه وسلم وعلى المسلمين بعده . أفسمعت ان احدا منهم فعل مثل هذا ؟ اذ ما قد كان في الناس وجرى على أيديهم سمع عنهم فيه شيء ، فمليك بذلك فانه لو كان لذكر ، لانه من أمر الناس الذي قد كان فيهم ، فهل سمعت ان احدا منهم سجد ؟ فهذا اجماع . واذا جاءك امر لا تعرفه فدعه . تمام الرواية . وقد احتوت على فرض سؤال والجواب بما تقدم .

وتقرير السؤال ان يقال في البدعة - مثلا - : انها فعل سكت الشارع عن حكمه في الفعل والترك ، فلم يحكم عليه بحكم على الخصوص ، فالأصل جواز فعله ، كما أن الأصل جواز تركه ، اذ هو معنى الجائر ، فان كان له أصل جملي فاحرى ان يجوز فعله ، حتى يقوم الدليل على منعه أو كراهته ، واذا كان كذلك ، فليس هنا مخالفة لقصد الشارع ، ولا ثم دليل خالفه هذا النظر ، بل حقيقة ما نحن فيه انه أمر مسكوت عنه عند الشارع ، والسكوت عند الشارع لا يقتضي مخالفة ولا موافقة ، ولا يعين الشارع قصدا مادون ضده وخلافه ، واذا ثبت هذا فالعمل به ليس بمخالف اذ لم يثبت في الشريعة نهى عنه .

وتقرير الجواب : معنى ما ذكره مالك رحمه الله ، وهو أن التشديد عن حكم الفعل أو الترك هنا اذا وجد المعنى المقتضي له اجماع من كل ساكت على أن لا زائد على ما كان . اذ لو كان ذلك لا ثقا شرعا أو سائقا لفعلوه ، فهم كانوا احق بادراكه والسبق الي العمل به ، وذلك اذا نظرنا الى المصلحة ، فانه لا يخلو إما أن يكون في هذه الأحداث مصلحة أولا . والثاني لا يقول به أحد . والاول إما ان تكون تلك المصلحة الحادثة أكد

من المصلحة الموجودة في زمان التكليف أولاً ، ولا يمكن ان يكون ^(١) مع كون المحدثه زيادة تكليف ، ونقضه ^(٢) عن المسكان اخرى بالأزمنة المتأخرة ، لما يعلم من قصور الهمم واستيلاء الكسل ، ولأنه خلاف بعث النبي صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة ، ورفع الحرج عن الأمة ، وذلك في تكليف العبادات ، لان العادات أمر آخر - كما سيأتي - وقد مر منه ^(٣) فلم يبق الا ان تكون المصلحة الظاهرة الآن مساوية للمصلحة الموجودة في زمان التشريع أو أضعف منها ، وعند ذلك تصير هذه الاحداث عبثاً أو استدراكاً على الشارع ، لان تلك المصلحة الموجودة في زمان التشريع ان حصلت للأولين من غير هذا الاحداث اذا عبث ^(٤) إذ لا يصح أن يحصل للأولين دون الآخرين ، فقد صارت هذه الزيادة تشريعاً بعد الشارع بسبب الآخرين ما فات للأولين ^(٥) فلم يكمل الدين إذا دونها ، ومعاذ الله من هذا المأخذ .

وقد ظهر من العادات الجارية فيما نحن فيه ان ترك الاولين لأمر ما من غير أن يمينوا فيه وجها مع احتمالها في الأدلة الجمالية ووجود المظنة ، دليل على ان ذلك الأمر لا يعمل به ، وأنه اجماع منهم على تركه .

(١) انظر اسم أن يكون وخبره ؟ الظاهر انه قد سقط من الناسخ . والمعنى الذي يقتضيه السياق ويتمين مما يأتي هو تهى كون المصلحة الحادثة أكد ، لانه يقول انها مساوية أو أضعف . فلعل أصل الكلام : « ولا يمكن ان يكون أكد » وقوله مع كون المحدثه اطلع تعليل للنفي (٢) كذا ولعل الأصل نقصه بالصاد المهملة ، أي نقص التكليف وتخفيفه

(٣) كذا ولعل الأصل « وقد مر شيء منه » أو ما هو بمعنى هذا
(٤) لعل الأصل « فني اذا عبث » (٥) لعل الأصل « بسبب الآخرين
ما فات الأولين »

قال ابن رشد في شرح مسألة العتبية : الوجه في ذلك انه لم يره مما شرع في الدين - يعني سجود الشكر - فرضاً ولا نفلاً ، اذ لم يأمر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا فعله ، ولا أجمع المسلمون على اختيار فعله ؛ والشرائع لا تثبت الا من احد هذه الامور - قل - واستدلالة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك ولا المسلمون بعده ، « بان ذلك لو كان لنقل ، صحيح ، اذ لا يصح ان تتوفر الدواعي على ترك نقل شريعة من شرائع الدين ، وقد أمروا بالتبليغ - قال - وهذا أصل من الاصول ، وعليه يأتي اسقاط الزكاة من الخضر والبقول مع وجود سبب الزكاة فيها ، لمعوم قول النبي صلى الله عليه وسلم « فيما سقت السماء والعيون والبعل العشر ، وفيما سقي بالنضح نصف العشر » لا نأ نزلنا ترك نقل اخذ النبي صلى الله عليه وسلم الزكاة منها كالسنة القائمة في ان لا زكاة فيها ؛ فكذلك نزل ترك نقل السجود عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشكر كالسنة القائمة في ان لا سجود فيه . ثم حكى خلاف الشافعي والكلام عليه ؛ والمقصود من المسئلة توجيه مالك لها من حيث انها بدعة ، لا توجيه انها بدعة على الاطلاق .

وعلى هذا النحو جرى بمضهم في تحريم نكاح المحلل ، وانه بدعة منكورة ، من حيث وجد في زمانه عليه السلام المعنى المقتضي للتخفيف والترخيص للزوجين باجازه التحليل ليتراجعا كما كانا أول مرة ، وانه لما لم يشرع ذلك مع حرص امرأة رفاة على رجوعها اليه دل على أن التحليل ليس بمشروع لها ولا لغيرها . وهو أصل صحيح اذا اعتبر وضع به ما نحن بصدد ، لأن التزام الدعاء بآثار الصلوات جهرا للحاضرين

(المنارج ٧ م ١٧) الفرق بين العادات والعبادات فيما سكت عنه الشارع ٥١٩

في مساجد الجماعات لو كان صحيحاً شرعاً أو جائزاً لكان النبي صلى الله عليه وسلم أولى بذلك أن يفعله .

وقد علل المنكر هذا الموضع بعلة تقتضي المشروعية ، وبني على فرض أنه لم يأت ما يخالفه وإن الأصل الجواز في كل مسكوت عنه .

أما أن الأصل الجواز فيمتنع ، لأن طائفة من العلماء يذهبون إلى أن الأشياء قبل وجود الشرع على المنع دون الإباحة ؛ فما الدليل على ما قال من الجواز ؟ وإن سألنا له ما قال : فهل هو على الإطلاق أم لا ؟ أما في العاديات فسلم ، ولا نسلم أن ما نحن فيه من العاديات ، بل من العباديات ، ولا يصح أن يقال فيما فيه تعبد : أنه مختلف فيه على قولين :- هل هو على المنع ؟ أم هو على الإباحة ؟ بل هو أصراً زائداً على المنع ، لأن التعبديات إنما وضعوا للشارع^(١) فلا يقال في صلاة سادسة - مثلاً - : إنها على الإباحة ، فلم يكف وضعها - على أحد القولين - ليعتد بها الله . لأنه باطل باطلاق ، وهو أصل كل مبتدع يريد أن يستدرك على الشارع . ولو سلم أنه من قبيل العاديات أو من قبيل ما يعقل معناه ، فلا يصح العمل به أيضاً ، لأن ترك العمل به من النبي صلى الله عليه وسلم في جميع عمره ، وترك السلف الصالح له على توالي أزمنتهم ، قد تقدم أنه نص في الترك واجماع من كل من ترك ، لأن عمل الاجماع كنصه - كما أشار إليه مالك في كلامه - .

وأيضاً فما يعلل له لا يصح التعليل به ، وقد أتى الراي بأوجه منه (أحدها) أن الدعاء بتلك الهيئة ليظهر وجه التشريع في الدعاء ، وأنه

(١) لعله « إنما وضعها للشارع »

بآثار الصلوات مطلوب . ومآله يقتضي ان يكون سنة بسبب الدوام والاظهار في الجماعات والمساجد ؛ وليس بسنة اتفاقا منا ومنه ؛ فانقلب اذا وجه التشريع .

وأيضاً فان اظهر التشريع كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم والى ، فكانت الكيفية المتكلم فيها أولى للاظهار ، ولما لم يفعله عليه السلام دل على الترك مع وجود المعنى المقتضي ، فلا يمكن بعد زمانه في تلك الكيفية الا الترك .

(والثاني) ان الامام يجمعهم على الدعاء ليكون باجتماعهم أقرب الى الاجابة . وهذه العلة كانت في زمانه عليه السلام ، لأنه لا يكون احد اسرع اجابة لدعائه منه ؛ اذ كان مجاب الدعوة بلا اشكال ، بخلاف غيره وان عظم قدره في الدين فلا يبلغ رتبته ، فهو كان احق بان يزيد الدعاء لهم خمس مرات في اليوم والليلة زيادة الى دعائهم لأنفسهم .
وأيضاً فان قصد الاجتماع على الدعاء لا يكون بعد زمانه أبلغ في البركة من اجتماع يكون فيه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم واصحابه ، فكانوا بالتنبيه لهذه المنقبة أولى .

(والثالث) قصد التعليم للدعاء ليأخذوا من دعائه ما يدعون به لأنفسهم لا يدعوا بما لا يجوز عقلاً أو شرعاً . وهذا التعليل لا ينهض ، فأن النبي صلى الله عليه وسلم كان المعلم الاول ، ومنه تلقينا الفاظ الأدعية ومعانيها ، وقد كان من العرب من يجهل قدر الربوبية فيقول :

رب العباد ما لنا ومالك انزل علينا الغيث لا اباك

وقال الآخر :

لا هم ان كنت الذي بعدي ولم تغيرك الامور بعدي
وقال الآخر :

أبني لبتي لا احبكم وجد الآله بكم كما اجد
وهي الفاظ يفتقر اصحابها الى التعليم ، وكانوا أقرب عهد بجاهلية
تعامل الاصنام معاملة الرب الواحد سبحانه ، ولا تزهه كما يليق بجلاله ؛
فلم يشرع لهم دعاء بهيئة الاجتماع في آثار الصلوات دائما ليعلمهم أو يعينهم
على التعلم اذا صلوا معه ، بل علم في مجالس التعليم ، ودعا لنفسه إثر الصلاة
حين بدا له ذلك ، ولم يلتفت اذ ذاك الى النظر للجماعة ، وهو كان أولى
الخلق بذلك .

(والرابع) ان في الاجتماع على الدعاء تعاونا على البر والتقوى ، وهو
مأمور به . وهذا الاحتجاج ضعيف . فان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي
انزل عليه (وتعاونوا على البر والتقوى) وكذلك فعل . ولو كان الاجتماع
للدعاء أثر الصلاة جهرا للحاضرين من باب البر والتقوى لكان أول
سابق اليه ، لكنه لم يفعله أصلا ولا احد بعده حتى حدث ما حدث .
فدل على انه ليس على ذلك الوجه بر ولا تقوى .

(والخامس) ان عامة الناس لا علم لهم باللسان العربي ، فربما لحن
فيكون اللحن سبب عدم الاجابة . وحكى عن الاصمعي في ذلك
حكاية شريفة لا فقهية . وهذا الاحتجاج الى اللعب أقرب منه الى الجد ،
وأقرب ما فيه ان احدا من العلماء لا يشترط في الدعاء ان لا يلحن كما يشترط

الاخلاص وصدق التوجيه^(١) وعزم المسئلة ، وغير ذلك من الشروط .
وتعلم اللسان العربي لاصلاح الالفاظ في الدعاء - وان كان الامام اعرف
به - هو كسائر ما يحتاج اليه الانسان من أمر دينه ؛ فان كان الدعاء
مستحبا فالقراءة واجبة ، والفقهاء في الصلاة كذلك ؛ فان كان تعاليم الدعاء إثر
الصلاة مطاوعا ، فتعليم فقه الصلاة أكد ؛ فكان من حقه ان يجعل ذلك
من وظائف آثار الصلاة .

فان قيل بموجبه في المحرف المتعارف . فهذه القاعدة تبحث أصله ؛ لأن
السلف الصالح كانوا أحق بالسبق الى فضله لجميع ما ذكر فيه من الفوائد ،
ولذلك قال مالك فيها : أتري الناس اليوم كانوا ارغب في الخير ممن مضى ؟
وهو اشارة الى الاصل المذكور ، وهو أن المعنى المقتضي للاحداث -
وهو الرغبة في الخير - كان أتم في السلف الصالح وهم لم يفعلوه ، فدل
على أنه لا يفعل .

وأما ما ذكر من آداب الدعاء فكاه مما لا يتعين له إثر الصلاة ؛
بدليل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم منها جملة كافية ولم يعلم منها
شيئا إثر الصلاة ، ولا تركهم دون تعليم لياخذوا ذلك منه في آخر الصلاة ،
أولستغفروا بدعائه عن تعليم ذلك ؛ ومع ان الحاضرين للدعاء لا يحصل
لهم من الامام في ذلك كبير شيء ، وان حصل فلمن كان قريبا منه دون
من بعد .

(١) أي توجيه القلب الى الله تعالى المأخوذ من قوله (وجهت وجهي للذي فطر
السماوات والارض) ويحتمل ان تكون (التوجيه) الذي هو مطاوع التوجيه

فصل

ثم استدلل المستنصر بالقياس فقال : وان صح ان السلف لم يعملوا به ، فقد عمل السلف بما لم يعمل به من قبلهم مما هو خير - ثم قال بعد : قد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه « تحدث للناس اقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور » فكذلك تحدث لهم مرغبات في الخير بقدر ما أحدثوا من الفتور .

وهذا الاستدلال غير جار على الاصول : (أما أولاً) فانه في مقابلة النص ، وهو ما أشار اليه مالك في مسألة العتبية ، فذلك من باب فساد الاعتبار . (وأما ثانياً) فانه قياس على نص لم يثبت بعد من طريق مرضي ؛ وهذا ليس كذلك . (وأما ثالثاً) فان كلام عمر بن عبد العزيز فرع اجتهادي جاء عن رجل مجتهد يمكن أن يخطئ فيه كما يمكن أن يصيب ، وانما حقيقة الاصل أن يأتي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن أهل الاجماع ؛ وهذا ليس عن واحد منهما . (وأما رابعاً) فانه قياس بغير معنى جامع أو بمعنى جامع طردي^(١) ؛ ولكن الكلام فيه سيأتي - إن شاء الله - في الفرق بين المصالح المرساة والبدع .

وقوله « ان السلف عملوا بما لم يعمل به من قبلهم » حاش لله ان يكونوا ممن يدخل تحت هذه الترجمة . وقوله « مما هو خير » أما بالنسبة الى السلف فما عملوا خيراً ؛ وأما فرعه المقيس فكونه خيراً دعوى ، لأن كون الشيء خيراً أو شراً لا يثبت الا بالشرع ، أو لأن الدعاء على تلك الهيئة غير خير شرعاً .

(١) لعل الاصل « غير طردي »

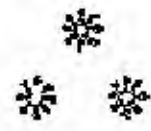
وأما قياسه على قوله « تحدث للناس أقضية » فما تقدم ^(١) وفيه أمر آخر، وهو التصريح بأن إحداث العبادات جائز قياساً على قول عمر، وإنما كلام عمر بعد تسليم القياس عليه في معنى عادي يختلف فيه مناط الحكم الثابت فيما تقدم، كتضمن الصنيع، أو الظنة في توجيه الإيمان، دون مجرد الدعاوى، فيقول: إن الأولين توجهت عليهم بعض الأحكام لصحة الأمانة والديانة والفضيلة؛ فلما حدثت اضدادها اختلفت المناط فوجب اختلاف الحكم، وهو حكم رادع أهل الباطل عن باطلهم؛ فأثر هذا المعنى ظاهر مناسب بخلاف ما نحن فيه، فإنه على الضد من ذلك؛ ألا ترى أن الناس إذا وقع فيهم الفتور عن الفرائض فضلا عن النوافل - وهي ماهي من القلة والسهولة - فما ظنك بهم إذا زيد عليهم أشياء أخرى يرغبون فيها، ويرخصون ^(٢) على استعمالها؛ فلا شك أن الوظائف تتكاثر حتى يؤدي إلى أعظم من الكسل الأول، وإلى ترك الجميع. فإن حدث للعامل بالبدعة هو في بدعته، أو لمن شايعه فيها، فلا بد من كسله مما هو أولى ^(٣)

فنحن نعلم أن ساهر ليلة النصف من شعبان لتلك الصلاة المحدثه لا يأتيه الصبح إلا وهو نائم أو في غاية الكسل فيخل بصلاة الصبح،

-
- (١) كذا والظاهر أنه سقط منه شيء. ولعل أصله « فما تقدم بعلم بطلانه »
 (٢) كذا والترخيص هنا غير مناسب ولا يتعدى بعلى فعله الأصل « ويحضون »
 (٣) ظاهر أن في هذه العبارة غلطا. والمعنى المفهوم من السياق أن صاحب البدعة إذا كان يعرض له الكسل في بدعته ولمن شايعه عليها، فلا بد من عرض الكسل له في غيرها من الأعمال بالأولى. لأن نظرية البدعة أنها بجذتها تحدث نشاطا بعد الفتور كما تقدم

وكذلك سائر المحدثات ، فصارت هذه الزيادة عائدة على ما هو أولى منها
بالإبطال أو الإخلال ؛ وقد مر أن ما من بدعة تحدث إلا ويموت من
السنة ما هو خير منها .

وأيضاً فإن هذا القياس مخالف لأصل شرعي ، وهو طلب النبي صلى
الله عليه وسلم بالسهولة والرفق والتيسير وعدم التشديد . وزيادة وظيفة لم
تشرع فتظهر ويعمل بها دائماً في موطن السنن ، فهو تشديد بلا شك .
وان سامنا ما قال ، فقد وجد كل مبتدع من العامة السبيل إلى أحداث
البدع ، وأخذ هذا الكلام بيده حجة وبرهاناً على صحة ما يحدثه كائناً
ما كان ؛ وهو صريح بعيد .



ثم استدلل على جواز الدعاء إثر الصلاة في الجملة ، ونقل في ذلك عن
مالك وغيره أنواعاً من الكلام ، وليس محل النزاع ^(١) بل جعل الأدلة شاملة
لتلك الكيفية المذكورة . وعقب ذلك بقوله : وقد تظاهرت الأحاديث
والآثار وعمل الناس وكلام العلماء على هذا المعنى ، كما قد ظهر — قال —
ومن المعلوم أنه عليه السلام كان الامام في الصلوات ، وأنه لم يكن ليخص
نفسه بتلك الدعوات ، إذ قد جاء في سنته « لا يحل لرجل أن يؤم قوماً
إلا بأذنهم ، ولا يخصص نفسه بدعوة دونهم ، فإن فعل فقد خانهم » . فتأملوا
يا أولي الألباب ؛ فإن عامة النصوص فيما سمع من ادعيتهم في أدبار الصلوات
إنما كان دعاء لنفسه ؛ وهذا الكلام يقول فيه : إنه لم يكن ليخصص نفسه
بالدعاء دون الجماعة ؛ وهذا تناقض . ومن الله نسأل التوفيق .

(١) لفظ محل منصوب خبر ليس ، أي وليس هذا محل النزاع

وانما حمل الناس الحديث على دعاء الامام في نفس الصلاة من السجود وغيره ، لا فيما حمله عليه هذا المتأول . ولما لم يصح العمل بذلك الحديث عند مالك اجاز للامام ان يخص نفسه بالدعاء دون المؤمنين . ذكره في النوادر . ولما اعترضه نقل العلماء وكلام السلف مما تقدم ذكره ، أخذ يتأول ويوجه كلامهم على طريقته المرتكبة ^(١) ووقع له في كلام على غير تأمل لا يسلم ظاهره من التناقض والتدافع لوضوح أمره ، وكذلك في تأويل الاجاديت التي نقلها ، لكن تركت هنا استيفاء الكلام عليها لطوله ، وقد ذكرته في غير هذا الموضع والحمد لله على ذلك

فصل

(بحث جليل في كون المشتبهات تدخل في البدع الإضافية) *

من كتاب الاعتصام للامام الشاطبي ، قال رحمه الله تعالى :

ويمكن ان يدخل في البدعة الإضافية كل عمل اشتبه أمره فلم يتبين أهو بدعة فينهى عنه ؛ أم غير بدعة فيعمل به ؛ فانا اذا اعتبرناه بالاحكام الشرعية وجدناه من المشتبهات التي قد ندبنا الى تركها حذرا من الوقوع في المحذور ؛ والمحذور هنا هو العمل بالبدعة ؛ فاذا العامل به لا يقطع انه عمل ببدعة ، كما انه لا يقطع انه عمل بسنة ؛ فصار من جهة هذا التردد غير عامل ببدعة حقيقية ، ولا يقال أيضا : انه خارج عن العمل بها جملة . وبيان ذلك ان النهي الوارد في المشتبهات انما هو حماية ان يقع في ذلك المنوع الواقع فيه الاشتباه ؛ فاذا اختلطت الميتة بالذكية نهيناه عن الاقدام ، فان أقدم امكن عندنا ان يكون آكلا للميتة في الاشتباه ؛

(المنار-ج ١٧م ١٧) تعارض الادلة على المجتهد كتعارض الاقوال على المقاد ٥٢٧

قالنهي الاخف اذا منصرف نحو الميتة في الاشتباه ، كما انصرف اليها النهي الأشد في التحقق .

وكذلك اختلاط الرضعة بالاجنبية : النهي في الاشتباه منصرف الى الرضعة كما انصرف اليها في التحقق ، وكذلك سائر المشتبهات انما ينصرف نهي الاقدام على المشتبه الى خصوص الممنوع المشتبه ، فاذا الفعل الدائر بين كونه سنة أو بدعة اذا نهي عنه في باب الاشتباه نهي عن البدعة في الجملة ، فمن أقدم على منهي عنه في باب البدعة لأنه محتمل ان يكون بدعة في نفس الأمر ، فصار من هذا الوجه كالعامل بالبدعة المنهي عنها . — وقد مر أن البدعة الاضافية هي الواقعة ذات وجهين — فلذلك قيل : ان هذا القسم من قبيل البدع الاضافية . ولهذا النوع أمثلة .

(أحدها) اذا تعارضت الادلة على المجتهد في ان العمل الفلاني مشروع يعتمد به ، أو غير مشروع فلا يعتمد به ، ولم يتبين له جمع بين الدليلين ، أو إسقاط احدهما بنسخ أو ترجيح أو غيرهما — فقد ثبت في الاصول ان فرضه التوقف ، فلو عمل بمقتضى دليل التشريع من غير مرجح لكان عاملا بمتشابه ، لإمكان صحة الدليل بعدم المشروعية ، فالصواب الوقوف عن الحكم رأسا ، وهو الفرض في حقه .

(والثاني) اذا تعارضت الاقوال على المقلد في المسئلة بعينها ، فقال بعض العلماء بكون العمل بدعة . وقال بعضهم : ليس بدعة . ولم يتبين له الأرجح من العالمين بأعلمية أو غيرها ، فحقه الوقوف والسؤال عنها حتى يتبين له الأرجح فيميل الى تقليده دون الاخر ، فان أقدم على تقليد احدهما من غير مرجح كان حكمه حكم المجتهد اذا أقدم على العمل باحد

الدليلين من غير ترجيح ، فالمثالان في المعنى واحد .

(والثالث) انه ثبت في الصحيح عن الصحابة رضي الله عنهم انهم يتبركون^(١) بأشياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ففي البخاري عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة فأتي بوضوء فتوضأ ، فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه فيتمسحون به ، الحديث . وفيه : كان اذا توضأ يقتلون على وضوئه . وعن المسور رضي الله عنه في حديث الحديبية « وما انتخم النبي صلى الله عليه وسلم بخامة الا وضعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده » وخرج غيره من ذلك كثيرا في التبرك بشعره وثوبه وغيرها ؛ حتى انه مس بأصبعه احدهم بيده فلم يحلق ذلك الشعر الذي مسه عليه السلام حتى مات وبالغ بمضهم في ذلك حتى شرب دم حجامته ؛ - الى اشياء لهذا^(٢) كثيرة . فالظاهر في مثل هذا النوع ان يكون مشروعاً في حق من ثبتت ولايته واتباعه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان يتبرك بفضله وضوئه ، ويتدلك بخامته ، ويستشفى بآثاره كلها ، ويرجي نحو مما كان في آثار المتبوع الاصل^(٣) صلى الله عليه وسلم^(٤) .

إلا أنه عارضنا في ذلك أصل مقطوع به في متنه ، مشكل في تنزيله ؛ وهو أن الصحابة رضي الله عنهم بعد موته عليه السلام لم يقع من احد منهم شيء من ذلك بالنسبة الى من خلفه ، اذ لم يترك النبي صلى الله عليه وسلم بعده في الامة أفضل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه ؛ فهو كان

(١) لعل الاصل : كانوا يتبركون (٢) لعله : كهذا (٣) يظهر ان هذه الجملة محرفة

(٤) قد استفاض انه (ص) كان ينهى عن القلو في تعظيمه

خليفته ، ولم يفعل به شيء من ذلك ، ولا عمر رضي الله عنهما ، وهو كان أفضل الأمة بعده ، ثم كذلك عثمان ثم علي ، ثم سائر الصحابة الذين لا احد أفضل منهم في الامة ، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف ان متبركا تبرك به على احد تلك الوجوه أو نحوها ؛ بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالافعال والاقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فهو اذاً إجماع منهم على ترك تلك الاشياء .
ويبقى النظر في وجه ترك ما تركوا منه ، ويحتمل وجهين :

(احدهما) ان يعتقدوا فيه الاختصاص وان مرتبة النبوة يسمع فيها ذلك كله ، للقطع بوجود ما التمسوا من البركة والخير ؛ لانه عليه السلام كان نورا كله في ظاهره وباطنه ، فمن التمس منه نورا وجدده على أي جهة التمس ؛ بخلاف غيره من الامة - وان حصل له من نور الاقتداء به والاهتداء بهديه ما شاء الله - لا يبلغ مبلغه على حال توازيه في مرتبته ، ولا تقاربه ؛ فصار هذا النوع مختصا به كاختصاصه بنكاح ما زاد على الاربع ، واحلال بضعة الواهبة نفسها له ، وعدم وجوب القسم على الزوجات^(١) وشبه ذلك ؛ فعلى هذا المأخذ : لا يصح لمن بعده الاقتداء به في التبرك على احد تلك الوجوه ونحوها ؛ ومن اقتدى به كان اقتداؤه بدعة ، كما كان الاقتداء به في الزيادة على اربع نسوة بدعة .

(الثاني) ان لا يعتقدوا الاختصاص ولكنهم تركوا ذلك من باب الذرائع خوفا من ان يحمل ذلك سنة - كما تقدم ذكره في اتباع الآثار -

لعل اصله : وعدم وجوب القسم عليه للزوجات

والنهي عن ذلك ، أو لأن العامة لا تقتصر في ذلك على حد ، بل تتجاوز فيه الحدود ، وتبالغ بجهلها في التماس البركة ، حتى يداخلها للتبرك به تعظيم يخرج عن الحد ، فربما اعتقد في المتبرك به ما ليس فيه ، وهذا التبرك هو أصل العبادة ، ولا جله قطع عمر رضي الله عنه الشجرة التي بويع تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ بل هو كان أصل عبادة الأوثان في الأمم الخالية — حسبما ذكره أهل السير — تخاف عمر رضي الله عنه أن يتأذى الحال في الصلاة إلى تلك الشجرة حتى تبعد من دون الله ؛ فكذلك يتفق عند التوغل في التعظيم .

ولقد حكى الفرغاني مذيّل تاريخ الطبري عن الحلاج أن أصحابه بالغوا في التبرك به حتى كانوا يتمسحون ببوله ويتبخرون بعذرته ، حتى ادعوا فيه الآلهية . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

ولأن الولاية وإن ظهر لها في الظاهر آثار فقد يخفى أصرها ، لأنها في الحقيقة راجعة إلى أمر باطن لا يعلمه إلا الله ، فربما ادعيت الولاية لمن ليس بولي ، أو ادعاه هو لنفسه ، أو أظهر خارقة من خوارق العادات هي من باب الشموذة لا من باب الكرامة ، أو من باب ^(١) أو الخواص أو غير ذلك ؛ والجمهور لا يعرف الفرق بين الكرامة والسحر ، فيمظنون من ليس بمعظم ، ويقتدون بمن لا قدوة فيه . وهو الضلال البعيد . إلى غير ذلك من المفاسد . فتركوا العمل بما تقدم — وإن كان له أصل — لما يلزم عليه من الفساد في الدين

(١) يابض في الأصل ، ولعل الساقط لفظ « السحر » فإنه يذكره قريبا

وقد يظهر بأول وهلة ان هذا الوجه الثاني ارجح، لما ثبت في الاصول العلمية ان كل قرينة أعطيها النبي صلى الله عليه وسلم فإن لأئمة انموذجا منها، ما لم يدل دليل على الاختصاص.

الا ان الوجه الاول أيضاً راجح من جهة أخرى، وهو إطباقهم على عدم التبرك، اذ لو كان اعتقادهم التشريع لمعمل به بعضهم بعده، أو عملوا به ولو في بعض الاحوال، إما وقوفاً مع اصل المشروعية، وإما بناء على اعتقاد انتفاء العلة الموجبة للامتناع.

وقد خرج ابن وهب في جماعة من حديث يونس بن يزيد عن ابن شهاب، قال: حدثني رجل من الانصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا توضأ أو تنخم ابتدر من حوله من المسلمين وضوءه ونخامته فشريوه ومسحوا به جلودهم، فلما رأهم يصنعون ذلك سألهم «لم تفعلون هذا؟ قالوا: نلتمس الطهور والبركة بذلك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كان منكم يحب ان يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث، وليؤد الأمانة ولا يؤذ جاره» فان صح هذا النقل فهو مشعر بان الاولى تركه^(١) وان يتجرى ما هو الآكد والاخرى من وظائف التكليف؛

(١) قد يقال: ان هذا يدل على الانكار وكراهة النبي (ص) لهذا الفعل، ويؤيده ما ثبت من مجموع سيرته من كراهة الغلو فيه واطرائه، وحببه للتواضع ومساواة الناس بنفسه في المعاملات كلها: الا ما خصه الله به، حتى انه طلب ان يقتصر منه من اعله آذاه - وهو القائد والمربي الذي جعله الله اولى بالمؤمنين من انفسهم - ولم يعرف من الاحوال التي تبركوا فيها بفضله وضوئه وبيصاقه الا يوم الحديبية. وظهر له يومئذ حكمة، فان مندوب المشركين في صلح الحديبية لما حدثهم بما رأى من ذلك هابوا النبي (ص) وخافوا قتال المسلمين فاعل المسلمين قصدوا هذا لهذا

ولا يلزم الانسان في خاصة نفسه ؛ ولم يثبت من ذلك كله الا ما كان من قبيل الرقية وما يتبعها ، أو دعاء الرجل لغيره على وجه سيأتي بحول الله .
فقد صارت المسئلة من اصلها دائرة بين أمرين : ان تكون مشروعة ،
فدخلت تحت حكم التشابه والله أعلم .^(١)

فصل

ومن البدع الإضافية التي تقرب من الحقيقة ان يكون أصل العبادة مشروعا إلا انها تخرج عن أصل شرعيتها بغير دليل ، توهمًا انها باقية على أصلها تحت مقتضى الدليل ؛ وذلك بأن يقيد إطلاقها بالرأي ، أو يطلق تقييدها ، وبالجملة فتخرج عن حدها الذي حد لها .

ومثال ذلك ان يقال : ان الصوم في الجملة مندوب اليه لم يخصه الشارع بوقت دون وقت ، ولا حذفيه زمانًا دون زمان ، ما عدا ما نهى عن صيامه على الخصوص كالعيدين ، وندب اليه على الخصوص كمرفة وعاشوراء بقول ؛ فاذا خص منه يومًا من الجمعة بعينه ، أو أيامًا من الشهر بأعيانها - لا من جهة ما عينه الشارع - فانت ذلك ظاهر بأنه من جهة اختيار المكلف ، كيوم الاربعاء مثلاً في الجمعة ، والسابع والثامن في الشهر ، وما أشبه ذلك ؛ بحيث لا يقصد بذلك وجهًا بعينه مما لا ينشئ عنه . فاذا قيل له : لم خصصت تلك الايام دون غيرها ؛ لم يكن له بذلك حجة غير التصميم ، أو يقول : ان الشيخ الفلاني مات فيه أو ما أشبه ذلك ؛ فلا شك انه رأي محض بغير دليل ، ضاهى به تخصيص الشارع أيامًا بأعيانها

(١) ينظر أين الامر الثاني ؟ ولعل الساقط « أو تكون غير مشروعة »

دون غيرها . فصار التخصيص من المكلف بدعة ، إذ هي تشريع بغير مستند

ومن ذلك تخصيص الايام الفاضلة بأنواع من العبادات التي لم تشرع لها تخصيصاً ، كتخصيص اليوم القلاني بكذا وكذا من الركعات ، أو بصدقة كذا وكذا ، أو الليلة القلانية بقيام كذا وكذا ركعة ، أو بمحتم القرآن فيها أو ما أشبه ذلك ^(١) فان ذلك التخصيص والعمل به اذا لم يكن بحكم الوفاق أو بقصد يقصد به شاه أهل العقل والفراخ والنشاط ، كان تشريعاً زائداً

لا حجة له في أن يقول : ان هذا الزمان ثبت فضله على غيره فيحسن فيه إيقاع العبادات . لا نأقول : هذا الحسن هل ثبت له أصل أم لا ؛ فان ثبت فمسألتنا ^(٢) كما ثبت الفضل في قيام ليالي رمضان وصيام ثلاثة أيام من كل شهر وصيام الاثنين والخميس فان لم يثبت فما مستندك فيه . والعقل لا يحسن ولا يقبح ، ولا شرع يستند اليه ؛ فلم يبق الا انه ابتداع في التخصيص ، كاحداث الخطب وتحري ختم القرآن في بعض ايام رمضان . اهـ

(١) ومنه صلاة الرغائب وصلاة ليلة النصف من شعبان ، ومنه تخصيص أيام معينة لزيارة القبور والصدقة عندها كاول جمعة من رجب . كل ذلك من البدع والتشريع الذي لم يأذن به الله . وقد يتصل بالبدعة الواحدة بدع ومما يصح أخرى توجب تركها - ولو لم تكن بدعة - لمد ذريعة هذه المفاسد (٢) أي فهو مسألتنا

الجنسيات في المملكة العثمانية

الجنس في عرف اهل السياسة كالمصنف في عرف علماء المنطق ، فيطلق على الأجيال التي تفصل بينها الفصول العامة (كالنسب واللغة) وهما اقدم روابط الجنسية ؛ ويليهما الدين والوطن الأرضي والسياسي . ولم يوجد دين من الأديان ألف بين شعوب وقبائل مختلفة في جميع روابط الجنسية وجعلها أمة واحدة وجنسا واحدا الا الدين الاسلامي وقد يئنا هذا مرارا فلا نعيده الآن . ولما كان اتحاد الأمة لا يتم الا بوحدة لغتها كان من مقاصد الاسلام جعل لغة القرآن لغة لجميع المسلمين ، وعلى هذا جرى المسلمون في خير القرون بالعمل ، فصارت العربية لغة المسلمين في المشرق والمغرب من القرن الأول . وقد زال من نفوس المسلمين الشعور بالفيرية الجنسية زمنا طويلا ، حتى أحياء الفرس والترك كما يئنا من قبل .

ان المصيبة الجنسية في هذا العصر قد دخلت في طور سياسي جديد ، وكان العرب آخر الأجناس شعورا بها ، لأن سوادهم الأعظم مسلمون لا يكادون يشعرون بغير الجنسية الدينية . ولكن الاستانة بسياسة حكومتها وادارتها بعد الدستور وسياسة جرائدها قد كونت هذا الشعور وجعلته حيا ناميا ، فصدقت كلمتي المحفوظة : « ان العرب يعجزون بأنفسهم ، عن تكوين جنسية عربية سياسية لهم ، ولا يقدر على ذلك الا الآستانة وحدها » ولما رأينا بوادر هذا الأمر وكنا نعلم ان التحولات الاجتماعية السريعة تكون دائما محفوفة بالاعطال - سعينا لتدارك الخطر في الآستانة نفسها ، ومقالاتنا الست التي نشرناها هنالك تحت عنوان (العرب والترك) لا تزال محفوظة تشهد لنا بأننا سعينا الى الوحدة بين العنصرين جد السعي ، وئنا من الحجب على ذلك ما لم يبينه أحد ، ولكن ذلك كله لم يند ، ولماذا ؟

ان من المقاصد الأساسية لجمعية الاتحاد والترقي احياء الجنسية التركية وتقويتها لتوجد منها أمة تركية كأم أوربة في مدينتها ، ودولة تركية كدول أوربة في عزتها وحضارتها . وكانوا يظنون انهم يستطيعون بقوة النبوة أن يتركوا جميع الأجناس العثمانية في البلاد الخضرية القابلة للعمران ، ويجعلوا سائر البلاد مستعمرات ليس لها

من الحقوق ما لسائر العثمانيين ، ولهذا كانوا يجدون في تقوية الجنسية التركية ونشر اللغة التركية ، ويعاقبون من يقتدي بهم في ذلك من غير الترك أشد العقاب دار الفلك دورته ، فثبت للاتحاديين ضرر هذه التجربة - محاولة تترك شعوب المملكة - ، وكان من نتائجها المشؤومة الفتنة الالبانية ، فالحرب البلقانية العثمانية ، فرجعوا عن فكرة تعميم تريك الشعوب كلها الى الاكتفاء بتريك الضعيف منها ، اما بقلة العدد كاللاز والشركس ، واما بقلة العلم وعدم تدوين اللغة كالأكراد ، واما بالخضرة في اللغة كالعرب المتصلين بالترك بالقرب من الأناضول ، ثم بتقوية اللغة التركية في جميع البلاد العثمانية ، وجعل الارتقاء في الحكومة والعلوم والمدنية موقوفا عليها . وترتب على هذا ترك الضغط السابق على المستيقظين من الشعوب الكبيرة ، اذ كانت الجرائد تحاكم وتثقل اذا ذكرت اسم جنسها ، والاعتصام بجبل لغتها ، والتذكير بمجد سلفها ، حتى ان المجلس العسكري العرفي في بيروت حاكم مدير جريدة المفيد وعده مجرما وحكم بمنع صدور الجريدة بذنب غريب جدا في هذا الباب ، وهو كلمة (يا قوم) وردت في قصيدة ، نشرت في تلك الجريدة !! قرر رئيس المجلس واعضاؤه من الترك ان كلمة (يا قوم) معناها عنصر العرب ، فذكرها تقريظ بين العناصر العثمانية ، وهو من اعظم الجنايات !! . [كما مر] ذلك بأن الترك يستعملون كلمة « قوم » بمعنى الجنس والجيل من الناس الذي يعبرون عنه بالعنصر . ولم يلتفت المجلس لاحتجاج المتهم بأن القصيدة المنشورة في جريدته عربية ولفظ القوم في اللغة العربية معناه الجماعة من الناس ، كما هو منصوص في المعاجم ، قيل يشمل الرجال والنساء ، وقيل هو خاص بالرجال ... وان الشعراء يستعملونه الآن بمعنى (ياناس) كانت جمعية الاتحاد والترقي قد صرحت تصريحاً نشرت جريدها (طنين) بالرجوع عن فكرة « تريك العناصر » وكان ذلك مداراة لم يصدق العمل . ولكنها في العهد الأخير عقدت اتفاقاً مع (جمعية الشبيبة العربية) التي يمثلها (المتدي الادبي) في الاستانة ، واشهروا هذا الاتفاق بالاحتفالات والمآدب ، وجعلوه وسيلة وذريعة للاتفاق بين جمعية الاتحاد والترقي والمؤتمر العربي الذي انعقد في

باريس . وصار زعماء الجمعية من وزراء الحكومة يزورون المنتدى الأدبي ويحضرون بعض احتفالاته ، وتمثيل القصة العربية التي يمثلها أعضاؤه كل سنة ، وقد احتفل أعضاء المنتدى في هذا العام بذكرى المولد النبوي الشريف فحضر احتفالهم فيه طلعت بك ناظر الداخلية وجمال باشا ناظر البحرية (الآن) وخطب طلعت بك بالتركية باستمسك الترك بالعرب ، وانهم اذا فروا منهم يتبعونهم ويلتزمونهم ، فاهتزت لهذه الخطبة اسلاك البرق في العالم ، ووعد الزعيم الكبير في خطبته هذه بأن يخاطب في احتفال مولد العام القابل بالعربية . هذا بعد ان كانت أعضاء المنتدى الأدبي لا يسمون انفسهم جمعية خوفا من افعال الحكومة الاتحادية لناديهم ، ومحاكتهم على ذلك في المجلس العسكري العرفي . فأين هذا من تسقط هذا المجلس لبعض أعضاء المنتدى بتسميتهم جمعية ليعترف بعضهم بذلك فيحكم المجلس فيهم حكمه ؟ وقع هذا التسقط في تحقيق المجلس مع المتهمين في حادثة الاعتداء على صاحب جريدة (إقدام) التركية الشهيرة ، عقب نشر مقالة أهين بها العرب ، وكان المنتدى الأدبي لم يتجاوز السنة الأولى من عمره .

علم من هذا ان السياسة الجديدة التي ظهر بها الاتحاديون في العاصمة هي ان العصبية الجنسية نافعة او ضرورية لترقي كل جنس ، وانه يمكن الجمع بينها وبين الوحدة العثمانية ، ولا سيما الوحدة بين العرب والترك من العثمانيين . وانه يجب على كل جنس ان يرقى نفسه من غير ان يضر غيره او يحول دون الوحدة العثمانية . وقد سر جمهور المتعلمين من العرب بهذه السياسة الجديدة ، وهم لا يشترطون لاعتقاد اخلاص الاتحاديين للعرب فيها الا اطلاق الحرية لجرائدهم وجماعاتهم وافرادهم كما اطلقوها للترك ، ومساواة الحكومة بينهما في التربية والتعليم والمساعدة على الاعمال . ولكن الترك في هذا الطور الجديد قد ألفوا عدة جمعيات تركية محضة ، وقاموا بعدة مشروعات تركية خالصة ، وألفوا عدة كتب ورسائل في النهضة التركية والرابطة الجنسية البحتة ، وصار شغل جرائدهم الشاغل وجوب انشاء أمة تركية محضة ودولة تركية محضة وكان كلام بعضهم في هذا ان الدولة تركية لا عثمانية ، وان العثمانية وهم من الاوهام . ولم يفعل العرب شيئا يذكر من ذلك . نعم ان بعضهم

يتكلم او يكتب في الجرائد كتابة تعد ضئيلة نحيلة اذا قيست بما يكتبه الترك . ولم أر لأحد منهم مصنفًا خاصًا في هذا الموضوع الا رسالة لأحد أدباء بيروت من آل الفاخوري . ونشر بعض الغلاة منشورات تهيبج وثورة وقالوا فيها ان لهم جمعية ، وانا لا اصدق ذلك

الجنسية والاسلام وحزب اللامركزية

بعد هذا كله قام من كتاب العرب كاتب من طائفة لها دين لا يتفق مع دين الاسلام في اصوله ولا فروعه (١) فكتب كتابا جعل نفسه فيه اشد اسلاما من جميع علماء الاسلام ، واشد عصبية تركية من غلاة الترك انفسهم ، واشد اتحادية من زعماء جمعية الاتحاد والترقي ووزرائها ، اذ قام يجاهد فيه الجنسية العربية وحدها ، ويجعلها هادمة الاسلام الذي يغار عليه بزعمه ما لا يغار عليه الذين افنوا اعمارهم في القيام به علما وعملا ودعوة ودفاعا . ويأصق تهمة هذه الجناية على الاسلام بحزب اللامركزية وحده . على ان حزب اللامركزية عثماني محض ليس في برنامجه ولا في بياناته كلمة واحدة تدعو الى الجنسية العربية ، او تنفر من الجنسية التركية ، وانما هو يدعو جميع العثمانيين الى مطالبة الحكومة بالادارة اللامركزية ، بالطرق المشروعة القانونية ، نعم ان فكرته قد انتشرت في العرب لأن المؤسسين له من العرب ، ولم يقدروا على نشر دعوتهم في غير الشعب العربي . وذلك الكاتب المنحي عليهم يقول : ان دعوتهم لم يحفل بها احد يذكر ، ولم يستجب لها الا عدد لا يقدم ولا يؤخر . فلماذا عني اذا تأليف كتاب خاص في التشنيع عليهم ؟

ما رأيت مثالا لإطالة هذا الكاتب القبح في حزب اللامركزية - بدعوى الجناية على الاسلام بتقوية الجنسية العربية وجعلها هي واللامركزية التي تراد لاجلها اسرع ما يمحوا الاسلام ويوقع المملكة في ايدي الاجانب

(١) دين هذه الطائفة سري ومن المعروف عنهم جواز مشايعة غير اهل دينهم على سبيل التقية . ولهذا صرح بعض الفقهاء بعدم الاعتداد باظهار احد منهم للاسلام . واما انا فأرى صحة اسلام من تدل القرائن على صدقه ، كن يصرح على مسمع من اهل ملته بالخروج منهم وبتخبطتهم في دينهم مع التزام الاسلام بالعمل .

ما اطلال به كاتب امريكاني في التشجيع على جمعية ابطال المسكرات في امريكة . ذلك بان هذه الجمعية سلكت اخيرا السبيل القانوني الموصل الى غرضها الشريف ، وهو السعي لانتخاب اعضائها ومشايعها لمجلس النواب . وقد فازوا في بعض الولايات فوزا عظيما ، فانبرى لمحاربتهم تجار المسكرات ، الذين يرجحون منها الملايين من الريالات ، وكان اغرب حربهم القلمية ، مقالات لأحد الكتاب عنوانها (الحرية الشخصية) ماترك هذا الكاتب شيئا اهتدى اليه باطلاعه وذكائه في مدح الحرية الشخصية الا وقاله ، وجعل ابطال المسكرات مزيلا له ، كأنه الذي يهدم الحكومات الدستورية ، ويوقع العالم في الفوضى والهمجية !! فكثير من كلامه حق أريد به باطل ، ومنه ما هو باطل أريد به باطل ، وهكذا فعل كاتبنا العربي . ونقول في كل منها : انه يمكن تفنيد مقالاته ، ودحض شبهاته ، بمقالات اصح منها دليلا ، واقوم قبيلا ، واوسع تفصيلا . ولكن الرد على ما يكتب اتباعا للهوى ، وارتياذا للمناصب إضاعة للوقت ، وسبب للتفادي في الباطل واللغو .

قد يظن هذا الكاتب ويظن من تقرب اليهم بما كتب ، ممن لا يحبون ان تقوم للعرب قائمة ، ولا تستيقظ لهم عين نائمة ، ان مثل هذه الكتابة تقنع السواد الاعظم من مسلمي العرب بأن لا يجيبوا دعوة لمن يدعونهم الى احياء لقمتهم ، والى قيامهم بعمران بلادهم ، والاستئثار بخيراتهما دون الصهيونيين والاجانب ، الذين تقذفهم بهم الحكومة المركزية من كل جانب ، بما تعطيه من امتياز ، وما تمكن لهم من امتلاك البلاد ، وان ينبذوا هؤلاء الدعاة الى الاصلاح نبذ النوى ، اعتقادا بصدق ذلك الكاتب في زعمه أن هذا يبيت الاسلام ويزيل هداية السنة والقرآن ! وان هذا هو الذي يرمي اليه زعماء اللامركزية ، بدعوتهم الى احياء الجنسية العربية . وسيعلم الظانون كذب ظنهم ، وان هذه الكتابة لا تخدع عامة العرب فضلا عن خاصتهم ، بل تكون سببا لقوة نهضة العرب ، واساءة الظن بمصادر هذه الخدع .

كنا عزمنا على ترك الكتابة في هذه المسائل ، ثم بدا لنا بعد هذه الخلابة والخدعة ، ان نبين للامة والتاريخ لباب الحقيقة ، وان ننشر نموذجا من كلام دعاة الجنسيين التركية والعربية . لأجل المقارنة بينهما ، وليعرف اعتدال حزب اللامركزية

بين غلاتهما ، ومنه يظهر ان تخصيصه باللوم والتعنيف ، ليس نصرا للدين الحنيف ، اذ الدين لا يحيا الا بحياة لفته ، وارتقاء أمته ، واننا نبدأ بنموذج من كتاب (قوم جديد) لأنه جاء الدعوة الى الجنسية التركية من طريق الدين ، بما فيه اكبر عبرة للمعتبرين ، من التحريف والتبديل ، والتحريم والتحليل والتكفير بمحض الرأي والهوى ، وجعل الدين كله كالمحصور في بذل المال والنفس لحكومة الاستانة الاتحادية

نموذج من كتاب (قوم جديد)

(مترجم عن النسخة التركية المطبوعة في الاستانة)

جاء في الصفحة ١٤ من هذا الكتاب :

يجب تعطيل المساجد والتكايا الموجودة في الاستانة ماعدا الجوامع التي بناها السلاطين . وتخصيص نفقاتها الى الشؤون الحربية والعسكرية كما ورد في الآيات الكريمة والاعمال النبوية .

وفي الصفحة ١٥ :

ورد منذ مدة في احدى الجرائد السياسية انه من الضروري الاهتمام بتعميم تعلم اللغة العربية لفهم الامة على الاقل الخطب التي تلقى ايام الجمع في المساجد . وهذا الكلام يدل على البلاهة اذ بدلا من تعلم جميع الاتراك اللغة العربية تلقى الخطبة باللغة التركية ، وهل هناك امر اسهل من هذا ؟ لاسيا وان ترجمة الحديث والخطب والقرآن جائز في مذهب الامام الاعظم (١) . ان النبي لم يبعث الى العرب فقط لذلك أصبحت ترجمة القرآن الى اللغات الاخرى فرضا من الفروض (٢) (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)

نعم ان القرآن الذي نزل على سيدنا محمد المأمور بدعوة العالم جميعا الى الاسلام نزل باللغة العربية واسكن لا يستدل من هذا ان كل قوم دعوا الى الاسلام يكونون مضطرين الى تعلم اللغة العربية

وفي الصفحة ٢٥

وهنا اكرر ما قلته آتفاً من أن أكثر الناس يستغنى منهم الفقير المعدم والاعرج والاعور ومنهم المشايخ الذين يدعون انهم ورثة الانبياء والمدرسون والمفتون والقضاة (١) كذب الكتاب في هذه الدعوى (٢) جعل الكتاب الجاهل نفسه شارحا . وقد اتفق شيخ الاسلام في الاستانة بدم جواز ترجمة القرآن

مشايخ الطورق والدرأويش والتجار والصناع، والحاصل جميع الناس أصبحوا في حكم القرآن المجيد مرتدين ومن زمرة المنافقين ومن ثم وجب قتالهم، لأنهم تعمدوا ترك الجهاد بالمال والنفس الثابت بوجود آلاف من الآيات البينات (وأورد هنا اثنتين منها) الأولى (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين... الخ) والثانية (فرح المخلفون... الخ) قال: ويتوقف تجديد إيمان هؤلاء أولاً على الاشتراك بدنا بالحرب وثانياً على إعطاء نصف ما يمتلكونه إلى دار الخلافة الإسلامية إذا كانوا من أصحاب النفى والأموال ليتسنى لرجال الإسلام الانتقام من الكفار الفجار، ونزع البلاد التي انتزعوها من أيديهم، وإعادة ذكر كلمة «الله» في مساجدنا وجوامعنا، وإذا لم يفعلوا هكذا (أي إذا لم يدفعوا نصف ما يمتلكونه للدولة) فلا يقبل منهم تجديد الإيمان فيحشرون وهم مرتدون وكفرة، ويلحقون بأهل جهنم. وهذا لا بد منه ولو قرؤا في اليوم مئة ألف مرة «آمنت بالله...» ولو صلوا الليل والنهار ولو كانوا من الذين صلوا وراء النبي، ولو حجوا إلى بيت الله الحرام مئة ألف مرة، ولو كانوا بدرجة الإمام الأعظم من العلم أو بدرجة الفوت عبد القادر الكيلاني من القطبية.

وفي (ص ٢٧)

ان بعض المشايخ والحفاظ والحجاج في الاستانة وكثيرين ممن يتبعونهم وكلمهم من الذين يجرؤن على ارتكاب انواع المنكرات اشتغلوا بالكتب كالخبر التي تحمل التوراة فتركوا الجهاد، والبعض منهم فسروا الآيات والأحاديث حسب ما تقتضيه منافهم، وللحصول على غرض دنيوي. فلمنة الله على أمثال هؤلاء الحفاظ الذين يقرؤن القرآن بالدرهم وعلى المنافقين الذين تسلطوا بالاشتراك مع اعداء الدين على فرقة الاتحاد والترقي التي هي في الحقيقة الفرقة المحاربة والساعية لأتحاد الاسلام، والمجاهدة في سبيل تشييد قوى الاسلام، وبالنتيجة لعنة الله على الذين كانوا سبياً لدوس الملائين من المسلمين تحت اقدام اعداء الاسلام، وعلى اولئك الذين سلكوا طرق الفسائس والتفيل والتزوير لمنع الذين كانوا يريدون ان يجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله، لعنة الله عليهم وعلى آلم واقوالهم وعلى تأليفاتهم ومصنفاتهم وامتداداتهم أجمعين

وفي (ص ٣١) يفسر آية (فرح المخلفون بمقدمهم خلاف رسول الله) بما يأتي : ان الذين ثبتوا في الصوم والصلاة والحج اعرضوا اليوم عن الجهاد المفروض مالا وبدنا وأصبحوا خلاف رسول الله ف هؤلاء من المنافقين

ان البروغرام القديم البالي الفاسد يعرف به بقاء الدين بالصوم والصلاة والحج .
والحقيقة ليست كذلك بل هو حسب البروغرام الجديد بالجهاد مالا وبدناً . وهذا
ثابت ايضاً بهذه الآية : (وان ترضى عنك اليهود ولا النصارى ...) فيفهم من هذه
الآية صراحة ان المسلمين الموجودين تحت حماية ملوك النصارى ليسوا مسلمين بحق
لان ملوكهم النصارى راضون عنهم ويضعونهم في صف اممهم ، على ان الملل النصرانية
لا ترضى عنهم الا بعد ان يرددوا الى دينهم الباطل .
وفي (ص ٣٢)

اذا رضي الكافر بغضب الرحمن ، وكذلك اذا غضب الرحمن رضي الكافر .
يعني اذا رضي كافر تمام الرضا عن مسلم فهذا المسلم يكون على كل حال موضوع قهر
الرحمن وغضبه مثل المسلمين الساكنين في البلاد المسيحية . وبالعكس كل كافر يغضب
ويماذي مسلماً يكون موضوع رضا الرحمن ووجهه مثل خلفاء المسلمين من الأتراك .
وفي (ص ٣٣)

يفسر هذه الآية (وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) بما يأتي :
فيفهم من هذه الآية الجلية ان دين المسلمين الموجودين تحت النابذة أو الحماية
الروسية والانكليزية والفرنسية لا يتم ولا يعدون من المسلمين ماداموا لا يشتركون
في الجهاد المفروض وما داموا محرومين من اعانة الاستانة مالا وبدناً .
وفي (ص ٣٦)

ان من لا يشترك من رعايا الدولة الاسلامية العثمانية الثابتة خلافتها بالنص القاطع (١)
من العرب أو التار أو الألبان أو أبناء مكة واليمن ، والحاصل جميع الأقوام المختلفة
اذا لم يشتركوا مالا وبدناً وتقداً بالجهاد الذي هو أعظم العبادات في صفوف حضرات
عبد الرحيم وجمال ورضا وشكري وبكر وجاويد ورؤف وانور وعزت وطاعت وأمثالهم
من أبناء الترك الذين هم أولياء الله صلى الله تعالى عليهم وعلى آلهم وأصحابهم وقديس
الله أسرارهم ، يكونون في صف المرتدين عن الدين والمعتنقين طوعاً لدين الصليب
الباطل . ومن هذا القبيل الأرناؤود ، فانهم ارتدوا عن الاسلام - إما لاستعمالهم السلاح
ضد الجنود الاسلامية مشتركين مع الكفار الفجار في ذلك ، أو لإضاف قوة الجيش
الاسلامي بفراورهم من ساحات القتال ، فسيبوا بذلك آتزام الاسلام وأصبحوا من
الكفرة الفجرة ، ومن هذا القبيل أيضاً المصريون والهنود والبخاريون والتار

(١) مذهب اهل السنة ان خلافة الراشدين لم تثبت بالنص بل باجتهاد الصحابة

الروسيون وسكان قاص وتونس والجزائر وأهل الحجاز واليمن فانهم لم يمدوا الخلافة الإسلامية بالنقد ، ولم يكتف قسم من النشئين الاثراك بذلك بل انهم اتفقوا مع قوزميدي ويوشو والبطركخانة الرومية واعانوا دين الصليب ، واعلنوا المصيان سماً وطوعاً على الاسلام ، واقاموا الدنيا على أهل الايمان .

وفي (ص ٣٩)

ان القوم الصديق (أي القدماء الذين لا يتبعون كتابه هذا) يتركون الاوامر الالهية الاصلية التي تعد بالآلوف ويحسبون بالصوم والصلاة والحج والزكاة وكلمة الشهادة فقط ، ويخذون كتب البركوي والحلي والشافعي والسكنز ومنية المصلي والمالكي والحنبلي دستور العمل في أعمالهم وحركاتهم ، مع ان هذه الكتب مملوءة بالثفاق والشفاق والمنافرة (كذا) والاختلافات الكثيرة ، فالعمل بما فيها غير جائز

وفي (ص ٥٢)

أما القوم الجديد (ويريد بهم من مدحهم في كتابه من الترك الاتحاديين ومن يسير على طريقهم وطريقه) فانهم لا يبالون بمثل هذه الخرافات القديمة بل انهم استخرجوا من الاحكام القرآنية والحديثية الاركان الدينية الآتية : (١)

١ - العقل

٢ - كلمة الشهادة

٣ - الاخلاق الحسنة

٤ - الجهاد مالا وبدناً والحرب .

٥ - السعي لاعداد لوازم الحرب بالاتحاد والاتفاق تحت راية الخلافة العظيمة

النشائية .

وفي (ص ٥٦ - ٥٧)

يجب ان تقرأ الخطب أيام الجمع والاعياد باللغة التركية ثم تقرر خطبة كل جمعة بتلقين من الحكومة تتضمن الاحوال السياسية . ويجب أيضاً ان تفضل الامور السياسية في بعض الاحوال على الامور الشرعية حتى ولو لم تكن منطبقة على الاحكام الشرعية !! فتعطل مؤقتاً الامور الشرعية . ويوجد جواز شرعي للعمل هكذا بدليل وضع النبي توقيعه على عهدة الصلح في رقعة الحديدية مجرداً من القاب ونعوت النبوة حسب طلب

(١) اي ليس في دين (القوم الجديد) صلاة ولا صيام ولا زكاة ولا حج فهم لا يمتثلون الى المسلمين لاكل اموالهم ومشاركتهم في حقوقهم الا بعدم انكار الشهادات . وعلى هذا كثير من ملاحدة مصر ومناقضيه كما قال المؤلف

كفار قريش ، وكما تقتضيه الاحوال وبوجبه الزمان . وكذلك الآيات النسخة والمنسوخة هي من مقتضيات السياسة .

وفي (ص ٦٠)

وعليه فان الهنود الذين هم تحت حماية النصارى من الانكليز لو كانوا من اصحاب الاخلاق الحسنة فانهم لاريب محرومون من العقل ولو كانوا عقلاء لما رضوا بالذلة تحت حكم دولة ظالمة شريرة تسلك دين الصليب

(وفي ص ٦٣)

وبهذه الصورة سيخرج المسلمون المحكومون بالنصارى من دينهم بالتدريج ويندفعون بدين حكامهم . وسبب ذلك عدم ارتباط هؤلاء المسلمين مالا وبدنا بالخلافة الاسلامية

(وفي ص ٧٠ - ٧١)

كثير من المسلمين حتى من علمائهم ومشايخهم اثبتوا في الحرب البلقانية الحاضرة انهم اوردوا عن دينهم لانهم ائتملوا { عبر بلفظ الائتلاف في الاصل } مع البطريركخانه لاجل الدراهم والمنافع ، ومن هذا القليل أيضاً الضباط والجنود والمعممون الذين فروا من ساحات القتال ، فهؤلاء ليسوا مسلمين بل هم منافقون ومرتبون عن دينهم . أما المسلمون الحقيقيون فهم الذين حاربوا في حرب طرابلس الغرب وحرب البلقان تحت امرة انور ورضا واسعد وجاويد ورؤف صلى الله تعالى عليهم ، وبقية رجال جمعية الاتحاد والترقي المقدسة ، الذين لم يولوا ظهورهم الى العدو بل داوموا في جهادهم في سبيل الله ، فهؤلاء هم المسلمون الحقيقيون . وقد كان عدد الذين ينتمون الى جمعية الاتحاد والترقي في هذه الحرب لا يتجاوز مئة الف . اما الباقون فانهم كانوا من المرتدين المنتسبين الى الائتلاف (أي حزب الائتلاف) والبطريركخانات .

وفي ص ٧٦

يفسر آية (انما انا بشر مثلكم) - الحرب ينشأ وينشأ سجال ينالون منا وتال منهم - أفئن مات ٠٠٠٠ الخ فيقول : انا بشر مثلكم فلا تستبعدوا موتي ، ان الانتصار في الحرب يتوقف على التجهيزات العسكرية ٠٠٠٠

وفي ص ٨٩

ما هذا الجهل ؟ وما هذه الغفلة التي استولت عليكم ايها الناس ؟ تعلقون اسماء

٥٤٤ دعوة الترك الى رفع ساستهم على أئمة الدين من العرب (المنار - ج ٧ ص ١٧)

خلفاء العرب على جدران جوامعكم (١) وتتركون اسماء خلفاء الترك الذين قدسهم الاحاديث النبوية ولا تكتفون بذلك بل ينزل الخطيب قدمه واحدة عند ما يذكر اسماء الخلفاء الترك تنزيلاً مقامهم وتنزيلاً ثم يزيدون ركعتين يوم الجمعة باسم « آخر ظهر » فكل هذا مبتدع ومحدث للحط بشأنكم سياسة .

انكم ايها الاثراك قوم مقدسون ومبجلون ومع ذلك تهقدسون عبد القادر الكيلاني والشيخ البدوي والشيخ الفلاني وتدعون ان الله وملائكته حتى الموكلين منهم بهذاب القبر منكر ونكير يتكلمون باللغة العربية وتهملون دائماً « أوله شام وآخره شام » وتسمون دائماً لتفيل ابناء الترك بأنه سيخرج من العرب مهدي . والحاصل تشتغلون منذ سبعمائة سنة بشمل هذه الحرافات ، تفقدون العالم وتحتقرون بذلك ابناء السماوية النجباء الذين ما فتشوا يجاهدون في سبيل الله للدفاع عن الاسلام ويدفعون عنه تعرض الكفار الفجار له ، فكل ما ذكرته موضوع بصورة خصوصية ومقصود بالذات لتحقيركم والحط من منزلتكم

أما سمعتم الآية (والعاديات ضحايا) فان الله قدس هذه الآية الحيوش التركية فجيل هذه الجيوش هي اشرف واقدس اضافة مضاعفة من شرافة وقداصة رؤساء واشراف الشعوب الاخرى الذين قدسواهم وتحرمونهم . (٢)

(المنار) هذا نموذج من كتاب (قوم جديد) الذي صنف لاقناع الترك بما يجب ان يكونوا عليه في هذا العصر . ولا شك في كون جميع علماء الدين من الترك كثيرهم يشكرون هذه الضلالات المودعة في هذا الكتاب ويعلمون ان هذه الجراءة على تحريف القرآن واتخاذ الاسلام هزواً ولعباً ، وهدم اركانه ، وتكفير اهله ، والكذب على الله ، ورسوله ، المراد به تقوية الجنسية التركية - كله كفر وضلال . ولكن الملاحدة الذين ليس لهم من الاسلام الا اللقب الرسمي او الجغرافي يرضون بهذا وينشون به جهالة الطامة من الترك فما للمنكر على حزب الامر كزية تقوية الجنسية العربية باسم الاسلام ، لا يؤلف كتاباً في الرد على هؤلاء الزلاة المحرفين للقرآن . الهادمين للاسلام؟؟

(١) جرت عادة اخواننا الترك بأن يعلقوا في قباب مساجدهم الواحاً فيها اسماء الخلفاء الاربعة (رض) وسبطى الرسول (ص) (٢) اي كالحلفاء الراشدين وأئمة آل البيت الطاهرين عند العرب

* نمودج من إنشاء طلبة دار الدعوة والارشاد *

اقترحنا الموضوع الآتي على طلبة السنة الأولى لاختبار انشائهم وآرائهم في هذه المسألة ، فاخترنا أن نشر ما كتبه بعضهم كما كتبوه مع تصحيح بعض القلط في الهامش ، وهو :

آداب الاسلام في معاشره المخالفين ومعاملتهم

انشاء الطالب يس ابراهيم

لم ير التاريخ من لدن آدم الى ظهور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كالا سلام في معاملته وعدله ، ولم ينقل الينا أثر يدل على أن الاسلام عامل مخالفه بالقسوة ؛ بل تواترت الآثار والشواهد الدالة على عدله ، وأنه ماجاء الاهداية البشرى فيه صلاحهم في الحال وصلاحهم في المال ، وأنه رحمة للناس كافة (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وإن اهم ما يستشرف منه على عدل الاسلام في معاشره مخالفه النظر في نصوص الدين ، فانه الميزان الذي يبين العدل من الجور ويفصل بين الضغط والحرية ؛ تأمل تر أن الاسلام قد بلغ حدا من القوة لا يقاومه صاد ، ولا يحركه مزحزح ، ومع ذلك ينادي الاسلام (لا اكراه في الدين)

فلو ان الاسلام فيه شائبة من ظلم لجل الناس على الدخول فيه كرها أيام استكمال القوة في عزه وشبابه ، كما يفعل اهل الأديان الأخرى في العصر الحاضر والقرون الخالية ، على ان السابقين معذورون ، فانهم ما وصلوا الى درجة من العلم والحضارة تحملهم على الالتجاء الى العدل ، بخلاف اهل هذا الجيل فلا عذر لهم مع صياحهم بصوت العدل ، ولا يخفى على احد ما يفعلونه بالناس من حملهم على دينهم وسلب اموالهم وجعلهم خدما وعبيدا ، إما بالظلم البين ، او الجور المستتر ؛ وهو ما يسميه الاستاذ بالسياسة اللينة . فوريك أما نشر الآن بأن الاسلام دين الرحمة والمدالة في القرون المظلمة خير من جميع الأديان وقوانين السياسة في عصر العلم والحضارة ؟

ان الاسلام لم يضغط على معاشريه ، ولم يحملهم على المعاملة بأحكامه ، بل جعل

لم الحرية التامة في وضع احكامهم، وجعل عقوبة لمن يتعرض لهم بالأذى من المسلمين، هكذا كان الاسلام في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وايام الخلفاء بعده. وما يروى أن يهوديا جاء الى سيدنا عمر بن الخطاب شاكيا سيدنا عليا رضي الله عنهما من اجل دين ادعاه عليه ولما كان الخليفة يحكم بينهما رأى ان امير^(١) جالسا قال « قم فساو خصمك » فيا لله ما هذا العدل والانصاف بين يهودي ومسلم لدى امير المسلمين؟ ما نشأ هذا العدل الا من نور الاسلام وساحته. ولا يتوهمن أحد ان القتال الذي وقع بين المسلمين ومعاشرهم ومن ساعدهم ينافي العدل ما دام يعلم ان الذنب على المعتدي، وان البادي اظلم، فعلوم ان المسلمين ما آذوا أحدا ولم يكن غرضهم الا ائصال هذا النور الى القلوب، وكل ما وقع منهم انما هو دفاع عن انفسهم بأمر من الله تعالى بعد التعدي عليهم (فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين، فان انتهوا فان الله غفور رحيم)

وان الاسلام لم يته معتقيه عن موالاته من خالفهم، ولم يمنعهم من مواساتهم الا اذا كانوا يقتلونهم ويعادونهم، والقرآن اعظم دليل على ذلك (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبوهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الفاسقون) اترك بعد سماع هذه الآيات تشعر بان الاسلام ليس دين العدل والرحمة اذا ازلت عن بصرك عشاء العصبية؟

فلو نظرت نظرة الانصاف ما وسعت الا التسليم بان آداب الاسلام في معاشره المخالفين احسن الآداب، وكما عفا صلى الله عليه وسلم عن مذنب واحد الى مسيء؟ وان التاريخ يدلنا على انه كان يتحمل أذى الاعداء، ودائما يتبع أثر السلم ولو بالحكم الشاق، ألا تراه مع كثرة تطلعه الى مكة، وشدة شوقه الى الكعبة، وحنينه الى حجر أبيه ابراهيم، كيف قبل ان يرجع، مع وفرة القوة وامكان الوصول، وقساوة الشروط، التي منها أنه اذا ارتد احد من شيعته يقبلونه، واذا اسلم أحد منهم

(١) هذا غلط والمراد انه رأى عليا كرم الله وجهه

لا يقبله - على ما يقول التاريخ - وقد ترك زيارة البيت في هذا العام ^(١) . هكذا كان الاسلام ولم ينزل في تسامحه وعدله بين أهليه ومعاشره .

ومن أدب الاسلام انه لم يسمح للمؤمنين أن يساعدوا الذين آمنوا ولم يهاجروا على من كان بينهم وبينهم ميثاق ^(٢) (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ، وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ، والله بما تعملون بصير)

ولعمري ما انتشر الاسلام على ما ترى الا بحسن آدابه وعدله في المعاملة . فان العدل يجمع القلوب . وبالأدب الحسنة تملك الازمة ، ولا رأي للقائلين بالضغط والغلبة . والقول الفصل في هذا قول الله تعالى (ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك) فان الله تعالى اعلم بقلوب عباده ، خير بما يوحدهم ويجمع كلمتهم ، وقد انزل القرآن وضمنه ما يكفل ذلك ان قام به اهله . ولو تصفحت القرآن آية آية لا تجدده يأمر بالغلبة على من التزم حده . وانما قل (ادفع بالتي هي احسن) وقل (فبما رحمة من الله لنت لهم) الخ

وقد اجمع عقلاء الاجتماع ^(٣) على ان الدين خير من الشدة مهما كانت القوة ، وانه ما أثر هذا التأثير رجل واحد الا باعطاء الحرية وانتشار العدل ومخاطبته العقول ، ويخيل لي بل ربما كان اقرب الى الحقيقة ان الذي يحتاج الى استئصال الشدة والقوة والغلبة هو من يدعو الى شيء باطل ، فان المقول بطبعها تنفر عنه . فان اخذ اصحاب الباطل وسائل القسوة والضغط ربما امكن ان يخضعوا بعض الناس في الظاهر زمانا ، ولا يلبث ان يحصل رد الفعل ويرجع الناس الى فطرتهم ، وان الاسلام ما جاء بشيء يناقض الفطرة فكان مقبولا بمجرد وصوله الى الآذان الصاغية . ولذلك قال الله تعالى (ان عليك الا البلاغ) فلو ان المسلمين قاهاوا بما اوجب الله عليهم وبلغوا هذا الدين الى الناس كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح وتدبره الناس لدخلوا في دين الله افواجا ما

(١) المنار : يشير الكاتب الى صلح الحديبية ولكنه قصر في البيان واختار الاختصار المخل (٢) أي من المشركين (٣) الظاهر انه كان يريد ان يقول « علماء الاجتماع » فسبق القلم

آداب الاسلام في معاشره المخالفين ومعاملتهم

انشاء الطاب محي الدين رضا

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك ربي ما احكمك ، واحكم شرعك ونبيك ، لقد صبيت الآداب والفضائل كلها في كتابك الحكيم ، واجريتها على لسان خاتم المرسلين ، فبأي لسان نحمدك ونمجدك ؟ وبأي عمل نشكرك على آلائك واحساناتك ؟ فشكرا لك من عبد ضعيف ، وصلاة وسلاما على نبيك الأمين .

الاسلام وما ادراك ما الاسلام ؟ الاسلام هو ذلك الدين الذي سوى بين الامير والحقير (بل لا حقير عنده) أما بلغك خبر الأمير العادل «عمر بن الخطاب» مع ذلك الأمير الفسائي جبلة بن الايهم الذي وطئ الاعرابي وصفه (١) على قفاه ؟ هل قبل منه عمر أن يجعل بينهما درجات متفاوتات ؟ كلا ! ثم كلا ! ولذلك فر الفسائي هاربا الى القسطنطينية ولا تسأل عما حل به من الندم بعد ذلك ، فشعره يشهد على ندمه العظيم هذا ما كان من عمر في قضية الأمير الفسائي والصعلوك العربي ، وانظر الى ما كان منه مع ابن عمرو بن العاص حينما ساط القبطي الذي سبقه (ولا تنس فضل ابيه الفاتح وانه كان صغير السن قد يهفو) فقد كتب الى ابيه : يا عمرو منذكم استعبدتم (٢) الناس وقد ولتكم أمهاتهم احرارا ؟

ما هذا بعدل انسان ، انما هو من هدى القرآن ، نعم هذا هو سبيل الاسلام وأمراته ، وليس بعجيب ان قلنا ان التاريخ لم ير أعذل منه . ولعلك تتذكر أن عليا (وهو صهر الرسول وابن عمه) تحاكم مع يهودي امام قاض مسلم (٣) فكناه القاضي ونادى الآخر يا يهودي ! ففضب علي من القاضي وقتل له : ما كان لك ان

(١) الصواب : وطئ الاعرابي ذيله فصفه الخ (٢) الرواية المشهورة « منذكم تعبدتم الناس » الخ وان عمر استقدم عمرًا مع ولده الى المدينة وأمر القبطي ان يضرب ابنه كما ضربه وقال له « اضرب ابن الاكرمين » اذ كان ابن عمرو لما ضرب القبطي يقول : انا ابن الاكرمين . (٣) انما تحاكم الى عمر بن الخطاب فخاطب عمر اليهودي باسمه ، لا بنسبته الى قومه

فعل هذا في موقف القضاء بل كان يجب أن تسميني وتسميه .
خير الأمور التسامح في محله وقد جرت الشريعة الإسلامية على هذه الفضيلة
وحشت عليها في مواضع شتى . وكم من موقف لأمرء الإسلام وعلمائه أسرع التاريخ
إليه فاقتنصه وحلى به جيده الماثل ، فالشريعة تنادي أهلها أن : خالقوا الناس
بخلق حسن . (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) « من غشنا فليس منا . »
(يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام
لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة، كذلك كنتم من قبل»
الآية . (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغى) . (واوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) .

ولو أردنا تتبع ما ورد في الشريعة من الآي والحكم الواردة بخصوص المخالفين
لنا فقط لما أمكننا في هذا الموقع ، غير أننا نعلم بالجملة من تاريخ السلف الصالح وما
اقتبسناه وأرشدنا إلى تدبره من قرآن وحديث ، أن الدين الإسلامي خير دين
قد أخرج للناس يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحترم المصالح العامة والخاصة،
ولا يأمر إلا بكل خير وصالح لمعتقيه والمستظلين برأيه البيضاء، حتى يجعل الجميع
في هناء ، يرفلون في حلل السعادة وطيب العيشة الراضية :

لا تظن أن الإسلام احتقر أهل الذمة واهتم حقوقهم . كلا ! بل هو مع ذلك
لم يرغهم على الدين به وهو خير دين (لا إكراه في الدين) فالدين قد جعل لهم
أحكاما ترضيهم ، فعند ذلك الفقهاء الأبواب والفصول ، وكلها مستمدة من الدين
القويم ، فقد جعلهم أحرارا ، وأي حرية أكبر من حرية ذلك اليهودي الذي أخذ
بتلايب النبي صلى الله عليه وسلم يجذبه إليه ويصيح به . فهم عمر باستلال السيف
فناداه النبي : دعه فإنه له حقا (١)

(١) الرواية أن اليهودي أراد اختبار خلق النبي (ص) فاشترى منه تمرا إلى
أجل واعطاءه الثمن وجاء يطالبه بالتمر قبل الأجل يومين ، فآخذ بجميعه
وردائه ونظر إليه بوجه غليظ وقال : ألا تقضي يا محمد حقي؟ فوالله أنكم يا بني عبد
المطلب مطل . فوبخه وهدده عمر فقال له النبي (ص) بهدوء « أما وهو كنا =

هذه الواقعة التي وقعت من أبي المسلمين محمد (ص) تعطينا درساً اجتماعياً كبيراً
الأهمية عظيم المنفعة ، وتعظم منزلة الدين في نفوسنا ، ولعلنا نقوم فدحا كي سلفنا
الصالح ونسير على نهجه اقويم فنمود أمة حية ، وليس بعجيب على التاريخ أن
يعيد نفسه ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لهذا بدون إثارة الغبار على من
خالفنا ، كما نسأله أن يهدي مخالفينا ويحطنا أمة صالحة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر

آداب الاسلام في معاشره المخالفين ومعاملتهم

إنشاء الطالب عبد الرحمن عاصم

اقتضت حكمة الله تعالى بأن يرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ،
بدين الفطرة السليمة والعقل الصحيح ، ليكون الناس أمة واحدة مجتمعهم جامعة الدين
على كلمة الإخلاص لله وحده ، والشهادة لنبية محمد (ص) بالرسالة ، فجاء صلى الله عليه
وسلم مبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، جاء كما قال (ص) ليتم مكارم
الخلق ، جاء بالآداب السامية والخلق الشريفة ، من بعد ما أعد الله تعالى لقبولها
نفوساً زكية وأرواحاً طاهرة ، فتقبلتها بقبول حسن ، وأثبتت أبنائاً حسناً ، فكان الناس
يدخلون في دين الله أفواجا ، لما يرون من السعادة في لباسها . وقد سمعت
عن كاتب فرنسي ترجم رواية عربية وكتب لها مقدمة قال فيها ما معناه : إن من
سوء حظ فرنسا أن صادمت العرب [ويريد المسلمين] ، ومنعتهم من استعمار بلادها ،
لأنها لو تركتهم يعمرون البلاد لسبقت فرنسا الأمم إلى المدنية والحضارة بسنين
عديدة ^(١) هذي شهادة رجل بعيد عن الآداب الإسلامية والفضل ما شهدت به
الاعداء ^(٢) يقول الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون

= اخرج الى غير هذا منك يا عمر : تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التناضي ،
أذهب به فأقضيه وزده عشرين صاعاً مكان ما رعبته » فأسلم اليهودي لذلك . رواه
الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي . (١) الصواب لسبقت الأمم الأوروبية بعدة
قرون . والرواية التي أشار إليها هي رواية العباسية أخت الرشيد لجرجي بك زيدان
(٢) إيراد هذا المثل شئنا حجة على الكاتب

عن المنكر) وبين طريقة الدعوة واسلوبها بقوله سبحانه (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) فبهذه الآية أمرنا الله تعالى بأن ندعو ونخاطب مخالفينا ومعايننا باللين واللفظ، ونحاجهم بالتي هي احسن، حتى نستميلهم الى الاسلام ليكون لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

والآثار التاريخية التي تدل على تسامح المسلمين مع مخالفيهم كثيرة منها أن يهوديا لقي النبي (ص) وطالبه بدين له ثم أمسك بثوبه وهزه ، وصفح عنه الرسول (ص) الصفح الجميل . ومن آداب الاسلام في معاملة المخالفين أن الرسول (ص) كان غاما في غزوة من غزواته نجا كثيرة وجاءه احد كبار المشركين وراها ترعى فأعجب بها فوجهه اياها الرسول (ص) فأسلم المشرك لما رأى من ساحة النبي (ص) وكرم اخلاقه . ومن آداب الاسلام في معايشة المخالفين أن ابن قاتح مصر كان يتسابق مع المتسابقين فسبقه قبلي فأخذته العزة فطمه، ووصل الخبر لصاحب العدل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الثاني، فكتب الى ابن العاص يعاتبه على هذا ويزجره قال (يا عمر ومتى استعبدتم الناس وقد وضعتم أمهاتهم احرارا)^(١) ومن ذلك ما يحكى عن جبلة بن الايهم أنه كان يطوف في البيت مسبلا إزاره ومر به فزاري فوطئ الأزار فسقط عن منكبي جبلة فطمه جبلة لطمه فشكا الفزاري جبلة لسيدنا عمر (رض) فأمر عمر بأخذ حق الفزاري من جبلة - وكان من كبار العرب - فقال جبلة يا عمر أتساوينا بهذا الرجل وأنا ابن الايهم؟ فقال عمر (رض) الاسلام قد ساوى بينكما . الخ

ومن آداب الاسلام التسوية في الحقوق بين الناس . ومن ذلك ما روي في رسالة سيدنا عمر بن الخطاب الى عبد الله بن قيس في القضاء^(٢) (سو بين الناس في عدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يئأس ضعيف من عدلك) هذا وان من ينظر في جميع الأديان التي عليها الناس فلا يجد دينا كالدين الاسلامي في آدابه في معايشة المخالفين ومعاملتهم . فقد روي عن نبي الرحمة محمد (ص) انه

(١) بينا الصواب من الرواية في هامش النبعة التي قبل هذه (٢) كتاب عمر في القضاء هذا كتبه الى ابي موسى الاشعري (رض)

قال في الذميين ما معناه (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) (١) وقد عرفنا التاريخ ذلك قاتهم بقوا في اوطانهم يقيمون شعائر دينهم آمنين على انفسهم متمتعين بالرفاهية والنعيم . كل ما اتيت به من حسن معاشرة المسلمين للمخالفين ومن المساهلة في معاملتهم انما هو اثر من آثار الدين الاسلامي الذي جاء به محمد (ص) نورا وهدى وحزكيا ، جاء الناس بسلام من عند ربه ليكونوا به آمنين ، جاء مسهلا لا معسرا ، مبشرا لا منفرا ، ليجمع الناس على صفاء واخلاص يحب الرجل لأخيه ما يحب لنفسه ، بل (ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة)

اذا تبين لنا ما جاء به الاسلام من حسن المعاشرة ، واللين في المعاملة ، فلا يضربنا قول جاحد : ولا يهنا صوت مفسد ، اذ ليس من كل الاصوات نجب الهية . بل تقول لأولئك المنكرين هذه الفضائل (لكم دينكم ولي دين) كيف طوّلوا الناس يقولون على دين الله ما لا يعلمون ، ويزعمون أن الاسلام شديد في معاملاته ، والله يقول (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء المنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)

آداب الاسلام في معاشرة المخالفين ومعاملتهم

انشاء الطالب عبد العزيز العتيقي

الدين الاسلامي دين الرحمة والعدل ، دين الحكمة والعقل ، دين الاحسان والفضل ، دين يأمر بالاحسان لجميع البشر ، دين يأمر بالرفقة بالحيوان فضلا عن الانسان ، يظهر ذلك في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله ، وما جرى عليه الخلفاء الراشدون وجميع السلف الصالح من بعده

أجل نظرة في سيرته الطاهرة تجدها حافلة بالمواعظ مشحونة بالوصايا بالحث على الاحسان لجميع الخلق كقوله (ص) « اخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله » وقوله « في كل ذي كبد حري صدقه » (٢) « ما هذه الرحمة والحنان ! ما هذه الشفقة

(١) الحديث ورد في المهاجرين ، واستعمل العلماء العبارة في حقوق الذميين

(٢) الحديث « في كل ذات كبد حري اجر »

والاحسان ! ما هذه الرأفة التي لم تقصر على بني البشر بل عمت كل من اتصف بالحياة .
الله اكبر ان دين محمد وكتابه أقوى واقوم قیلا
لاتذكر الكتب السماوية^(١) عنده طلع الصباح فأطفئ القنديلا
أدر بصرك في أفعاله (ص) نجد انه كان يقابل السيئة بالحسنة . اضرب لك
مثالا صغیرا تقيس عليه ما لم تعلم . كان احد اليهود يؤذيه (ص) ويضع الاقدار
في طريقه اذا خرج الى المصلى ، فلما مرض ذلك اليهودي فقده (ص) بفقد ما كان
يضع فسأل عنه (ص) فقيل انه مريض فذهب (ص) لزيارته . فلما رأى ذلك اليهودي
فعله وحفاوته به مع علمه انه يعلم ما كان يصنع في اذيه ، قال اشهد ان لا آله الا الله ،
وان محمدا عبده ورسوله . فيا حبذا لو جرى المسلمون على هذه القاعدة في معاملة
مخالفينهم في الدين ، اخوانهم في الوطن والبشرية . فوالله لو جروا على هذه القاعدة
لدخل الناس في دينهم افواجا .

من راجع القرآن الشريف وجد نصوصه الكريمة في كيفية الدعوة تدور على
محور الحكمة والعقل والاحسان والفضل . قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) وامتن تعالى على نبيه (ص) بقوله (فيما
رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك) وقال تعالى
(لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وقال (ولا تجادلوا اهل الكتاب
الا بالتي هي احسن)

نرجع الى النظر فيما جرى عليه السلف الصالح في ذلك اي في معاملة مخالفينهم
في الدين ، نجد أنهم جعلوا لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، لا فرق بين المسلم وغيره في
الحقوق . انظر الى ما قاله الخليفة الثاني عمر بن الخطاب لعمر بن العاص فاتح مصر
حينما تسابق ابنه مع ابن القبطي فسبقه فاطمه ابن عمرو واقتخر عليه بأبائه ، فلما بلغ
ذلك عمر رضي الله عنه ارسل اليه يهدده ويقول له : « متى استعبدتم الناس يا عمرو وقد
ولدتهم أمهاتهم احرارا » وحكم عليه بان يرضي القبطي او يقتص منه^(٢) . وقصة اليهودية

(١) الصواب : السوائف (٢) تقدم الصواب في الرواية

صاحبة البيت الذي كان في المسجد مشهورة، بل نرى من تسامحهم انهم قد أرقوهم (٩) الى اعلى المراتب فأتخذوا منهم الكتاب وغيرهم، وقد اتخذ الحرس في المدينة المنورة في يوم من الايام من النصارى . ومن راجع تاريخ الدولة العباسية في عنفوان التمدن الاسلامي رأى أن للذميين من ذلك حظا وافرا، فقد أرقوهم (٩) الى اعلى المناصب فصار منهم الاطباء والندماء للولوك وغيرهم. هذه المعاملة تمثل لنا عدالة الدين الاسلامي وتسامحه وآدابه الراقية

فعلى رجال الدعوة والارشاد الذين قد اخذوا على عواتقهم هذه الامانة وعاهدوا الله عليها - وهي ارشاد المسلمين الى اواصر دينهم ودعوة غيرهم اليه - أن يظهروه في ثوبه الحقيقي ، وان يجعلوا نصوص الكتاب والسنة وأعمال النبي « ص » والسلف الصالح امام اعينهم ليسيروا عليها ، وليفطنوا لمقاصد الدين التي جاء اليها ، وهي اصلاح نفوس البشر وتخليتها بالفضائل ، وتطهيرها من الرذائل ؛ لتكون اهلا لجوار الله تعالى في الآخرة ، واصلاح حال المجتمع الانساني في هذه الدار التي قدر له ان يعيش فيها برهة من الزمن . وليعلموا الناس أن الله قد جعلهم شعوبا وقبائل للتعارف والتعاون (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وقوله (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وان الله غني عن العالمين .

آداب الاسلام في معاشره المخالفين ومعاملاتهم

انشاء الطالب محمد أبو زيد

قال الله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين) من فقه حكمة الاسلام ووقف على مقاصده وما يرمي اليه، عرف أن المراد منه انعام الفطرة البشرية بما يصلح به شأن الانسان في حياته الاولى ، وينال به الرضوان الاكبر في حياته الأخرى (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)

ولما كان حسن المعاشرة والمعاملة من اعظم ما يكون في النفس الملكات الفاضلة ، ويقوي الصلة بين الافراد والامم، كان مما امتاز به ذلك الدين العناية بشأنها ، والحث عليها ، غير ناظر الى ما يكون عليه المعاشر او المعامل من المخالفة - وليست المخالفة قاصرة على الدينية فقط بل يدخل فيها الجنسية واللغوية وغيرها

ولقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فلم يتجاوز امر ربه في دعوة مخالفتي دينه بالحكمة والموعظة الحسنة (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) حتى كان من تمام رفته في مخاطبته ما حكاه عنه ربه (وانا اياكم لعل هدى اوفي ضلال مبين) ولم يترك التلطف في معاملاتهم حتى جعل لمن دخل في حوزته واطمان من جهته الامان من كل ما يشينه ، وحافظ على حقوقه كما يحافظ على جميع المسلمين . وسار من بعده من اهل العدل على قوله (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) حتى لقد شغل كثير منهم مرا كز في الحكومات الاسلامية المتقدمة وغير ذلك مما يشهد به التاريخ

هذا وان الاسلام بريء مما يرميه به اعداؤه من التعصبات الدينية — على زعمهم — نظرا لما قرره في اصوله المبنية على الدليل والبرهان « قد تبين الرشد من الغي » كما وانه (؟) قد قضى على الجنسيات والامتيازات بغير ما فيه التقى (إن أكرمكم عند الله اتقاكم) فما اعظمه من دين سوى بين الطبقات بعده ، فانقذ الناس من العبودية القذعة ، وما اعرفه بحقوق الانسان ! قرر التفضيلة برتبتها — العدل والاحسان — فقضى له بالاولى ليكون مرفوع الرأس آمنا من الذل (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وخيره في الثانية ليزوق حلاوة فضله ويشعر بلذة احسانه (فمن عفا واصبح فاجر على الله)

فوالله ما وجد للبشر دين أرحم على الانسان منه ، ولا عرف ضمير المخالفين معاملة أوفى من معاملته ، دين يقول كتابه (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) جدير بان يسود بمقتبعيه

دين يقول نبيه « سلم على من عرفت ومن لم تعرف » « خالق الناس بخلاق حسن » حقيق بان يسعد من دخل في حظيره . دين يقول كتابه (ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) ويقول نبيه « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » لا يسع كل مجرد عن الاغراض بعيد عن الهوى الا ان يقر بفضله ، ويخر ساجدا لآياته

دين قد شهد لنفسه بما أحدثه في العصور الخالية من الانقلاب المدهش ، وافر له اعداؤه — والفضل ما شهدت به الاعداء — بان التسامح لم يرا كثر عدلا ولا احسن معاملة من امله ، لاشك في تسامحه ، ولا ريب في كونه دين الاصلاح العام لجميع البشر

مصائب مصر والشام . برجال العلم وحملات الاقلام

٢ - الشيخ حسن المدور

هو من بيت معروف في بيروت . اشتغل من اول نشأته بطلب العلوم العربية والشرعية ، وصحب الاستاذ الامام ايام هجرته في بيروت وتلقى عنه ، فاستنار عقله ، واشرب حب الاصلاح في قلبه ، ولكنه كان يداري الجامدين ، ويخاف شر المستبدين ، فلهذا لم ينهض بالدعوة الى الاصلاح ، ولم يقيم بمظاهرة الظاهرين بها في زمن الاستبداد . على انه كان يدرس ويفيد الطلاب باعتداله ورويته ، وقد رغب الي منذ سنتين ان ارسل اليه ما طبع من (تفسير القرآن الحكيم) ليقرأه درسا في الجامع الكبير ، فلم ابدر في ارساله اليه ، فكنت في ذلك مخطئا ، وما كنت التمسه لنفسي من العذر في التأخير كان ضعيفا .

وكان الفقيد كريم الاخلاق ، حسن المعاشرة ، واسع الحلم ، شديد الاحتياط في أموره ، فوجود فقيه مثله في بيروت كان ضروريا ، اذ كان رحمه الله تعالى وسطا بين تشديد الجامدين ، وشذوذ المتساهلين المفرطين ، فهو من الافراد الذين لا تستغني أمتنا الاسلامية في قطر ولا مصر عن واحد أو آحاد منهم في هذا العصر - عصر التحول والاعقاب . وقد كان مسلمو بيروت مستفيدين من هذه المزية من مزاياه وان لم يعرفها له الجمهور منهم .

وقد صار في العهد الاخير أمينا للفتوى في بيروت فكان خير عون وظهير لمفتيها لهذا العهد صديقنا الشيخ مصطفى نجا . ويسوعنا اننا لا نعرف من ترجمة هذا الصديق شيئا كثيرا نثبتته في ترجمته ، ليكون ذكرا باقيا له ، فنحن نعلم انه كان يفيد طلاب العلم والمستفتين بعلمه وعقله وأدبه . ولا ندري أكتب شيئا من الكتب والرسائل المفيدة ام لا . وقد خسرت بيروت بفقده خسارة لا عوض لها الآن عنها ، لضعف الاشتغال بالعلوم الدينية فيها . وهو قد دخل في العقد السادس من عشرات سني عمره ، وكان جيد الصحة فعرض له المرض أياما معدودات انتهت باجله ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة

٣ - الشيخ محيي الدين الخياط

ولد بمدينة صيدا في رجب سنة ١٢٩٢ فكانت وفاته في أواخر السنة القمرية الحتممة للاربعين : وراينا في بعض جرائد بيروت التي أبنته ان والده من السلالة العلوية ، وانه لرغبته عن التفاخر بالانساب لم يكن يعرف عنه كلمة تدل على ذلك ، وان أمه ألبانية الاصل ، وكانت كريمة الخلق ذكية الفؤاد ، فهي التي تولت تربيته

وعنيت بتعليمه . وقد تعلم التعليم الابتدائي في مدرسة لجمعية المقاصد الخيرية في بيروت ، وتلقى بعض علوم الأدب والدين عن الشيخ ابراهيم الاحدب الطرابلسي والشيخ يوسف الاسير البيروتي اللذين اتممت اليهما رئاسة العلوم العربية والشرعية في بيروت . ثم كان جل تحصيله بمجده واجتهاده في المطالعة والمراجعة والتعليم ، وعنى بالكتابة المصرية ونظم الشعر فكان في الرعييل الأول من فرسانها في وطنه . وعلم في بعض المدارس ، وحرر في عدة جرائد ، وألف عدة كتب قرظها المنار في ازمته نشرها ، حتى صار اشهر شبان النهضة الاسلامية في بيروت

لحيته في بيروت قبل هجرته الى مصر ، فاذا هو شاب يتدفق غيرة على الامة وشعورا بسوء حالها ، وشدة حاجتها الى الاصلاح وتجارة الامم الحية . ولما أنشأت المنار جعلته وكيلا له في بيروت وما يتصل بها ، فقبل ذلك بالارتياح ، وكان مغتبطا بالمنار اشد الاغتياب ، على ما كان في ذلك من الخطر والتعرض لاذي الحكومة الحميدية . ولكنه عهد بعد ذلك بتوزيعه وجمع مال اشتراكه لصاحب له من ذوي المطامع الدنيئة وفاسدي الاخلاق ، فغشنا به - غير متعمد - عدة سنين ساعه الله وعفا عنه . كان التقيد صاحب همة عالية ، وحب للاستقلال الفكري والحرية ، وميل شديد للسياسة ، ولو أتيح له ان يعيش في بلاد حرة يعمل يستقل به لظهر من استعداداته ما كان كامنا ، ولصار من اشهر كتاب العصر المصلحين . ولكنه كان ضعيف الثقة باستقلال نفسه في العمل ، فلم يتجرأ على الهجرة ولا على النهوض بعمل مستقل غير مضمون الربح ، ولهذا باع قلمه لاصحاب الجرائد بالاجرة مراعييا مشاربهم ومذاهب سياستهم فيها ، فكان لا يؤلف كتابا الا بعد ان يتعاقد مع رجل يطبعه على نفقته ، ويكون ملكا لطابعه من دونه ، وكان الباعث له على ذلك الحاجة الى المال ، وحب التعجل بربح قطعي بلا تفقة ولا انتظار ، وكان من لوازم هذه الطريقة من الكسب بالقلم اختيار ما يروج عند الطابعين وسرعة التأليف ، فالوقوف به عند حد في استطاعة المؤلف ما هو اعلى منه . ولولاها لم يحصر جل ما كتبه في كتب التعليم الابتدائي ، فانه لم يؤلف الا كتب دروس التاريخ الاسلامي والعربية والفقه والمطالعة للمدارس الابتدائية . وعانق على ديواني ابي تمام وابن المعتز تفسيراً لعريبيهما سلك فيه مسلك الاختصار المختل ، وواقعه الاستمجال في كثير من الغلط ، على أنه كان من احرص كتاب العصر على ضبط اللغة وصحة العبارة ، والتفقه مما يضبطه بدقة المراجعة . فكان يضاهي الشيخ ابراهيم اليازجي في هذا . وكان يعرف اللغة التركية ، وترجم عنها قصة (الوطن) لنامق كال بك الشهير . وكان يرجى من خدمته اللغة العربية ما هو اعظم من ذلك ، ولكن كان من سوء حظ الامة العربية ان فقدته عند ما بلغ اشده واستوى ، وقوي في اتقان خدمة الامل والرجاء . عرضت له حمى وهو في عنفوان

قوة ، ققضت في اسبوع واحد على حياته ، ففسرت بفقده الامة العربية قلما سيلا ، وذهنا جوالا ، وهمة لا تعرف ملالا ولا كلالا .

٤ - الشيخ محمد جمال الدين القاسمي

هو علامة الشام ، ونادرة الايام ، والمجدد لعلوم الاسلام ، محي السنة بالعمل والتعليم ، والتهذيب والتأليف ، وأحد حلقات الاتصال بين هدي السلف ، والارتقاء المدني الذي يقتضيه الزمن ، الفقيه الاصولي ، المفسر المحدث ، الاديب المتفنن ، التقى الابواب ، الحليم الاواه ، العفيف الزيه ، صاحب التصانيف الممتعة ، والابحاث المقتنة ، صديقنا الصفي ، وخلصنا الوفي ، واخوانا الروحي ، قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، واحسن عزاءنا عنه .

نشأ الفقيد في بيت من بيوت العلم والدين في دمشق الشام ، ولد سنة ثلاث وعشرين ومئتين والاف . وتلقى مبادئ العلوم العربية والشرعية عن والده الشيخ سميد بن الشيخ قاسم الملقب بالخالق . والقاسمي نسبة الى الشيخ قاسم هذا . ووالدته علوية يتصل نسبها بنسب الشيخ ابراهيم الدسوقي الشهير . وقد عني الفقيد في آخر عمره بإثبات هذا النسب ، وكتب له شجرة ، وجاء مصر في العام الماضي لشؤون تتعلق بذلك . فسررنا بلفائه ، وجددنا ما لا تخلقه الايام من عهود إخوانه . وكتبنا له كما أحب كلمات على نسبه . وقد صار بعض تلاميذه واصحابه يطلقون عليه لقب « السيد » بعد تحرير هذا النسب ، بناء على القول بعموم شرف الاسباط . ولكن العرف الذي عليه أكثر المسلمين على خلاف هذا القول . والكثيرون من أهل سورية يطلقون لقب « السيد » على من ليس له لقب علمي ولا رسمي ، ولعل ذلك من نزغات الامويين ، في هضم حقوق العلويين . والشيخ غني عن هذا اللقب ، الذي لا يفهم المراد منه أحد .

وقد تلقى العلوم المتداولة في الشام عن الشيخ بكري المطار اشهر علمائها وفقهاء الشافعية فيها ، وكان يحضر مجالس الاستاذ الكبير الشيخ عبد الرزاق البيطار مجدد مذهب السلف في الشام ، وقد استفاد من علمه وعقيدته الاثرية وهديه واخلاقه المرضية ، ما لم يستفده من غيره . وصحب الاستاذ المصنف المقتنى الشيخ طاهراً الجزائري ، فاستفاد من صحبته علما بحال العصر ، ومعرفة بنوادر الكتب وغرائب المسائل ، وصحب العالم المستقل الشيخ سليم البخاري ، وأثرابا من خيرة شبان العصر المدينين كرفيق بك العظم ومحمد افندي كرد علي وغيرها وجماعتهم . فكان لصحبة هؤلاء الشيوخ والشبان ، وهم خير من انبتت الشام في هذا الزمان ، تأثير عظيم في حياته العلمية ، من حيث فتحت لاستمداده الفطري ، واستقلاله الوحي ، ابواب البحث والتحقيق ،

وعند الوقوف عند المسلمات من التقاليد ، ونبهته الى حاجة الامة الى الاصلاح المدني كحاجتها الى الاصلاح الديني . وجاء مصر مع الاستاذ البيطار ، على عهد الاستاذ الامام ، فاعتبطا بلفائفه واعتبط بلفائفهما ، وصارت المكتبة بمذالك متصلة بينه وبينهما وإنما كان جمال الدين ذلك الرجل بجوهر نفسه ، وقوة استعداده ، وكم من طالب علم سمع مثل ما سمع ، ولقي من الشيوخ والشبان مثل من لقي ، فأنكر كل ما خالف - وعلى كل من خالف - ما عرف وألف . ولم يهده ذلك الى طلب علم جديد ، ولا الى مراجعة النظر واستشارة الدليل . فالحق ان الافراد الذين امتازوا في هذا العصر من أمتنا بالعلم الصحيح والتصدي الاصلاح ، انما امتازوا اولا بقوة الاستعداد ، والدليل الفطري الى الاستقلال ، ثم سلوك النظر والاستدلال ، فمن كان هكذا تقه لقاء اهل الاختصاص ، والاطلاع على احاسن الكتب والاسفار ، فيكون في ذلك كالنحلة في الروض ، تحني من ناضر الازهار ويانع الثمار اطيب ما فيها .

رغبت بعض المدرسين ، في قراءة كتاب احياء علوم الدين ، قلب اوراقه كلها او بعضها ، فلم يقع اختياره على شيء يقرأه منها ، الا بعض حكايات الصالحين ، وبعض الآثار في فضائل الاعمال . فهو لم يستفد من علم الغزالي مسألة ما ، ولم يتقل من خصائص الكتاب شيئا . ذلك بان هم ذلك المدرس كان محصورا فيما رأى عليه أمثاله ، وهو انتقاء ما يرضي الناس ويلذ لهم ، ولا يذكرهم بشيء من جهلهم ، ولا يكشف لهم الستار عن شيء من عيوبهم ، ولا ينذرهم سوء اقامة افراطهم وتفریطهم . نعم ان كل فرد من أولئك الافراد القلائل الذين نعدم في هذا العصر من المصلحين - وصديقنا المترجم منهم - لم يكن امتيازهم الا بصفاء جوهرهم وقوة استعدادهم الفطري للاستقلال والكمال . مع التوفيق للطلب والاشتغال ، واتفاق لقاء بعض أصحاب المزايا من الرجال ، ذلك بانه ليس في أمتنا مربيون ، ولا معلمون مصلحون ، لا في البيوت ولا في المدارس ، ولو وجد فينا كثير من القادرين على التربية الصحيحة والتعليم الاستقلالي ، لوجد في كل بلد - لا في كل قطر فقط - كثير من أمثال القاسمي .

ظهر الشيخ جمال الدين في الشام على حين فترة من العلماء ، فقد كانت من ادرك من كبار شيوخها آخر الذين عنوا بدراسة الكتب الممهودة التي يطلق على مدارسها لقب (علماء) على ان العلم الصحيح - وهو العلم الاستقلالي المبني على الدليل - كان قد حجب عليه وحكم بنحره من عدة قرون ، فلم يكن أحد يشم ريحه ولا يشم وميضه الا قليلا ، وصار الناس كاستغافيش لا يفتحون في هذا النور عينا ، ولا يحيلون في شعاعه فكرا . . . ظهر الفقيد وفي دمشق الشام أفراد ورنوا عن آبائهم واجدادهم عمائم العلماء والفاهم والرواتب التي كانوا يأخذونها من اوقاف المسلمين

ولم يرثوا عنهم من العلم بتلك الكتب شيئا . فاتهم العلم ولم يقتهم صرف الاوقات كلها في استنباط الحيل للتمتع بجاهه ومجده ، تبعا للتمتع بالقابه وأزيائه ونقده ، فكان من اكبر الخطوب عليهم ان يروا في الشام عالما بتصدي للتدريس والتصنيف ، وبين حاجة البلاد الى الاصلاح والتجديد . فاذا تصدى لذلك أحد يكيدون له المكائد ، وينصبون له الحباثل ، ويغفونه الفتنة ، ويجعلونه في موقف الفلنة ، فيسمون به الى الحكم ، انصار كل متافق ، ويهيجون عليه العوام ، اتباع كل ناعق . فاذا يعمل العالم المصلح بينهم ؟

اذا كان عمل القاسمي للاصلاح وتجديد علوم الدين صغيرا في نفسه ، فهو كبير جدا في بلاده وبين قومه ، فا القول فيه اذا كان عمله كبيرا في الواقع ، وقد عظم المطلوب وقل المساعد ؟

كان رحمه الله تعالى يقرأ الدروس العربية والشرعية للطلبة وللعمامة ، ويخطب في المسجد خطبة الجمعة ، ويصنف الرسائل والأسفار الممتعة ، ويصحح ما يرى نشره نافعا من كتب المتقدمين ، ويشرح المختصر ويختصر المطول منها ، ويسمى في طبعتها ونشرها ، ويثري روح الاستقلال والاستدلال في ذلك كله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي احسن . وكما سعى فيه وكاد له أولئك المعصومون الجاهلون فأنجاه الله منهم ، وان اكبر الكبائر التي يتهمون بها كل من يدعو مثله الى العلم والعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، هي محاولة هدم الدين بفتح باب الاجتهاد والاستدلال ، وما يستلزمه ذلك بزعمهم من تحقير الأئمة ، ومن اتبعهم من علماء الأمة !! وقد اتهم مرة بذلك مع بعض اصدقائه وعقد لهم مجلس في المحكمة الشرعية وسألهم القاضي عن تلك التهمة ، واخذ القعيد من دونهم الى دار الشرطة ، وحبس فيها بضع ساعات .

كان له رحمه الله تعالى دروع سابغات من اخلاقه وسيرته ، تقيه بغي أعداء العلم والاصلاح من حساده ، اذ كان نزه اللسان ، بعيدا عن المراء والجدال ، متجنبيا للازراء بغيره ، والتعريض بغيره خصمه او مدح نفسه ، غير مزاحم لوارثي العمائم على الخطام ، ولا مسابق لهم الى ابواب الحكم ، - الى ما كان عليه من العبادة ، والعفة والاستقامة .

(للترجمة بقية)

أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولها إلا لبيان
بوتني الحكمة من يشاء ومن يوت الحكمة فقد

المعراج
١٣١٥

فهم عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأتواهم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر سلخ شعبان ١٣٣٢ هـ ق ٢ الصيف الثاني ١٢٩٢ هـ ش ٢٤ يوليو ١٩١٤

فَتَاوَى الْمُنَارِ

التمتعنا بهذا الباب لأجابة أسئلة المكثرين خاصة ، إذ لا يسمع عامة الناس ، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه ويذكر عمله (ووظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف إن شاء ، وأننا نذكر الأسئلة بالتسريح غالباً ورجاء قد نمنعنا عن السبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه ورجاءاً جديراً بمتترك مثل هذا ، ولكن مضموننا : قال : قد ذكرنا في المنار

(وجوب تعلم العربية على كل مسلم)

(١٩ س) من صاحب الامضاء بمصر

السيد الامام صاحب المنار

قرأنا في أعداد سابقة من مجلتكم المنار أدلة وجوب تعلم اللغة العربية على كل مسلم وأشرتم في بعض الأجزاء إلى أن الامام الشافعي (رح) قال بذلك . ثم قرأنا في الجزء السابع من المجلد ١٧ قول عبيد الله صاحب «قوم جديد» باستثناء المسلمين عن تعلم العربية . فترجوا أن تنشروا قول الامام الشافعي بذلك الجأماً لذلك الدجال واطمئنا لقوم يؤمنون ؟

مستفيد

يقرأ المنار

(ج) جاء في رسالة الامام الشافعي التي هي أول رسالة كتبت في أصول الفقه برواية الربيع بن سليمان المرادي ما نصه :

(قال الشافعي) رضي الله عنه والقرآن يدل على أن ليس في كتاب الله شيء إلا بلسان العرب ، ووجد قائل هذا القول من قبل ذلك منه تقليداً له وتركاً للمسألة له عن حجة ومسألة غيره ممن خالفه ، وبالتقليد أغفل من أغفل منهم والله يغفر لنا ولهم . ولعل من قال : أن في القرآن غير لسان العرب ، وقبل ذلك منه ذهب إلى أن من القرآن خاصاً يجهل بعضه بعض العرب ، ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه انسان غير نبى ، ولكنه لا يذهب

منه شيء على عامتها ، حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه ، والعلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه ، لا نعلم رجلا جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء ، فإذا جمع علم عامة أهل العلم بها أتى على السنن ، وإذا فرق علم كل واحد منهم ذهب عليه الشيء منها ، ثم كان ما ذهب عليه منها موجودا عند غيره ، وهم في العلم طبقات ، منهم الجامع لا أكثره وإن ذهب عليه بعضه ، ومنهم الجامع لأقل مما جمع غيره ، وليس قليل ما ذهب من السنن على من جمع أكثرها دليلا على أن لا يطلب علمه عند غير أهل طبقته من أهل العلم ، بل يطلب عند نظرائه ما ذهب عليه حتى يوثق على جميع سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأبي هو وأمي ، فينفرد بجملة العلماء بجمعها ، وهم درجات فيما وعوا منها . وهكذا لسان العرب عند خاصتها وعامتها لا يذهب منه شيء عليها ، ولا يطلب عند غيرها ولا يعلمه إلا من قبله عنها ، ولا يشركها فيه إلا من اتبعها في تعلمه منها ، ومن قبله منها فهو من أهل لسانها ، وإنما صار غيرهم من غير أهل بتركها ، فإذا صار إليه صار من أهلها ، وعلم أكثر اللسان في أكثر العرب أهم من علم أكثر السنن في أكثر العلماء

فإن قال قائل : فقد نجد من المعجم من ينطق بالشيء من لسان العرب ؛ فذلك يمتثل ما وصفت من تعلمه منهم ، فإن لم يكن ممن تعلمه منهم فلا يوجد ينطق إلا بالقليل منه ، ومن نطق بقليل منه فهو تبع للعرب فيه ، ولا ينكر إذا كان اللفظ قبل تعلمه أو نطق به موضوعا أن يوافق لسان المعجم أو بعضها قليل من لسان العرب ، كما ياتفق (١) القليل من السنة المعجم المتباعدة في أكثر كلامها ، مع تنائي ديارها واختلاف لسانها ، وبعد الأواصر (٢) بينها وبين من وافقت بعض لسانها منها

فإن قال قائل : ما الحجة في أن كتاب الله محض بلسان العرب لا يخلطه فيه غيره ؟ فالحجة فيه كتاب الله ، قال الله تبارك وتعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) فإن قال قائل : فإن الرسل قبل محمد صلى الله عليه وآله

(١) قوله ياتفق هو مضارع بمعنى يتفق لكن لم تدغم فيه فاء الافعال بل قلبت حرفا لينا من - نس الحركة قبلها وهي لغة أهل الحجاز يقولون : ايتفق ياتفق فهو موافق ولغة غيرهم الادغام (٢) الاواصر جمع أصرة وهي الرحم والقراة

وسلم كانوا يرسلون الى قومهم خاصة وأن محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بعث الى الناس كافة ، قيل : فقد يحتمل أن يكون بعث بلسان قومه خاصة ، ويكون على الناس كافة أن يتعلموا لسانه أو ما أطاقوه منه ، ويحتمل أن يكون بعث بالستهم ، فإن قال قائل : فهل من دليل على أنه بعث بلسان قومه خاصة دون السنة المعجم ؟ (قال الشافعي) رحمه الله تعالى : فالدلالة على ذلك بيّنة في كتاب الله عز وجل في غير موضع ؛ فإذا كانت الالسة مختلفة بما لا يفهم بعضهم عن بعض فلا بد أن يكون بعضهم تبعا لبعض ، وأن يكون الفضل في اللسان المتبع على التابع . وأولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولا يجوز - والله تعالى أعلم - أن يكون أهل لسانه أتباعا لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد ؛ بل كل لسان تبع لسانه ، وكل أهل دين قبله فطيمهم اتباع دينه . وقد بين الله تعالى ذلك في غير آية من كتابه . قال الله عز ذكره (وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين) وقال (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) وقال (وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها) وقال تعالى (حم ، والكتاب المبين ، انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)

(قال الشافعي) رحمه الله تعالى فأقام حجة بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها . ثم أكد ذلك بأن نفي عنه جل وعز كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه فقال تبارك وتعالى (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) وقال (ولو جعلناه قرآنا أعجميا يقالوا : لولا فصلت آياته ، أأعجمي وعربي ؟)

(قال الشافعي) رحمه الله تعالى : وعرفنا قدر نعمه بما خصنا به من مكانه فقال تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه) الآية - وقال (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم) الآية ، وكان مما عرف الله تعالى نبيه عليه السلام من انعامه عليه ان قال (وانه لذكر لك ولقومك) فخص قومه بالذكور معه بكتابيه

وقال (وأندر عشيرتك الاقرين) وقال (لتندر أم القرى ومن حولها) وأم القرى مكة وهي بلده وبلد قومه ، فجعلهم في كتابه خاصة وأدخلهم مع المنذرين عامة ، وقضى أن يندروا بلسانهم العربي لسان قومه منهم خاصة . فعلى كل مسلم ان يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله تعالى وينطق بالذكر فيما اقتضى عليه من التكبير وامر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك . وما ازداد من العلم باللسان الذي جعله الله لسان من ختم به نبوته وأنزل به آخر كتبه كان خيرا له . كما عليه ان يتعلم الصلاة والذكر فيها ، ويأتي البيت وما أمر باتيائه . ويتوجه لما وجه له ويكون تبعا فيما اقتضى عليه ونذب اليه لا متبوعا

(قال الشافعي) رحمه الله تعالى وانما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيرهم لانه لا يعلم من ايضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرقها ، ومن علمها انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها ، فكان تنبيه العامة على ان القرآن نزل بلسان العرب خاصة نصيحة للمسلمين ، والنصيحة لهم فرض لا ينبغي تركه ، أو ادراك نافلة خير لا يدعها الا من سفه نفسه وترك موضع حظه ، فكان يجمع بين النصيحة لهم قياما بايضاح حق ، وكان القيام بالحق ونصيحة المسلمين طاعة لله . وطاعة الله جامعة للخير

(قال الشافعي) رحمه الله تعالى : أخبرنا سفيان بن عيينة عن زياد بن علاقة قال سمعت جرير بن عبد الله يقول : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم . وأخبرنا سفيان بن عيينة عن سهيل ابن أبي صالح عن عطاء بن يزيد اللثمي عن نعيم الداري ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « الدين النصيحة » الدين النصيحة ، قالوا لمن يا رسول الله ؟ قال — لله ولكتابه ولنبيه ولأئمة المسلمين وعامتهم » اه المراد منه

فصل*

اذا ثبت هذا انتقلنا منه الى معنى آخر :

وهو أن المحرم ينقسم في الشرع الى ما هو صغير وإلى ما هو كبير -
حسب ما تبين في علم الاصول الدينية - فكذلك يقال في البدع المحرمة
إنها تنقسم الى الصغيرة والكبيرة اعتبارا بتفاوت درجاتها - كما تقدم -
وهذا على القول بأن المعاصي تنقسم الى الصغيرة والكبيرة . ولقد اختلفوا
في الفرق بينهما على أوجه ، وجميع ما قالوه لهله لا يوفي بذلك المقصود على
الكمال . فلنترك التفريع عليه .

وأقرب وجه يلتمس لهذا المطلب ما تقرّر في كتاب الموافقات أن
الكباثر منحصرة في الاخلال بالضروريات المعتبرة في كل ملة ، وهي
الدين والنفس والنسل والعقل والمال . وكل ما نص عليه راجع اليها ،
وما لم ينص عليه جرى في الاعتبار والنظر مجراها ، وهو الذي يجمع
اشتات ما ذكره العلماء وما لم يذكره مما هو في معناه ؛

فكذلك نقول في كباثر البدع : ما أدخل منها باصل من هذه
الضروريات فهو كبيرة ، وما لا فهي صغيرة . وقد تقدمت لذلك أمثلة
أول الباب . فكما انحصرت كباثر المعاصي أحسن انحصار --- حسبما أشير
اليه في ذلك الكتاب - كذلك تنحصر كباثر البدع أيضاً ، وعند ذلك
يعترض في المسئلة إشكال عظيم على أهل البدع يسر التخلص عنه في
اثبات الصفات فيها . وذلك أن جميع البدع راجعة الى الاخلال بالدين

(*) تابع لما نقل من كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي

إما أصلاً وإما فرعاً، لأنها إنما أحدثت لتلحق بالمشروع زيادة فيه أو نقصاناً منه أو تغييراً لقوافيه، أو ما يرجع إلى ذلك؛ وليس ذلك بمختص بالعبادات دون العادات، إن قلنا بدخولها في العادات، بل نعم الجميع

وإذا كانت بكنيتها اخلاقاً بالدين فهي إذاً اخلاق باول الضروريات وهو الدين، وقد أثبت الحديث الصحيح أن كل بدعة ضلالة، وقال في الفرق «كلها في النار إلا واحدة» وهذا وعيد أيضاً للجميع على التفصيل.

هذا وإن تفاوت مراتبها في الاخلاق بالدين فليس ذلك يخرجها عن أن تكون كباراً، كما أن القواعد الخمس أركان الدين وهي متفاوتة في الترتيب، فليس الاخلاق بالشهادتين كالاخلاق بالصلاة، ولا الاخلاق بالصلاة كالاخلاق بالزكاة، ولا الاخلاق بالزكاة كالاخلاق بمرمضان، وكذلك سائرهما مع الاخلاق، فكل منها كبيرة. فقد آل النظر إلى أن كل بدعة كبيرة ويجب عنه بأن هذا النظر يدل على ما ذكر، بقي النظر ما يدل من جهة أخرى على اثبات الصغيرة من أوجه:

(أحدها) أنا نقول: الاخلاق بضرورة النفس كبيرة بلا إشكال، ولكنها على مراتب أدناها لا يسمى كبيرة؛ فالقتل كبيرة وقطع الأعضاء من غير أجهاز كبيرة دونها، وقطع عضو واحد كبيرة دونها، وهلم جرا إلى أن تنتهي إلى اللطمة؛ ثم إلى أقل خدش يتصور، فلا يصح أن يقال في مثله كبيرة، كما قال العلماء في السرقة: إنها كبيرة، لأنها اخلاق بضرورة المال. فإن كانت السرقة في لقمة أو تطيف بحبة فقد عدتوه من الصغائر. وهذا في ضرورة الدين أيضاً.

فقد جاء في بعض الأحاديث عن حذيفة رضي الله عنه قال: «أول

ما تفقدون من دينكم الأمانة ، وآخر ما تفقدون الصلاة ، ولتنقض عرى
الآيمان عروة عروة ، وليصلين نساء وهن حيض - ثم قال - حتى تبقى
فرقتان من فرق كثيرة تقول أحدهما : ما بال الصلوات الخمس ؟ لقد ضل
من كان قبلنا ، إنما قال الله « أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل »
لا تصلن إلا ثلاثاً . وتقول أخرى : أنا لنؤمن بالله إيمان الملائكة ، ما فينا
كافر . حق على الله أن يحشرهما مع الدجال « وهذا الأثر - وإن لم تلزم
عهدة صحته - مثال من أمثلة المسئلة .

فقد نبه على أن في آخر الزمان من يرى أن الصلوات المفروضة
ثلاث لا خمس ، وبين أن من النساء من يصلين وهن حيض ، كانه يعني
بسبب التعمق وطلب الاحتياط بالوساوس الخارج عن السنة . فهذه
مرتبة دون الأولى

وحكى ابن حزم أن بعض الناس زعم أن الظهر خمس ركعات لا أربع
ركعات ، ثم وقع في العتبية ، قال ابن القاسم : وسمعت مالكا يقول : أول
من أحدث الاعتماد في الصلاة حتى لا يحرك رجله رجل قد عرف
وسمي إلا أنني لا أحب أن أذكره ، وقد كان مساءً (أي مساء الثناء عليه)
قال - قد عيب ذلك عليه ، وهذا مكروه من الفعل . قالوا «ومساء» أي
مساء الثناء عليه . قال ابن رشد : جائز عند مالك أن يروح الرجل قدميه
في الصلاة ، قاله في المدونة . وإنما كره ابن يقرنها حتى لا يعتمد على
أحدها دون الأخرى ، لأن ذلك ليس من حدود الصلاة ، إذ لم يأت
ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من السلف والصحابة
الراضين ، وهو من محدثات الأمور . انتهى .

فمثل هذا - ان كان يمدد فاعله من محاسن الصلاة وان لم يأت به أثر - فيقال في مثله : إنه من كبائر البدع . كما يقال ذلك في الركعة الخامسة في الظهر ونحوها ، بل انما يعد مثله من صفات البدع ان سلمنا ان لفظ الكراهية فيه ما يراد به التنزيه ، وإذا ثبت ذلك في بعض الامثلة في قاعدة الدين ، فمثله يتصور في سائر البدع المختلفة المراتب ، فالصفات في البدع ثابتة كما أنها في المعاصي ثابتة .

(والثاني) ان البدع تنقسم الى ماهي كلية في الشريعة والى جزئية ، ومعنى ذلك ان يكون الخلل الواقع بسبب البدعة كلياً في الشريعة ، كبدعة التحسين والتقبيح العقليين ، وبدعة انكار الاخبار السنية اقتصاراً على القرآن ، وبدعة الخوارج في قولهم : لا حكم الا الله . وما أشبه ذلك من البدع التي لا تختص فرعاً من فروع الشريعة دون فرع ، بل تجدها تنتظم ما لا ينحصر من الفروع الجزئية ، أو يكون الخلل الواقع جزئياً انما يأتي في بعض الفروع دون بعض ، كبدعة التشويت بالصلاة - الذي قال فيه مالك : التشويب ضلال . - وبدعة الاذان والاقامة في العيدين ، وبدعة الاعتقاد في الصلاة على احدي الرجلين ، وما أشبه ذلك . فهذا القسم لا تعدى فيه البدعة محالها ، ولا تنتظم تحتها غيرها حتى تكون اصلاً لها .

فالقسم الاول اذا عدّ من الكبائر اتضح مغزاه وأمكن ان يكون منعصراً داخلاً تحت عموم الثنتين والسبعين فرقة ، ويكون الوعيد الآتي في الكتاب والسنة مخصوصاً به لا عاماً فيه وفي غيره ، ويكون ما عدا ذلك من قبيل اللهم المرجو في العفو ، الذي لا ينحصر الى ذلك اعداد ، فلا قطع على أن جميعها من قبيل واحد ، وقد ظهر وجه انقسامها .

(والثالث) ان المعاصي قد ثبت انقسامها الى الصغائر والكبائر، ولا شك ان البدع من جملة المعاصي - على مقتضى الادلة المتقدمة - ونوع من أنواعها ، فاقضى اطلاق التقسيم أن البدع تنقسم أيضاً ، ولا يخصص وجوها (؟) بتعميم الدخول في الكبائر ، لأن ذلك تخصيص من غير تخصيص ، ولو كان ذلك معتبراً لاستثنى من تقدم من العلماء القائلين بالتقسيم قسم البدع ، فكانوا ينصون على ان المعاصي ما عدا البدع تنقسم الى الصغائر والكبائر ، الا أنهم لم يلتفتوا الى الاستثناء وأطلقوا القول بالانقسام ، فظهر أنه شامل لجميع أنواعها .

فان قيل : إن ذلك التفاوت لا دليل فيه على اثبات الصغيرة مطلقاً ، وانما يدل ذلك على أنها تتفاضل ، فمنها ثقیل وأثقل ، ومنها خفيف وأخف ؛ والخفة هل تنتهي الى حد تعد البدعة فيه من قبيل اللهم ؟ هذا فيه نظر ، وقد ظهر معنى الكبيرة والصغيرة في المعاصي غير البدع ؛ وأما في البدع فثبت لها أمران : أحدهما أنها مضادة للشارع ومراغمة له ، حيث نصب المبتدع نفسه نصب المستدرك على الشريعة ، لا لنصب المكتفي بما حده له .

والثاني أن كل بدعة - وان قلت - تشريع زائد أو ناقص ، أو تغيير للأصل الصحيح ؛ وكل ذلك قد يكون على الانفراد ، وقد يكون ملحقاً بما هو مشروع ، فيكون قادحاً في المشروع . ولو فعل أحد مثل هذا في نفس الشريعة عامداً لكفر ، اذ الزيادة والنقصان فيها أو التغيير قل أو كثر كفر ، فلا فرق بين ما قل منه وما كثر . فمن فعل مثل ذلك بتأويل فاسد أو برأي غلط رآه ، أو ألحقه بالمشروع ، اذا لم نكفره لم يكن في

حكمه فرق بين ما قل منه وما كثر ، لان الجميع جنابة لا تحملها الشريعة بقليل ولا بكثير .

ويعضد هذا النظر عموم الادلة في ذم البدع من غير استثناء ، فالفرق بين بدعة جزئية وبدعة كلية ، وقد حصل الجواب عن السؤال الاول والثاني .

وأما الثالث فلا حجة فيه لان قوله عليه السلام « كل بدعة ضلالة » وما تقدم من كلام السلف يدل على عموم الذم فيها . وظهر أنها مع المعاصي لا تنقسم ذلك الانقسام ، بل إنما ينقسم ما سواها من المعاصي . واعتبر بما تقدم ذكره في الباب الثاني يتبين لك عدم الفرق فيها . وأقرب منها عبارة تناسب هذا التقرير أن يقال : كل بدعة كبيرة عظيمة بالاضافة الى مجاوزة حدود الله بالتشريع ، الا أنها وان عظمت لما ذكرناه ، فاذا نسب بعضها الى بعض تفاوتت رتبها فيكون منها صغار وكبار ، أما باعتبار ان بعضها أشد عقاباً من بعض ، فالأشد عقاباً أكبر مما دونه ، وأما باعتبار قوت المطلوب في المفسدة ، فكما انقسمت الطاعة بالتباعد السنة الى الفاضل والأفضل ، لانقسام مصالحها الى الكامل والاكمل ، انقسمت البدع لانقسام مفسدها الى الرذل والارذل ، والصغر والكبر ، من باب النسب والاضافات ، فقد يكون الشيء كبيراً في نفسه لكنه صغير بالنسبة الى ما هو أكبر منه .

وهذه العبارة قد سبق اليها امام الحرمين لكن في انقسام المعاصي الى الكبائر والصغائر فقال : المرخي عندنا أن كل ذنب كبيرة وعظيم بالاضافة الى مخالفة الله ، ولذلك يقال : معصية الله أكبر من معصية العباد .

قولا مطلقاً ، الا أنها وان عظمت لما ذكرناه ، فاذا نسب بعضها الى بعض تفاوتت رتبها . ثم ذكر معنى ما تقدم ؛ ولم يوافق غيري على ما قال ، وان كان له وجه في النظر وقمت الاشارة اليه في كتاب الموافقات . ولكن الظاهر يا أبي ذلك - حسبما ذكره غيره من العلماء - . والظواهر في البدع لا تأتي كلام الامام اذا نزل عليها - حسبما تقدم - فصار اعتقاد الصغائر فيها يكاد يكون من المتشابهات ، كما صار اعتقاد نفي الكراهية التثنية عنها من الواضحات .

فليتأمل هذا الموضع أشد التأمل ويمط من الانصاف حقه ، ولا ينظر الى خفة الأمر في البدعة بالنسبة الى صورتها وان دقت ، بل ينظر الى مصادمتها للشريعة ورميها لها بالنقص والاستدراك ، وأنها لم تكمل بعد حتى يوضع فيها ، بخلاف سائر المعاصي فانها لا تعود على الشريعة بتقيص ولا غرض من جانبها ، بل صاحب المعصية متصل منها مقر لله بمخالفته لحكمها .

وحاصل المعصية أنها مخالفة في فعل المكلف لما يعتقد صحته من الشريعة ؛ والبدعة حاصلها مخالفة في اعتقاد كمال الشريعة ، ولذلك قال مالك بن أنس : من أحدث في هذه الامة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ، لان الله يقول « اليوم أكملت لكم دينكم » الى آخر الحكاية . وقد تقدمت .

ومثلها جوابه لمن اراد أن يحرم من المدينة وقال : أي فتنة فيها ؟ إنما هي أميال أزيدها . فقال : وأي فتنة أعظم من أن تظن أنك فعلت فعلاً قصر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم - الى آخر الحكاية ، وقد تقدمت

أيضاً . فإذا يصح أن يكون في البدع ما هو صغيرة .
فالجواب أن ذلك يصح بطريقة يظهر أن شاء الله أنها تحقيق في
تشقيق هذه المسئلة ؛

وذلك أن صاحب البدعة يتصور أن يكون عالماً بكونها بدعة وأن
يكون غير عالم بذلك . وغير العالم بكونها بدعة على ضربين ، وهما المجتهد
في استنباطها وتشريعها والمقلد له فيها . وعلى كل تقدير فالتأويل يصاحبه
فيها ولا يفارقه إذا حكمنا له بحكم أهل الاسلام ، لأنه مصادم للشارع
مراغم للشرع بالزيادة فيه أو النقصان منه أو التحريف له ، فلا بد له من
تأويل كقوله « هي بدعة ولكنها مستحسنة » أو يقول « إنها بدعة ولكنها
رأيت فلانا الفاضل يعمل بها » أو يقربها ولكنه يفعلها لحظ عاجل ،
كفاعل الذنب لقضاء حظه العاجل خوفاً على حظه ، أو فراراً من خوف
على حظه ، أو فراراً من الاعتراض عليه في اتباع السنة ، كما هو الشأن اليوم
في كثير ممن يشار إليه ، وما أشبه ذلك .

وأما غير العالم وهو الواضع لها ، فإنه لا يمكن أن يعتقدها بدعة ،
بل هي عنده مما يلحق بالمشروعات ، كقول من جعل يوم الاثنين يصام
لأنه يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وجعل الثاني عشر من ربيع الأول
ملحقاً بأيام الأعياد لأنه عليه السلام ولد فيه ، وكمن عدّ السماع والغناء مما
يتقرب به إلى الله بناء على أنه يجلب الأحوال السنية ، أو رغب في الدعاء
بهية الاجتماع في أدبار الصلوات دائماً بناء على ما جاء في ذلك حالة الوحدة ،
أو زاد في الشريعة أحاديث مكنوبة لينصر في زعمه سنة محمد صلى الله عليه

وسلم . فلما قيل له : إنك تكذب عليه . وقد قال « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » قال : لم أكذب عليه وإنما كذبت له . أو نقص منها تأويلاً عليها لقوله تعالى في ذم الكفار (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ؛ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يَفْنَى مِنْ الْحَقِّ شَيْئاً) فاسقط اعتبار الأحاديث المنقولة بالآحاد لذلك ولما أشبهه ، لأن خبر الواحد ظني ؛ فهذا كله من قبيل التأويل . وأما المقلد فكذلك أيضاً لأنه يقول : فلان المقتدى به يعمل بهذا

العمل ويتني (؟) كاتخاذ الغناء جزءاً من أجزاء طريقة التصوف بناء منهم على أن شيوخ التصوف قد سَمَّوه وتواجدوا عليه ، ومنهم من مات بسببه ، وكنتمزيق الثياب عند النواجذ بالرقص وسواه لأنهم قد فعلوه ، وأكثر ما يقع مثل هذا في هؤلاء المنتمين إلى التصوف ،

وربما احتجوا على بدعهم بالجنيـد والبسطامي والشبلي وغيرهم فيما صح عندهم أو لم يصح ، ويتركون أن يحتجوا بسنة الله ورسوله وهي التي لا شائبة فيها إذا نقلها المدول وفسرها أهلها المكبون على فهمها وتعلمها . ولكنهم مع ذلك لا يقرون بالخلاف للسنة بحثاً ، بل يدخلون تحت أذيال التأويل ، إذ لا يرضي منتم إلى الإسلام بإبداء صفحة الخلاف للسنة أصلاً . وإذا كان كذلك فقول مالك : من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم خان الرسالة . وقوله لمن أراد أن يحرم من المدينة : أي فتنة أعظم من أن تظن أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إلى آخر الحكاية . إنها الزام للخصم على عادة أهل النظر ، كأنه يقول : يلزمك في هذا القول كذا .

(المنار - ج ٨) (٧٦) (المجلد السابع عشر)

لا أنه يقول قصدت اليه قصدا ، لأنه لا يقصد الى ذلك مسلم ، ولازم المذهب : هل هو مذهب أم لا ؟ هي مسألة مختلف فيها بين أهل الأصول ، والذي كان يقول به شيوخنا البجائيون والمغريون ويرون أنه رأي المحققين أيضا : ان لازم المذهب ليس بمذهب ، فلذلك اذا قرر على الخصم أنكره غاية الانكار^(١) فاذا اعتبار ذلك المعنى على التحقيق لا ينهض ، وعند ذلك تستوي البدعة مع المعصية صفائر وكبائر ، فكذلك البدع . ثم أن البدع على ضربين : كلية وجزئية ، فأما الكلية فهي السارية فيما لا ينحصر من فروع الشريعة ، ومثالها بدع الفرق الثلاث والسبعين فانها مختصة بالكليات منها دون الجزئيات ، حسبما يتبين^(٢) بعد ان شاء الله .

وأما الجزئية فهي الواقعة في الفروع الجزئية ، ولا يتحقق دخول هذا الضرب من البدع تحت الوعيد بالنار ، وإن دخلت تحت الوصف بالضلال ، كما لا يحدث في سرقة لقمة أو التطفيف بحبة ، وإن كان داخل تحت وصف السرقة ، بل المتحقق دخول عظامها وكلياتها كالنصاب في السرقة ، فلا تكون تلك الأدلة واضحة الشمول لها ، ألا ترى أن خواص البدع غير ظاهرة في أهل البدع الجزئية غالبا ؛ كالفرقة والخروج عن الجماعة ، وإنما تقع الجزئيات في الغالب كالزلة والقلبة ، ولذلك لا يكون اتباع الهوى فيها مع حصول التأويل في فرد من افراد الفروع ، ولا المفسدة الحاصلة بالجزئية كالمفسدة الحاصلة بالكلية ، فملي هذا اذا اجتمع في البدعة

(١) ما كل لازم للمذهب ينكره صاحبه لو عرض عليه ولذلك جعل بعضهم الانكار شرطا لكون لازم المذهب ليس بمذهب وهذا التفصيل هو التحقيق

(٢) لهه يتبين

وصفان - كونها جزئية وكونها بالتأويل - صبح أن تكون صغيرة، والله أعلم.
ومثاله مسألة من نذر أن يصوم قائماً لا يجلس، وضاحياً لا يستظل،
ومن حرم على نفسه شيئاً مما أحل الله من النوم أو لذيق الطعام، أو النساء
أو الأكل بالنهار، وما أشبه ذلك مما تقدم ذكره أو يأتي؛ غير أن
الكلية والجزئية قد تكون ظاهرة وقد تكون خفية، كما أن التأويل قد
يقرب مأخذه وقد يبعد؛ فيقع الاشكال في كثير من أمثلة هذا الفصل،
فيعد كبيرة ما هو من الصغائر وبالعكس، فيوكل النظر فيه إلى الاجتهاد اهـ

فصل

وإذا قلنا: إن من البدع ما يكون صغيرة. فذلك بشروط (أحدها)
أن لا يداوم عليها؛ فإن الصغيرة من المعاصي لمن داوم عليها تكبر بالنسبة
إليه، لأن ذلك ناشئ عن الاصرار عليها، والاصرار على الصغيرة يصيرها
كبيرة، ولذلك قالوا: لا صغيرة مع اصرار، ولا كبيرة مع استغفار.
فكذلك البدعة من غير فرق؛ إلا أن المعاصي من شأنها في الواقع أنها
قد يصير عليها؛ وقد لا يصير عليها، وعلى ذلك يذني طرح الشهادة وسخطة
الشاهد بها أو عدمه، بخلاف البدعة فإن شأنها في الواقع المداومة والحرص
على أن لا تزال من موصفها، وأن تقوم على تاركها القيامة، وتنطلق
عليه السنة الملامة، ويرمى بالتسفيه والتجهيل، وينبذ بالتبديع والتضليل،
ضد ما كان عليه سلف هذه الامة، والمقتدى بهم من الائمة؛ والدليل
على ذلك الاعتبار والنقل، فإن أهل البدع كان من شأنهم القيام بالنكير
على أهل السنة إن كان لهم عصبية، أو لصقوا بسلطان تجري أحكامه في

الناس وتنفذ أوامره في الاقطار . ومن طالع سير المتقدمين وجد من ذلك ما لا يخفى .

وأما النقل فما ذكره السلف من أن البدعة اذا أحدثت لا تزيد الا مضيا ، وليست كذلك المعاصي ، فقد يتوب صاحبها وينيب الى الله ؛ بل قد جاء ما يشد ذلك في حديث الفرق ، حيث جاء في بعض الروايات « تتجارى بهم تلك الالهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه » ومن هنا جزم السلف بان المبتدع لا توبة له منها — حسبما تقدم — .

(والشرط الثاني) أن لا يدعو اليها ، فان البدعة قد تكون صغيرة بالاضافة ، ثم يدعو مبتدعها الى القول بها والعمل على مقتضاها فيكون إثم ذلك كله عليه ، فانه الذي أثارها ، وسبب كثرة وقوعها والعمل بها ، فان الحديث الصحيح قد أثبت ان كل من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا ، والصغيرة مع الكبيرة انما تفاوتها بحسب كثرة الاثم وقلته ، فربما تساوي الصغيرة من هذا الوجه الكبيرة أو تربى عليها ؛

فمن حق المبتدع اذا ابتلي بالبدعة ان يقتصر على نفسه ، ولا يحمل مع وزره وزر غيره ، وفي هذا الوجه قد يتعذر الخروج ، فان المصيبة فيما بين العبد وربه يرجو فيها من التوبة والغفران ما يتعذر عليه مع الدعاء اليها ، وقد مر في باب ذم البدع . وباقي الكلام في المسئلة سيأتي ان شاء الله .

(والشرط الثالث) ان لا تفعل في المواضع التي هي مجتمعات الناس ، أو المواضع التي تقام فيها السنن ، وتظهر فيها اعلام الشريعة . فاما اظهارها في

المجتمعات ممن يقتدى به أو ممن به ^(١) الظن فذلك من أضر الأشياء على سنة الاسلام ، فانها لا تعدو أمرين : اما ان يقتدى بصاحبها فيها ، فان العوام أتباع كل ناعق ، لاسيما البدع التي وكل الشيطان بتحسينها للناس ، والتي للنفوس في تحسينها هوى ، واذا اقتدى بصاحب البدعة الصغيرة كبرت بالنسبة اليه ، لان كل من دعا الى ضلالة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ، فعلى حسب كثرة الأتباع يعظم عليه الوزر ؛

وهذا يعينه موجود في صفات المعاصي ؛ فان العالم مثلاً اذا أظهر المعصية — وان صغرت — سهل على الناس ارتكابها ، فان الجاهل يقول : لو كان هذا الفعل كما قال من أنه ذنب لم يرتكبه ، وانما ارتكبه لأمر عليه دوننا . فكذلك البدعة اذا أظهرها العالم المقتدى فيها لا محالة ، فانها في مظنة التقرب في ظن الجاهل ، لان العالم يفعلها على ذلك الوجه ، بل البدعة أشد في هذا المعنى ، اذ الذنب قد لا يتبع عليه ، بخلاف البدعة فلا يتعاشي أحد عن اتباعه الا من كان عالماً بانها بدعة مذمومة ، فينثذ بصير في درجة الذنب ، فاذا كانت كذلك صارت كبيرة بلا شك ، فان كان داعياً اليها فهو أشد ، وان كان الاظهار باعثاً على اتباع ، فبالدعاء يصير ادعى اليه . وقد روي عن الحسن أن رجلاً من بني اسرائيل ابتدع بدعة فدعا الناس اليها فاتبع ، وأنه لما عرف ذنبه عمد الى ترقوته فنقبها فادخل فيها حلقة ثم جعل فيها سلسلة ثم أوثقها في شجرة فجعل يبكي ويعج الى ربه ، فأوحى الله الي نبي تلك الامة ان لا توبة له قد غفر له الذي أصاب . فكيف بمن ضل فصار من أهل النار ؟ .

وأما اتخاذها في المواضع التي تقام فيها السنن فهو كالدعاء اليها بالتصريح، لأن عمل اظهار الشرائع الاسلامية^(١) توهم ان كل ما اظهر فيها فهو من الشماثر، فكان المظهر لها يقول: هذه سنة فأتبعوها.

قال أبو مصعب: قدم علينا ابن مهدي فصلى ووضع رداءه بين يدي الصف، فلما سلم الامام رمقه الناس بإبصارهم ورمقوا مالكا - وكان قد صلى خلف الامام - فلما سلم قال: من هاهنا من الحرس؟ فجاءه نفسان. فقال: خذا صاحب هذا الثوب فأحبساه. فحبس، فقبل له: أنه ابن مهدي، فوجه اليه وقال له: ما خفت الله واتقيته ان وضعت ثوبك بين يديك في الصف، وشغلت المصلين بالنظر اليه، وأحدثت في مسجدنا شيئا ما كذا نمرقه؟ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «من أحدث في مسجدنا حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» فبكى ابن مهدي وآلى على نفسه ان لا يفعل ذلك ابدا في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ولا في غيره. وفي رواية عن ابن مهدي قال: فقلت للحرسيين: تذهبان بي الى أبي عبد الله؟ قالا ان شئت؛ فذهبنا اليه. فقال: يا عبد الرحمن! تصلي مستلبا؟ فقلت يا أبا عبد الله إنه كان يوما حارا - كما رأيت - فثقل ردائي علي. فقال: الله ما أردت بذلك الطعن على من مضى والخلاف عليه، قالت: الله^(٢). قال خلياها.

وحكى ابن وضاح قال ثوب المؤذن بالمدينة في زمان مالك، فارسل اليه مالك فجاءه، فقال له مالك: ما هذا الذي تفعل؟ فقال: أردت أن

(١) هذا قسم حذف أداته. لئنه القسم خلف على ما لئنه فكانه قال له: قل والله ما أردت بهذا الطعن الخ فقال: والله. أي ما أردت ذلك (٢) كذا واهل فيها تحريفا وسقطا والمراد ظاهر من القرينة

يعرف الناس طلوع الفجر فيقوموا . فقال له مالك : لا تفعل ، لا تحدث في بلدنا شيئاً لم يكن فيه ، قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا البلد عشر سنين وأبو بكر وعمر وعثمان فلم يفعلوا هذا ، فلا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه ، فكف المؤذن عن ذلك وأقام زماناً ، ثم أنه تنحج في المنارة عند طلوع الفجر ، فأرسل إليه مالك فقال له : ما الذي تفعل ؟ قال : أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر . فقال له : ألم انتبهك أن لا تحدث عندنا ما لم يكن ؟ فقال : إنما نهيتني عن التشويب . فقال له لا تفعل . فكف زماناً . ثم جعل يضرب الأبواب ، فأرسل إليه مالك فقال : ما هذا الذي تفعل ؟ فقال : أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر . فقال له مالك : لا تفعل ، لا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه .

قال ابن وضاح : وكان مالك يكره التشويب — قال — وإنما أحدث هذا بالعراق . قيل لابن وضاح : فهل كان يعمل به بمكة أو المدينة أو مصر أو غيرها من الأمصار ؟ فقال : ما سمعت إلا عند بعض الكوفيين والاباضيين .

فتأمل كيف منع مالك من أحداث أصريخ شأنه عند الناظر فيه ببادي الرأي وجعله أصراً محدثاً ، وقد قال في التشويب : إنه ضلال . وهو بين ، لأن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، ولم يسامح للمؤذن في التنحج ولا في ضرب الأبواب ، لأن ذلك جدير بأن يتخذ سنة ، كما منع من وضع رداء عبد الرحمن ابن مهدي خوف أن يكون حدثاً أحدثه .

وقد أحدث بالمغرب المتسمى بالمهدي تشويباً عند طلوع الفجر وهو قولهم « أصبح لله الحمد » اشعاراً بأن الفجر قد طلع ، لإلزام الطاعة ،

ولحضور الجماعة، وللغزو لكل ما يؤصرون به. فيخصه هؤلاء المتأخرون
تشويهاً بالصلاة كالأذان. ونقل أيضاً إلى أهل المغرب الحزب المحدث
بالاسكندرية، وهو المعتاد في جوامع الاندلس وغيرها، فصار ذلك
كله سنة في المساجد إلى الآن، فانا لله وأنا إليه راجعون.

وقد فسر التشويب الذي أشار إليه مالك بأن المؤذن كان إذا أذن
فأبطأ الناس قال بين الأذان والإقامة: قد قامت الصلاة، حي على
الصلاة، حي على الفلاح. وهذا نظير قولهم عندنا: الصلاة - رحمكم الله.
وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه دخل مسجداً أراد أن يصلي
فيه، فثوب المؤذن، فخرج عبد الله بن عمر من المسجد، وقال: أخرج بنا^(١)
من عند هذا المبتدع. ولم يصل فيه. قال ابن رشد: وهذا نحو مما كان يفعل
عندنا بجامع قرطبة من أن يفرد المؤذن بعد أذانه قبل الفجر النداء عند
الفجر بقوله: حي على الصلاة. ثم ترك - قال - وقيل: إنما عني بذلك
قول المؤذن في أذانه: حي على خير العمل. لأنها كلمة زادها في الأذان
من خالف السنة من الشيعة. ووقع في المجموعة أن من سمع التشويب وهو
في المسجد خرج عنه كفعل ابن عمر رضي الله عنهما.

وفي المسئلة كلام المقصود منه التشويب المكروه الذي قال فيه مالك
إنه ضلال. والكلام يدل على التشديد في الأمور المحدثه أن تكون في
مواضع الجماعة أو في المواطن التي تقام فيها السنن، والمحافظة على المشروعات
أشد المحافظة، لأنها إذا اقيمت هنالك أخذها الناس وعملوا بها، فكان

(١) يظهر أنه كان معه صاحب قال له ذلك. وهل كان في كلام المصنف
تصريح بذلك سقط من الناسخين أم لا؟ الله أعلم.

وزر ذلك عائداً على الفاعل أولاً ، فيكثر وزره ويعظم خطر بدعته .
(والشرط الرابع) ان لا يستصغرها ولا يستحقرها - وان فرضناها صغيرة - فان ذلك استهانة بها ، والاستهانة بالذنب أعظم من الذنب ؛ فكان ذلك سبباً لعظم ما هو صغير . وذلك ان الذنب له نظران : -
(نظر) من جهة رتبته في الشرط ، ونظر من جهة مخالفة الرب العظيم به ؛ فاما النظر الاول فمن ذلك الوجه يعد صغيراً اذا فهمنا من الشرع انه صغير ، لانا نضعه حيث وضعه الشرع ؛ وأما الاخر فهو راجع الى اعتقادنا في العمل به حيث نستحرم جهة الرب سبحانه بالمخالفة ، والذي كان يجب في حقنا ان نستعظم ذلك جداً ، اذ لا فرق في التحقيق بين المواجهتين -
المواجهة بالكبيرة والمواجهة بالصغيرة .

والمعصية من حيث هي معصية لا يفارقها النظران في الواقع أصلاً ، لأن تصورهما موقوف عليهما ، فالاستعظام لوقوعها مع كونها يعتقد فيها انها صغيرة لا يتنافيان ، لانها اعتباران من جهتين : فالعاصي وان تعد المعصية لم يقصد بتعمده الاستهانة بالجانب العلي الرباني ، وانما قصد اتباع شهوته مثلاً فيما جعله الشارع صغيراً أو كبيراً ، فيقع الاثم على حسبه ، كما ان البدعة لم يقصد بها صاحبها منازعة الشارع ولا التهاون بالشرع ، وانما قصد الجري على مقتضاه ، لكن بتأويل زاده ورجحه على غيره ، بخلاف ما اذا تهاون بصغرها في الشرع ، فانه انما تهاون بمخالفة الملك الحق ، لان النهي حاصل ومخالفته حاصلة ، والتهاون بها عظيم ؛ ولذلك يقال : لا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى عظمة من واجهته بها .

وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع «أي يوم هذا؟» - قالوا: يوم الحج الاكبر. قال - فان دماءكم واموالكم واعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، لا يجني جان الا على نفسه، الا لا يجني جان على ولده ولا مولود على والده، الا وان الشيطان قد يئس الا يعبد في بلدكم هذا أبدا، ولا تكون له طاعة فيما يحقرون من أعمالكم فسيرضى به» ^(١) فقلوله عليه السلام «فسيرضى به» دليل على عظم الخطب فيما يستحق.

وهذا الشرط مما اعتبره الفزالي في هذا المقام، فانه ذكر في الاحياء ان مما تعظم به الصغيرة ان يستصغرها - قال - فان الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله، وكلما استصغره كبر عند الله. ثم بين ذلك وبسطه.

فاذا تحصلت هذه الشروط، فاذا ذاك يرجى ان تكون صغيرتها صغيرة، فان تخلف بشرط منها أو أكثر صارت كبيرة، أو خيف ان تصير كبيرة، كما ان المعاصي كذلك، والله أعلم.

*

(١) كذا في نسخة الكتاب. ولا أذكر لاحد روايته بهذا اللفظ. وفي حديث عمرو بن الاحوص عند أصحاب السنن ما عدا ابا داود «الا ان الشيطان قد أيس أن يعبد في بلدكم هذا أبدا، ولكن سيكون له طاعة في بعض ما تحقرون من أعمالكم فيرضى بها»

ترجمة الامام الشاطبي

من كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج^(١)

هو ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الفرناطي ابو اسحاق الشهير بالشاطبي، الامام العلامة، المحقق القدوة، الحافظ الجليل المجتهد، كان أصولياً مفسراً، فقيها محدثاً، لغوياً بيانياً، نظاراً ثبوتاً، ورعاً صالحاً، زاهداً سنياً، اماماً مطلقاً، مجتهداً مدققاً، جديلاً بارعاً في العلوم، من افراد العلماء المحققين الاثبات، واكابر الأئمة المتفنين الثقات، له القدم الراسخ والامامة العظمى في الفنون - فقها وأصولاً، وتفسيراً وحديثاً، وعربية وغيرها - مع التحري والتحقيق، له استنباطات جليلة، ودقائق منيفة، وفوائد لطيفة، وابحاث شريفة، وقواعد محررة محققة، على قدم راسخ من الصلاح والعفة والتحري والورع، حريصاً على اتباع السنة، مجانباً للبدع والشبهة، ساعياً في ذلك مع تثبت تام، منحرفاً عن كل ما ينحو للبدع واهلها، وقع له في ذلك امور مع جماعة من شيوخه وغيرهم في مسائل.

وله تأليف جليلة، مشتملة على ابحاث نفيسة، وانتقادات وتحقيقات شريفة. قال الامام الحفيد ابن مرزوق في حقه: انه الشيخ الاستاذ الفقيه الامام المحقق العلامة الصالح، ابو اسحاق. انتهى، وناهيك بهذه التحلية من مثل هذا الامام، وانما يعرف الفضل لأهله اهله.

اخذ العربية وغيرها عن أئمة، منهم الامام المفتوح عليه في فنها ما لا مظمع فيه لسواه، مجتهداً، وحفظاً، وتوجيهاً، ابن الفخار الألبيري. لازمه الى ان مات، والامام الشريف رئيس العلوم اللسانية، ابو القاسم السبتي، شارح مقصورة حازم، والامام المحقق اعلم اهل وقته، الشريف ابو عبد الله التلمساني، والامام علامة وقته باجماع، ابو عبد الله المقرئ، وقطب الدائرة، شيخ الجلة، الأمير الشهير، ابو سعيد ابن لب، والامام الجليل، الرحلة الخطيب، ابن مرزوق الجد، والعلامة المحقق

(١) تأليف أحمد بن أحمد بن عمر اقيت المعروف بابا التكروري ثم التنبكي

المولود سنة ٩٦٣ والتوفي سنة ١٠٣٢

المدرس الأصولي ، ابو علي منصور بن محمد الزواوي ، والعلامة المفسر المؤلف ابو عبد الله البلسني ، والحاج العلامة الرحلة الخطيب ابو جعفر الشقوري . ومن اجتمع معه ، واستفاد منه ، العالم الحافظ الفقيه ، ابو العباس القبّاب ، والمفتي المحدث ابو عبد الله الحفار ، وغيرهم .

اجتهد وبرع ، وفاق الاكابر ، والتحق بكبار الأئمة في العلوم ، وبالغ في التحقيق ، وتكلم مع كثير من الأئمة في مشكلات المسائل من شيوخه وغيرهم ، كالقبّاب ، وقاضي الجماعة الفشتالي ، والامام ابن عرفة ، والولي الكبير ابي عبد الله بن عباد . وجرى له معهم اجاث ومراجعات ، اجلت عن ظهوره فيها ، وقوة عارضته وامامته ، منها مسألة مراعاة الخلاف في المذهب ^(١) فيها له بحث عظيم ، مع الامامين القبّاب وابن عرفة . وله اجاث جليلة في التصوف وغيره . وبالجملة فقدرة في العلوم فوق ما يذكر ، وتحليته في التحقيق فوق ما يشهر .

الف تواليف نفيسة ، اشتملت على تحريرات للقواعد ، وتحقيقات لمهمات الفوائد . منها شرحه الجليل على الخلاصة في النحو ، في اسفار أربعة كبار ، لم يؤلف عليها مثله بحثا وتحقيقا فيما اعلم . وكتاب (الموافقات) في أصول الفقه سماه « عنوان التعريف باصول التكليف » كتاب جليل القدر جدا لا نظير له ، يدل على امامته ، وبعد شأوه في العلوم ، سيما علم الاصول . قال الامام الحفيد بن مرزوق : كتاب الموافقات المذكور ، من انبل الكتب ، وهو في سفرين . وتأليف كبير نفيس في الحوادث والبدع في سفر في غاية الاجادة ، سماه (الاعتصام) وكتاب (المجالس) شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاري . فيه من الفوائد والتحقيقات ، ما لا يعلمه الا الله . وكتاب (الافادات والانشادات) في (كراسين فيه طرف وتحف ، وملح ادبيات وانشادات . وله ايضا كتاب (عنوان الاتفاق ، في علم الاشتقاق) وكتاب (اصول النحو) ، وقد ذكرهما معا في شرح الألفية . ورأيت في موضع آخر انه اتلف الاول في حياته وان الثاني اتلف ايضا . وله غيرها ، وفتاوي كثيرة

ومن شعره لما ابتلي بالبدع :

(١) اشار الى هذه المسألة في المقدمة الثالثة عشرة من كتاب الموافقات

بليت يا قوم والبلوى متنوعة بن اداريه حتى كاد يرديني
دفع المضرة لا جلبا لمصلحة فحسبي الله في عقلي وفي ديني
انشدها تلميذه الامام ابو يحيى بن عاصم له مشافهة .

اخذ عنه جماعة من الأئمة كالامامين العلامتين ، ابي يحيى بن عاصم الشير ،
واخيه القاضي المؤلف ابي بكر بن عاصم ، والشيخ ابي عبد الله البياني ، وغيرهم .
وتوفي يوم الثلاثاء ثامن شعبان سنة تسعين وسبعائة ولم اقف على مولده رحمه الله .
(فائدة) وكان صاحب الترجمة ممن يرى جواز ضرب الخراج على الناس ،
عند ضعفهم وحاجتهم ، لضعف بيت المال عن القيام بمصالح الناس ، كما وقع
للشيخ الملقب في كتاب الورع . قال : توظيف الخراج على المسلمين من المصالح المرسلة ،
ولا شك عندنا في جوازه ، وظهور مصلحته في بلاد الاندلس في زماننا الآن ،
لكثرة الحاجة لما يأخذه العدو من المسلمين ، سوى ما يحتاج اليه الناس ، وضعف
بيت المال الآن عنه ، فهذا يقطع بجوازه الآن في الأندلس ، وانما النظر في القدر
الحاجة اليه من ذلك ، وذلك موكل الى الامام ، ثم قال اثناء كلامه : ولعلك تقول
كما قال القائل لمن اجاز شرب العصير بعد كثرة طبخه وصار رُبًّا : احللتها
والله يا عمر . يعني هذا القائل احللت الخمر بالاستمرار الى نقص الطبخ ، حتى تحل
الخمر بمقالك ، فاني اقول - كما قال عمر رضي الله عنه : والله لا احل شيئا حرمه الله ،
ولا احرم شيئا احله ، وان الحق احق ان يتبع ، (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)
وكان خراج بناء السور في بعض مواضع الاندلس في زمانه موظفا على
اهل الموضع ، فسئل عنه امام الوقت في الفتيا بالاندلس الاستاذ الشهير ابو سعيد
ابن لب ، فأفتى انه لا يجوز ولا ينوغ ، واقى صاحب الترجمة بسوغه ،
مستندا فيه الى المصلحة المرسلة ، معتمدا في ذلك الى قيام المصلحة ، التي ان لم
يقم بها الناس فيعطونها من عندهم ضاعت . وقد تكلم على المسئلة الامام الغزالي
في كتابه ، فاستوفى . ووقع لابن الفراء في ذلك مع سلطان وقته وفقهائه كلام
مشهور ، لا نطيل به .

وكتب جوابا لبعض اصحابه في دفع الوسواس العارض في الطهارة وغيرها

« وصلني جوابكم فيما تدفعون به الوسواس ، فهذا امر عظيم في نفسه ، وانفع شيء فيه المشافهة ، واقرب ما اجد الآن ، ان تنظروا من اخوانكم من تدلون عليه وترضون دينه ، ويعمل بصلب الفقه ، ولا يكون فيه وسوسة ، فتجعلونه امامكم على شرط أن لا تخالفوه ، وان اعتقدتم ان الفقه عندكم بخلافه ، فاذا فعلتموه رجوت لكم النفع ، وان تواظبوا على قول « اللهم اجعل لي نفسا مطمئنة توقن ببقائك ، وتقتنع بعطائك ، وترضى بقضائك ، وتخشاك حق خشيتك ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » فانه نافع للوسواس ، كما رأيت في بعض المنقولات .

وكان يقول : لا يحصل الوثوق والتحقيق بشأن الرواية في الأكيال المنقولة بالأسانيد ، واختبرت ذلك فوجدت الأكيال مختلفة ، متباينة الاختلاف ، وهي ذوات روايات ، فالكيل الشرعي تقريبا منقول عن شيوخ المذهب ، يدركه كل احد ، حفنة من البر أو غيره بكتبا اليمين مجتمعين ، من ذوي يدين متوسطتين ، بين الصغرى والكبرى ، فالصاع منها اربع حفنات ، جربته فوجدته صحيحا . فهذا الذي ينبغي ان يعول عليه ، لانه مبني على اصل التقريب الشرعي ، والتدقيقات في الامور غير مطلوبة شرعا ، لانها تنطع وتكلف ، فهذا ما عندي .

ومن كلامه : اما من تصف وطلب المحتملات ، والغلبة بالمشكلات ، واعرض عن الواضحات ، فيخاف عليه التشبه بمن ذمه الله في قوله (فاما الذين في قلوبهم زيغ) الآية .

وكان لا يأخذ الفقه الا من كتب الاقدمين ، ولا يرى لأحد ان ينظر في هذه الكتب المتأخرة ، كما قرره في مقدمة كتابه الموافقات وترد عليه الكتب في ذلك ، من بعض اصحابه ، فيوقع له : واما ما ذكرتم من عدم اعتمادي على التأليف المتأخرة ، فليس ذلك مني محض رأي ، ولكن اعتمدته بحسب الخبرة عند النظر في كتب المتقدمين مع المتأخرين كابن بشير ، وابن شاس ، وابن الحاجب ، ومن بعدهم ، ولان بعض من لقيته من العلماء بالفقه ، اوصاني بالتعالي عن كتب المتأخرين ، واتى بعبارة خشنة ولكنها محض النصيحة ، والتساهل في النقل عن كل كتاب جاء لا يحتمله دين الله . ومثله ما اذا عمل الناس بقول ضعيف ، ونقل عن بعض

الأصحاب ، لا تجوز مخالفته ، وذلك مشعر بالتساهل جدا ، ونص ذلك القول لا يوجد لاحد من العلماء فيما اعلم .

والعبارة الخشنة التي اشار اليها ، كان ينقلها عن صاحبه ابي العباس القصاب انه كان يقول في ابن بشير وابن شاس : افسدوا الفقه . وكان يقول : شأني عدم الاعتماد على التقايد المتأخرة . اما للجهل بمؤلفيها او لتأخر ازمتهم جدا ، فلذلك لا اعرف كثيرا منها ولا اقتنيته ، وعمدتي كتب الأقدمين المشاهير . ولتقتصر على هذا القدر من بعض فوائده .

الجنسيات في المملكة العثمانية

٢

بيننا في المقالة الاولى من هذا البحث ان الحكومة العثمانية الاتحادية تركت في طورها الاخير عقاب من يلهمج بالعرب والعربية من اصحاب الجرائد العربية وغيرهم ، وان العرب لم يغفلوا في إحياء الجنسية العربية كما غلت الجمعيات والجرائد التركية ، التي جاهرت بالدعوة الى كل شيء في الدولة تركيا . بالقول والفعل ، وهجر اسم «العثمانية» ولم نسمع لاحد من كتاب الترك صوتا في انكار هذا الغلو والانتصار للجامعتين الاسلاميه والعثمانية على التركية الا لعلي بك كمال ، فقد كتب في جريدة (بيام) ردا على أولئك الغلاة بين فيه ان الحياة التركية ، لا تقوم الا بالجامعة العثمانية السياسية ، وان المجاهرة بمحصر كل شيء في الترك والتركية يبعث العرب والكرد وغيرهم من العناصر العثمانية الى مثل هذه الدعوة فلا يبقى للترك شيء . واشتدت المناظرة بينه وبين (اقچورا) وغيره من غلاة الجنسية التركية حتى انتهت الى السباب والشتم وكان مما كتبه (اقچورا) في (تورك بوردي) بالاستانة في اوائل ربيع الآخر من هذا العام ما ترجمته باختصار والاجمال :

«يجب ان نعود الى الحقائق فنقررها . ما العثمانية ؟ وماذا لا تقول التركية ؟ أليست العثمانية نسبة الى عثمان التركي ؟ ان الحقيقة تغلب الخيال ، ومن الحال العقلي ان تظل هذه العناصر المتباينة مرتبطة بعضها ببعض وراء ستار وهمي ، وتحت اسم خلق بال !

« يجب علينا مادام في استطاعتنا الحياة ان نعلم الى الجيش والاسطول والعلوم والآداب والشرائع والقوانين وكل شيء فنصبغه بالصبغة التركية المحضة (ليت شعري هل تدخل الشريعة الاسلامية في هذه الشرائع التي عناها ام هم في غنى عنها لان الله تعالى يقول « إنا انزلناه حكما عربيا » ؟)

« يجب ان نعلم اننا من أمة ظهر فيها قواد اعظم من نابليون . وعظماء اشهر من يوليوس قيصر ، وشعراء اكبر من هيفو . وان في استطاعتنا ان نفعل ما يفعله الجرمان والسكسونيون لحياة قومهم ، فلا ينبغي ان نظل مقيدين بالاوهام والخرافات الماضية »

وقد انهزم علي كمال بك امام حملات الغلاة واضطر الى مجاراتهم . واننا نرى اشد كتاب العرب لهجا بالعربية لا يعدون غلاة بالنسبة الى الكتاب المعتدلين من الترك بل يعدون مقصرين ، وان جماعة حزب اللامركزية لم يجعلوا مسألة الجنسية العربية من موضوع حزبهم ، الا اذا كانت المحافظة على اللغة العربية بين اهليها بعد دعوة الى الجنسية العربية . ولهذا انكرنا على ذلك الكاتب العربي رميهم بالعصبية الجنسية التي ذمها ذما اسلاميا ، وجعلها هادمة للاسلام ! كأن الاسلام الذي دخل فيه يموت بحياة لغته العربية ، ويحيا باللغة التركية !

استدلنا بتخصيص الحزب بهذا الذم وبسكونه عن غلاة العصبية التركية ، على انه لم يكتب ما كتب الا ترفعا ونفاقا ، وجعل اسم الدين الاسلامي شبكة لصيد المال والجاه . ولو أنكر على أولئك الغلاة والمعتدلين في العصبية الجنسية ، واتبع هواه باضافة اللامركزيين اليهم ، واشرا كه معهم ، لما اعتقدنا فيه كل هذا الاعتقاد

سلكت الجماعات العربية كلها مسلك الاعتدال فيما تطلبه لامتها من الدولة وفيما تنصح به للامة ، الا ما عرض لجماعة البصرة ، فقد كان في بعض كلامها شيء من الشدة ، ثم كان زعيمها السيد طالب بك النقيب ساعد الحكومة وعضدها في عقد الوفاق بينها وبين الامير عبد العزيز بن سعود أمير نجد ، وفي غير ذلك مما عهدته اليه من خدمتها في تلك البلاد ، وقد تبرع هو ووجهاء البصرة للاسطول وغير الاسطول بمبالغ قلما رأت مثلها الدولة من بلد آخر . على انها لم تجيهم الى شيء مما طلبوه من الاصلاح . فكان ذلك دليلا على ان اشد العرب في ولايات الدولة شكامة ، وأقوام عصبية ، لا يني ولا يقصر في خدمتها ، اذا هي أظهرت الثقة به ، وعهدت اليه بعمل بعمله .

الجنسية اللبنانية

نعم ان بعض الجرائد والجمعيات اللبنانية ، قد غلت في الدعوة الى الانسلاخ من كل صفة عثمانية ، والاستقلال بجنسية لبنانية لا عربية . فلينان يتمتع باستقلال داخلي لا يشاركه في مثله جبل من الجبال ، ولا سهل من السهول ، ولا ولاية ولا مملكة في الارض ، حتى قال الدكتور يعقوب صروف - وهو من يفخر لبنان بمكانه من العلم والفلسفة ومعرفة شؤون العالم - : ان كل تغيير يطرأ على نظام لبنان يكون شراً ، اذ لاخير مما هو عليه . ولكن كثيراً من اللبنانيين لا ينظرون الى هذه النعمة بالعين التي ينظر بها هذا العالم الخبير ، فترى صراخ شكواهم قد ملا فضاء امريكا الشمالية والجنوبية ومصر ، وثقلت الجرائد صدها الى كل قطر يوجد فيه لبنانيون أو سوريون . فمنهم من يدعو الى الاستقلال التام ، ومنهم من يدعو الى احتلال فرنسا للبلاد . ولهم عدة جمعيات سياسية يشترك فيها ألوف منهم في الوطن وفي ديار الهجرة من مصر الى أوربة وامريكا وغيرها من الممالك .

وقد قرأنا كثيراً من مقالاتهم وقصائدهم وانشيدهم الاستقلالية فرأيناهم يفخرون فيها بعراقة هذا الجبل في الاستقلال ، وامتناعه على الفاتحين من جميع الامم والاجيال ، أي فهم لا يطلبون الآن ، الا الاستقلال الذي كانوا متمتعين به في كل زمان . وقد جددوا لا تقسمهم علما وطوايع يريد ، ومنهم من يختار الاستقلال تحت حماية فرنسا والاستقلال بعلمها . وقد عرف أهل الحافقين ما كان من مبالغة أهل الجبل في الحفاوة بضباط الاسطول الفرنسي والمظاهرات الولائية لهم عند ما زاروا بطرك الموارنة وبعض البلاد منذ اشهر ، اذ كان الاسطول في مياه بيروت . وبلي ذلك ما كانت لسيو جورج يكو قنصل فرنسا عند ما زار لبنان مصاحباً لسيو مورسي بارس احداً أعضاء مجلس النواب الفرنسي . وهذا النوع من الاحتفالات والمظاهرات قد تكرر ، وتكررت الوعود من فرنسا بأمانة الجبل ما يريد .

لسنا نريد الاستقصاء التاريخي في هذه المسائل فنفصل القول فيه ، ولا الانتقاد على الغلو والشذوذ الذي كان يتخلل ذلك مما لا يعهد له نظير للاجانب في مملكة من الممالك ، فتتبع من ذلك ما قيل وما كتب ، وما انتقده بعض المسلمين في جرائد بيروت على ذلك وما رد به اللبنانيون على هؤلاء . وانما نريد أن نبين بالاجمال ان اللبنانيين منهم المعتدلون فيما ينعمون من الدولة وما يطلبون لبلادهم ، ومنهم الغلاة . وأن ذلك المكاتب العربي المدافع عن الجامعة العثمانية أو الجامعة الاسلامية ، المعادي للجنسية العربية والموضعية (كالبناية) لم يكتب كلمة في انتقاد هؤلاء الغلاة من

أبناء وطنه ، وأن منهم مؤسسو حزب اللامركزية ، الذين لم يدخلوا حزبهم في باب مباحث المسألة الجنسية .

وأما ثبت ما قلناه عن اللبنانيين أولاً فنشر ما جاء في جريدة الهدى التي تصدر في نيويورك من مطالب جمعية النهضة اللبنانية التي يرأسها مدير تلك الجريدة وهذا نصه :

من مبادئ النهضة اللبنانية ومنازعتها

« لسلك امرئ من دهره ما تعودا ، وما تعودناه ان نصون الوعد فلا نخلفه ، والعهد فلا نخفره ، وان نكث الناكثون ، وعيث العاثون ، مستأثرين بإيام ، نرجو ان تنقضي على سلام ، فلا يلثم فيها احد ، بما يحينه من القيش والقند .

أرسلنا في « الاغراض من سياحتنا » كلمة ، وترمل الآن في بعض مبادئ النهضة اللبنانية أخرى نحن دون احد من الناس المسئولون عنها .

كنا في رحلتنا نبشر بهذه المبادئ بلساننا ، ونحن الآن نبشر بها بقلوبنا ، الى ان تعود الخطابة ، فتنب عن الكتابة .

اللبنانيون مظلومون وظالمون — مظلومون لان السلطة ضعيفة ضاغطة وجائرة ، وظالمون لانهم وهم تحت الضغط والجور يتناذرون ويتطاحنون مؤثرين الخصوصيات على العموميات . فيجب على خدمتهم — ونحن منهم — التجرّد في النصح لهم ، والدعوة الى ما فيه صلاحهم ونجاحهم ، ووضع مبادئ يقوم عليها حزبهم السياسي الاكبر المدعو « النهضة اللبنانية » .

قد يقوم من اللبنانيين انفسهم من يتاكر ويصادر ، ويشاكس ويعاكس ، ولكن لبنانية المذاقين هؤلاء غير صحيحة ، لقيامها على التعصب والحزب والتمكيد والفواقة . والحق ظافر ، والاخلاص ظاهر .

فمن مبادئ النهضة اللبنانية

١ جمع اللبنانيين بدين الوطنية الشامل الكامل القاضل « وتزيق الانجيل الطائفة ايسلم انجيل المسيح » وما يقال عن الانجيل يقال عن القرآن والتلمود وكل كتاب مقدس عند اهل . إلا ان ذلك لا يعني الكفر ولا التعطيل ، فليعبد الناس إلههم في كنيستهم وكنيسهم وجامعهم وخلوتهم وتحت افياء الشجر وظلال الصخور اذا شاؤوا وانما فليجتمعوا (؟) بدين الوطنية الواحد وهم المفلحون .

٢ استقلال المهاجرين « بنهضتهم اللبنانية » ما زال الاصلاح لا يتم الا عن طريق المهاجرة وعلى هم المهاجرين . الا ان هذا الاستقلال لا يعني الاقصال ، بل

توحيد قوة المهاجرين ما بين القطبين وجعلهم قوة واحدة تسمى للإصلاح سعيًا مجردًا صادقًا، إلى أن ينفلت المتخلفون من قيود الوظائف، ويكشفوا عنهم غيوم السفسف، التي لا يزال حتى في المهجر أثر مجلوب (?)

٣ - طلب أمير اجني من دول أوروبا الست الضامنة استقلال لبنان تكون غايته غايتنا ومصالحته ومصالحتنا، ولتتنا لغته ولغة اولاده، فلا يكون دخيلاً لا يشمر بشمورنا، ولا يهمه وهو المرجع الأكبر في الجبل أن يتعلم لغة الناس فيه ليكون حكمه معقولاً وقضاؤه مقبولاً - أمير اجني يكون لنا ما كان مثله لرومانيا وبلغاريا واليونان وألبانيا ولا تعود تهمة « المدة » تنقضي، وينقضي الاهتمام بعد الابتداء بها بإيام - الشعب الخامل الغافل يرضى بحاكمه وقاضيه دخيلاً اعجمياً لا يشمر معه ولا يفهم لغته ليقضي بالمدل، ولا يهمله إلا تناول المرتب ورباً الرشوة (?) مباشرة وبواسطة، وتفرق الناس لاتخاذ الاحزاب منهم. وقد يكون وضيقاً قبل أن يصير حاكماً بلقب كبير ومرتب كبير وتغطرس كبير وعمل صغير.

٤ - ارجاع لواء لبنان إليه فان لكل شعب على شيء من الاستقلال راية او علماً او لواء الا لبنان الذي كان منذ بدء التاريخ على كثير من الاستقلال حتى وقوع حوادثه الاخيرة التي زعم انه نال بعدها حكماً ذاتياً لا نرى له اثرًا

٥ « تعديد لبنان بعد تخلصه » اي اعادة حدوده الاولى والطبيعية اليه ما بين نهري القاسمية والعاصي. ومعنى ذلك ان تكون حدوده كما كانت على عهد امرائه الاصلاء من القاسمية الى جبل الشيخ الى لبنان الشرقي الى حصن فالنهر الكبير وهي حدود تتناول بيروت وطرابلس وصيدا والسهول المحيطة به - اللبنانيون لا يطلبون التوسع بهذه المطالب بل اعادة الحدود التي انتزعها المنتزعون اليهم

٦ - اعادة الجمارك والبريد والبرق الى لبنان لان الدولة « ضمتها من لبنان ضماناً » ولكنها لم تنفذ بشروط الضمان ولم تدفع الى لبنان ما هو من حقوقه ولكل صاحب ملك حق باستعادة ملكه الذي لا يدفع الضامن ضمانه او المستأجر اجرتة، فضلاً عن ان اللبنانيين لم يطلبوا المرافىء لتسكون بغير جمارك، ولا البريد ليظل عمال الانراك عابثين ومتلاعبين به و باقدس اسرارهم وغير حافلين بغير سرقة الحوالات المالية حتى من الكتب المضمونة وبمصادرة الصحافة الحرة لئلا يستفيق الشعب من غفلته

٧ - جعل كل قدم تنكسر عليها امواج البحر المتوسط من شواطئ لبنان مرفأً له اذا شاء اللبنانيون عدم الاكتفاء بجونة والنبي يونس .

٨ - اطلاق حرية الفكر والخطابة والكتابة وانشاء الجمعيات اذ لا يوجد في نظام لبنان ما يحول دون ذلك و لولا انتصاب التماثيل الشمعية المحركة بزنا برك (?) الما رب

والمفاسد في مجلس ادارة لبنان - ان مجلس ادارة لبنان هو المجلس المشترع في الاصل ويجب ان يكون الا كفاء دون سواهم فيه لا ان يجاز القمار ، الذي هو على كل شعب متمدن عار ، لمجرد ان اعضاء مجلس الادارة مقمرون ... - ان حرية الصحافة ضرورية للبنان الا اذا رضي مجلس الادارة بان يكون خائنا متلاعبا خوفا من الانتقاد وعملا بالاستبداد ولكن كم يطول هذا الوقت ... - يجب ان يكون لبنان في الشرق مثل سويسرا في أوروبا فهل تحرك « التماثيل » لبقاء آثار وطنية لا آثار عار واقدار !!!

٩ اقامة مندوب في أوروبا يمثل اللبنانيين ويطالب بحقوقهم ولا يكون له اهتمام بغير مفاوضة الدول الضامنة استقلال لبنان ومساوئمة وزاراتها الخارجية بكل ما يحتاج اليه الجبل

١٠ اقامة « رقيب » على الحكومة اللبنانية في نفس لبنان يناصر الا كفاء المخلصين للوطن ويصادر الادبيات الخونة فيه وينشئ الفروع للنهضة في كل قضاء ومديرية وبلدة ويكون الحزب من ورائه يشد أزره وأزر كل مندوب أمين .

١١ ما زالت اكثرية المهاجرين من اللبنانيين فيجب (؟) ان يكون القناصل في كل مهجر من المهاجرين اللبنانيين او يستغنى عنهم وتفاوض قناصل الدول الضامنة في امر حماية اللبنانيين ومصالحهم .

١٢ انشاء مدارس عمومية في لبنان تعلم فيها لغة البلاد قبل سائر اللغات وتنصرف فيها الهم الى تعليم الصناعة والتجارة والزراعة والتعدين وغير ذلك مما يحتاج اليه اللبنانيون ويجب ان يوضع للبنان تاريخ صادق وخريطة صحيحة لمدارسه العمومية . والهدى الذي يقترح هذا الاقتراح يقوم بتفقات الطبع فلا نطل نتعلم تواريخ الامم الغربية وحدودها ونجهل تاريخنا وحدود بلادنا

١٣ وضع قانون عام للنهضة اللبنانية لا يجوز لاي فرع منها الزيادة عليه او الحذف منه الا في الترتيبات المحلية التي لا علاقة لها بالمبادئ ويجب ان يكون المركز الرئيسي للولايات المتحدة وكندا والمكسيك وجزائر الهند الغربية وبعض الجمهوريات اللاتينية واحدا في نيويورك اما في سائر المهاجرين فيجب ان يكون النظام واحدا باستقلال كل بلاد بنهضتها وفروعها بشرط التقيد « النظام الواحد » الاشتراك في العمل الواحد على حد ما هي الولايات من « مركز الاتحاد » او مقاطعات من العاصمة (؟؟)

١٤ اصدار كتاب كل عام من اقلام ادباء النهضة اللبنانية في كل بقعة من العالم تكون مواضعه الاصلاح والتربية والسياسة والاجتماع والتعليم وفروعه وغير ذلك

مما تدعو اليه الحاجة ويجب ان تكون اسماء الاعضاء وبيان الدخل والخرج في آخر هذا الكتاب مع قانون النهضة المعدل .

١٥ تعديل قانون النهضة اللبنانية عند التمام كل مؤتمر تعقده يكون مؤلفا من نواب كل فرع مستقل او مرتبط في مدينة متوسطة وموافقة للجميع وقبل انتهاء مدة المتصرف بسنة (??)

١٦ من حق كل مشترك في النهضة اللبنانية التصويت لمرشحي المركز الرئيسي مباشرة لمن كان غير منضم الى فرع او بواسطة الفرع الذي يكون منه ويعلم التشريع مقدما

١٧ للمرأة الحقوق الوطنية بالانضمام الى النهضة اللبنانية وانشاء الفروع لها او بالاقتابات عموما (?)

١٨ الذي مع المتولين لانشاء الشركات على اختلافها لا تكون النهضة فيها الا منشطة (?) وتكون كل شركة مستقلة ادارتها ونظامها - الشعب الذي لا يتحد في الشركات لا يستطيع الاتحاد في غيرها وبكل اسف نقول انه لا يكون ارتقى كثيرا .

١٩ المدول عن التبرعات للمشاركة المدعوة في الوطن عمومية وهي خصوصية لم يتم منها حتى الآن مشروع واحد على ما نعلم بعد جمع عشرات ألوف الدولارات ولا سيما ان (?) فضل المهاجرين غير معترف به واذا كان من اعتراف فبتفوق عليهم (?)

وبذكر واجب لا ندري مصدره قبل الاعتراف المخلص بالمساواة (?) - المهاجرون ساعدوا كل مشروع وهمي في الوطن منذ ثلاثة عقود من السنين ولم يساعدوا المتخلفون بشيء حتى في اصلاح البلاد فمن العدل ان يعدلوا عن الاستئثار الى الخدمة

الوطنية المتساوية وامام المهاجرين واجبات كثيرة من الضروري القيام بها - يجب المدول عن التبرعات الى ان يتم المشروع الوطني على الاقل

٢٠ تكافل المهاجرين والمتخلفين في كل ما يعود على الوطن بالاصلاح والرقى

٢١ الاهتمام بالجندية اللبنانية اهتماما تنظر فيه النهضة

٢٢ بذل العناية التامة لانجاح قلم المهاجرة وصون اموال واعراض المهاجرين الجدد

٢٣ اذا كان المهاجرون مطالبين بالاموال الاميرية وسائر الضرائب فمن الواجب ان يكون لهم رأي في حكومتهم واعمالها واقتاناتها .

٢٤ عضو مجلس الادارة « شيخ مشرع » او « سنانور » فمن الطار على البلاد ان يكون غير متعلم ولا متعذب ان لم يكن متشرعا

٢٥ ترمي النهضة اللبنانية الى انشاء مدرسة داخلية في امريكا الشمالية لاجل اللغة العربية و بهاء الوطنية وتنشئة الصغار على المبادئ القويمة واهم ما ترمي اليه حمل مدارس الوطن على تعديل انظمتها فلا يتفق التلميذ ربع عمره قاتلا ويخرج بعد هذه الخسارة غافلا

٢٦ جعل لبنان مصيفا جميلا وقيا بالآداب والاخلاق مثله بالمناظر والماء والهواء (١)
٢٧ تحويل افكار المهاجرين عن اقامة الدور والقصور - الا ما كان ضروريا - الى انشاء المعامل والعناية بالزراعة والصناعة واستشارة دفاين كنوز لبنان
٢٨ تعليم الاقتصاد على انواعه وترويج المصنوعات والمستغلات الوطنية
٢٩ تحويل اعضاء النهضة اللبنانية دون الخلافات الطائفية والقومية والبلدية والفصل بين المختلفين منهم في محاكم النهضة الخصوصية الا اذا عجز التوفيق
٣٠ انشاء جريدة رسمية مساهمة في كل بلاد فيها مركز رئيسي للنهضة وانشاء مجلة نسائية عند الحاجة والمقدرة

٣١ الاهتمام بالشرف التجاري الضروري للمهاجرين
٣٢ السعي لاقامة رؤساء اساقفة في المهاجر للطوائف النائية امتيازات في الوطن لصون الشرف ومنع الاستئثار اسوة بالطوائف الممتازة في أوروبا
٣٣ مساعدة نوابغ اعضاء النهضة او نوابغ ابناءهم
٣٤ عدم مساعدة الكنائس الا اذا كان لها مدارس في الوطن والمهجر
٣٥ التفاهم مع رؤساء الاديان لخدمة الشعب وافادته بتنفيذ غاية الواقفين من الاوقاف دون تعرض لاي حق راى لهم
٣٦ يجب اقامة وكلاء للنهضة حيث لا يوجد فروع او حيث يكون انشاء الفروع مبددا لا موحدا

٣٧ مرتب الدخول دولار واحد في السنة يجب ايصاله الى المركز الرئيسي من كل عضو في النهضة الا اذا شاء العضو التبرع. اما الفروع فلها ان تتفاهم مع الاعضاء على طرائق القيام بالنفقات المحلية (١)

٣٨ ينتخب نائب الرئيس وامناء الصندوق والمديرون من التجار اما الرئيس فيجب ان يكون غير تاجر صوتا لحقوق مصالح سائر التجار

٣٩ لا يقبل الاممي - الذي لا يحسن القراءة - عضوا الا في السنين الخمس بعد اعداد القانون الاساسي ولا يقبل غير المستقيم على الاطلاق

٤٠ يجب ترغيب الشبان في تعلم الصناعات والفنون استعدادا لخدمة الوطن بما يكونون تعلموه

٤١ يعتبر مفشي أسرار الجمعية « خائنا » ويطرد بعد المحاكمة

٤٢ لا يقبل عضو في النهضة كل (?) من يكون منتظما في سلك جمعية في مبادئها ما يخالف مبادئ النهضة اللبنانية

٤٣ للجمعية شارة وكلمة تعارف وقوانين تعرف من النظام العمومي بعد طبعه

٤٤ تسمى النهضة اللبنانية لأحياء ذكر النوابع في العلم والوطنية من رجال ونساء بطبع نتاج قرائهم وإقامة تماثيل للعظماء منهم

٤٥ من مساعي النهضة اللبنانية إنشاء المتاحف الوطنية وصون كنوز الحفريات والماديات وحفظ كل ما يهتم القوم الرافقي (?) بحفظه

٤٦ يجب أن يكون لنا « جمعية علماء » تبذل منتهى العناية بأحياء اللغة والفنون الجميلة ومنها تفرع فروع العلوم والتاريخ والجغرافيا وغير ذلك

هذا أهم ما مر في خاطرنا من المبادئ والمنازع التي قبل المسؤولية عليها دون أحد من الناس ولنا في أكثر هذه البنود كلام تبسط فيه ونرجو أن يكون عند صادقي الوطنية مقبولا

الا أننا لا ندعي بأن ما جئنا به يجب أن يعتبر فصل الخطاب وإنما أردنا أن نوقف الشعب على الأهم من مرامي هذا الحزب الأكبر المدعو نهضة لبنانية وهو حزب لم يظهر مثله حتى يومنا هذا في العالم العربي ولا النضوي تحت لواء أي جمعية عربية العدد المنضوي تحت لوائه

في كل مصر وقطر انصار لهذا الحزب لا نعلن أسماء جميعهم لحوائل سياسية ونؤكّد للبنانيين أننا بعد سنة واحدة نصبح ٢٥ ألفا في المهاجر وحدها فمن كان مؤمنا بكتاب اللبنانية الشريف فليحمل لواءه بالإخلاص خفاقا، وينشر تعاليمه بالوطنية نطقا، والفوز للمجاهدين اهـ

(المنار) نشرنا هذه المقالة بحرف وفيها ووضعنا بجانب بعض المفردات والجل علامة (?) للإشارة إلى ما فيها من خطأ أو ضعف لفظي أو معنوي (ولولا أن استحسننا إنشاء الكاتب لما أشرنا إلى ذلك). ويظهر منها أن هذه الجمعية سياسية علمية اقتصادية أدبية خيرية سرية جهرية. وفي هذه المواد المنشورة تعارض وتهافت، يعني بعضها بملكة مستقلة، كما بني بعضها على تسمية مبهم. وأهل رئيس النهضة البارع يضحونها ويرتبها بعد إعادة النظر فيها. ولا نسأل عن القوة التي يؤسس المهاجرون بها هذا الملك العظيم

ولنرد ما تقدم بيانا بنقل النبعة التالية من جريدة ابي الهول التي تصدر في البرازيل وهي :

أنا لبناني

ليقرأها اللبنانيون بتمعن !!

لا تصبح الامة امة حقيقية ولا يستتب لها كيان الا متى نمت في صدور اغليتها عاطفة حب الوطن ، وكان هذا الحب مؤسسا على معرفة تاريخها ، وما التاريخ الا قطعة من قلب الامة ، وما أبناء هذا الجيل الا أحفاد أجيال اذا تناسيناها مسحنا هوسنا وانكرنا الاصول التي انما نحن لها فروع

ولقد اثبت المدققون ان قوة الشعوب الحقيقية قائمة في ايمانها الوطني ، وعرف العالم باجمعه ان العثماني قد غلب في الحرب البلقانية لانه فاقد هذا الايمان ، وان الامم البلقانية لم تنتصر ذلك الانتصار الباهر الا لامتلاكها القوة الادبية علاوة على قواها الحربية

ومن الثابت ان السرب مثلا قد انتصروا لانهم بأجمعهم - من القائد الكبير الى الجندي الصغير - كانوا قد رسموا في قلوبهم وأدمغتهم تذكارا تاريخهم القديم الذي طمست به سنوات الحكم العثماني عليهم

وفي سنة ١٩٠٧ تشكلت لجنة نيابية سرية لفحص حالة استعداد الجيش العامة ، وارادت اللجنة ان تعلم مقدار معرفة الجنود تاريخ بلادهم فوقعت القرعة على فرقة من الفرق المقيمة في أقصى ارجاء سربيا فالتفت على كل من الجنود الاسئلة العشرة التالية :

ما ذا تعرف عن كرايفتش ما ركوا ؟ وعن ميلوش اوبليتش ؟

عن الامير لازار ؟ وعن الامبراطور دوشان ؟

عن موقعة قوصوه ؟ وعن كاراجورجس ؟

عن الامير ميلوش وما هو اسم الملك الحالي ؟

واسم ولي العهد وهل يوجد سربيون خارج سربيا ؟

فأبدت الاجوبة ان مائة في المائة من الجنود يعرفون ان « كرايفتش ما ركوا » ملك سربيا وبطل التاريخ الوطني كان آخر حماة استقلال سربيا ضد الاتراك

ومائة في المائة يعرفون ان السربي « ميلوش اوبليتش » قتل السلطان مراد

في موقعة قوصوه سنة ١٣٨٩

(المنار - ج ٨ م ١٧) تأسى اللبنانيين بالسريين في السعي للاستقلال ١٢٥٠

ومائة في المائة يعرفون ان الامير « لازار » قاد الجيش السري في معركة قوصوة وقتل فيها

وثمانون في المائة يعرفون ان الامبراطور « دوشان » المتوفى سنة ١٣٥٥ كان اعظم ملوك سوريا القديمة

ومائة في المائة يعرفون ان الامبراطورية السرية قد سقطت في موقعة قوصوة واثنتان وستون في المائة يعرفون ان « كراجورجس » كان زعيم الثورة الاولى السرية ضد الاتراك سنة ١٨٠٤ - ١٨١٣

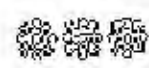
وتسعة وخمسون في المائة يعرفون ان الامير « ميلوش » قاد الثورة الثانية التي ولدت منها سوريا الحالية سنة ١٨١٥

واثنان واربعون في المائة يعرفون اسم الملك الحالي

وثلاثة وعشرون في المائة يعرفون اسم ولي العهد

وثمانية وتسعون في المائة اجابوا انه يوجد سريون كثيرون خارج سوريا فهذه النتائج تثبت بوضوح ان الشعب السري باجمعه كان - مائة شهر الحرب على تركيا - متشبها بذكارات تاريخه الوطني البعيدة والقرية ومعتقدا بان امنية سوريا الحالية قائمة بتوسيع حدودها لامتلاك الاراضي المنقصة وجعل سوريا كافية لضم جميع السريين

في هذه الذكارات كنت قوة سوريا الحقيقية . وبهذه الذكارات انضمت للتاريخ وانتصرت على تركيا



لم ارو كل هذه المقدمات لاحداث القراء عن سوريا والسريين . ولكنها امثلة للاهم التي تريد ان تكون ونحيا !

نحن معاشر اللبنانيين لانحل بمحاربة تركيا او الثورة عليها . ولكن الاوان قد آن لتسعى في تعزيز جامعتنا القومية وتاليف أمة يعرفها العالم المتمدن و بالامة اللبنانية . ومن اجل ذلك يجب ان نبدأ باعتناق الايمان الوطني وان تؤسس هذا الايمان على تذكارات تاريخنا البعيدة والقرية

لقد انتهكت مذابح الستين قوانا الوطنية ولكن نصف جيل خلا كاف لتجديد الدم اللبناني

لوائت اليوم لجنة لبنانية واختارت بضعة قرى من قرى لبنان واخذت تطرح على انائها الاسئلة التالية :

من هم اجداد اللبنانيين ؟ هل فقد لبنان يوما استقلاله ؟
 من هو أعظم أمير لبناني ؟ من اخرج محمد علي من سوريا ؟
 ماهي حدود لبنان الاصلية ؟ ماهي المسئلة اللبنانية ؟
 ما رأيك بمذاج الستين ؟ ما الفرق بين المسيحي والدرزي ؟
 من هو احسن متصرف واسوا متصرف حكم لبنان ؟

بماذا يجب ان يحلم اللبناني اليوم ؟

لوائت هذه اللجنة وسالت هذه الاسئلة واجاب مائة في المائة ان اجداد اللبنانيين هم الفينيقيون غزاة البحر وتجاره واساتذة اليونان وممدون قسم من افريقيا الشمالية وايطاليا وفرنسا واسبانيا

ومائة في المائة : ان لبنان لم يخضع يوما لدولة من الدول التي اجتاحت سوريا خضوعاً تاماً وانه لا يستطيع الحياة إلا مستقلاً

وثمانون في المائة بان أعظم أمير لبناني هو الامير نجر الدين المعني الثاني الذي أوصل حدود لبنان في الجبل السابع عشر من اطراف حنب الى أوئل فلسطين ولقبه سلطان تركيا « سلطان البر » - يليه الامير الشهابي الكبير الذي نريد نقل رفاقه من الاستانة الى لبنان احياء للروح الوطنية

ومائة في المائة بان سيوف اللبنانيين كانت العامل الاول في اخراج محمد علي باشا المصري واعادة سوريا الى تركيا في اوائل الجبل الاخير

ومائة في المائة أيضاً بان حدود لبنان الاصلية التي اغتصبتها الدولة تمتد من اعالي طرابلس الى صيدا ومن ساحل البحر المتوسط وفيه بيروت الى اطراف الشام وفيها سهل البقاع وجبل اتقيلبنان المعروف بجبل حرمون او جبل الشيخ

ومائة في المائة بان المسئلة اللبنانية مشكلة بين الدولة ولبنان لا تحل الا باستعادة لبنان حدوده المفتعبة وحقوقه في الكمرك والبريد - وان هذه المسئلة يجب ان يطرحها المجلس الاداري امام محكمة أوروبا التي تحميها ولنا بها علاقة منذ بضعة اجيال بمقدم دعوى الديون التي لنا في ذمة الدولة

وثمانون في المائة بان مذاج الستين التي كان للمأموري الدولة اليد الاولى في اثارها وصمة على جبين لبنان يجب ان يحورها بنزع التعصب الديني وابداله بالتعصب الوطني

ومائة في المائة بان الدرزي أخ للمسيحي في الوطنية، للاول مالثاني وعليه ما عليه وان احسن متصرف جاء قبل المتصرف الحالي هو داود باشا الارمني الذي سمي

في تحسين شؤون الجبل وتوسيع اراضيهم ، واسوأ متصرف هم كل المتصرفين الذين سبقوا متصرفنا الحالي

وان على اللبناني ان يحلم اليوم باستعادة الامارة اللبنانية ، ويساعد جمعيات المجاهدين المخلصه ليعود المهاجرون الى بلادهم ، وتعود الى لبنان حياته ومعها العز والافتخار . . . في ذلك اليوم . . . في ذلك اليوم يصبح اللبنانيون أمة حقيقة ويستطيع اللبناني ان يسمي جبله وطناً ، وان ينادي على رؤوس الملا بكل مباهاة وافتخار : « انا لبناني ! » « انا لبناني ! ! ! »

(المنار) : لولا هذه النقط التي أبهم بها الكاتب النتيجة ، لقال القارئ ان النتيجة جاءت أصغر من المقدمات ، لامتبعة أخس المقدمات كما يقول علماء المنطق . والمجال واسع امام من يريد انتقاد ما كتب الكاتب ، واهم ما يهم دعاة النهضة العربية من ذلك جعل البلاد السورية أو طائفة متعددة ، ومن فروع ذلك جعل هذا الكاتب اللبنانيين كلهم فينيقيين - على مذهب عبيد الله التركي الذي زعم ان نصارى سورية ليسوا عرباً - وهذا خطأ مبين ، فان كثيراً من سكان الجبل يعرفون انهم من سلالة العرب ، ومنهم أمراءه كبنى معن وبنى شهاب الذين يفخر الكتاب بكبيريهما الأمير فخر الدين والأمير بشير ، وبنى رسلان وغيرهم من الدروز . والباقيون من سلاسل العرب والفينيقيين وغيرهم . ولكنهم صاروا كلهم عرباً بتوحيد لغتهم ، وانما الجنسية باللغة فكثير من الاسبانيين من سلالة العرب ولكنهم لا يعدون الآن عرباً

يظهر مما اشرفنا وما لم ننشر مما يكتبه غلاة الدعوة اللبنانية انهم يمنون أنفسهم بما ليس في طاقتهم ، يمنون أنفسهم بأن يكونوا دولة قوية مستقلة تمام الاستقلال ، منفصلة عن جدتهم الامة العربية وأممهم سورية نفسها ، لاعت الدولة العثمانية فقط . ولا يكون مثل هذا الشعب حربي قوي ، ولذلك يكثر أصحاب دعوة هذا الاستقلال من ذكر قوة الجبل وامتناعه عن الفاتحين ، وانتصاره على المصريين ، واخراجهم جيش محمد علي الكبير من سورية وردها الى الدولة ، والاسترسال في المبالغات التي ليس من موضوعنا البحث فيها . ولنسلم لهم حديثهم عن ماضيهم ، فانه لا يمنعنا من الجزم بانهم لا يستطيعون ان يأخذوا بقوتهم شراً من أرض الدولة ولا درهما من خزينتها ، وانما مسائلهم أوربية مفتاحها بيد الدول الكبرى ، فاذا هن اتفقت على إعطاء الجبل شيئاً فهو الذي يرجى ان يأخذوه ، واذا لم يتفقن فقراسة وحدها لا تستطيع ان تعمل للعجل شيئاً . واذا استطاعت الدولة ان ترضي الدول بالغاء امتياز لبنان فانها تلغيه ، وخلاف فرنسا وحدها لا يحول دون ذلك . فمن يعرف هذه الحقائق يحزم بأن مؤسسي جمعية (الاتحاد اللبناني) في مصر ارسخ قدما في السياسة من سائر اللبنانيين . وان وراء ذلك كله سياسة مثلي لو قدروها قدرها ، ولم تحجبهم آمالهم بفرنسة وغيرها !!

مصائب مصر والشام برجال العلم وحملات الاقلام

٤ - الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (تمة ترجمته)

تصانيفه ورسائله

كان أتابه الله سيال القلم سيال القريحة ، سريع الذاكرة سريع المراجعة ، وقد كتب كثيرا من الكتب والرسائل تصنيفا وشرحا واختصارا لبعض المطولات ، أحصاها لنا بعض تلاميذه فزادت على السبعين ، وهو العقد الذي تعب به العرب من الكثرة . وهذه أسماؤها مرتبة على حروف المعجم :

- (١) الاستئناس ، في تصحيح أنكحة الناس . طبع في دمشق سنة ١٣٣٢
- (٢) الانوار القدسية ، على متن الشمسية في المنطق ، كتب عليها الى آخر قسم التصورات (٣) ايضاح الفطرة ، في أهل الفترة (٤) الارتفاق ، بمسائل الطلاق (٥) ازالة الاوهام ، بما يستشكل من ترك سيدنا عمر لكتابة الكتاب الذي هم به عليه الصلاة والسلام (٦) افادة من محام ، في تفسير سورة والضحي (٧) اعلام الجاحد ، عن قتل الجماعة المتهاكلة بالواحد (٨) الاقوال المروية ، في من حلف بالطلاق الثلاث في قضية (٩) الاوراد الماثورة - مطبوع في دمشق (١٠) الاجوبة المرضية - مطبوع في دمشق سنة ١٣٢٦ (١١) اصلاح المساجد ، من البدع والعوائد (١٢) بذل الهمم ، لموعظة أهل وادي العجم (١٣) بديع المكنون ، في أهم مسائل الفنون (١٤) بيت القصيد ، في ديوان الامام الوالد السيد (١٥) بحث في جمع التفرات المتعارف

- (١٦) تطير المشام ، في ما أثر دمشق الشام (١٧) تعليقات على حصول المأمول لصديق حسن خان (١٨) تنوير اللب ، في معرفة القلب (١٩) تاريخ الجهمية والمعزلة . نشر في مجلة المنار وطبع في مطبعتها سنة ١٣٣١ (٢٠) تنبيه الطالب ، الى معرفة الفرض والواجب - طبع في مصر سنة ١٣٢٦

- (٢١) ثمرة التسارع ، الى الحب في الله وعدم التقاطع
- (٢٢) الجواب السني ، عن سؤال السيد أحمد الحسني (٢٣) الجوهر الصاف ، في ثقافة الاشراف (٢٤) جواب المسألة الحورانية (٢٥) جوامع الآداب ، في أخلاق الانجباب (٢٦) جدول في مخارج الحروف وصفاتها (٢٧) جواب الشيخ السناني في مسألة العقل والنقل - نشر في مجلة المنار
- (٢٨) حسن السبك ، في الرحلة لوعظ قضاء البنك (٢٩) حياة البخاري .

طبع في صيدا سنة ١٣٣٠ (٣٠) حاشية على الروضة الندية
(٣١) درء الموهوم ، من دعوى جواز المرور بين يدي المأموم (٣٢) دلائل
التوحيد . مطبوع في دمشق سنة ١٣٢٦ « ٣٣ » ديوان خطب مطبوع في دمشق
سنة ١٣٢٥ .

« ٣٤ » رفع المناقضات ، بين ما يزيد في العمر وبين المقدرات « ٣٥ » رسالة
في الشاي والقهوة والدخان . مطبوعة في بيروت سنة ١٣٢٣ « ٣٦ » رسالة في أواخر
من مشايخ الاسلام بالحكم بغير المذهب الحنفي . مطبوعة بعد نشرها في مجلة المنار
سنة ١٣٣١ « ٣٧ » رسالة في المسح على الجوز بين مطبوعة في بيروت سنة ١٣٢٢
« ٣٨ » رسالة في المسح على الرجلين .

« ٣٩ » زوال الغشاء ، عن وقت العشاء « ٤٠ » زبدة الاخبار ، عن أولاد
الكفار « ٤١ » السطوات ، في الرد على منع العشاء قبل الصلوات

« ٤٢ » شمس الجلال ، على منتخب كنز العمال « ٤٣ » الشذرة البهية في حل
ألفاظ نحوية . مطبوعة في دمشق سنة ١٣٢٢ « ٤٤ » شذرة من السيرة الحمديدية .
مطبوعة مطبعة المنار في مصر سنة ١٣٣٩ « ٤٥ » شرح لقطة العجلان . مطبوعة في مصر
سنة ١٣٢٦ « ٤٦ » شرح مجموعة أربع رسائل في الاصول . مطبوعة في بيروت سنة
١٣٢٤ « ٤٧ » شرح مجموعة أربع رسائل في الاصول أيضا . مطبوعة في دمشق
سنة ١٣٢٣ « ٤٨ » شرح مجموعة ثلاث رسائل في أصول التفسير وأصول الفقه .
مطبوعة في دمشق سنة ١٣٢١ « ٤٩ » شرح مختصر المستصفى لابن رشيقي .

« ٥٠ » الطائر الميمون ، في حل لغز الكتز المدفون . مطبوع مرتين سنة
١٣١٦ وسنة ٢٢ « ٥١ » طراز الخلعة ، فيما نقل من قول الرمي : وأقسام الاسم تسعة
« ٥٢ » الطالع المسعود ، على تفسير أبي السعود (لم يتم) « ٥٣ » الطالع السعيد ، في
مهمات الاسانيد

« ٥٤ » المقود التنظيمية في ذكرى مولد النبي (ص) وأخلاقه العظيمة ، ومحاسن
شريعته القوية « ٥٥ » غنيمة الهمة ، على كشف الغمة « ٥٦ » فصل الكلام ،
في حقيقة عود الروح الى الميت حين الكلام « ٥٧ » الفضل المبين ، على عقد
الجوهر الثمين ، ويعرف بشرح الاربعين المعجولية « ٥٨ » فتاوى الاشراف ،
في العمل بالتلغراف . مطبوع في دمشق سنة ١٣٢٩ « ٥٩ » قواعد التحديث ،
من فن مصطلح الحديث

٦٠ الكواكب السيارة ، في مدح الفؤارة ٦١ كتاب الفتوى في الاسلام .
مطبوع في دمشق سنة ١٣٢٩ . (٦٢) كتاب ارشاد الخلق ، الى العمل بخبر البرق .

طبع بدمشق سنة ١٣٢٩ ، ٦٣ كتاب الاسراء والمعراج . طبع بدمشق سنة ١٣٢١
 ٦٤ كتاب شرف الاسباط . طبع بدمشق ٦٥ كتاب (شرح المقائد) وهو كتاب
 كبير كتب الفقيه منه نحو من مائتي صفحة ولم يتم ٦٦ الف والنشر ، في طبقات
 المدرسين تحت قبة النسر ٦٧ لزوم المراتب ، في الادب مع الامام الراتب
 ٦٨ المسند الاحمد ، على مسند الامام احمد ٦٩ منتخب التوسلات . مطبوع
 في دمشق سنة ١٣٠٥ ، ٧٠ مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن . طبع
 بدمشق سنة ١٣٢٨ ، ٧١ ميزات الجرح والتعديل طبع في مصر سنة ١٣٢٠
 ٧٢ موعظة المؤمنين ، من احياء علوم الدين . طبع بمصر سنة ١٣٢١ ، ٧٣ محاسن
 التأويل (وهو التفسير العظيم الذي يقع في اثني عشر مجلدا مع مقدمته التي كتبت
 في مجلد حافل

٧٤ التفحة الرحمانية ، على متن الميدانية . مطبوعة في دمشق سنة ١٣٢٢

٧٥ نقد النصائح الكافية . طبع بدمشق سنة ١٣٢٨

٧٦ هداية الالباب ، لتفسير آية « وطعام الذين أوتوا الكتاب » ٧٧ الوعظ
 المطلوب من « قوت القلوب » ٨٧ وفاء الحبيب وحده ، في ايضاح جهة الوحدة
 (المسوقة في الفناري) ٧٩ يتابع العرفان ، في مسائل الارواح بعد مفارقة الابدان
 اقول : ان بعض ما ذكرنا رسائل صغيرة مؤلفة من كراسة او كراستين او
 كراسات قليلة ، له او لغيره ، وبعض ما ذكرنا من الشروح عبارة عن تطبيقات
 لا يصح ان تسمى شرحا ، وقد كتب الي في العام الماضي ان له كتابا في العبادات
 مقتبسا من كتب المذاهب مع بيان حكمة التشريع . كان اخذه منه الشيخ احمد طباره
 ليطبعه في مطبعته ببيروت ولم يعده اليه ، وعلمت مما كتب الي انه من اهم كتبه ،
 وكنت وعدت بتأليف كتاب في ذلك فسبقني رحمه الله اليه ، فتميت لو يطبع لأستغني
 به . ولعل هذا الكتاب وتفسيره الحافل هما أكبر مظاهر علمه واصلاحه ، على ان
 له رسائل مختصرات ، لا تنفي عنها المطولات

سيقول كثير من الناس : إنك عدت القاسمي من رجال الاصلاح ، وان أسما
 كثير من هذه الكتب التي صنفها أو شرحها تدل على انها ليست من الاصلاح
 في ورد ولا صدر ، ولا تشمل على عين منه ولا أثر ؛ فكيف يضع العالم المصلح
 وقته في شرح لغز ، أو ما يعد أبعد عن الاصلاح من اللغز ؟

ويمكنني أن أقول : ان الرجل كان من خيار مصلحي المسلمين في هذا العصر وان لم يدخل كل ما كتبه في باب الاصلاح الذي يفهمه قراء المنار ، فسمى الاصلاح ومفهومه واسع ، وهو يختلف باختلاف الزمان والمكان ، والسن والعشاء والاقران ، والتلاميذ والمريدين ، وغيرهم من المخاطبين ، والمصلح لا يخلق مصلحا بالفعل ، بل يخلق كغيره لا يعلم شيئا ، ويكون الاستعداد للاصلاح فيه كامنا ، ثم تظهره التربية والتعليم ، وما يتجدد المرة بعد المرة له من العبرة والتأثير . فهل يطلب من عاش خمسين ، ترك فيها من هذه الكتب والرسائل نحو من سبعين ، ان يكون جميع ما كتبه او شرحه اصلاحا في الدنيا والدين ، مرضيا عند السكحول المجريين ، والشيوخ المحنكين ؟

طريقته في الاصلاح

حسب من نشأ وتعلم وتربى في أرض التعصب للتقليد ، والجمود على العادات والخرافات ، تحت سماء الاستبداد ، والحجر على الالسنه والاقلام ، — ولم تكن هذه المفاصل في الاستانة أشد منها في الشام — ان يكون بسلامة فطرته ، وعناية الله به ، مثل الشيخ جمال الدين القاسمي في استقلاله ، ونزاهته واعتداله ، ونظافة عقله وقلمه ولسانه ، وجرأته على مجاهدة الجمود والتقليد ، والجمع في احياء علوم اللغة والدين بين الطريف والتليد .

أما طريقته في الاصلاح وغايته منه فلم يكن فيها على خطة مقررة من اول النشأة ، وانما كوتبتها الحاجة بقدر استعداد البيئته : فتح الرجل عينه فرأى أطلال العلم في بلده دارسة ، وأعلامه طامسة ، وقد كانت مهاجرا يرحل الطلاب اليها ، فأصبحت مهجورة يرحل عنها . فكان الاصلاح الضروري فيها ايجاد نشء جديد من طلبة العلم يطعمون تعليما صالحا يرجي أن يحياه وبهم العلم ، وقد كان سبب اختيار الشيخ لقراءة بعض الكتب ولكتابة بعض الشروح والتعليق على بعضها ، هو الضرورة أو الحاجة الى تدريسها ، لا كونها صالحة في نفسها ، او محاولته اصلاح التعليم بها . مثال ذلك ما كتبه على شرح الفنايري ومثن الشمسية في المنطق ، كان مما لا بد منه ، لان طلبة العلم كانوا يمتنعون بهما لاجل اعفائهم من الخدمة العسكرية . وقيس ما لم نعرف غيره فيه — كقراءة كتاب جمع الجوامع وشرح بعض المتون — على ما عرفنا عذره فيه

كثرت الشمسية وشرح الفناري، وكلاهما لا يصلحان للتدريس، في رأي العارفين بطرق
اصلاح التعليم. ولو كان الشيخ في مصر لقلنا ان عذره في قراءة جمع الجوامع اعتماد
الجامع الازهر عليه في الامتحان ونيل شهادة العالمية

لعلنا لو اطلعنا على جميع ما كتبه لظهر لنا من عذره مالا يظهر لنا الآن. أو
نتقد منها مالا نطن الآن انه منتقد، وحسب الرجل ان يكون مصلحا في سيرته
ومجموع أعماله

قد اطلعنا على كتاب دلائل التوحيد وبعض الرسائل من مؤلفاته المطبوعة،
وقرطنا بعضها في المنار وبيننا مزيته فيها. ويمكننا أن نستنبط منها ومن مذاكراتنا
القصيرة له مانعه للقارئ من مزاياه ومزاياها

(١) ان القاسمي درس فنون اللغة العربية والعلوم الشرعية على الطريقة المالوفة
في مدارس المسلمين منذ قرون، وتلقى تلك الكتب التي اختارها المتأخرون
للتدريس، ورأى حاجة أهل البلاد الى بعض تلك الكتب لاجل امتحان الاعفاء
من العسكرية، وان المشتغلين بالعلم منهم يظنون أن العالم لا يكون عالما حقيقة الا
بتحصيل كذا وكذا منها (كجمع الجوامع وكتب السعد التفتازاني) فكانت هذه
الامور الثلاثة أسبابا لمحافظة على بعض ذلك التليد

(٢) انه كان يرى ان ما يثبت بالدليل القلي في القليات والعقلي في العقليات
وبالتجربة في المخرجات لا تتلقاه بالقبول هذه الامة التي جمدت على التقليد، وبعد عهد
جمهورها بالحجة والدليل، الا اذا أيد بنقل عن بعض العلماء السابقين، ولا سيما اذا
كان من المشهورين، فكان يرى هذا ركنا من أركان الاصلاح في التدريس
والتأليف لاجل اقناع المستبدلين والمقلدين معا، ونحن نجري على هذا في المنار والتفسير احيانا

(٣) انه كان يتحرى مذهب السلف في الدين وينصره في دروسه ومصنفاته
وما مذهب السلف الا العمل بالكتاب والسنة، بلا زيادة ولا نقصان، على الوجه
الذي كانوا يفهمونه في الصدر الاول. وقد اتهم — كما اتهم غيره من المستقلين —
بأنه احدث مذهباً جديداً في الاسلام، ولما كانت حادثة السعاية التي أشرنا اليها،
وذكرنا انه حبس فيها، لفظ حساده بهذه المسألة فقال يرد عليهم:

زعم الناس بأنني مذهبي يدعي الجمالي
 واليه حينما أف تي الوري أعزو مقالي
 لا وعمر الحق اني سلفي الانحصال
 مذهبي ما في كنا ب الله ربي المتعالي
 ثم ما صح من الأخ بار لا قبل وقل
 أقفني الحق ولا أر ضي آراء الرجال
 وأرى التقليد جهلا وعمى في كل حال

وقل ايضا في هذا المعنى :

أقول كما قال الأئمة قبلنا صحيح حديث المصطفى هو مذهبي
 ألبس ثوب القيل والقال باليا ولا أتحملي بارداء المذهب
 (٤) كان يتحرى في المسائل الخلافية الاعتدال والانصاف ، واتباع ما يقوم
 عليه الدليل من غير تشنيع على المخالف ولا تحامل . وكان لحرصه على الوقوف وجمع
 كلمة المسلمين يجتهد في اسبابة حجة كل فريق من اصحاب المذاهب ، وتقريب
 احدهما من الآخر ، باظهار حجته أو شبهته ، وحكاية ما يمارض الخصم به . ومن
 كانت هذه طريقته فكثيرا ما يغضب الخصمين معاً . فاتهمه كل منهما بالتشيع للآخر .
 ثم اذا كان احدهما مصيباً والآخر مخطئاً يتعذر على محب الاعتدال في الحكم بينهما
 ان يرضى باستحداث مذهب ثالث يجعله وسطا بينهما ، اذ ليس بين الحق
 والباطل وسط ، وإنما يكون الحق وسطا بين باطلين ، او أباطيل ترجع كثرتها الى
 نوعين — الزيادة على الحق او النقص منه . وقد اتهم الفقيد بعض السلفين بأنه مخالف
 مذهب السلف في رسالته (تاريخ الجهمية والمعتزلة) التي نشرناها في المنار ، على شدة
 حرصه عليه وتحريره اياه ، وانتقدها بعض الشيعة كما يأتي . واتهمه بعض المستقلين
 بعثرة اخرى في رسالته (نقد النصائح الكافية) وهي ان حب الاعتدال وتقريب احد
 الخصمين من الآخر اخرجه عن الاعتدال في بعض المسائل ، ولكن يقصد الاصلاح
 وهنا مسألتان (أحدهما) أن المستقل في علمه وحكمه حق الاستقلال يتحرى

ما يظهر له أنه الحق فيقوله ويحكم به وإن أغضب جميع الناس عليه . وقصارى ما يستبيحه من ارضاء الناس أو استمالتهم التلطف في القول ، وتزيين الحق الذي ثبت عنده بحلي البيان وحله ، دون إبرازه لم عاري الجسد عاظم الجيد

(الثانية) ان الاصلاح بين الرجلين أو القبيلين من الناس فضيلة حث عليها الشرع وعرف حسنها العقل ، وقد أبيض فيها الكذب عند الضرورة عملاً بقاعدة « ارتكاب أخف الضررين » فبالأولى يباح فيها التماس المنذر لكل خصم فيما خالف فيه الآخر ، وتوجيه ما قام عنده من الحجّة أو شبه الحجّة . وهذه الطريقة في الاصلاح أقرب الطرق لارضاء المعتدلين من أهل المذاهب المختلفة، وأما الغلاة في التعصب لمذاهبهم فلا يرضيهم الا موافقتهم واتباعهم .

أما العمل بهاتين المسألتين واعطاء كل واحدة منهما حقها فهو عسر جداً، فإن المستقل جد الاستقلال اذا تصدى للتوفيق بين الخصمين المتعصبين يفضيها جميعاً وانما يمكن أن يرضى المستقل من كل فريق أو المستعد للاستقلال، اذا أوتي الحكمة وفصل الخطاب ومن الآيات على ذلك أن رسالة (تاريخ الجهمية والمعتزلة) لم يكتب أحد في هذا العصر كتابة أعدل منها في التأليف بين فرق المسلمين الكبرى — وهم أهل السنة الأثرية والاشاعرة والمعتزلة والشيعة والخوارج — وقد كتب بعض علماء الشيعة رداً عليها قبل اتمام نشرها ، وهل يرضى شيعي بتعديل بعض الخوارج والرواية في الصحيحين عنهما ؟ وانكر بعض أهل السنة الأثريين بعض المسائل فيها كما تقدم . فأين هذه من تلك الرسالة التي كتبها أحد علماء الشيعة للتوفيق بين الامة بزعمه او دعواه الظاهرة فكانت عبارة عن دعوة أهل السنة الى التشيع بتخطئهم وتصويب الشيعة في جميع مسائل الخلاف !!

أخلاقه وشماله

كان من اكمل ما رأيت في أخلاقه وآدابه وشماله: كان أبيض اللون نحيف الجسم ربة القد ، أقرب الى القصر منه الى الطول ، غضبيض الطرف ، كثير الاطراق ، خافض الصوت ، ثقل السمع ، خفيف الروح ، دائم التبسم وكان ثقيلاً ناسكاً واسع الحلم ، سليم القلب ، نزيه النفس واللسان والقلم ، برا بالاهل ، وفياً للاخوان ، يأخذ ما صفاً ويدع ما كدر ، عاتلاً غنياً قانماً

لا يطيبه طمع مدنس إذا استمال طمع أو اطمى
وقد بينا ما كان لأخلاقه الكريمة من حسن الأثر، والوقاية من كيد الجالدين
والحاسدين، والاعانة على الإصلاح

ومن حسن وفائه أنه لم يقطع مراسلتنا ولا مراسلة الأستاذ الأمام في أبان ثقل
وطأة الاستبداد الحميدي، إذ كانت مراسلتنا تعد من الجنائيات السياسية التي تعاقب
الحكومة صاحبها أشد العقاب، ولكنه ترك التصريح بنقل شيء عنا كما يعلم من
كتابه (دلائل التوحيد) وصرح لنا بذلك

وقد عبرنا عن بعض ما وجدناه من الحزن لفقدته بكتاب وجهناه إلى أهله، وكان
من يعرف ما بيننا من الإخاء يعزينا عنه كما يعزى الأخوة في النسب. وما بيننا من
أخوة النسب الروحي، أعلى من النسب الجسدي، على أن نسب أمه يتصل بنسبنا أيضا
وحسبي أن أدون من تلك التعازي ما كتبه إلى صديقي وصديقه علامة العراق
ورحلة أهل الأفاق، السيد محمود شكري الألوسي الشهير. وقد كتبت إليه مثل الذي
كتبه إلى يباغت القلب، ولكنه سبق كدأبه في سبق إلى كل فضل. وهذا
ما كتبه بعد الالتاب، وقائحة الخطاب:

«أما بعد فقد نعت الينا صحف البلاد الشامية وفاة العلامة السيد جمال الدين
القاسمي قدس الله روحه الزكية، فأمض ذلك الخبر قلبي وأفض لي، وجرح فؤادي
وطرد رقادي. وأحدث لي حزنا ملالزما، وألما دائما، وأورثني قلقا وأحزا.
وانزعاجا حافزا. وحيث كان المشار إليه من أعزة أحبابكم، وخلص أصفياثكم،
مع ما كان عليه من الفضل الوافر، والأدب الباهر، والورع الظاهر، والنسب
الظاهر، والذب عن الشرع المبين، وقوه الإيمان واليقين، ومناضلة الحائدين
والملاحدين، وأنه حسبما اعترف له الموافق والمخالف

أحياه الله الشريعة والهدى وأقام فيه شعائر الإسلام
حكم على أهل العقول ببها منعوتة الأوضاع والأحكام
ويريك في ألقاظه وكلامه سحر العقول وحيرة الأفهام

فاني أعزيك على فقدته، وتوسده للحدود، ومفارقته لهذه الدنيا الغدارة الخائنة
المسكرة، فإن نعيمها زائل، وكوكب سعدتها آفل، فلا أوجع الله لك قلبا، ولا كدر
لك خاطرا ولا لبا، والإسلام من طاعتكم الغراء، سلوان عمن مضى من الفضلاء،
وإنما يحل الرزء إذا قل العوض، ويكبر المصائب إذا عدم الخلف. فاما إذا كنت
الباقى، وغيرك الماضي، وصرت الموحود، وسواءك المفقود، فالقادحة خفيفة الوقع، مروبة
الصدع ويد الدهر فيما نال قصيرة، ومنته فيما ترك كبيرة. هذا مع أسفى عليه كل الأسف،
وتصاعد أنفاسي بيزيد اللهف، وقد حرت عليه من العيون عيون، فانا لله وإنا إليه

راجعون . نسأله تعالى ان يديمكم ركن الاسلام ، ومرجعا للخاص والعام ، ويصونكم من طوارق الليالي والايام ، تذكرة للسلف الاعلام » اه
وأقول ان مما يعزني ويعزي هذا الاخ الكريم . والمصلح العظيم ، الذي لا استحق بمض ثنائه ، ولا ينسبني قصي كال إطرائه ان أخانا الفقيه قدربني وعلم افرادا من اخوته وغيرهم يرجي ان يقفوا اثره ، ويتلو تلو ، وان كان نسيج وحده فبقي بهم ديار الشام . أهلة ان شاء الله بالعلماء الاعلام . على مدى السنين والايام .

(٥ - جرجي بك زيدان)

قضى الله - ولا راد لقضائه - ان لا تفرغ من رثاء وترجمة رجال العلم الذين فجعت بهم الأمة العربية في هذه السنة في مصر والشام ، الا وقد رزى القطران بفجعة أخرى ، فقد فاجأت المنية في التاسعة والعشرين من هذا الشهر جرجي بك زيدان صاحب مجلة الهلال ، وأحد أركان النهضة العربية الحديثة ، فاجاته كهلا قد بلغ أشده واستوى ، حسن الصحة تام القوى - وقد أتم في هذه الليلة تصحيح آخر كراسة من آخر جزء من أجزاء السنة الثانية والعشرين للهلال ، وآخر كراسة من كتاب تاريخ العرب ، وتنفس الصعداء من تعب ليلة شعر بأنه ألقى عن عاتقه في أولها تعب عشرة أشهر ، ثم ألقى نفسه على سريره ليبدأ فيها باستراحة شهرين كاملين ، ففاضت نفسه فاذا هو قد ألقى عنها تعب ربع قرن في الجهاد العقلي كان هو القاضي على مادة ذلك الدماغ الذي يشبه معملا من معامل الكهرباء ، في السرعة والنور والحرارة والضياء ، والمقوض لدعائم تلك الحياة الحيدة ، حياة الجد والعمل والفقة والاستقامة . فاذا كان الجهاد العقلي قد صرع احمد فتحي باشا زغلول والاستاذ القاسمي بعد مرض طويل أو قصير ، فقد صرع جرجي بك زيدان من غير مرض ولا شكوى فقدت الأمة العربية بهذا الرجل ركنًا من أركان نهضتها الحديثة في العلم والأدب ، بعد أن نضج علمه ، واتسعت مدارفه ، وكملت تجاربه ، وصار أقدر على اتقان خدمتها ، ومساعدة نهضتها .

نشأ الرجل عصاميا ، فقد ولد في أواخر سنة ١٨٦١ م من أبوين فقيرين اميين ، ولكن يظهر انه كان له في الأرومة العربية عرق راسخ ، فقد بحث عن أصل بيتهم - وكان يسمى بيت مطر - فاتهى به البحث الى ترجيح كونه من عرب حوران ، وكان يظن انه كأكثر الروم الارثوذكس في سورية من بني غسان .

تلقى مبادي القراءة والكتابة في بعض مكاتب بيروت الابتدائية . وكان يشتغل مع والده في مهنته لأجل المعاش ، ولكن استعداده للعلم وعشقه للمدارس كانت قويا جدا ، فكان يختلف الى بعض المدارس الليلية ، يتعلم فيها اللغة الانكليزية . ويبحث عن رجال العلم والأدب ويتقرب اليهم ، وانتظم مع طائفة من خيارهم في سلك جمعية شمس البر الادبية ، فازداد حبا للعلم ورغبة في طلبه ،

وكان بعض من آلس فيه الاستعداد من أهل العلم يقرأ له دروسا خاصة يستعد بها لدخول القسم الطبي من المدرسة الكلية الأمريكية الشهيرة ببيروت ، وبعد تحصيل قليل أدى الامتحان ودخل المدرسة فكان يتعلم فنون الصيدلة ويؤدي بعض الخدمة لأجل المعاش ، ولكنه ترك المدرسة في أثناء السنة الثانية لما كان عرض فيها من الاختلال الداخلي المعروف . وقصد بعد ذلك الديار المصرية ليتم دروسه في مدرسة القصر العيني فلم يتح له ذلك ، بل دخل في طور العمل والكسب

ان كثيرا من النابغين لم يقيموا في المدارس زمنا طويلا ، ومن الثابت بالاختبار ان طول الإقامة في المدارس تصنف ملكة الاستقلال ، فيخرج الطالب بعده مقبلا جامدا على ما أطال درسه ومزاولته . فان كانت سعة العلم لا تحصل الا في الوقت الواسع ، فالواجب ان يكون أطول زمن التحصيل خارج المدرسة لا داخلها ، وفي أثناء العمل بالعلم ، لا في أثناء تلقي نظرياته ومصطلحاته . ورب ذكي أو مجتهد يحصل من مسائل العلم في سنة ما لا يحصله غيره في سنين كثيرة . وما تحصيل المدرسة الا دلالة على طريق العمل بالعلم ، فمن يطلب العلم فيها لأجل الاستعانة به على العمل بعد الخروج منها ، فرعا يكفيه القليل من العلم ، فيجعله أهلا للعمل الذي لا يكمل العلم الا به . واما من يطلب العلم لأجل نيل شهادة مدرسية يتوسل بها الى رزق لا يتوقف على دوام الاشتغال به والارتقاء فيه ، فهجرته الى ماهاجر اليه ، فهو يحصل ورقة الشهادة ، ولكنه قلما يكون مالا عاملا يعلمه مرتقيا فيه . وناهيك اذا كان طلبه للعلم بارادة ولي أمره ، لا بارادته الذاتية ورغبته .

أما فقيدنا اليوم فقد كانت نفسه المعصامية هي الحافزة لهمته والباعثة له على طلب العلم ، وكان يقصد من العلم ان يعمل به فيفيد مالا وجاها يكون به في مقدمة امته لاني ساقها . ولذلك حصل بمجده وقوة ارادته في الزمن القليل ، ما يمكنه من العمل الذي عجز عن مثله من هم أكثر منه تحصيلا ، وأوسع في العلوم والفنون عرفانا . وأما اذا اتفق لمثل صاحب هذه الهمة والارادة تحصيل المقدمات تامة من أول النشأة ، فان عمله يكون أقوم ، وسيره فيه يكون اسرع وأتم .

اشتغل الفقيد عقب هجرته الى مصر بالتحرير في جريدة يومية اسمها الزمان نحو من سنة ، ثم سافر مع الحملة النيلية الانكليزية الى السودان مترجما في قلم التقارير ، وشهد بعض وقائع الحرب في السودان ، ومكث هناك عشرة أشهر ، ثم عاد وسافر الى سورية فاشتغل فيها مدة بدراسة اللغتين العبرانية والسريانية . ثم الى بلاد الانكليز . ثم عاد الى مصر فتدبه أصحاب المقطف الى مساعدتهم في ادارته فتولاهما سنة واشهرا ، ثم استقال منها وانصرف بكل همته الى التأليف فألف تاريخ الماسونية ومختصر التاريخ العام وتاريخ مصر الحديث . ثم تولى ادارة

التعليم بالمدرسة العبيدية سنتين

وفي أواخر سنة ١٨٩٢ ميلادية أنشأ مجلة الهلال ، وجعل جل عنايته فيها بالتاريخ والأخبار العلمية ، وجعل لها ذبلا من القصص (الروايات) الغرامية المزوجة بتاريخ الاسلام ، فظهر من خطته فيما ينشئ وينقل أنه من أقدر من اشتغل بالصحف العربية والتأليف في هذا العصر ، أو أقدرهم على جذب جمهور القراء الى ما يكتب ، بمحاولة جعل ما يكتبه لذيذا سهل الفهم ، كالطعام اللذيذ سهل الهضم ، وكان يختار في كل وقت ما يناسبه ، وفي كل حال ما يلائمه ، فإذا ألمت ملمة ، أو حدثت حادثة مهمة - كالحروب ومشاكل الدول وموت الملوك والكبراء - بادر الى كتابة ما يتعلق بذلك من مباحث التاريخ القديم والحديث ، مزينا له بما يتعلق به من الصور والرسوم .

وكان سلما نزيه القلم ، يتقي كل ما يثير غضب أصحاب المذاهب الدينية ، والاحزاب السياسية ، ولكنه لم يسلم مع ذلك من اتهام بعض سيئي الظن من المسلمين والنصارى ، فقد اتهمه بعض الاولين بتعمد الظن في الاسلام بقرية يفتريها ، أو دسيسة يدسها ، وكانوا يستدلون على ذلك ببعض الاغلاط التي وقع فيها ، أو تصوير بعض المسائل بغير الصورة التي يعرفونها ، لفهمها بغير الصفة التي يفهمونها ، ورد عليه بعض هؤلاء في المؤيد . وطالما رددت على بعضهم ميرثا له من سوء القصد ، لما لي فيه من حسن الظن . وأشارت الى ذلك في المنار غير مرة .

وقد حدثني ان بعض سيئي الظن من النصارى قد اتهمه بضد ما يتهمه به بعض المسلمين : اتهموه بمصانعة المسلمين ومحاباتهم ، ومدح الاسلام والمسلمين تقربا اليهم ، لاجل الكسب منهم . ولا يسلم من ألسنة الناس أحد ، كيف وقد كفروا بالواحد الاحد ، الفرد الصمد ، سبحانه وتعالى

نعم انه قد ظهر منه بعد الانقلاب العثماني نزعة جديدة ، تقدمتها نزعة عدت احياء لمذهب الشيعوية : ذلك بأنه زار الأستانة ولقي فيها بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي ، ثم عاد متشعبا بالنهضة التركية ، مستنكرا محاراة العرب لآخوانهم الترك بالقيام بنهضة عربية ، مستصوبا بخطة الاتحاديين الاولى من تزريك العناصر وادغام العرب في الترك . وقد كتب في الهلال ما يشعر بهذه النزعة ، فهاج ما كتبه جماعات فتيان العرب في الأستانة وسورية ، وكادوا يحمون عليه في الصحف ردا واحتجاجا ، ولكن حالت دون ذلك معارضة مسموعة مقبولة

وأما النزعة التي سبقت هذه النزعة ، فهي مطاعن للفقيد في الغرب أودعها في تاريخ القطن الاسلامي فطن لها أخيرا من لم يكن يحفل بها . وزادهم التفاتا اليها ترجمة جريدة (إقدام) التركية لتاريخ القطن الاسلامي ونشره فيها بالتابع . فتشاور كثير من

الشبان المتعلمين في الرد على هذا التاريخ ولم يظهر منهم شيء . ثم اتفق أن انبرى للرد عليه في هذه المسألة الأستاذ الشهير الشيخ شبلي النعماني من أشهر علماء الهند وأوسعهم اطلاعاً في التاريخ . وكتب إلينا هذا الأستاذ الكبير وهو صديقنا وصديق فقيدنا المردود عليه يخبرنا بما شرع فيه من الرد ، ويقترح علينا أن ننشر رده في المنار ، ولما كنا نعهد من الفقيد تآخي الانتقاد عليه بسعة الصدر ، بل عهدنا منه مطالبة الكتاب بهذا الانتقاد - ونعلم أن الأستاذ الشيخ شبلي النعماني صديقه - ونرى أن تمحيص هذه المسألة أصبح ضرورياً - بادرنا إلى نشر الرد من غير أن نقرأه ، بل نشر في أثناء رحلتنا الهندية ، ثم قرأناه بعد عودتنا من الهند وعمان والعراق وسورية فأيناه فوق ما كنا نظن من شدة الرد ، ورمي الفقيد بسوء القصد . وكنا علمنا من المنتقد عند لقائه في الهند أنه كان يرى بعض الغلط في تاريخ التمدن الاسلامي وغيره من مؤلفات صاحبه فيحمله على الخطأ أو سوء الفهم ، ولكنه لما قرأ مجموع طبعه في العرب جزم بأنه صادر عن سوء قصد . فهذا سبب شدة حملته عليه ، على ما كان من موادته له . وقد كتبنا مقدمة لانتقاد الشيخ شبلي اذ طبع على حديثه بينا فيها ذلك ، واننا لو اطلعنا على ما فيه من الشدة قبل نشره ، لراجعنا الكاتب فيه واستأذناه بحذف الطعن الشخصي منه ، وقد نشرنا تلك المقدمة في المنار تعزيزاً لدفاعنا السابق بالقلم واللسان ، عن رجل عددناه صديقاً لنا ، وعضواً نافعا في أمتنا ، على اننا لم نسلم مع ذلك من سوء ظنه فينا :

نقلت وطأة رد الشيخ شبلي النعماني على الفقيد لشدة ، ولأنه كان يعده من أصدقائه ، واثني عليه غير مرة في هلاله ، فلم يصدق أولاً انه هو المنتقد ، واتهمنا بذلك ، وكتب الى الشيخ شبلي كتاباً ذكر فيه ذلك ، راجياً ان يكتب اليه متصلاً منه ليبين ذلك في الهلال ، ويظهر ان النقد لصاحب المنار ! ! وقد اطلعتني الأستاذ الشيخ شبلي على كتابه ذاك في (لكهنؤ) أيام كنت فيها ، ورأيت متعجباً منه ، فكان عجباً أشد من عجبه . وقد ذكرت للفقيد ذلك معاتباً ، فكان حتى عليه في سوء ظنه بي ، أكبر من حقه علي في نشر النقد - وقد نشر في غيبي . وقد اتفق لي مثل هذا مع كاتب سوري آخر ، كانت حقوق الصحبة بيني وبينه أقوى منها بيني وبين جرجي بك زيدان ، وكنت أثني عليه للأستاذ الامام واستميله لمساعدته ، فكتب الى الأستاذ كتاباً يطعن بي فيه ، ويتهمني بتفجير الأستاذ عنه ، والظن فيه عنده ، فتعجب الأستاذ من أمري وأمره !!
أما مؤلفاته فهي مطبوعة مشهورة وهناك أسماؤها :

١ التاريخ العام

٢ تاريخ مصر الحديث - جزآن

- ٣ » التمدن الاسلامي . خمسة أجزاء
- ٤ » الغرب قبل الاسلام . جزء واحد
- ٥ » الماسونية العام »
- ٦ » اليونان والرومان » صغير
- ٧ » انكلترا » لم نره
- ٨ » اللغة العربية »
- ٩ » آداب اللغة العربية - ٤ أجزاء
- ١٠ الفلسفة اللغوية . جزء صغير
- ١١ انساب العرب القدماء »
- ١٢ علم الفراسة الحديث »
- ١٣ طبقات الامم »
- ١٤ عجائب الخلق »

(١٥ - ٣٦ قصص (روايات) منها ١٨ قصة تتعلق بتاريخ الاسلام وثلاث تتعلق بتاريخ مصر ، وواحدة غرامية محضه .

وأما أخلاقه وشمائله فقد كان أديب النفس ، نزيه اللسان والقلم ، بشوش الوجه معتصما بحبوة الجد ، متزها عن اللغو والعيب ، محبا للنظام ، حفيا بالأهل ، وصولا للرحم ، محبا للقريب

ورأى فيه أن عقله كان اكبر من علمه ، ومن فضل عقله على علمه حسن اختيار ما كان يكتب ، وحسن ترتيبه وتبويبه ، فقد كان في هذا وهو من ثمرات العقل أبرع منه في تحرير المباحث وتنقيحها ، وتخصيص الحقائق بالقول الفصل فيها . وسبب ما انتقد وما ينتقد من الغلط على كتبه بحق ، هو أنه كان يقدم على الكتابة في مباحث لم تسبق له دراستها ، معتمدا على مراجعتها من مظانها عند الحاجة اليها ، ومن كان يكتب المقالة في يوم أو ايام أو ساعة أو ساعات ، لاجل أن تنشر في مجلة شهرية ، ويؤلف الكتاب في عدة أشهر لانه وعد بنشره في وقت معين من السنة ، قلما يستطيع أن يجمع بين المواد وتنسيقها وترتيبها ، وبين تخصيص الحقائق فيها وتحريرها . ولهمر الانصاف انه ليقول من يستطيع كتابة تلك الكتب في مثل الزمن الذي كتبها فيها مصنفها ، وهل يوجد في أمتنا كثير من أمثال من فقدته اليوم ؟ وقد ترك للامة ما يميزها عنه - تلك المصنفات الجامعة بين الفائدة واللذة ، ونجمله النجيب أميل زيدان الذي أحسن تعليمه وتربيته . وقد رأى قراء الهلال من آثار قلمه فيه ، ما يبشر باستمرار بزوجه عليهم ما داموا مقبلين عليه موازين له ،

« ولا غرو ان يحذو النقي حذو والده » ،

أوتى خبرا كثيرا وما يذكر إلا أولها الألباب
أوتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد

المعجزة
١٣١٥

أوتى عبادي الذين يستمعون القول فينبهون أحسنه
أوتى الذين هداهم الله وأوتاهم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « متارا » كمنار الطريق

مهر سلخ رمضان ١٣٣٢ هـ ق ١ الصيف الثالث ١٢٩٢ هـ ش ٢٣ أغسطس ١٩١٤

فَتَكُنْ مِنَ الْمُنْجَاتِ

اقتضاهذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع عامة الناس ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وجملة (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانفذ كوالاستئلة بالتدريج فالباور بما قدمنا من تاخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما جينا غير مشترك لمثل هذا ، ولان مضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا خفاله

تفسير له (معقبات من بين يديه ومن خلفه) ﴿

(س ٢٠) من صاحب الامضاء في بركة السبع (مصر)

فضيلة الاستاذ ! السلام عليكم ورحمة الله

لي الشرف الرفيع والقدح المفلح بمثل مسطورى بين يديكم ، وانى وان لم احظ من الاستاذ بالمعرفة الشخصية فقد عرفتني به آدابه الجملة ، وهداني اليه منار علمه العزيز ، ومشكاة فضيله العميم ، ولا غرو بعد اذا رفعت هذا اليكم مستقيا عن الآتي :
جاء في كتاب « الاسلام دين الفطرة » الاستاذ المفضل « الشيخ عبد العزيز شاويش » تنديد على بعض مفسري الزمن الغابر

نرى فضيلته قد ذهب مذهبا غير الذي ذهب اليه المفسرون كالجلايين والنسفي وغيرهما . وقد جاء في كلامه المنشور على « ص ٣٣ و ٣٤ » من الكتاب المشار اليه في تفسير الآية التالية ما لا يتفق مع السابقين :

« عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » الآية . فسر الأوائل المعقبات بالملائكة تتمقب على العبد ليل نهار ، ورووا في ذلك حديثا عن كنانة العدوي قال : دخل عثمان بن عفان على رسول الله فقال اخبرني عن العبد كم معه من ملك ؟ قال « ملك على يمينك على حسناتك وهو امين على الذي على الشمال وملك كان من بين يديك ومن خلفك يقول الله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » وملك قابض على ناصيتك

فاذا تواضعت لله رفعك ، واذا تجبرت على الله قصصك ، وملكك على شفتيك ليس يحفظان عليك الا الصلاة على محمد عليه الصلاة والسلام ، وملكك على فيك لا يدع الحية تدخل اليه . وملكك على يمينك . فهو لاء عشرة املاك على كل آدمي ينزلون وملائكة النهار فهو لاء عشرون ملكا على كل آدمي وإبليس بالنهار وولده بالليل « اه وفسر الشيخ شاویش المستخفي بالليل والسارب بالنهار فقال إنهما المتخذان لها وحرسا وجلالوزة الخ وهنا يتضح من سياق كلامه أنه جمعد وجود ملائكة تحفظ البد وصفوة القول إنني حيال هذه التفاسير المتضاربة وتلك الآراء المتباينة كرىشة

في مهب الرياح

يبد أن تقني بكم واعتمادي على علوكم في العلوم الدينية سيدنيان مني الغرض ويقصيان عني الريب

وها أنا (ذا) على أحر من الجمر ، حتى يرد على القول الفصل ، وما هو شفاء للصدور . ورجائي أن تشمل الاجابة الاسئلة الآتية :

- (١) أي الطرفين أصاب وما وجه أصابته وأيهما الجدير بالاتباع ؟
- (٢) لم لا يهود الضمير في قوله تعالى « له معقبات » على من ذكر اسم الله كقول المفسرين ولم لا أثر لذلك في الآية أصلا كراي فضيلة الشيخ شاویش ؟
- (٣) ماهو تفكيك نظام الآية الذي جاء به المفسرون وكيف قطعوا الحال من صاحبها وفرقوا بين الاجزاء التي تتألف منها ؟
- (٤) كذب الشيخ شاویش الحديث ، وبأي وجه يحتمل تكذيبه له مع أن راويه البخاري وهو كما تعلم من رؤوس الرواة وأصحابها سندا ؟ المخلص

محمد السيد الجارحي

(ج) اختلاف مفسرو السلف في المعقبات هنا فأخذ الشيخ عبد العزيز شاویش بما أعجبه وشنع على من قالوا بغيره ، وما كان ينبغي له ذلك - وقد ذكر الحديث المرفوع فيه - وانما لم نطلع على ما كتبه ويظهر مما كتبه السائل انه رد الحديث من غير أن يبني رده على علته فيه وطعن في سنده ، وأن عبارته توهم أن ما اعتمده في تفسير المعقبات مما استنبطته قريحته الوقادة وكان دليلا على تفضيل الأواخر على

الأوائل ! وقد عهدنا منه في مجلته ردّ الأحاديث الصحيحة المتفق عليها إذا لم يصحبه معناها . وحديث كنانة العدوي في تفسير المعقبات ليس في الصحيحين ، وقد عزاه في الدر المنثور إلى ابن جرير ، وخرجه ابن جرير في تفسيره بسند ضعيف قال « حدثني المثنى قال حدثنا عبد السلام بن صالح القشيري قال ثنا علي بن حرب عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة العدوي » وذكره . وعبد السلام بن صالح اختلفوا فيه فقالوا انه يروى المناكير واتهمه بعضهم بالوضع ، ولكن انكر الحافظ قول العقيلي فيه انه كذاب . وفي غيره من رجال السند مقال لا محل لبسطه . ولو صح هذا السند عند ابن جرير لما رجح عليه غيره . وقد روى عن ابن عباس انه قال في تفسير المعقبات : يعني ولي السلطان يكون عليه الحراس بمنظونه من بين يديه ومن خلفه الخ كذا في الدر المنثور . وفي تفسيره بسنده عنه قال : ذكر ملكا من ملوك الدنيا له حرس من دونه حرس . وفي رواية أخرى له عنه قال : يعني ولي الشيطان يكون عليه الحرس . وروى أيضا عن عكرمة انه قال في اصحاب المعقبات : هو هؤلاء الامراء . وقال في رواية أخرى انه قال في المعقبات : المواقب من بين يديه ومن خلفه . قال ابن جرير بعد ما روى القولين في المعقبات عن ابن عباس وعن غيره :

« وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال : الهاء في قوله (له معقبات) [راجع الى] مَنْ التي في قوله (ومن هو مستخف بالليل) وان المعقبات من بين يديه ومن خلفه هي حرسه وجلالته — كما قال ذلك من ذكرنا قوله . وانما قلنا ان ذلك أولى التأويلين بالصواب لأن قوله (له معقبات) أقرب إلى قوله (ومن هو مستخف بالليل) منه الى قوله (عالم الغيب) فهي اقربها منه أولى بأن تكون مَنْ ذكره « فيها » وان يكون المعنى بذلك ، هذا مع دلالة قول الله (واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له) على انهم هم المعنيون بذلك : وذلك انه جل ثناؤه ذكر قوما أهل معصية له وأهل رية يستخفون بالليل ويظهرون بالنهار ، ويمتنعون من عند أنفسهم بحرس يحرسهم ومنعة تمنعهم من أهل طاعته ان يحولوا

(النار - ج ٩) (٨٣) (المجلد السابع عشر)

بينهم وبين ما يأتون من معصية الله ؛ ثم أخبر أن الله تعالى ذكره إذا أراد بهم سوءاً لم ينفعهم حرسهم ولا يدفعهم عنهم حفظهم « اه ما قاله وهو الذي نختاره
أما حديث أبي هريرة في الصحيحين والنسائي فهذا نصه « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر . ثم يهرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي ؛ فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون » ورواه البزار بلفظ « ان الله ملائكة يتعاقبون فيكم - ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » الخ . فانت ترى انه لم يرد تفسيراً للآية
ولا أدري أ كذب عبد العزيز شاو يش هذا الحديث وأنكر أن يكون في الملائكة حفظة يتعاقبون في المكلفين ؛ أم أنكر أن يكون ذلك هو المراد من الآية ؛ ظاهر عبارة السؤال الأول ، ولا يبعد ذلك على هذا الرجل فقد عهد منه مثله ، ولا عبرة بقوله ، فلا هو من أهل العلم بالحديث رواية ولا دراية ، ولا بغير الحديث من علوم الدين ، ولكن له مشاركة في الفنون العربية وبعض العلوم المصرية ، فتصدى بذلك للتشبه بالمصلحين ، الذين يجمعون بين الدين والعقل ، فتجراً على رد الأحاديث الصحيحة بغير علم . وقوله هو المردود ، وحديث الرسول (ص) هو المقبول . ولعل ما ذكرناه يفي عن بقية مباحث السؤال اللفظية غير الواضحة

(السبي والرق في التوراة والإنجيل)

(س ٢١) من صاحب الامضاء في البكويت

حضرة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الأغر

نرجو من فضلكم تبين حكم السبي في الشرائع القديمة هل هو مشروع فيها أم لا ؛ وهل له ذكر في هذه الاناجيل وهذه التوراة الموجودة في أيدي الناس اليوم إثباتاً أو نفياً أم لا ؛ وما هو أحسن جواب للمعترضين به على الدين الاسلامي بدعوى انه من المهجبة أو انه ينافي الانسانية أو ما أشبه ذلك من العبارات

وكيل المنار

سليمان المدساني

(ج) يؤخذ من أسفار العهد القديم التي يسمونها التوراة ان السبي والرق كان مشروعاً على عهد الانبياء السابقين ابراهيم (ص) فمن بعده (راجع سفر التكوين ١٤: ١٤) وان شريعة موسى تقضي بأن يستأصل الاسرائيليون الامم التي يغلبونها في الارض المقدسة التي أعطوها فلا يبقوا من أهلها صغيراً ولا كبيراً ، وان يسبوا من غلبوهم في غير تلك الارض . والسبأيا والعبيد والإماء من العبرانيين وغيرهم أحكام متفرقة في سفر الخروج وسفر اللاويين وسفر التثنية . ومنها انه شرع لهم تحرير العبراني دون الغريب ، وكذلك يجب الرقي بالبراني منهم دون غيره

ومن نصوص سفر اللاويين في ذلك ما جاء في الفصل الخامس عشر منه وهو مما ذكره من كلام الرب لموسى بعد توصية الاسرائيلي بأخيه اذا بيع له لفقره قال « ١٥ وأما عبيدك وإماءك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم - منهم تقتنون عبيدا وإماء ١٥ وأيضاً من المستوطنين النازلين عنكم ، منهم تقتنون ومن عشائركم الذين عنكم الذين يلدونهم في أرضكم فيكونون ملكاً لكم ١٦ وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك تستعبدونهم الى الدهر . وأما اخوتكم بنو اسرائيل فلا يتسلط عليهم أحد بعنف »

والظاهر من هذه العبارة انه لا يجوز عتق العبد الغريب عندهم ، وأما العبراني فيعتق سنة اليوبيل عندهم الا اذا احب هو ان يبقى رقيقاً ، فعند ذلك تثقب اذنه ويبقى عبداً الى الأبد ، وكان لاستعباد العبراني عندهم ثلاثة أسباب : الفقر ، والسرقه اذا لم يجد السارق قيمة المسروق ، وبيع الوالد بنته لتكون سرية ، فاذا تم للصهيونيين ما يريدون من امتلاك فلسطين واقاموا شريعتهم فيها فاتهم يستأصلون أهلها ويستعبدون جميع من يقدر على استعباده من جيرانهم الى الأبد . ولا يرضون ان يكون لأحد معهم حق ولا ملك ، دع الملك الذي صرح سفر التثنية فيه بأنه لا يحل الاسرائيلي ان يجعل عليه ، لكاً اجنبياً ليس هو اخاه (راجع ١٧ : ١٤ و ١٥)

وفي الفصل العشرين من سفر التثنية ما نصه « ١٥ حين تقرب من مدينة لكي يحاربها استدعها الى الصلح ١٦ فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب

الموجود فيها يكون لك للتسخير والسبي ويستبدلك ١٢ وان لم تسالك بل علمت
معك حربا فحاصرها ١٣ واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بمحد
السيف ١٤ وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيتها فتقتنها لنفسك
وكل غنيمة اعدائك التي اعطاك الرب الهك ١٥ هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة
منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الامم هنا ، واما مدن هؤلاء الشعوب التي
يسطيك الرب الهك فلا تستبق منها نسمة ما »

تأملوا تأملوا أيها المنصفون ما أشد ظلم الذين ينتقدون الاسلام وهم يدعون
الايمان بالتوراة ! فالقرآن يأمر المسلمين اذا آمنخوا في مقاتليهم ، وظهرت لهم الغلبة
عليهم ، ان يكفوا عن القتل ، ويكتفوا بالاسر ، ثم شرع لهم في الاسرى ان يمنوا
عليهم بالعتق فضلا وإحسانا ، أو يفادوهم ان احتاجوا الى ذلك ، كما قال (٤٧ : ٤ -
حتى اذا أمنتهم فشدوا الوثاق فإما منّا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها)
واذا تزوج الاسرائيلي امرأة من السبايا يشرع له ان يكرمها لاذلالها . كما في
الفصل الحادي والعشرون من سفر التثنية ، وهذا التكريم هو ان يتركها لنفسها اذا
لم يسر بها ولا يبيعها ولا يسرقها .

أما الانجيل فقد أقر الاسرائيليين على الرق كما أقر الرومان ولم يأمر السادة
بالعتق ولا بالرفق ، بل أوصى العبيد بالخضوع والطاعة بغير شرط ولا قيد . ومن وصايا
بطرس في رسالته الاولى « أيها الخدام كونوا خاضعين بكل هية للسادة ليس
للسالحين المترفين فقط بل للضعفاء أيضا » الخ ومن وصايا بولس في رسالته الى أهل
أفسس « ٦ : ٥ أيها العبيد اطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة في بساطة
قلوبكم للمسيح » وفي رسالته الى أهل كولوسي « ٣ : ٢٢ أيها العبيد اطيعوا في
كل شيء سادتكم حسب الجسد »

وقد شرحنا في عدة مجلدات من المنار عدل الاسلام ورحمته وحكمته في تخفيف
وطأة الرق التي كانت عند جميع الامم والملل وتمهيد السبيل الى تحريره ، فهو لم يوجب
الاسترقاق كما كان يوجبه بعض الملل ، ولكنه أباحه لأن المصلحة قد تقتضيه
حتى لمصلحة السبايا ، إذ كانت طبيعة العبران ولا تزال في بعض البلاد على غير

ماهي عليه الآن في ممالك الحضارة . فاذا قتل رجال قبيلة وبقي نساؤهم وأطفالهم ما كانوا يجدون من يكفلهم وينفق عليهم ، ففي مثل هذه الحال قد يكون الاسترقاق خيرا لهم ، اذا كان كاسترقاق الاسلام يهدي الى اطعام الارقا ، مما يأكل منه السادة وإلباسهم كما يلبسون ، وعدم تكليفهم مالا يطيقون ، وعدم اهانتهم حتى بالتعبير عنهم بلقب العبد والامة . وناهيك بما شرعه من الاسباب الموجبة لإعتاقهم . وقد فصلنا ذلك في مواضع من مجلدات المنار كما قلنا آنفا فراجع الفهارس تجد ذلك مفصلا ، وتجد حجة الاسلام قائمة على جميع الخلق ولا سيما اليهود والنصارى منهم

أقوال علماء القرن الثالث الاثبات

في عقيدة السلف واثبات الصفات

لا ظهرت بدعة الجهمية في إنكار صفات الله عز وجل وتأويل ماورد منها في الكتاب والسنة هب حققة الدين وحمته من التابعين ومن بعدهم للرد عليهم ، وتفنيد تأويلاتهم ، والاستمسك بعروة النقل ، حذرا من تحريفها بنظريات العقل ، التي نخدع بها بعض المعاصرين ، توهمنا انها من قطعيات البراهين ، واننا ننقل من كتاب العلولانذهبي (الذي يطبع في مطبعة المنار) بعض أقوال الأئمة المتبوعين ، الذين يجهل أقوالهم من يجلبهم من المعاصرين . ولكن الذهبي ينقل في هذا الكتاب ما صح وما لم يصبح ، ويشير الى ضعف الرواية الضعيفة أو نكارتها غالبا ، على ان من غلاة الأثرين من يقبل كل ما روي في ذلك . قال :

﴿ طبقة الشافعي واحمد رضي الله عنهما ﴾

روى شيخ الاسلام أبو الحسن الهكاري والحافظ أبو محمد المقدسي بإسنادهم الى أبي ثور وأبي شعيب ، كلاهما عن الامام محمد بن ادريس الشافعي ناصرا الحديث رحمه الله قل : القول في السنة التي انا عليها ، ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما — اقرار بشهادة ان لا إله

الا الله، وأن محمدا رسول الله، وإن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء. وذكر سائر الاعتقاد. وبإسناد لا يعرفه عن الحسين بن هشام البلدي قال: هذه وصية الشافعي — أنه يشهد أن لا إله إلا الله — فذكر الوصية بطولها وفيها: القرآن غير مخلوق، وإن الله يرى في الآخرة عيانا، ويسمونه كلامه، وأنه تعالى فوق العرش. إسنادهما واه.

قال الحاكم سمعت الأصم يقول، سمعت الربيع، سمعت الشافعي وقدروى حديثا فقال له رجل: تأخذ بهذا يا أبا عبد الله؟ فقال: إذا رويت حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب

(ابن خزيمة وعدة)

سمعت يونس يقول قال الشافعي: لا يقال للأصل لم ولا كيف. أبو ثور وغيره: قالا سمعنا الشافعي يقول: ما ارتدى أحد بالكلام فافلح. وقال الربيع سمعت الشافعي يقول: المراء في الدين يقسي القلب، ويورث الضغائن. وعن يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول: لله تعالى أسماء وصفات لا يسم أحدا قامت عليه الحجة ردها. قال ابن أبي حاتم سمعت الربيع بن سليمان، يقول سمعت الشافعي يقول: من حلف باسم من أسماء الله فحنت فعله الكفارة، لأن اسم الله غير مخلوق، ومن حلف بالكعبة وبالعصا والمرورة فليس عليه كفارة لأنها مخلوقة

(قلت) تواتر عن الشافعي ذم الكلام وأهله، وكان شديد الاتباع للآثار في الأصول والفروع — مات في رجب سنة أربع ومائتين بمصر

• (القمني ذاك الامام) •

قال بنان بن أحمد : كنا عند القمني رحمه الله فسمع رجلاً من الجمهور يقول (الرحمن على العرش استوى) فقال القمني : من لا يوقن ان الرحمن على العرش استوى كما يقر في قلوب العامة فهو جهلي . اخرجهما عبد العزيز القحيطي في تصانيفه . والمراد بالعامّة عامة أهل العلم ، كما ينه في ترجمة يزيد بن هارون امام أهل واسط . ولقد كان القمني من أئمة الهدى ، حتى لقد تعالى فيه بعض الحفاظ وفضله على مالك الامام . توفي سنة إحدى وعشرين ومائتين عن بضع وثمانين سنة ، وهو أكبر شيخ لمسلم مطلقاً

• (عفان احد اعلام السنة) •

قال ابن أبي حاتم : ثنا يحيى بن زكرياء بن عيسى حدثني يحيى ابن أبي بكر السمنار ، سمعت عفان بن مسلم بعد ما جاء من دار اسحاق بن ابراهيم لما امتحنه في القرآن فقال : له كتب الي ان ادر أرزاقك ان اجبت الي خلق القرآن . فقلت : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم (يريدون ان يبدلوا كلام الله - لا إله الا هو الحي القيوم - قل هو الله احد) أخلق هذا ؟ ادركت شعبة وحماد بن سلمة وأصحاب الحسن يقولون : القرآن كلام الله ليس مخلوقاً . قال : اذا قطع أرزاقك . قلت : (وفي السماء رزقكم وما توعدون) قيل كان رزقه في الشهر ألف درهم فترك ذلك لله عز وجل . توفي سنة تسع عشرة ومائتين

«(عاصم بن علي شيخ البخاري)»

روينا عن عاصم بن علي بن عاصم الواسطي قال : ناظرت جها فتين
من كلامه أنه لا يؤمن ان في السماء ربا . قالت : كان عاصم حافظاً من
أوعية العلم صادقاً ، حل عن شعبة وابن أبي ذئب وخلق . ذكر الخطيب
في ترجمته ان المتعم وجه من مخزر مجلس عاصم هنذا في رحبة جامع
الرصافة ، وكان يجلس على سطح الرحبة ويجلس اذني في الرحبة وما يليها ،
فيظلم الجمع مرة حتى قال أربع عشر مرة « ثنا اثيث بن سعد » والناس
لا يسمون اكثرتهم . وكان المستلي هارون يركب نخلة يستلي عليها ،
فخزروا الجم فكان عشرين ومائة الف . وقال يحيى ابن معين : عاصم بن
علي سيد المسلمين . قلت : مات مع القمني في سنة (أي سنة ٢٢١)

هو الحيدري

أخبرنا اسماعيل بن عبد الرحمن المذل أنبا عبد الله بن أحمد النقي
سنة سبع عشرة وستائة أنبا سعد الله بن نصر أنبا أبو منصور الخطاط أنبا
عبد القنار بن محمد أنبا أبو علي الصواف أنبا بشر بن موسى الحيدري قال :
أصول السنة عندنا ... فذكر أشياء ثم قال : وما نطق به القرآن والحديث
مثل (وقالت اليهود يد الله مغلولة غنت أيديهم) ومثل قوله (والسموات
مطويات بيمينه) وما أشبه هذا من قرآن والحديث : لا يزيد فيه
ولا ينقص : ونقف على ما وقف عليه القرآن والسنة : ونقول (الرحمن

على العرش استوى) ومن زعم غير هذا فهو مبطل جهلي .
كان العلامة أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي الاسدي الحيدري

(المنار - ج ٩ م ١٧) كلام يحيى النيسابوري وهشام الرازي في الاستواء ٦٦٥

مفتي أهل مكة وعالمهم بعد شيخه سفيان بن عيينة . حدث عنه البخاري
والكبار . مات سنة تسع عشرة ومائتين

• (عالم المشرق يحيى بن يحيى النيسابوري) •

قال ابن منده : أنبأ محمد بن يعقوب الشيباني ثنا محمد بن عمرو بن
النضر ثنا يحيى بن يحيى قال : كنت عند مالك فجاءه رجل فقال : يا أبا عبد
الله ! (الرحمن على المرش استوى) فأطرق ثم قال : الاستواء غير
مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه
بدعة . قال ابن أبي حاتم سمعت مسلم بن الحجاج : سمعت يحيى بن يحيى
يقول : من زعم أن من القرآن من أوله إلى آخره آية منه مخلوقة فهو كافر .
كان يحيى بن يحيى إليه المتهى في الاتقان والورع والجلالة بنيسابور ،
قل أن ترى العيون مثله . حل عن مالك وخارجة بن مصعب والكبار ،
ومات سنة ست وعشرين ومائتين

• (عالم الري هشام بن عبيد الله الرازي) •

قال ابن أبي حاتم : ثنا علي بن الحسن بن يزيد السلمي سمعت أبي
يقول : سمعت هشام بن عبيد الله الرازي - وحبس رجلا في التجهم فجيء
به إليه ليمتنعه - فقال له : أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه ؟
فقال : لا أدري ما بائن من خلقه - فقال ردوه فإنه لم يتب بعد .

كان هشام بن عبد الله من أئمة الفقه على مذهب أبي حنيفة ، تفقه
على محمد بن الحسن ، كان ذا جلالة عجيبة وحرمة عظيمة يبلده ، توفي سنة

احدى وعشرين ومائتين

ابن أبي حاتم : حدثنا أبو هرون محمد بن خلف الجزار : سمعت هشام ابن عبيد الله يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق . قال له رجل : أليس الله تعالى يقول (ما يأتهم من ذكر من ربهم محدث) ؟ فقال محدث الينا وليس عند الله بمحدث . قلت لانه من علمه وعلمه قديم فلم عباده منه . قال تعالى (الرحمن علم القرآن) فالمقري يلحق الختمه مائة نفس ومائتين فيحفظونه وهو لا ينفصل عنه منه شيء ، كسراج أوقدت منه سرجاً ولم يتغير ﴿ فقيه المدينة عبد الملك بن الماجشون ﴾

قال ابن أبي حاتم : ثنا يحيى بن زكريا بن عيسى ثنا هرون بن موسى القروي قال : ما سمعت الكلام في القرآن الا سنة تسع ومائتين - جاء نفر الى عبد الملك بن الماجشون وكلموه فانكر ذلك عندهم ، فكان في بعض ما كلمهم به أن قال (قل هو الله أحد) أهذا مخلوق ؟ ثم قال : لو أخذت بشرا المريسي لضربت عنقه .

كان عبد الملك من أجل تلامذة مالك ، وكان أوه عبد العزيز بن الماجشون يفتي مع مالك في دولة المهدي ، توفي عبد الملك في سنة أربع عشرة ومائتين

(المنار) سنن طائفة أخرى من نقول هذا الكتاب ، ونبين ان مذهب السلف هو الموافق للعتل السليم دون مذهب الجهمية .

الطامة الصغرى أو الحرب الكبرى

قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَبْدِلَكُمْ دِينَكُمْ وَيُعَذِّبَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .
أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (سورة الانعام ٦ : ٦٦)

« ان الانسان لطيفي أن رآه استغنى » ، وانه ليبغي أن رآه اعتز واستعلى ،
وان مدّ الطغيان لآلى جزر ، وان غناه لآلى فقر ، وان البغي مصرعه وخيم ، وإن
علو الجبارين لآلى هبوط ذميم

كانت المسألة الشرقية فزاعة أوربة اذا فزعت من سوء العواقب ، ومشأمتها
اذا نظرت من امارات النوائب ، وكانت ترى ان مشكلتها أعقد من ذنب الضب ،
وأن حلها أعسر من تريع الدائرة ، وقد أنذرها داهية ساستها ، (البرنس بيسارك)
بأن شرارة واحدة من نار حرب بلقانية تكفي لإحراق ممالك أوربة كلها ، ولكنهم
تماروا بالنذر ، وغرهم ما كانوا يسمونه التوازن الأوربي بين وفاق مثلث وحلاف
مثلث . وألفت دولة الروسية بين المختلفين من الدول البلقانية ، فجعلت البلقان واليونان
والصرب والجبل الأسود إلبا واحدا على الدولة العثمانية . بعد أن أغارت ايطالية على
مملكة كبيرة من ممالكها وهي طرابلس الغرب وبرقة .

ثم سمعت الدول الكبرى كلها للبلقانيين بقتال الدولة العثمانية ، ولكنهم
صرحن بأنهم لا يسمحون بتغيير مآ في خريفة البلقان ، لأن التنازع على تلك الارض
مثار البغي والعدوان ، فاشتعلت نيران الحرب ، واظهر البلقانيون فيها من القسوة
والوحشية والفظائع والقواحش مالا مزيد عليه ، ولم ينبض في قلوب رجال الدول
الكبرى عرق من عروق الرأفة والرحمة ، ولا احتج أحد منهم على تلك المذابح
والفظائع بكلمة ، وانما كان همهم محصورا في حصر الحرب في البلقان ، ومنع شرورها
ان يهل الى ممالكهم الكبار

ثم شرع البلقانيون في قسمة ما استولوا عليه من البلاد العثمانية ، فسمحت لهم الدول بذلك متناسية وعدها بعدم السماح . فوقع بينهم التنازع والتقاطع ، وحل الخلاف محل الخلاف ، ولم يرضهم ما حكم به في القسمة مؤتمر السفراء ، فأوقدوا نار القتال بينهم ، ونقضوا ما أبرمته الدول لهم . ثم دخلت رومانية في الامر معهم ، وضربت من الغنيمة بسهم ، وكانت القسمة ضئيلة ، غبن بها البلغار ، وكان القديح المعلن لليونان ، واعتزت الصرب أي اعتزاز . وكانت النمسة مسعرة نار الفتنة بينهم ، لتأمين مقبة اعتزاز الروسية بهم .

وقعت الواقعة ، وفتح باب المسألة الشرقية ، وسوّل الغرور للدول الكبرى عملها ، وظننت ان ساستها قدروا بدهائهم على حصر نيرانها في مواقدها ، ومنع شرورها ان يتعدى الى ماحولها ، وأن أوربة المملوءة من البارود والديناميت ، أمنت أن تصيبها الشرارة التي أنذرها بسمرق فيعمها الحريق . ونسوا عدل الله انعام ، في جميع الأمم والأقوام ، وانه يعاقب المقر للشر كمجرمه ، ويجزي الساعي بالخير كفعله ، (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون)

غمر الصرب ما أوتيت من نصر ، ومن سعة في الملك ، ومن عود الصربيين العثمانيين اليها ، فطمعت في صرب النمسيين وفيما يسكنونه من البلاد أيضا ، فزادت جمعياتها السرية الساعية الى ذلك جرأة وإقداما ، حتى اغتال بعض الفدائيين منهم ولي عهد النمسة وقرينته (في ٢٨ يونيو الماضي) في مدينة (بوسنه سراي) عاصمة البوسنه عند زيارتهما لها . وقد ثبت لدى حكومة النمسة والمجر ان هذه الجناية كانت أمر مكيدة دبرت في (بلغراد) عاصمة الصرب ، وان بعض الضباط وعمال الحكومة من الصربيين هم الذين اعطوا الجناة ما كان معهم من السلاح والقذائف النارية ، وكلهم من جمعية صربية ثورية . فأرسلت حكومة النمسة والمجر بلاغ تهديد وانذار لحكومة الصرب . شتمل على ما يرهقها ويذلها

فما كلفتها اياه تصريحاً أو ضمناً أن تعترف باشتراك بعض ضباطها ووظيفيها في جناية قتل ولي العهد وزوجه ، وتبرأ من عملهم وتصريح بالأسف لوقوعه — وان تنشر الاعتراف والبراءة في جريدتها الرسمية وجريدتها العسكرية ، — وان تبرأ من

أعمال الجمعيات الصربية المحرصة على عداوة النمسة — وان تحمل جمعية (نارونا) أو (ابرانا) — وان تضبط جميع المطبوعات الصربية المشتبهة على التحريض على النمسة والتنفير منها لهذه الجمعية وغيرها — وان تمرل جميع الضباط والمستخدمين الذين ثبت لدى حكومة النمسة تهمة تحريضهم على عداوتها — وان تعاقب الشركاء في جناية اغتيال ولي العهد من الصربيين المقيمين في بلادهم ، ومنهم بعض الضباط والموظفين المعينين باسمائهم — ومنها ان تحذف من كتب التعليم كل ما يمد دعوة الى معاداة النمسة ، وتعرل المعلمين الذين يثبون هذه الدعوة — ومنها ان تمنع تهريب السلاح والمواد المفرقة الى ما وراء الحدود — ومنها ان تقبل من تنديهم حكومة النمسة لمساعدة حكومة الصرب على تنفيذ هذه الاقتراحات

كتب انذار النمسة في ٢٣ يوليو الماضي ، وكلفت الصرب ان تجيب عنه في مدة ٤٨ ساعة . أما الصرب فلم تقبل مطالب النمسة ، وبلغت الدول الانذار وطلبت منها التوسط في الأمر ، وأما الدول فقد اختلف رأيهن — فروسية عدت بلاغ النمسة وسيلة منها الى قتال الصرب واذلالها ، وصرحت بأنها لا تسكت على ذلك ، وبادرت الى مذاكرة فرنسا وانكلترة ومطالبتهما بالاتحاد معها على الحرب والقتال ، فأسرعت فرنسا الى وعدها بالقيام بجميع عهودها التي تفرضها عليها الحائفة . ولكن انكلترة ترددت في الامر ، ولم تعد بالمساعدة على الحرب ، وطلقت مخاطب سفراءها بلسان البرق ، مجتهدة في رفق الفتق . وأما ألمانيا فقد أظهرت العطف على حليفها ، وارتأت وجوب حصر الخلاف بين النمسة والصرب دون سواهما ، حتى لا يتعدى لهيب النار الى أوربة كلها ، وتبادل عاهل الألمان وقصر الروس البرقيات في وجوب صيانة السلم في أوربة ، وصرح الأول والثاني بأن ذلك موقوف على عدم تصدي روسية للاستعداد للحرب . ولكن روسية بادرت الى تعبئة جيشها تعبئة عامة ، وبلغ ناظر خارجيتها سفير انكلترة ان عند حكومته براهين قاطعة على ان ألمانيا تستعد برا وبحرا لمهاجمتها . فروسية بدأت بالتعبئة جهرا ، متهمة ألمانيا بأنها تستعد سرا ، وأنها لاتدعها تسبقها في الاستعداد

والتبادر عما دار بين الدول في هذه المسألة أن ما كانوا يقولونه ويكتبونه كان

له ظهر وبطن ، والظاهر منه أن انكلترة وفرنسة كاتتا حريصتين على منع الحرب الأوربية ، ولكن روسية وألمانية لم تدعاهن طريقا يسلكانه لذلك . ففي ٢١ يوليو قررار الروسية على التعبئة العامة رسميا ، وألمانية وفرنسة امرتا بذلك في أول أغسطس . وأعلنت ألمانية الحرب على روسية في ٢ منه بناء على اجتياز بعض الجنود الروسية للحدود ، وتنايحت ^(١) سائر الدول الكبرى على الحرب ماعدا إيطاليا فانها لزمت الحياد

نعم ان وراء الاسباب الرسمية للحرب أسبابا أخرى تقدمتها ترجع الى أصل واحد في السياسة ، وهو تعارض الدول الكبرى في المصالح والمنافع والسيادة والمظنة في الأرض ، فروسية ترمي الى ان تكون ذات السيادة العليا بضم عصبية الشعوب السلافية في البلقان والنمسة اليها ، والتوسل بذلك الى النفوذ من زقافي الآستانة (البوسفور والدردنيل) الى البحر الأبيض المتوسط ، الذي هو بين أوربة وآسية وأفريقية بمنزلة القلب من جسد الانسان .

وألمانية تود أن تكون ذات السيادة العليا في أوربة كلها بل في العالم كله ، بالجمع بين القوتين البرية والبحرية ، على أكل ما يصل اليه ارتقاء العلوم الطبيعية ، والفنون الآلية وكانت انكلترة قد سبقت الدول كلها بالقوة البحرية التي جعلت لها السيادة العليا في الاستعمار ، فهي ترى انه يجب عليها أن تحافظ على ما آتاه الله بمجدها وتديرها ، فكانت كلما رأت ألمانية أنشأت بارجة حربية تنشى بارجتين مثلها ، لانها إذا لم تفعل ذلك لاتبث أن تسلبها ألمانية ملكها

وأما فرنسة فهي على ما كان لها من السبق في الفنون والأعمال الحربية ، من برية وبحرية ، لم تكن هذا في العهد الذي عظمت فيه المباراة بين انكلترة وألمانية ، مجتهدة في الاستعداد للحرب الأوربية بحسب ما تخولها ثروتها ومعارفها ، بل اكتفت من العظمة بتوسيع مساحة مستعمراتها ، بالاستيلاء على مملكة المغرب الأقصى بعد إضعافها ، بإيقاع القتن والحروب الداخلية فيها . وانصرفت الى التمتع بسعة الثروة ونعمة الحضارة ، واكتفت من اتقاء زحف ألمانية عليها بتحصين حدودها ، وبمحافظة

(١) التنايح بالمشاة البحرية بمعنى التنايح بالوحدة إلا أنه خاص بالشر

روسية ثم مودة انكسرة لها ، فكانت تمدد روسية بالقناطر المقنطرة من الذهب ،
وتفريها بما يوافق هواها من الاستعداد للحرب ، وتوخر صدرها ، وتستثير دفين
حقدها ، وتستخرج كمين ضمها ، على النمسة وألمانية معا . وكان من سياستها أن
تعمل روسية المال الذي تقتضي الحال اتفاقية على الاستعداد الحربي لمباراة لألمانية —
تستفيد بذلك قاندين — استقلال المال بدلا من اضاعته في زيادة أهبة الحرب ،
 وإعداد جند غريب للدفاع عن فرنسا بدلا من تعريض معظم شبابها للقتل ، مع
ممانيت به من قلة النسل ، — ولكن انكسرة حملتها بعد الاتفاق معها على تعزيز
قوتها البحرية ، كما حملت هي روسية على زيادة العناية بجميع المعدات الحربية ،
بذلك كله أصبحت هذه الدول المريقة في العلم والصناعة ، والثروة والحضارة ،
تتفق مشات الملايين مما تمصه من ثروة البشر وثمرات كسبهم . على الاستعداد لإراقة
دمائهم ، وتدمير حضارتهم ، وكلها مشتركة في هذا الوزر الكبير ، ومصرة على هذا
الحث العظيم ، الذي لا باعث له الا الطمع في الكسب ، وحب العلو في الأرض ،
وان كانت تمويه بدعوى تأييد السلم بالاستعداد للحرب ، وعدم استعمال هذا السلاح
في غير التوحشين ، الذين تريد تهذيبهم بالمدنية والدين !!

واتما تراهم يخلصون ألمانية أو عاهلها غليوم الثاني بمزيد الدم ، ويرموه بتعمد
اغراق أوربة في بحر من الدم ، لأن أمته قد صارت بسعيه أشد ام الأرض عناية
بالفنون والاعمال العسكرية ، واستعدادا للحروب البرية والبحرية ، حتى اضطرت
سائر الدول اضطارا لمجاراتها في ذلك ، فإذا كانت ألمانية لم ترض من الدول التي
سبقتها الى الاستعمار بمساواتهم لها في حرية التجارة والكسب في بلادهم
ومستعمراتهم ، ولا بما بذت به من البناء القسي في تجارتها وصناعتها فقامت تستمد
لسلبين ما في أيديهم ، أو الاستلاء عليهم ، — فكيف يرضين بأن يعرضن
ملكهن للضياع والخضوع لقوة الشعب الجرمانى العسكرية القاهرة ؟

هذه حجة الامم الاوربية على ألمانية التي ارادت ان تعامل الدول التي بطرتها
أو سبقتها بالحضارة ، بمثل ما عاملن به الامم التي غلب عليها الجهل والبداءة ، وهي
السيادة بقوة العلم والصناعة . على ان الجرائد المصرية الرئيسية كللقم والاهرام نقلت

٦٧٣ اندفاع امم أوربة كلها للحرب وافساد العمران (المنار - ج ١ م ١٧)

لذا عن لندن وباريس وبارسبرج ان جميع الشعوب تلقت نبأ اعلان الحرب بالسروور والابتهاج ، والاحتاف في الشوارع والاسواق ، بل استثنوا الشعب الالماني فرغموا أنه كاره للحرب ، مسوق اليها بتأثير الماهل غليوم الثاني والحزب العسكري . فان صبح قولهم هذا — وان بصبح — فهو فضيلة لهذا الشعب على سائر الشعوب الأوربية . ولكنهم ارادوا ان يهونوا امره ، ويبالغوا في ذم عاهله ، فمدحوه بغير قصد ، وسبرجون عن هذا المدح

حسبنا هذه الجملة الوجيزة من بيان أسباب هذه الحرب ومقدماتها ، ونختتم المقال بعبارة المؤمنين بالله فيها ، فنقول ان هذه الحرب تربية من الله تعالى للبشر الذين بني أقويائهم على ضعفائهم ، ولم يشكروا نعم الله عليهم بتسخير الطبيعة لهم ، وتمكينهم بسعة العلم بسننه فيها ، من جميع أنواع الانتفاع بها ، بل كفروا بهذه النعم بالبنى في الأرض ، واستعلاء بعضهم على بعض ، حتى أنهم حقروا أخاهم الإنسان الذي لم يصل الى درجتهم في العلم ، فجعلوه — وقد كرمه الله — أدنى منزلة من الحيوانات المعجم ، فلو أنهم رأوا قطعا من الانعام أو أسرابا من الطير ، يفتك بعضها ببعض ، وتسرف في الظلم والعدوان ، كما فعل جيرانهم في البلقان ، لحالوا بينها ، ومنعوها من التماذي في ظلمها

أما وقد فعلوا ما فعلوا ، ورضوا بما رضوا ، وجعلوا جل همهم الاستعداد لسفك الدماء ودك صروح العمران — فلا بد أن ينتقم الله تعالى منهم لكفرهم بنسبته ، ويزيل قواهم بما استعلاوا وبغوا به على الضعفاء من خلقه ، وكذلك فعل — فقد جعل الآلات الحربية التي بها يتحكمون وبالا عليهم ، وعذابا يأتيهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، فتفتك بهم مناظيدهم وطياراتهم ، ويوارجهم وغواصاتهم ، والغامهم وينادقهم ومدافعهم ، وتفتي من جموعهم ، أكثر مما أفنوا من اخوانهم البشر بأيديهم ، أو بمساعدتهم وإقرارهم . وأذاق بعضهم بأس بعض ، فجعل محالقاتهم واتفاقاتهم وبالا عليهم ، وسببا لتهديم الانتقام بهم . فصدق قول الله الذي صدرنا به الكلام عليهم . وسيصدق وعده أيضا بجعل العاقبة للمتقين ، الذين يحررون الشعوب المظلومة من استعباد الظالمين ، وإنما يرحم الله الراحمين ، والراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء .

الباب السابع^{*}

من كتاب الاعتصام

(في الابتداع : هل يدخل في الامور العادية أم يختص بالامور العبادية ؟)

قد تقدم في حد البدعة ما يقتضي الخلاف فيه : هل يدخل في الامور العادية أم لا ؛ اما العبادية فلا اشكال في دخوله فيها ، وهي عامة الباب ؛ اذ الامور العبادية إما اعمال قلبية وامور اعتقادية ، وإما اعمال جوارح من قول أو فعل ، وكلا القسمين قد دخل فيه الابتداع كذهب القدريّة والمرجئة ، والخوارج والمعتزلة ، وكذلك مذهب الاباحية واختراع العبادات على غير مثال سابق ولا أصل مرجوع اليه ؛

واما العادية فافتضى النظر وقوع الخلاف فيها وامثلتها ظاهرة مما تقدم في تقسيم البدع ، كالكوس والمحدثّة من الظالم ، وتقديم الجمال على العلماء في الولايات العلمية ، وتولية المناصب الشريفة من ليس لها باهل بطريق الوراثة ، واقامة صور الأئمة وولاية الأمور والقضاة ، واتخاذ المناخل وغسل اليد بالاشنان ، ولبس الطيالس ، وتوسيع الاكام ، واشباه ذلك من الامور التي لم تكن في الزمن الفاضل والسلف الصالح ، فانها أمور جرت في الناس وكثر العمل بها ، وشاعت وذاعت فلحقت بالبدع ، وصارت كالعبادات المخترعة الجارية في الامة ؛ وهذا من الادلة الدالة على ما قلنا ، واليه مال القرافي وشيخه ابن عبد السلام ، وذهب اليه بعض السلف.

(٩) تابع لما نشر في ص ٥٩٣

(المجلد السابع عشر)

(٨٥)

(المنار- ج ٩)

فروي أبو نعيم الحافظ عن محمد بن أسلم أنه ولد له ولد - قال محمد ابن القاسم الطوسي - فقال : اشتر لي كبشين عظيمين . ودفع اليّ دراهم ، فاشتريت له واعطاني عشرة أخرى ، وقال لي : اشتر بها دقيقا ولا تنخله واخبره - قال - فتخلت الدقيق وخبرته ثم جئت به ، فقال : نخلت هذا ؛ واعطاني عشرة أخرى وقال : اشتر به دقيقا ولا تنخله واخبره . فخيرته وحملته اليه ، فقال لي : يا ابا عبد الله ! العقيقة سنة ، ونخل الدقيق بدعة ، ولا ينبغي ان يكون في السنة بدعة ، ولم أحب ان يكون ذلك الخبز في بيتي بعد ان كان بدعة . ومحمد بن أسلم هذا هو الذي فسر به الحديث اسحاق بن راهويه حيث سئل عن السواد الاعظم في قوله عليه السلام « عليكم بالسواد الاعظم » فقال : محمد واصحابه . حسبا يأتي - ان شاء الله - في موضعه من هذا الكتاب .

وأیضا فان تصور في العبادات ، وقوع الابتداع وقع في العادات ، لانه لا فرق بينهما . فالامور المشروعة تارة تكون عبادية وتارة عادية ، فكلاهما مشروع من قبل الشارع ؛ فكما تقع المخالفة بالابتداع في احدهما تقع في الآخر .

ووجه ثالث وهو أن الشرع جاء بالوعد بأشياء تكون في آخر الزمان

هي خارجة عن سنته ، فتدخل فيما تقدم تمثله ، لانها من جنس واحد .

ففي الصحيح عن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم « انكم سترون بمدي اثرة وأمورا تنكرونها - قال فما تأمرنا

يا رسول الله ؟ قال - ادوا اليهم حقهم وسلوا حاكم » وعن ابن عباس

رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من كره من اميره

شيئا فليصبر « وفي رواية « من رأى من اميره شيئا يكرهه فليصبر عليه ،
فانه من فارق الجماعة شرا فإت مات ميتة جاهلية »

وفي الصحيح ايضا « اذا أسند الامر الى غير اهله فانتظروا الساعة » .
وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يتقارب
الزمان ، ويقبض العلم ، ويلقى الشح ، ^(١) وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج -
قال : يا رسول الله ايما هو ؟ قال - القتل القتل » . وعن ابي موسى رضي
الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « ان بين يدي لأياما ^(٢) ينزل
فيها الجهل ، ويرفع فيها العلم ، ويكثر فيها الهرج » والهرج القتل .

وعن حذيفة رضي الله عنه . قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم حديثين ، رأيت أحدهما وانا انتظر الآخر - حدثنا ان الامامة
نزلت في جدر قلوب الرجال ، ثم علموا من القرآن ، ثم علموا من السنة .
وحدثنا عن رفعها ثم قال « ينام (الرجل) النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل
اثرها مثل الوث ^(٣) ثم ينام النومة فتقبض ، فيبقى اثرها مثل اثر المحل ،
كجمر دحرجته على رجلك فنفس قفراه ينتثر وليس فيه شيء ، ويصبح
الناس يتبايمون ولا يكاد احد يؤدي الامانة . فيقال : ان في بني فلان
رجلا امينا . ويقال للرجل : ما عقله ! وما اظرفه ! وما اجلده ! وما في قلبه
مشقال حبة خردل من ايمان » الحديث .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
« لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان ، يكون بينهما مقتلة عظيمة ،

(١) في رواية احمد والشيخين هنا زيادة « ويظهر الجهل » (٢) لعله : بين يدي
الساعة ، وروي بلفظ « ان من ورائكم أياما » الخ رواه الترمذي وابن ماجه عنه
(٣) الوث بقية الماء او النيد او المعجين في الاناء والقليل من المطر

دعواهما واحدة، وحتى يمت دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلم
يزعم انه رسول، وحتى يقبض العلم - ثم قال - وحتى يتناول الناس في
البيان، الى آخر الحديث.

وعن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
«تخرج في آخر الزمان احداث الاسنان، سفهاء الاحلام، يقرؤن
القرآن لا يجاوز تراقيهم، يقولون من قول خير البرية، يرقون من
الدين كما يرق السهم من الرمية»

ومن حديث ابي هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال «بادروا
بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا فيبيع
دينه بعرض الدنيا» وفسر ذلك الحسن قال: يصبح محرما لدم اخيه وعرضه
وماله، ويمسي مستحلا له. كانه تأوله على الحديث الآخر «لا ترجعوا
بمدي كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض» والله اعلم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم «ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو
الزنا ويشرب الخمر، ويكثر النساء، ويقل الرجال، حتى يكون لخمسين
امراة قيم واحد»

ومن غريب حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم «اذا فعلت امتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء -
فيل وماهي يا رسول الله؟ قال - اذا صار المغم دولا، والامانة مغنا،
والزكاة مفرما، واطاع الرجل زوجته وعق أمه، وبر صديقه وجفا اباه،
وارتفعت الاصوات في المساجد، وكان زعيم القوم ارضاهم، واكرم

الرجل مخافة شره ، وشربت الخمر ، ولبس الحرير ، واتخذت القيان
والمعازف ، ولمن آخر هذه الامة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء ،
وزلزلة وخسفا ، او مسخا وقذفا »

وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه قريب من هذا وفيه
« ساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم اردلهم » وفيه « ظهرت القيان
والمعازف » وفي آخره « فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا
وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع »

فهذه الاحاديث وأمثالها مما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم انه يكون
في هذه الامة بعده إنما هو في الحقيقة تبديل الاعمال التي كانوا أحق
بالعمل بها ، فلما عوضوا منها غيرها ، وفشا فيها كانه من الممول به تشريعا ،
كان من جملة الحوادث الطارئة على نحو ما بين في العبادات .

والذين ذهبوا الى أنه مختص بالعبادات لا يسمون جميع^(١) الاولون .
أما ما تقدم عن القرافي وشيخه فقد صر الجواب عنه ، فاتها معاصي
في الجملة ، ومخالفات للمشروع ، كالمكوس والمظالم ، وتقديم الجهال على العلماء ،
وغير ذلك ، والمباح منها كالناخل إن فرض مباحا - كما قالوا - فانما إباحته
بدليل شرعي فلا ابتداء فيه ، وإن فرض مكروها - كما أشار اليه محمد بن
أسلم - فوجه الكراهية عنده كونها عدت من المحدثات ، اذ في الاثر :
أول ما أحدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المناخل - أو كما قال -
فاخذ بظاهره من أخذ به كعبد بن أسلم . وظاهره ان ذلك من ناحية

(١) كذا ولا بد ان يكون قد سقط من هنا كلام . ولعل أصله : لا يسمون
جميع ما قاله الاولون . او جميع ما ذهب اليه الاولون

السرف والتعم الذي أشار الى كراهيته قوله تعالى (اذهبت طياتكم في حياتكم الدنيا) الآية ^(١) لا من جهة انه بدعة ؛

وقولهم : كما يتصور ذلك في المبادات يتصور في العادات - مسلم ؛
وليس كلامنا في الجواز العقلي ، وانما الكلام في الوقوع ، وفيه النزاع .
وأما ما احتجوا به من الاحاديث فليس فيها على المسئلة دليل
واحد ، اذ لم ينص على أنها بدع أو محدثات أو ما يشير الى ذلك المعنى ؛
وأيضاً ان عدوا كل محدث العادات بدعة ، فليعدوا جميع ما لم يكن فيهم
من المآكل والمشارب والملابس والمسائل النازلة التي لا عهد بها في الزمان
الاول بدعا ، وهذا شنيع ؛ فان من الموائد ما تختلف بحسب الازمان
والامكنة والاسم ، فيكون كل من خالف العرب الذين ادركوا الصحابة
واعتادوا مثل عوائدهم غير متبعين لهم . هذا من المستنكر جداً ؛ نعم
لا بد من المحافظة في الموائد المختلفة على الحدود الشرعية والقوانين الجارية
على مقتضى الكتاب والسنة ؛

وأيضاً فقد يكون التزام ^(٢) الواحد والحالة الواحدة أو العادة

الواحدة تبعاً ومشقة لاختلاف الاخلاق والازمنة والبقاع والاحوال ؛
والشريعة تآني التضييق والخرج فيما دل الشرع على جوازه ولم يكن ثم
معارض . وانما جعل الشارع ما تقدم في الاحاديث المذكورة من فساد
الزمان واشراط الساعة لظهورها وفحشها بالنسبة الى متقدم الزمان ،

(١) لعل ابن اسلم يخص كراهة الدقيق المنخول بما كان اداء لسنة كالمققة ليفعلها
كما كانوا يفعلونها (٢) يفاض بالاصل لعل مكانه « الزي »

فإن الخير كان أظهر، والشر كان أخفى وأقل، بخلاف آخر الزمان فإن الأمر فيه على العكس، والشرف فيه أظهر والخير أخفى.

وأما كون تلك الأشياء بدعا فقير مفهوم على الطريقتين في حد البدعة فراجع النظر فيها تجده كذلك.

والصواب في المسئلة طريقة أخرى وهي تجمع شتات النظرين، وتحقق المقصود في الطريقتين، وهو الذي بني عليه ترجمة هذا الباب، فلنفرد في فصل على حديثه والله الموفق للصواب.

فصل

أفعال المكلفين بحسب النظر الشرعي فيها على ضربين: أحدهما أن تكون من قبيل التعبدات، والثاني أن تكون من قبيل العادات. فاما الأول فلا نظر فيه هاهنا.

وأما الثاني - وهو العادي - فظاهر النقل عن السلف الأولين أن المسئلة تختلف فيها، فمنهم من يرشد كلامه إلى أن العاديات كالعباديات، فكما أنا مأمورون في العبادات بأن لا نحدث فيها، فكذلك العاديات - وهو ظاهر كلام محمد بن أسلم، حيث كره في سنة المقيمة مخالفة من قبله في أمر عادي، وهو استعمال المناخل، مع العلم بأنه معقول المعنى؛ نظرا منه - والله أعلم - إلى أن الأمر باتباع الأولين على العموم غلب عليه جهة التعبد. ويظهر أيضا من كلام من قال: أول ما أحدث الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المناخل. ويحكى عن الربيع بن أبي راشد أنه قال: لو لا أني أخاف من كان قبلي لكانت الجبابة مسكني إلى

ان أموت . والسكنى ^(١) عادي بلا إشكال . وعلى هذا الترتيب يكون قسم العاديات داخلا في قسم العباديات ؛ فدخول الابتداع فيه ظاهر . والأكثرون على خلاف هذا ، عليه نبني الكلام فنقول :

ثبت في الأصول الشرعية أنه لا بد في كل عادي من شائبة التعبد ، لأن ما لم يقل معناه على التفصيل من الأمور به أو المنهي عنه فهو المراد بالتعبد ، وما عقل معناه وعرفت مصلحته أو مفسدته فهو المراد بالعادي ؛ فالطهارات والصلوات والصيام والحج كلها تعبدية ، والبيع والنكاح والشراء والطلاق والاجارات والجنايات كلها عادي ، لأن أحكامها معقولة المعنى ، ولا بد فيها من التعبد ، اذ هي مقيدة بأمور شرعية لا خيرة للمكلف فيها ، كانت اقتضاء أو تخيرا ، فان التخيير في التعبدات إلزام ، كما ان الاقتضاء إلزام — حسبما تقرر برهانه في كتاب الموافقات — واذا كان كذلك فقد ظهر اشتراك القسمين في معنى التعبد ، فان جاء الابتداع في الامور العادية من ذلك الوجه ، صح دخوله في العاديات كالعباديات ، والا فلا .

وهذه هي النكته التي يدور عليها حكم الباب ويتبين ذلك بالامثلة ، فأتى به القرافي ^(٢) وضع المكوس في معاملات الناس ، فلا يخلو هذا الوضع المحرم أن يكون على قصد حجب التصرفات وقتا ما ، أو في حالة ما ، لنيل حطام الدنيا ، على هيئة غصب الفاسد ، وسرقة السارق ، وقطع القاطع للطريق ، وما أشبه ذلك . أو يكون على قصد وضعه على الناس

(١) ربما سقط من هنا كلمة « أمر » (٢) لعله سقط من هنا كلمة « من جواز » أو « في مسألة »

(المنار - ج ٩ ص ١٧) تقديم الجاهل على العلماء في المناصب وجعلها أوثاناً ٦٨١

كالدين الموضوع والامر المحتوم عليهم دائماً ، أو في أوقات محدودة ، على
كيفية مضروبة ، بحيث تضاهي المشروع الدائم الذي يحمل عليه
العامّة ، ويؤخذون به وتوجه على المستمع منه العقوبة ، كما في أخذ زكاة
المواشي والحراث وما أشبه ذلك .

فاما الثاني فظاهر انه بدعة ، اذ هو تشريع زائد ، إلزام للمكلفين
يضاهي إلزامهم الزكاة المفروضة ، والديات المضروبة . والغرامات المحكوم
بها في اموال الفصا ب والمتعدين بل صار في حقهم كالعبادات المفروضة ،
واللوازم المحتومة ؛ أو ما أشبه ذلك ، فمن هذه الجهة يصير بدعة بلا شك ،
لانه شرع مستدرك ، وسن في التكليف مبيع ، فتصير المكوس على هذا
الفرض لها نظران : نظر من جهة كونها محرمة على الفاعل ان يفعلها
كسائر أنواع الظلم ، ونظر من جهة كونها اختراعاً للتشريع يؤخذ به
الناس الى الموت كما يؤخذون بسائر التكاليف ، فاجتمع فيها نهيان :
نهى عن المعصية ، ونهى عن البدعة ؛ وليس ذلك موجوداً في البدع في
القسم الاول ، وانما يوجد به النهي من جهة كونها تشريعاً موضوعاً على
الناس أمر وجوب أو نذ ب ، اذ ليس فيه جهة أخرى يكون بها معصية ،
بل نفس التشريع هو نفس المنوع ؛

وكذلك تقديم الجاهل على العلماء ، وتولية المناصب الشريفة من

لا يصلح^(١) بطريق التوريث ، هو من قبيح ما تقدم ، فان جعل الجاهل

في موضع العالم حتى يصير مفتياً في الدين ، ومعمولاً بقوله في الاموال

(١) اي لا يصلح لها

والدماء والأبضاع وغيرها، محرم^(١) في الدين. وكون ذلك يتخذ ويدنا حتى يصير الابن مستحقاً لرتبة الأب— وإن لم يبلغ رتبة الأب في ذلك المنصب— بطريق الوراثة أو غير ذلك؛ بحيث يشيع هذا العمل ويترد ويرده الناس كالشرع الذي لا يخالف بدعة^(٢) بلا اشكال، زيادة إلى القول بالرأي غير الجاري على العلم، وهو بدعة أو سبب البدعة كما سيأتي تفسيره إن شاء الله، وهو الذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله «حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» وإنما ضلوا وأضلوا لأنهم افتوا بالرأي إذ ليس عندهم علم. وأما إقامة صور الأئمة والقضاة وولاية الأمر على خلاف ما كان عليه السلف، فقد تقدم أن البدعة لا تتصور هنا، وذلك صحيح؛ فإن تكلف أحد فيها ذلك فيبعد جداً، وذلك بفرض أن يمتد في ذلك العمل أنه مما يطلب به الأئمة على الخصوص تشريعاً خارجاً عن قبيل المصالح المرسلة، بحيث يعد من الدين الذي يدين به هؤلاء المطلبون به، أو يكون ذلك مما يمد خاصاً بالأئمة دون غيرهم، كما يزعم بعضهم أن خاتم الذهب جائز لذوي السلطان، أو يقول: إن الحرير جائز لهم لبسه دون غيرهم، وهذا أقرب من الأول في تصور البدعة في حق هذا القسم.

ويشبهه على قرب زخرفة المساجد، إذ كثير من الناس يمتد أنها من قبيل ترفيع بيوت الله، وكذلك تعليق الثريات الخطيرة الأمان،
(١) قوله «محرم» خبر قوله «فإن جعل الجاهل» (٢) «بدعة» خبر قوله «وكون ذلك»

حتى يعد الاتفاق في ذلك اتفاقاً في سبيل الله ؛ وكذلك اذا اعتقد في زخارف الملوك واقامة صورهم انها من جملة ترفيع الاسلام واظهار معالمه وشعائره ، أو قصد ذلك في فعله أولاً بأنه ترفيع للاسلام لما لم يأذن الله به ؛ وليس ما حكاه القرافي عن معاوية من قبيل هذه الزخارف ، بل من قبيل المعتاد في اللباس والاحتياط في الحجاب مخافة من انخرق خرق يتسع فلا يرفع - هذا ان صح ما قال ، والا فلا يعول على نقل المؤرخين ومن لا يعتبر من المؤلفين ، وأخرى أن ينبي عليه حكم ^(١)

وأما مسألة المناخل فقد مر ما فيها ، والمعتاد فيها أنه لا يلحقها أحد بالدين ولا بتدبير الدنيا بحيث لا ينفك عنه كالتشريع فلا تطول به ؛ وعلى ذلك الترتيب ينظر فيما قاله ابن عبد السلام من غير فرق ؛ فتبين مجال البدعة في العاديات من مجال غيرها ، وقد تقدم أيضاً فيها كلام فراجعه ان احتجت اليه .



وأما وجه النظر في أمثلة الوجه الثالث من أوجه دخول الابتداع في العاديات على ما أريد تحقيقه ؛ فنقول : ان مدار تلك الاحاديث على بضع عشرة خصلة ، يمكن ردها الى اصول هي كلها أو غالبها بدع ؛ وهي قلة العلم وظهور الجهل ، والشح ، وقبض الامانة ، وتحليل الدماء والزنا والحرير والغناء والربا والخمر ، وكون المغم دولاً ، والزكاة مغرماء ، وارتفاع الاصوات في المساجد ، وتقديم الاحداث ، ولعن آخر الامة اولها ، وخروج الدجالين ، ومفارقة الجماعة .

(١) لعل الاصل « وأخرى الا ينبي عليه حكم »

أما قلة العلم وظهور الجهل فبسبب التفقه للدنيا ؛ وهذا إخبار بمقدمة أنتجتها الفتيا بغير علم - حسبما جاء في الحديث الصحيح « ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس » الى آخره - وذلك ان الناس لا بد لهم من قائد يقودهم في الدين بحجرائهم ، والا وقع الهرج وفسد النظام ، فيضطرون الى الخروج الى من انتصب لهم منصب الهداية ، وهو الذي يسمونه عالماً ، فلا بد أن يحملهم على رأيه في الدين ، لان الفرض انه جاهل ، فيضلهم عن الصراط المستقيم ، كما انه ضال ؛ وهذا عين الابتداع ، لانه التشريع بغير أصل من كتاب ولا سنة. ودل هذا الحديث على أنه لا يؤتى الناس قط من قبل العلماء ، وانما يؤتون من قبل انه اذا مات علماءهم أفتى من ليس بعالم فتؤتى الناس من قبله ؛ وسيأتي لهذا المعنى بسط أوسع من هذا ان شاء الله .

✽

وأما الشح فانه مقدمة لبدعة الاحتيال على تحليل الحرام ؛ وذلك ان الناس يشحون بأموالهم فلا يسمحون بتصرفها في مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم ، كالا حسان بالصدقات والهبات والمواساة والا يشار على النفس . ويليه أنواع القرض الجائز ، ويليه التجاوز في المعاملات بإظهار المعسر ، وبالإسقاط كما قال (وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون) ، وهذا كان شأن من تقدم من السلف الصالح . ثم نقص الاحسان بالوجوه الأول فتسامح الناس بالقرض ؛ ثم نقص ذلك حتى صار المومر لا يسمح بما في يديه فيضطر المعسر الى أن يدخل في المعاملات التي ظاهرها الجواز وباطنها المنع ، كالربا والسلف الذي يحجر النفع فيجعل بيعاً في الظاهر ،

ويجري في الناس شرعاً شائعاً ، ويدين به العامة ، وينصبون هذه المعاملات متاجر . وأصلها الشح بالاموال وحب الزخارف الدنيوية والشهوات المأجلة . فإذا كان كذلك فالخري أن يصير ذلك ابتداءً في الدين ، وأن يجعل من أشراط الساعة .

فإن قيل : هذا انتجاع من مكان بعيد ، وتكلف لا دليل عليه . فالجواب : أنه لو لا أن ذلك مفهوم من الشرع لما قيل به ، فقد روى أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا ضن الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالمينة ، واتبعوا أذناب البقر ، وتركوا الجهاد في سبيل الله ، أنزل الله بهم بلاء فلا يرفعه حتى يراجعوا دينهم » ورواه أبو داود أيضاً وقال فيه « إذا تبايعتم بالمينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم »

فتأمل كيف قرن التبايع بالمينة بضنة الناس ، فأشعر بأن التبايع بالمينة يكون عن الشح بالاموال . وهو معقول في نفسه ، فإن الرجل لا يتبايع أبداً هذا التبايع وهو يجد من يسلفه أو من يعينه في حاجته ، إلا أن يكون سفيهاً لا عقل له . ويشهد لهذا المعنى ما أخرجه أبو داود أيضاً

عن علي رضي الله عنه قال : « سيأتي على الناس زمان عضوض بعض

المومر على ماني يديه ، ولم يؤمر بذلك . قال الله تعالى (وما أتقتم من

شيء فهو بخلافه وهو خير الرازقين) وينشد شراؤ خلق الله ، يبايعون

كل مضطر . ألا إن بيع المضطر حرام : المسلم أخو المسلم لا يظلمه

٦٨٦ كتاب في الحيل الدينية . تكفير واضحه ومن رضي به (النار - ج ٩ م ١٧)

ولا يخونه ؛ ان كان عندك خير فعد به على أخيك ، ولا تزده هلاكاً
الى هلاكه ،

وهذه الاحاديث الثلاثة — وان كانت أسانيدھا ليست هناك —
مما يعضد بعضه بعضاً ؛ وهو خبر حق في نفسه يشهد له الواقع . قال
بعضهم : عامة العينة انما تقع من رجل يضطر الى ثقة يضمن عليه المومر
بالقرض الا ان يرجحه في المائة ما أحب ، فيبيعها ثمن المائة بضعفها أو نحو
ذلك ؛ ففسر بيع المضطر ببيع العينة . وبيع العينة انما هو العين بأكثر منها
الى أجل — حسبما هو مبسوط في الفقهيات — فقد صار الشح اذا سبباً
في دخول هذه المفاصد في البيوع .

فان قيل : كلامنا في البدعة لا في فساد المعصية ، لان هذه الاشياء
بيوع فاسدة فصارت من باب آخر لا كلام لنا فيه .

فالجواب : ان مدخل البدعة هاهنا من باب الاحتيال الذي أجازہ
بعض الناس ، فقد عده العلماء من البدع المحدثات ، حتى قال ابن المبارك
في كتاب وضع في الحيل : من وضع هذا فهو كافر ، ومن سمع به فرضي
به فهو كافر ، ومن حمله من كورة الى كورة فهو كافر ، ومن كان عنده
فرضي به فهو كافر . وذلك انه وقع فيه الاحتيالات بأشياء منكورة ، حتى
احتمل على فراق الزوجة زوجها بأن ترتد .

وقال اسحق بن راهويه عن سفيان بن عبد الملك : ان ابن المبارك
قال في قصة بنت أبي روح حيث أمرت بالارتداد ، وذلك في أيام أبي
غشان . فذكر شيئاً ، ثم قال ابن المبارك وهو مغضب : أحدثوا في

الاسلام، ومن كان أمر بهذا فهو كافر، ومن كان هذا الكتاب عنده أو في بيته ليأمر به أو صوبه ولم يأمر به فهو كافر - ثم قال ابن مبارك : - ما أرى الشيطان يحسن مثل هذا، ثم جاء هؤلاء فأفادها منهم فأشاعها حينئذ، وكان لحسنها^(١) ولم يجد من يعضيها فيهم، حتى جاء هؤلاء.

وانما وضع هذا الكتاب وأمثاله ليكون حجة على زعمهم في أن يحتالوا للحرام حتى يصير حلالا، وللواجب حتى يكون غير واجب. وما أشبه ذلك من الامور الخارجة عن نظام الدين، كما أجازوا نكاح المحلل، وهو احتيال على رد المطلقة ثلاثا لمن طلقها، وأجازوا اسقاط فرض الزكاة بالهيئة المستعمارة؛ وأشبه ذلك. فقد ظهر وجه الاشارة في الاحاديث المتقدمة المذكور فيها الشح، وانها تتضمن ابتداء كما تتضمن معاصي جملة.

*

وأما قبض الامانة فعباره عن شياع الخيانة؛ وهي من سمات أهل النفاق، ولكن يوجد في الناس بعض انواعها تشريعا، وحكيت عن قوم ممن ينتمي الى العلم، كما حكيت عن كثير من الامراء؛ فان أهل الحيل المشار اليهم إنما بنوا في بيع العينة على اخفاء ما لو أظهروه لكان البيع فاسدا، فاخفوه لتظهر صحته، فان بيعه الثوب بمائة وخمسين الى أجل^(٢) لكنها أظهرها وساطة الثوب، وأنه هو المبيع والمشتري، وليس كذلك؛ بدليل الواقع.

وكذلك يهب ماله عند رأس الحول قائلا بلسان حاله ومقاله :

(١) لعل الاصل « ولو كان بحسنها لم يجد » الخ (٢) أين خبر « ان » ؟

أنا غير محتاج الى هذا المال وأنت اخرج اليه مني . ثم يهبه ، فاذا جاء الحول الآخر قال الموهوب له اللواهب مثل المقالة الاولى ، والجميع في الحالين ، بل في الحولين في تصريف المال سواء ؛ أليس هذا خلاف الامانة ؟ والتكليف من أصله أمانة فيما بين العبد وربّه ، فالعمل بخلافه خيانة .

ومن ذلك أن بعض الناس كان يحقر الزينة ويرد^(١) من الكذب ، ومعنى الزينة التدليس بالعيوب ، وهذا خلاف الامانة والنصح لكل مسلم . وأيضاً فإن كثيراً من الامراء يحتاجون اموال الناس اعتقاداً منهم أنها لهم دون المسلمين . ومنهم من يعتقد نوعاً من ذلك في الغنائم المأخوذة عنوة من الكفار ، فيجعلونها في بيت المال ، ويحرمون الغائبين من حظوظهم منها تأويلاً على الشريعة بالمقول . فوجه البدعة هاهنا ظاهر . وقد تقدم التنبيه على ذلك في تمثيل البدع الداخلة في الضروريات في الباب قبل هذا — . ويدخل تحت هذا النمط كون الغنائم تصير دولاً . وقوله « سترون بعدي أثرة وأمورا تنكرونها — ثم قال — أدوا اليهم حقهم وسالوا الله حكيم » .

*

(لها بقية)

(١) كذا في الاصل

الأدب . وكلام الصوفية فيه *

فصل

وأما الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم فاقترآن مملوء به ، فرأس الأدب معه كالتسليم له والالتقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق ، دون أن يحمله معارضة خيال باطل يسميه معقولا ، أو يحمله شبهة أو شككا ، أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالات أذهانهم ، فيوحده بالتحكيم والتسليم والالتقياد والاذعان ، كما وحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإنيابة والتوكل ، فهما توحيدان لإنجاة للعبد من عذاب الله الأبهما - توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول ، فلا يحاكم إلى غيره ولا يرضى بحكم غيره ، ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه ، وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه ، فإن أذنوا له نقذه وقبل خبره ، وإلا فإن طلب السلامة أعرض عن أمره وخبره وفرضه اليهم ، والأحرفه عن مواضعه ، وسعى تحريفه تأويله وحمله فقال : تؤول له ونحمله . فلأن يلتقى العبدُ ربه بكل ذنب على الإطلاق ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بهذه الحال

ولقد خاطبت يوما بعض أكابر هؤلاء فقلت له : سألتك بالله لو قدر أن الرسول صلى الله عليه وسلم حي بين أظهرنا وقد واجهنا بكلامه وبخطابه - أكان فرضا علينا أن نطيعه من غير أن نعرضه على رأي غيره وكلامه ومذهبه ؟ أم لا نطيعه حتى نعرض ما سمعناه منه على آراء الناس ومعقولهم ؟ فقال : بل كان الفرض المبادرة إلى الامتثال من غير التفات إلى سواه . فقلت : فما الذي نسخ هذا الفرض عنا ؟ وبأي شيء نسخ ؟ فوضع أصبعه على فيه وبقي باهتا متعبرا وما نطق بكلمة

هذا أدب الخواص معه ، لا مخالفة أمره والشرك به ، ورفع الأصوات وازعاج الأعضاء بالصلاة عليه والتسليم ، وعزل كلامه عن اليقين ، وإن يستفاد منه معرفة الله أو يتلقى منه أحكامه . بل الممول في باب معرفة الله على العقول المنهكة المتعبرة

(*) نموذج من كتاب مدارج السالكين للإمام العارف الحق ابن قيم الجوزية . وقد اطلال في بحث الأدب مع الله تعالى ثم قال

المتناقضة ، وفي الاحكام على تقليد الرجال وآرائها . والقرآن والسنة انما نقرأها
تبركا ، لا انا نتلقى منهما أصول الدين ولا فروع . ومن طلب ذلك ورامه عاديناه
وسمينا في قطع دابره واستنصال شافته (بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال
من دون ذلك هم لها عاملون * حتى اذا أخذنا متفرغين بالعذاب اذا هم يجأرون *
لا يجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون * قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم
تلكسون * مستكبرين به سامرا تهجرون * أفلم يدبروا القول ؟ أم جاءهم ما لم يأت
آباءهم الاولين ؟ * أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ؟ أم يقولون به جنة ؟ بل
جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون * ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات
والارض ومن فيهن ، بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون * أم تسألهم
خرجا ؟ فخراج ربك خير وهو خير الرازقين * وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم *
وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا كيون)

والناصح لنفسه العامل على نجاتها ، يتدبر هذه الآيات حق تدبرها ، ويتأملها
حق تأملها ، وينزلها على الواقع يرى العجب ، ولا يظنها اختصت بقوم كانوا فيانوا
« فالحديثك واسمعي يا جارة » والله المستعان

ومن الادب مع الرسول صلى الله عليه وسلم ان لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي
ولا اذن ولا تصرف حتى يأمر هو وينهى ويأذن ، كما قال تعالى (يا أيها الذين
آمَنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) وهذا باق الى يوم القيامة ولم يندسخ . فالتقدم
بين يدي سنته بحد وفاته ، كالتقدم بين يديه في حياته ، لا فرق بينهما عند ذي
عقل سليم . قال مجاهد رحمه الله : لا تقتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء
حتى يقضيه الله على لسانه . وقال الضحاك لا تقضوا أمرًا دون رسول الله صلى الله
عليه وسلم . وقال ابو عبيدة : تقول العرب لا تقدم بين يدي الامام وبين يدي
الاب . أي لا تعجلوا بالأمر والنهي دونه ، وقال غيره : لا تأمروا حتى يأمر
ولا تنهوا حتى ينهى .

ومن الادب معه أن لا ترفع الاصوات فوق صوته فانه سبب لحبوط الاعمال ،
فما الظن برفع الآراء ونتائج الافكار على سنته وما جاء به ؟ اترى ذلك موجبا
لقبول الاعمال ، ورفع الصوت فوق صوته موجب لحبوطها ؟

ومن الادب معه أن لا يجمل دعاءه كدعاء غيره قال تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) وفيه قولان للمفسرين (أحدهما) انكم لا تدعونه باسمه كما يدعوا بعضكم بعضا ، بل قواوا : يا رسول الله ! يا بني الله ! فعلى هذا المصدر مضاف الى المفعول ، أي دعاءكم الرسول . (الثاني) ان المعنى لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضا ان شاء أجاب وان شاء ترك ، بل اذا دعاكم لم يكن لكم بد من اجابته ، ولم يسمكم بالتخلف عنها ألبتة . فعلى هذا المصدر مضاف الى الفاعل ، أي دعاءه اياكم

ومن الادب معه انهم اذا كانوا معه على أمر جامع من خطبة أو جهاد أو رباط لم يذهب أحد مذهباً في حاجته حتى يستأذنه ، كما قال تعالى (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) فاذا كان هذا مذهباً مقيداً بحاجة عارضه لم يوسع لهم فيه الا باذنه ، فكيف يذهب مطلق في تفاصيل الدين أصوله وفروعه دقيقة وجليلة ؟ هل يشرع الذهاب اليه بدون استئذانه ؟ (فاسألوا أهل الذکر ان كنتم لاتعلمون)

ومن الادب معه ان لا يستشكل قوله بل تستشكل الآراء لقوله ، ولا يمارض نفسه بقياس بل تنهدر الاقيسه وتلقى (١) لنصوصه ، ولا يحرف كلامه عن حقيقته تخيال يسميه أصحابه معقولا ، نعم هو مجهول ، وعن الصواب معزول . ولا يوقف قبول ما جاء به على موافقة أحد ، فكل هذا من قلة الادب معه صلى الله عليه وسلم ، وهو عين الجرأة

فصل

وأما الادب مع الخلق فهو مما ملتهم على اختلاف مراتبهم بما يليق بهم ، فلكل مرتبة أدب ، والمرتب فيها أدب خاص ، فمع والوالدين أدب خاص ، وللأب منهما أدب هو أخص به ، ومع العالم أدب آخر ، ومع السلطان أدب يليق به ، وله مع الاقران أدب يليق بهم ، ومع الاجانب أدب غير أدبه مع أصحابه وذوي انسه ،

ومع الضيف أدب غير أدبه مع أهل بيته .
ولكل حال أدب - فلا كل آداب وللشرب آداب ، وللكوب والدخول
والخروج والسفر والاقامة والنوم آداب ، وللبول آداب ، ولل كلام آداب ، ولل سكوت
والاستماع آداب .

وأدب المرء عنوان سمادته وفلاحه ، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره ، فما
استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب ، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الادب
فانظر الى الادب مع الوالددين كيف نجى صاحبه من حبس الفارحين اطبقت عليهم
الصخرة ، والا خلال به مع الام تأويلا واقبالا على الصلاة كيف امتحن صاحبه بهدم
صومعته ، وضرب الناس له ورميه بالفاحشة ، وتأمل أحوال كل شقي ومفترو ومدبر
كيف تجرد قلة الادب هو الذي ساقه الى الحرمان ، وانظر قلة أدب عوف مع خالد
كيف حرمه السلب بعد ان برد يديه ، وانظر أدب الصديق رضي الله عنه مع النبي
صلى الله عليه وسلم في الصلاة ان يقدم بين يديه فقال : ما كان ينبغي لابن ابي
قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كيف أورثه مقامه والامامة
بالامة بعده ، فكان ذلك التأخر الى خلفه ، - وقد أوما اليه ان اثبت مكانك -
جزا لا سعيا الى قدام ، بكل خطوة الى وراء مراحل الى قدام تنقطع فيها اعناق
المطي . والله اعلم

فصل

قال صاحب المنازل ﴿ الادب حفظ الحدين الغلو والجفاء بمعرفة ضرر العدوان ﴾
هذا من احسن الحدود . فان الانحراف الى احد طرفي الغلو والجفاء هو قلة الادب ،
والادب الوقوف في الوسط بين الطرفين ، فلا يقصر بحدود الشرع عن تمامها
ولا يتجاوز بها ما جعلت حدودا له ، فكلاهما عدوان والله لا يحب المعتدين ، والعدوان
هو سوء الادب . وقال بعض السلف : دين الله بين الغالي فيه والجافي عنه ، فإضاعة
الادب بالجفاء كمن لم يكمل أعضاء الوضوء ولم يوف الصلاة آدابها التي سنّها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفعلها ، وهي قريب من مئة ادب ما بين واجب ومستحب .

واضاعته بالقلو كالوسوسة في عقدة النية ورفع الصوت بها، والجهر بالاذكار والدعوات التي شرعت سرا، وتطويل ما السنة تخفيفه وحذفه، كالتشهد الاول والسلام الذي حذفه سنة. وزيادة التطويل على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لا على ما يظنه مراق الصلاة والتقارون لها ويشتهونه، فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليأمر بأمر ومخالفه، وقد صانه الله من ذلك. وكان يأمرهم بالتخفيف ويؤمهم بالصفات، ويأمرهم بالتخفيف وتقام صلاة الظهر فيذهب الذهاب الى البقيع فيتضي حاجته ويأتي أهله ويتوضأ ويدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركعة الاولى. فهذا هو التخفيف الذي أمر به، لا تقرأ الصلاة وسرقتها، فان ذلك اختصار بل اقتصار على ما يقع عليه الاسم ويسمى به مصليا. وهو كأكل المضطر في المحصة ما يسد به رمقه، فليته شبع على القول الآخر. وهو كجائع قدم اليه طعام لذيد جدا فأكل منه نعمة أو قمتين فاذا يغنيان عنه؟ ولكن لو أحسن بجوعه لما قام عن الطعام حتى يشبع منه وهو يقدر على ذلك، لكن القلب شبعان من شيء آخر.

ومثال هذا التوسط في حق الانبياء عليهم السلام ان لا يغلو فيهم كما غلت النصراني في المسيح، ولا يجفون عنهم كما جفت فيهم اليهود، فالنصارى عبدوهم واليهود قتلوهم وكذبوهم، والامة الوسط آمنوا بهم وعزروهم ونصروهم واتبعوا ما جاؤا به.

ومثال ذلك في حقوق الخلق ان لا يفرط في القيام بحقوقهم، ولا يستغرق فيها بحيث يشتغل بها عن حقوق الله او عن تكميلها او عن مصلحة دينه وقلبه، وان لا يجفون عنها حتى يطلها بالكلية، فان الطرفين من المدوان الضار، وعلى هذا الحد، فحقيقة الادب هو العدل، والله اعلم

فصل

قال ﴿ وهو على ثلاث درجات، الدرجة الاولى منع الخوف ان يمتد الى اليأس (١) وحبس الرجاء ان يخرج الى الامن، وضبط السرور ان يضاهي الجراءة ﴾

(١) ب «الايأس» وكذلك في نسخة المتن

يريد انه لا يدع الخوف ينفذ به الى حد يوقعه في القنوط واليأس من رحمة الله ، فان هذا خوف مذموم . وصمت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : حد الخوف ما حبرك عن معاصي الله فما زاد على ذلك فهو غير محتاج اليه . وهذا الخوف الموقع في الايام امارة ادب على رحمة الله تعالى التي سبقت غضبه وجعل بها . وأما حبس الرجاء ان يخرج الى الامن . فهو ان لا يبلغ به الرجاء الى حد يامن معه العقوبة ، فانه لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون . وهذا اغراق في الطرف الآخر ، بل حد الرجاء ما طيب لك العبادة ، وحملك على السير ، فهو بمنزلة الرياح التي تسير السفينة ، فاذا انقطعت وقفت السفينة ، واذا زادت اقتتها الى المهالك ، واذا كانت بقدر أوصلت الى البنية .

واما ضبط السرور ان يخرج الى مشابهة الجراءة . فلا يقدر عليه الا الاقوياء ارباب العزائم الذين لا تستفزهم السراء فتقلب شكرهم ، ولا تضعفهم الفراء فتقلب صبرهم ، كما قيل :

لا تغلب السراء منهم شكرهم كلا ولا الفراء صبر الصابر

والنفس قرينة الشيطان ومصاحبة وتشبهه في صفاته ، ومواهب الرب تبارك وتعالى تنزل على القلب والروح ، فالنفس تسترق السمع ، فاذا نزلت على القلب تلك المواهب وثبت لتأخذ قسطها منها وتصيره ، من عدتها وحواصلها ، فالمستترسل معها الجاهل بها يدعها تستوفي ذلك ، فينسا هو في موهبة للقلب والروح وعدة وقوة له ، اذ صار ذلك كله من حاصل النفس وآلتها وعددها ، فصالت به وطفنت لآلتها رأت غناها به ، والانسان يظن ان رآه استغنى بالمال ، فكيف بما هو أعظم خطرا وأجل قدرا من المال ، بما لانسبة بينهما من علم أو حال أو معرفة أو كشف ؟ فاذا صار ذلك من حاصلها انحرف العبد به . ولا بد الى طرف مذموم من جرأة او شطع او ادلال ونحو ذلك ، والله كم ههنا من قليل وسليب وجريح يقول : من اين أتيت ؟ ومن اين ذهبت ؟ ومن اين اصبحت ؟ واقل ما يعاقب به من الحرمان بذلك أن ينطق عنه باب الزيد ، ولهذا المارقون وأرباب البصائر اذا نالوا شيئا من ذلك انحرفوا الى طرف الفل والانكسار ومطالعة عيوب النفس ، واستدعوا حارس الخوف ،

وحافظوا على الرباط بالضرورة الثغر بين القلب وبين النفس ، ونظروا الى أقرب الخلق من الله وأكرمهم عليه وادناهم منه وسيلة واعظمهم عنده جاها ، وقد دخل مكة يوم الفتح وذقنه تمس قربوس سرجه انخفاضا وانكسارا وتواضعا لربه تعالى في مثل تلك الحال التي عادة النفوس البشرية فيها ان يملكها سرورها وفرحها بالنصر والظفر والتأييد ويرفعها الى عنان السماء ، فالرجل من صان فتحه ونصيبه من الله ، وواراه عن استراق نفسه وبخل عليها به ، والماجز من جاد لها به ، فياله من جود ما أقبحه وسماحة ما أسفه صاحبها ! والله المستعان .

فصل

قال ﴿ الدرجة الثانية الخروج من الخوف الى ميدان القبض ، والقعود (١) ﴾

عن الرجاء الى ميدان البسط ، ثم الترقى عن (٢) السرور الى ميدان المشاهدة ﴿ ذكر في الدرجة الاولى كيف يحفظ الحدين المقامات حتى لا يتعدى الى غلو أو جفاء ، وذلك سوء أدب ، فذكر من الخوف ان يخرج الى اليأس (٣) والرجاء ان يخرج الى الامن ، والسرور ان يخرج الى الجراءة . ثم ذكر في هذه الدرجة أدب الترقى من هذه الثلاثة الى ما يحفظه (٤) عليها ولا يضيها بالكلية ، كما ان في الدرجة الاولى لا يبالغ به بل يكون خروجه من الخوف الى القبض ، يعني لا يزال الخوف بالكلية ، فان قبضه لا يؤيسه ولا يقنطه ولا يحمله على مخالفة ولا بطالة ، وكذلك رجاءه لا يعتمد به عن ميدان البسط ، بل يكون بين القبض والبسط ، وهذه حال الكمال ، وهي السير بين القبض والبسط ، وسروره لا يعتمد (٥) به عن ترقيه الى ميدان مشاهدته ، بل يرقى بسروره الى المشاهدة ، ويرجع من رجائه الى البسط ، ومن خوفه الى القبض . ومقصوده ان ينتقل من اشباح هذه الاحوال الى ارواحها ، فان الخوف شبح والقبض روحه ، والرجاء شبح والبسط روحه ،

(١) في ب « والقعود » (٢) وفيها « من » (٣) وفيها « الا يأس » (٤) كتب

في هامش ن « لعله يحفظها » وكان يجب ان يزيد كلمة « عليه » (٥) ب « يقصد »

والسرور شبح والمشاهدة روحه ، فيكون حظه (١) من هذه الثلاثة ارواحها وحقائقها ، لاصورها ورسومها .

فصل

قال (الدرجة الثالثة معرفة الادب ، ثم الفناء (٢) عن التأديب بتأديب الحق ، ثم الخلاص من شهود اعباء الادب) قوله « معرفة الادب » يعني لا بد من الاطلاع على حقيقته في كل درجة ، وانما يكون ذلك في الدرجة الثالثة ، فانه يشرف منها على الادب في الدرجتين الاولين ، فاذا عرفه وصار له حالا فانه ينبغي له ان يفنى عنه ، بان يطلب عليه شهود من اقامه فيه فينسب اليه تعالى دون نفسه ، ويفنى عن رؤية نفسه وقيامها بالادب بشهود الفضل لمن اقامه فيه ومته ، فهذا هو الفناء عن التأديب بتأديب الحق . قوله « ثم الخلاص من شهود اعباء الادب » يعني انه يفنى عن مشاهدة الادب بالكلية لاستغراقه في شهود الحقيقة في حضرة الجمع التي غيبته عن الادب ، ففناؤه عن الادب فيها هو الادب حقيقة ، فيستريح حينئذ من كلفة حمل اعباء الادب وأثقاله ، لان استغراقه في شهود الحقيقة لم يبق عليه شيئا من اعباء الادب . والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) ن « حفظه » (٢) في نسخة المتن « الفنى »

البروغرام الصهيوني السياسي

﴿ بقلم الزعيم الصهيوني اوسيشكن ﴾

شرعت جريدة فلسطين بترجمة هذا الكتاب بالهرية ونشره تباعا فيها ، فرأينا ان تقل بعض فصوله عنها بمناسبة ما نشرناه في الاجزاء الماضية عن الجنسية في البلاد العثمانية ، ولما فيها من العبر

الفصل الاول

ان المساعي التي بذلها الشعب الاسرائيلي للخلاص من منقاه بعد ان مضى عليه فيه نحو النفي عام ، قد تحولات منذ ٢٥ سنة من حالة التفكير والسكون الى حالة الحركة والعمل ، وذلك لاعادة حياته السياسية الحرة في بلاد اجداده

ولقد كان ملاقاته اليهود من المذابح وما قاسوه من الاضطهادات في غربي روسيا من اكبر البواعث على اخراج هذه المجهودات من حيز الفكر الى حيز العمل . ومن يتبع تلك المساعي يجد انها كانت تتغير وتتطور تبعا للظروف ومجارات لما كان يضعه الزعماء من البروغرامات والخطط . فحتميات « محبة صهيون » و « الصهيونية الروحية » و « الصهيونية السياسية » لم تكن الا وسائط مختلفة وطرقا متعددة ترمي جميعها الى غاية واحدة وتوصل الى غرض واحد

— الصهيونية السياسية —

كل امة تسمى وراءه كيان سياسي مستقل حر يجب عليها توصلا لغايتها هذه ان تراعي ثلاث حالات ضرورية : حالة الشعب — وحالة

البلاد - وحالة الظروف الخارجية

١ حالة الشعب : من الشروط الأولية لكل امة تسمى وراء الاستقلال السياسي والاقتصادي والادبي ان يكون شعبها على شيء من الاستعداد لذلك، كأن يكون ذا شعور قومي راق، وجماليات قوية منظمة، ورؤس اموال كبيرة عمومية، وصبر على احتمال المصاعب، واهم من ذلك كله ان يكون مستعدا دائما لتضحية مصالحه الحاضرة امام الصالح العام المستقبل . فاذا كانت هذه الشروط جميعها لا توجد في الشعب ولم تبذل المساعي اللازمة لايجادها فيه، استحال على الامة ان تنشئ لنفسها مركزا سياسيا حرا

٢ حالة البلاد : اما حالة البلاد أو الارض التي تريد الامة ان تستقل بها استقلا سياسيا فيجب ان تكون ملكا لها بالقفل من الوجهتين الاقتصادية والعقلى، اعني ان تكون جميع قوى تلك الارض الحيوية في يد شعبها، وان كانت الارض نفسها تحت سيادة غيره اسما . وان يكون للشعب بها علاقة روحية، وتكون تربتها مشبعة من دمه وعرق جبينه، والا كانت غير صالحة للاستقلال

٣ حالة الظروف الخارجية : ثم لو فرضنا ان الشعب كان جامعا لكل شروط الاستقلال وكانت حالة البلاد موافقة له، فاستقلاله فيها وعلان حكمه عليها، لا يتيسر ان له الا اذا ساعدته الظروف الخارجية أيضا، لارتباط مصالح جميع الشعوب بعضها ببعض وإن تشعبت الطرق المؤدية اليها . ولذلك كان لا بد في كل حركة قومية من بروغرام سياسي تتمشى عليه لاجتناب ما ربما يقف في طريقها من المثرات، واقناع الحكام والمحكومين

بإخلاص تلك الحركة وما ينجم عنها من الفوائد ، مع السعي في الوقت نفسه باستمالة الرأي العام الاجنبي ، واستخدام احسن ما فيه من القوى العقلية والانسانية لمنفعة تلك الحركة ، والا اصابها الفشل

الفصل الثاني

ان احسن بروغرام يجب السير عليه في كل حركة قومية تتطلب الخلاص والاستقلال هو العمل لها من الجهات الثلاث المذكورة. وبهذه الطريقة فقط تتقدم وتتقوى من يوم الى يوم ومن سنة الى اخرى . فيصلح حال الشعب ويسهل عليه امتلاك البلاد ، وتصبح الظروف الخارجية ملائمة له ، وتكون جميع القوى التي تملكها الامة قد استخدمت لفائدة تلك الحركة . فينما تسمى جماعة مثالا لتكثير رؤوس الاموال واقعام خزائن الشعب منها ، تكون غيرها ساعية وراء تعليم العامة وانماء مداركها وشعورها ، وبينما تكون جماعة ترود البلاد وتدرس حالتها ، تأتي اخرى لاستثمارها واستعمارها ، وبينما يقوم البعض بشرح رغبات الامة وغاياتها امام الشعوب الاجنبية ، يسمى آخرون بالتعارف مع الملوك والوزراء وما يترتب على ذلك من الامور السياسية. لان على مجموع هذه الاعمال المتفرقة التي يقوم بها الافراد والجماعات في جهات متعددة وفي وقت واحد يتوقف نمو الحركة ونجاحها .

وبالعكس فان النتيجة تكون عقيمة أو قليلة الفائدة^(١) اذا حصر المسمى

(١) هذه عبارة تستعملها الجرائد على انها منطقية وما هي بمنطقية، ولكنها فاسدة . فالنتيجة لا تكون عقيمة وانما تسمى المقدمات التي ليس لها نتيجة صحيحة مقدمات عقيمة أي غير منتجة ، ولفظ العكس مستعمل في غير محله ايضا . والمراد من الكلام ان نتيجة ما يأمن السعي يكون ضد نتيجة ما تقدم

في جهة واحدة ، وبقيت قوى كثيرة مهمة بدون عمل . ومن المحتمل أيضاً ان يكون هذا العمل الناقص ذا نتائج محزنة في المستقبل ، لان اقل عارض يطرأ عليه يوقف مجراه فيفقد العملة نشاطهم ومراكزهم ، ونعم عامة الشعب في أزمة شديدة ، وتصبح الحركة في طور حرج جداً ، وفي ذلك من الاضرار ما لا يحصى على احد .

أما اذا كان العمل مشتركاً وفي جهات متعددة فخبوط جزء منه في جهة يمدله نجاح جزء آخر في جهة اخرى . وهكذا تبقى الحركة سائرة سيراً طبيعياً مطرداً

لنتصور الآن ان الظروف الخارجية كانت موافقة لرغبات امة ما ، تريد ان تجد تاريخها وحياتها الاستقلالية في أرض ما ، ووافقت الحكومات والشعوب جميعها على رغبتها هذه ، ولم تجد مانعاً خارجياً يقف في سبيلها ، ولكن شعبها كان من جهة قليلة الثقة بقواه الخاصة قليل الاستعداد لبلوغ الغاية التي ترمي اليها ، لا جمعيات منظمة لديه ، ولا اموال عمومية تساعد على اغتنام الفرص المهمة واستخدامها ، فماذا تكون النتيجة ؟ تكون النتيجة حينئذ ان تلك الفرصة المهمة التي صنعت ثروت ، وربما لا تعود في عدة قرون . ومثل هذه الفرص عرضت مرتين لليهود عند ما طردوا من اسبانيا في ايام الدوق جوزيف دي نكسوس فلم يستخدموها .

ثم لو تصورنا عكس ذلك ورأينا الشعب مستعداً للحياة الاستقلالية ولديه جميع الوسائط اللازمة وكانت البلاد في قبضة يده فعلاً ولكن الظروف الخارجية كانت لا تساعد اولا تسمح له بالحصول على بغيته ، إما

لأنه لم يهتم بها، وأما لأنها لم تكن على استعداد تام لقبول فكرته، فإذا تكون النتيجة؟ تكون النتيجة؟ إذ ذاك أن الشعب يضطر إلى أن يبقى تحت العبودية والنير في انتظار أيام أحسن. ومثل هذه الحالة تنطبق الآن تماماً على حالة أرمينيا العثمانية التي وإن كان استقلالها أمراً لا بد منه، إلا أن ذلك يطول مادامت الظروف الخارجية غير موافقة له.

على أنا إذا وجدنا لما تقدم مثلاً صعب علينا جداً أن نجد في التاريخ العام كله من أوله إلى آخره حالة مفجعة أسوأ من حالة شعب ذكي متعلم راق كالشعب اليهودي هبّ لجمع شتات قواه وتنظيم رؤس أمواله، وشمر بوجوب استمالة شعوب وحكام العالم أجمع لمساعدته والاختذ بيده، فوجد بعد كل هذا العناء أن البلاد التي ينشدها وهي غاية أمانه ومطمح انظاره ومرمى مساعيه التاريخية بين أيدي شعب آخر يضارعه اجتهاداً ولا يقل عنه في مداركه الاقتصادية. ولذلك فاني^(١) أشعر بوجل شديد وترجف أعصابي عندما أنصور أن الشعب الإسرائيلي ربما وجد نفسه في مثل هذه الحالة يوماً ما إذا ظلت مساعي بعض زعمائه منصرفة إلى جهة واحدة. وحينئذ قل: السلام على تاريخه المملوء بالآلام والاضطهادات وعلى أمانه وموضوع أحلامه وآماله، وقل: السلام على مستقبله الذي أضرب به جمل الزعماء، أكثر من مساعي الأعداء

(١) يكثر مثل هذا التعبير في الجرائد وكتابة بعض المتأخرين - أعني الجمع بين لام التعليل وفاء السببية بهذه الصفة - وقد يكون المقام لأحدهما فقط. والاستعمال الفصيح في الجمع بينهما أن يقال: فلذلك أشعر بوجل شديد. فإن حقيق إلى التأكيد قيل: فاني لذلك أشعر بوجل الخ

الفصل الثالث

ان سبب قلة نجاح الحركة الصهيونية في الخمس وعشرين سنة الاخيرة يرجع معظمه الى النقص في العمل - فجمعية «عجة صهيون» لم تهتم في بحر عشر سنوات في غير امر البلاد وحالة الارض فقط، فلم تفكر في اعداد الشعب لها وانماء مداكه العقلية، ولا بانشاء رءوس اموال عمومية، ولم تعرف ان تحول هذه الحركة الى حركة رسمية سياسية، ولم تجرب ان تستميل اليها الدول الاجنبية، بل اكتفت بان تظهر في مظهر المحسن بانشاء بضم مستعمرات تعيش من مال الاحسان، ولذلك انتهت هذه المدة الاولى من تاريخ الصهيونية بازمة سنة ١٨٩١

على ان المدة الثانية التي تلت تلك الازمة وهي مدة انتشار الصهيونية الروحية لم تكن باسم حفا من الاولى، فقد اهل فيها امر البلاد كما اهل في التي قبلها امر الظروف الخارجية. وبعد خمس سنين انصرفت في اثلاثها جميع المساعي الى التعليم الداخلي وتبنيه الشعور العقلي فقط، نبغ عدد قليل جنة من الخياليين، فلم يجدوا لما تعلموه فائدة محسوسة او عملا ماديا، وبقي مجموع الامة جامدا، واصبحت الحركة الصهيونية مهددة بالموت - الى ان عقد المؤتمر الاول فابتدأت به المدة الثالثة وهي عصر الصهيونية النهمي، فبشت الحركة من مرقدتها ودبت في الامة روح جديدة، لانها وجدت في المؤتمر ضالتها، ووافقت قراراته هوى في نفسها.

ان جميع الصهيونيين الحقيقيين اصحاب الوجدان ومفكري الامة رأوا في بروغرام مؤتمر (بال) الاول ادغام البراغرامات السابقة باخرى جديدة حوت صفوة ما تقرر، وخلاصة رغبات الامة، ولا سيما في تصحيح جليا على

مسمع من العالم أجمع، باننا نجاهد لانشاء حكومة يهودية في فلسطين، وانه لا بد لنا لنصل الى هذه الغاية من اربعة امور :

١ - امتلاك فلسطين اقتصاديا وادبيا

٢ - تنظيم قوى الشعب وانشاء رؤوس اموال عامة له

٣ - اتمام الشهور القومي في الشعب وترقيته

٤ - السعي بكل طرق السياسية لجعل جميع الظروف الخارجية

موافقة لنا. وفي الحقيقة ان الشجاعة الادبية التي اظهرها هذا المؤتمر في

اعلان حقوق الامة الاسرائيلية على فلسطين، والخطة الجلية الصريحة التي

رسمها لبلوغ هذه الغاية، والقوة المعنوية التي تجلت من خلال اجرائه، -

كان فعلا في الشعب اليهودي فعل المعجزات. فانه تنبه من سباته العميق،

وفي كل محل بلغت اليه اخبار المؤتمر عقدت الاجتماعات، وأقيمت الخطب،

فأسست الجمعيات، وتألقت الشركات. ومنذ ذلك الحين اخذ العمل يتقدم

بسرعة وبجد واجتهاد عظيمين، فاشتد ساعد الجمعية الصهيونية وانشأت

صندوق المال المالي، وانضمت لها قوى سياسية خارجية، وظهر لنا من نتيجة

مقابلات الملوك والوزراء بان حركتها ستتمى ونثقوى على مرّ الايام

غير ان القريب من مركز ادارة هذه الحركة والواقف على ما يجري باتها،

يلاحظ في الحال ان الخطأ العظيم الذي كانت الصهيونية تتألم منه في مدتها

الاولى والثانية - واعني به قيادة الحركة من جهة واحدة فقط وتوحيد

المساعي وصرفها وراء نقطة واحدة من نقط البروغرام - مازال يرتكب

حتى الآن، وذلك بسببنا وراء العمل السياسي فقط لاجتذاب القبات

الخارجية

أما الجهات الأخرى فلم يفتت إليها بل أهملت بالسكينة
فالامر الأول من بروغرام مؤتمر (بال) وهو امتلاك « فلسطين »
اقتصاديا وادياً كان من نتيجة قلة الاهتمام به ان اللجنة التي عينها المؤتمر
للنظر في المسائل الاستعمارية لم تعمل شيئاً، لانه لم يدخل صندوقها شيء
من المال، ووجد مديرو هذه الحركة في فلسطين انفسهم بعد ست سنوات
أنهم لم يتقدموا خطوة الى الامام، بل ظلوا في ذات النقطة التي ابتدأوا منها
ثم ان الآداب الاسرائيلية لم تتقدم أيضاً تقدماً محسوساً، وكانت
مسألة البحث في احيائها تبدو في كل مؤتمر كشبح مرعب . والدليل على
ذلك النجاح البطيء الذي صادفته اللغة العبرانية في السبع السنوات الأخيرة
مع انها من اكبر العوامل على تنبيه الشعور القومي

الفصل الرابع

ظهر مما تقدم ان ادارة العمل من جهة واحدة لا يمكن ان تأتي
بالفائدة المقصودة ، ففي الوقت الذي كانت فيه مساعي الرؤساء جميعها
منصرفة الى العمل السياسي ، كان بقية الاعضاء يطلبون بالحاح شغلا عملياً
آخراً، ولكن هذا الشغل لم يكن موجوداً ، والعمل السياسي كما لا يخفى
لا يصلح له الا رجال مخصوصون ، وهكذا أهملت نفسها التي عليها مدار
الحركة، ولم يلتفت الى حفظ المواصلات معها، وارسال قوى جديدة اليها،
كما انه لم يهتم احد للاعمال العقلية وتنبيه الشعور القومي، وجل ما عمل اذ
ذاك كان منحصراً في جمع المال والقاء الخطب، - الى ان جاء المؤتمر الرابع.
وهذا بدلا من ان يكون صهيونيا أي ان يهتم بقيادة الحركة في الطريق

السويّ اقترح وضع بروغرام خلاصته : انشاء جمعيات للتعاون وجمعيات خيرية وجمعيات اسعاف لايطعام الجوع وصندوق للتسليف . فجعل للحركة الصهيونية دخلا في كل شيء حتى في جمعيات رجال المطافى الحرة ، فكانت النتيجة ان المزامن انحلت وشعر الناس بأن هذه الاعمال لاتصل بهم الى الغاية

ثم حدث ما هو انكى من ذلك فقد استقر في الاذهان أن الصهيونية السياسية رغم ما بذلته من المساعي واستفادته من وعد الحكومات بمقاضتها ، هي عاجزة عن تغيير طرق معيشة الشعب اليهودي واصلاح احواله وتحسين معاملته ودفع الحيف عنه في اكثر البلاد التي يقطنها ، ولذلك كان كل عمل الصهيونية في نظر الامة الاسرائيلية لا يساوي شيئا . وقد اصاب الناس في هذا الاعتقاد لان امورهم الاقتصادية كانت تزداد سوءا من يوم الى يوم ، والمهاجرين ينادرون بلادم بالالوف ، والحرث والمذابح والاضطهادات يتلو بعضها بعضا ، والافواه تردد باصوات عالية قائلة : اعطونا عملا ، نريد شغلا . فلم يجدوا من الصهيونية ما يحقق آمالهم فيها . ومما زاد في الطين بلة على اشد ذلك قيام عثرة جسيمة في طريق سياستنا اضطرتها في سنتها السابعة ان توقف عملها مدة من الزمن فوقفت الحركة من جميع الجهات .

على ان وقوف دولاب الحركة هذا لم يكن ليضرها بمقدار ما اضرت بها فكرة بعضهم في استثمار اوغندا . وهي اعظم غلطة ارتكبت في مدة الخمس وعشرين سنة الماضية من تاريخ الصهيونية ، لان الانظار تمحوت

اذ ذاك الى هذه الوجهة . وانشقت الحركة الى قسمين ، وانتشبت الحرب بين الاخوة وتمزق العمل فكان من نتيجة ذلك حدوث ازمة هائلة . وبعد ان كان الصيونيون قبل المؤتمر السادس اقوياء - لا في سياستهم او في اموالهم او في جمياتهم فقط بل في اتحادهم ووحدة مبداهم - جاءت هذه الفكرة فهدمت ذلك الاتحاد الى سنين كثيرة ، وزادت عليه فقضت بما احدثته من التأثير السيء على زعيمنا الاكبر هرتسل العظيم منشئ المؤتمرات ، وذلك عندما رأى صروح عمله تنهار واتعابه تذهب ادراج الرياح . ان الامة الاسرائيلية تجتاز الآن زمناً مخيفاً فقد اصبحت لا قائد لها ولا بروجرام ، واصبح افرادها لا ثقة للواحد منهم بالآخر ، والكل يجهل ما تؤدي اليه هذه الحالة . ومن يعلم ماذا يضر لها المؤتمر السابع ، وهل هو يجري على خطة المؤتمر السادس ويتم ما ابتدأ به من هدم جميع ما اشتغلنا فيه مدة ٢٥ سنة ؟ او هو يستخرج من اليأس قوة عظيمة فيسمى للتكفير عن تلك الزلة الهائلة التي ارتكبها المؤتمر السادس فيضع خطة جديدة لادارة العمل .

اني اريد ان اعتقد أنه سيختار الخطة الثانية لان السبيل الموصل اليها سهل هين ، وهو الرجوع الى بروغرام مؤتمر بال بجملته ومافيه من الصراحة .

الفصل الخامس

ان النقطة الاساسية في بروغرام مؤتمر بال هي انشاء وطن سياسي حرّ مستقل للشعب الاسرائيلي في فلسطين . ويفهم من هذا بوضوح ان

الغاية الوحيدة من الحركة الصهيونية هي انشاء بلاد سياسية حرة مستقلة لليهود في فلسطين؛ لا ايجاد ملجأ او مركز روحي لهم، وقد ذكرت فلسطين ولم يذكر غيرها لان كل سمي يرمي الى بلاد غير فلسطين ليس هو من الصهيونية في شيء، واجر بالقائمين به ان لا يستظلوا بالعلم الصهيوني لنشر فكرتهم . ولذلك اصبح من واجب المؤتمر السابع ان يهدم ما وضعه اولئك المنافقون المتظاهرون بالصهيونية، ويزيد على بروغرام المؤتمر الاول كلمة واحدة لها معنى كبير وهي كلمة « فقط » أي « في فلسطين فقط » ويحتاج بمادة اخرى يضيفها الى القوانين الاساسية الصهيونية تضمن لمجموعها عدم التنقيح والتغيير فيها

وهناك أيضاً اشياء اخرى يجب على المؤتمر تقريرها . منها ان يصادق على طرق العمل التي وردت في المواد الاربع المذكورة في بروغرام مؤتمر بال . وان لا ينقص حرفاً منها ولا يزيد عليها شيئاً من شأنه ان يصرف الالذهان الى طرق اخرى كالانشاء ملاجئ او مستعمرات خيرية، فاذا عمل ذلك سهل عليه انهاض الحركة من كبوتها والقبض على ازمتهما والسير بها في اقوم طريق . وهانحن اولاء نأتي الآن على شرح تلك المواد الاربع من بروغرام مؤتمر بال لا كما وردت بالترتيب ولكن بحسب درجاتها في الاهمية وما يترأى لنا من سهولة تناولها . (له بقية)

[المنار]

لن نشر من هذا الكتاب الصهيوني الا هذه الفصول لكفت من يعتبر من العرب الفلسطينيين وغيرهم عبرة وبياناً لمقاصد هؤلاء الصهيونيين . وليعلم من لم يكن يعلم دين هذه الأمة وتاريخها أن الصهيونيين اذا تم لهم ما يريدون فانهم لا يقعون

« في أرض الميعاد » التي يؤسسون ملكهم الجديد فيها مسلما ولا نصرانيا . وليست أرض الميعاد أو فلسطين عندهم ما نسميه نحن الآن فلسطين فقط ، بل هي في عرفهم وتحديد كتبهم الدينية تمتد الى سورية حتى « النهر الكبير » أي نهر الفرات . فهذه بلاد لا يجوز عندهم أن يقيم فيها أحد غير الاسرائيليين . وفي سفر (تثنية الاشتراع) ان الرب أمرهم عند دخولهم فيها بعد خروجهم من مصر على يد موسى (ص) أن لا يستبقوا من أهلها نسمة متا . - والنص في ذلك تجد في باب الفتاوى - .

نعم انهم لا يبيدون الآن من فيها من غير اليهود بالسيف والنار كما فعل اسلافهم من قبل ، بل يبيدونهم بهوثي الكيد والمال ، وهما قوتان لهذا الشعب الصغير ترهبهما كبرى الأمم والدول ، حتى ان دولة الروسية القوية القاهرة انشأت تستميل في هذه الايام يهود بلادها على قتلهم لئلا يحدثوا فيها أحداثا وقتنا داخلية تزلزل أقدامها في هذه الحرب التي تقتضي مصلحة الدول المحاربة فيها أن لا يكون لها شغل داخلي يشغلها . فماذا عسى أن يفعل العرب أصحاب فلسطين من أسباب المحافظة على وطنهم وأمالهم فيه على تفرأوقهم جمل السواد الأعظم منهم بكنه الخطر وكنه قوته مزاحمهم ، وعلى جهلهم أيضا بالقوة أنفسهم وبطريق الانتفاع بها ؟

لا أقول إنه لا يمكن أن يعملوا ولكن أقول لا بد من الروية والحزم وقوة الاجتماع ، ولا بد من المسارعة الى تنظيم وسائل الدفاع ، وليعلموا انه لا يكاد يوجد شعب من شعوب الأرض غافل عن قوته واستعداده ككالك شعب العربي . قوته واستعداده كامنان فيه كمن النار في حجر الصوان تحت الثلج ، فمن ذا الذي يزيل أو يذيب الثلج عن هذا الحجر الصلب ، وأين مقدحة الحديد التي تفتح النار من هذا الزند ؟ ستجيب عن هذين السؤالين الايام ، فان الجواب عنهما احداث وافعال لا احاديث ولا كلام .

باب المراسلة والمناظرة

(تمثيل القصص)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فضيلة الرشيد المرشد ، شائد منار السنة ، مولانا السيد محمد رشيد رضا ،
أيده الله وأيد ثمرات مسعاه آمين

السلام عليكم ورحمة الله . إني أحمد اليكم الله الأمر بالتواصي بالحق ، وأصلي وأسلم
على صفوة الخلق ، وآله وصحبه ألسنة الصديق

(أما بعد) فقد رأيت لفضيلتكم في الجزء السابع من المجلد السابع عشر من
مناركم الاغرفى في حل التمثيل وحضوره علل فيها الحل بأنه لانص على حرمة
وليس ذريعة لفساد حتى يحرم سدا للذرائع ، فلا يحرم الا على من يفريه بمحرم ، مالم
يكن موضوعه منكراً بحيث يكون موضوع القصة المثلة عملاً محظوراً فيحرم اذاً ،
ولا عبرة بوجود نساء في موضعه كاشفات الرؤوس والسواعد اذ الغالب أن يكن
كافرات غير مخاطبات بالفروع ، وأن يكون الناظر المقصود التمثيل فقط ، على أنهن
كثيراً ما يُرى في الطرق على تلك الصفة فلا فرق بين رؤيتهن كذلك فيها
ونظرن بهذه الصفة في موضع التمثيل . هذا معنى ما جاء في جوابكم . وفيه أن كون
التمثيل لانص على حرمة يرد بأن حضور النساء كاشفات على مامر مبديات زينة
المبالغ في التأنق فيها جزء من التمثيل الغرامي وذلك محرم بنص (قل المؤمنین یغضوا
عن أبصارهم) (ولا یبدین زینتهن) الآية . والنصوص المانعة من حضور المنكر
والتسبب فيه . وعدم كونه ذريعة لفساد يرد بأننا نعلم بالبر أن الاكثر يتهافون جداً
على التمثيل الغرامي لاشي سوى وجود أولئك النساء ، بدليل أنهم لا يعتنون كذلك
بما لا يحضره ، ونسمع الكثير يسألون عن حال الممثلات من حيث نحو الجمال قبل
السمي الى التمثيل ، حتى لقد أخذ هذا الضرب من التمثيل وسيلة لمحض التكسب
به كثير من فاسدي الاخلاق الذين لا يعقل أن يقصدوا تهذيب غيرهم ، وسخطنا

كثيراً غلب مفارقة التمثيل يلهجون بوصف جمال المثلثات وروث زينتهن ورخامة أصواتهن ، وأنبأنا بعض من حضروا ذلك التمثيل ثم تابوا لما رأوا من سيئ أثره بأن من الحضور من كان مستصحباً نظارة تجعل المثلثة كأنها إلى جنبه ، وهذا مما يؤكده سوء أثر نظرهن ، وبالغ هذا المنبئ في سوء آثار حضور التمثيل المذكور وأنه لا يكاد يسلم من ذلك أحد مما كان ورعاً ، على أنه يحضره كثير ممن لا عناية لهم بالأخلاق ، ولا وازع يزعمهم عن الاسترسال في مطلق الشهوات ، فيخرجون وقد استفحل الداء في نفوسهم ، واستولت الاضطرابات على قلوبهم ، وكون الكفار غير مخاطبين بالفروع مختلف فيه ومعتقد الشافعية والمالكية الخطاب للدخول في عموم الوعيد والآية (ما سلككم في سقر ، قالوا لم نك من المصلين) الخ ولئن سلم جواز السفور للكافرات لم يسلم جواز حضور مكانهن حال السفور مع نظرهن ، للامر بنقض البصر وتحريم النظر لغير الوجه والكف بالسنة دون فرق بين مؤمنة وكافرة . وهو مقتضى حكمة تحريم النظر ، وهو كونه بريد الزنا - كما ورد - بل سمي في الصحيح زنا العين ، وقد أطلعت في بعض أبحاث المنار القول في مفاسد النظر بما يعلم به أن مفسدته تطلب مصلحة التمثيل الغرامي - ان كانت -

أما كون الناظر انما يلاحظ مقصود التمثيل ، فخلافاً لما عهدنا في كثير . نعم من الناس من هو كذلك ولكن قليل ما هم . وأما التسوية بين نظر السافرات في مواضع التمثيل ونظرهن في الطرق فقد يرد بأن الماشي في الطريق غير مستقر في موضع فتصادفه منهن من تصادفه بدون قصد أو به ، مع شدة الحاجة إلى المشي فيه ، ومع كون اللاتي فيه لا يتأقن في الزينة تأتق المثلثات اللاتي يجترن من أجل الطبقات ، ويعددن من الزينة ما تجلب به الرجال للتمثيل ويبالغن في ترخيم أصواتهن عند قراءة الأشعار الغرامية التي قد تحدث وحدها في النفس آرا سيئاً ، فما الظن إذا حدث من نسوة على هذه الصفات بهذا الترخيم على مرأى من الرجال الذين جبالوا على شدة الميل إلى مثل ذلك ؟ فهذا كله يقتضي أن مفسدة مثل هذا التمثيل خالصة ، على أن لنا عما يقصد منه من الاعتبار والتهديب غنى بآداب ديننا التي جاء بها القرآن والآثار وحكم العارفين ، فما بالناس تفرغ في طلب المغلة إلى هذا الأمر الذي

ضره أضاف نفيه ؛ اني لأعتقد أن لتمثيل القصص الغرامية الخطأ الاوفر في افساد أخلاق المصريين والمصريات ، الذين عرف بالاستقراء فرط شغفهم بالشهوات ، وتكالبهم على الزخارف وان كانت محظورات ، وعدم مبالاتهم بالتهتك . ولذا كنت اود أن تفسحوا في مناركم الاغر مكاناً لانتقاد ذلك التمثيل والتفكير منهجدا مادام على غير صفة شرعية . والآن أرجو ابانة رأيكم بعدما ذكرت لكم ما عندي لبسنيين الحق اتم استبانة لازلتهم عضدا للحق والحقيقة ما (محمد زهران)

[المنار] ان ما ذكره اخونا الكاتب من وصف التمثيل خاص بتمثيل القصص الغرامية المعهود بمصر ، وهو مبني على السماع والمبالغة في دعوى براعة جمال الممثلات ودرخامة أصواتهن وافتتان الرجال بهن . وكلام المنار السابق في التمثيل المطلق . ومنه ما يقوم به الرجال وحدهم وما يقوم به نساء لسن من مظنة الفتنة في شيء . واذا ثبت ان التمثيل الذائع هنا مصدر للفتنة ، والنريعة للمفسدة ، فهو مما جزمنا بتحريمه في كلامنا السابق . ومن الغريب جعله آية نهي المؤمنات من ابداء زينتهن نصا على وجوب ذلك على الكوافر بمعنى مطالبتهن به كالمسلمات ، وجعل هذا مذهبا للشافعية ! وانما المذهب ان الكفار يعاقبون على ترك فروع الشريعة في الآخرة بدليل آية المدر التي ذكرها . بل قال «لعموم الخطاب» وانما الخطاب في الآية للمؤمنات ، وفي الرسالة مسائل أخرى قابلة للبحث والنقد ولا حاجة الى ذلك ، وحسبنا ان نقول ان حكم هذا التمثيل منوط بما فيه من المصلحة أو المفسدة والثاني هو الذي يحظر دون الأول

(المعارف - آلات اللهو)

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الامتاز الاوحد رافع منار الدين وحامي حوزة السيد محمد رشيد رضا الحسيني أتيجع الله تعالى مساعيه واكثر في المسلمين من أمثاله السلام عليكم ورحمة الله . اني أحمد اليكم الله الذي وفقكم لاجل الخدمات الاسلامية ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسائر القائمين بنصرة

الشرعية المحمدية

(أما بعد) فقد كنت منذ بدء اشتغالي بالعلم شديد التعطش الى معرفة الحق في مسألة آلات الملاهي فكنت أراجعها في كل كتاب يسر لي من كتب المقلدين والمستقلين فلا يشفى لي غليل ، حتى أتيت لي مراجعتها في نيل الاوطار مرارا فكاد يلج صدري بتحقيق ذلك العالم الرباني ، وكنت أقرأ في المنار الاسى اجوبة اسئلة في هذا الشأن تحمل استيفاء البحث على اول اجزاء المجلد التاسع وتاليه فيشتد شغفي لاقتنائها حتى يسر ذلك ، فأمنت الفكر بمطالعة المبحث فيها فإذا حاصل ما زدت به على الشوكاني في نيل الاوطار ان رجحت ادلة الاباحة على ادلة الحظر بموافقها للبراءة الاصلية ومقتضى الفطرة وسماحة الدين وكونها صحيحة دون ادلة الحظر . وقولكم : ان ادلة الحظر تحظر المعازف والدف - منها قطعا - اي فتكون معارضة لاحاديث جواز الدف . فتقدم هذه لما مر - وقولكم : ان غناء النساء الثابت جوازه في الصحيح اشد الملاهي تأثيرا في النفس . أي فغيره أولى بالجواز - وقولكم عقب نقل كلام الشوكاني : ومعلوم ان نذر الحرام او المكروه لا ينقد ، وذا يبطل دعوى الشوكاني نهوض ادلة المانعين شبهة على المنع - وقولكم في حاشيتي صفحتي ٤٦ و ٤٧ من الجزء الاول بعد نقل كلام الشوكاني في رد الحافظ ابن حجر على ابن حزم في دعواه اقتطاع حديث المعازف الذي في الصحيحين مانعه : ومنه تعلم ان الحافظ ابن حجر والشوكاني يسترفان بأنه لم يصح من الاحاديث الواردة في حظر آلات اللهايا الحديث الاول مما اوردنا . - وزيادات أخرى أوردتموها في بحث اقياس الفقهي في السماع وفي خلاصة البحث

أما ترجيح ادلة الجواز لموافقها لاصل الاباحة ولتقتضى الفطرة ويسر الشريعة فلما يصح لو تعارضت ادلة الجواز وادلة المنع ، ولا تعارض ، اذ القاعدة الاصولية تقتضي تخصيص احاديث تحريم المعازف بغير ما صح في الاحاديث جوازه من الدف والغناء كما هو الشأن في تخالف العام والخاص ، واذا لم يحرم الشافعية ما ذكر من الدف والغناء حيث أمنت الفتنة بالشاني ، وخص المالكية جواز الدف في النكاح او كل سرور وقوفاً مع ظاهر الوارد . وارى هذا قريباً واحوط

وأما الترجيح بصحة أدلة الجواز وضعف مقابله ففيه انكم اعترقتم تبعاً للمحافظين بصحة حديث البخاري في المعازف ، وهو كاف في اثبات المنع غير انه يخص بأحاديث الدف والغناء كما مر ، وبذا علم ما في قولكم ان أدلة المنع تحظر المعازف والدف منها

وأما كون غناء النساء اشد الملاهي تأثيراً في النفس فغير مسلم على العموم ، اذ ليس غناء كل امرأة اشد تأثيراً من كل لهُو آخر ، بل كثيراً ما يكون صوت العود مثلاً اشد تأثيراً من غناء بعض النساء

على أنه بعد صحة الحديث بتحريم المعازف المراد بها غير الغناء والدف بدليل الأحاديث الأخرى لا مساغ لهذا اذ لا يجوز إلغاء حديث صحيح لمجرد توهم مخالفته لمقتضى اقياس الأولوي على ما في حديث آخر ، لانه لا وثوق لنا بأن عليّة جوازها في هذا الحديث هي ما فهمناه ، اذ لا مانع من كون العلة شيئاً آخر لم يبلغه ادراكنا ، فلماذا لا نجمع بين الأدلة ما امكن ونعمل بجميعها امثالاً لما أمرنا به من الاخذ بكل ما أتانا به الرسول (ص) ؟

وأما كون الأمر بضرب الدف لمن نذره يدل دلالة واضحة على جواز الملاهي لعدم انعقاد نذر المنهي عنه — ففيه أن ذا انما يدل جلياً على جواز ضرب الدف فقط فيخصص بذلك وبأحاديث الغناء حديث منع المعازف كما سبق فيبقى باقياً على المنع ، فكيف يقال: ان الأمر المذكور قد منع نهوض أدلة المنع شبهة

وأما كون اقتصار الحافظ على رد تضعيف حديث البخاري في المعازف يدل على أنه يرى ضعف سائر الباب ففيه انه قد يكون سكوتة عن بيان حالها لعدم علمه به لالعله بضعفها

وبعد فاني أرى ان ما استنتجته الشوكاني من كلامه الطويل من ان المقام مقام شبهة فقط لا يصلح نتيجة لبحثه فانه ثقل أجوبة المجوزين عن حديث البخاري المعلق وردّها ، فعلم منه أن الحديث حجة للمانعين ، وقد قال في خلال البحث ان الأحاديث ينهض مجموعها حجة لتعاضدها ، فقد نصر المانعين بحجتين سلمهما . وما احتج به المجوزين من نحو عموم (ويحل لهم الطيبات) يرد بتخصيصه بئينك الحجتين

وبعد دلالة السنة على المنع لا مبالغ لمقاس فقهي ولا غيره الا قياس مع وجود دليل من كتاب أو سنة . فصفوة بحث الشوكاني نصرته المانعين وترجيح التحريم ، لا مجرد ان المقام مقام شبهة

نعم قد يقال ان لفظ المعارف جمع محلي بآل وهو للعموم فعنى استحلال المعارف استحلال جميعها حتى نحو الغناء المبيح على محرم فيكفي في تحقق معنى الحديث تحريم مثل ذلك ويكون هذا جماعاً مقبولاً بين الأدلة يتفق مع القياس الفقهي ومع الامور التي رجحتم بها أدلة الجواز

وقد يرد كون مجموع أحاديث الحظر غير الاول ينهض حجة بأن تعدد الاحاديث الضعيفة انما يقتضي بلوغ درجة الحسن اذا كان الضعف لنحو سوء حفظ الراوي لا نفسه أو اتهامه بكذب والاول غير متحقق هنا فلا جزم بالحسن ، ولو ان الشوكاني ذكر هذين النقصين لانتج بحثه ما ذكره من أن الموضوع موضوع شبهة فخلاصة بحث الفقير هو ما رآه الشوكاني أخيراً من الاشتباه لا ما رأيتموه . وقد أطلعت فضيلتكم عليه كي تروه أو تردوه . ولي وطيد الامل ان تعيروا ذلك عناية تامة احقاقاً للحق ، وإزالة للشام الشبهة عن وجهه ، لا برحمتهم علما للمهتدين ، ونبراساً للمستضيئين ما

محمد زهران

خادم العلم الشريف ببندر المحمودية (بحيرة)

وأحد مشركي المنار الاغر

[المنار]

يؤخذ من لسان العرب وغيره من المعاجم ان العزف يطلق في اللغة على اللهو وعلى اللعب وعلى بعض الاصوات كالغناء والنواح والرعد والريح ، وصوت الرمل اذا هبت بها الريح ، وقيل ان هذا هو الذي كانت العرب تطلق كلمة « عزيف الجن » على ما يسمع منه في الليل . ويطلق بكثرة على الدف أو صوته . والعزيف الصوت . قال في اللسان : عزف يعزف عزفاً لها . والمعارف الملاهي ، واحداً معزف ومعزفة . وعزف الرجل يعزف اذا أقام في الاكل والشرب . وقيل واحد المعارف عزفة على غير قياس ، ونظيره ملامع ومشا به في جمع شبهة ولمعة ، والملاعب التي يضرب بها

يقولون للواحد والجمع معازف رواية عن العرب . فإذا افرد المعزف ضرب من الطباير ويتخذها أهل اليمن . وغيرهم يجعل العود معزفا . ومعزف الدف صوته . وفي حديث عمر أنه من معزف دَف فقال ما هذا ؟ قالوا ختان ، فسكت . المعزف اللعب بالمعازف وهي الدفوف وغيرها مما يضرب به . . وكل لعب عزف اه المراد

فمن تأمل هذه المعاني يعلم أنها هي التي كانت تراد من العزف والمعازف في عصر النبي (ص) ولم يصح نص بتحريم شيء منها ، وكان أشهر آلات الملاهي في ذلك العصر الدف — وقد ثبت في السنن العملية والتولية إباحته واستجابته في بعض الأوقات كالعرس . وسائر آلات اللهو التي لم تكن في ذلك العصر معروفة أو مشهورة يصح إطلاق لفظ المعازف عليها كما يصح إطلاق لفظ الخمر على المسكرات التي حدثت بعد عصر الوحي وإن لم تكن تخطر هذه ولا تلك في بال من كان يطلق اللفظ قبل وجودها . ولو جاء في الكتاب أو السنة نص صريح في تحريم المعازف لكان أول ما يتبادر إلى فهم الصحابة منه تحريم ما كان ذائعا في عصرهم منه كالدف . ثم يلحق به غير الذائع وغير المعروف عندهم بعموم اللفظ إذا كان الوضع اللغوي يساعد على ذلك ، أو بطريق القياس إذا التحدث العلة .

وقد علمنا من عبارة لسان العرب أن تسمية العود معزفا ليس متفقا عليها . ولو كان المشهور من المعازف التي كانت في عصره (ص) محرما لورد النص عليه في الكتاب أو السنة المشهورة لتوفر الدواعي على نقل ذلك واشتغاره ، ولم يصح حديث مشهور ولا دون المشهور في التنصيص على تحريم شيء منها ، بل صح ما يدل على الإباحة كما يعلم أخونا الباحث المنتقد . واشتهر عن بعض كبار الصحابة والتابعين وأئمة الحديث كرواة الصحيحين والسنن أنهم كانوا يبيعون القناء والأتار لا الدفوف فقط . وكان جمهور هؤلاء من أهل المدينة الذين هم أجدر الناس بمعرفة السنن المتبعة في عصر النبي (ص)

أما الحديث الذي هو موضوع البحث والسؤال فليس نصا ولا ظاهرا في إنشاء حكم تحريم المعازف ولا خبرا بمعنى إنشاء ذلك . وإنما هو حديث آحادي في الإخبار عن شيء يقع في المستقبل ، كالأحاديث في أشرط الساعة وإماراتها الواردة

في سياق الكلام عن الساعة ، أوفي مناسبات أخرى : كحديث أبي هريرة عند احمد ومسلم « صنفان من أهل النار لم أرهما بعد — قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، عميلات مائلات ، على رؤوسهن كأسمدة البُخْت ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » فهذا الحديث ليس إنشأ لتحریم حمل السياط التي تشبه أذناب البقر (وهي التي نسميها الكرابيج) وضرب الناس بها ، ولا لتحریم كل وصف من أوصاف النساء التي فيه . ولكنه يدل ضمنا على ان كلا من الصنفين يتلبس بمحرم يستحق به عذاب الله تعالى . ان لم يكن في جزئيات ما وصف به ففي جملة ما وتجموعها . ولا بد ان يكون لتلك المحرمات أدلة تدل عليها من شرع الله تعالى في غير هذا الحديث .

فأنا أفهم حديث المعازف الذي تتكلم فيه — كما أفهم هذا الحديث : أفهم ان حديث أبي هريرة يبين حال رجال من الظلمة يحملون نوعا من السياط يضربون بها الناس بغير حق ، لانهم أنشؤا لأنفسهم شريعة في عقاب المذنبين اليهم بذلك . فحمل السياط التي تشبه أذناب البقر ليس محرما اذ لا دليل على تحريمه ، وضرب الناس بها اذا كان في اقامة حد الله تعالى على الوجه المشروع ليس محرما أيضا . ولكن ضرب الكرابيج الذي كان معهودا بمصر محرم شرعا لأنه من الظلم البين ، وحرمة معلومة من الدين بالضرورة . وكذلك النساء الكاسيات العاريات بما يلبسن من الشفوف التي تحكي ما تحتها من البدن ، لا دليل في الشريعة على تحريم هذا منهن اذا فعته امام أزواجهن فقط ، ولك ان تقول مثل هذا في سائر أوصافهن في الحديث . ولكن وجد في هذا العصر نساء يبرزن بهذه الصفات مع الاجانب ، وقد فسدن وفسدن بذلك كثيرا من الناس ، فكل أفعالهن هذه محرمة بلا ريب . وعلى هذا النحو ومثل هذا الفهم أفهم حديث أبي عامر أو أبي مالك « ليكون قوم من أمي قوم يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف » معناه سيوجد من أمي قوم يغلب عليهم الجهل بالدين أو التأويل للنصوص حتى توافق أهواءهم ، فيقعون في الحرام معتقدين بالجهل أو بالتأويل انه حلال ، كاستحلالهم الفروج بالمحال من

الطلاق الثلاث ، وبالتسري بالحرائر اللواتي يبيعهن آباؤهن أو يحتفظن من بلادهن ، وكذلك يستحلون لبس الحرير الذي هو منتهى الزينة التي لا تليق إلا بالنساء باعتقاد أن المحرم منه ما كان حريرا خالصا ، وما يلبسونه مشوبا بقطن أو كتان - مثلا - ويستحلون الخمر التي يستحدثونها بدعوى أن المحرم لذاته منها ما كان من عصير العنب ، ولا يحرم من غيره إلا القدر المسكر الذي لا يميز شارب به السماء من الأرض - مثلا - ويستحلون المعازف المستحدثة على الوجه الذي بين في رواية الحديث الأخرى « بعزف على ربوعهم بالمعازف والمغنيات » والمراد بالمغنيات هنا القيان المشار اليهن في حديث علي وأبي هريرة عند الترمذي في الخصال الخمس عشرة التي يترتب عليها نزول البلاء بهذه الأمة قبل الساعة ومنها « وظهرت القيان والمعازف وشربت الخمر » فالمراد من ذلك شيء لم يكن في زمانه (ص) مع العلم بأن كل هذه المفردات كانت موجودة ، وهو ما استحدثه بعض الفتاوى من الجمع بين العزف والغناء وشرب الخمر ، ويدل عليه قول بعض علماء اللغة في تفسير القينة وهو أن المراد بها الجارية البيضاء التي تغني للرجال في مجلس الشرب . فاقتران المعازف بالقيان وشرب الخمر هو الخبر عنه بأنه من أسباب حلول البلاء وإن لم يذكر ذلك في كل رواية للحديث - وهو حديث واحد لا يعرف المراد منه إلا بعد معرفته كله - وكثيرا ما يكون الاختصار على بعض ألفاظ الحديث سببا لجهل المراد منه . ومثله في هذا الحديث « وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأذى صديقه وأقصى أباه » فإطاعة المرأة وإيداء الصديق ليس منكرا في الدين وإنما كان أنكر باعتبار اقترانه بعقوق الأم وإقصاء الأب . أو فهم منه أن إطاعة المرأة وإيداء الصديق في اتباع الهوى والمنكرات .

وجملة القول إتي أفهم الحديث الذي نحن بصدد البحث فيه كما أفهم أمثاله مما ورد في أنباء المستقبل التي أخبر بها النبي (ص) فأجزم بأنها ليست تشريعا وإنما هي أخبار بأشياء ستحدث بعده فما دل منها على تحريم شيء عرف في شرعه دليل تحريمه فالأمر فيه ظاهر من هذه الجهة ، وما دل على تحريم شيء لا يعرف فيه دليل على تحريمه فلا بد أن يكون ما أخبر به (ص) سيقع على وجه محرم ، وإن يكون غنى به وقوعه على ذلك الوجه ، كحديث الرجال الذين بأيديهم سياط

كأذئاب البقر الخ وغيره .

فهذه الأحاديث لا يقع التعارض والترجيح بينها وبين نصوص الكتاب والسنة في التحليل والتحرير كما فعل الباحث إذ جعل السنن العملية والقولية التي صحت في إباحة المعازف والغناء مخصصة عموم لفظ المعازف في حديث « ليكون أناس من أمتي » كأنه هو الأصل في تحرير ما ذكر ، وكأن النبي (ص) أراد بما سمعه وما أجاز به وأقره أو ندب إليه من سماع الدفوف والغناء في الوقائع المختلفة تخصيص ذلك العموم ، وجعل ما كان يقع في عصره من عزف الناس وسماعهم بسائق الفطرة استثناء من ذلك الأصل التشريعي العام ! ولا يفهم هذا الفهم ويقول هذا القول ذو ملكة عربية إلا إذا حصر نظره في تحكيم قواعد أصول الفقه في أمرين أحدهما لفظ يدل على حرمة المعازف مطلقا وثانيهما لفظ أو عمل يدل على إباحة بعضها . فهو يعد الأول بمعنى « حرمت عليكم المعازف » أو « اجتنبوا المعازف » أما إذا نظر في أسلوب الحديث وسياقه الذي يبيّن وقارنه بأمثاله من الأحاديث فإنه مجزم بما جزمنا به . ويعلم أن تحرير الشيء ابتداء وجعله حكما شرعيا لا يكون بمثل تلك العبارة ، وناهيك بشيء من مقتضى الفطرة عهد من الناس في كل زمان ومكان . فلو أراد الشارع تحرير مثله لحرمة بنص صريح يبلغه جمهور الأمة ، وتتوفر الدواعي على ثقله بالتواتر أو الاستفاضة

فلم مما شرحنا أن هذا الحديث لم يقصد به تحرير ما ذكر وإنما قصارى ما يدل عليه أنه سيوجد قوم يسرفون في ذلك اسرافا مقترنا بالفساد ، وبمنكرات قبيحة محرمة بنص الكتاب ، كشرب الخمر وتهتك القيان ، وأنهم يستحلون ذلك بعد معازفهم الإفسادية من قبيل المعازف التي أباحها الشرع لترويح النفس في بعض الأحيان ، أو السرور بنعمة الله في أيام الأعياد والأعراس وقدم المسافرين ، من غير أن يقترب بها منكز من المنكرات المحرمة في الدين ، كما يستحلون بعض الخمر بعدّها من قبيل النبيذ المباح الذي هو تقيع نحو التمر والزبيب في الماء الذي لم يختمر فيصير مسكرا . وما شدد من شدد من الفقهاء في إطلاق تحرير السماع إلا لمثل هذه المفاصل التي فتن بها المغمومون به حتى صارت من لوازمه عندهم . وما

أنكر عليهم من أنكر من المحدثين والفقهاء والصوفية إلا تعميم التحريم ، وتكلف الاستدلال عليه بالآيات والأحاديث ، ولم يسلم لهم دليل مما استدلووا به . كما يعلم من الكتب المولفة في إباحته ومن مثل نيل الأوطار والأحياء وشرحه والقول الفصل أن الأصل في العزف والمعارف (ومنه الغناء والغلب) الحل . وأنه ورد في السنة ما يؤيد هذا الأصل ككعب الحبشة في المسجد وغناء الجواري وسماع الدف والأذن به ، وإن الحرمه تعرض لبعض ذلك ، كما يعرض لبعضها الاستحباب ، ولا يبعد أن تصل معارف الحرب إلى درجة الوجوب إذا كانت الحرب شرعية ، فقد ثبت بالتجارب المتعددة المفيدة للقطع أن معارف الحرب التي يسمونها « موسيقى » تنشط المقاتلين وتحفز همهم وتزيد في ثباتهم وإقدامهم وجراتهم ، وتزيل الشعور بالتعب والمشقة أو تخففه عنهم ، كما يفعل الحداء بالابل . فإذا كان الثبات والإقدام من الواجبات بنص قوله تعالى (فاقبضوا) وبمجموع الأدلة الأخرى ، فقد تكون المعارف في بعض الأحيان داخلة في قاعدة « ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب »

هذا وإن من أصول دين الفطرة ، والشرعية السمحة ، الثابتة بالنصوص القطعية ، والمعلومة من الدين بالضرورة ، - أصل اليسر وتقي الحرج ، وعدم تحريم شيء على الناس إلا لضرره ، ورفع الإصر والأغلال عن الأمر التي كانت قبله ، حتى إن النبي (ص) علل أمره للحبشة باللعب في مسجده بإظهار هذه المزية في الإسلام أفندهم هذه الأصول الثابتة ، وأقواعد الراسخة ، ونستنبط من حديث آحادي روي بالمعنى في سياق الأخبار عن المستقبل ، وذكر بعض الرواة من ألفاظه وقبوده ما لم يذكره غيره ، - أن الأصل في آيات الله أن تكون محرمه في الإسلام وإن وجدت بباطل الفطرة عند جميع الأمم ، ولم تحرمها قبله الأديان الإلهية في ملة من الملل ، ثم نفرع عن هذا الأصل أن إباحة كل آلة منها تحتاج إلى نص من الشارع بخصوص ذلك الأصل العام ، إن لم يمكن تأويله وتطبيقه عليه كما فعل المشددون ؟ كلا إن الأمر بالعكس كما تقدم ، ولا سبيل إلى تحريم شيء من ذلك بخصوصه ، وإنما يجزم بحرمه ما فيه مفسدة ظاهرة من سماع الفساق وعزفهم الذي نراه في عصرنا مصداقا للحديث ، وبهذا الشرح نستغني عن بيان رأينا في سائر مباحث هذه الرسالة

باب الاخبار والآراء

(الحرب الأوروبية . والدولة العثمانية)

كان أخوف ما نخاف على دولتنا قبل هذه الحرب اتفاق الدول الكبرى على تقسيم بلادها الى مناطق نفوذ اقتصادي، يتبعه النفوذ السياسي، فتمهد كل منهن السبل في منطقتها، للاستيلاء التام عليها، وتنتظر الفرص لاعلان امتلاكها، وكنا قد رأينا بوادر هذا الاتفاق، ومنها الاتفاق، مع فرنسا على منافستها في سورية ومع انكلترا على العراق. بازاء ما لألمانية من الحقوق بامتياز سكة الحديد بين الاستانة وبغداد.

أما وقد وقع بين تلك الدول ما كانت تتمنح به حوادث الاعصار وتشخص رؤية أهواله لأبصار، فقد سعت لها فرصة لهم شعها، وتوفير ثورتها، وجمع كلمة شعوبها، واعداد وسائل الدفاع الوطني في بلادها. وازالة ما للاجانب من النفوذ والامتياز فيها، مع حفظ حقوقهم، وتأمينهم على أنفسهم وأموالهم، بحيث تكون مستقلة في داخليتها حق الاستقلال، ولا تكون دون الجبل الاسود والبلغار واليونان، وما شرعت فيه من الاستعداد العسكري وتمبئة الجيش المنظم يجب أن تراعي فيه الاقتصاد. وتجعله وسيلة للاستفادة من الحياض، ولا شك ان الامة كلها تشد أزرها في ذلك « وعند الشدائد تذهب الاحقاد »

هذا ما نراه وما يراه كل من نعرف من العقلاء الذين ذكروا في هذه المسألة من حرب وترك وغيرها. وانا لنعلم مع ذلك ان بين الحكومة الاتحادية والدولة الألمانية اتفاقا سريا قبل الحرب، والظاهر ان الثانية جعلته ذريعة لاستخدام جيش الأولى في قتال أعدائها.

الدولة قريبة العهد بحرب لم تبق في خزائنها مالا، ولا في مسالحها سلاحا، وقد ايد بها مئات الالوف من خير جندها، والامة فقيرة لا تستطيع ان تمد الدولة عن سعة ما تستطيع ان تحارب به دولة كبيرة كالروسية وحدها، فكيف تحاربها ومعها انكلترا وفرنسا واليابان، وبعض حكومات ابلقان. وهذه الحرب قد تستمر عدة أعوام؟ كم تسوق من الجند الى روسية وكم تبقى لحماية بلادها الواسعة، وثغورها غير محصنة؟ واذا غلب جيش لها في رجاء من الاجاء، أو احتاج الى الميرة والذخيرة والسلاح، فكيف النبيل الى إمداده من الارجاء الاخرى - والبحار محرمة عليها، ولا سكة حديدية تصل بين أقطارها؟

الملك

١٣١٥

بؤني احكمه من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتيها كثيرا وما يذكر الا أولو الابيار

فشرء في الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
أولئك بن هدهم الله وأولئك هم أولو الابيار

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى وه منارا ه كمنار الطريق ه

مصر سلخ شوال ١٣٣٢ هـ ق ١ الخريف الأول ١٢٩٣ هـ ش ٢٠ سبتمبر ١٩١٤

فَتَاوَى الْمَسْئَلَتَيْنِ

افتتحنا هذا الباب لأجابة أسئلة المشتركين خاصة إذا لا يسهل طامنا الناس ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده ومهله (وظيفته) وله به ذلك أن يرسل إلى اسمه بالحروف أن شاء واننا نذكر الأسئلة بالتدريج فالباور بما قدمنا تأخر السبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما جينا غير مشترك مثل هذا ولما مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم نذكره كان لنا عذر صحيح لأفغاله

(علم الله بصفاته . الرضاع من الجدة)

(س ٢٢) من صاحب الامضاء الجاوي بمصر

سيدي الاستاذ الاكبر السيد رشيد رضا زاده الله من مرضاته

أما بعد فاني ألقى الي مسئلتان من البلاد . إحداهما مسألة علمه سبحانه بصفات كمالاته . فانها قد شوهت أفكار الاغلب من أهل بلادي في (سومترا) اذ لم يوجد منهم للآن من يفصل القول المحكوم بالدليل أو السنة فيتبعونه يقولون . هل يعلم الله أعداد بقية صفاته التي هي صفات الكمالات خلاف العشرين مثل كذا أو كذا من العدد . أم لا ؟

فان أجبت بنعم ، فما المراد بقولهم ان صفات الكمالات من غير نهاية . فان المتبادر من معنى تلك الكلمة معلوم وظاهر . وان أجبت بلا فما المراد أيضا بقول الآية (وأحصى كل شيء عددا) ثم ألا يعد عجزا عليه سبحانه وتعالى لو فرضنا أنه لا يعلم تلك الأعداد ؟ . فهاهي (ذي) المسئلة الاولى .

أما الثانية فهي مسألة الرضاعة . يقول فيها السائل . هل عثرتم من مفهوم الكتاب أو السنة أو من قول بعض العلماء على إن الطفل اذا رضع من جدته من جهة الأم يؤدي الى وقوع الطلاق بين والدي الطفل فيقع الطلاق واحدا اذا رضع الطفل مرة واثنين اذا كان مرتين وثلاثا اذا كان ثلاث مرات

فتانكم المسئلان احترت عليهما (١) اذ قلبت كثيرا من كتب الفقه ومن كتب

(١) الصواب ان يقول : حرت أو تحيرت فيهما .

(المنار - ج ١٠) (٩٣) (المجلد السابع عشر)

التوحيد اعلى اعثر من عبارة تحمل عقد تينك المسئلتين فلم أجد . وحقيقة انهما لغريبتان بجانب فهمي القصير ولذلك وجهت بهما الى بحر علومكم راجيا ان تحلوا وثاقهما وما ذلك على واسع علومكم بعظيم .

ابراهيم يستاري سراج الجاوي

تحريرا في ٢١ شعبان سنة ١٣٣٢

(علم الله تعالى بصفاته)

الجواب عن المسألة الأولى : ان الله سبحانه وتعالى يعلم صفاته بلا شك ، سواء كان مراد العلماء بقولهم : ان صفات الله لانهاية لها ولا حصر - أنها كذلك بالنسبة الى علم الخلق ، أو في الواقع ونفس الأمر . ولا إشكال في ذلك فان الله تعالى يعلم ما لا نهاية له من الحوادث أيضا كالحوادث التي تكون في الجنة والنار وسائر العالم في المستقبل الذي لانهاية له

وههنا يحسن التذكير بأمرين هما أهم من تينك المسألتين : أحدهما أنه سبحانه وتعالى قد وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله (ص) بصفات من الكمال معروفة ، والألفاظ الدالة عليها هي أسماؤه الحسنى . وحكمته في ذلك ان نعرف بها كماله وعظمته وآثار فضله ورحمته فينا ونعمه علينا ، لنزداد بذكرها إيمانا وتركيزا لانفسنا وحبا في الكمال وأفعال البر ، لا لأجل ان نعددها عدا ، ونبحث فيما زاد عنها ، ثم نشغل أنفسنا بالفكر والكلام في امكان احصائها أو عدمه ، وفي كيفية علمه بها ، واحاطته بعددها ، فان أمثال هذه المباحث مما لم نكلفه ولا نرى لنا فائدة فيه ، بل ربما يضر البحث فيها بضعف العلم أو الفهم ويحدث له شكوكا في الدين . ولهذا قال العلماء في تفسير الاحصاء من حديث « ان الله تسعة وتسعين اسما

من احصاها دخل الجنة » (١) : أي من احصاها حفظا لمعانيها وعلمها بها وإيماناً به أو من استخرجها من كتاب الله تعالى وكلام رسوله (ص) لأجل ان يزداد بها إيماناً ومعرفة بربه عز وجل ويدعوه بها - أو من أطاق العمل بما تهدي اليه من الكمال والبر - أو من أخطرها بباله وتفكر في معانيها عند ذكرها بتلاوة القرآن والأذكار المأثورة خاشعاً معتبراً متدبراً راغباً راغباً . هذا مجمل مقالوه في معنى الاحصاء ولك ان تقول به كله . ولم يقل أحد يعتد بعلمه وفهمه ان المراد عدها بالأرقام أو احصاؤها على السبع . ولم يثبت برواية صحيحة انه (ص) عدها لهم .

(١) رواه احمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن أبي هريرة

واستشكلوا روايات عددها من جهة المتن ، كما تكلموا فيها من جهة السند . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : والذي عول عليه جماعة من الحفاظ ان سرد الاسماء مدرج في الحديث وانهم جمعوها من القرآن . واجابوا عن ذلك بما لا حاجة الى ذكره هنا . وقد ورد في بعض روايات الحديث الضعيفة « وما من عبد يدعو بها الا وجبت له الجنة » رواه الديلمي من حديث علي كرم الله وجهه . وفي أخرى « من دعا بها استجاب الله له » رواه ابن ماجه عن أبي هريرة . وليس فيهما ذكر الاحصاء . وعندنا فوق ذلك قول الله عز وجل في سورة الاعراف (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه) وقوله في سورة الاسراء (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيما تدعوا فله الاسماء الحسنى) فهو تعالى يهدينا الى ان ندعوه وننصرع اليه بهذه الاسماء الحسنى لاشتمالها على أحسن المعاني الدالة على منتهى الكمال والفضل

الامر الثاني - لا ينبغي لأحد ان يجعل ما لا يفهمه من كلام العلماء وما لا يتضح له انه صواب - مشكلا من مشكلات الدين ، بل يحسن ان يعده كأن لم يقل ، ولا سيما أقوال المتكلمين واصطلاحاتهم التي استنبطتها قراحتهم لتأييد مذاهبهم والرد على مخالفهم ، فان فيما قالوه الخطأ والصواب ، وما اذا احتيج اليه للرد على خصم كان في زمنهم لا يحتاج اليه في زمن آخر . وكذلك ما صوروا به عقيدة الاسلام التي يدافعون عنها ، لا ينبغي ان يجعل هو الاسلام الذي يلقنه المسلمون في كل عصر ، ويجعلون حفظهم من حماية الدين الدافع عنه .

مثال ذلك ما كتبه السنوسي رحمه الله تعالى من العقائد ولا سيما العقيدة الصغرى التي انتشرت في المشرقين والمغربين ، وحذا حذوه فيها معلمو المدارس الرسمية وغيرها حتى فيما يضعونه من العقائد للمبتدئين . وقاعدتها في الالهيات ان الواجب على كل مكلف شرعا انه يؤمن بأنه يجب لله تعالى عشرون صفة ويستحيل عليه أضدادها . واصطلاحه في هذه الصفات مخالف لما كان يفهمه السلف وأهل اللغة من معنى كلمة صفة ومن اطلاقهم الايمان بصفات الله تعالى . فهو يعد الامور الاعتبارية والعدمية صفات ، فالوجود والمخالفة للحوادث - أي عدم الاحتياج الى المكان والخصص - صفتان لله تعالى عنده ، والقدرة وكونه تعالى قادرا صفتان متغايرتان . ولم ينقل مثل هذا عن أحد من الصحابة ولا التابعين ، دع عدم ذكره في القرآن او في كلام الرسول (ص) فكيف تقتصر عليه ونجعل له هو العمدة في تلقين عقيدة الاسلام ، ونجعل ما عساه يخالفه ولو في عدد الصفات محلا للاشكال ؟

(مسألة رضاع الطفل من جدته)

وأما الجواب عن المسألة الثانية فهو اننا لم نطلع في الكتاب ولا في السنة ولا في كتب الأئمة على كلام يدل بمنطوقه أو مفهومه على ان الطفل اذا رضع من جدته لأمه رضعة تطلق أمه من أيه طلاقة واحدة واذا رضع مرتين تطلق طلقتين واذا رضع ثلاثا تطلق ثلاثا . وانما الطلاق كلام يقوله الرجل يدل على حله لعقد الزوجية ، والله أعلم .

(كلمات الاستقلال والاعتماد على النفس والاجتهاد)

(س ٢٣) من أحد المشتركين السوريين بمصر

سيدي الاستاذ الحكيم السيد محمد رشيد رضا دام ثقه

المعروض بعد التحية ان بعض الأفاضل منتقد استعمال كلمة : « الاعتماد على النفس » أو « الاستقلال الشخصي » بمعنى اجتهاد الانسان ، ودليله في ذلك عدم استعمال العرب له ، ولما لم يكن يقنع مني بأن ذلك الاستعمال محمول على اجتهاد المرء الذي هو ضد كسله وخموله فقال بأن المستعملين ذلك لا يعنون منه سوى اجتهاده في كل حاجياته بحيث لا يعتمد على غيره ألبتة كما هو ظاهر ذلك الاستعمال - جئتكم بهذه الكلمات راجيا منكم البيان الوافي المقنع لمثل ذلك المنتقد - في المنار الأغفر ولكم الفضل

(ج) قال في القاموس المحيط : واستقله حمله ورفعه وأقله (أي أطاق حمله وهذا اصل المعنى) الطائر في طيرانه ارتفع . وقال غيره : استقل الطائر نهض للطيران وارتفع . وقال الزبيدي فيما استدركه على القاموس في هذه المادة من شرحه : والاستقلال الاستبداد يقال : هو مستقل بنفسه ، ضابط لامره . و : هو لا يستقل بهذا ، أي لا يطيقه اهـ

وأما الاعتماد على الشيء فأصله الاتكاء عليه والتورك عليه . ومنه العماد والعمود الذي يقام عليه البناء والاعتماد على المرء عبارة عن الاتكال عليه ونوط الأمور به . ومنه عمدة القوم وعميدهم وعمودهم ، وهو سيدهم الذي يعتمدون عليه في مصالحهم . هذا ما يؤخذ من جميع معاجم اللغة

وأما الاجتهاد فهو بذل الجهد والمشقة في تحصيل الشيء . سواء استقل الانسان بالسعي والعمل أو اعتمد على مساعدة غيره مع بذل جهده

فإذا تدبرت معاني هذه الالفاظ ترى أن المنتقد مخطئ ، وان استعمال كلمة الاستقلال فيما نستعملها فيه فصيح ولا تحل محلها كلمة الاجتهاد

شعر منشور

في

العربية والعرب

[من إنشاء فؤاد الخطيب أستاذ الآداب العربية في مدرسة غردون الكلية بالخرطوم]

لا جرم أن اللغة العربية ، أجزل اللغات السامية ، وأوسعها مجالا ، وأحكمها استعمالا ، لا يذهب مرّ العشي بسلاستها ، ولا يعيث كرّ الغداة بطلاوتها .
ولقد طاحت دول ، وبادت ملل ، فاستسرت لغاتها ، وعفت آياتها ؛ وتلك اللغة تدور مع الاحقاب ، في غلائل الآداب ، وغلواء الشباب ، لا يرهقها هرم ، ولا يخلقها قدم . فكانها وهي ابنة القرون الخالية ، والامم الماضية ، نشأت في اليوم الحاضر ، أو أمس الدابر ، فجاءت دفعة واحدة مستوفية أقسام جهالها ، وصحة ابنية اسمائها وأفعالها ؛ تجول بها أسلات الالسنه وأطراف البراع ، في صدور المحافل وبطون الرقاع ، فتنظم فرائدها ، وتعقل شواردها ، فلا تشذ نادرة ، ولا تند بادرة .
أجل . ان السيف الباتر ، والجبروت القاهر ، والمسكاتب المتماوجة بالزحام ، والمدارس المكتظة بالطلاب ، والصحف الذائئة في الآفاق ، والوفود الضاربة في الاصقاع — لم تحول لغة عن أصلها ، ولم تجذب أمة بمجلها . فأين ذلك مما وقع للعربية ، مع تلك الشراذم البدوية ؟ فانها لم تنهب الارض في قطار ، ولم تجزع ^(١) الفضاء في منطاد ، ولم تمخر البحار بالبخار ؛ بل جابت المسارح ، ورادت المسكن ، وطافت المجامع ؛ فولجت كل مصر ، وسكنت كل نفس ، وقالت لكل شيء : حسبك فانك عربي منذ اليوم .

فستقى الغيث ذلك العهد القديم ، ورعى الله ذلك العربي الصميم ؛ فأنه كان نورا في الظلمات ، وهدى في الشبهات ؛ اذا جال في مضمار الفكر ، وراوح بين النظم والنثر ؛ صور على الطرس ، حقيقة النفس ، ففاجتكت بأسرارها ، وحدثتك بأخبارها ؛ فاذا الغيب تكاد تراه عيناك ، واذا الوهم تكاد تلمسه يداك .

فهكذا الأدب ، وكذلك العرب ؛ فلقد سبروا غور العلم ، ومشوا الى اعماق
الفهم ، فاتزعوا العقول من عقالها ، واستلوا الوجود من العدم ، واستخرجوا اليقين
من الريب ، وتغافلوا بين الذرة واجزائها ، وتسربوا بين العصا ولحائها ، فكانوا
وكل سحر غير سحرهم باطل ، وكل بلد خيموا فيه بابل

اللهم سبحانه ! اينطق العربي بالحكمة الناصمة ، ويهتف بالثقافية الرائعة ،
فتكاد لحلاوة آياتها ، تقبل أفواه روائها — وهو في ذلك المنقطع من الارض ،
يهم في ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا مشت عيونه فني صميم القفر ، واذا وقفت به
فعلى اديم الصخر .. ؟

فلا يزال في الوجود ، كالمثل الشرود ، تتألفه الاقطار ، وتتخطفه الاسفار ،
فمن هضاب يحوم فيها كالعقبان ، الى بطاح يعمل فيها كالسديدان ، ومن مجالدة
زعزع نكباء تنسف التلال ، الى مكابدة هاجرة سحراء تأكل الظلال .

فما ثم مرتع شائق فيستمد من جماله البيان . وما ثم مورد رائق فيمتح من
عذبه اللسان ، وانما هي ارجاء عابسة ، ويبداء طامسة . تجول فيها الافكار فتكل ،
وتدور فيها الابصار فتضل .

فسلام على تلك الجزيرة الجرداء ، ومرحى لتلك المجاهل الخلاء ، فوالله ماتعوزها
الرياض مبثوثة الزراني والانماط ، ولا الحقول مبسوطة البرود والرياط ، ولا النهر
يتفرق ، على حصباء تتألق ، فقد نبتت فيها حسنة الزمان ، وتفجرت منها ينابيع
العرفان ، فغنيت بنصرة الآداب ، عن بهجة الاعشاب ، وبكمال السكان ، عن
جمال المساكن ، بل كانت مسبح الروح الامين ، وموئل الدنيا والدين ، فتبارك الله
احسن الخالقين ،

فأي نياط لا يتقطع ، وأي مهجة لا تصدع ؟ وقد أودى اوائك السكرام ،
وتنكرت تلك الايام ، حتى تبارزى الرهام ، واستنسر الحمام ، ولم يبق غير آهة مكسال ،
لا تتحرك الا بزلزال ، ولا تقطع من اشواط الدهر ، الا مسافة العمر من القبر .

فأين بنو قحطان ، وفتيان عدنان ؟ فيهبوا بالنفوس من غورتها ، وينهضوا باللغة
من كبوتها ، فتلك مفاخر بلادهم ، وما أثر أجدادهم ، ملء الانجاد والاغوار ، وطالع

الدفاتر والأسفار ، وانها لتطوي بالمرء مراحل العصور والاجيال ، وتطل به على عالم الخفائق من ملكوت الخيال .

اما والله لولا تنطس بعض المترمّتين^(١) ، وسدّهم على اللغة أبواب التعريب والاشتقاق ، فحجروها في الحواشي ، واقبعوها في المتون — لما ازور الطلاب عنها ، وامتلأوا نفوراً منها ، وكان العلم كل العلم ان يمضغ المرء كلام غيره ، ويلوك أقوال سواه ، فيتشلق بالمذاهب العقيمة ، ويتبجح بالامثال السقيمة ، وان قعد به العجز عن انشاء فقرة ، وتصوير فكرة ، ولم يغن عنه سواد الحدود والمصالحطات ، وما افنّ فيه من الشواهد والنكات .

ولا بدع فان الاصول وسيلة والانشاء غاية . ولشد ما بينهما من شاسع الفرق وواسع البون . وكم بين الماء والسراب ، والقشور واللباب !

وأما من رزق قريحة وقادة ، وبصيرة تنادة ، واحاطة بما لامندوحة عنه من قواعد اللغة وأصول العربية ، ثم راض نفسه على مزاولة أساليب العرب ومناحيهم ، وتوفر على مطالعة تراكمهم وعرامهم ، فقد اكتسب من ملكتهم ، ما أخرجه الى لهجتهم فبات وما يترضه عي ولا ترتهنه لكمة ، ولا تحيف بيانه عجمة .

وهل البلاغة — لعمرى — الا بصقال الديباجة ، ومتانة الاسلوب ، وحلاوة الأداء ، لتكون المعاني اعلق بالخاطر ، وأسرى في السمع ، وافعل في النفس ؟ أرايتك — وقد ثقفت الالفاظ المتخيرة ، وعرفت أين تضع يدك في سبكها وتأليفها — كيف تهز القلوب وتخلب الالباب ، وتملك قياد الاهواء ؟ ..

ولله در ابي هلال العسكري اذ قال في الصناعتين : « ان مدار البلاغة عليه تحسين اللفظ . وليس يطلب من المعنى الا ان يكون صواباً » . وقال ابن الاثير : ان اللفظة الواحدة تنتقل من هيئة الى أخرى فتحسن أو تقبح . هذه لفظة الارض فانها لم ترد في القرآن الكريم الا مفردة سواء أفردت بالذكر عن السماء كما في قوله تعالى (والله أنبتكم

(١) المترمّت من يظهر بمظهر الزميت وهو الكثير السكون والسكوت وقارا ورزانة ، والتنطس التأنيق والتدقيق والاستقصاء في الاشياء . يريد مبالغة بعض أهل اللغة في المحافظة على القدم من استعمال اللغة

من الارض نباتا) أو قرنت بالسماء مفردة كما في قوله تعالى (ويمسك السماء أن تقع على الارض الا بإذنه) أو مجموعة كما في قوله تعالى (الله الذي خلق السموات والارض) ؛ ولو كان استعمالها بلفظ الجمع مستسحنا لكان هذا الموضع أو شبهه أليق به. ولما أراد أن يأتي بها مجموعة قال (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلن) وكذلك قول أفصح الخلق لبعض النساء « ارجعن مأزورات غير مأجورات ». وحسبك ان المعاني المنقولة من لغة الى أخرى تفقد ماءها ، وتفارق صفاءها ، وما ذلك الا لانها انسلخت من برودها المعلقة ، وانخلعت من قوالبها المحكمة . فكانت شبحا ناحلا، وخيالا ماثلا .

وايت شعري ماذا يضر المعاني ، اذا أجيدت لها المباني ، فكانت شرعاً في المتانة ، وسواء في الصياغة ؛ ولا سيما وقد جاشت غوارب العجمة ، وفشت لوثة اللحن ، ومست الحاجة الى شد أواصر اللغة ، وتقويم مناد اللسان .

الا وانه لمن البر بالادب ، والغيرة الصادقة على العرب ؛ أن ينسج المتأدب على منوال الفصحاء ، ويطلع على غرار البلغاء ، - فذلك تاريخ آبائنا ، يصيح بنا من ورائنا ، وكله دموع تترى ، لا ألفاظ تتلى ، (وما يذكر الا أولو الالباب) والله الموفق الى الصواب .

التعريف بكتاب الاعتصام

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا * وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

العلماء المستقلون في هذه الامة ثلة من الاولين ، وقليل من الآخرين ، والامام الشاطبي من هؤلاء القليل ، وما رأينا من آثاره الا القليل ، رأينا كتاب (الموافقات) من قبل ، ورأينا كتاب (الاعتصام) اليوم ، فأنشدنا قول الشاعر :

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل

أدخل دار الكتب الخديوية وادم يبصرك الى الألوف من المصنفات في خزائنها ، تر أن كثرتها قلة ، وكثيرها قليل ، لأن القليل منها هو الذي تجد فيه علما صحيحا لا تجده في غيره ، لأنه مما فتح الله به على صاحبه دون غيره . وقد كان كتاب (الاعتصام) من هذا القليل ، فأحسنتم نظارة المعارف الى الامة الاسلامية كلها باجابة مجلس ادارة دار الكتب الخديوية الى طبعه

اتفق علماء الاجتماع والسياسة والمؤرخون من الامم المختلفة على أن العرب ما نهضوا نهضتهم الاخيرة بالمدينة والعمران الا بتأثير الاسلام في جمع كلمتهم ، واصلاح شؤونهم النفسية والعملية ، ولكن اضطرب كثير من الناس في سبب ضعف المسلمين بعد قوتهم ، وذهاب ملكهم وحضارتهم ، فنسب بعضهم كل ذلك الى دينهم ، ومن يتكلم في ذلك على بصيرة يثبت ان الدين الذي كان سبب الصلاح والاصلاح ، لا يمكن أن يكون سبب الفساد والاختلال ، لان العلة الواحدة ، لا يصدر عنها معلولات متناقضة ، فاذا كان لدين المسلمين تأثير في سوء حال خلفهم ، فلا بد أن يكون ذلك من جهة غير الجهة التي صلحت بها حال سلفهم ، وما هي الا البدع والمحدثات التي فرقت جماعتهم ، وزحزحتهم عن الصراط المستقيم

من أجل ذلك كان تحرير مسائل البدع والابتداع مما ينفع المسلمين في أمر دينهم وأمر دنياهم ، ويكون أعظم عون لدعاة الاصلاح الاسلامي على سعيهم .

وقد كتب كثير من العلماء في البدع ، وكان أكثر ما كتبوا في الترهيب والتنفير ،
والرد على المبتدعين . ولكن الفرق التي يرد بعضها على بعض ، يدعي كل منها أنه
هو الحق ، وأن غيره الضال والمبتدع ، إما بالأحداث في الدين ، وإما بجهل
مقاصده ، والجود على ظواهره ، وما رأينا أحداً منهم هُدي إلى ما هُدي إليه
(أبو اسحاق الشاطبي) من البحث العلمي الاصولي في هذا الموضوع ، وتقسيمه
إلى أبواب يدخل في كل واحد منها فصول كثيرة

لولا أن هذا الكتاب ألف في عصر ضعف العلم والدين في المسلمين كان
مبدأ نهضة جديدة لإحياء السنة ، وإصلاح شؤون الأخلاق والاجتماع ، وكان
المصنف بهذا الكتاب وبصنوه كتاب الموافقات - الذي لم يسبق إلى مثله سابق
أيضاً - من أعظم المجددين في الإسلام . فمثله كمثل الحكيم الاجتماعي عبد الرحمن
ابن خلدون ، كل منهما جاء بما لم يسبق إلى مثله ، ولم تنتفع الأمة - كما كان يجب -
بعلمه

كتاب الموافقات لاند له في بابه (أصول الفقه وحكم الشريعة وأسرارها)
وكتاب الاعتصام لاند له في بابه ، فهو ممتع مشبع ، ولا يئمه المصنف رحمه الله
تعالى . وقد صدره بمقدمة في غرابة الإسلام وحديث « بدأ الإسلام غريباً » المنبئ
بذلك . ثم جعل مباحث ما كتبه في عشرة أبواب

(الباب الاول) في تعريف البدع ومعناها (الثاني) في ذم البدع وسوء متقلب
أهلها (الثالث) في أن ذم البدع والمحدثات عام ، وفيه الكلام على شبه المبتدعة ،
ومن جعل البدع حسنة وسيئة (الرابع) في مأخذ أهل البدع في الاستدلال
(الخامس) في البدع الحقيقية والاضافية والفرق بينهما (السادس) في أحكام
البدع وأنها ليست على رتبة واحدة (السابع) في الابتداع : يختص بالعبادات ، أم
تدخل فيه العادات ؟ (الثامن) في الفرق بين البدع والمصالح المرسلات والاستحسان
(التاسع) في السبب الذي لأجله افرقت فرق المبتدعة عن جماعة المسلمين
(العاشر) في الصراط المستقيم الذي انحرفت عنه المبتدعة .

وفي هذه الابواب مباحث تشبه فيها المسائل ، وتعارض الدلائل ، وتتنفج

الشبهات ، وتترأى في معارض البينات ، حتى يعز تحرير القول فيها ، والفصل بين قوادمها وخوافيها ، الأعلى من كان مثل المصنف في نور بصيرته ، وغزارة مادته ، وقوة عارضته ، وفصاحة عبارته

ومن أغمض هذه المسائل ما كان سنة أو مستحبا في نفسه وبدعة لوصف وهيئة عرضت له ، كالنزام المصلين المكث بعد الصلاة لاذكار وأدعية مأثورة يؤدونها بالاجتماع والاشتراك ، حتى صارت شعارا من شعائر الدين ، ينكر الناس على تاركها دون فاعليها ، وقد أطال المصنف في اثبات كونها بدعة وأورد جميع الشبه التي دعمت بها ، وكر عليها بالنقض فهدمها كلها

وما لي لا أذكر لعلماء الشرع الاعلام ، ولأهل السياسة من علماء الحقوق والامراء والحكام ، أهم ماشرحه لهم هذا الكتاب من أصول الاسلام ، وهو بحث المصالح المرسلة والاستحسان ، من أصول مذهبي مالك وأبي حنيفة النعمان ، وبهما يظهر اتساع الشرع لمصالح الناس في كل زمان ومكان ؟

بين المصنف وجه اشتباه ماسمونه البدع المستحسنة ، بالاستحسان الفقهي والمصالح المرسلة . ثم كشف كل شبهة . وأزال كل غم . فبين أن البدع ليست من هذين الاصلين في ورد ولا صدر ، ولا تتفق معهما في علة ولا غرض ، فان البدعة كيفما كانت صفتها استدراك على الشرع وافقيات عليه ، وأما مسائل المصالح المرسلة والاستحسان فهي موافقة لحكمته ، وجارية على غير المعين من عموم بيناته وأدلت . وقد أورد المصنف ما قيل في تعريف دينك الاصلين ووضح ذلك بالشواهد والامثلة ، فلو انك قرأت جميع ما تداوله المدارس الاسلامية من كتب أصول الفقه وفروعه ، لاثبتت وانت لا تعرف حقيقة المصالح المرسلة والاستحسان ، كما تعرفها من هذا البحث الذي أوردها المصنف فيه تابعة لبيان حقيقة البدعة لا مقصودة بالذات من أراد أن يعرف فضل الاسلام وسماحته ، وسهولته ومرونته ، فليأخذه من ينبوعه ، وليستعن على فهمه بهؤلاء الحكماء الذين يشددون في انكار البدع ، ويدعون المسلمين الى السنة التي كان عليها السلف ، ويرون ضلال من يزيد في العبادات عليهم ، أشد وأضر من ضلال من ينقص في غير أصول الفرائض عنهم ،

ويوسعون على الناس في أمور العادات ، بناء على أصل الاباحة في الاشياء ، وإن ظن كثير من الجاهلين ، ان هذا هو عين الجود في الدين ، وجعله ديناً خاصاً بأهل البداوة ، لا يطبق احتمالاً أهل المدنية والحضارة ، والامر بالضد ، والله الامر من قبل ومن بعد

كان هذا الكتاب كنزاً مخفياً لا توجد منه في هذه الاقطار الا نسخة بخط مغربي في كتب الشيخ محمد محمود الشنقيطي المحفوظة في دار الكتب الخديوية ، فاستخرجه مجلس ادارتها في العام الماضي واقترح طبعه ، فوافق ذلك رغبة صاحب السعادة أحمد حشمت باشا ناظر المعارف لذلك العهد ، وعهد الي بطبعه بشروط بينها في الكتاب الذي كتبه اليّ بذلك . وأرسلت اليّ دار الكتب الجزء الاول منه منسوخاً نسخاً جديداً على أوراق متفرقة لتجمع حروف الطبع عنها . فتصفحت بعضها فألفت فيها غلطاً وتحريفاً كثيراً حتى في الاحاديث ، فكتبت في حاشية ما جمعت حروفه منها ليكون نموذجاً للطبع تصحيحاً لما ظهر لي غلطه ، وتحريفاً لحديث « بدأ الاسلام غريباً » الذي بنى عليه المصنف مقدمة الكتاب وجعله الاصل في وجه الحاجة اليه . وفسرت فيها بعض الكلم الغامض وأطلعت على ذلك صديقي الاستاذ الفاضل السيد محمد البيلاوي وكيل دار الكتب الخديوية الذي يرجع اليه في تصحيح الكتب التي تطبع على نفقتها ، وقلت له يعز عليّ أن يطبع هذا الكتاب النفيس من غير أن يصحح أصله ويعلق عليه شيء . وأنا أتبرع بما أراه ضرورياً من ذلك ، ومطبعتي تبرع بتصحيح الطبع أيضاً . ولو كنت في سعة من وقتي لخرجت أحاديثه كلها ، وبذلت العناية بمراجعة كل تقوله من مظانها ، وبغير ذلك من تصحيحه . فقال : نحن نرى من التوفيق أن يطبع هذا الكتاب تحت نظرك واشرافك ، ونرى انك أجدر وأحق بتصحيحه

ما تيسر لي قراءة شيء من الكتاب في وقت فراغ ، بل كانت المطبعة تعرض علي الاوراق عند ارادة الاشتغال بطبعها ، فكنت أرى الغلط فيه أنواعاً - (أحدها) ما قطع بأن صوابه كذا كتحرير بعض الآيات ، أو الاحاديث المعزوة الي مخرجها ، وتحريف أو تصحيف بعض الكلام ، فأنا أصحح هذا ولا أذكر في

الحاشية ما كان في الاصل الا قليلا (ثانيها) ما أظن ان صوابه كذا . وهو ما اكتب في الحاشية « لعل أصله كذا » أو ما يفيد هذا المعنى (ثالثها) ما أشبه في أصله ماهو . ففنه ما أفهم المراد منه بالقرينة ، فأما ان أشير اليه في الحاشية ، وإما ان أتركه للقارى . ويقل فيما تركته التحريف الذي لا يفهم المراد منه مطلقا ، أو الا بعد تأمل طويل .

وقد يرى القارى في بعض المواضع منه كلمات بين هذه العلامات () التي يعبرون عنها بالاهلة أو الاقواس أو بدونها وقد تكون من حرف صغير ، ويرى ان المعنى لا يلتزم الابهاء ، ويجزم بأنها من الاصل ، وانما ميزناها بما ذكر ليعلم انها من المصحح ، ويرى في بعض المواضع علامة الاستفهام بين قوسين هكذا - ؟) ويشار بها الى خفاء في تلك المواضع أو غلط لم نهتد الى أصله . ولكن لم نلتزم ذلك في كل مواضع الغلط لمبهم

وقد تركت تصحيح بعض الاحاديث والآثار التي أحفظها من كتب الصحاح والسنن على غير ما وردت عليه في الكتاب ، لئلا يكون بعض المحدثين الذين لم نطلع على كتبهم رواها بسياق المصنف . وكتبت بازاء بعض ذلك علامة المراجعة على أوراق الطبع . مريدا بذلك ان تعيده المطبعة الى للتأمل فيه أو مراجعته في مظانه . وعلمت بعد ذلك ان المطبعة كانت تراجع في بعض ذلك نسخة الكتاب المغربية فاذا رأت المعد للطبع موافقا لها طبعته ولم تعده الي ؛ فيفوتني ما أريد من تصحيحه

وجملة القول انني على ما أقاسي من العناية في تصحيح الكتاب لا أدعي انه قد تيسر لي تصحيحه كما أحب . وانما أقول انه بصحح تصحيحاً يمكن القارى من فهمه ، فلا يكاد يخفى عليه منه الا النادر من المفردات أو الجمل التي لا يخل خفاؤها بفهم المسألة التي عرضت له فيها . فهذا هو الطريق الذي سلكته في تصحيحه ، بينته قبل الآمام . وعسى الله ان يوفقني بالخير الى زيادة العناية وحسن الختام .

وكتب في ١٥ شوال سنة ١٣٣٢ محمد رشيد رضا

ترجمة الامام الشاطبي

من كتاب نيل الابتهاج ، بتطريز الديباج ديباج ابن فرحون باختصار

هو ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي ابو اسحاق الشهير بالشاطبي
الامام العلامة ، المحقق القدوة ، الحافظ الجليل المجتهد ، كان أصوليا مفسرا ، فقيها
محدثا ، لغويا بيانيا ، نظارا ثبوتا ، ورعا صالحا ، زاهدا سنيا ، اماما مطلقا ، مجتبا
مدققا ، جدليا بارعا في العلوم ، من افراد العلماء المحققين الاثبات ، وأكابر الأئمة
المتقنين الثقات ، له القدم الراسخ والامامة العظمى في الفنون - فقها وأصولا ،
وتفسيرا وحديثا ، وعربية وغيرها - مع التحري والتحقيق ، له استنباطات جليلة ،
ودقائق منيفة ، وفوائد لطيفة ، وابحاث شريفة ، وقواعد محررة محكمة ، كان على قدم
راسخ من الصلاح والعفة والتحري والورع ، حريصا على اتباع السنة ، مجانبا
للبدع والشبهة ، ساعيا في ذلك مع تثبت تام ، منحرفا عن كل ما ينحو للبدع واهلها ،
وقع له في ذلك أمور مع جماعة من شيوخه وغيرهم في مسائل
وله تأليف جليلة ، مشتملة على ابحاث نفيسة ، وانتقادات وتحقيقات شريفة ،
قال الامام الحفيد ابن مرزوق في حقه : انه الشيخ الاستاذ الفقيه ، الامام
المحقق العلامة الصالح ، أبو اسحاق . انتهى ، وناهيك بهذه التحلية من مثل هذا
الامام ، وانما يعرف الفضل لأهله أهله .

أخذ العربية وغيرها عن أئمة ، منهم الامام المفتوح عليه في فنها مالا مطمع
فيه لسواه ، بحثا ، وحفظا ، وتوجيها ، ابن الفخار الألبيري ، لازمه الى ان مات ،
والامام الشريف رئيس العلوم اللسانية ، أبو النازم البقي ، شارح مقصورة حازم ،
والامام المحقق أعلم أهل وقته ، الشريف أبو عبد الله التلمساني ، والامام علامة وقته
باجماع ، ابو عبد الله المقرئ ، وقطب الدائرة شيخ الجلة ، الأمير الشهير ، أبو سعيد
ابن لب ، والامام الجليل ، الرحلة الخطيب ، ابن مرزوق الجد ، والعلامة المحقق
المدرس الاصولي ، ابو علي منصور بن محمد الزواوي ، والعلامة المفسر المؤلف
ابو عبد الله البنسي ، والحاج العلامة الرحلة الخطيب ابو جعفر الشقوري . ومن
اجتمع معه ، واستفاد منه ، العالم الحافظ الفقيه ، ابو عباس القباب ، والمفتي
المحدث ابو عبد الله الحفار ، وغيرهم .

اجتهد وبرع ، وفاق الاكابر ، والتحق بكبار الأئمة في العلوم ، وبالغ في التحقيق ،
وتكلم مع كثير من الأئمة في مشكلات المسائل من شيوخه وغيرهم ، كالقباذ وقاضي

الجماعة الفشتالي ، والامام ابن عرفة ، والولي الكبير أبي عبدالله ابن عباد . وجرى له معهم المحاث ومراجعات ، اجلت عن ظهوره فيها ، وقوة عارضته وامامته ، منها مسألة مراعاة الخلاف في المذهب (١) فيها له بحث عظيم مع الامامين القباب وابن عرفة . وله ابحاث جليلة في التصوف وغيره . وبالجملة فقدرة في العلوم فوق ما يذكر ، وتحليته في التحقيق فوق ما يشهر .

ألف تواليف نفيسة ، اشتملت على تحريرات للقواعد ، وتحقيقات لمهمات الفوائد . منها شرحه الجليل على الخلاصة في النحو . في أسفار أربعة **كبار** ، لم يؤلف عليها مثله بحثا وتحقيقا فيما أعلم . وكتاب (المواقفات) في أصول الفقه سماه «عنوان التعريف بأصول التكليف» كتاب جليل القدر جدا لا نظير له ، يدل على امامته ، وبعد شأؤه في العلوم ، سيما علم الاصول . قال الامام الحفيد بن مرزوق : كتاب الموافقات المذكور ، من انبل الكتب ، وهو في سفرين . وتأليف كبير نفيس في الحوادث والبدع في سفر في غاية الاجادة ، سماه (الاعتصام) وكتاب (الجالس) شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاري . فيه من الفوائد والتحقيقات ، مالا يعاونه الا الله . وكتاب (الافادات والانشادات) في كراسين فيه طرف وتحف . وملح ادبيات وانشادات . وله أيضا كتاب (عنوان الاتفاق) في علم الاشتقاق) وكتاب (أصول النحو) . وقد ذكرهما معا في شرح الألفية . ورأيت في موضع آخر انه اتلف الاول في حياته وان الثاني اتلف ايضا . وله غيرها . وفتاوي كثيرة ومن شعره لما ابتلي بالبدع :

بليت يا قوم والبلوى متنوعة بمن اداريه حتى كاد يردني
دفع المضرة لاجلها لمصلحة فحسبي الله في عقلي وفي ديني
اشدهما تلميذه الامام ابو يحيى بن عاصم له مشافهة .

اخذ عنه جماعة من الأئمة كالامامين العلامتين ابي يحيى بن عاصم الشهير وأخيه القاضي المؤلف ابي بكر بن عاصم . والشيخ ابي عبدالله البياني ، وغيرهم . وتوفي يوم الثلاثاء ثامن شعبان سنة تسعين وسبع مائة ولم أقف على مولده رحمه الله . (فائدة) وكان صاحب الترجمة ممن يرى جواز ضرب الخراج على الناس ، عند ضعفهم وحاجتهم ، لضعف بيت المال عن القيام بمصالح الناس ، كما وقع للشيخ المالقي في كتاب الورع . قال : توظيف الخراج على المسلمين من المصالح المرسلة ، ولا شك عندنا في جوازه ، وظهور مصلحته في بلاد الاندلس في زماننا

(١) شار الى هذه المسألة في المقدمة الثالثة عشرة من كتاب الموافقات

الآن . لكثرة الحاجة لما يأخذه العذر من المسلمين ، سوى ما يحتاج اليه الناس ، وضعف بيت المال الآن عنه ، فهذا يقطع بجوازه الآن في الأندلس ، وإنما النظر في التقدر المحتاج اليه من ذلك ، وذلك هو كقول الامم ، ثم قال اثناء كلامه : ولعلك تقول كما قال الفائل ، لمن اجز شرب العصير بعد كثرة طبعه وصار ربا : احالته والله يا عمر . يعني هذا الفائل احالته الخمر بالاستمرار الى نقص الطبخ . حتى تحل الخمر بمقالك ، فاني أقول - كما قال عمر رضي الله عنه : والله لا أحل شيئا حرمه الله ، ولا أحرم شيئا أحله ، وان الحق أحق ان يتبع (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)

وكان خراج بناء السور في بعض مواضع الأندلس في زمانه موظفا على أهل الموضع ، فستل عنه امام الوقت في الفتيا بالأندلس الاستاذ الشهير ابو سعيد بن أب ، فأفتى أنه لا يجوز ولا يسوغ ، وافق صاحب الترجمة بسوغه . مستندا فيه الى المصلحة المرسلة . معتمدا في ذلك الى قيام المصلحة ، التي ان لم يقم بها الناس فيعطونها من عندهم ضاعت . وقد تكلم على المسئلة الامام الغزالي في كتابه فاستوفى . ووقع لابن الفراء في ذلك مع سلطان وقته وفقهائه كلام مشهور ، لا يطيل به . وكان لا يأخذ الفقه الا من كتب الاقدمين . ولا يرى لأحد ان ينظر في هذه الكتب المتأخرة ، كما قرره في مقدمة كتابه الموافقات . وترد عليه الكتب في ذلك من بعض أصحابه . فيوقع له : وأما ما ذكرتم من عدم اعتمادى على التأليف المتأخرة . فليس ذلك مني محض رأي . ولكن اعتمدته بحسب الخبرة عند النظر في كتب المتقدمين مع المتأخرين كابن بشير . وابن شاس . وابن الحاجب . ومن بعدهم . ولان بعض من لقيته من العلماء بالفقه أوصاني بالتحامي عن كتب المتأخرين وأتى بعبارة خشنة ولكنها محض النصيحة . والتساهل في النقل عن كل كتاب جاء لا يحتمله دين الله ، ومثله ما اذا عمل الناس بقول ضعيف . ونقل عن بعض الاصحاب : لا تجوز مخالفته . وذلك مشعر بالتساهل جدا . ونص ذلك القول لا يوجد لاحد من العلماء فيما أعلم .

والعبارة الخشنة التي أشار اليها كان ينقلها عن صاحبه أبي العباس القهاب انه كان يقول في ابن بشير وابن شاس : افسدوا الفقه ، وكان يقول : شأني عدم الاعتماد على التقاييد المتأخرة ، اما للهجل بمؤلفيها أو لتأخر أزمنتهم جدا . فلذلك لا أعرف كثيرا منها ولا اقتنيتها . وعمدني كتب الاقدمين المشاهير . وانقتصر على هذا القدر من بعض فوائده

(دخول الابتداع في العاديات (*))

وأما تحليل الدماء والربا والحرير والغناء والخمر؛ فخرج أبو داود وأحمد وغيرهما عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليشربن ناس من امتي الخمر يسمونها بغير اسمها » — زاد ابن ماجه — « يعزف على رءوسهم بالمعازف والقينات ، يخسف الله بهم الارض ، ويجعل منهم القردة والخنازير » وخرجه البخاري عن أبي حنبل وأبي مالك الأشعري قال فيه « ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الخمر^(١) والحرير والخمر والمعازف ، ولينزلن أقوام الى جنب علم ، يروح عليهم سارحة لهم . يأتيهم رجل لحاجة فيقولون : ارجع إلينا غدا ، فيبيتهم الله ويضع العلم ، ويمسخ آخرين قردة وخنازير الى يوم القيامة » . وفي سنن أبي داود « ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الخمر والحرير — وقال في آخره — يمسح منهم آخرين قردة وخنازير الى يوم القيامة » .

والخمر هنا نوع من الحرير ليس الخمر المأذون فيها المنسوج من حرير وغيره . وقوله في الحديث « لينزلن أقوام » يعني — والله أعلم — من هؤلاء المستحلين ، والمعنى ان هؤلاء المستحلين ينزل منهم أقوام الى جنب علم — وهو الجبل — ، فيؤاخذهم الى الغد ، فيبيتهم الله — وهو أخذ المذاب ليلا — ويمسخ منهم آخرين ، كما في حديث أبي داود كما في الحديث

(*) تابع لما نشر من كتاب الاعتصام في ص ٦٧٣ ج ٩ وهو تنمة بحث النظر في أمثلة الوجه الثالث من أوجه دخول الابتداع في العاديات

(١) الرواية المشهورة بمهملتين ، وسيأتي ذكر هذا اللفظ وتفسيره في حديث

آخر في ص ٧٥٥

قبل : يحسف الله بهم الارض ويمسح منهم قردة وخنازير . وكأن الحسف هاهنا هو التبييت المذكور في الآخر ؛

وهذا نص في ان هؤلاء الذين استحلوا هذه المحارم كانوا متأولين فيها حيث زعموا ان الشراب الذي شربوه ليس هو الخمر ، وانما له اسم آخر إما النبيذ أو غيره ، وانما الخمر عصير العنب النبيء ، وهذا رأي طائفة من الكوفيين ، وقد ثبت ان كل مسكر خمر .

قال بعضهم : وانما أتى على هؤلاء حيث استحلوا المحرمات بما ظنوه من انتفاء الاسم ، ولم يلتفتوا الى وجود المعنى المحرم وثبوته - قال - : وهذه بعينها شبهة اليهود في استحلالهم اخذ الحيتان يوم الاخذ بما اوقعوها به يوم السبت في الشباك والحفائر من فعلهم يوم الجمعة حيث قالوا : ليس هذا بصيد ، ولا عمل يوم السبت ؛ وليس هذا باستباحة الشح^(١)

بل الذي يستحل الخمر زاعما (انه) ليس خمرا مع علمه بان معناه معنى الخمر ومقصوده مقصود الخمر ، أفسد تأويلا ، من جهة أن أهل الكوفة من اكثر الناس قياسا ؛ فلئن كان من القياس ما هو حق ؛ فان قياس الخمر المنبوذة على الخمر العصيرة من القياس في معنى الاصل ، وهو من القياس الجلي ؛ اذ ليس بينهما من الفرق ما يتوهم انه مؤثر في التحريم فاذا كان هؤلاء المذكورون في الحديث إنما شربوا الخمر استحلالا لها لما ظنوا ان المحرم مجرد ما وقع عليه اللفظ ، وظنوا ان لفظ الخمر لا يقع على غير عصير العنب النبيء ، فشبهتهم في استحلال الحرير والمعارف أظهر

(١) كذا ولعله «السبت» . والعبارة كلها مضطربة ليست سالمة من التحريف

بأنه أبيع الحرير (للنساء) مطلقا، وللرجال في بعض الأحوال؛ فكذلك الغناء والدف قد أبيع في العرس ونحوه، وأبيع منه الحداء وغيره؛ وليس في هذا النوع من دلائل التحريم ما في الخمر؛ فظهر ذم الذين يخسف بهم ويمسخون، إنما فعل ذلك بهم من جهة التأويل الفاسد الذي استحلوا به المحارم بطريق الحيلة، وأعرضوا عن مقصود الشارع وحكمته في تحريم هذه الأشياء.

وقد خرج ابن بطة عن الأوزاعي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يأتي على الناس زمان يستحلون فيه الربا بالبيع» قال بعضهم: يعني العينة. وروي في استحلال الربا حديث رواه إبراهيم الحربي عن أبي ثعلبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أول دينكم نبوة ورحمة، ثم ملك وجبرية، ثم ملك عضوض يستحل فيه الحر والخز» يريد استحلال الفروج الحرام، والحر بكسر الحاء المهملة والراء المخففة الفرج، قالوا: ويشبهه - والله أعلم - أن يراد بذلك ظهور استحلال نكاح المحلل ونحو ذلك بما يوجب استحلال الفروج المحرمة؛ فإن الأمة لم يستحل أحد منها الزنا الصريح، ولم يرد بالاستحلال مجرد الفعل، فإن هذا لم يزل معمولاً في الناس؛ ثم لفظ الاستحلال إنما يستعمل في الأصل فيمن اعتقد الشيء حلالا، والواقع كذلك؛ فإن هذا الملك العضوض الذي كان بعد الملك والجبرية قد كان في أواخر عصر التابعين، في تلك الأزمان صار في أولي الأمر من يفتي بنكاح المحلل ونحوه، ولم يكن قبل ذلك من يفتي به أصلا.

ويؤيد ذلك أنه في حديث ابن مسعود رضي الله عنه المشهور أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن آكل الربا وشاهديه وكاتبه والمحلل له .
وروى احمد عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال « ما ظهر في قوم الربا والزنا الا اُحلوا بانفسهم عقاب الله » فهذا
يشعر بان التحليل من الزنا كما يشعر ان العينة من الربا .

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً وصرفوا قال « يأتي
على الناس زمان يستحل فيه خمسة اشياء - : يستحلون الخمر باسماء يسمونها
بها ، والسحت بالهدية ، والقتل بالريبة ، والزنا بالنكاح ، والربا بالبيع » فان
الزيادة المذكورة اولا قد سنت ، واما السحت الذي هو العطية للوالي
والحاكم ونحوهما باسم الهدية فهو ظاهر ، واستحلال القتل باسم الارهاب
الذي يسميه ولاية الظلم سياسة وابهة الملك ونحو ذلك فظاهر ايضا ،
وهو نوع من انواع شريعة القتل المخترعة . وقد وصف النبي صلى الله عليه
وسلم الخوارج بهذا النوع من الخصال فقال « ان من صنّضى هذا قوما
يقرؤن القرآن لا يتجاوز حناجرهم ، يقتلون اهل الاسلام ، ويدعون
اهل الاوثان ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » ولعل
هؤلاء المرادون بقوله عليه الصلاة والسلام في حديث ابي هريرة رضي
الله عنه « يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً » الحديث . يدل عليه تفسير
الحسن قال : يصبح محرماً لدم اخيه وعرضه ويمسي مستحلاً ، الى آخره .
وقد وضع القتل شرعاً معمولاً به على غير سنة الله وسنة رسوله
المتسمى بالمهدي المغربي الذي زعم انه المبشر به في الاحاديث ، فجعل القتل
عقاباً في ثمانية عشر صنفاً ذكروا منها : الكذب ، والمداهنة ، واخذهم

ايضا بالقتل في ترك امتثال امر من يستمع أمره ، وبايعوه على ذلك ؛ وكان يعظمهم في كل وقت ويذكركم ، ومن لم يحضر أذب ، فان تمادى قتل ، وكل من لم يتأدب بما ادب به ضرب بالسوط المرة والمرة ، فان ظهر منه عناد في ترك امتثال الاوامر قتل ؛ ومن داهن على اخيه او أبيه او من يكرم او المقدم عليه قتل . وكل من شك في عصيته قتل او شك في انه المهدي المبشر به ، وكل من خالف أمره اصحابه فعروه ، فكان اكثر تاديبه القتل - كما ترى - كما انه كان من رأيه ان لا يصلي خلف امام او خطيب ياخذ أجرا على الامامة او الخطابة ، وكذلك لبس الثياب الرفيعة - وان كانت حلالا - فقد حكوا عنه قبل ان يستفحل أمره انه ترك الصلاة خلف خطيب اغتات بذلك السبب . فقدم خطيب آخر في ثياب حفيلة تبين التواضع - زعموا - ^(١) فترك الصلاة خلفه .

وكان من رأيه ترك الرأي واتباع مذاهب الظاهرية . قال العلماء : وهو بدعة ظهرت في الشريعة بعد المائتين . ومن رأيه ان التماذي على ذرة من الباطل كالتماذي على الباطل كله .

وذكر في كتاب الامامة انه هو الامام ، واصحابه هم الغرباء الذين قيل فيهم « بدئ الاسلام غريبا وسيمود غريبا كما بدئ » ، فطوبى للغرباء » وقال في الكتاب المذكور : جاء الله بالمهدي وطاعته صافية تقية لم ير مثله قبل ولا بعد ؛ وان به قامت السموات والارض ، وبه تقوم ، ولا

(١) كلمة « زعموا » جملة معترضة تؤذن بالبراءة مما يحكى عنهم . وأفصح منه ان يقال : بزعمهم . كما قال تعالى (فقالوا : هذا لله - بزعمهم - وهذا لشركائنا)

ضد له ولا مثل ولا ند ، انتهى . وكذب . فالمهدي عيسى عليه السلام .
 وكان يأمرهم بلزوم الحزب بعد صلاة الصبح ، وبعد المغرب ،
 فأمر المؤذنين إذا طلع الفجر أن ينادوا « أصبح والله الحمد » إشعاراً - زعموا -
 بأن الفجر قد طلع لا لزام الطاعة ، ولحضور الجماعة ، وللغد ، ولكل
 ما يؤمرون به .

وله اختراعات وابتداعات غير ما ذكرنا ، وجميع ذلك الى ^(١) أنه
 قائل برأيه في العبادات والمعادات ، مع زعمه أنه غير قائل بالرأي . وهو
 التناقض بعينه ، فقد ظهر إذا جريان تلك الاشياء على الابتداع

*

وأما كون الزكاة مغرماً ، فالمغرم (ما) يلزم ادائه من الديون ، والغرامات
 كان الولاية يلزمونها الناس بشيء معلوم من غير نظر الى قلة مال الزكاة
 أ. كثرته أو قصوره عن النصاب أو عدم قصوره ، بل يأخذونهم بها على
 كل حال الى الموت ، وكون هذا بدعة ظاهر .

*

وأما ارتفاع الاصوات في المساجد فنأشئ عن بدعة الجدل في
 الدين ، فإن من عادة قراءة العلم وإقراءه وسماعه وإسماعه أن يكون في
 المساجد ، ومن آدابه أن لا ترفع فيه الاصوات في غير المساجد ، فما
 ظنك به في المساجد ؟ فالجدال فيه زيادة الهوى ، فانه غير مشروع في
 الاصل ، فقد جعل العلماء من عقائد الاسلام ترك المراء والجدال في الدين ،
 وهو الكلام فيما لم يأذن في الكلام فيه ، كالكلام في المتشابهات من

(١) كذا في الاصل والمعنى المراد ان جميع ذلك يدل على انه قائل برأيه

الصفات والافعال وغيرها ، وكتشابهات القرآن ؛ ولاجل ذلك جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) الآية ، قال - « فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم » وفي الحديث « ماضل قوم بعد هدى الا أوتوا الجدل » وجاء عنه عليه السلام انه قال : « لا تماروا في القرآن فان المراء فيه كفر » وعنه عليه السلام انه قال « ان القرآن يصدق بعضه بعضاً ، فلا تكذبوا بعضه ببعض ، ما علمتم منه فاقبلوه وما لم تعلموا منه فكلوه الى عالمه » وقال عليه السلام « اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ، فاذا اختلفتم فيه فقوموا عنه » وخرج ابن وهب عن معاوية بن قررة قال : اياكم والخصومات في الدين فانها تحبط الاعمال . وقال النخعي في قوله تعالى (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء) قال : الجدال والخصومات في الدين .

وقال معن بن عيسى : انصرف مالك يوماً الى المسجد وهو منكئ على يدي ، فالحقه رجل يقال له ابو الجديرة يتهم بالإرجاء ، فقال يا أبا عبد الله : اسمع مني شيئاً أكلمك به وأحاجك وأخبرك برأبي . فقال له : احذر أن أشهد عليك . قال : والله ما أريد الا الحق . اسمع مني ، فان كان صواباً فقل به أو فتكلم ؛ قال : فان غلبتني ؟ قال : اتبعني . قال فان غلبتك ؟ قال اتبعتك ؛ قال : فان جاء رجل فكلمناه فغلبنا ؟ قال : اتبعناه . فقال له مالك : يا عبد الله : بعث الله محمداً بدين واحد وأراك تنتقل . وقال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التنقل . وقال مالك : ليس الجدال في الدين بشيء .

والكلام في ذم الجدال كثير . فاذا كان مذموماً فمن جعله محموداً وعدده من العلوم النافعة باطلاً فقد ابتدع في الدين . ولما كان اتباع الهوى أصل الابتداع لم يعدم صاحب الجدال أن يماري ويطلب الغلبة ، وذلك مظنة رفع الاصوات .

فان قيل : عددت رفع الاصوات من فروع الجدال وخواصه وليس كذلك ؛ فرفع الاصوات قد يكون في العلم ، ولذلك كره رفع الاصوات في المسجد ، وان كان في العلم أو في غير العلم . قال ابن القاسم في المبسوط : رأيت مالكا يعيب على أصحابه رفع أصواتهم في المسجد . وعلل ذلك محمد بن مسامة بعلتين : أحدهما انه يجب أن يتزه المسجد عن مثل هذا لأنه مما امر بتعظيمه وتوقيره . والثانية انه مبني للصلاة ، وقد أمرنا أن نأتيها وعلينا السكينة والوقار ، فأن يلزم ذلك في موضعها المتخذ لها أولى . وروى مالك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنى رحبة بين ناحية المسجد تسمى البطحاء^(١) وقال : من كان يريد أن يخط أو ينشد شعراً أو يرفع صوته فليخرج الى هذه الرحبة . فاذا كان كذلك ، فن أين يدل ذم رفع الصوت في المسجد على الجدل المنهي عنه ؟

فالجواب من وجهين : (أحدهما) أن رفع الصوت من خواص الجدل المذموم ، أعني في أكثر الأمور دون الفلتات ، لان رفع الصوت والخروج عن الاعتدال فيه ناشئ عن الهوى في الشيء المتكلم فيه . وأقرب الكلام الخاص بالمسجد الى رفع الصوت الكلام فيما لم يؤذن فيه ، وهو الجدال الذي نبه عليه الحديث المتقدم . وأيضاً لم يكثر الكلام جدا

في نوع من أنواع العلم في الزمان المتقدم الا في علم الكلام ، والى غرضه
تصوبت سهام النقد والذم ؛ فهو اذاً هو . وقد روي عن عميرة ابن أبي
ناجية المصري انه رأى قوماً يتعارفون في المسجد وقد علت أصواتهم
فقال : هؤلاء قوم قد ملوا العبادة ، وأقبلوا على الكلام ، اللهم أمت عميرة .
فمات من عامه ذلك في الحج ؛ فرأى رجل في النوم قائلاً يقول : مات
في هذه الليلة نصف الناس . فعرفت تلك الليلة ، فجاء موت عميرة هذا .
(والثاني) انا لو سلمنا أن مجرد رفع الاصوات يدل على ما قلنا لكان
أيضاً من البدع اذا عد كآنه من الجائز في جميع أنواع العلم فصار معمولاً به
لاهي^(١) ولا يكف عنه مجرى البدع المحدثات^(٢) .

*

وأما تقديم الاحداث على غيرهم ؛ من^(٣) قبيل ما تقدم في كثرة
الجهال وقلة العلم ؛ كان ذلك التقديم في رتب العلم او غيره ، لان الحدث
ابداً او في غالب الامر يغرض لم يتحسك ، ولم يرتض في صناعته رياضة تلبفه
مبالغ الشيوخ الراسخين الاقدام في تلك الصناعة ؛ ولذلك قالوا في المثل :
وابن اللبون اذا ما لُزَّ في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس
هذا ان حملنا الحدث على حداثة السن ، وهو نص في حديث ابن
مسمود رضي الله عنه ، فان حملناه على حدثان العهد بالصناعة — ويحتمله
قوله « وكان زعيم القوم ارضهم » وقوله « وساد القبيلة فاسقمهم » وقوله

(١) الكلمة غير منقوطة في الاصل وتحتمل بالتصحيف والتحريف عدة احتمالات
(٢) كذا . ولعل أصله : فجرى مجرى البدع المحدثات (٣) لعل الاصل « فمن »

« اذا اسند الامر الى غير اهله » فالمعنى فيها واحد - فان الحديث العهد بالشيء لا يبلغ مبالغ القديم العهد فيه . ولذلك يحكى عن الشيخ ابي مدين انه سئل عن الاحداث الذين نهى شيوخ الصوفية عنهم ، فقال : الحدث الذي لم يستكمل الامر بعد ، وان كان ابن ثمانين سنة .

فاذا تقديم الاحداث على غيرهم ، من باب تقديم الجهال على غيرهم . ولذلك قال فيهم « سفهاء الاحلام » - وقال - يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم » الى آخره ، وهو منزل على الحديث الآخر في الخوارج « ان من ضئضى هذا قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم » الى آخر الحديث . يعنى انهم لم يتفقهوا فيه ، فهو في ألسنتهم لا في قلوبهم .

*

واما لعن آخر هذه الامة اولها ، فظاهر مما ذكر العلماء عن بعض الفرق الضالة ، فان الكاملية من الشيعة كفرت الصحابة رضي الله عنهم حين لم يصرفوا الخلافة الى علي رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكفرت عليا رضي الله عنه حين لم يأخذ بحقه فيها .

واما ما دون ذلك مما يوقف فيه عند السبب ، فنقول موجود في الكتب ، وانما فعلوا ذلك لمذاهب سوء لهم رأوها فبنوا عليها ما يظاهرها من السوء والفحشاء ، فلذلك عدوا من فرق اهل البدع

قال مصعب الزيري وابن نافع : دخل هارون (يعني الرشيد) المسجد فركع ، ثم اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ، ثم اتى مجلس مالك فقال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته . ثم قال لمالك : هل لمن سب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفناء حق ؟ قال لا !

ولا كرامة ولا مسرة . قال : من اين قلت ذلك ؟ قال : قال الله عز وجل
(لينفيظ بهم الكفار) فمن عابهم فهو كافر ، ولا حق لكافر في النفي .
واحتج مرة اخرى في ذلك بقوله تعالى (للفقراء المهاجرين الذين
اخرجوا من ديارهم واموالهم) الى آخر الآيات الثلاث - قال - فهم
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا معه وانصاره ،
(والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان) فمن عدا هؤلاء فلا حق لهم فيه . وفي فعل خواص الفرق من
هذا المعنى كثير .

*

واما بعث الدجالين ؛ فقد كان ذلك جملة ، منهم من تقدم في زمان
بني العباس وغيرهم . ومنهم معدة ^(١) من العبيدية الذين ملكوا افريقية ؛
فقد حكى عنه انه جعل المؤذن يقول : اشهد ان معدا رسول الله .
عوضا من كلمة الحق « اشهد ان محمدا رسول الله » فهم المسلمون بقتله
ثم رفعوه الى معد ليروا هل هذا عن امره ، فلما انتهى كلامهم اليه ،
قال : أردد عليهم اذانهم لعنهم الله .

ومن يدعي لنفسه العصمة ؛ فهو شبه من يدعي النبوة . ومن يزعم
انه قامت السموات والارض فقد جاوز دعوى النبوة ، وهو المغربي
المتسمى بالمهدي .

وقد كان في الزمان القريب رجل يقال له الفازازي ادعى النبوة
واستظهر عليها بامور موهمة للكرامات ، والاخبار بالمغيبات ، ومخيلة

لخوارق العادات ؛ تبعه على ذلك من العوام جملة ؛ ولقد سمعت بعض طلبة ذلك البلد الذي اختله هذا الباس - وهو ما لقة - آخذا ينظر في قوله تعالى (وخاتم النبيين) وهل يمكن تأويله ؛ وجعل يطرق اليه الاحتمالات ، ليسوغ امكان بعث نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وكان مقتل هذا المفتري على يد شيخ شيوخنا ابي جعفر ابن الزبير رحمه الله . ولقد حكى بعض مؤلفي الوقت قال : حدثني شيخنا ابو الحسن ابن الجياب ، قال : لما امر بالتأهب يوم قتله وهو في السجن الذي اخرج منه الى مصرعه جهر بتلاوة سورة يس ، فقال له احد الذعرة ممن جمع السجن بينهما : اقرأ قرآنك ، لاي شيء تتفضل على قرآننا اليوم ؟ او في معنى هذا . فتركها مثلاً بلوذعيته .

*

واما مفارقة الجماعة ، فبدعتها ظاهرة ؛ ولذلك يجازى ^(١) بالميتة الجاهلية . وقد ظهر في الخوارج وغيرهم ممن سلك مسلكهم كالعبودية واشباههم

فهذا ايضا من جملة ما اشتملت عليه تلك الاحاديث . وباقي الخصال المذكورة عائد الى نحو آخر ككثرة النساء وقلة الرجال ، وتناول الناس في البنيان ، وتقارب الزمان .

فالخاصل ان اكثر الحوادث التي اخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم من انها تقع وتظهر وتنتشر امور مبتدعة على مضاهاة التشريع ، لكن من جهة التعبد لا من جهة كونها عادية ؛ وهو الفرق بين المعصية التي

(١) أي يجازى مفارقها . ولعل الفاعل قد سقط من الاصل بسهو الناسخ

هي بدعة ، والمعصية التي هي ليست بدعة . وان العاديات من حيث هي عادية لا بدعة فيها ، ومن حيث يتعبد بها او توضع وضع التعبد تدخلها البدعة ؛ وحصل بذلك اتفاق القوانين ، وصار المذهبان مذهباً واحداً ، وبالله التوفيق

فصل

فان قيل : اما الابتداع بمعنى انه نوع من التشريع على وجه التعبد في العاديات من حيث (هو) توقيت معلوم معقول ؛ فايحابه او إجازته بالرأي - كما تقدم - من امثلة بدع الخوارج ومن داناهم من الفرق الخارجة عن الجادة ، فظاهر .^(١) ومن ذلك القول بالتحسين والتقبيح العقلي ، والقول بترك العمل بخبر الواحد ، وما اشبه ذلك . فالقول بأنه بدعة قد تبين وجهه واتضح مغزاه

وانما يبقى وجه آخر يشبهه وليس به ، وهو ان المعاصي والمنكرات والمكروهات قد تظهر وتفشو ويجري العمل بها بين الناس على وجه لا يقع لها انكار من خاص ولا عام ، فما كان منها هذا شأنه : هل يعد مثله بدعة أم لا ؟

فالجواب : ان مثل هذه المسئلة لها نظران (احدهما) نظر من حيث وقوعها عملاً واعتقاداً في الاصل ، فلا شك انها مخالفة لا بدعة ، اذ ليس من شرط كون الممنوع والمكروه غير بدعة أن لا ينشرها ولا يظهرها

(١) قوله « فظاهر » جواب « أما الابتداع » في اول الفصل . وما بينهما اعتراض ، وقوله فيه « فايحابه » مبتدأ خبره « من أمثلة بدع الخوارج » وفي الكلام تعقيد معنوي ظاهر

أنه ليس من شرط أن تنشر ، بل لا تزول المخالفة ظهرت أولاً ، واشتهرت
أم لا ؛ وكذلك دوام العمل أو عدم دوامه لا يؤثر في واحدة منهما ،
والمبتدع قد يقام عن بدعة ، والمخالف قد يدوم على مخالفته إلى الموت -
عياذا بالله .

(والثاني) نظر من جهة ما يقتزن من خارج ؛ فالقراءن قد تقتزن ؛
فتكون سببا في مفسدة حالية ، وفي مفسدة مالية كلاهما راجع إلى
اعتقاد البدعة .

أما الحالية فبأمرين : الأول أن يعمل بها الخواص من الناس عموما ،
وخاصة العلماء خصوصا ، وتظهر من جهتهم . وهذه مفسدة في الاسلام
ينشأ عنها عادة من جهة العوام استسهالها واستجازتها ، لأن العالم المنتصب
مفتيا للناس بمعله كما هو مفت بقوله . فإذا نظر الناس إليه وهو يعمل بأمره
هو مخالفة ^(١) حصل في اعتقادهم جوازه ، ويقولون : لو كان ممنوعا
أو مكروها لامتنع منه العالم . هذا وإن نص على منعه أو كراهته ، فإن عمله
معارض لقوله ؛ فإما أن يقول العامي : إن العالم خالف بذلك ، ويجوز عليه
مثل ذلك . وهم عقلاء الناس وهم الاقاون . وإما أن يقول : أنه وجد فيه
رخصة فانه لو كان كما قال لم (يات) به فيرجح بين قوله وفعله . والفعل أغلب
من القول في جهة التأسي - كما تبين في كتاب الموافقات - فيعمل
العامي بعمل العالم تحسينا للظن به فيعتقده جائزا ؛ وهؤلاء هم الاكثرون .
فقد صار عمل العالم عند العامي حجة ، كما كان قوله حجة على

(١) كذا في الاصل . وهو تحريف ظاهر ، والمعنى مفهوم من القرينة وهو :
فإذا نظر إليه الناس يعمل . يأمر هو بمخالفته أي بتركه حصل في اعتقادهم جوازه .

الإطلاق والعموم في الفتيا ، فاجتمع على العامي العمل مع اعتقاد الجواز
بشبهة دليل ، وهذا عين البدعة

بل قد وقع مثل هذا في طائفة ممن تميز عن العامة بانتصاب في رتبة
العلماء ، فجعلوا العمل ببدعة الدعاء بهيئة الاجتماع في آثار الصلوات ، وقراءة
الحزب ، حجة في جواز العمل بالبدع في الجملة ، وإن منها ما هو حسن ،
وكان منهم من ارتسم في طريقة التصوف فأجاز التعبد لله بالعبادات
المبتدعة ، واحتج بالحزب والدعاء بعد الصلاة - كما تقدم -

وممنهم من اعتقد أنه ما عمل به إلا مستند ، فوضعه في كتاب وجعله
فقها كـ بعض أماريد الرس ممن قيد على الأمة ابن زيد .

وأصل جميع ذلك سكوت الخواص عن البيان ، والعمل به على الغفلة ،
ومن هنا تستشنع زلة العالم ، فقد قالوا : ثلاث تهدم الدين - زلة العالم ،
وجدل منافق بالقرآن ، وأئمة ضالون .

وكل ذلك عائد وباله على عالم^(١) وزله المذكور عند العلماء يحتمل
وجهين : (أحدهما) زله في النظر حتى يفتي بما خالف الكتاب والسنة
فيتابع عليه ، وذلك الفتيا بالقول . والثاني زله في العمل بالمخالفات ،
فيتابع عليها أيضاً على التأويل المذكور ، وهو في الاعتبار قائم مقام الفتيا
بالقول ، إذ قد علم أنه متبع ومنظور إليه ، وهو مع ذلك يظهر بقوله
ما ينهي عنه الشارع ، فكأنه مفت به - على ما تقرر في الأصول -

والثاني من قسمي المفسدة الحالية أن يعمل بها العوام وتشيع فيهم
نهر فلا ينكرها الخواص ولا يرفعون لها رؤسهم^(٢) قادرون على

(كذا ولعل أصله « على العالم » بفتح اللام على حد قولهم : إذا زل العالم
« زل العالم » بالفتح) (٢) سقط من هنا كلمة ربما كانت « وهم »

الانكار فلم يفعلوا ، فالعالم من شأنه اذا رأى أمراً مجهول حكمه يعمل
العامل به فلا ينكر عليه ، اعتقداً أنه جائز وأنه حسن أو أنه مشروع ، بخلاف
ما اذا أنكر عليه فإنه يعتقد أنه عيب ، أو أنه غير مشروع (أو) أنه
ليس من فعل المسلمين . هذا أمر يلزم من ليس بعالم بالشرعية ، لأن
مستنده الخواص والعلماء في الجائز مع غير الجائز .

فاذا عدم الانكار ممن شأنه الانكار ، مع ظهور العمل وانتشاره
وعدم خوف المنكر ووجود القدرة عليه ، فلم يفعل ؛ دل عند العوام أنه
فعل جائز لا حرج فيه ، فنشأ فيه هذا الاعتقاد الفاسد بتأويل يقنع بمثله
من العوام^(١) فصارت المخالفة بدعة - كما في القسم الاول -

وقد ثبت في الاصول ان العالم في الناس قائم مقام النبي عليه الصلاة
والسلام ، والعلماء ورثة الانبياء ؛ فكما ان النبي صلى الله عليه وسلم يدل
على الاحكام بقوله وفعله واققراره ، كذلك وارثه يدل على الاحكام
بقوله وفعله واققراره . واعتبر ذلك ببعض ما أحدث في المساجد من
الامور المنهي عنها فلم ينظرها العلماء ، أو عملوا بها فصارت بعد سننا
ومشروعات ، كزيادتهم مع الاذان «أصبح لله الحمد» والوضوء للصلاة ،
«تأهبوا» ، ودعاء المؤذنين بالليل في الصوامع ؛ وربما احتجوا ذلك بعض
الناس بما وضع في نوازل ابن سهل غفلة عما عليه فيه^(٢) وقد قيدنا في
ذلك جزءاً مفرداً فمن أراد الشفاء في المسئلة فعليه به ، وبالله التوفيق .

(١) كذا ولعل الاصل « من كان من العوام » (٢) لعل الاصل « وربما
احتجوا على ذلك بما يفعله بعض الناس وبما وضع في نوازل ابن سهل غفلة عما
أخذ عليه فيه » أو أن في الكلام حذفاً غير ما ذكر تصح به العبارة

وخرج أبو داود قال : اهتم النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة كيف يجمع الناس لها ، فقليل : انصب راية عند حضور الصلاة فاذا رآوها أذن بعضهم بعضاً . فلم يعجبه ذلك ؛ - قال - فذكر له القمع ، يعني الشبور ، وفي رواية شبور اليهود فلم يعجبه ؛ وقال « هو من أمر اليهود - قال : فذكر له النافوس ، فقال - هو من أمر النصارى » فانصرف عبد الله بن زيد بن عبد ربه وهو مهتم لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأري الاذان في منامه - إلى آخر الحديث .

وفي مسلم عن أنس بن مالك أنه قال : ذكروا أن يعلموا وقت الصلاة بشيء يعرفونه ، فذكروا أن ينوروا ناراً ، أو يضربوا ناقوساً^(١) فأمر بلال أن يشفع الاذان ويوتر الإقامة . والقمع والشبور - هو البوق - وهو القرن الذي وقع في حديث ابن عمر رضي الله عنهما . فأنت ترى كيف كره النبي صلى الله عليه وسلم شأن الكفار فلم يعمل على موافقته . فكان ينبغي لمن اتسم بسمه العلم أن ينكر ما أحدث من ذلك في المساجد اعلاماً بالالوقات أو غير اعلام بها ؛ أما الاية فقد وضعت اعلاماً بالالوقات ، وذلك شائع في بلاد المغرب ، حتى أن الاذان معها قد صار في حكم التبع^(٢)

(١) يظهر انه قد سقط من هذا الموضع كلام بمعنى ما تقدم من الاعراض عن هذه الاشياء لانها شعائر الملل السابقة ، وبما كان من اختيار الاذان ، ثم فرغ عليه امر بلال بالفرقة بين الاذان والإقامة بجعله شفعاً وجعلها وتراً^(٢) في بعض بلاد الشام يرفعون علماً من منارة الجامع الذي يكون فيه الموقت لأجل ان يراه المؤذنون من سائر المنارات فيؤذنون في وقت واحد ، وإنما يكون ذلك في وقت الظهر والعصر والمغرب

وأما البوق فهو العلم في رمضان على غروب الشمس ودخول وقت الإفطار، ثم هو علم أيضاً بالمغرب والاندلس على وقت السجود ابتداءً وانتهاءً^(١) والحديث قد جمع علماً لانتهاء نداء ابن أم مكتوم قال ابن شهاب: وكان ابن أم مكتوم رجلاً أعمى لا ينادي حتى يقال له أصبحت أصبحت.

وفي مسلم وأبي داود « لا يمنع أحدكم نداء بلال من سجوره فانه يؤذن ليرجع قائمكم ويوقظ نائمكم » الحديث. فقد جعل اذان بلال لان ينتبه النائم لما يحتاج اليه من سجوره وغيره؛ فالبوق ما شأنه؟ وقد كرهه عليه السلام، ومثله النار التي ترفع دائماً في اوقات الليل وبالعشاء والصبح في رمضان ايضاً، اعلماً بدخوله، فتوقد في داخل المسجد ثم في وقت السجور، ثم ترفع في المنار اعلماً بالوقت؛ والنار شعار المجوس في الاصل.

قال ابن العربي: اول من اتخذ البخور في المسجد بنو برمك يحيى بن خالد ومحمد بن خالد — ملكهما الوالي امر الدين فكان محمد بن خالد حاجباً ويحيى وزيراً، ثم ابنه جعفر بن يحيى — قال — وكانوا باطنية يعتقدون آراء الفلاسفة، فاحيوا المجوسية، واتخذوا البخور في المساجد — وانما تطيب بالخلوق — فزادوا التجمير^(٢) ويعمرونها بالنار منقولة حتى

(١) قد استبدلت المدافع في هذا العصر بالبوق (٢) قال بعض المؤرخين: ان البرامكة زينوا للرشييد وضع النجاش في الكعبة المشرفة ليأمن المسلمون بوضع النار في اعظم معابدهم، والنار معبود المجوس. والظاهر ان البرامكة كانوا من رقباء جمعيات المجوس السرية التي تحاول هدم الاسلام وسلطة العرب واعادة ملك للمجوس. وانما فتك بهم هارون الرشيد لانه وقف على دخولهم

يحملوها عند الاندلس بيخورها ثابتة ^(١) انتهى.

وحاصله ان النار ليس ايقادها في المساجد من شأف السلف الصالح ، ولا كانت مما تزين بها المساجد البتة ، ثم احدث التزين بها حتى صارت من جملة ما يعظم به رمضان ، واعتقد العامة هذا كما اعتقدوا طلب البوق في رمضان في المساجد ، حتى لقد سأل بعض عنه : اهو سنة ام لا ؟ ولا يشك احد ان غالب العوام يعتقدون ان مثل هذه الامور مشروعة على الجملة في المساجد ، وذلك بسبب ترك الخواص الانكار عليهم . وكذلك ايضا لما لم يتخذ النافوس للاعلام ، حاول الشيطان فيه بمكيدة أخرى ، فعلق بالمساجد واعتد به في جملة الآلات التي توقد عليها النيران وتزخرف بها المساجد ، زيادة الى زخرفها بغير ذلك ، كما تزخرف الكنائس والبيع

ومثله ايقاد الشمع بعرفة ليلة الثامن : ذكر النواوي انها من البدع القبيحة ، وانها ضلالة فاحشة جمع فيها انواع من القبائح - : منها اضاءة للمال في غير وجهه ، ومنها اظهار شعائر المجوس ، ومنها اختلاط الرجال والنساء والشمع بينهم ووجوههم بارزة ، ومنها تقديم دخول عرفة قبل وقتها المشروع اه .

وقد ذكر الطرطوشي في ايقاد المساجد في رمضان بعض هذه الامور ، وذكر ايضا قبائح سواها . فاین هذا كله من انكار مالك لتحنج المؤذن او ضربه الباب ليعلم بالفجر ، او وضع الرداء ؟ وهو اقرب مراما وأيسر خطبا من ان تنشأ بدع محدثات ، يعتقدوها العوام سننا بسبب

(١) كذا في الاصل ولعله قد سقط من الكلام شيء

سكوت العلماء والخواص عن الانكار وسبب عملهم بها .

واما المفسدة المالية فهي على فرض ^(١) ان يكون الناس عاملين بحكم المخالفة ، وانها قد ينشأ الصغير على رؤيتها وظهورها ، ويدخل في الاسلام احد ممن يراها شائعة ذائعة فيعتقدونها جائزة او مشروعة . لان المخالفة اذا فشا في الناس فعلها من غير انكار ، لم يكن عند الجاهل بها فرق بينها وبين سائر المباحات او الطاعات .

وعندنا كراهية العلماء ان يكون الكفار صيارفة في اسواق المسلمين لعاملهم بالربا ^(٢) فكل من يراه من العامة صيارف وتجارا في اسواقنا من غير انكار يعتقد ان ذلك جائز كذلك ، وانت ترى ، مذهب مالك المعروف في بلادنا ان الحلي الموضوع من الذهب والفضة لا يجوز بيعه بجنسه الا وزنا بوزن ، ولا اعتبار بقيمة الصياغة اصلا ^(٣) والصاغة عندنا كلهم او غالبهم يتبايعون على ذلك ان يستفضلوا قيمة الصياغة او اجارتها ، ويعتقدون ان ذلك جائز لهم ، ولم يزل العلماء من السلف الصالح ومن بعدهم يتحفظون من أمثال هذه الاشياء ، حتى كانوا يتركون السنن خوفا من اعتقاد العوام أمرا هو اشد من ترك السنن ، وأولى أن يتركوا المباحات أن لا يعتقد فيها أمر ليس بمشروع - وقد مر بيان هذا في باب البيان من كتاب الموافقات . فقد ذكروا ان عثمان رضي الله عنه كان لا يقصر في السفر

(١) قوله « على فرض » ظرف خير قوله « فهي » والجملة من المبتدأ والخبر خير قوله « وأما المفسدة المالية » (٢) اصله : لعاملهم او لتعاملهم بالربا (٣) في كتاب أعلام الموقعين للمحقق ابن القيم بيان وتحقيق لاعتبار قيمة الصياغة وجواز بيع الحلي بأكثر من زنته لاجل ذلك

فيقال له : أليس قد قصرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول بلى ولكنني إمام الناس فينظر إلي الاعراب وأهل البادية أصلي ركعتين فيقولون : هكذا فرضت .^(١)

قال الطرمطوشي : تأملوا رحمكم الله : فإن في القصر قولين لأهل الإسلام — منهم من يقول : فريضة . ومن أتم فأنما يتم ويعيد أبداً ، ومنهم من يقول : سنة . يعيد من أتم في الوقت . ثم افتحم عثمان ترك الفرض أو السنة لما خاف من سوء العاقبة أن يمتقد الناس أن الفرض ركعتان .

وكان الصحابة رضي الله عنهم لا يضحون (يعني أنهم لا يلتزمون^(٢)) قال حذيفة بن أسد : شهدت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لا يضحيان مخافة أن يرى أنها واجبة . وقال بلال : لا أبالي أن أضحي بكبشين أو بديك . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يشتري لحماً بدرهم يوم الاضحية ، ويقول لعكرمة : من سألك فقل هذه أضحية ابن عباس . وقال ابن مسعود : اني لا ترك أضحيتي — واني لمن أيسركم — مخافة أن يظن أنها واجبة . وقال طارس : ما رأيت بيتاً أكثر لحماً وخبزاً وعلاً من بيت ابن عباس ، يذبح وينحر كل يوم ، ثم لا يذبح يوم العيد ، وإنما كان يفعل ذلك لئلا يظن الناس أنها واجبة . وكان اماماً يقتدى به .

قال الطرمطوشي : والقول في هذا كالذي قبله ، وإن لأهل الإسلام قولين في الاضحية أحدهما سنة والثاني واجبة . ثم اقتحمت الصحابة

(١) تقدم ذكر هذه المسألة مع تنبيه في الحاشية على ما أجابوا به عن عثمان فيها

(٢) لعل المفعول وهو « الاضحية » سقط من قلم الناسخ

ترك السنة حذرا من أن يضع الناس الامر على غير وجهه فيعتقدونها فريضة .

قال مالك في الموطأ في صيام ستة بعد الفطر من رمضان : انه لم ير أحدا من أهل العلم والفقهاء يصومها - قال - ولم يباغني ذلك عن أحد من السلف ، وان أهل العلم يكرهون ذلك ويخافون بدعته ، وأن يلحق أهل الجهالة والجفاء برب رمضان ما ليس منه لو رأوا في ذلك رخصة من أهل العلم ، ورأوهم يقولون ذلك . فكلام مالك هنا ليس فيه دليل على أنه لم يحفظ الحديث كما توهم بعضهم ، بل لعل كلامه مشعر بأنه يعلمه ، لكنه لم ير العمل عليه وان كان مستحبا في الاصل ؛ لئلا يكون ذريعة لما قال ، كما فعل الصحابة رضي الله عنهم في الأضحية ، وعثمان في الاتمام في السفر . وحكى الماوردي ما هو أغرب من هذا وان كان هو الاصل ؛ فذكر ان الناس كانوا اذا صلوا في الصحن من جامع البصرة أو الطريقة ورفعوا من السجود مسحوا جباههم من التراب ، كأنه كان مفروشا بالتراب ، فأمر زياد بإلقاء الحصا في صحن المسجد ؛ وقال : لست آمن من أن يطول الزمان فيظن الصغير اذا نشأ ان مسح الجبهة من أثر السجود سنة في الصلاة . وهذا في مباح ؛ فكيف به في المكروه والممنوع ؟ . ولقد بلغني في هذا الزمان عن بعض من هو حديث عهد بالاسلام أنه قال في الخمر : ليست بحرام ولا عيب فيها ؛ وانما العيب أن يفعل بها ما لا يصلح كالقتل وشبهه . وهذا الاعتقاد لو كان ممن نشأ في الاسلام كان كفرا ، لانه انكار لما علم من دين الأمة ضرورة ؛ وبسبب ذلك ترك الانكار من الولاة على شاربها ، والتخلى بينهم وبين اقتنائها ، وشهرته

بمحارة أهل الذمة فيها ^(١) وأشباه ذلك .

ولا معنى للبدعة إلا أن يكون الفعل في اعتقاد المبتدع مشروعاً وليس بمشروع . وهذا الحال متوقع أو واقع . فقد حكى القرافي عن المعجم ما يقتضي أن ستة الأيام من شوال ملحقة عندكم بـرمضان ، لا بقائهم حالة رمضان الخاصة به كما هي إلى تمام الستة الأيام . وكذلك وقع عندنا مثله ؛ - وقد مر في الباب الأول -

وجميع هذا منوط أثمه بمن يترك الإنكار من العلماء أو غيرهم ، أو من يعمل ببعضها بمرأى من الناس أو في مواقعهم ؛ فانهم الأصل في انتشار هذه الاعتقادات في المعاصي أو غيرها .

وإذا تقرر هذا فالبدعة تنشأ عن أربعة أوجه (أحدها) - وهو أظهر الأقسام - أن يخترعها المبتدع . (والثاني) أن يعمل بها العالم على وجه المخالفة فيفهمها الجاهل مشروعة (والثالث) أن يعمل بها الجاهل مع سكوت العالم عن الإنكار وهو قادر عليه ، فيفهم الجاهل أنها ليست بمخالفة . (والرابع) من باب الذرائع ، وهي أن يكون العمل في أصله معروفاً ، إلا أنه يتبدل الاعتقاد فيه مع طول المهد بالذكرى .

إلا أن هذه الأقسام ليست على وزان واحد ، ولا يقع اسم البدعة عليها بالتواطئ ، بل هي في القرب والبعد على تفاوت . فالأول هو التحقيق

(١) ينظر ما مراده بهذه الجملة . والظاهر أنه كان لأهل الذمة في الأندلس حارات يسكنونها وحدهم أو يكثرون فيها وإن الخمر كانت تباع فيها . كما هي الحال في بعض بلاد المسلمين بالشرق

باسم البدعة ، فانها تؤخذ علة بالنص عليها ، ويليه القسم الثاني ، فان العمل يشبهه التنصيص بالقول ؛ بل قد يكون أبلغ منه في مواضع - كما تبين في الاصول - غير أنه لا ينزل هاهنا من كل وجه منزلة الدليل أن العالم قد يعمل وينص على قبح عمله . ولذلك قلوا لا تنظر الى عمل العالم ولكن سله يصدقك . وقال الخليل بن أحمد أو غيره :

اعمل بعلمي ولا تنظر الى عملي

ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري

ويليه القسم الثالث ، فان ترك الانكار ، - مع أن رتبة المنكر رتبة من يعد ذلك منه اقرار ، - يقتضي أن الفعل غير منكر ، ولكن ينزل منزلة ما قبله ، لان الصوارف للقدرة كثيرة ، قد يكون الترك لعذر بخلاف الفعل ، فانه لا عذر في فعل الانسان بالمخالفة ، مع علمه بكونها

ويليه القسم الرابع ، لان المحذور الحالي فيما تقدم غير واقع فيه رض ، فلا تبلغ المفسدة المتوقعة أن تساوي رتبة الواقعة أصلا ، فلذلك كانت من باب الذرائع ، فهي اذا لم تبلغ أن تكون في الحال بدعة ، فلا تدخل بهذا النظر تحت حقيقة البدعة .

وأما القسم الثاني والثالث فالمخالفة فيه بالذات ، والبدعة من خارج ، الا أنها لازمة لزوما عاديا ، ولزوم الثاني أقوى من لزوم الثالث . والله أعلم .

فصل*

ومن منازل « اياك نعبد واياك نستعين منزلة التعظيم »

وهذه المنزلة تابعة للمعرفة فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب ، وأعرف الناس به أشدهم له تعظيما واجلالا ، وقد ذم الله تعالى من لم يعظمه حق عظمته ، ولا عرفه حق معرفته ، ولا وصفه حق صفته . واقوالهم تدور على هذا . وقال تعالى « ما لكم لا ترجون لله وقارا » قال ابن عباس ومجاهد : لا ترجون لله عظمة ، وقال سعيد بن جبير : ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته ؟ وقال الكلبي : لا يخافون الله عظمة . قال البغوي : والرجاء بمعنى الخوف ، والوقار العظمة اسم من التوقير ، وهو التعظيم . وقال الحسن : لا تعرفون الله حقا ، ولا تشكرون له نعمة . وقال ابن كيسان . لا ترجون في عبادة الله ان يثيبكم على توقيركم اياه خيرا . وروح العبادة هو الاجلال والمحبة ، فاذا خلى احدهما عن الآخر فسدت العبودية ، فاذا اقترن بهذين الثناء على المحبوب المعظم فذلك حقيقة الحمد ، والله سبحانه اعلم

فصل

قال صاحب المنازل رحمه الله « التعظيم معرفة العظمة مع التذلل لها ، وهو على

ثلاث درجات : الاولى تعظيم الامر والنهي ؛ وان لا يعارضا بترخص جاف ، ولا

يعرضا لتشدد غال ، ولا يحملا على علة توهم الاتقياد) هاهنا ثلاثة اشياء تنافي تعظيم

الامر والنهي (احدها) الترخص الذي يجفوه صاحبه عن كمال الامتثال (والثاني)

الغلو الذي يتجاوز به صاحبه حدود الامر والنهي ، فالاول تفريط والثاني افراط .

وما امر الله بامر الا وللشيطان فيه نزغتان ، إما الى تفريط وإضاعة ، وإما الى

افراط وغلو ، ودين الله وسط بين الجاني عنه والغالي فيه ، كالوادي بين الجبلين ،

(متقول من الجزء الثاني من مدارج السالكين

والهدى بين ضلالتين ، والوسط بين طرفين ذميمين . وكما ان الجاني عن الامر مضيق له ، فالغالي فيه مضيق له ، هذا بتقصيره عن الحد ، وهذا بتجاوزه عن الحد وقد نهى الله عن الفلو بقوله (قل : يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق) والفلو نوعان نوع يخرج عن كونه مطيعا ، كن زاد في الصلاة ركعة ، او صام الدهر مع ايام النهي ، او رمى الجمرات بالصخور الكبار التي يرمى بها في المنجنيق ، او سمى بين الصفا والمروة عشرا ، أو نحو ذلك عمدا . وغلو يخاف منه الانقطاع والاستحسار ، كقيام الليل كله ، ومرد الصيام الدهر اجمع بدون صوم ايام النهي ، والجور على النفوس في العبادات والاوراد الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم « ان الدين يسر ، وان يشاد الدين احد الاغلبه ، فسددوا وقاربوا ويسروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » يعني استعينوا على طاعة الله بالاعمال في هذه الاوقات الثلاثة فان المسافر يستعين على قطع مسافة السفر بالسير فيها ، وقال « ليصل احدكم نشاطه فاذا فتر فليرقد » رواها البخاري . وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « هلك المتعظمون » - قالها ثلاثا - وهم المتعظمون المتددون وفي صحيح البخاري عنه « عليكم من الاعمال ما تطيقون ، فوالله لا عمل الله حتى تغلوا » وفي السنن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله » او كما قال

واما قوله « ولا يحملوا على علة توهم الانقياد » يريد ان لا يتأول في الامر والنهي علة تعود عليه بالابطال ، كما تأول بعضهم تحريم الخمر بانه مملل بايقاع العداوة والبغضاء والتعرض للفساد ، فاذا أمن من هذا المهدور منه جاز شربه ، كما قيل :

أدرها فما التحريم فيها لذاتها ولكن لاسباب تضمنها السكر

اذا لم يكن سكر يضل عن الهدى فسيان ماء في الزجاجة أو خمر

وقد بلغ هذا بأقوام الى الانسلاخ من الدين جملة ، وقد حمل طائفة من العلماء أن جعلوا تحريم ما عدا شراب العنب ممللا بالسكر ، فله أن يشرب منه ما لم يسكر

ومن الممل الذي توهم الانقياد أن يملل الحكم بعلة ضعيفة لم تكن هي الباعثة

(المنار - ج ١٠ ص ١٧) الدرجة ٢١١ تمناهم الحكم الكوني و بهم يكون WA

عليه في نفس الامر فيضمن انقياده اذا قام عنده ان هذه هي علة الحكم ، ولهذا طريقة القوم عدم التعرض لامل التكاليف خشية هذا المحذور . وفي بعض الآثار القديمة « يا بني امرائيل لا تقولوا لم أمر ربنا ولكن قولوا بهم أمر ربنا » وأيضا فانه اذا لم يمثل الامر حتى تظهر له علة لم يكن منقادا للامر ، وأقل درجاته أن يضمن انقياده له ، وأيضا فانه اذا نظر الى حكم المبادات والتكاليف مثلا (١) وجعل العلة فيها هي جمعية القلب والاقبال به على الله فقال : أنا اشتغل بالمقصود عن الوسيلة ، فاشتغل بجمعيته وخلوته عن أوراد المبادات فعطاه ، وترك الانقياد بحمله الامر على العلة التي اذهبت انقياده ، وكل هذا من ترك تعظيم الامر والنهي ، وقد دخل من هذا الفساد على كثير من الطوائف مالا يعلمه الا الله ، فما يدري ما أوهنت لعلى الفاسدة من الانقياد الا الله ، وكم عطلت لله من أمر ، وأباحث من نهى وحرمت من مباح ! وهي التي اتفقت كلمة الساف على ذمها

فصل

قال (الدرجة الثانية تعظيم الحكم أن لا يبغي له عوج ، أو يدافع به لم ، أو يرضى بهوض) الدرجة الاولى تتضمن تعظيم الحكم الديني الشرعي ، وهذه الدرجة تتضمن تعظيم الحكم الكوني القدري ، وهو الذي يخصه المصنف باسم الحكم ، وكما يجب على العبد أن يرعى حكم الله الديني بالتعظيم فكذلك يرعى حكمه الكوني به ، فذكر من تعظيمه ثلاثة أشياء (أحدها) « أن لا يبغي له عوج ، أي يطلب له عوج أو يرى فيه عوج بل يرى كله مستقيما ، لانه صادر عن عين الحكمة فلا عوج فيه ، وهذا موضع أشكل على الناس جدا . فقالت نفاة القدر : ما في خلق الرحمن من تفاوت ولا عوج ، والكفر والمعاصي مشتملة على أعظم التفاوت والعوج ، فليست بخلقه ولا مشيئته ولا قدره . وقالت فرقة تقابلهم : بل هي من خلق الرحمن وقدره ، فلا عوج فيها وكل ما في الوجود مستقيم . والطائفتان منحرفتان عن الهدى . وهذه الثانية أشد انحرافا ، لأنها جعلت الكفر

(١) أنظر أين جواب هذا الشرط ؟

مستقبلا لا عوج فيه، وعدم تفريق الطائفتين بين القضاء والمقضي والحكم والمحكوم به هو الذي أوقعهم فيما أوقعهم فيه

وقول سلف الامة وجهورها ان القضاء غير المقضي ، فالقضاء فعله ومشيتته وما قام به ، والمقضي مفعولاه المبين له المنفصل عنه ، وهو المشتمل على الخير والشر والعوج والاستقامة ، فقضاؤه كله حق ، والمقضي منه حق ومنه باطل . وقضاؤه كله عدل ، والمقضي منه عدل ومنه جور ، وقضاؤه كله مرضي ، والمقضي منه مرضي ومنه مسخوط . وقضاؤه كله مسالم ، والمقضي منه ما يسالم ومنه ما يحارب

وهذا أصل عظيم يجب مراعاته ، وهو موضع مزلة أقدام كما رأيت ، والمنحرف منه اما جاحد للحكمة أو القدرة أو الامر والشرع ولا بد ، وعلى هذا يحمل كلام صاحب المنازل رحمه الله ، اي لا يتغنى بالحكم عوج .

وأما قوله « أو يدفع بعلم » فأشكل من الاول ، فان العلم مقدم على القدر وحاكم عليه ، ولا يجوز دفع العلم بالحكم . فأحسن ما يحمل عليه كلامه أن يقال : قضاء الله وقدره وحكمه الكوني ، لا يناقض دينه وشرعه وحكمه الديني ، بحيث تقع المدافعة بينهما ، لأن هذا مشيئته الكونية وهذا ارادته الدينية . وان كان المراد ان قد يتدافعان ويتعارضان ، لكن من تعظيم كل منهما أن لا يدافع بالآخر ويعارض ، فأنهما وصفان للرب تعالى ، وأوصافه لا يدفع بعضها بعض ، وان استعبد ببعضها من بعض . فالكل منه سبحانه وهو المميز من نفسه بنفسه ، كما قال أعلم الخلق به « أعوذ برضاك من سخطك » وأعوذ بعفوك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك » فرضاؤه وان أعاذ من سخطه فإنه لا يطله و (لا) يدفعه ، وانما يدفع تعلقه بالمستعبد ، وتعلقه بأعدائه باق غير زائل ، فكذا أمره وقدره سواء ، فان أمره لا يبطل قدره ، ولا قدره يبطل أمره ، ولكن يدفع ما قضاء وقدره بما أمر به وأحبه ، وهو أيضا من قضاؤه ، فما دفع قضاؤه إلا بقضائه وأمره ، فلم يدفع العلم بالحكم بل المحكوم به ، والعلم والحكم دفعا المحكوم به الذي قدر دفعه وأمر به

فتأمل هذا فإنه محض العبودية والمعرفة والایمان بالقدر والاستسلام له ، والقيام بالامر والتنفيذ له بالقدر ، فما نفذ المطيع أمر الله إلا بقدر الله ، ولا دفع مقدور

(المنار- ج ١٠ م ١٧) الدرجة الثالثة ٣ تعظيم الحق فلا يجعل سببا اليه ولا حقا اليه ٧٨١

الله الا بقدر الله وأمره

وأما قوله « ولا يرضى بعوض » أي ان صاحب مشهد الحكم قد وصل الى حد لا يطلب معه عوضا ولا يكون ممن يعبد الله بالعوض ؛ فانه يشاهد جريان حكم الله عليه وعدم تصرفه في نفسه ، وان المتصرف فيه حقا مالكة الحق ، فهو الذي يقيمه ويقعده ويقبله ذات اليمين وذات الشمال ، وانما يطلب العوض من غاب عن الحكم وذهل عنه ، وذلك مناف لتعظيمه ، فمن تعظيمه ان لا يرضى المبد بعوض يطلبه بعمله ، لان مشاهدة الحكم وتعظيمه يمنعه ان يرى لنفسه ما يعاوض عليه . فهذا الذي يمكن حمل كلامه عليه من غير خروج عن حقيقة الامر . والله سبحانه أعلم

فصل

قال « الدرجة الثالثة تعظيم الحق سبحانه » وهو أن لا يجعل دونه سببا ، ولا يرى عليه حقا ، ولا ينزع له اختيارا . هذه الدرجة تتضمن تعظيم الحاكم سبحانه صاحب الخلق والامر ، والتي قبلها تتضمن تعظيم قضائه لامقضيه ، والاولى تتضمن تعظيم أمره . وذكر من تعظيمه ثلاثة اشياء (أحدها) « ان لا تجعل (١) دونه سببا » أي لا تجعل للوصلة اليه سببا غيره ، بل هو الذي يوصل اليه عبده ، فلا يوصل الى الله لا الله ، ولا يقرب اليه سواه ، ولا أدلى اليه غيره ، ولا يتوصل الى رضاه إلا به ، فادل على الله الا الله ، ولا هدى اليه سواه ، ولا أدنى اليه غيره ، فانه سبحانه هو الذي جعل السبب سببا ، فالسبب وسببته وايضا له ، كله خلقه وفعله (الثاني) أن لا يرى عليه حقا ، أي لا ترى لاحد من الخلق لالك ولا لفيرك حقا على الله ، بل الحق لله على خلقه . وفي أثر اسراييلي ان داود عليه السلام قال : يارب بحق آبائي عليك . فأوحى الله تعالى اليه : يا داود ! أي حق لا باتك علي ؟ ألسنت أنا الذي هديتهم ومننت عليهم واصطفيتهم ولي الحق عليهم ؟

(١) الظاهر ان نسخة الشارح بالخطاب وأن ذكر عبارة المتن وما يأتي من حكايته في الشرح بأفعال الغائب من تصرف النساخ

وأما حقوق العبيد على الله تعالى من اثابته لطيعهم وتوبته على تائبهم وإجابته لساألهم ، فذلك حقوق أحقها الله سبحانه على نفسه بحكم وعده وإحسانه ، لأنها حقوق أحقها هم عليه ، فالحق في الحقيقة لله على عبده ، وحق العبد عليه هو ما اقتضاه جوده وبره وإحسانه إليه بمحض جوده وكرمه . هذا قول أهل التوفيق والبصائر ، وهو وسط بين قواين منحرفين قد تقدم ذكرهما مرارا . والله أعلم

وأما قوله (١) «ولا ينازع له اختيارا» أي إذا رأيت الله عز وجل قد اختار لك أو لغيرك شيئا إما بأمره ودينه ، وإما بقضائه وقدره ، فلا تنازع اختياره ، بل ارض باختيار ما اختاره ، فإن ذلك من تعظيمه سبحانه . ولا يرد عليه ما قدره عليه من المعاصي ، فإنه سبحانه وإن قدرها لكنه لم ينجسها له ، فنازعتها غير اختياره من عبده ، وذلك من تمام تعظيم العبد له سبحانه . والله أعلم اهـ

(المنار) هذا الكلام لا يسلم على إطلاقه بل له قيد لا بد منه . وقد سبق للمصنف بحقيقته فلماذا اكتفى هنا بالاجمال . وإنما نحتاج الى القيد إذا أردنا بالاختيار متعلقه وهو ما اختاره الله لنا من الأمور ، وهو المقضي والمقدر . كما هو المتبادر هنا . فهذا إذا كان شرا لنا كالأضرار والمظالم والفتن فإنه لا يشرع لنا أن نرضى به ، بل يجب أن نقاومه وندافع الأقدار بالأقدار ، كما قال عمر بن الخطاب باقرار جمهور من الصحابة (رض) عند ما فر من الشام ولم يدخلها لوباء فيها « نهر من قدر الله الى قدر الله » أما نفس اختيار الله تعالى الذي هو فعله فلا وجه لمنازعته فيه ، ولا تردد في الرضا به وعدم الاعتراض عليه فيه . ولا فرق بين الذي قلناه آنفا - وقد سبق تقرير المصنف له - وبين ما قاله هنا آنفا في المعاصي ، ومسألة الاختيار مبهمه هنا ، فاختياره تعالى بالمعنى المصدري لا ينازع ولا يعارض مطلقا . وهو يتناول كل ما قضاه وقدره لأنه فعله ، وكل أفعاله اختيارية . فلا يمكن أن يقال أنه قدر المعاصي بغير اختيار منه . وأما الاختيار بالمعنى الحاصل بالمصدر أي ما اختاره سبحانه لعباده فهو قسمان أفعال وأحكام ، أو خلق وأمر ، فأما أحكام دينه وأمره ونهيها فلا ينازع فيها بل تؤخذ بالرضاء والتسليم ، وأما أفعاله التي تقع بقدره وحسب سننه في خلقه فقسمان ، أحدها ما يوافق مصالح الناس ومنافعهم فيجب الرضاء بها مع الشكر عليها ، وثانيها ما لا يوافق مصالحهم ومنافعهم كالأمراض وبعدي بين الظالمين وطفيان المياه ، فهذه تنازع وتقاوم مع الصبر عليها .

(١) كان الظاهر أن يحكى هذا بالعدد فيقول : الثالث ان لا ينازع له اختيارا

أقوال علماء السلف الاثبات

في عقيدة السلف واثبات الصفات

٢

هو احمد بن محمد بن حنبل شيخ الاسلام

رحمه الله ثراه^(١) وجعل الجنة مشواه

المنقول عن هذا الامام في هذا الباب طيب كثير مبارك فيه ، فهو حامل لواء السنة ، والصابر في المحنة ، والمشهود بأنه من اهل الجنة ، فقد تواتر عنه تكفير من قال بخلق القرآن العظيم جل منزله ، واثبات الرؤية والصفات والعلو والقدر ، وتقديم الشيخين ، وان الايمان يزيد وينقص — الى غير ذلك من عقود الديانة مما يطول شرحه ، فقال يوسف بن موسى القطان شيخ ابي بكر الخلال : قيل لأبي عبد الله : الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه ، وقدرته وعلمه بكل مكان ؟ قال نعم هو على عرشه ولا يخلو شيء من علمه .

وقال ابو طالب احمد بن حميد : سألت احمد بن حنبل عن رجل قال : الله معنا وتلا (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هورابعهم) فقال قد تجهم هذا ، يأخذون بآخر الآية ويدعون أولها ، قرأت عليه (ألم تر ان الله يعلم) فعلمه معهم . وقال في سورة ق (ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) فعلمه معهم .

قال المروذي قلت لأبي عبد الله : ان رجلا قال اقول كما قال الله

(١) كذا ولعل اصله طيب الله ثراه — أو — رحمه الله وطيب ثراه

(ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) اقول هذا ولا اجاوزه الى غيره .
فقال هذا كلام الجهمية بل علمه معهم ، فأول الآية يدل على انه علمه .
رواه ابن بطة في كتاب الإبانة عن عمر بن محمد رجاء عن محمد بن داود
عن المروذي

وقال حنبل بن اسحاق قيل لابي عبد الله ما معنى (وهو معكم)؟ قال :
علمه محيط بالكل ، وربنا على العرش بلا حدود ولا صفة .

قال ابن ابي حاتم في كتاب مناقب الامام احمد : ثنا محمد بن مسلم
نا سلمة بن شديد قال كنت عند احمد بن حنبل ، فدخل عليه رجل
عليه اثر السفر فقال : من فيكم احمد بن حنبل ؟ فأشاروا الى احمد بن حنبل ،
فقال اني ضربت البر والبحر من أربع مائة فرسخ ، اتاني الخضر عليه
السلام فقال ائت احمد بن حنبل فقل له ان ساكن السماء راض عنك لما
بدلت نفسك في هذا الامر .

قال الاثرم قلت لابي عبد الله حدثنا وانا عنده بحديث « يضع
الرحمن فيها قدمه » وعنده غلام ، فأقبل على الغلام فقال ان لهذا تفسيراً .
فقال ابو عبد الله : انظر اليه كما تقول الجهمية سواء .

قال ابن ابي حاتم ثنا صالح بن احمد بن حنبل قال : سمعت ابي
يحتج بان القرآن غير مخلوق ، يقول قال تعالى (الرحمن علم القرآن)
فأخبر تعالى ان القرآن من علمه ، قال يعقوب الدورقي قال لي احمد : اللفظة
انما يدورون على كلام جهم ، يزعمون ان جبريل انما جاء بشيء مخلوق
هو اسحاق بن راهويه عالم خراسان

قال حرب بن اسماعيل الكرماني قلت لاسحاق بن راهويه قوله

تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) كيف تقول فيه ؟ قال
حيثما كنت فهو اقرب اليك من حبل الوريد ، وهو بائن من خلقه .
ثم ذكر عن ابن المبارك قوله : هو على عرشه ، بائن من خلقه . ثم قال
أعلى شيء في ذلك وايدنه قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) رواها
الخلال في السنة عن حرب

﴿ الحافظ أبو عوانة صاحب الصحيح ﴾

كان من كبار الحفاظ، حمل عن أصحاب سفيان بن عيينة ووكيع . قال
الحاكم في ترجمته : سمع يحيى بن منصور القاضي يقول : سمعت أبا عوانة
رحمه الله يقول : دخلت على ابراهيم المزني في مرضه الذي مات فيه فقلت
له : ما قولك في القرآن ؟ فقال كلام الله غير مخلوق . فقلت هلا قلت قبل
هذا ؟ قال : لم يزل هذا قولي وكرهت الكلام فيه لان الشافعي كان ينهى عن
الكلام فيه ، يعني البحث والجدال في ذلك

﴿ أبو الحسن الاشعري صاحب التصانيف ﴾

قال الامام أبو الحسن علي بن اسماعيل بن أبي بشر الاشعري البصري
المتكلم في كتابه الذي سماه (اختلاف المذاهب ومقالات الاسلاميين)
فذكر فرق الخوارج والروافض والجهمية وغيرهم الى أن قال (ذكر مقالة
أهل السنة ، وأصحاب الحديث جملة) قولهم الاقرار بالله وملائكته وكتبه
ورسله ، وبما جاء عن الله ، وما رواه الشاهات عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، لا ردون من ذلك شيئاً ، وان الله على عرشه كما قال (الرحمن على
العرش استوى) وان له يدين بلا كيف كما قال « لما خلقت بيدي » وان

أسماء الله لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج ، وأقروا أن الله علما كما قال « أنزله بعلمه » وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه » وأثبتوا السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة ، وقالوا : لا يكون في الأرض من خير وشر إلا ما شاء الله ، وإن الأشياء تكون بمشيئته كما قال تعالى « وما تشاؤون إلا أن يشاء الله » — إلى أن قال : ويقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق . ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول هل مستغفر » كما جاء الحديث ، ويقولون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال (وجاء ربك والملك صفا صفا) وإن الله يقرب من خلقه كيف يشاء قال (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) — إلى أن قال : فهذا جملة ما يأبرون به ويستعملونه ويرونه ، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول ، وإليه نذهب ، وما توفيقنا إلا بالله وذاكر الأشعري في هذا الكتاب المذكور في باب (هل الباري تعالى في مكان دون مكان أم لا في مكان أم في كل مكان) فقال اختلفوا في ذلك على سبع عشرة مقالة : منها قال أهل السنة وأصحاب الحديث أنه ليس بجسم ولا يشبه الأشياء وأنه على العرش كما قال (الرحمن على العرش استوى) ولا تقدم بين يدي الله بالقول ، بل نقول استوى بلا كيف ، وإن له يدين كما قال (خلقت بيدي) وأنه ينزل إلى سماء الدنيا كما جاء في الحديث

ثم قال : وقالت المعتزلة استوى على عرشه بمعنى استولى وتأولوا اليد بمعنى النعمة ، وقوله (تجري بأعيننا) أي بعلمنا

وقال أبو الحسن الأشعري في (كتاب جمل المقالات) له — رأيت

بخط المحدث أبي علي بن شاذان — فسر دُخْوَانُ هذا الكلام في مقالة
 أصحاب الحديث تركت إيراد ألفاظه خوف الإطالة والمعنى واحد
 وقال الأشعري في كتاب «الإبانة في أصول الديانة» له في باب
 الاستواء : فإن قال قائل : ماتقولون في الاستواء ؟ قيل نقول ان الله
 مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى — وقال — اليه يصعد
 الكلم الطيب — وقال — بل رفعه الله اليه — وقال حكاية عن فرعون —
 وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات
 فأطلع الى إله موسى واني لأظنه كاذبا » كذب موسى في قوله ان الله
 فوق السموات . وقال عز وجل « أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم
 الأرض » فالسموات فوقها العرش ، فلما كان العرش فوق السموات وكل
 ما علا فهو سماء ، وليس اذا قال « أأمنتم من في السماء » يعني جميع
 السموات ، وانما أراد العرش الذي هو أعلى السموات ، ألا ترى انه
 ذكر السموات فقال « وجعل القمر فيهن نورا » ولم يرد انه علاهن جميعا
 قال : ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم اذا دعوا نحو السماء ،
 لان الله مستو على العرش الذي هو فوق السموات ، فلو لا ان الله على
 العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش . وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية
 والحرورية ان معنى استوى استولى وملك وقهر ، وانه تعالى في كل
 مكان ، وجحدوا أن يكون على عرشه كما قال أهل الحق ، وذهبوا في
 الاستواء الى القدرة . فلو كان كما قالوا كان لا فرق بين العرش وبين
 الأرض السابعة لانه قادر على كل شيء ، والأرض (شيء) فانه قادر عليها
 وعلى الحشوش ، وكذا لو كان مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء لجاز

أن يقال هو مستو على الاشياء كلها ، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول : ان الله مستو على الاخية والحشوش . فبطل أن يكون الاستواء الاستيلاء . وذكر ادلة من الكتاب والسنة والعقل سوى ذلك

وكتاب الابانة من أشهر تصانيف أبي الحسن شهره الحافظ ابن عساكر واعتمد عليه ، ونسخه بخطه الامام محي الدين النواوي ، ونقل الامام أبو بكر بن فورك المقالة المذكورة عن أصحاب الحديث عن أبي الحسن الاشعري في كتاب (المقالات والخلاف ، بين الاشعري وبين أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري) تأليف ابن فورك فقال : الفصل الاول في ذكر ما حكى أبو الحسن رضي الله عنه في كتاب المقالات من جمل مذاهب أصحاب الحديث ، وما أبان في آخره انه يقول بجميع ذلك . ثم سرد ابن فورك المقالة ببيتها ثم قال في آخرها : فهذا تحقيق لك من ألفاظه انه معتقد لهذه الاصول التي هي قواعد أصحاب الحديث وأساس توحيدهم

قال الحافظ أبو العباس أحمد بن ثابت الطرقي قرأت كتاب أبي الحسن الاشعري الموسومة بالابانة أدلة على اثبات الاستواء . قال في جملة ذلك : ومن دعاء أهل الاسلام اذا هم رغبوا الى الله يقولون : يا ساكن العرش . ومن حلفهم : لا والذي احتجب بسبع

وقال الاستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله في شكايته أهل السنة : ما نقموا من أبي الحسن الاشعري الا أنه قال باثبات القدر ، واثبات صفات الجلال لله من قدرته وعلمه وحياته وسمعه وبصره ووجهه ويده ، وأن القرآن كلامه غير مخلوق

سمعت ابا علي الدقاق يقول سمعت زاهر بن احمد الفقيه يقول : مات
الاشعري رحمه الله ورأسه في حجرى فكان يقول شيئا في حال نزعه :
لئن الله المعتزلة موهوا ومخرقوا .

قال الحافظ الحجة ابو القاسم ابن عساكر في كتاب (تبين كذب
المفتري . فيما نسب الى الاشعري) فاذا كان أبو الحسن رحمه الله كما ذكر
عنه من حسن الاعتقاد ، مستصوب المذهب عند أهل المعرفة والانتقاد ،
يوافقه في اكثر ما يذهب اليها كبار العباد ، ولا يقدر في مذهبه غير
أهل الجهل والعناد ، فلا بد أن يحكي عنه معتقده على وجهه بالامانة ، ليطلع
حاله في صحة عقيدته في الديانة ، فاسمع ما ذكره في كتاب الابانة ، فانه
قال « الحمد لله الواحد ، العزيز الماجد ، المتفرد بالتوحيد ، المتمجد
بالتمجيد ، الذي لا تبلغه صفات العبيد ، وليس له مثل ولا نديد » فرد في
خطبته على المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة . فمر فونا
قولكم^(١) الذي تقولون وديانتكم التي بها تدينون ؟ قيل له : قولنا الذي
به نقول ، وديانتنا التي بها ندين ، التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله
عليه وسلم ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك
معتصمون ، وبما كان عليه أحمد بن حنبل نضر الله وجهه قائلون ، ولمن
خالف قوله مجانبون ، لانه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل ، الذي أبان
الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح به المنهاج . وقع به المبتدعين . فرحمه
الله من امام مقدم . وكبير مفهم . وعلى جميع أئمة المسلمين . وجلة قولنا أن
نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله . ورواه الثقات عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم . لا نرد من ذلك شيئاً . وأن الله اله واحد
فرد صمد لا اله غيره ، وأن محمدا عبده ورسوله . وأن الجنة والنار حق .
وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور . وأن الله
تعالى مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وأن له
وجهاً كما قال (ويبقى وجه ربك) وأنه له يدين كما قال (بل يده
مبسوطتان) وأن له عينين بلا كيف كما قال (تجري بأعيننا) وأن من زعم
أن اسم الله غيره كان ضالاً . وندين أن الله يرى بالابصار يوم القيامة
كما يرى القمر ليلة البدر . يراه المؤمنون — إلى أن قال : وندين بأنه
يقلب القلوب وأن القلوب بين أصبعين من أصابعه . وأنه يضع السموات
والأرض على أصبع كما جاء في الحديث — إلى أن قال : وأنه يقرب من
خلقه كيف شاء كما قال (ونحن أقرب إليه من جبل الوريد) وكما قال (ثم
دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) ونرى مفارقة كل دأية إلى بدعة .
ومجانبة أهل الأهواء . وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقي باباً باباً
وشيثاً شيئاً .

ثم قال ابن عساكر : فتأملوا رحمكم الله هذا الاعتقاد ما أوضحه وأبينه !
واعترفوا بفضل هذا الإمام الذي شرحه وبينه . وقال الحافظ بن عساكر :
وقال الإمام أبو الحسن في كتابه الذي سماه « العمدة في الرؤية » :
« ألفنا كتاباً كبيراً في الصفات تكلمنا فيه على أصناف المعتزلة والجهمية ، فيه
فنون كثيرة من الصفات في إثبات الوجه واليدين وفي استوائه على العرش
كان أبو الحسن أولاً معتزلياً أخذ عن أبي علي الجبائي . ثم نابذه ورد
عليه وصار متكهما للسنة . ووافق أئمة الحديث في جمهور ما يقولونه ، وهو

ما سقناه عنه من أنه نقل اجماعهم على ذلك وأنه موافقهم . وكان يتوقد
ذكاء . أخذ علم الأثر عن الحافظ زكريا الساجي وتوفي سنة أربع وعشرين
وثلاثمائة وله أربع وستون سنة ، رحمه الله تعالى
فلو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن هذه ولزموها
لأحسنوا ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء ومشوا
خلف المنطق ، فلا قوة إلا بالله

﴿ ابن أبي زيد ﴾

قال الامام أبو محمد بن أبي زيد المغربي شيخ المالكية في أول رسالته
المشهورة في مذهب مالك الامام : وأنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته ،
وأنه في كل مكان بعلمه . وقد تقدم مثل هذه العبارة عن أبي جعفر بن أبي
شيبه وعثمان بن سعيد الدارمي . وكذلك أطلقها يحيى بن عمار وأعظم
سجستان في رسالته ، والحافظ أبو نصر الواثلي السجزي في كتاب الإبانة
له . فانه قال : وأئمتنا كاثوري ومالك والحمادان وابن عينة وابن المبارك
والفضيل وأحمد وإسحاق متفقون على أن الله فوق العرش بذاته ، وأن
علمه بكل مكان . وكذلك أطلقها ابن عبد البر كما سيأتي . وكذا عبارة
شيخ الاسلام أبي اسماعيل الانصاري ، فانه قال : وفي أخبار شتى أن
الله في السماء السابعة على العرش بنفسه ، وكذا قال أبو الحسن الكرجي
الشافعي في تلك القصيدة :

عقائدكم أن الإله بذاته على عرشه مع علمه بالفواث

وعلى هذه القصيدة مكتوب بخط العلامة تقي الدين ابن الصلاح :

هذه عقيدة أهل السنة وأصحاب الحديث

وكذا أطلق هذه اللفظة أحمد بن ثابت الطريقي الحافظ والشيخ عبد
القادر الجيلي ، والمفتي عبد العزيز القحيطي وطائفة . والله تعالى خالق كل
شيء بذاته ، ومدير الخلاق بذاته ، بلامعين ولا موازر . وإنما أراد ابن
أبي زيد وغيره التفرقة بين كونه تعالى معنا وبين كونه تعالى فوق العرش ،
فهو كما قال ومعنا بالعلم وأنه على العرش كما أعلمنا حيث يقول (الرحمن على
العرش استوى) وقد تلفظ بالكلمة المذكورة جماعة من العلماء كما قدمناه .

وبلا ريب أن فضول الكلام ، تركه من حسن الاسلام
وكان ابن أبي زيد من العلماء العالمين بالمغرب ، وكان يلقب بمالك
الصغير ، وكان غاية في علم الاصول . وقد ذكره الحافظ ابن عساكر في
كتاب « تبين كذب المفترى » فيما نسب الى الاشعري » ولم يذكره
وفاته . توفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، وقيل سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ،
وقد نقموا عليه في قوله بذاته فليته تركها (١)

(١) لله در المؤلف ما الطف تقدمه وانكاره لهذه الكلمة . وإنما تلتطف هذا
التلطف لأن الهفوة من بعض علماء الاثر وأنصار مذهب السلف ، ولها قالها أحد
المعتزلة لشنع عليه بأنه قال في أصول العقيدة ما لم يقله أحد من السلف ولا ورد به
أثر ، ولا هو مما ثبت بالبرهان العقلي أيضاً . ولكثير من الاثريين مثل هذه
القفوات والشدوذ . يحشرون آراءهم في النصوص ويفسرونها بها مع ادعائهم اتباع
مذهب السلف وأنه التفويض والامسالة عن تعيين المراد من آيات الصفات
وأحاديثها . ونرى كثيراً من الناس يقبل منهم ذلك ويقول به ويعدوا اتباعاً للسلف
ولو بمعنى مخالفة الجهمية . ولا يستغرب مع هذا تسليمهم وقبولهم بعض الروايات
المنكرة المخالفة للاحاديث الصحيحة كقول مجاهد أن الله تعالى يقعد النبي معه على
العرش . كأن من قبله اكتفى بأن يخالف الجهمية في عدم قبول مثله وأن صحح الا
بالتأويل . وقد تقدم بيان المصنف لنكارته ومخالفته للاحاديث الصحيحة مع ذكر
من قبله ، ونقل آنفاع الدارقطني أنه لا يجحد!! على أن العقائد يطلب فيها القطع ،
وهذا لم يصل الى مرتبة الظن . وهناك مخالفة أخرى لطريقة السلف ينسبها الغزالي =

باب امراسلة والمناظرة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم
من انصاري الى الله

يا اخواني المسلمين ! رحمكم الله وحماكم ، وحفظكم ونجاكم ، ان بعض سكان بلادكم المحروسة قد سمع حالاتي وعرفها ، واني ارى ان اذكر لكم مما انا عليه لزيادة المعرفة — اني جئت من الهند من مدة تزيد على سنة ونصف الى لندرة ، واطلعت على حالات اهلها في صولهم على ديننا الحق ، تكدرت جداً لانهم يقدمونه بين يدي الناس بوجوه ردية لينفروهم عن القرب اليه ، وذلك بنقلهم الى البغث سمينه — والى السكدر معينه — والى الظلمات نوره — والى الاخرية قصوره . فهذه بليّة عظي على ديننا الاسلام ما سمع نظيرها من قبل . وما وجد مثلها في الاولين . فلما رأيت ذلك عزمت على أن اشمر الذيل لاشاعة الدين القويم ، واعلاء كلمة الحق ، وما التوفيق الا بالله — فالحمد لله ثم الحمد لله ، ما انصرفت سنة كاملة الا ورأيت التوجه الى ديننا الاسلام . وذلك فضل الله — ان الله على كل شيء قدير — فانكم قد سمعتم دخول لورد هيدلي في الاسلام ، وغيره أيضاً من الرجال

في « إجماع العوام عن علم الكلام » وهي جمع معاني الآيات والاحاديث الواردة في الصفات بترتيب لم يرد في الكتاب والسنة بحيث يفيد الجمع معنى غير معنى الايمان بكل منها مع التنزيه عن الكيفية : كأن تلقن العامي عقيدته بمثل قولك : يجب أن تؤمن بأن الله تعالى وجهها وعينين ويدين وقدمين وانه ينزل ويمشي ويهرول ويضحك . فان هذا يحدث في خيال العامي صورة حسية لعله لا يزيلها منه قولك وانه لا يشبه في ذلك البشر ولا غيرهم من الخلق . ومذهب السلف ان يذكر ماورد في السياق الذي ورد فيه ، مع اعتقاد التنزيه وتقي التشبيه ، وترك التأويل ، والقال والتفيل

والنساء من الأمراء المشهورين، مثل [واي كونت] وابن الأمير الروسي (بوركويت) الذي تزوج ابنة الملك (اغني من أقارب خديو مصر) المسماة صاحبة، فقد أسلم على يدي والحمد لله على ذلك، فالآن عدد الذين هم دخلوا في الإسلام ثلاثون شخصاً، وذلك من فضل الله تعالى. وإن شاء الله تعالى يدخلون في ديننا الإسلام جمّة كثيرة، لانه دين الفطرة السليمة — وليس المقصود التام بدخول بعض النصارى في الإسلام، بل المقصود التام قمع الشبهات، ورفع الاغلوطات، التي نحتوها أعداء الدين. ولذلك اجريت المجلة المسماة (إسلامك ريويو) والحمد لله تعالى قد قبلت بأحسن وجه، وسلمت طاقتها عند أولي البصائر

ولكن ينادني إني وحيد فريد — وإن تبليغ الإسلام، واشاعته بين الخواص والعوام، فرض واجب على كل مسلم ومسلمة. قال الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) فلا بد من أهل المهم العالية السنية من اخواني المسلمين ان يوازروني ويمدوني بحصة من أموالهم لحصول الاجر والثواب في اشاعة ديننا الاسلام. وذلك ازدياد طبع مجلة (اسلامك ريويو) واشاعتها مجاناً في جميع الاطراف، فتكون فائدة تامة ان شاء الله تعالى.

ثم ترجمنا القرآن الكريم بلسان الانكليزي بأحسن وجه، ونريد طبعه واشاعته أيضاً، وأما التراجم التي طبعت فانها محشوة من الاغلوطات^(١) لانها ترجمة المخالفين، وقد فعلوا ما فعلوا — فإيا اخواني لا بد من طبع ترجمتها واشاعتها مع الأصل وتلك لا تكون الا ببذل المال الجزيل — وانكم مسلمون وقد بايعتم الله على أن لكم الجنة بأموالكم وأنفسكم. قال الله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) وأيضاً ان الاسلام قد شاع أولاً في بلدانكم المحروسة فلها شرفية على سائر البلدان. ولذلك نرجو الاعانة منكم في ارسال حصة من أموالكم لأجل اشاعة القرآن الكريم، وإشاعة (إسلامك ريويو) قال الله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) وقال (يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم)

(١) الاغلوطات المسائل التي يغلط فيها الناس أو يغالط بها بعضهم بعضاً. ولا ندري أيريد هذا أم يريد جمع الغلط

وقال سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم « من كان في عون اخيه كان الله في عونه »
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
خادم الاسلام والمسلمين
(خواجا كمال الدين مدير اسلامك ريو يو)

[المنار]

نحض من بلغته هذه الدعوة على مساعدة اخينا صاحب هذه المجلة الاسلامية الانكليزية على ايداع اصدارها . وننصح له بأن لا يطبع ترجمة القرآن التي نوه بها الا بعد عرضها على جماعة من كبار العلماء في مصر أو الهند واجازتهم اياها . فان رسالته هذه تدل على ضعفه في اللغة العربية فيخشى ان تكون ترجمته كثيرة الغلط كغيرها . على ان ترجمة القرآن ترجمة تامة تؤدي من المعاني والتأثير ما تؤديه عبارته العربية ضرب من المحال . وحسب من يترجم القرآن للاجانب ان يأتيهم بتفسير مختصر سليم من الحشو وانما تقوم بذلك الجمعيات لا الافراد .

(بسم الله الهادي الى الحق)

الدين النصيحة

الى اخوتي المسلمين . انني قد ولدت ونشأت مسلماً ودرست القرآن وتفسيره مع العلوم الاسلامية على اعظم علماء سورية ومصر ورأيت القرآن يشهد بأنه جاء مصدقاً للتوراة والانجيل ومهيماً عليهما اي حافظاً لهما من التغير والتحريف لكن لدى دراستي للتوراة والانجيل رأيت القرآن يخالفهما في حقائق كثيرة لاسيما مخالفته لهما في مسألة الكفارة والفداء التي هي خلاصة الكتاب المقدس . مع أن القرآن قد تكلم عن قربان منذ زمن آدم وقد أثبتت السنة القربان في عيد الاضحى مع أن جميع القرايين والذبايح التي كانت تقدم في العهد القديم كلها رمز وإشارة الى الذبيحة الحقيقية (المسيح) الذي قدم نفسه قرباناً فدية عن الخطائين الذين يؤمنون به والا فكيف يعقل أن حيواناً أبكم يكون فداء عن إنسان عاقل إذ لا بد أن يكون الفداء على الأقل معادلاً للمفتدي ان لم يكن الفداء آمن منه يأبها الاخوة تبصروا في هذا الامر المهم الذي يتوقف عليه خلاص نفوسكم من الهلاك الأبدى واعلموا

أن كاتب هذه الرسالة هو من سلالة نبيكم ونشأ مساماً وانسكن الله قد أنار بصيرته حتى رأى الحق صريحاً وذلك أن الكتاب المقدس هو كلمته وكتابه الوحيد لم يعتره تغيير ولا تحريف وأنه لا يمكن لأحد من البشر أن يتخلص من الهلاك الأبدى إلا بواسطة كلمة الله المتجسد في أحشاء مريم وقد اتبعته وآمنت به واعتمدت باسمه تاركاً دين آبائي وأملاكي وأفاربي وأصدقائي لأجل أن أتخلص من الهلاك الأبدى والآن أدعوكم وأنصحكم بإخلاص ومحبة أخوية لتقرأوا كتاب الله تاركين كل تحزب وتعصب إذ الدين بالاستدلال لا بالارث عن الآباء وحينئذ قلل الله نفسه بهديكم إلى الصراط المستقيم الذي تطلبونه منه كل يوم صرات عديدة وإذا صعب فهم شيء من الكتاب المقدس على أحدكم فعليه بسؤال الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وهم ينجيئونكم عن كل ما ترومونه والله القادر يرشدكم إلى طريق الحق والحياة بنعمته وهدايته آمين

[المنار]

جاءتنا هذه الرسالة في البريد بامضاء متنصر سمي نفسه باسمين ، أواسم جعل نفسه به عبداً للإلهين ، وهو (عبد الله ، عبد القادي) ونحن لا نناقشه فيما ادعاه من النسب . ولا من ترك النسب ، فأما دعواه دراسة التفسير والعلوم الإسلامية فلا يبعد أن يكون لها أصل ، لأن كثيراً من الناس يزاول دراسة بعض الكتب عدة سنين ولا يفهم منها شيئاً . ويجوز أن لا يكون له أصل ، ويترجح إذا كان الرجل صحيح الفهم ، لأن من يدرس التفسير وعلوم الإسلام ، لا يمكن أن يثبت مسألة الفداء الأخرى التي صرح بنفيها القرآن ، ويستدل عليها بالاضحية والقربان ، فالقرآن إنما شرع لنا الفدية في الدنيا فقط ، كفدية الصيام لمن يطيقه بمشقة شديدة لهرم أو داء عضال وهي أن يطعم عن كل يوم مسكيناً ، وفدية محرمات الأحرام قال تعالى (ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) وفداء الأسير ، ويفدى الأسير بمثله أو بمال كما هو المتبع عند جميع الأمم . وأما النجاة في الآخرة فإلما تكون بالإيمان الصحيح والعمل الصالح كما هو منصوص في الآيات الكثيرة ، ولا يمكن أن تكون بالفداء . قال الله تعالى (هـ) الذين كفروا لو أن لهم في الأرض جميعاً ومثلاً معه ليفتدوا به من عذاب يوم

القيامة ما تُقبل منهم ولهم عذاب مقيم) وقال تعالى في شأن يوم القيامة (٢ : ١٢٣) واتقوا يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعاة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) والعدل هنا الفدية وهو بمعنى المعادل وأما حكمة الاضحية وما في معناها من النسيك فهي التوسعة على الفقراء ومساواتهم بالاغنياء في خير اطعمتهم وألذها. قال تعالى (ان ينال الله لحوماً ولو لا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم)

فمن عرف هذه الضروريات من الاسلام يحزم بأن صاحب هذه النشرة إما كاذب في دعواه انه كان مسلماً وأنه قرأ شيئاً من علم الاسلام ، وإما انه قرأ شيئاً وهو يعتمد اليوم تحريفه وتبديله ، ويريد ان يغش عوام المسلمين به كما يفعل امثاله واقتاله . فعليه ان ينصح نفسه قبل ان ينصح غيره ، وان يعلم ان الدنيا لا تنفي عن الآخرة التي لا تنفعه فيها فدية فادولاً شفاعاة شافع ، إلا أن يؤمن بالله وحده ، ويزكي نفسه بالعمل الصالح (فما تنفعهم شفاعاة الشافعين . فما لهم عن التذكرة معرضين) ان التحريف صار صنعة لدعاة النصرانية حتى ان من يلتصق بهم لأمر ما لا يلبث ان يتقن صنعتهم ، ولهذا نرى صاحب هذه الرسالة حرف ماورد من الفدية في القرآن عن موضعه ، ووضع له معنى طالما صرح القرآن ببطلانه ، كما حرف معنى قوله تعالى « ومهيمنا عليه » ومعناه ان القرآن رقيب على ما قبله من الكتب الالهية يظهر ما حرف منها ويفضح أصحابه ، فجعله بمعنى منع الناس من تحريفه بالفعل لا باظهار تحريفهم ، وكيف يكون مانعاً من شيء وقع قبل نزوله ؟ ولا يبعد ان يدعي في رسالة أخرى ان القرآن يثبت التثليث ، وينهى عن التوحيد !! ألم تر انه ادعى أن خلاصة الكتاب المقدس — أي ما يعزى الى انبياء بني اسرائيل من وحي وغيره — لا تخرج عن معنى الكفارة والفداء؟ وهذه دعوى افتجرها القوم الذين التصق بهم ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا خطرت على بل أحد من الانبياء ولا ممن عاصروهم أو جاء بعدهم من الاحبار ، وقد بينا من قبل أصلها وما أخذها فلا حاجة الى اعادته هنا .

وأعجب من هذا وذلك أن مثل هذا الرجل يذكّر كلمة « الدين بالاستدلال » فيالله العجب من تهافت نوع الانسان !!

(جيوش الدول المتحاربة)

انشأ المقطع مقالا مطولا عنوانه (الجيوش المتحاربة — تأليفها وعدددها في زمن السلم والحرب) قال في الفصل الذي تكلم فيه عن الجيش الألماني (في عدد الجمعة ٧ أغسطس ١٥ رمضان) بعد تفصيل :

« فيكون مجموع الجيش الألماني كله في زمن الحرب خمسة ملايين ومئة وخمسين ألف جندي . ولكن الثقات الحربيين لا يظنون أن ألمانيا تستطيع رصد هذا العدد من الجنود للحرب ويرجعون أنها لا تقوى على رصد أكثر من ١٥٠٠٠٠٠ رء — ٥٠٠٠٠ رء جندي على أكبر تقدير » وقال في آخرها : « ويقول الثقات العسكريون الذين شهدوا مناورات الجيش الألماني ان الفنون الحربية والحركات العسكرية المتبعة فيه صارت قديمة (!) وان رجال المدفعية في الجيش الفرنسي أمهر في الرماية منهم في الجيش الألماني . ولكن كلا الجيشين متساويان في سرعة التعبئة . فان الجيش الألماني يعبأ كله في تسعة أيام ويوضع على حدود روسيا أو على حدود فرنسا »

وقال في آخر الفصل الذي عقده لجيش فرنسا (في عدد السبت ٨ أغسطس) « ويبلغ عدد الجيش الفرنسي في زمن الحرب نحو أربعة ملايين جندي وفيه نحو ثلاثة آلاف مدفع . والجندي الفرنسي مشهور باقدامه وكره وحماسته وشجاعته ومقدرته على تحمل المشاق وقوة الابتكار الفائقة . ورجال المدفعية الفرنسيون احسن رجال المدفوعات في العالم في الرماية وهم متمرنون عليها ولا سيما على اطلاق المدافع السريعة تمرنا لامثيل له في الجيوش الاوربية . وموضع الضعف في الجيش الفرنسي هو في مدفعيته الكبيرة

« وتم تعبئته الجيش الفرنسي في ثمانية أيام و ١٢ ساعة ، أي انه يعبأ اسرع من الجيش الألماني باثنتي عشرة ساعة

« وسلاح الجنود بندقية لبل من عيار ١٣ ، وهي طراز قديم قليلا ولكنها أحدث من بندقية موزر المستعملة في الجيش الألماني . اما مدافع الميدان فمن التي

قطر فوهتها ثلاث بوصات وهي أحدث من مدافع الميدان في الجيش الألماني أيضا» (١)
وقال في أواخر الفصل الذي عقد للجيش الروسي « اما قوته في زمن الحرب
فلا حد لها وإنما يقال انها تبلغ سبعة ملايين ونصف مليون جندي ، فهو أضخم
جيوش الأرض وأكبرها كلها »

ثم ذكر ان تعبته تستغرق نحو ثلاثة أسابيع وان هذا وضع الضعف فيه .
وقال في الفصل الذي عقد للجيش الانكليزي ان جملته في زمن السلم في الامبراطورية
كلها ٨١٠٨٤٩ وكان في العام الماضي ٩٩١ ر ٧٢٩ « ثم ذكر انه سيزاد حتى يبلغ
مليوناً ونصف مليون

(برقيات الحرب ملخصة من المقطم)

(استعداد الدول الكبرى)

(من لندن ٣١ يوليو) طلبت الحكومة الألمانية من الحكومة الروسية ان
تكف عن تعبته الجيوش والا فانها تشرع في التعبئة مقابلة لها بالمثل
والظاهر ان روسية مصممة على التدرع بالحزم ووقوف موقف صحيح العزيمة
في المشكلة الحالية

تظن دوائر برلين السياسية ان الحكومة الألمانية تشرع في التعبئة اليوم
(الجمعة) والاستعداد في فرنسا وانكاثرة قائم على ساق وقدم والهمة مبذولة لاعداد
كل ما يستطاع بأسرع ما يستطاع

(١ أغسطس) أصدر قيصر روسية أمره بجعل تعبته الجيوش عامة في جميع
انحاء الامبراطورية الروسية ، وكانت (من قبل) مقتصرة على خمسين ولاية منها
وقد أجابت ألمانيا على هذا الأمر باعلان الحكم العرفي في جميع انحاء
الامبراطورية الألمانية . وينتظر ان يسري الحكم العرفي بعد التعبئة يوم السبت (اليوم)
وقد شرعت كل من ألمانيا وفرنسة وروسية في إرسال الفيالق الى الحدود من قبيل
الاستعداد والاحتياط أما الاحتياطات التي تتخذ في بريطانيا العظمى فمن أعظم ما يكون .

(١) في برقية من لندن للمقمطم الذي صدر في ١٤ أغسطس مانصبه : اعلان ولاية
الامور رسميا هنا ان مدافع الميدان الألمانية من طبقة واطئة جدا

(اعلان الحرب و بدءها)

(لندن - ٢ أغسطس) أعلنت وكالة ان تلغرافا رسميا وصل الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم وفيه ان الالمانيين غزوا فرنسا واجتازوا الحدود عند سيري (بلدة على الحدود قرب ستراسبورج)

(برلين - ٢ منه) غزا جيش روسي بمدافعه وفرسانه من القوزاق بلاد ألمانيا بقرب ببالا (لندن ٢ أغسطس) رسمي : أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا . وقد برح كل من سفير روسيا في برلين وسفير ألمانيا في بطرسبرج مقر وظيفته

وقد شرعت الحكومة الفرنسية في تعبئة جيشها استعدادا للحرب وكانت ألمانيا قبل ذلك قد أرسلت امس (السبت) بلاغا نهائيا الى روسيا وفرنسا وأعطتهما مهلة اثنتي عشرة ساعة الاجابة عليه ، فكان جواب روسيا وفرنسا عليه جوابا غير مرضي . وشاع بعد ارسال ألمانيا لبلاغها النهائي انها مدت هذه المهلة حتى ظهر يوم الاثنين وتوسط ملك الانكليز في الامر فأرسل تلغرافين لقيصر روسيا وامبراطور ألمانيا ولكن كل المساعي ذهبت ادراج الرياح فيما يظهر

(لندن ٤ منه) برح السفير الألماني باريس في الليلة البارحة قم بذلك قطع العلاقات السياسية تماما بين الدولتين

استولى الالمانيون على ثلاث مدن وثلاث جزائر روسية في بحر البلطيك (لندن ٥ منه) رسمي : أعلنت انكلترا الحرب على ألمانيا الساعة السابعة من امس . (بناء على عدم احترام ألمانيا حياد بلجيكة)

(برلين ٥ منه) أعلنت ألمانيا الحرب على انكلترا (وبدأت الحرب بينهما وبين بلجيكة) لندن ٧ منه أعلنت النمسا الحرب رسميا على روسيا لندن ١٣ منه أعلنت انكلترا الحرب في منتصف هذا الليل على النمسا والمجر

﴿ منع المنار من السودان ﴾

أمرت حكومة السودان بمصادرة مجلة المنار واحراق نسخها ، وما أذرتنا ولا أخبرتنا ، بل علمنا ذلك من بعض المشتركين . وكان ذلك في غيبة الحاكم العام فلما عاد من أوروبا بعد وقوع الحرب شكونا اليه ذلك ، وطالبناه باسم الحرية الدينية التي امتاز بالعناية باحترامها انصافنا ولعله يفعل عن قريب

أولئك الذين هداهم الله فليتبسوا
بالحكمة من يشاء ومن يتبعون
أولئك الذين هداهم الله فليتبسوا
بالحكمة من يشاء ومن يتبعون

المكتبة

١٣١٥

أولئك الذين هداهم الله فليتبسوا
بالحكمة من يشاء ومن يتبعون
أولئك الذين هداهم الله فليتبسوا
بالحكمة من يشاء ومن يتبعون

قال عليه الصلاة والسلام: إذا كان يوم القيوم، وكان الطريق

مصر سلخ ذي القعدة ١٣٣٢ هـ ق ٣٠ الحريف الثاني ١٢٩٣ هـ ش ١٩ أكتوبر ١٩١٤

صفات الباري تعالى

تحقيق الحق في مذاهب السلف واختلاف الخلف فيها

فتوى للإمام الشوكاني رحمه الله تعالى

اعلم ان الكلام في الآيات والاحاديث الواردة في الصفات قد طالت ذبوله،
وتشعبت أطرافه، وتباينت فيه المذاهب، وتفاوتت فيه الطرائق، وتخالفت النحل.
وسبب هذا عدم وقوف المنتسبين الى العلم حيث أوقفهم الله، ودخولهم في أبواب لم
يأذن الله لهم بدخولها، ومحاولتهم لعلم شيء استأثر الله بعلمه، حتى تفرقوا فرقاء وتشعبوا
شعباء، وصاروا أحزاباً، وكانوا في البداية ومحاوله الوصول الى ما يتصورونه من العامة
مختلفي المقاصد متبايني المطالب

فطائفة وهي أخف هذه الطوائف المتكافئة علم ما لم يكلفها الله سبحانه بعلمه أسماء،
وأقلها عقوبة وجرمًا، وهي التي أرادت الوصول الى الحق والوقوف على الصواب،
لكن سلك في طلبه طريقة متوعدة، وصعدت في الكشف عنه الى عقبة كؤود،
لا يرجع من سلكها سالماً فضلاً عن أن يظهر فيها بمطلوب صحيح. ومع هذا أصحوا
أصولاً ظنوها حقاً، فدفنوا بها آيات قرآنية، وأحاديث صحيحة نبوية، واعتلوا في
ذلك الدفع بشبهة واهية، وحالات مختلفة

وهؤلاء هم طائفتان الطائفة الأولى هي الطائفة التي غلت في التنزيه فوصلت
الى حد يقصر عنده الجلد، ويضطرب له القلب، من تعطيل الصفات الثابتة
بالكتاب والسنة ثبوتاً أوضح من شمس النهار، وأظهر من فلق الصباح، وظنوا هذا
من صديعهم موافقاً للحق. وطابقوا ما يريد الله سبحانه، فضاوا الطريق المستقيمة
وأضلوا من رام سلوكها.

والطائفة الأخرى هي طائفة التي غلت في إثبات القدرة غلوا بلغ الى حد أنه
لا تأثير لهم، ولا اعتبار، وأفضى ذلك الى الجبر المحض. والقصر الخالص

فلم يبق لبعثة الرسل وانزال الكتب كبير فائدة، ولا يعود ذلك على عباده بمائدة؛ وجاؤا بتأويلات للآيات البينات، ومحاولات لحجج الله الواضحات، فكانوا كاطائفة الاولى في الضلال والاضلال، مع ان كلا المقصدين صحيح، ووجه كل منهما صحيح، لولا ما شانه من الغلو القبيح.

وطائفة توسطت^(١) ورامت الجمع بين الضب والنون، وظنت انها قد وقفت بمكان بين الافراط والتفريط، ثم أخذت كل طائفة من هذه الطوائف الثلاث تجادل وتناضل وتحقق وتدقق في زعمها، وتجول على الاخرى وتصول بما ظفرت به مما يوافق مذهبها اليه، وكل حزب بما لديهم فرحون، وعند الله تلتقي الخصوم

ومع هذا فهم متفقون فيما بينهم على أن طريق السلف أسلم، ولكن زعموا أن طريق الخلف أعلم، فكان غاية ما ظفروا به من هذه الأعلمية بطريق الخلف ان تمنى محققهم وأذكياؤهم في آخر أمرهم دين العجائز، وقالوا هنياً للعامة؛ فتدبر هذه الأعلمية التي كان حاصلها أن يهنا من ظفر لاهل الجهل (؟) البسيط، ويتمنى أنه في عدادهم، ومن تدين بدينهم، ويمشي على طريقته. فان هذا ينادي بأعلى صوت ويدل بأوضح دلالة على أن هذه الأعلمية التي طلبوها الجهل خير منها بكثير، فما ظنك بعلم يقر صاحبه على نفسه ان الجهل خير منه، ويتمنى عند الباطل الى غايته، والوصول الى نهايته، ان يكون جاهلاً به، عاطلاً عنه؟ ففي هذا عبرة للمعتبرين، وآية بينة للناظرين، فهلا عملوا على جهل هذا المعارف التي دخلوا فيها باديء بدء، وساءوا من تبعاتها، وأراحوا أنفسهم من تعبها، وقالوا كما قال القائل :

رأى الامر يفضي الى آخر فصير آخره أولاً

ورجوا الخلو من هذا التمني والسلامة من هذه التهنئة للعامة؛ فان العاقل لا يتمنى رتبة مثل رتبته أو دونها، ولا يهني لمن هو مثله أو دونه، بل لا يكون ذلك الا لمن رتبته أرفع من رتبته، ومكانه أعلى من مكانه، فيالله العجب من علم يكون الجهل البسيط أعلى رتبة منه، وأفضل مقدارا بالنسبة اليه؛ وهل سمع السامعون بمثله هذه الفرية أو نقل الناقلون ما يماثلها أو يشابهها

(١) هي فرقة الاشعرية التي توسطت بين المعتزلة والجبرية السابق ذكرها

وإذا كان حال هذه الطائفة^(١) التي قد عرفناك أنها أخف الطوائف تكلفا، وأقلها تبعة فما ظنك بما عداها من الطوائف التي قد ظهر فساد مقاصدها، وتبين بطلان مواردها ومصادرها، كالطوائف التي أرادت بالمظاهر التي تظاهرت به كياد الاسلام وأهله، والسعي في التشكيك فيه، بإيراد الشبه وتقرير الأمور المفضية الى التمدح في الدين وتنفيذ أهله عنه^(٢)

وعند هذا تعلم ان خير الأمور السالفات على الهدى، وشر الأمور المحدثات البدائع^(٣)، وان الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة، هو ما كان عليه خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وقد كانوا رحمهم الله تعالى وأرشدنا إلى الاقتداء بهم، والاهتداء بهديهم، يمرون آيات الصفات على ظاهرها، ولا يتكلفون علم ما لا يعلمون، ولا يحرفون ولا يؤولون، وهذا المعلوم من أقوالهم وأفعالهم، والمتقرر من مذاهبتهم، لا يشك فيه شك، ولا ينكره منكر، ولا يجادل فيه مجادل، وان نزغ من بينهم تازغ، أو نجم في عصرهم ناجم، أوضحوا للناس أمره، ويبنوا لهم أنه على ضلالة، وصرحوا بذلك في الجامع والمحافل، وحذروا الناس من بدعته، كما كان منهم لما ظهر معبد الجهني وأصحابه وقالوا «ان الأمر أنف»^(٤) فبرؤا منه، ويبنوا ضلالاته وبطلان عقائده للناس، فحذوره، الا من ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة

وهكذا كان من بعدهم يوضح للناس بطلان أقوال أهل الضلال ويحذرهم منها، كما فعله التابعون رحمهم الله بالجمع بن درهم ومن قال بقوله واتحل نحلته الباطلة^(٥)

ثم ما زالوا هكذا لا يستطيع المتدع في الصفات ان يتظاهر بدعته، بل

(١) الاشعرية (٢) هذا وصف طوائف الباطنية كالاسماعيلية والبايية

(٣) هذا بيت شعر أوله : وخير الأمور ان لا تجعله نثرا

(٤) أنف بضمين أي مستأنف جديد، يعني أن أفعال الباري تعالى ليست

بقدر سابق، ولا نظام اقتضته الحكمة، وإنما يتبدى كل فعل ابتداء، وهم القدرية أي منكرو القدر

(٥) هم الجهمية منكرو الصفات الالهية

يتكتمون بها كما يتكتم الزنادقة بكفرهم. وهكذا سائر المبتدعين في الدين على اختلاف البدع وتفاوت المقالات الباطلة

ولكننا تقتصر ههنا على الكلام في هذه المسئلة التي ورد السؤال عنها وهي مسئلة الصفات وما كان من المتكافين علم ما لم يأذن الله بأن يعلموه، وبيان ان اصرار آيات الصفات على ظاهرها هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وان كل من اراد من نزاع المتكافين، وشذاذ المحرفين المتأولين، أن يظهر ما يخالف المرور على ذلك الظاهر، قاموا عليه وحذروا الناس منه. وينبوا لهم انه على خلاف ما عليه اهل الاسلام

فصار المبتدعون في الصفات، القائلون بأقوال تخالف ما عليه السواد الاعظم من الصحابة والتابعين، وتابعيهم في خبايا وزوايا لا يتصل بهم الا مغرور، ولا يندفع بزخارف اقوالهم الا مخدوع، وهم مع ذلك على نخوف من اهل الاسلام، وترقب لتزول مكروه بهم من حماة الدين، من العلماء الهادين، والرؤساء والسلطين، حتى نجم نجم المحنة، وبرق بأرق الشر من جهة الدولة، ومن لهم في الامر والنهي والاصدار والايراد أعظم صولة. وذلك في الدولة المأمونية بسبب قاضيها أحمد بن أبي دواد. فعند ذلك أطلع المنكمشون في تلك الزوايا رؤوسهم، وانطلق ما كان قد خرس من ألسنتهم، وأعلنوا مذاهبهم الزائفة، وبدعهم المضلة، ودعوا الناس اليها، وجادلوا عنها، وناخلوا المخالفين لها، حتى اختلط المعروف بالمنكر، واشتبه على العامة الحق بالباطل، والسنة بالبدعة

ولما كان الله سبحانه قد تكفل باظهار دينه على الدين كله وحفظه عن التحريف والتغيير والتبديل، أوجد من علماء الكتاب والسنة لهم في كل عصر من العصور من يبين للناس دينهم، وينكر على أهل البدع بدعهم، فكان لهم - والله الحمد - المقامات المحموده، والمواقف المشهورة، في نصر الدين، وهتك المبتدعين

وبهذا الكلام القليل الذي ذكرناه نعرف أن مذهب السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم هو اصرار آيات الصفات على ظاهرها، من دون تحريف لها، ولا تأويل متعسف لشيء منها، ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل، يفضي اليه كثير من

(المنار - ج ١١ م ١٢) سيرة السلف وهدى المذاهب المبتدعة بعدهم ٨٢١

التأويل. وكانوا اذا سأل سائل عن شيء من الصفات تلوا عليه الدليل، وأمسكوا عن القول والقييل، وقالوا قال الله هكذا ولا ندري بما سوى ذلك، ولا تتكلف ولا تتكلم بما لم نعلمه ولا أذن الله لنا بمجاوزته، فان أراد السائل أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجروه عن الخوض فيما لا يعنيه، ونهوه عن طلب مالا يمكن الوصول اليه، الا بالوقوع في بدعة من البدع التي هي غير ما هم عليه. وما حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحفظه التابعون عن الصحابة، وحفظه من بعد التابعين عن التابعين.

وكان في هذه القرون الفاضلة، الكلمة في الصفات متحدة، والطريقة لهم جميعا متفقة، وكان اشتغالهم بما أمرهم الله بالاشتغال به، وكلفهم القيام بفرائضه، من الايمان بالله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصيام والحج والجهاد، وانفاق الاموال في أنواع البر، وطلب العلم النافع، وارشاد الناس الى الخير على اختلاف أنواعه، والمحافظة على موجبات الفوز بالجنة والنجاة من النار، والقيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاخذ على يد الظالم بحسب الاستطاعة، وبما تبلغ اليه القدرة، ولم يشتغلوا بغير ذلك مما لم يكلفهم الله بعلمه، ولا تعبدتهم بالوقوف على حقيقته، فكان الدين اذ ذاك صافيا عن كدر البدع، خالصا عن شوب التمدد.

فعلى هذا النمط كان الصحابة والتابعون وتابعوهم، ويهدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اهتدوا، وبافعاله وأقواله اقتدوا، فمن قال انهم تابسوا بشيء من هذه المذاهب الناشئة في الصفات أو غيرها، فقد أعظم عليهم الفرية، وليس بمقبول في ذلك، فان نقول الائمة المطلقين على أحوالهم العارفين بها الآخذين لها عن الثقات الاثبات، ترد عليه وعليهم وتدفع في وجهه.

يعلم ذلك كل من له علم، ويعرفه كل عارف، فاشدد يدك على هذا. واعلم أنه مذهب خير القرون ثم الدين يلونهم ثم الدين يلونهم، ودع عنك ما حدث من تلك التمددات في الصفات وأرجح نفسك من تلك العبارات التي جاء بها المتكلمون واصطلحوا عليها، وجعلوها أصلا يرد اليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فان وافقها

٨٢٢ جعل المذاهب أصولاً يرد إليها وبها الكتاب والسنة (المنار - ج ١١ م ١٧)

فقد وافق الأصول المقررة في زعمهم ، وإن خالفها فقد خالف الأصول المقررة في زعمهم ، ويجعلون الموافق لها من قسم المقبول والمحكم ، والمخالف لها من قسم المردود والمتشابه ؛ ولو جئت بألف آية واضحة الدلالة ظاهرة المعنى ، أو ألف حديث مما ثبت في الصحيح ، لم يبالوا به ولا رفعوا إليه رؤوسهم ، ولا عدوه شيئاً . ومن كان منكراً لهذا فعليه بكتب هذه الطوائف المصنفة في علم الكلام ، فإنه سيقف على الحقيقة ويسلم هذه الجملة ولا يتردد فيها

ومن العجب العجيب ، والنبأ الغريب ، أن تلك العبارات الصادرة عن جماعة من أهل الكلام ، التي جعلها من بعدهم أصولاً ، لا مستند لها إلا مجرد الدعوى على العقل ، والفرية على الفطرة ، وكل فرد من أفرادها تنازعت فيه عقولهم ، وتخالفت فيه ادراكتهم ، فهذا يقول حكم العقل في هذا كذا . وهذا يقول حكم العقل في هذا كذا . ثم يأتي بعدهم من يجعل ذلك الذي يعقله من يقلده ويقتدي به أصلاً يرجع إليه ، ومقياساً لكلام الله وكلام رسوله ، يقبل منهما ما وافقه ويرد ما خالفه . فيالله وياللمسلمين ! وياللعلماء الدين ! من هذه الفواقير الموحشة التي لم يصب الإسلام وأهله بمثلاً ؟ وأغرب من هذا وأعجب وأشنع وأفظع ، أنهم بعد أن جعلوا هذه التعقلات التي تعقلوها - على اختلافهم فيها ، وتناقضهم في معقولاتها - أصولاً ترد إليها أدلة الكتاب والسنة ، جعلوها أيضاً مقياساً لصفات الرب سبحانه ، فما تعقله هذا من صفات الله قال به جزماً ، وما تعقله خصمه منها قطع به . فأتبوا لله الشيء ، وتقيضه ، استدلالاً بما حكمت به في صفات الله عقولهم الفاسدة وتناقضت في شأنه ، ولم يلتفتوا إلى ما وصف الله به نفسه ، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، بل إن وجدوا ذلك موافقاً لما تعقلوه جعلوه مؤيداً له ومقوياً ، وقالوا قد ورد دليل السمع ، مطابقاً لدليل العقل ؛ وإن وجدوه مخالفًا لما تعقلوه جعلوه وارداً على خلاف الأصل ، ومتشابهاً وغير معقول المعنى ، ولا ظاهر الدلالة ، ثم قابلهم المخالف لهم بنقيض قولهم ، فافتري على عقله ، بأنه قد تعقل خلاف ما تعقله خصمه ، وجعل ذلك أصلاً يرد إليه أدلة الكتاب والسنة ، وجعل المتشابه عند أولئك محكماً عنده ، والمخالف لدليل العقل عندهم موافقاً له عنده فكان حاصل كلام هؤلاء ، أنهم يعلمون من صفات الله ما لا يعلمه ، وكفالك بهذا

وليس بعده شيء ، وعندده يتعثر القلم حياء من الله عز وجل
وربما استبعد هذا مستبعد ، واستكبره مستكبر ، وقال ان في كلامي هذا مبالغة
وتهويل ، وتشنيعا وتطويلا ، وان الامر ايسر من ان يكون حاصله هذا الحاصل الذي
ذكرت ، وثمرته مثل هذه الثمرة التي أشرت اليها . فأقول : * خذ جملة البلوى ودع
تفصيلها * واسمع ما يصك سمعك ، ولولا هذا الالحاح منك ما سمعته ولا جرى القلم بمثله
هذا أبو علي (١) وهو رأس من رؤوسهم ، وركن من أركانهم ، واسطوانة من
أساطينهم ، قد حكى عنه الكبار منهم ، وآخر من حكى ذلك عنه صاحب شرح
القلائد - يقول : والله لا يعلم الله من نفسه الا ما يعلم هو !! فخذ هذا التصريح ، حيث
لم تكتف بذلك التلويح ، وانظر هذه الجرأة على الله التي ليس بعدها جرأة ،
فيلا أم أبي الويل ! أينتهق بمثل هذا التهيق ، ويدخل نفسه في هذا المضيق ؟ وهل
سمع السامعون بيمين أئجر من هذا اليمين الملعونة ؟ أو تقل الناقلون كلمة تقارب معنى
هذه الكلمة المفتونة ؟ أو بلغ مفتخر الى ما بلغ اليه هذا المختال الفخور ؟ أو وصل من
يفجر في إيمانه الى ما يقارب هذا الفجور ؟ وكل عاقل يعلم أن أحدنا لو حلف ان ابنه
أو أباه لا يعلم من نفسه الا ما يعلمه هو لكان كاذبا في يمينه فاجرا فيها . لأن كل فرد
من أفراد الناس ينطوي على صفات وغلرائز لا يحب أن يطلع عليها غيره ، ويكره أن
يقف على شيء منها سواه . ومن ذا الذي يدري بما يحول في خاطر غيره ويستكن
في ضميره ؟ ومن ادعى علم ذلك وانه يعلم من غيره من بني آدم ما يعلمه ذلك الغير
من نفسه ، ولا يعلم ذلك الغير من نفسه الا ما لا يعلمه هذا المدعي ؟ فهو اما مصاب
العقل ، يهذي بما لا يدري ، ويتكلم بما لا يفهم ، أو كاذب شديد الكذب عظيم الاقتراء ،
فان هذا أمر لا يعلمه غير الله سبحانه ، فهو الذي يحول بين المرء وقلبه ، ويعلم ما توسوس به
نفسه ، وما يسر عبادده وما يعلنون ، وما يظهرون وما يكتُمون ، كما أخبرنا بذلك في كتابه

(١) يعني الجبائي . وانما جاء بالشاهد من قول الممتزلة لفظاعته ولأن أهل وطنه (البن)
من الزيدية لا يزالون يأخذون بأقوالهم . وما من فرقة من الفرق الا ولها شذوذ
في هذه المسائل ، حتى لم يسلم منه من سموا أنفسهم الأثرية أو الحنابلة ، فان منهم
من بالغ في الرد على غيره ، حتى قال ما لم يقله سلفه ، وكذلك الاشعرية الذين حاولوا
الجمع بين المأثور والمعقول

العزیز فی غیر موضع. فقد خاب وخسر من أثبت لنفسه من العلم ما لا يعلمه الا الله سبحانه من عباده، فما ظنك بمن تجاوز هذا وتعداه وأقسم بالله ان الله لا يعلم من نفسه الا ما يعلمه هو؟ ولا يصح لنا ان نحمله على اختلال العقل؟ فلو كان مجنوناً لم يكن رأساً يقتدي بقوله جماعات من أهل عصره ومن جاء بعده، وينقلون كلامه في الدفاتر، ويحكون عنه في مقامات الاختلاف

ولعل أتباع هذا ومن يقتدي بمذهبه لو قال لهم قائل وأورد عليهم مورد قول الله عز وجل (ولا يحيطون به علماً) - وقوله - ولا يحيطون بشيء من علمه لا بما شاء) وقال لهم هذا يرد ما قاله صاحبهم ويدل على أن يمينه هذه فاجرة مفترقة - لئلا : هذا ونحوه مما يدل دلالاته ويفيد مفاده من التشابه الوارد على خلاف دليل العقل المدفوع بالاصول المقررة

وبالجملة فاطالة ذبول الكلام في مثل هذا المقام إضاعة للاوقات ، واشتغال بحكاية الخرافات المبكيات لا المضحكات ؛ وليس مقصودنا ههنا الا ارشاد السائل الى أن المذهب الحق في الصفات هو إصرارها على ظاهرها من دون تأويل ولا تحريف ، ولا تكلف ولا تعسف ، ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل ، وان ذلك هو مذهب السلف الصالح الصحابة والتابعين وتابعيهم

فان قلت: وماذا تريد بالتعطيل في مثل هذه العبارات التي تكررها، فان أهل المذاهب الاسلامية يتنزهون عن ذلك ويتحاشون عنه، ولا يصدق معناه ويوجد مدلوله الا في طائفة من طوائف الكفار، وهم المنكرون للصانع (قلت) يا هذا ان كنت ممن له إلمام بعلم الكلام، الذي اصطلح عليه طوائف من أهل الاسلام فانه لا محالة قد رأيت ما يقوله كثير منهم، ويدكرونه في مؤلفاتهم، ويحكونه عن أكابرهم، ان الله سبحانه وتعالى وتقدس لا هو جسم ولا جوهر ولا عرض ولا داخل العالم ولا خارجه (١) فأنشدك الله أي عبارة تبليغ مبالغ هذه العبارة في النفي؟ وأي مبالغة في الدلالة على هذا النفي تقوم مقام هذه المبالغة؟ فكان هؤلاء في فرارهم من شبهة

(١) قولهم هذا له تنمة وهي: ولا هو متصل به ولا هو منفصل عنه. ولا مباين له ولا محايث له، ولا هو فينا ولا خارج عنا

التشبيه الى هذا التعطيل كما قال القائل:

فكنت كالساعي الى شعب موائل من سبل الراحه (١)

أو كالمستجير من الرمضاء بالنار، والهارب من لسمة الزنبور الى لدغة الحية، أو من قرصة النملة الى قضة الأسد

وقد كان يغني هؤلاء وأمثالهم من المتكلمين المتكافين كلمتان من كتاب الله تعالى وصف بهما نفسه، وأنزلهما على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وهما (ولا يحيطون به علما - و - ليس كمثله شيء) فان هاتين الكلمتين قد اشتملتا على فصل الخطاب، وتضمنتا ما يغني أولي الالباب، السالكين في تلك الشعاب والمضارب، الصاعدين في متوعدات هاتيك العقاب

فالكلمة الأولى منهما دلت دلالة بيّنة على ان كل ما تكلم به البشر في ذات الله وصفاته على وجه التدقيق، ودعاوي التحقيق، فهو مشوب بشبهة من شعب الجهل، مخلوط بمخلوط هي منافية للعالم مباينة له، فان الله سبحانه قد أخبرنا انهم لا يحيطون به علما، فمن زعم ان ذاته كذا او صفته كذا، فلا شك ان صحة ذلك متوقفة على الاحاطة. وقد نفيت عن كل فرد، لأن هذه القضية هي في قوة: لا يحيط به فرد من الافراد علما، فكل قول من اقوال المتكلمين صادر عن جهل، اما من كل وجه او من بعض الوجوه، وما صدر عن جهل فهو مضاف الى جهل، ولا سيما اذا كان في ذات الله وصفاته، فان في ذلك من المخاطرة بالدين ما لم يكن في غيره من المسائل، وهذا يعلمه كل ذي علم ويعرفه كل عارف، ولم يحظ بفائدة هذه الآية ويقف عندها ويقتطف من ثمارها، الا المرون للصفات على ظاهرها، المريحون انفسهم عن التكلفات والتعصبات، والتأويلات والتحريفات، وهم السلف الصالح كما عرفت، فهم الذين اعترفوا بعدم الاحاطة ووقفوا انفسهم حيث اوقفها الله. وقالوا: الله اعلم بكيفية

(١) الشعب المكان الذي يتفجر منه الماء المجتمع في حوض ونحوه. والموائل الملاجئ الى مأمن يأمن به من ضرر أو شر يخافه. والمعنى فكنت كالهارب من مطر يخافه الى سيل متفجر يجرفه. واعلم «سبل» محرفة عن «سبله»

ذاته، وماهية صفاته، بل العلم كله له: وقالوا كما قال من قال، ممن اشتغل بطلب هذا المحال، فلم يظفر بغير القيل والقال:

العلم للرحمن جل جلاله وسواه في جهلاته يتغمم
مالاتراب والعلوم وانما يسعى ليعلم انه لا يعلم
بل اعترف كثير من هؤلاء المتكلفين بأنه لم يستفد من تكلفه وعدم قنوعه
بما قنع به السلف الصالح الا مجرد الحيرة التي وجد عليها غيره من المتكلفين فقال:
وقد طفت في تلك المهاد كلها وسرحت طرفي بين تلك المعالم
فلم ار الا واضعا كف حائر على ذقن اوقارعا سن نادم

**

وها أنا (ذا) اخبرك عن نفسي، واوضح لك ما وقعت فيه في امسي، فاني ايام الطلب
وعنفوان الشباب، شغلت بهذا العلم الذي سموه تارة علم الكلام، وتارة علم التوحيد،
وتارة علم اصول الدين؛ واكبت على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم، ورميت الرجوع
بمائدة، والعود بمائدة، فلم اظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة؛ وكان ذلك من
الاسباب التي حبت اليّ مذهب السلف. على اني كنت من قبل ذلك عليه، ولكن
أردت أن ازداد فيه بصيرة وبه شغفا، وقلت عند النظر في تلك المذاهب:

وغاية ما حصلته من مباحثي ومن نظري من بعد طول التدبر
هو الوقف ما بين الطريقين حيرة فما علم من لم يلق غير التعبير
على انني قد خضت منه غماره وما قنعت نفسي بدون التبهر

**

وأما الكلمة الثانية وهي (ليس كمثله شيء) فهي المماثلة في كل شيء. فيدفع
بهذه الآية في وجه المجسمة، ويعرف به الكلام عند وصفه سبحانه بالسميع والبصير،
وعند ذكر السمع والبصر واليد والاستواء ونحو ذلك مما اشتمل عليه القرآن والسنة،
فيتقرر بذلك الاثبات لتلك الصفات، لاعلى وجه المماثلة والمثابة للمخلوقات. فيندفع
به جانبي (١) الافراط والتفريط، وهما المبالغة في الاثبات المفضي الى التجسيم، والمبالغة
(١) كذا والصواب « جانباً » لانه فاعل يندفع، الا ان يكون في الكلام

قص سقط به فاعل يندفع

في النفي المفضية الى التعطيل، فيخرج من بين الجانبين، وغلو الطرفين، حقيقة مذهب السلف الصالح، وهو قولهم بإثبات ما أثبت لنفسه من الصفات على وجه لا يعلمه الا هو، فانه القائل (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير)

ومن جملة الصفات التي أمرها السلف على ظاهرها وأجروها على ما جاء به القرآن والسنة من دون تكلف ولا تأويل، صفة الاستواء التي ذكرها السائل فاتهم يقولون نحن ثبت ما أثبته الله لنفسه، من استوائه على عرشه، على هيئة لا يعلمها الا هو، وفي كيفية لا يدري بها سواه^(١) ولا نكلف أنفسنا غير هذا، فليس كمثل شيء، لاني ذاته ولا في صفاته، ولا يحيط عباده به علما

وهكذا يقولون في مسألة الجهة التي ذكرها السائل وأشار الى بعض ما فيه دليل عليها. والادلة في ذلك طويلة كثيرة في الكتاب والسنة، وقد جمع أهل العلم منها - لاسيما أهل الحديث - مباحث طوّلوها بذكريات قرآنية وأحاديث صحيحة، وقد وقفت من ذلك على مؤلف بسيط في مجلد جمعه مؤرخ الاسلام الحافظ الذهبي استوفى فيه كل ما فيه دلالة على الجهة من كتاب أو سنة أو قول صاحب^(٢) والمسئلة أوضح من أن تلبس على عارف، وأبين من أن يحتاج فيها الى التطويل، ولكنها لما وقعت فيها تلك القلاقل والزلازل الكائنة بين بعض الطوائف الاسلامية، كثر الكلام فيها وفي مسألة الاستواء وطال، خصوصا بين الخنابلة وغيرهم من أهل المذاهب. فلم في ذلك تلك الفتن الكبرى، والملاحم العظمى، وما زالوا هكذا في عصر بعد عصر

(١) انما يذكر لفظ الهيئة والكيفية في هذا المقام كما يذكر لفظ الصفة، بناء على ان ما يستعمل في الكلام عن الباري تعالى من الالفاظ انما يشار بها اشارة الى المعنى الشريف الذي يعرفه الخلق من أنفسهم مع نفي التشبيه والتخيل من كل وجه بناء على ما ثبت من تنزيه عقلا وتقالا. ومن العلماء من يعبر عن مذهب السلف بنفي الكيف لا باثباته مع نفي العلم به، وهو ما عبروا عنه بالبلكفة المنعوتة من قولهم: بلا كيف

(٢) قد طبع هذا الكتاب في مطبعة المنار. وفيه أيضا ما نقل عن أشهر علماء السلف ومن بعدهم من كبار الفقهاء والمتكلمين في اثبات الصفات

والحق هو ما عرفناك من مذهب السلف الصالح : فالاستواء على العرش ، والكون في تلك الجهة ، قد صرح به القرآن الكريم في مواطن يكثر حصرها ؛ ويطول نشرها ، وكذلك صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غير حديث ، بل هذا مما يجده كل فرد من أفراد المسلمين في نفسه ، ويجده في فطرته ، وتجذبه اليه طبيعته ، كما تراه في كل من استغاث بالله سبحانه ، والتجأ اليه ووجه أذعيته الى جنبه الرفيع ، وعزه المنيع . فانه يشير عند ذلك بكفه ، أو يرمي الى السماء ، بطرفه ، ويستوي في ذلك عند عروض أسباب الدعاء ، وحدث بواعث الاستغاثة ، ووجود مقتضيات الانزعاج ، وظهور دواعي الالتجاء ، عالم الناس وجاهلهم ، والماشي على طريقة السلف ، والمقتدي بأهل التأويل ، القائلين بأن الاستواء هو الاستيلاء — كما قاله جمهور التأولين — أو الاقبال — كما قاله أحمد بن يحيى ثعلب والزجاج والقراء وغيرهم — أو كناية عن الملك والسلطان ^(١) — كما قاله آخرون — فالسلامة والنجاة في امرار ذلك على الظاهر والاذعان بالاستواء والكون ^(٢) على ما نطق به الكتاب والسنة من دون تكيف ولا تكلف ولا قيل ولا قال . ولا فضول في شيء من

(١) هذا القول لا ينافي إمرار اللفظ على ظاهره ، والتسليم باستواء يليق بالرب ويفوض اليه علم كنهه ، لان الكناية لا تنافي الحقيقة كما ينافيها المجاز عند الجمهور المانعين من جمعه معها . فذكر الاستواء في القرآن في سياق خلق السموات والارض يفيد معنى القيام بأمر الملك وتدبيره ، وصرح به في سورة يونس فقال (١٠ : ٣) ثم استوى على العرش يدبر الامر) وهذا المعنى هو الذي يتبادر الى فهم كل عربي قبح من كلمة استوى فلان على عرش الروم أو الفرس مثلاً . فهو لا يفكر عند سماع الكلمة في كيفية الكرسي الخاص بملك تلك البلاد ، ولا في كيفية جلوس الملك عليه . وإنما يفكر في المراد من هذا التعبير . ولو ان خادماً من خدم قصر الملك جلس على عرشه عند تنظيف الحجرة التي هو فيها لا يقال فيه انه استوى على عرش تلك المملكة . فاذا قلنا انه ينبغي لنا في تدبر آيات الاستواء على العرش ان نفكر في لازم الاستواء وهو الانفراد بالملك والسلطان والتدبير ، لم نكن بذلك متأولين والآيات ، ولا خارجين عن عن مذهب السلف في امرارها كما جاءت ، من غير ان نجيز لأنفسنا البحث عن كيفية ذلك الاستواء من حيث معناه الحقيقي

(٢) لعله سقط من ههنا « في جهة العلو »

المقال ، فمن جاوز هذا المقدار بافراط أو تفريط فهو غير مقتد بالسلف ولا واقف في طريق النجاة ، ولا معتصم عن الخطأ ، ولا سالك في طريق السلامة والاستقامة وكما تقول هكذا في الاستواء والكون في تلك الجهة فكذا تقول في مثل قوله سبحانه (وهو معكم أينما كنتم) — وقوله — ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم) وفي نحو (ان الله مع الصابرين — ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) الى ما يشابه ذلك ويمثله ويقاربه ويضارعه ، فيقول في مثل هذه الآيات : هكذا جاء القرآن ان الله سبحانه مع هؤلاء ، وتكلف تأويل ذلك كما يتكلف غيرنا بأن المراد بهذا السكون وهذه المعية هو كون العلم ومعيته ، فان هذه شعبة من شعب التأويل تخالف مذاهب السلف ، وتباين ما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم (١)

واذا انتهيت الى السلا مة في مذاك فلا تجاوز

وهذا الحق ليس به خفاء فدعني من بُنيات الطريق

وقد هلك المتطعون ، ولا يهلك على الله الا هالك وعلى نفسها براقش تجني . وفي هذه الجملة وان كانت قليلة ما يغني من يشح بدينه ويحرص عليه عن تطويل المقال وتكثير ذبوله ، وتوسيع دائرة فروعه وأصوله . والمهدي من هداه الله ، والله أعلم . انتهى

فتاوى المنار

(س ٢٣ و ٢٤) من صاحب الامضاء الرمزي في سمبس برنيو (جاوه)

حضرة العلامة الكبير ، والامام الجليل ، استاذنا السيد محمدرشيد رضا صاحب

المنار الاقر نفني الله والمسلمين بوجوده الشريف آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فيا سيدي الاستاذ نرجو من فضيلتكم

التكرم علي بأن تجيبوني عن الاسئلة الآتي ذكرها جوابا مقنعاً ولكم الفضل والشكر وهي :

(١) ورد عن الامام أحمد وغيره من علماء السلف جعل المعية بمعنى العلم فصار هذا التأويل مما يعترف به الحنابلة والأثريون ، وانما الجأهم اليه رد قول الجهمية وغيرهم انه تعالى في كل مكان . وقد نقل الذهبي ذلك في كتابه المشار اليه آنفاً عن كثيرين

(١) ماتقولون في قول الفقهاء: - لا يجوز تحليف القاضي ولا الشهود وان كان ينفع الخصم تكذيبهما أنفسهما لأن منصبهما يأبى ذلك ولأن التحليف كالطمع في الشهادة أو في الحكم. فإذا علم الشاهد أو القاضي أنه يحلف امتنع الأول من الشهادة والثاني من الحكم فيؤدي ذلك إلى ضياع حقوق الناس، وهذا فساد عام. فهل هذا القول صحيح؟ وقد جرت الحكومة الهولندية بتحليف الشهود قبل أن يؤدوا الشهادة سواء كانوا صادقين أو كاذبين - فرأي كثير من عمال الحكومة أن ذلك هو الأحسن والأحوط والأوفق لهذا العصر. والمرجو من فضيلة سيدي الأستاذ إبداء رأيه السديد في هذه المسألة بالحجة والبرهان.

(ب) هل من العقل والحكمة ومن مقاصد الشريعة الإسلامية ما اشترطه الفقهاء في الهبة من أنها لا تصح إلا بالإيجاب وقبول ولا تلزم إلا قبض الموهوب له بأذن الواهب؟ قال في بداية المجتهد: وأما الهبة فلا بد من الإيجاب فيها والقبول عند الجميع..... وأما الشروط فأشهرها القبض، أعني أن العلماء اختلفوا: هل القبض شرط في صحة العقد أم لا؟ فاتفق الثوري والشافعي وأبو حنيفة أن من شرط صحة الهبة القبض وأنه إذا لم يقبض لم يلزم الواهب، وقال مالك: يُنعقد بالقول ويجوز على القبض كالبيع - إلى قوله: - فمالك القبض عنده في الهبة من شروط التمام لا من شروط الصحة، وهو عند الشافعي وأبي حنيفة من شروط الصحة. وقال أحمد وأبو ثور تصح الهبة بالعقد، وليس القبض من شروطها أصلاً. لا من شروط تمام ولا من شروط صحة أي الأصح من هذه الأقوال المختلف فيها: أقول باشتراط القبض؟ أم أقول بعدم اشتراطه؟ وهل يصح أن يحتاج من اشترط القبض في الهبة بحديث أبي بكر أنه كان نخل عائشة جذاذ عشرين وسقاً من مال الغابة فلما حضرت الوفاة قال: - والله يا بنية ما من الناس أحد أحب إليّ مني منك. ولا أعز عليّ فقرا بعدي منك. وإني كنت نخلتك جذاذ عشرين وسقاً فله كنت جذاذية واحترته كان لك. وإنما هو اليوم مال وارث؟ وهل صح ما استدلوا به على أن القبض شرط في صحة الهبة من خبر أنه صلى الله عليه وسلم أهدى لثعلبة ثياباً من أوقية مسكة ثياب نبي - صلى الله عليه وسلم (ص) يوم نسائه؟

هذا وأرجو فضيلتكم بيان هذه المسائل على قاعدة (درء المفسد مقدم على جلب المصالح)
(م . ب . ع)

(تحليف القاضي والشهود)

(ج) القول بأن تحليف القاضي والشهود لا يجوز شرعاً لما ذكر من العلل -
لم يظهر لنا وجه صحته ، فقولهم : ان ذلك مما ياباه . نصيبهما ، - لانعرف له مستنداً في
الكتاب والسنة ، وما يليق بالمنصب وما لا يليق به ليس أمراً ثابتاً مطرداً دائماً ، بل
هو مما يختلف باختلاف العرف والعادة ويتغير آناً بعد آناً ، كما يعهد من الناس في
الامكنة المختلفة والازمان . مثال ذلك ان العرف والعادة في مصر والآستانة والشام
ان لا يخرج القاضي الشرعي والمفتي وكبار العلماء الى زيارة أحد بغير عمامة ، وهذه
عادة قديمة حتى عد بعض العلماء من اعداء ترك الجمعة والجماعة فقد الهامة اللاتمة
بأمثال هؤلاء . ولكن هذه العادة لا تلتزم في الهند فقد يخرج كبار العلماء من
بيوتهم الى زيارة بعض الاخوان بغير عمامة ، وانما يضعون على رؤوسهم نوعاً من
الكفات الرقيقة (الكمة بالضم شيء مستدير يوضع على الرأس ومنه ما يسمى في
مصر طاقية وفي غيرها عراقية) وقد ورد ان النبي (ص) خرج مع بعض أصحابه
لزيارة وليس على رؤوسهم شيء .

وقولهم ان التحليف كالطعن في الشهادة أو الحكم فمنوع ، وقد يقال انه تأكيد
لها . وأما قولهم ان القاضي والشاهد يمتنعان من القضاء والشهادة اذا علما أنهما
يخلفان ، فهو من النظريات المنقوضة بما عليه عمل كثير من الامم الآن . فالحكومة العثمانية
والحكومة المصرية قد جرتا على تحليف الشهود ولم يمتنعوا ، وعلى تحليف من تسند
اليهم المناصب الكبيرة يمين الاخلاص لرئيس الحكومة (السلطان) ولو قالوا ان
التحليف لمن ذكر لا يجب شرعاً لما وجدنا الى مخالفتهم سبيلاً ، ولكن نفى الجواز
لا يسلم الا بدليل شرعي

هذا وان لنا كيد الشهود شهادتهما بالقسم أصلاً في القرآن كما ترى في شهادة
الوصية (فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمناً - فيقسمان بالله لشهادتنا أحق
من شهادتهما) وقد قال تعالى بعد بيان أحكام هذه الشهادة معالماً (ذلك أدنى

أن يأتوا بالشهادة على وجهها (الح وبيان في التفسير قريباً أن شاء الله تعالى
(الهبة وما يشترط فيها)

معنى الهبة عند الجمهور تملك بلا عوض ، ويرى بعضهم أنه يدخل في عمومها
الابراء من الدين والهبة والصدقة ، وإنما يخص بعض الأنواع باسم لافادة المعنى
الخاص الذي انفرد به عن سائر الأنواع ، فالصدقة هبة يراد بها ثواب الآخرة ،
والاصل فيها أن تكون للمحتاج . والهبة هبة يراد بالتودد بها إلى المهدى إليه ،
وتكون بين الأغنياء والفقراء ، لأن التودد يكون بين جميع أصناف الناس

والعمدة فيها العرف فما تعارف الناس عليه كان صحيحاً شرعاً لم يكن مخالفاً للشرع .
وتحصل بالإيجاب القولي من الواهب والقبول القولي من الموهوب له كما تحصل بالتعاطي
وهو إيجاب وقبول بالفعل . وهي تتحقق بالقبض قطعاً . وعدم القبض قد يكون رداً
وقد يكون توانيلاً . فهو جدير بأن يختلف فيه . وليس في الباب نصوص عن الشارع
كاف الناس اتباعها في طرق التملك والتملك . والحديث في هبة النبي (ص)
للنجاشي جار على مسألة العرف وتحقق الهبة بالفعل أو عدم تحققها ، وهو في مسند
أحمد من حديث أم كلثوم بنت أبي سلمة ، وفي أسناده مسلم بن خالد الزنجي يختلف
في توثيقه وضعفه . وأم موسى بنت عقبة ، قال في مجمع الزوائد : لا أعرفها

وأما أثر عائشة فقد رواه مالك في الموطأ من طريق ابن شهاب عن عروة عنها ،
وروى البيهقي نحوه عن مالك وغيره . وظاهر الأثر أن عائشة لم تقبل نحلة أبيها فبقيت
في يده إلى أن أدركته الوفاة فذكر لها أنه يتركها إرثاً . وأن هذا ليس من باب
الاعتصار ، وهو رجوع الوالد بما يهبه للولد في حياته ، وهو جائز عند أكثر الفقهاء
وما قاله ابن رشد — من أن الهبة لا بد فيها من الإيجاب والقبول عند الجميع —

فهو غير صحيح إذا أراد بهما الصيغة باللسان أو الكتابة . فقد نقل العلماء الخلاف
في ذلك كالحافظ ابن حجر والامام الشوكاني وغيره . وتجد تحرير هذه المسألة
بدلائلها في جميع العقود في المبحث النفيس الذي كتبه شيخ الاسلام ابن تيمية في
مسألة العقود ، فراجع في المجلد الثالث من مجموعة فتاواه المطبوعة بمصر . ونخص بالتأمل

(الفرق بين البدع والمصالح المرسلة والاستحسان (*))

من مباحث كتاب الاعتصام للامام الشاطبي . وهو ما عقد له الباب الثامن منه . قال رحمه الله تعالى :

هذا الباب يُضطرُّ الى الكلام فيه عند النظر فيما هو بدعة وما ليس بدعة ؛ فان كثيرا من الناس عدوا اكثر المصالح المرسلة بدعاً ، ونسبوها الى الصحابة والتابعين ، وجعلوها حجة فيما ذهبوا اليه من اختراع العبادات . وقوم جعلوا البدع تنقسم بأقسام أحكام الشريعة ، فقالوا : ان منها ما هو واجب ومندوب ، وعدوا من الواجب كتب المصحف وغيره ، ومن المندوب الاجتماع في قيام رمضان على قارئ واحد

وأيضاً فان المصالح المرسلة يرجع معناها الى اعتبار المناسب الذي لا يشهد له أصل معين ، فليس له على هذا شاهد شرعي على الخصوص ، ولا كونه قياساً بحيث اذا عرض على العقول تآقته بالقبول . وهذا بعينه موجود في البدع المستحسنة ، فانها راجعة الى أمور في الدين مصلحة - في زعم واضعيها - في الشرع على الخصوص

واذا ثبت هذا ؛ فان كان اعتبار المصالح المرسلة حقاً ، فاعتبار البدع المستحسنة حق ؛ لانهما يجريان من واد واحد . وان لم يكن اعتبار البدع حقاً ، لم يصح اعتبار المصالح المرسلة .
وأيضاً فان القول بالمصالح المرسلة ليس متفقاً عليه ، بل قد اختلف

(*) تابع لما نشر في ص ٧٥٣

فيه أهل الأصول على أربعة أقوال - فذهب القاضي وطائفة من الأصوليين إلى رده ؛ وإن المعنى لا يعتبر ما لم يستند إلى أصل . وذهب مالك إلى اعتبار ذلك ، وبني الأحكام عليه على الإطلاق . وذهب الشافعي ومعظم الحنفية إلى التمسك بالمعنى الذي لم يستند إلى أصل صحيح ، لكن بشرط قربه من معاني الأصول الثابتة . هذا ما حكى الإمام الجويني

وذهب الغزالي إلى أن المناسب أن وقع في رتب التحسين والتزيين لم يعتبر حتى يشهد له أصل معين ، وإن وقع في رتبة الضروري فيله إلى قبوله ، لكن بشرط . قال : ولا يبعد أن يؤدي إليه اجتهاد مجتهد . واختلف قوله في الرتبة المتوسطة ، وهي رتبة الحاجي ، فردّه في المستصفي وهو آخر قوله ، وقبله في شفاء الغليل كما قبل ما قبله . وإذا اعتبر من الغزالي اختلاف قوله - : فالأقوال خمسة ؛ فإذا الراد لا اعتبارها لا يبقى له في الواقع له ^(١) في الوقائع الصحابية مستند إلا أنها بدعة مستحسنة - كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الاجتماع لقيام رمضان : نعمت البدعة هذه . - إذ لا يمكنهم ردها ، لاجتماعهم عليها .

وكذلك القول في الاستحسان فانه - على ما ^(٢) المتقدمون -

راجع إلى الحكم بغير دليل ، والنافي له لا يعد الاستحسان سببا ، فلا يعتبر في الأحكام البتة ، فصار كالمصالح المرسلة إذا قيل بردها .

فلما كان هذا الموضع مزلة قدم لأهل البدع أن يستدلوا على بدعتهم من جهته - كان من الحق المتعين النظر في مناط الغلط الواقع لهؤلاء ،

(١) قوله « في الواقع له » لا معنى له ولعله زائد (٢) بياض في الأصل ويصح

المعنى بتقدير الساقط « قال » أو « ذهب إليه »

حتى يتبين ان المصالح المرسلة ليست من البدع في ورد ولا صدر ، بحول الله ، والله الموفق . فنقول :

المعنى المناسب الذي يربط به الحكم لا يخلو من ثلاثة اقسام (احدها) ان يشهد الشرع بقوله ، فلا إشكال في صحته ، ولا خلاف في إعماله ؛ والا كان مناقضة للشريعة ، كشريعة القصاص حفظاً للنفوس والاطراف وغيرها

(والثاني) ما شهد الشرع برده ، فلا سبيل الى قبوله ؛ اذ المناسبة لا تقتضي الحكم لنفسها ؛ وانما ذلك مذهب أهل التحسين العقلي ، بل اذا ظهر المعنى وفهمنا من الشرع اعتباره في اقتضاء الاحكام ، فحينئذ نقبله ؛ فان المراد بالمصلحة عندنا ما فهم رعايته في حق الخلق من جلب المصالح ودرء المفاسد على وجه لا يستقل العقل بدركه على حال ؛ فاذا لم يشهد الشرع باعتبار ذلك المعنى بل برده ، كان مردودا باتفاق المسلمين

ومثاله ما حكى الغزالي عن بعض اكابر العلماء انه دخل على بعض السلاطين فسأله عن الوقاع في نهار رمضان ؛ فقال : عليك صيام شهرين متتابعين . فلما خرج راجعه بعض الفقهاء وقالوا له : القادر على إعتاق الرقبة كيف يعدل به الى الصوم والصوم وظيفة المعسرين ؛ وهذا الملك يملك عبيدا غير محصورين ؛ فقال لهم : لو قلت له عليك إعتاق رقبة لا يستحق ذلك وأعتق عبيدا صرارا ؛ فلا يزجره اعتاق الرقبة ويزجره صوم شهرين متتابعين

فهذا المعنى مناسب ، لان الكفارة مقصود الشرع منها الزجر ،

والملك لا يزجره الإعتاق ويزجره الصيام . وهذه الفتيا باطلة لان العلماء بين قائلين : قائل بالتخير ، وقائل بالترتيب ، فيقدم العتق على الصيام ، فتقديم الصيام بالنسبة الى الغني لا قائل به . على انه قد جاء عن مالك شيء يشبه هذا ، لكنه على صريح الفقه

قال يحيى بن بكير : حنث الرشيد في عين فجمع العلماء فأجمعوا ان عليه عتق رقبة . فسأل مالك ، فقال : صيام ثلاثة ايام . واتبعه على ذلك اسحاق بن ابراهيم من فقهاء قرطبة .

حكى ابن بشكوال ان الحكم أمير المؤمنين ارسل في الفقهاء وشاورهم في مسألة نزلت به ، فذكر لهم عن نفسه انه عمد الى احدى كرائمه^(١) ووطئها في رمضان ، فأفتوا بالإطعام ، واسحاق بن ابراهيم ساكت . فقال له أمير المؤمنين : ما يقول الشيخ في فتوى اصحابه ، فقال له : لا اقول بقولهم ، واقول بالصيام . فقليل له : أليس مذهب مالك الإطعام ؟ فقال لهم : تحفظون مذهب مالك ، إلا انكم تريدون مصانعة أمير المؤمنين . انما أمر مالك بالإطعام لمن له مال ، وأمير لا مال له ، انما هو يبت مال المسلمين . — فأخذ بقوله أمير المؤمنين وشكر له عليه اه وهذا صحيح .

نعم حكى ابن بشكوال انه اتفق لعبد الرحمن بن الحكم مثل هذا في رمضان ، فسأل الفقهاء عن توبته من ذلك وكفارته . فقال يحيى بن يحيى : يكفر ذلك صيام شهرين متتابعين . فلما برز ذلك من يحيى سكت سائر الفقهاء حتى خرجوا من عنده ، فقالوا ليحيى : مالك لم تفتنه بمذهبنا عن

(١) المراد بكرائمه عقائل نساء الخرائر لا بناته كما هو المستعمل في عرف زماننا

مالك من أنه مخير بين العتق والطعام والصيام ؟ فقال لهم : لو فتحتا له هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة ؛ ولكن حملته على أصعب الأمور لئلا يعود . فان صح هذا عن يحيى بن يحيى رحمه الله وكان كلامه على ظاهره كان مخالفاً للاجماع .

(الثالث) ما سكتت عنه الشواهد الخاصة ، فلم تشهد باعتباره ولا بالغائه . فهذا على وجهين :

— أحدهما — أن يرد نص على وفق ذلك المعنى ، كتعليل منع القتل للميراث ، فالمعاملة بتقيض المقصود تقدير أن لم يرد نص على وفقه ^(١) فان هذه العلة لا عهد بها في تصرفات الشرع بالفرض ولا بملائمها بحيث يوجد لها جنس معتبر ، فلا يصح التعليل بها ، ولا بناء الحكم عليها باتفاق . ومثل هذا تشريع من القائل به فلا يمكن قبوله

— والثاني — أن يلائم تصرفات الشرع ، وهو أن يوجد ذلك المعنى جنس اعتبره الشارع في الجملة بغير دليل معين ، وهو الاستدلال المرسل المسمى بالمصالح المرسلة ، ولا بد من بسطه بالأمثلة حتى يتبين وجهه بحول الله

ولنقتصر على عشرة أمثلة

*
* *

(أحدها) أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفقوا على جمع المصحف ، وليس ثم نص على جمعه وكتابه أيضاً ، بل قد قال بعضهم : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فروي عن (١) تأمل العبارة من أولها

زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : ارسل اليّ ابو بكر رضي الله عنه . قتل
(اهل) اليمامة ، واذا عنده عمر رضي الله عنه ، قال ابو بكر : (ان عمر اتاني
فقال) ان القتل قد استحرّ بقراء القرآن يوم اليمامة ^(١) واني اخشى ان
يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب قرآن كثير ، واني ارى
ان تأمر بجمع القرآن - قال - فقلت له : كيف أفعل شيئاً لم يفعله
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال لي : هو والله خير . فلم يزل عمر
يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري له ، ورأيت فيه الذي رأى عمر . -
قال زيد - فقال ابو بكر : انك رجل شاب عاقل لا تهملك ، قد كنت
تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمعه . -
قال زيد - فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ من
ذلك - فقلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه
وسلم ؟ فقال ابو بكر : هو والله خير . فلم يزل يراجعني في ذلك ابو بكر
حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدورهما . فتتبعت القرآن أجمعه
من الرقاع والعصب والخفاف ^(٢) ومن صدور الرجال . فهذا عمل لم ينقل
فيه خلاف عن احد من الصحابة

ثم روي عن أنس بن مالك ان حذيفة بن اليمان كان يغازي أهل
الشام وأهل العراق في فتح ارمينية واذريجان ، فأفرعه اختلافهم في
القرآن ، فقال لعثمان : يا أمير المؤمنين ! أدرك هذه الامة قبل ان يختلفوا
في الكتاب كما اختلفت اليهود والنصارى ، فارسل عثمان الى حفصة :

(١) استحر القتل اشتد وكثر . والقراء حفظة القرآن (٢) العصب جمع عصب
وهو جريد النخل . والخفاف كلحاف : حجارة بيض رقاق واحدها خلفه كسمكة

ارسلني اليّ بالصحف تنسخها في المصاحف ثم نردها عليك . فارسلت حفصة به الى عثمان ، فارسل عثمان الى زيد بن ثابت والى عبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاصي ، وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ، فأمرهم ان ينسخوا الصحف في المصاحف . ثم قال للرهط القرشيين الثلاثة : ما اختلفتم فيه اتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش ، فانه نزل بلسانهم . قال ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف ، بعث عثمان في كل افق بمصحف من تلك المصاحف التي نسخوها . ثم أمر بما سوى ذلك من القراءة في كل صحيفة أو مصحف ان يحرق .

فهذا أيضاً اجماع آخر في كتبه وجمع الناس على قراءة لا يحصل منها في الغالب اختلاف . لانهم لم يختلفوا الا في القراءات — حسبما نقله العلماء المعتنون بهذا الشأن — فلم يخالف في المسئلة الا عبد الله بن مسعود فانه امتنع من طرح ما عنده من القراءة المخالفة لمصاحف عثمان ، وقال : يا أهل العراق : ويا أهل الكوفة : اكتموا المصاحف التي عندكم وغلوها ، فان الله يقول (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) وألقوا اليه بالمصاحف . فتأمل كلامه فانه لم يخالف في جمعه . وانما خالف اصراً آخر . ومع ذلك فقد قال ابن هشام : بلغني أنه كره ذلك من قول ابن مسعود رجال من افاضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولم يرد نص عن النبي صلى الله عليه وسلم بما صنعوا من ذلك ، ولكنهم رأوه مصلحة تناسب تصرفات الشرع قطعاً ، فان ذلك راجع الى حفظ الشريعة ، والامر بحفظها معلوم ، والى منع الذريعة للاختلاف في أصلها الذي هو القرآن ، وقد علم النهي عن الاختلاف في ذلك بما

لا مزيد عليه ^(١).

وإذا استقام هذا الأصل فأجل عليه كتب العلم من السنن وغيرها ،
إذا خيف عليها الانداس ، زيادة على ما جاء في الأحاديث من الأمر
بكتب العلم .

وأنا أرجو أن يكون كتب هذا الكتاب الذي وضعت يدي فيه
من هذا القبيل ؛ لأنني رأيت باب البدع في كلام العلماء مغفلاً جداً إلا من
النقل الجلي كما نقل ابن وضاح ، أو يؤتى بأطراف من الكلام لا يشفى
القليل بالتفقه فيه كما ينبغي ؛ ولم أجد على شدة بحثي عنه إلا ما وضع فيه
أبو بكر الطرطوشي ، وهو يسير في جنب ما يحتاج إليه فيه ، والأما
ما وضع الناس في الفرق الثنتين والسبعين ، وهو فصل من فصول الباب
وجزء من أجزائه ، فأخذت نفسي بالعناء فيه ، عسى أن ينتفع به واضعه ،
وقارؤه ، وناشره ، وكاتبه ، والمنتفع به ، وجميع المسلمين ، أنه ولي ذلك
ومسديه بسعة رحمته

(المثال الثاني)

اتفاق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حد شارب الحمر
ثمانين . وإنما مستندهم فيه الرجوع إلى المصالح والمفاسد بالاستدلال
المرسل ، قال العلماء لم يكن فيه في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) هذا القول يحتاج إلى مزيد بيان ، وهو أن الله تعالى سمي القرآن كتاباً فأفاد
ذلك وجوب كتابته كله ، ولذلك اتخذ النبي (ص) كتاباً للوحي . وتفريق الصحف
المكتوبة لا يعقل أن يكون مطلوباً للشارع حتى يحتاج جمعها إلى دليل خاص :
ولم يأمر النبي (ص) بجمعها في حياته لاحتقال المزيد في كل سورة ما دام حياً ، كما
قال العلماء .

حد مقدر؛ وإنما جرى الزجر فيه مجرى التعزير. ولما انتهى الأمر إلى أبي بكر رضي الله عنه قرر على طريق النظر بأربعين، ثم انتهى الأمر إلى عثمان رضي الله عنه فتتابع الناس فجمع الصحابة رضي الله عنهم فاستشارهم، فقال علي رضي الله عنه: من سكر هذى ومن هذى اقترى؟ فأرى عليه حد المفترى.

ووجه إجراء المسألة على الاستدلال المرسل أن الصحابة أو الشرع^(١) يقيم الأسباب في بعض المواضع مقام المسببات، والمظنة مقام الحكمة، فقد جعل الإيلاج في أحكام كثيرة يجري مجرى الإنزال، وجعل الحافر للبئر في محل المدوان وإن لم يكن ثم مرد كالردي نفسه، وحرم الخلوة بالأجنبية حذرا من الذريعة إلى الفساد، إلى غير من الفساد؛ فأروا الشرب ذريعة إلى الافتراء الذي تقتضيه كثرة الهذيان، فانه أول سابق إلى السكران - قالوا - فهذا من أوضح الأدلة على إسناد الأحكام إلى المعاني التي لا أصول لها (يعني على الخصوص به) وهو مقطوع من الصحابة رضي الله عنهم.

(المثال الثالث)

إن الخلفاء الراشدين قضوا بتضمين الصناعات. قال علي رضي الله عنه « لا يصلح الناس إلا ذاك » ووجه المصلحة فيه أن الناس لهم حاجة إلى الصناعات، وهم يغيبون عين الامتعة في غالب الأحوال؛ والأغلب عليهم التفريط وترك الحفظ، فلو لم يثبت تضمينهم مع مسيس الحاجة

(١) في نسخة ثانية « الشريعة تقيم » كما يستفاد من هامش الأصل

الى استعمالهم لا فضى ذلك الى أحد امرين : إما ترك الاستصناع بالكلية ، وذلك شاق على الخلق ، وإما أن يعملوا ولا يضمنوا ذلك بدعواهم المهلاك والضياع ، فتضيع الاموال ، ويقل الاحتراز ، وتتطرق الخيانة ، فكانت المصلحة التضمنين . هذا معنى قوله « لا يصلح الناس الا ذاك »

ولا يقال : ان هذا نوع من الفساد وهو تضمنين البريء . اذ لعله ما أفسد ولا فرط ، فالتضمنين مع ذلك كان نوعاً من الفساد . لانا نقول : اذا تقابلت المصلحة والمضرة فشان العقلاء النظر الى التفاوت ، ووقوع التلف من الصناعات من غير تسبب ولا تفريط بعيد . والغالب القوت فوت الاموال ، وانها لا تستند الى التلف السماوي ، بل ترجع الى صنع العباد على المباشرة أو التفريط . وفي الحديث « لا ضرر ولا ضرار » تشهد له الاصول من حيث الجملة ، فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أن يبيع حاضر لباد . وقال « دع الناس يرزق الله بعضهم من بعض » وقال « لا تلقوا الركبان بالبيع حتى يهبط بالسلع الى الاسواق » وهو من باب ترجيح المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، فتضمنين الصناعات من ذلك القبيل

(المثال الرابع)

ان العلماء اختلفوا في الضرب بالتهم . وذهب مالك الى جواز السجن في التهم ، وان كان السجن نوعاً من العذاب . ونص أصحابه على جواز الضرب ، وهو عند الشيوخ من قبيل تضمنين الصناعات ، فانه لو لم يكن الضرب والسجن بالتهم ، لتعذر استخلاص الاموال من أيدي السراق والغصاب ، اذ قد يتعذر اقامة البيئة ، فكانت المصلحة في

التعذيب، وسيلة الى التحصيل بالتعيين والاقرار .

فان قيل : هذا فتح باب تعذيب البريء ^(١) قيل : ففي الاعراض عنه ابطال استرجاع الاموال ؛ بل الاضرار عن التعذيب أشد ضررا ، اذ لا يعذب أحد لمجرد الدعوى ، بل مع اقتران قرينة تحيك في النفس ؛ وتؤثر في القلب نوعا من الظن . فالتعذيب في الغالب لا يصادف البريء ، وان أمكن مصادفته ، فتغتفر ، كما اغتفر في تضمين الصانع ^(٢)

فان قيل : لا فائدة في الضرب ؛ وهولو أقر لم يقبل اقراره في تلك الحال .

فالجواب : إن له فائدتين - احدهما - أن يعين المتاع فتشهد عليه البينة لربه ، وهي فائدة ظاهرة . - والثانية - أن غيره قد يزدجر حتى لا يكثر الاقدام ، فتقل أنواع هذا الفساد .

وقد عد له سحنون فائدة ثالثة وهو الاقرار حالة التعذيب ، فإنه يؤخذ عنده بما أقر في تلك الحال . قالوا وهو ضعيف ، فقد قال الله تعالى (لا اكراه في الدين) ولكن نزله سحنون على من اكراه بطريق غير مشروع ، كما اذا اكراه على طلاق زوجته ، أما انما اكراه بطريق صحيح فإنه يؤخذ به ، كالكافر يسلم تحت ظلال السيوف فإنه يأخذه . وقد تتفق له بهذه الفائدة على مذهب غير سحنون اذا أقر حالة التعذيب ثم تمادى على الاقرار بعد أمنه فيؤخذ به . قال الغزالي - بعد ما حكى عن

(١) لعل الاصل « تعذيب البريء » (٢) ينظر ابن يرجع الضمير الذي اسند اليه هذا الفعل ؛ فان كان المصادفة ، فالظاهر ان يؤنث بالتاء فيقال « اغتفرت » كما قال « فتغتفر » وان أرجع الى التعذيب رد بان تضمين الصانع ليس تعذيبا . ولعل الاصل تأنيث الفعل ، او حذف « في » وجعل « تضمين » هو الفاعل .

الشافعي أنه لا يقول بذلك : وعلى الجملة فالمسئلة في محل الاجتهاد . - قال -
ولسنا نحكم بمذهب مالك على القطع ، فاذا وقع النظر في تعارض المصالح ،
كان ذلك قريباً من النظر في تعارض الاقيسة المؤثرة .

(المثال الخامس)

انا اذا قررنا اماما مطاعاً مفتقراً الى تكثير الجنود لسد الثغور
وحماية الملك المتسع الاقطار ، وخلا بيت المال ، وارتفعت حاجات الجند
الى ما لا يكفيهم ، فللا مام اذا كان عدلاً أن يوظف على الاغنياء ما يراه
كافياً لهم في الحال ، الى أن يظهر مال بيت المال ، ثم اليه النظر في
توظيف ذلك على الغلات والثمار وغير ذلك ، كيلا يؤدي تخصيص
الناس به الى ايجاش القلوب . وذلك يقع قليلاً من كثير بحيث لا يحجب
بأحد ويحصل المقصود

وانما لم ينقل مثل هذا عن الاولين لاتساع مال بيت المال في زمانهم
بخلاف زماننا ، فان القضية فيه أخرى ، ووجه المصلحة هنا ظاهر ، فانه
لوم يفعل الامام ذلك النظام بطلت شوكة الامام ، وصارت ديارنا عرضة
لاستيلاء الكفار

وانما نظام ذلك كاه شوكة الامام بعده . فالذين يحذرون من
الدواهي لو تنقطع عنهم الشوكة ، يستحقرون بالاضافة اليها أموالهم كلها ،
فضلاً عن اليسير منها ، فاذا عورض هذا الضرر العظيم بالضرر اللاحق
لهم بأخذ البعض من أموالهم ، فلا يمارى في ترجيح الثاني عن الاول .
وهو مما يعلم من مقصود الشرع قبل النظر في الشواهد

والملاءمة الاخرى - ان الاب في طفله ، أو الوصي في يتيمة ،

(المنار - ج ١١ م ١٧) استعداد الجندية الدائم والاستقراض لبيت المال ٨٤٥

أو الكافل فيمن يكفله ، مأمور^(١) برعاية الأصلح له ، وهو يصرف ماله الى وجوه من النفقات أو المؤن المحتاج اليها . وكل ما يراه سبباً لزيادة ماله أو حراسته من التلف جاز له بذل المال في تحصيله . ومصلحة الاسلام عامة لا تقتصر عن مصلحة طفل ، ولا نظر امام المسلمين يتقاعد عن نظر واحد من الآحاد في حق محجوره

ولو وطئ الكفار أرض الاسلام لوجب القيام بالنصرة ، وإذا دعاهم الامام وجبت الاجابة ، وفيه اتعاب النفوس وتعريضها الى الهلكة ، زيادة الى انفاق المال . وليس ذلك الا لحماية الدين ، ومصلحة المسلمين فاذا قدرنا هجومهم^(٢) واستشعر الامام في الشوكة ضعفاً وجب على الكافة امدادهم . كيف والجهاد في كل سنة واجب على الخلق ؛ وانما يسقط باشتغال المرتزقة ، فلا يمارى في بذل المال لمثل ذلك

وإذا قدرنا انعدام الكفار الذين يخاف من جهمهم ، فلا يؤمن من افتتاح باب الفتن بين المسلمين . فالمسئلة على حالها كما كانت ، وتوقع الفساد عتيده ، فلا بد من الحراس

فهذه ملاءمة صحيحة ، الا أنها في محل ضرورة ، فتقدر بقدرها ، فلا يصح هذا الحكم الا مع وجودها . والاستقراض في الازمات انما يكون حيث يرجى لبيت المال دخل ينتظر أو يرتجى ، وأما اذا لم ينتظر شيء وضعفت وجوه^(٣) الدخل بحيث لا يغني كبير شيء ، فلا بد من

(١) قوله « مأمور » خبر « ان الاب » باعتبار ما عطف عليه (٢) قوله « هجومهم »

يعني المسلمين الذين وطئ الكفار أرضهم محاربين لهم (٣) في الاصل « وجوده » وهو غلط

جریان حکم التوظيف

وهذه المسألة نص عليها الغزالي في مواضع من كتبه ، وتلاه في تصحيحها ابن العربي في أحكام القرآن له ، وشرط جواز ذلك كله عندهم عدالة الامام ، وإيقاع التصرف في أخذ المال واعطائه على الوجه المشروع

(المثال السادس)

إن الامام لو أراد أن يعاقب بأخذ المال على بعض الجنايات^(١) فاختلف العلماء في ذلك - حسبما ذكره الغزالي - على أن الطحاوي حكى أن ذلك كان في أول الاسلام ثم نسخ فأجمع العلماء على منعه .

فأما الغزالي فزعم أن ذلك من قبيل الغريب الذي لا عهد به في الاسلام ، ولا يلائم تصرفات الشرع ؛ مع أن هذه العقوبة الخاصة لم تتعين ؛ لشرعية العقوبات البدنية بالسجن والضرب وغيرها - قال - فإن قيل : فقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاطر خالد بن الوليد في ماله ، حتى أخذ رسوله برد نعله وشرط عمامته . قلنا : المظنون من عمر أنه لم يبتدع العقاب بأخذ المال على خلاف المؤلف من الشرع ، وإنما ذلك لعلم عمر باختلاط ماله بالمال المستفاد من الولاية واحاطته بتوسعته ، فلعله ضمن المال فرأى شطر ماله من فوائد الولاية ، فيكون استرجاعاً للحق لا عقوبة في المال ، لأن هذا من الغريب الذي لا يلائم قواعد الشرع . هذا ما قال . ولما فعل عمر وجه آخر غير هذا ، ولكنه لا دليل فيه على العقوبة بالمال كما قال الغزالي

وأما مذهب مالك فإن العقوبة في المال عنده ضربان (أحدهما) كما

(١) ينظر ابن جواب لو ؟ وما موقع الناء من قوله « فاختلف العلماء » ؟

صوره الغزالي ، فلا صرية في أنه غير صحيح ، على أن ابن المطار في رقايقه صنف إلى اجازة ذلك ، فقال في اجازة أعوان القاضي إذا لم يكن بيت مال : أنها على الطالب ، فإن أدى المطلوب كانت الاجازة عليه . ومال إليه ابن رشد . ورده عليه ابن النجار القرطبي ، وقال : إن ذلك من باب العقوبة في المال ، وذلك لا يجوز على حال

(والثاني) أن تكون جنابة الجاني في نفس ذلك المال أو في عوضه ، فالعقوبة فيه عنده ثابتة . فإنه قال في الزعفران المغشوش إذا وجد بيد الذي غشه : أنه يتصدق به على المساكين قل أو كثر . وذهب ابن القاسم ومطرف وابن الماجشون إلى أنه يتصدق بما قل منه دون ما كثر . وذلك محكي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأنه أراق اللبن المغشوش بالماء ، ووجه ذلك التأديب للغاش . وهذا التأديب لا نص يشهد له ، لكن من باب الحكم على الخاصة لأجل العامة . وقد تقدم نظيره في مسألة تضمين الصناعات

على أن أبا الحسن اللخمي قد وضع له أصلاً شرعياً ، وذلك أنه عليه السلام أمر بالكفاء القدور التي أغليت بلحوم الحمر قبل أن تقسم . وحديث العتق بالمشاة أيضاً من ذلك .

ومن مسائل مالك في المسألة : إذا اشترى مسلم من نصراني خمرًا فإنه يكسر على المسلم ، ويتصدق بالثمن أدباً للنصراني إن كان النصراني لم يقبضه . وعلى هذا المعنى فرع أصحابه في مذهبه ، وهو كله من العقوبة في المال ، إلا أن وجهه ما تقدم

(المثال السابع)

انه لو طبق الحرام الارض ، أو ناحية من الارض يسر الانتقال منها ، وانسدت طرق المكاسب الطيبة ، ومست الحاجة الى الزيادة على سد الرمق ، فان ذلك سائغ أن يزيد على قدر الضرورة ، ويرتقي الى قدر الحاجة في القوت والملبس والمسكن ، اذ لو اقتصر على سد الرمق لتمطلت المكاسب والاشغال ، ولم يزل الناس في مقاساة ذلك الى أن يهلكوا ، وفي ذلك خراب الدين . لكنه لا ينتهي الى الترفه والتنعم ، كما لا يقتصر على مقدار الضرورة .

وهذا ملائم لتصرفات الشرع وان لم ينص على عينه ، فانه قد أجاز اكل الميتة المضطر ، والدم ولحم الخنزير ، وغير ذلك من الخبائث المحرمات وحكى ابن العربي الاتفاق على جواز الشبع عند توالي الخمسة ، وانما اختلفوا اذا لم تتوال : هل يجوز له الشبع أم لا ؛ وأيضاً فقد أجازوا أخذ مال الغير عند الضرورة أيضاً . فأنحن فيه لا يقتصر عن ذلك وقد بسط الغزالي هذه المسألة في الاحياء بسطاً شافياً جداً^(١) ، وذكرها في كتبه الاصولية كالمنحول وشفاء العليل

(المثال الثامن)

انه يجوز قتل الجماعة بالواحد . والمستند فيه المصلحة المرسله ، اذ لا نص على عين المسألة ، ولكنه منقول عن عمر بن الخطاب رضي الله

(١) للغزالي كلمة في عدم تعدي الحرام اذا كثروا وهي « اذا حرم كله حل كله » أي لا يثبت المرء في هذه الحال عن أصل المال ، بل يحرم ان يأخذه من وجهه حلال .

عنه . وهو مذهب مالك والشافعي . ووجه المصاحبة أن القتل معصوم ، وقد قتل عمدا ، فأهداره داع الى خرم أصل القصاص ، واتخاذ الاستعانة والاشتراك ذريعة الى السعي بالقتل اذا علم أنه لا قصاص فيه ، وليس أصله قتل المنفرد فانه قاتل تحقيقا ، والمشارك ليس بقاتل تحقيقا

فان قيل : هذا أمر بدعي في الشرع ^(١) وهو قتل غير القاتل . قلنا : ليس كذلك ، بل لم يقتل الا القاتل ، وهم الجماعة من حيث الاجتماع عند مالك والشافعي ، فهو مضاف اليهم تحقيقا اضافته الى الشخص الواحد ، وانما التعمين في تنزيل الاشخاص منزلة الشخص الواحد ، وقد دعت اليه المصاحبة فلم يكن مبتدعا مع ما فيه من حفظ مقاصد الشرع في حقن الدماء ، وعليه يجري عند مالك قطع الايدي باليد الواحدة ، وقطع الايدي في النصاب الواجب ^(٢)

المثال التاسع

ان العلماء تملوا الاتفاق على ان الامامة الكبرى لا تنعقد الا لمن نال رتبة الاجتهاد والفتوى في علوم الشرع ، كما انهم اتفقوا أيضا - أو كادوا أن يتفقوا - على ان القضاء بين الناس لا يحصل الا لمن رقي في رتبة الاجتهاد . وهذا صحيح على الجملة ، ولكن اذا فرض خلو الزمان عن مجتهد يظهر بين الناس ، وافتقروا الى امام يقدمونه لجريان الاحكام وتسكين ثورة الثائرين ، والحياطة على دماء المسلمين وأموالهم ، فلا بد

(١) البدعي المخترع على غير مثال سابق . والمعنى ليس له أصل من الشرع ، لخاص فيكون قياسا عليه ، ولا عام فيكون من المصالح المرسله (٢) أي اذا قطع جماعة يد أحد أو سرقوا نصابا بالتعاون والاشتراك تقطع أيديهم كلهم

من اقامة الامثل ممن ليس بمجتهد ، لانا بين أمرين : إما ان يترك الناس فوضى ، وهو عين الفساد والهرج . وإما ان يقدموه فيزول الفساد بته ، ولا يبقى الا فوت الاجتهاد ، والتقليد كاف بحسبه

واذا ثبت هذا فهو نظر مصاحي يشهد له وضع أصل الامامة ، وهو مقطوع به بحيث لا يفتقر في صحته وملاءمته الى شاهد ، هذا — وان كان ظاهره مخالفا لما نقلوا من الاجماع في الحقيقة — إنما انمقد على فرض ان يخلو الزمان من مجتهد ، فصار مثل هذه المسئلة مما لم ينص عليه ، فصح الاعتماد فيه على المصلحة

المثال العاشر

ان الغزالي قال في بيعة المفضل مع وجود الافضل : ان ردّنا في مبدأ التولية بين مجتهد في علوم الشرائع وبين متقاصر عنها ، فيتعين تديم المجتهد ، لان اتباع الناظر علم نفسه ، له مزية على اتباع علم غيره ، فالتقليد والمزايا لا سبيل الى اهمالها مع القدرة على مراعاتها

أما اذا انمقدت الامامة بالبيعة أو تولية العهد لمنفك عن رتبة الاجتهاد ، وقامت له الشوكة ، واذعنت له الرقاب ، بأن خلا الزمان عن قرشي مجتهد مستجمع جميع شرائط ، وجب الاستمرار^(١)

وان قدر حضور قرشي مجتهد مستجمع للفروع والكفاية ، وجميع شرائط الامامة . واحتاج المسامون في خلع الاول الى تعرضه لاثارة فتن واضطراب أمور ، لم يجوز لهم^(٢) خلعها والاستبدال به ، بل تجب

(١) قوله « وجب » الخ جواب قوله « أما اذا انمقدت » (٢) قوله « لم يجوز لهم »

الخ جواب وجزاء قوله « وان قدر » الخ

عليهم الطاعة له ، والحكم بنفوذ ولايته وصحة إمامته ؛ لانا نعلم ان العلم مزية روعيت في الامامة تحصيلها لمزيد المصلحة في الاستقلال بالنظر والاستغناء عن التقليد ، وان الثمرة المطلوبة من الامام تطفئة الفتن الشائرة ، من تفرق الآراء المتنافرة : فكيف يستجيز العاقل تحريك الفتنة ، وتشويش النظام ، وتفويت اصل المصلحة في الحال ؛ تشوفا الى مزيد^(١) دققة في الفرق بين النظر والتقليد - قال - وعند هذا ينبغي ان يقيس الانسان ما ينال الخلق من الضرر بسبب عدول الامام عن النظر الى التقليد ، بما ينالهم لو تعرضوا لخلعه والاستبدال به ، او حكموا بأن امامته غير منعقدة .

هذا ما قال^(٢) ، وهو متجه بحسب النظر المصاحي ، وهو ملائم لتصرفات الشرع - وان لم يعضده نص على التعيين وما قرره هو أصل مذهب مالك . قيل ليحيى بن يحيى : البيعة مكروهة ؟ قال : لا ، قيل له : فان كانوا أئمة جور ؟ فقال : قد بايع ابن عمر لعبد الملك بن مروان ، وبالسيف أخذ الملك ، أخبرني بذلك مالك عنه أنه كتب اليه وأمره بالسمع والطاعة على كتاب الله وسنة نبيه قال يحيى : والبيعة خير من الفرقة - قال - واقعد أتي مالكا العمري

(١) كذا وأعله « مزية » (٢) أي الغزالي . وقد فاتته وفات أمثاله أن يابهموا المسلمين على أن هذه الاقوال والفتاوى المبنية على الضرورة تتقدر بقدرها كسائر الضرورات ، وأن يسعى المسلمون لازالتها بوسائل تتقى فيها الفتنة أو يرتكب فيها أخف الضررين ، وقد يكون أخفهما خلع الامام الجائر الجاهل ، وكم من سلطان خلع ، ومن دولة دالت ، ولم يكن ضرر ذلك أرجح من الصبر عليه ، على أن ذلك لم يكن لامتناعاً على الملك ، فكيف لو كان لاجل وضع الحق في نصايبه

فقال له : يا أبا عبد الله بايعني أهل الحرمين ، وانت ترى سيرة أبي جعفر ، فما ترى ؟ فقال له مالك : أتدري ما الذي منع عمر بن عبد العزيز ان يولي رجلا صالحا ؟ فقال العمري : لا أدري . قال مالك : لكني انا أدري ، انما كانت البيعة ليزيد بعده ، تخاف عمر ان يولي رجلا صالحا ان لا يكون ليزيد بدئ من القيام ، فتقوم هجمة فيفسد ما لا يصلح . فصدر رأي هذا العمري على رأي مالك .

فظاهر هذه الرواية انه اذا خيف عند خلع غير المستحق واقامة المستحق ان تقع فتنة وما لا يصلح ، فالمصلحة في الترك وروى البخاري عن نافع قال : لما خلع اهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده فقال : اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لكل غادر لواء يوم اليامة » وانا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله ، واني لا اعلم احدا منكم خلعوه ولا تابع في هذا الامر الا كانت الفيصل بيني وبينه

قال ابن العربي : وقد قال ابن الخياط : ان بيعة عبد الله ليزيد كانت كرها ، وابن يزيد من ابن عمر ؟ ولكن رأى بدينه وعلمه التسليم لأمر الله والفرار عن التعرض لفتنة فيها من ذهاب الاموال والا نفس مالا يخفى . فخلع يزيد - لو تحقق ان الامر يعود في نصابه .. (١) فكيف ولا يعلم ذلك ؟ وهذا أصل عظيم فتفهموه والزموه ترشدوا ان شاء الله .

(١) سقط من هنا خبر المبتدأ الذي هو قوله « فخلع يزيد » وامل الساقط قوله « تعرض للفتنة » كما يفهم من سابق الكلام - أي ان خلع يزيد تعرض للفتنة لا يجوز مع العلم بأن الخلافة تعود الى مستحقها ، فكيف وذلك غير معلوم ، لجواز ان ينكل عن خلعوه ويبقى الامر بيده أو تعود الى مثله أو شر منه .

مدرسة دار الدعوة والارشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية اسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

بسم الله الرحمن الرحيم

الغرض من هذه المحاضرات إيقاظكم على أصول بعض أنواع العلوم الطبيعية والطبية خصوصا ما كان منها له مساس بعلم قانون الصحة (فانه هو المقصد الأصلي الذي نرعى اليه في جميع هذه المحاضرات، لأن هذا العلم هو كشرة شبيهة مما تنتجه شجرة العلوم العصرية، طبيعية كانت أو طبية، والغرض منه معرفة الاصول والتواعد الصحية التي بها يُحفظ الجسم من الضعف والانحلال بقدر الامكان، وكذا من الامراض المعدية وغير المعدية

وستسمعون مني في سياق هذه المحاضرات تعريب كثير من الألفاظ العلمية، وتطبيق حقائق هذه العلوم على نصوص الديانة الاسلامية الغراء
وها كم أسماء العلوم التي نريد أن نتكلم عليها بعون الله تعالى :
١ الكيمياء ٢ الطبيعة ٣ التشريح ٤ الفسيولوجيا (١) ٥ المستولوجيا (٢)
٦ البكتريولوجيا (٣) الامراض المعدية، وغير ذلك

(نبذة في علم الكيمياء) Chemistry

الكيمياء القديمة كان الغرض منها معرفة حجر الفلاسفة وهو الجوهر الذي اذا وضع على أي معدن يصيره ذهباً على زعمهم . ومعرفة اكسير الحياة، وهو الذي كانوا يظنون أنه يعيد الشيخ شاباً أو أنه يشفي جميع الامراض . وأما الآن فالغرض من الكيمياء معرفة أصول المركبات وكيفية تركيبها وتحليلها . وهذه الاصول تسمى بالعناصر والعناصر كثيرة، ولكننا الآن لا تتجاوز الثمانين؛ ومن أهمها الحديد (١) وظائف الاعضاء (٢) التشريح الدقيق (٣) علم الميكروبات أو الجراثيم

والنحاس والاكسجين والكاربون

وأما المركبات فمنها الخشب والسكر والماء وغير ذلك . والراجح عند العلماء الآن ان جميع العناصر هي أيضا مركبات وكلها ترجع الى أصل واحد، وهو الأثير الذي هو أبسط جميع الموجودات . ومنه ركبت ؛ وأصغر أجزاء هذه العناصر تسمى بالجواهر الفردة، وهي التي لا يمكن تقسيمها الى أقل منها ولو في الذهب

والعناصر جميعا تنقسم الى قسمين معادن وغير معادن، فالمعادن هي مثل النحاس والحديد ، وغيرها مما مثل الفحم والكبريت (المسمى بالعمود)

والمعادن تختلف عن غير المعادن في أربعة أشياء (١) ان المعادن لها لمة خاصة بها، وغيرها ليس كذلك (٢) ان المعادن توصل الحرارة والكهرباء (٣) أن المعادن تقبل الانطراق والتمدد وغير المعادن لا يقبل ذلك (٤) ان أكسيد المعادن يسمى القاعدة؛ وأكسيد غير المعادن يتركب منه الحمض . والأ أكسيد هو ما ينشأ من اتحاد الأكسجين مع أي عنصر من العناصر، مثال ذلك صدأ الحديد فإنه يسمى أكسيد الحديد تتركبه من الأكسجين مع الحديد ، والقاعدة سميت بذلك لأنها كالأساس تبنى عليه الأملاح ، والحمض غير العضوي ينشأ من إذابة أكسيد غير المعادن في الماء ، واتحاد القواعد مع الحوامض يولد الأملاح

ثم ان أكسيد المعادن الذي يذوب في الماء يسمى (قلوي) ولفظ قلوي نسبة الى قلى وهي كلمة فارسية معربة تطلق على نبات ينبت بشواطئ البحر يسمى الأشنان، اذا أحرقت تخلف منه رماد يشتمل على كثير من ملح يسمى (كربونات الصوديوم) ومنه يعمل الصابون. وكربونات الصوديوم تسمى بالعربية نظرونا، ولفظ النظرون أخذ منه اسم العنصر المسمى (صوديوم) فسموه نظريوم، ومن كلمة قلى أخذ لفظ قليوم وهو اسم لعنصر (البوتاسيوم)

وأشهر القلويات أكسيد الصوديوم أو النظريوم وأكسيد البوتاسيوم أو القليوم . واذا أذيب القلوي في الماء تكون منه ما يسمى (هيدرات) أو إيدرات؛ ومعنى كل منهما (ماء) فاذا قيل هيدرات الصوديوم فمعناه ماء الصوديوم أو بالحري ماء أكسيد الصوديوم .

﴿ أشهر العناصر ﴾

وأشهر العناصر ما يأتي ١ً الأوكسجين ٢ً الهيدروجين ٣ً النيتروجين ٤ً الكلورين ٥ً الصوديوم ٦ً البوتاسيوم ٧ً الكالسيوم (وهو ما يتركب منه الجير) ٨ً الفسفور ٩ً الكبريت ١٠ً الحديد ١١ً الكربون (الفحم) فالأربعة الأولى كلها غازات طيارة كالهواء ، وهي لا لون لها؛ ما عدا الكلورين فإنه أخضر اللون : وهو معنى اسمه باليونانية : وأما الصوديوم والبوتاسيوم وواحد فيهما فهي أجسام صلبة .

﴿ العناصر المركبة في الجسم ﴾

ويتركب من هذه العناصر أجسام أخرى مركبة تدخل في جسم الإنسان وهي تنحصر في خمسة أنواع - ١ الماء ٢ المواد الزلالية ٣ المواد الدهنية ٤ المواد السكرية والنشوية ونحوها ٥ أملاح عديدة أهمها كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) وكربونات الكالسيوم (معادن الجير) وسلفات الصوديوم (كبريتات)

*

فأما الماء فهو مركب من الأوكسجين والهيدروجين ويدخل في جميع أجزاء الجسم ومنه يتكون أكبر جزء فيه، وهو من أهم ما يلزم لحياة الجسم، بحيث أن الإنسان وأي حيوان آخر إذا امتنع عنه بضعة أيام يموت قطعاً

*

وأما المواد الزلالية فهي كلال البيض (بياضه) وهي مركبة من الأوكسجين والهيدروجين والنيتروجين والكربون (الفحم) والكبريت . وبعضها يدخل فيه الحديد كالمادة المسماة (هيموجلوبين) وهي الداخلة في كرات الدم الحمراء) ويتركب من المواد الزلالية العظام واللحم والمخ والنخاع وجميع الأحشاء

*

وأما المواد الدهنية فهي مركبة من الكربون والهيدروجين والأوكسجين، وتوجد في الغالب تحت الجلد وحول الأحشاء في البطن وغيره . ثم إن هذه العناصر الثلاثة الأخيرة يتركب منها الغلرين وأحماض عضوية . فالأحماض العضوية هي التي لا تتكون بنفسها إلا في أعضاء النباتات والحيوانات .

وباجتماع الفلشرين مع الاحماض العضوية ينشأ الدهن والزيوت الثابتة (مثل زيت السمك وزيت الزيتون) أما الزيوت غير الثابتة فهي مثل زيوت الروائح العطرية، وتركيبها يختلف عن ذلك كثيرا

☆

وأما المواد النشوية والسكرية ونحوها فتسمى في علم الكيمياء (بالكربوهيدرات) لأنها مركبة من الكربون والهيدروجين والأكسجين، والفرق بينها وبين المواد الدهنية هو في عدد الذرات وفي وضع بعضها بالنسبة إلى البعض الآخر. والمواد السكرية والنشوية توجد بكثرة في الدم والكبد، فيوجد في الدم سكر العسل وفي الكبد نوع من النشا يسمى النشا الحيواني (الجليكوجين)

واعلم ان الياء والكاف [يك] إذا أضيفتا إلى آخر اسم الحامض دلتا على ان فيه أكسجين كثيرا، والواو والزاي [وز] يدلان على أكسجين قليل، ولفظ [فوق] يدل على ان الأكسجين أكثر مما في الحمض المنتهى بالياء والكاف ولفظ [تحت] يدل على أنه أقل الحوامض التي من نوعه في الأكسجين. مثال ذلك

- | | | | |
|---|------------------------|---|------------------|
| ١ | فوق حامض الكلوريك فيه | ٤ | ذرات من الأكسجين |
| ٢ | وحامض الكلوريك فيه | ٣ | » » » |
| ٣ | وحامض الكلوروز فيه | ٢ | » » » |
| ٤ | وتحت حامض الكلوروز فيه | ١ | » » » |

والملاح الذي ينشأ من الاول يسمى « فوق كلورات » والذي ينشأ من الثاني « كلورات » والذي ينشأ من الثالث « كلوريت » والذي ينشأ من الرابع « تحت كلوريت »

وكل ياء ودال [يد] يدلان على ان الجسم مركب من عنصرين فقط مثل كلوريد الصوديوم فإنه مركب من عنصرين فقط هما الكلورين والصوديوم ولاجل تمييز الحوامض عن القلويات يستعمل ورق عباد الشمس Litmus فالحمض يصيره أحمر والقلوي يصيره أزرق والملح لا يغير لونه ويسمى (متعادلا)

{ الاتحاد والمزج }

بقيت مسألة واحدة تتعلق بموضوع الكيمياء وهي الفرق بين الاتحاد وبين الخلط أو المزج

فالآحاد معناه الارتباط والانضمام ، والخلط والمزج معناهما ظاهر . وهناك في علم الكيمياء ثلاثة فروق كبيرة بين الاتحاد وبين الخلط أو المزج

(١) ففي حالة الاتحاد ينشأ مركب يخالف في صفاته وخواصه وطبائعه صفات أجزائه التي يتركب منها . وفي حالة الخلط أو المزج ليس الأمر كذلك . مثال ذلك الخشب فإن له صفات تغاير صفات عناصره كل المغايرة ، وإذا خلطنا السكر مع الفحم بقي كل منهما حافظا لصفاته وخواصه ، وهناك مثال آخر وهو الماء والهواء ، فالماء مركب متحد ، والهواء مركب ممزوج

(٢) ان الاتحاد الكيماوي يكون دائما بنسب ثابتة لا تتبدل ولا تتغير ، والنسب في الخلط ليست ملزمة

(٣) ان الاتحاد الكيماوي قد يولد حرارة وكهرباء ، والخلط لا يولد شيئا منهما

(النبذة الثانية في علم الطبيعة) Physics

علم الطبيعة هو علم ظواهر المادة يبحث فيه عن طباعها وخواصها وقواها فهو علم الظاهر والكيمياء علم الباطن

أما قوى المادة فمعناها حركات جواهرها (ذراتها) المختلفة ، وتنشأ منها أعراض كثيرة أهمها ما نسميه بالكهرباء والحرارة والنور والمغناطيس فإن الأشياء الأربعة ليست الا حركات مختلفة لذرات المادة

ثم ان المادة لها ثلاثة أحوال (١) اليوسة (٢) السيولة (٣) البخارية أو الغازية ، ويسمى الجسم في الحالة الأخيرة الساطع أو الريح أو البخار وبالفرنسية الغاز

واختلاف هذه الاحوال الثلاثة إنما نشأ من اختلاف مقدار الحرارة الموجودة في كل منها ، فذرات الغاز أشدها اضطرابا وأكثرها حركة وحرارة ، وذرات الجامد (اليابس) أقلها حركة وحرارة ، وذرات السائل متوسطة بين الحالتين في الحرارة

والحركة. فلا يمكننا تحويل الجسم من حالة السيولة الى حالة السبولة الا بالحرارة ولا يمكننا تحويله من حالة السيولة الى الحالة الغازية الا بالحرارة أيضاً. وكذلك الحالة في اذابة جميع الاجسام الجامدة في السوائل فانها تمتص الحرارة من الاجسام المجاورة لها فاذا اذبننا مثلاً الملح الانكليزي في الماء احسنا ببرودة في الاناء بسبب امتصاص حرارته لاجل الاذابة

والحرارة نوعان حرارة كامنة وهي منصرفة في تفريق ذرات المادة ولا يمكن الاحساس بها، وحرارة ظاهرة وهي التي يشعر بها الانسان
سفن التجاذب وأنواع الجذب

بين ذرات المادة تجاذب يظهر في أجرامها العظيمة كالكواكب وفي أجرامها الصغيرة كالخصى، ويشاهد هذا الجذب بين القمر والارض مثلاً في ماء البحار فيحصل فيه ما يسمى بالمد

ويسمى هذا التجاذب باسماء مختلفة باختلاف الاحوال: فالتجاذب بين ذرات الجسم الواحد كالخصى يسمى قوة الانضمام وبالانكليزية Cohesion والتجاذب بين جسمين مختلفين كالجدار وطلائه يسمى قوة الالتصاق وبالانكليزية Adhesion وبين الارض وما عليها يسمى قوة الجذب Gravitation وكل ثقل لاي جسم انه هو ناشئ من هذا الجذب الارضي. واختلاف الاثقال هو ناشئ عن عدد اختلاف الذرات، فالجسم الثقيل هو ما كانت ذراته كثيرة والجسم الخفيف هو ما كانت ذراته قليلة. وكل ما نعرفه ونشاهده على الارض من الاجسام حتى الهواء له ثقل تسبب عن جذب الارض له

وثقل الهواء على الاجسام يسمى الضغط الجوي وقياسه يستعمل البارومتر أما البارومتر فهي كلمة يونانية معناها (مقياس الثقل) أي ثقل الهواء وأبسط طريقة لصناعته أن تملأ أنبوبة زجاجية بالزئبق عادة طولها ٩٠ سنتي متراً وقطرها سنتي واحد ثم تسد بالاصبع وتغطس فتحتها في إناء مملوء بالزئبق ثم يرفع الاصبع فترى أن الزئبق ينزل في الانبوبة ويترك مسافة فارغة في أعلاها ويكون ارتفاع الزئبق في الانبوبة عن سطح الزئبق الذي في الإناء نحو ٧٦ سنتي متراً والذي رفعه الى

هذه المسافة هو ضغط الهواء على سطح الزئبق الذي في الاناء . ويمكن أيضا عمل البارومتر بأنبوبة على شكل حرف «ل» مسدودة من طرفها الأعلى ومفتوحة من الأسفل فيبقى الزئبق مرفوعا كما في الطريقة الاولى

ومن فوائد البارومتر معرفة ارتفاع الجبال وغيرها كلل مناظير لان الزئبق ينزل في الانبوبة كلما ارتفعنا خلفه الهواء في الاماكن العالية ، وكذلك نعرف منه قرب حصول المطر فان الهواء المشبع بالرطوبة أخف من الهواء الجاف فينخفض الزئبق اذا اقترب المطر

تعدد الاجسام ومقياس الحرارة

وجميع الاجسام تعدد بالحرارة في جميع جهاتها أي يكبر حجمها بسبب تفرق أجزائها فتتسع المسام التي بينها وتنكمش أيضا بالبرودة أي يصغر حجمها وهمل المسافات (المسام) التي بين ذراتها

وعلى هذه القاعدة بني مقياس الحرارة Thermometer وهو عبارة عن أنبوبة من الزجاج فارغة من الهواء يوضع في أسفلها الزئبق ثم يبرد بالثلج حين ذوبانه حتى يصل الى أصغر حجمه ثم توضع في بخار الماء الذي يغلي حتى يصل الزئبق في الانبوبة الى أكبر حجمه . وتسمى النقطة الاولى التي وصل اليها الزئبق بالتبريد (نقطة الصفر) - وهي درجة الجليد . أي التي يجمد بها الماء فيكون جليدا والنقطة الثانية التي وصل اليها بالتسخين (نقطة المئة) - وهي درجة الغليان أي للماء - ثم تقسم المسافة التي بين هاتين النقطتين الى مائة قسم يسمى كل قسم منها درجة ويرمز للدرجة بدائرة صغيرة كرقم ٥ فاذا وضعت بجانب عدد كان المراد انه عدد الدرجات كما ترى قريبا وقد يوضع في هذه الانبوبة مواد أخرى غير الزئبق كالكحول (روح الخمر أو السبرتو)

وفي بعض البلاد يقسمون المسافة التي بين النقطتين المذكورتين الى ٨٠ قسما أو درجة وفي هذا المقياس تكون الدرجة أكبر من درجة المقياس الاول وقد يقسمون هذه المسافة أيضا الى ١٨٠ قسما فتكون الدرجة أصغر . ويضعون في هذا المقياس الاخير بديل الصفر رقم ٣٢ وبديل ١٠٠ رقم ٢١٢

ويسمى المقياس الاول بالمقياس المئوي Centigrade (سنتجراد)
ويسمى المقياس الثاني مقياس (رُيُومر) والمقياس الثالث يسمى مقياس
(فهرنهايت) وأكثر هذه المقاييس استعمالاً في مصر وفرنسا هو الاول ويليه الثالث
كما في بلاد الانكليز وأما الثاني فهو قليل الاستعمال . أما حرارة الجسم الانساني
الطبيعية فهي بالمقياس الاول من 36° صباحاً الى 37° مساءً وبالمقياس الثالث
من 98° الى 99° تقريباً

وكل درجة من هذه الدرجات تنقسم الى عشرة أقسام فالخمس منها هي نصف
الدرجة وهكذا . وطريقة معرفة حرارة الإنسان أن يوضع المقياس في أي جزء
من الجسم بحيث يكون محاطاً باللحم من جميع الجهات مدة ثلاث دقائق تقريباً . وأشهر
هذه الاماكن تحت اللسان وتحت الابط وقد تؤخذ الحرارة أيضاً من الشرج
وذلك في الانعام والاطفال

والحيوانات تنقسم الى قسمين باعتبار الحرارة :
القسم الاول الحيوانات ذوات الدم الحار كالانسان والخيول والسباع والطيور
وغيرها . والقسم الثاني ذوات الدم البارد كالضفادع والاسماك والزواحف
فحيوانات القسم الاول تبقى حرارتها على حالة واحدة تقريباً في الحر والبرد في
أواسط الارض عند خط الاستواء وفي أعلاها عند المنجمد الشمالي مثلاً
وحوانات القسم الثاني تختلف حرارتها باختلاف البيئة (الوسط) فترتفع
حرارتها اذا كان المكان ساخناً وتنخفض اذا كان بارداً

أما الانسان فاذا قلت حرارته عن 35° أو ارتفعت عن 44° مات غالباً . وارتفاع
الحرارة هو ما يسمى بالحمى ، وانخفاضها يسمى بالهمود (أو الهبوط) وهو الحالة التي
يكون الانسان فيها عند الموت عادة

المادة وقواها

إن جميع الاجسام وقواها المشاهدة في هذا العالم لا توجد الآن من العدم
ولا تقبل العدم أو الزوال وذلك بحسب استقراءنا الحالي وعلى ذلك يجب علينا ان
نبين مصادر (أو منابع الحرارة) في العالم حيث أنها لا تنبعث من العدم :

(مصادر الحرارة)

للحرارة مصدران : طبيعي وصناعي

(١) أما المصدر الطبيعي فهو الشمس وباقي الشمس الاخرى المسماة عندنا بالنجوم الثابتة، والحرارة التي فيها انما تنشأ من احتراق أجزائها. والاحتراق عبارة عن اتحاد الأجزاء بعضها مع بعض اتحادا كيمياويا ، وأهم أنواع الاحتراق المشاهد في هذه الأرض ما يحصل من اتحاد الفحم مع الأكسجين، والهيدروجين مع الأوكسجين أيضا . والاحتراق لا يعدم المادة وانما يحولها الى صور وأشكال أخرى (٢) وأما المصدر الصناعي فهو ينشأ من الاسباب الآتية :

(أ) الاحتكاك

(ب) القرع . كقذح الزناد الحجرية أو زناد الآلات النارية (البنادق)

(ج) التفاعل الكيماوي أو الاتحاد الكيماوي (كاحتراق الخشب)

(د) التيار الكهربائي (كالأتون الكهربائي)

فالحرارة الحيوانية تتولد في الجسم من الاحتراق ومن الشمس ومن الحركات الجثمانية الظاهرة والباطنة . وأهم احتراق يحصل في الجسم هو اتحاد ما يوجد فيه من الفحم أو الهيدروجين بأوكسجين الهواء . والفرق بين اشتعال الجسم الانساني وبين اشتعال غيره أن اشتعال الجسم تدريجي بطيء واشتعال الآخر سريع شديد . ويتولد من اتحاد الفحم مع الأوكسجين غاز يسمى (ثاني أكسيد الفحم) ويرمز اليه هكذا (كأ_٢) (١) ومن اتحاد الهيدروجين مع الأوكسجين يتولد الماء ويرمز اليه هكذا (هأ) وهذان الغازان ينشآن أيضا من احتراق كثير من أجسام أخرى كالخشب والشمع وزيت البترول (٢)

ونخرج الحرارة من الجسم الانساني عدة طرق :

(١) طريق التوصيل وذلك بمرير الحرارة من الجسم الانساني الى جميع

(١) أي جواهر فرد من الكربون (الفحم) متحد مع جواهرين من الأوكسجين في كل ذرة من ذرات الغاز (٢) البترول معناه زيت الصخر أو الحجر لانه ينبع منه وتسمية العامة بالجاز أو الكاز

الاجسام المحيطة به كالملابس والفرش والهوا (٢) الاشعاع أي خروج الحرارة من الجسم بشكل أشعة كأشعة النور منبعثة في جميع الجهات، وسريتها هذا يكون في الاثير (٣) طريقة الحمل وذلك يكون بحمل الهوا. المحيط بالجسم للحرارة وارتفاعه بسبب خفته وحلول هواء آخر بارد محله فان الهواء الحار أخف من الهواء البارد (٤) طريقة الافرازات كالبول والبراز وغيرها فاتها يحملان شيئاً كثيراً من حرارة الجسم. ومثلها الهواء الخارج من الرئتين في الشهيق (٥) التبخر وذلك يكون بتبخر عرق الجسم ولا يخفى أن تحول الماء الى بخار يحتاج الى حرارة كما قلنا سابقاً فذلك كان العرق في تبخره مخرجاً لكثير من حرارة الجسم وهو من أهم الطرق المذكورة هنا فإذا اشتدت حرارة الجوانب انبعث الدم من داخل الجسم الى خارجه وملاً بالدم كله وكثيراً فإفراز العرق وقل الاحتراق الداخلي في الجسم حتى لا يزيد الحرارة من الدرجة الطبيعية

وإذا اشتدت برودة الهواء كثر الاحتراق الداخلي في الجسم وهرب الدم من ظاهره الى باطنه وامتنع العرق وبذلك تحفظ حرارة الجسم فيه وتبقى في الدرجة الطبيعية وكل هذه الحركات التي تحصل في الجسم من هروب الدم الى الباطن وخروجه الى الظاهر ومن زيادة الاحتراق أو قلته مدبرة بالأعصاب ومركز هذا التدبير في الدماغ أو المخ

فإذا أصيبت مراكز التدبير بأي شيء اختلت وظيفتها فإما أن يبرد الجسم برودة شديدة أو يسخن سخونة شديدة. وذلك الأخير هو الحمى وقد يموت الشخص بسبب البرودة أو السخونة

والذي يفقد عمل هذه المراكز العصبية المدبرة في الغالب سموم تتولد في الجسم من الجراثيم المرضية (الميكروبات). وقد ينشأ اختلال هذه المراكز من إصابات أخرى للدماغ أو آلام شديدة في جزء من أجزاء الجسم كالمغص الكلي. فأعظم أسباب ارتفاع الحرارة الجذمانية (أي الحمى) شيشان (١) سموم الميكروبات التي تدور في الدم (٢) كل ما يؤثر في المراكز العصبية كالألم الشديد أو ضربة الشمس أو غيرها

ومما تقدم يفهم أن الحمى تتولد في الجسم بثلاثة طرق (١) زيادة الاحتراق مع خروج الحرارة من الجسم كالمعتاد (٢) قلة خروج الحرارة عن المعتاد مع كون التولد كالمعتاد (٣) اجتماع الطريقتين السابقتين بأن يزيد الاحتراق ويقل خروج الحرارة. وهذا أشد طرق الحمى

ففي الأمراض المختلفة المصحوبة بالحمى يحصل أحد هذه الطرق وخصوصاً الأول والثالث منها

فالحمى على ذلك ضرب من ضروب النار. وأفيد عمل لإطفائها بسرعة استعمال الماء البارد مصداقاً للحديث الشريف (الحمى من فيسح جهنم فأبردوها بالماء) أي كأنها من حر جهنم أو مما انتشر منها إلى الأرض ومن الغلط الشائع معالجة الحمى بكثرة التدفئة بالملابس وغيرها فإن ذلك يزيد حرارة الجسم ويضر المريض كما لا يخفى

كلمة في الخمر

يظن كثير من جهلة الناس أن استعمال الخمر في البلاد الباردة ضروري للحياة وقد أثبت جميع أطباء العالم بلا خلاف بينهم تقيض هذه الدعوى وظهر لهم أن الخمر من أعظم ما ينخفض الحرارة الجسمانية لأسباب (أحدها) أنها تقلل الاحتراق الداخلي في الجسم المسمى بالتفاعل الحيوي (ثانيها) أنها تمدد جميع أوعية الجلد وتكثر العرق وبذلك يخرج كثير من حرارة الجسم (ثالثها) أنها إذا تعوطيت بمقادير كبيرة انتهى الأمر بها إلى إضعاف جميع قوى الجسم فيضعف القلب والدورة الدموية، ولذلك شوهد في البلاد الباردة كثير من الناس الذين تقتلهم الخمر

نعم إن جزءاً منها يحترق في الجسم فيولد فيه حرارة ولكنها لا تعد شيئاً في جانب تبريدها الشديد للجسم كما بينا

أما الإحساس بالحرارة عتب تعاطيها فذلك ناشئ من ورود الدم بكثرة إلى الجلد لا لزيادة في الاحتراق فهو إحساس كاذب ضار بالجسم

ومما تقدم يعلم أن الخمر نافعة في تبريد حرارة الجسم إذا أصابته الحمى، وهي كذلك، فإن خبر استعمالها طيباً هو في الحيات بشرط عدم الاستمرار عليها طويلاً

وعدم الاكثار منها ، وإلا لأحدثت سرعة في النبض وزادت في هذيان المحموم وقد تستعمل أيضا بمقادير قليلة للتنبيه والانعاش قائم في أول أمرها وبمقادير قليلة تؤدي الى تنشيط حركة الجسم ولكن ذلك يعقبة غالبا (وخصوصا اذا أخذت بمقدار كبيرة) هبوط ضار في جميع القوى

أضف الى ذلك مضراتها الاخرى الكثيرة بجميع الاحشاء وغيرها من أجزاء الجسم ، فان الخمر هي من أعظم أسباب جميع الامراض العقلية والعصبية والجهمانية ، وهي تضعف الذلل وتورثه بعض ما أصابت به والديه كالمصرع مثلا . ومن أكبر مضراتها أيضا أنها تعوق حركة السكريات البيضاء ، التي في الدم وبذلك يتغلب كثير من الامراض على الجسم فتفتك به كما هو مشاهد كثيرا في السكيرين فقل أن ينجو منهم أحد أصيب بمرض شديد

وقد يتوهم بعض الناس مما ذكر أن الخمر اذا شربت بمقادير قليلة نفعت الجسم والحقيقة خلاف ذلك ، فان الادمان والمواظبة على شرب الخمر ولو قليلا لمدة طويلة قد ينشأ عنه كثير من الامراض التي ذكرت والقليل يجر الى الكثير حتما والا لضاعفت مزيته عند الشارب

والمدمن على تعاطيها ولو باعتدال هو دائما ضعيف القوى بحيث لا يتحمل ما يتحمله غيره من المشاق ، وهو أيضا معرض لكثير من الامراض المعدية كالسل والحرمة ، لأن الخمر تقلل مقاومة الجسم لجميع الميكروبات كما قلنا وخصوصا ميكروب الالتهاب الرئوي ولذلك لوحظ ان الجنود الاسلامية أقوى الناس تحملا للمشاق وأقلهم تعرضا للامراض والخلاصة : ان الخمر اذا أخذ منها قليل مرة أو مرتين قد تنفع ولكن الادمان على قليلها هو ضار جدا كالاكثار منها غير أن ضرر القليل بطيء وضرر الكثير سريع قد يقتل الشخص في أقرب وقت فهي كما أخبرنا الله تعالى في كتابه فيها منافع للناس وأنها أكبر من نفعها

(الدوبان وما يتعلق به)

إذا وضع جزء من السكر أو نحوه في الماء وترك قليلا من الزمن مع تحريك

السائل أو السكر انحل السكر كأنه فقد ، والحقيقة أنه لا يزال باقيا في الماء فيعطيه خواصه وصفاته

وإذا مزج قليل من الدقيق بالماء شوهد أنه باق فيه بلا انحلال
فالحالة الأولى تسمى حالة الذوبان والحالة الثانية تسمى حالة التعليق ، لأن ذرات
الجسم الصلب تكون معلقة أو محمولة على ذرات الجسم السائل
وكما يحصل الذوبان في الأجسام الصلبة كذلك يحصل في السوائل والغازات
فإذا مزجنا بعض السوائل ببعض الآخر يشاهد فيها هذا الانحلال (الذوبان)
مثال ذلك اختلاط الخل بالماء والخر به فانهما يذوبان فيه
وكذلك الغازات فان بعضها يذوب في السوائل أي تنحل وتمزج بها امتزاجا
تاما كالهواء مع الماء

وكما أن بعض الأجسام الصلبة لا يذوب في بعض السوائل كذلك توجد
سوائل لا تذوب فيها كالزيت في الماء

وأحسن طريقة لتعليق الزيت في الماء أن يمزج الماء قبل اضافة الزيت اليه
بقليل من الصمغ ويسمى المزيج الحاصل من هذه الاشياء الثلاثة (مستحلبا)
فن امثلة التعليق في الأجسام الحيوانية الدم واللبن فان الدم مركب من بعض
اجسام ذائبة وبعض اجسام غير ذائبة وكذلك اللبن فان الدهن معلق فيه كتعليق
الزيت فيما سميناه هنا مستحلبا تشبيها له باللبن الحليب (المحلوب)

ويمتاز الجسم المعلق عن الجسم الذائب بما يأتي : —

- (١) إن الجسم المعلق يشاهد بالمعين المجردة او بالآلات المكبرة (الميكروسكوب)
- (٢) اذا ترك الجسم المعلق زمنا متا شوهد انه ينفصل عن السائل الذي كان
معلقا فيه فاما أن يصعد الى أعلا كالزيت أو يسقط الى أسفل كالدقيق
- (٣) اذا وضع السائل المعلق عليه شيء في اناء ناضح فضع السائل وحده وبقى
الجسم المعلق في داخله

(٤) توجد آلة تسمى (المبعدة عن المركز) اذا وضع فيها سائل عليه أشياء

معلقة وأدبرت بسرعة شديدة طردت الأشياء الثقيلة الى جهة دائر محيطها واقتربت الخفيفة نحو مركزها وبذلك يمكن فصل الاجسام المعلقة بعضها عن بعض وهذه الآلة تستعمل في فصل زبدة اللبن عنه فتجد فيها الزبدة بقرب المركز لخفتها وكذلك تستعمل في فصل كريات الدم عن بقيته فتوجد الكريات عند محيطها لثقلها . وفصل الجسم الذائب في السائل عنه طريقة شهيرة وهي التبخير السريع أو البطيء . والسائل الذي يبخر اذا برد وجمع يسمى مقطرا ، وهو يكون خاليا من جميع الاجسام التي كانت ذائبة فيه الا التي تتصاعد بالحرارة كالروائح الزكية وغيرها وهذه سنة الله تعالى في استخراج ماء المطر من البحار كما قال الله تعالى (أخرج منها ماءها ومرعاها) ويستعملها الانسان لاستخراج الملح لطعامه ولا استخراج الماء العذب من الماء الملح اذا كان مسافرا في البحار (المحيطة)

وتختلف الاجسام في الذوبان باختلاف أنواعها فمنها ما يذوب كثيرا ومنها ما يذوب قليلا ، ولها كلها في الذوبان نسب خاصة ثابتة ، وكلها تحتاج لحرارة في ذوبانها فتختلف النسب حينئذ باختلاف درجة الحرارة ، فاذا كانت الحرارة كثيرة ذاب كثير واذا كانت قليلة ذاب قليل ، ولا يستثنى من ذلك الاجسام قليلة كالمح الطعام الذي يذوب في الماء البارد كالساخن مع فرق طفيف

واذا أذيب في السائل في درجة متا أكبر مقدار يمكن اذابته فيه في هذه الدرجة سمي السائل مشبعا وهذه الطريقة تسمى سنة (الاشباع)

واذا أشبع السائل وهو حار بمقدار متا من الملح ثم برد السائل رسب من الملح ما ذاب في حالة السخونة وبقي مقدار قليل ذائبا يناسب الدرجة التي وصل اليها الماء في برودته

وهذه الاجسام الراسبة تتخذ أشكالا هندسية بدية عجيبة في أثناء رسوبها تسمى (البلورات) وكما أن الرسوب يحصل اذا اختلفت الحرارة من عالية الى واطئة كذلك يحصل اذا قل مقدار السائل بالتبخير . ومما يساعد على رسوب الاجسام من السائل المتبخر وجود أي جسم غريب فيه فيكون كبداء للرسوب ، وكما أن الرواسب تحصل في الخارج اذا انخفضت حرارة السائل أو وضع فيه جسم غريب كذلك

يجوز أن تكون الحصوات في الجسم الانساني (كالحصوات الكلوية والصفراوية) من انخفاض حرارته فجأة في بعض الحيات ومن وجود بعض أجسام غريبة في داخله كويضات الديدان الطفيلية . هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن أكثر الحصوات الكلوية هي من حامض البولييك وهو يكثر افرازه في الحيات ويرسب في البول اذا اشتدت حموضته فلذا أرى أن الحيات هي من أعظم أسباب الحصوات الكلوية لان البول يكثر فيه هذا الحامض ويكون شديد الحموضة فلذا يرسب فيه الحامض البولييك وأملاحه خصوصا اذا انخفضت الحرارة أما ذوبان الغازات في السائل كلما فانه يختلف في أحكامه عن الاجسام الصلبة فالغازات تذوب بكثرة كلما اشتدت برودة السائل وكما زاد الضغط عليها، وهي في ذوبانها كباقي الاجسام الأخرى تختلف أيضا باختلاف طبيعتها، فمنها ما يذوب كثير ومنها ما يذوب قليلا

ولولا ذوبان الهواء في الماء لمائت الحيوانات البحرية، فانه ضروري لحياتها كالحيوانات البرية سواء بسواء . أما الأكسجين الموجود في الهواء الذائب فهو بنسبة خمسة وثلاثين في المائة من حجمه . وفي الهواء العادي ٢١ في ١٠٠ وهذه الحقيقة الأخيرة تثبت أن الأكسجين في الهواء ليس متحدا اتحادا كيمياويا مع النيتروجين بل ممزجا به فقط، ولذلك اختلفت النسبة في حالة الذوبان عنها في الجو (ينبع)

الامتيازات والشرعية الاسلامية*

الاسباب التي تحمل الدول الاوربية على صيانة الامتيازات الاجنبية في تركيا - الشرعية الاسلامية قائمة على القرآن لاتساوي بين المسلم وغير المسلم

أعلنت الحكومة العثمانية انها ألغت امتيازات الاجانب في بلادها فاحتجت الدول الاوربية والولايات المتحدة على هذا العمل الذي خرقت به تركيا المعاهدات الدولية، وعلت الاصوات بالشكوى من الحالة السيئة التي يصير اليها الاجانب في تركيا فيما لو ألغيت الامتيازات المذكورة وصار الاجانب في تركيا مثل العثمانيين خاضعين للمحاكم الاهلية، ولم يبق لهم الحق على رجوعهم الى محاكم قنصلياتهم في دعاويهم المدنية والجناية وقد عثرنا على مقالة خطيرة في هذا الشأن لأخذ الكتبة السياسيين في جريدة الصن النيويوركية أردنا تلخيصها اتماما للفائدة قال :

لا الولايات المتحدة ولا دولة اخرى أجنبية نصرانية ترضى ان رعاياها الذين لهم مصالح في تركيا والذين لسبب من الاسباب اضطروا ان يسكنوا فيها موقتا أو دائما ان يكونوا خاضعين للمحاكم القضائية القائمة على تعاليم القرآن، فطرائق العدالة الاسلامية شرعية بلفظها ومعناها، وطرائق العقاب الاسلامية بلغت من القساوة مبالغاً عظيماً بحيث ان الحكومه الاجنبية التي تترك رعاياها تحت رحمة محاكم تركيا الوطنية تخسر ثقة شعبها وفضلا عن ذلك ان الاجانب بعد إلغاء هذه الامتيازات لا يكونون تحت رحمة تلك المحاكم الجائرة فقط، بل يعرضون نفوسهم لضرائب فادحة،

* هذه المقالة لـ كاتب أمريكي ترجمتها بالعربية جريدة الهدى العربية السورية التي تصدر في نيويورك فرأينا أن نقلها عنها ونعلق عليها ما فيه العبرة

فان الحكومة العثمانية التي تنفق أموالاً طائلة على جنديتها وبحريتها وعليها دين وطني واجنبي عظيم، وهي منكوبة بأشد أزمات مالية، لا بد ان تضرب في المستقبل ضرائب فادحة على الاجانب في بلادها، بعد ان نضبت مواردها الوطنية بكثرة ما وضعت عليها من الضرائب الباهظة

ولا يقدر الباب العالي ان يمنح الحكومات الاجنبية شيئاً يذكر في مقابل موافقتها على إلغاء الامتيازات الاجنبية في تركيا، فالحكومة الحاضرة في الآستانة غير قائمة على أساس ثابت، بل هي دائماً تحت رحمة اناس مغامرين متهوسين نظيرانور باشا ناظر الحربية السابق (?) أو المسيطر الحقيقي على تركيا، الذي تلطخت يده بدم ناظم باشا القائد العثماني الشجاع المقتول بخيانة وجبانة. ولذلك باتت الحكومة العثمانية تحت خطر دائم، ولا يبعد ان تقع ثورة في الغد تسقط هذه الحكومة وتلغي الدستور وتقضى كل الاتفاقات التي عقدتها الحكومة السابقة، وتعيد الحكم الاستبدادي بما يرافقه من جور وفسادة

وما لا بد من ذكره ان امتيازات الاجانب في تركيا لم تؤخذ منها بالقوة بل هي منحتها مختارة، ومنشأها احتقار المسلم الشديد لكل من هو غير مسلم، فالاسلام لا يقدر ان يتصور وجود مملكة مختلفة، فهو لا يحسب حساباً الا للبلاد التي كل سكانها مسلمون، ويعتقد ان العالم كله سيؤول في آخر الامر مثل هذه المملكة

هذا من جهة النظريات، امامن الوجه العملي فالمسلم لا يكثر لوجود غير مسلم في بلاده، ولا يعترف بمساواة غير المسلم به. وبالتالي ان المسلمين لا يهتمون ما يفعله غير المسلمين ويتفكرون به مازالوا خارجين عن دائرة الاسلام

والذي يستحق الذكر أيضا ان الاسلام انتشر بالفتح لا بمساع سلمية، وقد استعان المسلم الفاتح على ادارة شؤون البلدان التي فتحها باطرائق الادارية التي وجدها مرعية فيها، وقد رأى في تلك البلدان دوائر روحية لانصاري واليهود ابقاها على حالها، وصار الاساقفة والحاخاميون رؤسائهم المسؤولين واسطة بينهم وبين الحكام المسلمين

وعلى هذه القاعدة صار الاجانب الساكنون والمتاجرون في تركيا وبلاد فارس ومصر وبقية الممالك الاسلامية تحت سيطرة قناصلهم القضائية أولا باستمرار العادة وثانيا بمقتضى معاهدات. ولم ينالوا هذا الامر من باب الامتياز بل من وجه اهم احط من ان ينتفعوا بمنافع العدالة الاسلامية القائمة على القرآن

وقد فتحت عن هذه الطريقة شريعة الامتيازات الخارقة العادة التي اعفت السفير الاجنبي وبيته واملاكه من القضاء العثماني، وتناوت هذه الشريعة رعايا دولته الاصليين والمتجنسين بجنسيتها. ومع نقصان قوة المملكة الاسلامية وازدياد قوات الدول الاجنبية كانت امتيازات الاجانب تزداد قوة واهمية في البلدان الخاضعة للحكم الاسلامي حتى صارت المستعمرات الاجنبية في كل مملكة اسلامية اشبه بممالك صغيرة ضمن مملكة كبيرة ومن الادلة على ان الامتيازات الاجنبية في الممالك الاسلامية لم تنل بالقوة ان سويسرا والبرتوغال والبلجيكا تتمتع في تركيا وبلاد فارس ومصر بنفس الامتيازات التي تتمتع بها الولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا وروسيا وألمانيا وغيرها من الدول العظمى

هذا وان كثيرين من رجال الحكومة العثمانية نظير احمد رستم بك

(المنار - ج ١١ م ١٧) مزاعم الافرنج في شيخ الاسلام وحكم الشريعة ٨٧١

السفير العثماني في واشنطن المتعصب لاسلامه الجديد يقولون ان قوانين تركيا المدنية والجنائية لا تنقص بشيء عن القوانين الغربية بعد ان وضعها مشترعون عثمانيون وأوروبيون

انهم مصيبون في قولهم، فالقوانين العثمانية خليط بين نظام نابليون والشريعة الاسلامية وملتقى الانهر، ولكنها موجودة بالاسم فقط، فان نجم الدين بك ناظر العدلية في الحكومة العثمانية الجديدة أدرك الناس بهذا الامر، فقد رفع بالامس تقريراً عن الاصلاحات التي أدخلتها حكومته على دوائر الشريعة والقضاة وافتاد النظام الجديد، ولما سئل عما اذا كان هذا النظام يساوي بين المسلم والنصراني واليهودي أجاب بكلام لا يحتمل الريب وقال «ان هذا الامر يستحيل على المسلم ان يتصوره فهو لا يفكر به أبدا» وبناء على ما تقدم يظهر ان نظام العدل في تركيا ديني غير خاضع لناظر العدلية كما هو في بقية الحكومات، بل لشيخ الاسلام الذي ليس رئيس رجال الدين الاسلامي في المملكة العثمانية فقط بل قاضيه الاكبر، فلا مرد لحكمه ولا اعتراض على فتواه. وهو يرأس مرتين في الاسبوع محكمة العدل العليا المتصلة بقصره في استامبول

ولشيخ الاسلام سيطرة على الامة والعلماء والمتصوفة، وعلى رؤساء الكليات الدينية والمحاكم القضائية، فكل القضاة في محاكم تركيا العليا والبدائية ينالون مناصبهم منه وهم تحت نفوذ ديني شديد، بدليل ان مرتباتهم المالية تؤخذ من ريع الاوقاف الاسلامية التي هي ثلاثة ارباع المقارات المدنية في المملكة العثمانية، وقد رافقت اجارها من الفلاحين شروط جائرة منها ان الفلاح المستأجر بعضها اذا مات بدون عقب فأرضه تعاد الي

الأوقاف لأنه لا يقدر ان يتركها لارملته أو أحد أنسابه
ولا يمكن حمل مفسري الشريعة الاسلامية على جعلها حديثة، أو
اقناعهم بأن الأحكام تتغير بتغير الزمان، وبأن الازمنة قد تغيرت منذ
أربعة عشر قرنا حين وضع النبي محمد الشريعة الاسلامية في بلاد العرب
لتنطبق على حاجات أبناء البادية وسكان الوب. فشيخ الاسلام في الآستانة
والمفتي الأكبر في القاهرة وكل قاض مسلم كبير كان أم صغيرا يعتبرون
الحيدان عن تعاليم النبي محمد خطيئة مميتة أو جريمة ضد الاشياء المقدسة
ومن الأدلة على عدم امكان تطبيق أحوال النصارى على منطوق
الشريعة الاسلامية ما جرى في القاهرة سنة ١٩١٠ حين رفض المفتي الأكبر
الموافقة على اعدام الورداني قاتل بطرس باشا غالي رئيس الوزارة المصرية
والاول مسلم والثاني نصراني قبطي، وكانت حجة المفتي في عدم الموافقة
على اعدامه ان الشريعة الاسلامية لا تحكم باعدام المسلم لقتله نصرانيا، فالمسلم
الذي يقتل نصرانيا لا يعتبر مجرما في نظر الشريعة الاسلامية
وقد استغربت الحكومة الانكليزية هذه الفتوى ولم تعمل بها،
وشنقت الورداني غير مكترثة لفتوى المفتي الأكبر الذي ذكر سببا آخر
لامتناعه عن الفتوى باعدام الورداني فقال انه لم يرد في القرآن ذكر
للمسدسات، ولا في الشريعة القائمة على الحديث، ولذلك لا يعتبر المسلم
بالشريعة المقدسة مجرما اذا استعمل المسدس لجرح أو قتل
وزبدة القول ان فتوى مفتي الديار المصرية في عدم مجرم مسلم يقتل نصرانيا،
وقول ناظر العدلية العثمانية باستحالة مساواة النصراني واليهودي بالمسلم امام
الشريعة العثمانية، حجة قاطعة تحتج بها دول أوروبا والولايات المتحدة في
عدم تنازلها عن الامتيازات الاجنبية في تركيا والسماح للباب العالي بإلغاءها

(النار - ج ١١ م ١٧) أقوال الأفرنج في الشريعة الإسلامية وأهلها ٨٧٣

(تنفيذ مزاعم السياسي الأمريكي في الشريعة الإسلامية)

يتوهم كثير من الشرقيين ولا سيما المتفرنجين منهم أن كتاب السياسة والتاريخ وعلماء القوانين والشرائع من الأفرنج لا يكتبون في جرائدهم الشهيرة ومصنفاتهم إلا لحقائق الثابتة التي قتلوها بحثاً وتدقيقاً وتعميماً . ويظن الذين يسيئون الظن بالأفرنج ويتهمونهم بالتعصب وغمط حقوق الشرقيين كافة والمسلمين خاصة ، أنه لا يكاد يوجد فيهم عارف منصف يقول الحق إذا كان لغير قومه لاهم ، ولا حظ لهم فيه ، والمحققون المعتدلون يهلمون أن المستقلين فيهم كثيرون ، ويظنون أن الأمريكيين منهم أقرب إلى الانصاف ، وأبعد عن الجور والاعتساف ، فيما يحكون به على الشرق والإسلام ويصفونهما به ، لأنه ليس بين الأمريكيين والشرقيين من المازعات والمطامع السياسية مثل ما بين الأوربيين والشرقيين . وهؤلاء يستغربون مثل هذه المقالة من سياسي أمريكي في جريدة أمريكية شهيرة

بل أقول قد يستغرب مثل هذه المقالة كل من قرأها من أبناء العربية في مصر وضرورة بقدر احترامه للأمة الأمريكية الجليلة ، لأنه لا يستطيع أن يرى الكاتب من إحدى الخلتين : الجاهل أو التعصب الحامل على قول الزور ، فإن من لم يعلم من أهل هذه البلاد أن ما حكم به الكاتب على الإسلام زور وبهتان كقليل الإطلاع من النصاري يعلم أن ما نسبته إلى مفتي مصر من القول بأن الشريعة الإسلامية لا تحكم بقتل المسلم الذي يقتل النصراني قول باطل لم يقله ولا يمكن أن يقوله مفتي مصر لأن جميع الكتب التي يستمد منها نصوص الفتوى مصرحة بأن المسلم يقتل بغير المسلم . جعل الكاتب السياسي العلة الأولى لوجوب عدم رضا الدول بالخضوع للمحتاكم العثمانية هي كونها قائمة على تعاليم القرآن وكون المسلم يحترم غير المسلم ولا يعترف بمساواته له

ماذا عرف هذا الكاتب من أحكام القرآن في العدل والمساواة ومن أين استنبط حكمه عليه ؟

قال الله تعالى في مسألة الحكم بين اليهود وكانوا أشد الناس عداوة للنبي (ص) وللمؤمنين من جميع من ناصبوه - (٥: ٥) وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن

الله بحب المقسطين) والقسط هو العدل

وقال تعالى في مسألة الحقوق والحكم العام بين الناس كافة من مسلم وغيره
(٤ : ٥٧ ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس
أن تحكموا بالعدل) قال بين الناس ولم يقل بين المسلمين

وقال في العدل العام والشهادة التي هي ركن القضاء (٤ : ١٣٤ يا أيها الذين
آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، ان
يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما . فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا . وان تلووا أو
تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) امر بالمبالغة في العدل وشهادة الحق ، ومنع
أن يحابي أحد في ذلك نفسه أو والديه أو أحدا من أقاربه أو غنيا لغناه أو فقيرا
لفقره ، وأن يتبع هوى نفسه في ترك شيء من العدل أو يحرف فيه أو يعرض عنه .
وكل هذه الآيات في سورة واحدة

وقد نهى تعالى عن ترك العدل مع الأعداء ، سواء كان في الأحكام أو
الشهادة كما نهى عن ترك العدل مع الأعداء ، فقال (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين
لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شئان قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب
للتقوى ، واتقوا الله ، ان الله خير بما تعملون) الشئان البغض والعداوة أي ولا
يكسبنكم ومحاملتكم بغض قوم وعداوتهم لكم أو عداوتكم لهم على ترك العدل
فيهم اذا حكمتم بينهم أو شهدتم في خصام لهم .

ولست هذه الآيات كل ما في القرآن من الأمر بالعدل ، بل ثم آيات أخرى
كقوله عز وجل « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » وقوله « قل أمر ربي بالقسط »
ومثلها ماورد في الميزان

فليأتنا ذلك السياسي الذي يفر هو وقومه من حكم القرآن بمثل هذا التشديد في
الأمر بالعدل المطلق والمقيد بالأعداء وتحريم المحاباة فيه - لعل من العمل - من
التوراة أو الانجيل أو كتب الأولين والآخرين . اما نحن فنستطيع أن نأتيه بالنصوص
والشواهد على عدم مساواة الأفرنج الأفرقيين والآسويين بأنفسهم

وأما المساواة فهي لم توجد على حقيقتها وإطلاقها وعمومها الا في الاسلام ، كما
تدل على ذلك النصوص والأعمال ، وتشهد به توارىخ القرون والأجيال
أما النصوص فحسبك منها ما تقدم من الآيات أنها فاتها امرت بالتزام الحق
والعدل في الحكم والشهادة والمعاملة مع الموافق في الدين والمخالف ، والغني والفقير ،

والقريب والبعيد ، والمحب الوديد ، والعدو البغيض . وانما يخرج الناس عن صراط المساواة بمحابة من يمت اليهم بجملة الدين أو لجملة النسب ووشيجة الرحم ، أو رابطة الصداقة والمودة ، أو من يطمعون في غناه أو يرجمونه لفقره ، وحينئذ يظلمون خصم من يحابونه ، ومن الناس من يظلم كل من يخالفهم في دين أو جنس ، أو يمتعضونه لسبب ما . وقد أتت الآيات على جميع ذلك

وأما العمل فقد اشتهر عن الخلفاء الراشدين وغيرهم من أحرار المسلمين من العدل والمساواة ما لم يؤثر عن غيرهم . وناهيك بقضية غضب علي المرتضى من عمر القاروق لانه كناه وسمى خصمه اليهودي ولم يساو بينهما في التسمية كما ساءى بينهما في سائر الامور . واعترف عمر بذلك . ولا تنس مساواة عمر بين العلام القبطي وولد عمرو بن العاص فاتح مصر وأميرها . فأمثال هذه القضايا لا يتجرأ أميركاني ولا أوربي أن يدعي مثلها لحكومته . كيف ومن قواعد حكومة الولايات المتحدة التي هي من أرقى حكومات الغرب ان المساواة بين الابيض والاسود غير جائزة . بل رأينا بعض محكمهم في هذه الايام - ولا أقول في هذا القرن الذي يضررون المثل بارتقاء البشر فيه - تنسك على السوريين حق الجنسية الامريكانية والتشرف بمساواة البيض ، على عراقية السوريين في النسب الساسي من الجنس الابيض وكونهم من وطن المسيح عليه السلام ، الذي يعبد الامريكيون ويتخذونه ربا وإلهاً .

فالشريعة الاسلامية وحدها هي التي ساوت بين جميع البشر في الحقوق ، حتى ان الرسول الاعظم ، صلى الله عليه وآله وسلم ، كان يعد نفسه مساوياً لغيره في الحقوق ، وقصة اليهودي الذي جذبه من طوقه لدين له لم يحل أجله مشهورة . وقد طلب من الناس في مرض موته أن يقتص منه من كانت له قبلة مظلمة ، فادعى مكاشة بن محسن (رض) أنه (ص) ضربه مرة على عاتقه مكشوفاً فكشف له (ص) عاتقه ليضربه كما ضربه !!

وليس للخلفاء في الاسلام امتياز على أحد من الناس في الحقوق المدنية ولا الجزائية ، وكان الموالي والذميون والمهاجدون يتحاكون مع الخليفة الى القاضي فيساوي بينهم . فان كان العثمانيون قد قالوا في قانونهم الاساسي « ان السلطان مقدس وغير مسؤول » وجعلوه من قبل ذلك لا يحاكم ولا يناصم فهم إنما أخذوا ذلك عن الاجانب غير المسلمين

واننا نعد من استعلاء الافرنج بقوتهم على ضعفنا نحكمهم بدم كل شيء لنا أو

عندنا ، وان كانوا لم يعرفوا كنهه ولا وقفوا على حقيقته ، كانوا يرون أن الحق والنصيلة والخير وكل ما يمدح لا يكون الا للاقوياء أصحاب المدافع الكبيرة والذهب الكثير ، بل هذا مذهب معروف صرح به كثير من فلاسفتهم وسياستهم ، وهم يجرون عليه في مستعمراتهم .

ولولا اطلاعنا على أقوال العلماء المستقلين والحكماء الراسخين في وصف الاسلام والمسلمين كقوستاف لوبون وجبون واضرابهما لظننا أنه لا يوجد في الافرنج كالم عارف منصف يقول الحق الذي يعتقده

يقول الكاتب الامريكي ان المسلمين أعطوا الأجانب ما أعطوهم من امتياز الحكم فيما بينهم طوعاً واختياراً لأن الاسلام لا يقدر أن يتصور وجود اناس غير مسلمين يستحقون أن يتمتعوا بعدل الاسلام . فكأنه يقول ان المسلمين يريدون بذلك أن يتجاهلوا وجود أحد غير مسلم في الارض !

وانما المعروف من القرآن العظيم أن الله تعالى خير رسوله « ص » في الحكم بين اليهود في قضية عرضوها عليه ، وأمره بأن يحكم بالعدل انا هو اختار الحكم بينهم في تلك القضية التي كانت لهم فيها هوى يبناه في التفسير من عهد قريب . ثم قال (وأن احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم) فليل هذا نسخ للتخير وقيل غير ناسخ فمن هنا أخذ المسلمون أن يحكموا بخير في غير المسلمين بين الحكم بينهم وبين السماح لهم بأن يحكموا بشريعتهم فيما بينهم . ولغلبة الحرية الدينية والتسامح في الاسلام واحترام عقائد الناس سمح الخلفاء والملوك لغير المسلمين بأن يتحاكوا الى رؤساء دينهم في الامور الشخصية . وكذا في غيرها احيانا اذا كان خاصا بهم . فهذه المبالغة في الحرية والتسامح واحترام المخالفين ، كانت يجب أن يطري به الأمريكي وغيره الاسلام والمسلمين ، فما كان منه الا أن قلب الحقيقة ، وعكس القضية ، فجعل ما يقتضي الاطراء في المدح ، موجبا للاسراف في الذم والقدح !! ثم إن الكاتب أخطأ فيما نقله عن شيخ الاسلام في حكومة الاستانة كما أخطأ فيما نقله عن مفتي الديار المصرية ، فهل يوثق بعلمه بالشريعة الاسلامية نفسها وبأحكامها ، وهو لا يوثق بعلمه في الامور الرسمية التي تقع في عصره وهو لا يحتاج فيها الى علم واسع ، بل يكفي فيها التثبت في النقل ، واننا نحمل كلامه على الخطأ وسوء الفهم ، وعدم التثبت في النقل ، ونربأ به عند تعمد الكذب ، لمحض الغلو في التعصب

الجهل والخطأ أهون من الكذب ، وشر الكذب ما حمل عليه التعصب

واحتقار الامة ، وأقبحه ما صدر ممن يدعي الحرية والانصاف ، ويحتكر لنفسه وقومه فضيلة العدل والمساواة ، ولولا الادب مع الكاتب لاحترام أمته لقلنا انه كذب شر الكذب وأقبحه على الاسلام والمسلمين عامة ، وعلى ناظر العدلية العثماني اذ زعم أنه قال : أنه يستحيل على المسلم أن يتصور المساواة بين المسلم أو النصراني واليهودي ، وعلى مفتي الديار المصرية اذ زعم انه احتج على امتناعه من الافتاء بقتل قاتل بطرس باشا بأن الشريعة لا تحكم باعدام المسلم لقتله نصرانيا ولا تعده مجرما

وليس الخطأ في كلمات أو وقائع اسندت الى بعض الرجال ، بأقبح منه في الشرائع والنظام العام ، ومنه قول الكاتب ان نظام العدل في تركيا ديني غير خاضع لناظر العدلية ، وان شيخ الاسلام في الاستانة هو القاضي الأكبر الذي لا مرد لحكمه ، وانه يرأس مرتين في كل أسبوع محكمة العدل العليا المتصلة بقصره في استانبول ، وان له السيطرة على الامة وعلى العلماء والمتصوفة ، وعلى رؤساء الكليات الدينية والمحاكم القضائية ، وان جميع القضاة في المحاكم التركية الابتدائية والعالية يتألون منه مناصبهم وهم تحت نفوذ ديني شديد

وليست هذه المزاعم بأغرب من الاستدلال عليها بكون مرتبات من ذكر من القضاة وغيرهم تؤخذ من الاوقاف الاسلامية ، ومن زعم الكاتب ان تلك الاوقاف هي ثلاثة أرباع العقارات المدنية في المملكة العثمانية

شيخ الاسلام ليس قاضيا لمحكمة تسمى محكمة العدل العليا - ولا سيطرة له على الامة ولا على محاكم العدلية المدنية والجنائية ، ولا هو يعين أحدا من قضاة هذه المحاكم ، بل يعين رؤساءها ناظر العدلية ، وأعضاؤها ينتخبون انتخابا من الادالي المسلمين وغير المسلمين ، ويأخذون مرتباتهم من خزانة الحكومة لا من الاوقاف الاسلامية - والاوقاف الاسلامية ليست ثلاثة أرباع العقارات ولا ربعها ولا عشرها وليس شيخ الاسلام ناظرا للاوقاف ليكون مسيطرا على من يأخذ مرتبا منها

نعم ان شيخ الاسلام هو الذي يولي القضاة الشرعيين الذين يحكمون بين المسلمين في الامور الشخصية ، وهؤلاء تستأنف أحكامهم وتميز في باب المشيخة الاسلامية ، في مجالسها رؤساء غير شيخ الاسلام ، ومرتباتهم كمرتبات قضاة المحاكم المدنية تؤخذ من خزانة الحكومة. وفي باب المشيخة رئيس للمدارس الدينية التي بناها السلاطين في الاستانة وغيرها يسمى وكيل الدرس ، وبالتركية «درس وكيلى» وهذه المدارس أوقاف خاصة بها تديرها نظارة الاوقاف

ولا حاجة الى تفنيد كلامه في اجارة الاوقاف الاسلامية وعيه إياها بأن المستأجرين لها لا يتركونها إرثاً لأولادهم ، فان أجهل الناس في كل أمة وملة يعلمون ان المستأجر لا يكون مالكا حتى يترك ما استأجره إرثاً لأولاده

بهي مما يؤبه له كلامه في تعذر إقناع مفسري الشريعة الاسلامية بان الاحكام تتغير بتغير الأزمان ، وبان الازمنة تغيرت عما كانت عليه منذ اربعة عشر قرناً ، وأن الشريعة الاسلامية وضعت في بلاد العرب لتنطبق على حاجات أبناء البادية - فهذا الكلام لا نلومه عليه لانه قلد فيه كثيراً من الاوربيين الذين لا يخطر في بال مثله ان كلامهم لا يؤخذ على علته . وهذا التعليق لا يتسع لطالة الكلام في بيان الحق في هذه المسألة ، فنكتفي بكلمة وجيزة نقولها له ولأمثاله وهي:

ان مفسري الشريعة الاسلامية لا يحتاجون الى الاقناع بان الاحكام تتغير بتغير الازمنة فكلمهم يعرفون ذلك وطالما قرروه في كتبهم ، واقدم كلمة يروونها في التصريح بذلك عن إمام في العلم والحكم من اهل العصر الاول ماقاله عمر بن عبد العزيز الذي يعده المسلمون خامس الخلفاء الراشدين في علمه وعدله وهو « يحدث للناس قضية بحسب ما أحدثوا من الفجور » ومثله ما يحدثونه من غير الفجور أيضاً - ويعلمون أيضاً أن هذا الزمان مخالف للزمان الذي وجدت فيه الشريعة الاسلامية ، ويعلمون ان الشريعة الاسلامية وضعت لتنطبق على حاجات أبناء البادية كما يعلم الكاتب وأمثاله - ويعلمون أيضاً مالا يعلمه هو وأمثاله وهو ان هذه الشريعة وضعت لتنطبق على حاجات أهل الحضر في ذلك الزمان وفي كل زمان ومكان أيضاً ، وكان ينبغي ان يعلم هو وأمثاله انه كان للمسلمين حضارة فاقت حضارة سائر الامم المجاورة لهم في الشرق وفي الغرب كحضارة بغداد والاندلس ، وأن الشريعة الاسلامية كانت منطبقة عليها ولم يكن عندهم شريعة غيرها ، وان عدلها هو الذي جعل الناس يخضعون لها مختارين ولولا ذلك لم يستطع أولئك الشراذم من العرب فتح الشرق والغرب في جيل واحد ، فالدين الاسلامي هو الذي أوجد الحضارة والفتوحات بطبيعته لا بقوة سيوف أهله ، ولم تكن الفتوحات الموحدة أو الناشرة له

وقد بين علماء الشريعة أن معنى سعتها وموافقتها لمصالح الناس من بدو وحضر في كل زمان ومكان هو كون قواعدها العامة مبنية على أساس الشورى والعدل والمساواة ، واعتبار عرف الناس الحسن في معاملاتهم ، ودرء المفاسد وجلب المصالح ودفع الضرر والضرار ، وكون أولي الامر ورجال الشورى فيها يجب ان يكونوا من

أهل الاجتهاد القادرين على استنباط الاحكام التي تمس اليها حاجة الناس في سياستهم وأقضيتهم. ولم يقل أحد من أئمة هذه الشريعة ما يدعيه هذا الكاتب وأمثاله من ان النبي (ص) وضع أحكاما تفصيلية لجميع ما يحتاج اليه أمته في زمنه - دع سائر الازمنة - وانه يحرم على سائر المسلمين ان يزيدوا فيها شيئا تقتضيه المصلحة. بل صح بعض الأئمة بان مراعاة المصالح في كل زمان ومكان أصل من أصول هذه الشريعة يتفرع عنه مالا يحصى من الاحكام . وقد شرحنا هذه المسألة وفصلناها غير مرة في تفسير القرآن الحكيم وفي غيره من مباحث المنار

نعم إن حكام المسلمين والمشتغلين بالعلم منهم قصرُوا منذ قرون فيما يجب عليهم من الاجتهاد في هذه الشريعة ، وجمدوا على بعض الكتب التي ألفها من قبلهم فجنوا بذلك على انفسهم وعلى ملتهم ، وكان من آثار هذا الجمود والجهل ان لجأت بعض حكوماتهم الى الاستمداد من القوانين الاوربية - كما نقل الكاتب عن السفير العثماني في بلاده - بعد أن كان الاوربيون يستمدون من كتب شريعتنا كما فعل نابليون الاول . ولكن نابليون اقتبس من شريعتنا في قانونه مارآه موافقا لمصلحة امته ، واما حكامنا فانهم صاروا يأخذون من قانونه ومن سائر القوانين الاوربية ما يوافق مصالح أمته وما يخالفها ، ذلك بأن نابليون اقتبس بمقل واجتهاد ، وحكامنا يقلدون الافرنج تقليدا . ومن هذا الجمود توقف بعض المتفهمة عن جمل القتل بالرصاص كالقتل بالسيف أو السكين ، ولولا هذا الجمود لما اضطروا الحكام الجاهلين بالشريعة الى الالتجاء الى قوانين الامم الاخرى ، فهذا شر عواقب جهل رؤسائنا بأصول شريعتنا وتركهم الاجتهاد الواجب فيها ، والأئمة متفقون على اشتراط الاجتهاد في الاحكام والمفتين ، ولكن من ينفذ هذا الشرط ؟

ومن التناقض في كلام الكاتب أنه جعل العلة لنفور الاجانب من الخضوع للمحكمة العثمانية هي كونها تستند في أحكامها الى القرآن المنافية للعدل والمساواة، ثم اعترف بأن العثمانيين أخذوا معظم قوانينهم عن الاوربيين . وليته يعلم انهم لو حكموا بين الاجانب بما يأمر به القرآن لكان خيرا لهم ، لانهم حينئذ يحكمون بعدل كامل يقيمون بالاخلاص سرا وجهرا ، وليست حالهم في القوانين كذلك . هذا وان الحقائق التي اشرنا اليها يعرفها كثير من الاوربيين ، ويصرح بها بعض المستقلين . وقد نقلنا من عهد غير بعيد قول لورد كاتشر لعضو من أعضاء مجلس الامة العثماني ان هذه القوانين لا توافق حال العثمانيين كما توافق حال من أخذوها عنهم ، وقوله

أن عندكم شريعة عادلة تنطبق على مصالحكم فخير لكم أن تعملوا بها .
وقد كان لورد كرومر كتب في آخر تقرير له عن مصر كلمة في الشريعة الإسلامية
في معنى كلمة الكاتب الأمريكي من حيث موافقته هذا الزمان وعدمه ، فكتبت
إليه كتاباً قلت له فيه إذا كان يعني بما كتبه الدين الإسلامي الذي هو القرآن والسنة
فأنا مستعد لأن أبين له أن معظم ما جاء فيهما من الأحكام القضائية والسياسية قواعد
عامة توافق مصلحة البشر في كل زمان ومكان لأن أساسها درء المفاسد وجلب
المصالح بحكم الشورى . وإن كان يعني كتب الفقه الإسلامي فتلك من وضع الناس
فيها كثير من آرائهم التي ينتقدها عليهم غيرهم

فأجاني عن ذلك بأنه يعني بما كتبه مجموعة القوانين الإسلامية التي تسمى الفقه
قال « ولم أعن الدين الإسلامي نفسه ، ولذلك قلت في هذا التقرير وفي غيره
بوجوب مساعدة الحزب الإسلامي الذي يطلب الإصلاح ويسير مع المدنية من
غير أن يس اصول الدين »

ونص كتابي وكتابته في ذلك مطبوعان في ص ٢٣١ و ٢٣٢ من مجلد المنار العاشر
أكتفي بهذه العجالة في الرد على الكاتب الأمريكي ، وكان لي أن أوجه
كلمة عتاب إلى رصيفنا صاحب جريدة الهدى الذي ترجم هذه المقالة وصدرها
بمقدمة تدل على اقرار كاتبها على ما كتبه ، ولم يعقب عليه بكلمة إنكار . ولكنني
استبدل بالعتاب الرغبة إلى انصافه بأن ينشر هذا الرد في جريدته وينبه جريدة
الصين إلى ما يجب عليها من ترجمته ونشره لتتسوخ ذلك الباطل بالحق اليقين ، وحيا الله
الانصاف والمنصفين

تاريخ اعلان الدول الحرب

ذكرنا من قبل اعلان أكثر الدول للحرب والآن نعيده مستوفى فقول :
أعلنت النمسة الحرب على السرب في ٢٨ يوليو سنة ١٩١٤ . وأعلنتها ألمانيا على
روسية في ١ أغسطس وفي ٤ أغسطس أعلنتها على البلجيك وفرنسة . وفي منتصف ليل
٥ أغسطس أعلنت انكلترة الحرب على ألمانيا . وفي ٦ أغسطس أعلنتها النمسة على
روسية . وفي ٧ أغسطس أعلنها الجبل الأسود على النمسة . وفي ١٠ منه أعلنتها فرنسة
على النمسة . وفي ١٢ منه أعلنتها انكلترة على النمسة . وفي ١٧ منه أعلنها الجبل
الأسود على ألمانيا . وفي ٢٣ منه أعلنتها اليابان على ألمانيا . وفي ٢٦ منه أعلنتها
النمسة على اليابان

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الأبواب

المعراج
١٣١٥

فيشرح ما دعي الذين يستهون بالقول فيجمعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الأبواب

قال عليه الصلاة والسلام : إن الإسلام صوى وه منارة كمنار الطريق

منصر سلخ ذي الحجة ١٣٣٢ هـ ق الحريف الثالث ١٢٩٣ هـ ش ١٨ نوفمبر ١٩١٤

مدرسة دار الدعوة والارشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٢

(المطر)

(اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ
وَيَجْمَعُهُ كَيْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ)

المطر يتولد من تصاعد بخار مياه البحار وفيه رها، والعمدة في تبخيرها حرارة الشمس
والفرق بين الغليان وبين هذا التبخر التدريجي هو أن التبخر يحصل من
سطح السائل فقط وفي حالة الغليان ينبعث البخار من جميع أجزاء الماء
أما الحرارة اللازمة للتبخر في الحالتين فكثيرا واحدة
وتتولد الحرارة أيضا في مياه البحار من احتكاك بعض ذراتها ببعض ومن
احتكاك الهواء بسطح البحر . وعلى الريح ضروري جدا لتوليد السحاب من البحر
ذلك (١) أنه باحتكاكه بسطح البحر يولد حرارة تساعد على التبخر (٢) وأنه
يحمل معه كثيرا من ذرات الماء بمجرد هبوبه عليه حملا آليا (ميكانيكا)
(٣) وأنه يسوق الهواء الذي شبع بالماء ويرفعه الى السماء ليحل محله هواء آخر خال من
الماء وبذلك يزداد تبخر البحر، ولولا ذلك لوقفت حركة التبخر لامتلاء الهواء الذي
على سطح البحار بالماء

لذلك قال الله تعالى (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا) أي تهيجها وتحركه
وترفعه عن سطح البحار كما ترفع التراب عن الأرض
والماء يوجد في الهواء بصور مختلفة أشهرها الطل والضباب والبرد والصقيع -

والمطر . ففي حالة البرد والصقيع يكون الماء متجمدا وفي حالة الضباب والطل والمطر يكون سائلا والفرق بين هذه الاحوال انما هو في درجة الحرارة فقط

واذا اجتمعت ذرات الضباب بعضها ببعض سقطت الى الارض بصورة طل أو مطر وإذا اجتمعت ذرات البرد بعضها ببعض سقطت الى الارض بصورة قطع صغيرة من الثلج تسمى الصقيع

وعليه فلا فرق بين أنواع السحاب سواء أكانت قريبة من سطح الأرض أم بعيدة عنه فهي على كل حال عبارة عن ذرات صغيرة جدا من الماء السائل أو المتجمد

ويجب أن نفهم أن السحاب ليس بخار (غاز) الماء وانما هو بخار تكاثف أي قطرات صغيرة في حالة السيولة لا في الحالة الغازية والا لما أمكننا مشاهدته فان بخار الماء لا يرى لانه غاز كالهواء

وفي أثناء سقوط المطر يختلط بالهواء فيذوب فيه بالنسبة التي سبق بيانها وكذلك يختلط بكل ما يوجد في الهواء من تراب أو أي غبار آخر أو جراثيم مرضية أو غير مرضية الخ

ولذلك يتلون المطر في بعض البلاد بألوان مختلفة كالأسود والأحمر بحسب ما يختلط به

فإن المطر وإن كان أتقى ماء في الكون الا انه ليس أتقى من الماء المقطر الذي نحصل عليه صناعيا

ومن هذه الاجزاء الدائبة في ماء المطر ما هو نافع للحيوانات والنباتات فان الهواء الدائب في الماء ضروري للحيوانات البحرية ونافع للحيوانات البرية كالانسان ، فانه يجعل الماء خفيفا على معدته بخلاف ما اذا كان خاليا من الهواء وكذلك توجد بعض مواد دائبة في ماء المطر كانت ساذجة في الهواء فاذا سقطت الى الأرض نفعت النباتات فتغذت منها ولا تمتص النباتات شيئا من الأرض مالم يذب في الماء ومن الاشياء المختلطة بالمطر ما هو ضار كالجراثيم المرضية

الأنهار والعيون

إذا نزل المطر الى الأرض سالت منه أودية على سطحها تسمى بالأنهار وامتصت الأرض جزءاً آخر منه بسيل في جوفها كالأنهار وهو في الحقيقة أنهار باطنية وجميع هذه الأنهار الظاهرة والباطنة تتجه شطر البحار ونحوها

ومن هذه الأنهار الباطنية تتفجر الينابيع ويستخرج ماء الآبار فجميع الماء العذب الذي يشربه الحيوان سواء أكان أصله من الأنهار أم من الآبار أو الينابيع هو كله من ماء المطر . قال تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض) الآية

وإذا امتصت الأرض الماء أو سال على ظهرها اختلط بجميع ما يوجد فيها من الأملاح وغيرها ومن ذلك نشأ الاختلاف بين أنواع المياه لاختلاف تربتها ، فمنها العذب الفرات ومنها الملح الاجاج ، وان كانت في الأصل كلها عذبة أما سبب انفجار الينابيع ^(١) الطبيعية فهو اختلاف في مستويات طبقات الأرض المتنوعة فإذا كنا في بقعة من الأرض منخفضة عن باقي سطحها سهل انفجار الينابيع فيها بنفسها أو بمساعدتنا ، فان من السنن الالهية ان السوائل تميل الى الموازنة فإذا يصب ماء الينبوع المنفجر حتى يساوي ماء النهر الباطن الذي صدر منه

والآبار نوعان آبار قريبة وآبار عميقة : فالآبار القريبة هي التي يأتيها الماء من الطبقة الاسفنجية ^(٢) الاولى وهي عرضة لان تتلوث بالمياه القذرة التي على سطح الأرض أو بالمياه القريبة من هذه الآبار كالمراحيض ، والآبار العميقة هي التي يأتي إليها الماء بثقب طبقة الأرض البعيدة حتى تصل الى الطبقة الاسفنجية الثانية ، وقد يرتفع الماء بنفسه في هذه الآبار بنوعها اذا كان مصدره عالياً وقد نحتاج الى الآلات لجذبه اليها . والنوع الثاني من الآبار أبعد عن التلوث من النوع الاول ويسمى بالآبار الارتوازية نسبة الى إقليم ارتواز (Artois) بشمال فرنسا حيث حفر أول بئر سنة ١١٢٦ ولاجل صيانة الآبار عن التلوث يجب أن تراعى الشروط الآتية في حفرها :

(١) من الينابيع ما مأؤه حار جداً الى درجة الغليان كما في الولايات المتحدة لصدوره من مكان غائر جداً في جوف الأرض المتهيب ^(٢) اعني ذات المسام الممتلئة بالماء

الشرط الأول أن تكون بعيدة عن جميع المنازل المسكونة بنحو ٣٠ متراً على الأقل

الثاني أن لا تكون في الجهة البحرية للمنازل في بلاد مصر لأن المياه الباطنية في مصر تنحدر كياه النيل من الجهة القبلية الى الجهة البحرية وعلى ذلك تكون الآبار المخنورة في الجهة البحرية في طريق المياه الملوثة من المنازل
الثالث أن تكون حيطان (جدران) هذه الآبار صقيلة وأن تكون الآبار دائماً مغطاة

ولسهولة الحصول على مياه صحية نقية توجد طريقة أخرى سهلة وهي استعمال الطالبات الحبشية لنرتون (Norton) وهي مؤلفة من أنابيب معدنية تدق في الأرض الى بعد عميق جداً وتكون الأولى منها ذات طرف دقيق (مدب) كالسهم وجميع جوانبها مخرقة الى بعد نحو قدمين وفي نهاية هذه الأنابيب من الجهة العليا يركب عليها طامبة لجذب الماء

والمياه التي تخرج بهذه الطامبة نقية جداً لأنها صادرة من أعماق الأرض البعيدة ولا تتلوث بشيء مما على سطح الأرض أو في داخلها

والأشياء التي توجد في المياه هي كما سبق نوعان: أشياء معلقة وأشياء ذائبة أما الأشياء المعلقة فهي توجد في مياه الأنهار بكثرة عظيمة، وأما مياه الآبار فإنها تكاد تكون خالية إلا من الأشياء الذائبة لأنها تصفى من خلال طبقات الأرض

فالمياه الباطنية إذا أقل ضرراً للصحة من مياه الأنهار الظاهرة كما لا يخفى وللحصول على ماء نظيف من مياه الأنهار الظاهرة يجب إما غليها أو تطهيرها أو تصفيتها بالآلات المسماة بالنواضح (المرشحات) وقد يستعمل (الشب) لتنقية الماء وهو لا ضرر فيه والسبب في فساد هذا أنه يتحد مع بعض أملاح الماء مثل (بي كربونات الجير) فيكون ما يسمى هيدرات الألومنيوم^(١) وهي مادة غروية ترسب الى أسفل الماء فيحمل معها كل ما كان معلقاً في الماء تقريباً وبذلك يتقى . ويوضع (١) هو العنصر الذي يتركب منه الشب مع عناصر أخرى وتعمل منه الآن أدوات كثيرة منزلية وغيرها خفيفة جداً

الشب في الماء بنسبة جرام الى كل ١٤ لترا من الماء تقريبا
أما تنقيته بنوى الشمس المر فهي ضارة لانه قد يتولد منه حامض الهيدروكسليك
وخصوصاً اذا كان مقداره عظيماً وترك مدة طويلة ، وهذا الحامض هو سم زعاف
سريع التأثير جدا

وعيب الماء المغلي انه يشتمل على المواد المعلقة ويكون خالياً من الهواء
وعيب الماء المقطر أنه يكون خالياً من جميع الاملاح التي كانت في الماء فيكون
قليل التغذية للجسم فان هذه الاملاح ضرورية للحياة

وعيب الماء المنقى بالشب انه لا يكون نقياً للغاية المطلوبة واذا زاد مقدار الشب
أفسد طعم الماء وأحدث عند متعاطيه امساكاً شديداً . أما الماء المصفى بالنواضح
فهو خير المياه لانه يكون مشتملاً على الهواء والاملاح اللازمة للجسم ونظيفاً من كل
ما يضر تقريبا

وأنواع النواضح كثيرة فمنها الخالية (الزير) ومنها ما يكون مصنوعاً من
الفخار أو الفحم (وهو أردوها) وقد يستعمل الرمل لتنقية الماء بالنضح أيضاً
والنواضح عبارة عن أنبوبة من الفخار جوفاء يمر في مسامها الماء من ظاهرها
الى جوفها الفارغ والدافع للماء على هذا المرور هو الضغط عليه

وفي البلاد التي فيها الشركات المائية يندفع الماء بسبب ارتفاع الخزانات التي
تضمها هذه الشركات دائماً في مكان أعلى من المدينة
ويجب تنظيف هذه النواضح كل ثلاثة أيام بغسلها جيداً بالماء والصابون مع
شيء خشن كالمنفرة (الفرشه) أو الليف ثم تغلي في الماء لمدة عشر دقائق على
الاقل لتقتل جميع الجراثيم الساكنة فيها

وأسهل طريقة لتنظيف الخوازي (الازيار) هي غسلها أولاً بالماء المغلي من الداخل
والخارج غسلاً جيداً ثم طرحها في الشمس مدة طويلة حتى تجف تماماً وبذلك يمكن
أن تموت جل أو كل ميكروباتها الضارة

أما مرور الماء أو تخزينه في أنابيب أو خزانات من الرصاص ففيه ضرر
وهذا الضرر يختلف باختلاف أنواع المياه والمواد الذائبة فيها: فالأملح الكلوري

والنيترات تساعد على اذابة شي من الرصاص في الماء وكذلك الهواء والاحماض
فاذا اشتمل الماء على شي من هذه الاشياء المذكورة (وهو قل أن يخلو منها) ذاب
من الرصاص ما يكفي لافساد صحة الانسان

أما الاملاح الاخرى الآتية وهي السلفات والفسفات والكر بونات فانها تعوق
ذوبان الرصاص في الماء ولذلك قلنا ان ضرر الرصاص يختلف باختلاف الاشياء
الذائبة في الماء

واذا استمر الانسان على تعاطي الماء الملوث بالرصاص أدى الى أعراض
مرضية كثيرة منها :

الضعف ، والصفار ، والمغص الشديد ، وزرقة تشاهد في اللثة ، ومرض في الكلى ،
وضعف واضطراب في أعضاء التناسل ، وشلل في بعض أعضاء الجسم فيحصل في
اليدين ارتخاء يسمى عند الأطباء « الرسغ الساقط »

ولتوقي هذه المضار يجب أن يوضع الماء في خزانات من الحجر أو الحديد ونحوهما
وأن تكون المواسير مصنوعة من مثل الحديد المصبوب (الزهر) أو الفخار
(ينبع)

فصل (١)

ومن منازل اياك نهد واياك نستعين « منزلة المحبة »

وهي المنزلة التي فيها يتنافس المتنافسون ، واليها شخص العاملون ، والى علمها شمر السابقون ، وعليها تفانى المحبون ، وبروح نسيما تروح العابدون ، فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقررة العيون ، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الاموات ، والنور الذي من فقدته ففي بحار الظلمات ، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام ، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام ، وهي روح الايمان والاعمال ، والمقامات والأحوال ، التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه ، تحمل أثقال السائرين الى بلاد لم يكونوا الا بشق الانفس بالغيب ، وتوصلهم الى منازل لم يكونوا بدونها أبدا واصليها ، وتبوتهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولا هي داخلها ، وهي مطايا القوم التي مسراهم في ظهورها دائما الى الحبيب ، وطريقهم الاقوم الذي يبلغهم الى منازلهم الأولى من قريب ، تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة اذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب ، وقد قضى الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة أن المرء مع من أحب ، فيا لها نعمة على المحبين سابغة ! تالله لقد سبق القوم الساعة وهم علي ظهور الفرش نائمون . ولقد تقدموا الركب بمراحل ، وهم في سيرهم واقفون

من لي بمثل سيرك المدال نمشي رويدا ونجي في الاول

أجابوا مؤذن الشوق اذ نادى بهم حي على الفلاح ! وبذلوا نفوسهم في طلب الوصول الى محبوبهم وكان بذلهم بالرضا والسماح ، وواصلوا اليه المسير بالإدلاج والعدو بالرواح ، تالله لقد حمدوا عند الوصول سراهم ، وشكروا مولاهم على ما أعطاهم ، وانما يحمد القوم السرى عند الصباح

فحيلا ان كنت ذا همه فقد حدا بك حادي الشوق فاطو المراحل

وقل لمنادي حبيهم ورضاهم اذا ما دعا « لبيك » ألفاً كواملا

ولا تنظر الاطلال من دونهم فان نظرت الى الاطلال عدن حوائلا

(١) من الجزء الثالث من مدارج السالكين

ولا تنتظر بالسير رفقة قاعد
 وتخذ منهم زادا اليهم وسر على
 وأحي بذكراهم سراك اذا ونت
 وإياهم تخافن الكلال قتل لها
 وتخذ قبسا من نورهم ثم سر به
 وحي على واد الأراك فيقل به
 وإلا ففي نمان عند معرف الـ
 والاف في جمع^(٢) بليته فان
 وحي على جنات عدن بقرهم
 ولكن سباك الكاشحون لاجل ذا
 فدعها رسوما دارسات فما بها
 رسوم عفت تقي بها الخلق كم بها
 وتخذ يمنة عبا على المنهج الذي
 وقل ساعدي يانفس بالصبر ساعة
 فما هي الا ساعة ثم تنقضي
 أول تقدة من أمان المحبة بذل الروح ، فما للمفلس الجبان البخل وسومها ؟
 بدم المحب يباع وصلهم فمن الذي يتناع بالثمن

تالله ما هزلت فيستامها المفلسون ، ولا كسدت فيبيعها بالنسيئة^(١) المعسرون ،
 لقد أقيمت للعرض في سوق من يزيد ، فلم يرض لها بثمان دون بذل النفوس ،
 فتأخر البطالون ، وقام المحبون ينظرون ، أيهم يصلح أن يكون ثمنا ، فدارت السلعة بينهم
 ووقعت في يد (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين)

(١) كذا وأمله تحريف فظاهر الأعراب الرفع بالعطف ، ولا يظهر الاستثناء .
 بل المراد ليس ما يهديك هو المشاعل . ويمكن أن يقال : فاطف المشاعل - أو - فارم
 المشاعل (٢) جمع هي المزدلفة . ومعرف في البيت الذي قبله عرفات (٣) كذا والظاهر ان
 يقال « قاتل » بالرفع لان « كم » خبرية كالتي قبلها (٤) في غير ج - فينفقها بالنسيئة

لما كثر المدعون للمحبة طولبوا باقامة البيئة على صحة الدعوى ، فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخلي حرقه الشجي ، فتشوع المدعون في الشهود ، فقيل : لا تقبل هذه الدعوى الا بيينة (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فتأخر الخلق كلهم وثبت اتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه ، فطولبوا بعدالة البيئة بتركية (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون ، فقيل لهم : ان نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم فهاوا الى بيعه (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) فلما عرفوا عظمة المشتري وفضل الثمن وجلالة من جرى على يديه عقد اتبايع عرفوا قدر السلعة وان لها شأن ، فأروا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس ، فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي من غير ثبوت خيار ، وقالوا : والله لا نقيلك ولا نستقيلك . فلما تم العقد وسهوا المبيع قيل لهم : مذكارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم أوفر مما كانت وأضعافها معها (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله) اذا غرست شجرة المحبة في القلب وسقيت بماء الاخلاص ومتابعة الحبيب أثمرت أنواع الثمار ، وآتت أكلاها كل حين باذن ربها ، أصلها ثابت في قرار القلب ، وفرعها متصل بسدره المتشهي ، لا يزال سعي الحب صاعدا الى حبيبه لا يحجبه دونه شيء (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)

فصل

لا تحد المحبة بحد أوضح منها . فالحدود لا تزيد لها إلا خفاء وجفاء ، فحدها وجودها ، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة ، وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهداها وثمراتها وأحكامها ، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة ، وتنوعت بهم العبارات وكثرت الاشارات بحسب ادراك الشخص ومقامه وحاله ، وملكه للعبارة . وهذه المادة تدور في اللغة على خمسة أشياء : (أحدها) الصفاء والبياض . ومنه قولهم لصفاء بياض الاسنان ونضارتها حجب

الاسنان (الثاني) العلو والظهور ، ومنه حَبَّ الماء وحُبَابُه وهو ما يعلوه عند المطر الشديد ، وحَبَّ الكس منه (الثالث) اللزوم والثبات ، ومنه حَبَّ البعير وأحب اذا برك ولم يقم ^(١) قال الشاعر :

حلت عليه بالفلاة ضربا ضرب بعير السوء اذا أحبا

(الرابع) اللب ومنه حبة القلب للبه وداخله ، ومنه الحبة لواحدة الحبوب ^(٢) اذا هي أصل الشيء ومادته وقوامه (الخامس) الحفظ والامساك . ومنه حب الماء للوعاء الذي يحفظ فيه ويمسكه ، وفيه معنى الثبوت أيضا . ولا ريب ان هذه الخمسة من لوازم المحبة ، فانها صفاء المودة وهيجان ارادات القلب المحبوب ، وعلوها وظهورها منه لتعلقها بالمحبوب المراد ، وثبوت ارادة القلب للمحبوب ولزومها لزوما لا تفارق ^(٣) ولا إعطاء الحب محبوبه لبه وأشرف ما عنده وهو قلبه ، ولا اجتماع عزماته واراداته وهمومه على محبوبه . فاجتمعت فيها المعاني الخمسة ووضعوا لمعناها حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة ، الحاء التي هي من أقصى الحلق ، والباء الشفوية التي هي نهايته ، فلحاء الابتداء ، والباء الانتهاء ، وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداءها منه وانتهاءها اليه . وقالوا في فعلها ^(٤) حبه وأحبه . قال الشاعر :

أحب أبا ثروان من حب تمر ولم تعلم أن الرفق بالجار أرفق ^(٥)

فوالله لولا تمر ما حبيته ولا كان أدنى من عبيد ومشرق

ثم اقتصروا على اسم الفاعل من « أحب » فقالوا محب ، ولم يقولوا حاب ، واقصروا على اسم المفعول من « حب » فقالوا محبوب ، ولم يقولوا محب ، الا قليلا كما قال الشاعر :

ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة الحب المكرم

وأعطوا الحب حركة الضم التي هي أشد الحركات وأقواها مطابقة لشدة حركة

(١) في ب : فلم يقم (٢) وفي غيرها : ومنه لواحدة الحبوب (٣) لعلها « لا تفارقه » (٤) في غير ح : فعله (٥) هذا البيت من زيادة ب

مسماه وقوتها ، وأعطوا الحب - وهو المحبوب - حركة الكسر لختما عن الضمة وخفة المحبوب وذ كره على قلوبهم وألسنتهم ، مع إعطائه حكم نظائره كينهب بمعنى منهوب وذبج بمعنى مذبح وحمل المحمول - بخلاف الحمل الذي هو مصدر - لختته ، ثم ألحقوا به حملا لا يشق على حاملة حمله كحمل الشجرة والولد ، فتأمل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة المعجبة بين الالفاظ والمعاني ، تطلعك على قدر هذه اللغة وان لها شأنًا ليس لسائر اللغات

فصل

في ذكر رسوم وحدود قيلت في المحبة بحسب آثارها وشواهداها والكلام على ما يحتاج اليه منها ^(١)

(الاول) قيل: المحبة الميل الدائم ، بالقلب الهائم. وهذا الحد لا يميز فيه بين المحبة الخاصة والمشاركة والصحيحة والمعلولة

(الثاني) اثار المحبوب ، على جميع المصحوب . وهذا حكم من أحكام المحبة وأثر من آثارها

(الثالث) موافقة الحبيب ، في المشهد والمغيب. وهذا أيضا موجبها ومقتضاها وهو اكمل من الحدين قبله ، فانه يتناول المحبة الصادقة الصحيحة خاصة ، بخلاف مجرد الميل والاثار بالارادة فانه ان لم تصحبه موافقة فمحبه معلولة

(الرابع) محور المحب لصفاته ، واثبات المحبوب لذاته. وهذا أيضا من أحكام الفناء في المحبة - أن تمنحي صفات المحب وتقتي في صفات محبوبه وذاته ، وهذا يستدعي بيانًا آتم من هذا لا يدركه الا من أفناه وارد المحبة عنه ، وأخذ منه

(الخامس) مواطاة القلب لمرادات المحبوب. وهذا أيضا من موجباتها وأحكامها والمواظاة الموافقة لمرادات المحبوب وأوامره ومراضيه

(السادس) خوف ترك الحرمة ، مع اقامة الخدمة ، وهذا أيضا من اعلامها وشواهداها وآثارها - أن يقوم بالخدمة كما ينبغي مع خوفه من ترك الحرمة والتعظيم

(السابع) استقلال الكثير من نفسك ، واستكثار القليل من حبيبك . وهذا قول أبي يزيد ، وهو أيضاً من أحكامها وموجباتها وشواهداها ، والمحبة الصادق له بذل المحبوبة جميع ما يقدر عليه لاستقله واستحيا منه ، ولو ناله من محبوبة أيسر شيء ، لاستكثره واستعظمه

(الثامن) استكثار القليل من جناتك ، واستقلال الكثير من طاعتك . وهو قريب من الذي قبله لكنه مخصوص بما من المحب
(التاسع) معانقة الطاعة ، ومباينة المخالفة . وهو لسبل بن عبد الله ، وهو أيضاً حكم المحبة وموجبها

(العاشر) دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب . وهو للجنيدي . وفيه غموض ، ومراده استيلاء ذكر المحبوب وصفاته وأسمائه على قلب المحب حتى لا يكون الغالب عليه إلا ذلك ، ولا يكون شعوره واحساسه في الغالب إلا بها ، فيصير شعوره واحساسه بدلا من شعوره واحساسه بصفات نفسه ، وقد يحتمل معنى أشرف من هذا ، وهو تبدل صفات المحب الذميمة التي لا توافق صفات المحبوب بالصفات الجميلة المحبوبة التي توافق صفاته . والله أعلم

(الحادي عشر) أن تهيب كلك لمن أحببت ، فلا يفي لك منك شيء . وهو لأبي عبد الله القرشي . وهو أيضاً من موجبات المحبة وأحكامها ، والمراد أن تهيب ارادتك وعزماتك وأفمالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه ، وتجعلها حبساً في مرضاته ومحابه ، فلا تأخذ لنفسك منها إلا ما أعطاك فتأخذه منه له

(الثاني عشر) أن تمحو من القلب ما سوى المحبوب . وهو للشبلي ، وكال المحبة يقتضي ذلك فإنه مادامت في القلب بقية لغيره ومسكن لغيره فالمحبة مدخولة
(الثالث عشر) إقامة العتاب على الدوام . وهو لابن عطاء . وفيه غموض ومراده أن لا تزال عاتباً على نفسك في مرضاة المحبوب ، وأن لا ترضى له فيها ^(١) عملاً ولا حالة

(الرابع عشر) أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك . وهو للشبلي أيضاً ، وفيه كلام سند كره أن شاء الله في منزلة الغيرة ، ومراده احتقارك لنفسك أو استصغارها أن يكون مثلك من محبيه

(الخامس عشر) إرادة غرست أغصانها في القلب فأثمرت الموافقة والطاعة (السادس عشر) أن ينسى المحب حفظه في محبوبه ، وينسى حوائجه إليه . وهو لابي يعقوب السوسي ، ومراده أن استيلاء سلطانها على قلبه غيبه عن حفظه وعن حوائجه ، واندرجت كلها في حكم المحبة (السابع عشر) مجانية السلو على كل حال . وهو للنصراباذي ، وهو أيضاً من لوازمها وعمراتها كما قيل :

مرت بارجاء الخيال طيوفه فبكت على رسم السلو الدارس

(الثامن عشر) وحيد المحبوب بخالص الإرادة وصدق الطلب

(التاسع عشر) سقوط كل محبة من القلب إلا محبة المييب . وهو لمحمد بن الفضل ، ومراده توحيد المحبوب بالمحبة

(العشرون) غرض طرف القلب^(١) عما سوى المحبوب غيرة ، وعن المحبوب هية . وهذا يحتاج الى تبين : أما الاول فظاهر . وأما الثاني فإن غرض طرف القلب عن المحبوب مع كمال محبته كالمستحيل ، ولكن عند استيلاء الهية يقع مثل هذا ، وذلك من علامات المحبة المقارنة للهية والتعظيم ، وقد قيل : ان ذا تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم « حبك للشيء يعني ويصم » أي يعني ههنا سواء غيرة ، وعنه هية . وليس هذا مراد الحديث ، ولكن المراد به أن حبك للشيء يعني ويصم عن تأمل قبائحه ومساويه ، فلا تراها ولا تسمعها وان كانت فيه ، وليس المراد به ذكر المحبة المطلوبة المعلقة بالرب ، ولا يقال في حب الرب تبارك وتعالى : حبك للشيء ، ولا يوصف صاحبها بالعمى والضم . ونحن لا ننكر المرتبتين المذكورتين ، فإن المحب قد يعني ويصم عنه بالهية^(٢) والاجلال ولكن لا توصف (١) في ب « غرض طرفه » (٢) وفيها « فان المحب قد يعني ويصم عن سوى محبوبه وقد يعني ويصم عنه » الخ

محبة العبد لربه تعالى بذلك ، وليس أهلبا من أهل العمى والصمم ، بل هم أهل الاسماع والابصار على الحقيقة ، ومن سواهم هم الصمم البكم العمي الذين لا يعقلون (العادي والعشرون) مياك لشيء بكليتك ، ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ، ثم موافقتك له سرا وجهرا ، ثم علمك بتقصيرك في حبه . قال الجنيد : سمعت الممارث المحاسبي رحمه الله يقول ذلك

(الثاني والعشرون) المحبة نار في القلب تحرق ماسوى مراد المحبوب ، وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : لمت بعض المباحية فقال لي ذلك ، ثم قال : والسكون كله مراده ، فأني شيء أبغض منه ، فقال الشيخ فقلت له : اذا كان المحبوب قد أبغض أفعالا وأقوالا وأقواما وعاداهم فطردهم ولعنهم فأحببتهم أنت أكنت مواليا للمعجوب أو معاديا له ؟ - قال - : فكأنما ألقم حجرا ، واقتضج بين أصحابه ، وكان مقدما فيهم مشارا اليه . وهذا المدح صحيح ، وقائله انما أراد انها تحرق من القلب ماسوى مراد المحبوب الديني الامري الذي يحبه ويرضاه ، لا المراد الذي قدره وقضاه ، لكن قلنا حظ المتأخرين منهم وغيرهم من العلم وقوموا فيما وقوموا فيه من الاباحة والخلول والاتحاد ، والمعصوم من عصمه الله

(الثالث والعشرون) المحبة بذل المجهود ، وترك الاعتراض على المحبوب . وهذا أيضا من حقوقها وممراتها وموجباتها

(الرابع والعشرون) سكر لا يصحوصاحبه الا بمشاهدة محبوبه . ثم السكر الذي يحصل عند المشاهدة لا يوصف ، وأنشد :

فأسكر القوم دور الكائن بينهم لكن سكري نشا من رؤية الساقى
و ينبغي صون المحبة واحبيب عن هذه الالفاظ التي غاية صاحبها أن يعذر بصدقة وغلبة الوارد عليه وقبره له ، فمحبة الله أعلى وأجل من أن تضرب في هذه الامثال ، وتجعل في حصة الافواه المتلوثة ، والالفاظ المبتدعة ، ولكن الصادق في حقارة صدقه

(الخامس والعشرون) أن لا يؤثر على المحبوب غيره ، وأن لا يتولى أمور غيره

(السادس والعشرون) الدخول تحت رق المحبوب وعبوديته ، والحرية من اسرقاق ما سواه

(السابع والعشرون) المحبة سفر القلب في طلب المحبوب ، ولهج اللسان بذكره على الدوام. قلت: أما سفر القلب في طلب المحبوب فهو الشوق الى لقائه ، وأما لهج اللسان بذكره فلا ريب أن من أحب شيئاً أكثر من ذكره

(الثامن والعشرون) ان المحبة هي ما لا تنقص بالجفاء ولا تزيد بالبر . وهي ليحيى بن معاذ ، بل الإرادة والطلب والشوق الى المحبوب لذاته ، فلا ينقص ذلك جفاؤه ولا يزيده بره ، وفي ذلك ما فيه ، فان المحبة الذاتية تزيد بالبر ولا تنقصها زيادتها بالبر ، وليس ذلك بعلة ، ولكن مراد يحيى أن القلب قد امتلأ بالمحبة الذاتية ، فاذا جاء البر من محبوبه لم يجد في القلب مكاناً خالياً من حبه تشغله محبة البر ، بل تلك المحبة قد استحقت عليه بالذات بلا سبب ، ومع هذا فلا يزيل الوهم ، فان المحبة لا نهاية لها ، وكلما قويت المعرفة والبر قويت المحبة ، ولا نهاية لجمال المحبوب ولا بره ، فلا نهاية لمحبهه ، بل لو اجتمعت محبة الخلق كلهم وكانت على قلب رجل واحد منهم كان ذلك دون ما يستحقه الرب جل جلاله . ولهذا لا تسمى محبة العبد لربه عشقاً — كما سيأتي — لانه افراط المحبة ، والعبد لا يصل في محبة الله الى حد الافراط البتة ، والله أعلم

(التاسع والعشرون) المحبة أن تكون كلك بالمحبوب مشغولاً ، وذلك له مبدولاً

(الثلاثون) — وهو من أجمع ما قيل فيها — قال أبو بكر السكتاني رحمه الله :

جرت مشلة في المحبة بمكة أعزها الله تعالى أيام الموسم ، فتكلم الشيوخ فيها وكان^(١) الجنيد أصغرهم سناً فقالوا : هات ما عندك يا عراقى ! فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال : عبد ذاهب^(٢) عن نفسه ، متصل بذكر ربه ، قائم بأداء حقوقه ، ناظر اليه بقلبه ، أحرق قلبه أنوار هيئته ، وصفاء شربه من كأس وده ، وانكشف له الجبار من أستار غيبه ، فان تكلم فبالله ، وان نطق فعن الله ، وان تحرك فبأمر الله

(١) في ح « فكان » الخ (٢) في ب « ذهب »

وأن سكن فمع الله، فهو بالله والله ومع الله. فبكي الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد،
جزاك^(١) الله ياتاج العارفين

فصل

في الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها وهي عشرة (أحدها) قراءة القرآن
بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه
ليتفهم مراد صاحبه منه (الثاني) التقرب إلى الله بالتواقل بعد الفرائض، فاتها
توصله إلى درجة المحبوبة بعد المحبة (الثالث) دوام ذكره على كل حال باللسان
والقلب والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر (الرابع)
إثارة محابه على محابك عند غلبات الهوى، والتسليم إلى محابه وإن صعب المرتقى
(الخامس) مطالعة القلب لآسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلبه في رياض
هذه المعرفة ومبادئها، فمن عرف الله بآسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة، ولهذا
كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطاع الطريق على القلوب، بينها وبين
الوصول إلى المحبوب (السادس) مشاهدة برة وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة،
فاتها داعية إلى محبته (السابع) - وهو من أعجبها - انكسار القلب بكليته بين
يديه تعالى، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات (الثامن)
الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب
بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة (التاسع) مجالسة المحبين الصادقين،
والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطايب الثمر. ولا تكلم إلا إذا ترجحت
مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيدا لحالك ومنفعة لغيرك (العاشر) مبادعة
كل صبيب يحول بين القلب وبين الله عز وجل

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب،
وملاك ذلك كله أمران: استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة.
وبالله التوفيق

فصل*

فهذه امثلة عشرة توضع لك الوجه العملي في المصالح المرسلة وتبين لك اعتبار أمور

(احدها) الملاءمة لمقاصد الشرع بحيث لا تنافي اصلا من اصوله ولا دليلا من دلائله

(والثاني) ان عامة النظر فيها انما هو فيما عقل منها وجرى على دون المناسبات المعقولة التي اذا عرضت على العقول تلقىها بالقبول ، فلا مدخل لها في التعبدات ولا ما جرى مجراها من الامور الشرعية ، لأن عامة التعبدات لا يعقل لها معنى على التفصيل ، كالوضوء والصلاة والصيام في زمان مخصوص دون غيره ، والحج ، ونحو ذلك فليتأمل الناظر الموفق كيف وضعت على التحكم المحض المنافي للمناسبات التفصيلية

ألا ترى ان الطهارات على اختلاف أنواعها قد اختص كل نوع منها بتعبد مخالف حدا لما يظهر لبادي الرأي ؛ فان البول والغائط خارجان نجسان يجب بهما تطهير اعضاء الوضوء دون المخرجين فقط ، ودون جميع الجسد ، فاذا خرج المني أو دم الحيض وجب غسل جميع الجسد دون المخرج فقط ، ودون اعضاء الوضوء (١)

(*) تابع لما نشر في ص ٨٣٣

(١) روي عن بعض علماء السلف مثل هذا وعد الطهارتين على خلاف القياس أو العقل . وأخذ الناس ذلك بالقبول . مع أن حكمة الطهارتين معقولة ، فن خروج المني ودم الحيض يحدث من الفتور والضعف في البدن كله مالا يحدث =

ثم ان التطهير واجب مع نظافة الاعضاء ، وغير واجب في قذارتها
بالاوساخ والادرا ان اذا فرض انه لم يحدث
ثم التراب -- وسن شأنه التلويت -- يقوم مقام الماء الذي من
شأنه التنظيف

ثم نظرنا في أوقات الصلوات فلم نجد فيها مناسبة لاقامة الصلوات
فيها لاستواء الاوقات في ذلك

وشرع الإلزام بها أذكار مخصوصة لا يزداد فيها ولا ينقص منها ،
فاذا أقيمت ابتدأت اقامتها بأذكار أيضا ، ثم شرعت ركعاتها مختلفة
باختلاف الاوقات ، وكل ركعة لها ركوع واحد وسجودان دون العكس ،
الاصلاة خسوف الشمس فانها على غير ذلك ، ثم كانت خمس صلوات
دون أربع أو ست وغير ذلك من الاعداد ؛ فاذا دخل المتطهر المسجد
أمر بتحيته بركتين دون واحدة كالوتر ، أو أربع كالظهر ؛ فاذا سها في
صلاة سجد سجدتين دون سجدة واحدة ، واذا قرأ سجدة سجد
واحدة دون اثنتين

ثم أمر بصلاة النوافل ونهي عن الصلاة في أوقات مخصوصة ،
وعلل النهي بأمر غير معقول المعنى

= مثله بخروج البول والغائط ، فشرع الغسل من الاولين ليعود به للبدن نشاطه
وللعصب فيه تنبيهه ، فيقوى على العبادة ، واكتفى بالوضوء من الآخرين لضعف
تأثيرهما ، وثم حكمة أخرى وهي جعل الطهارة الخفيفة لما يتكرر كل يوم ، والطهارة
الشاقة لما لا يتكرر الا في الاسابيع أو الشهور . وللأمثلة الاخرى التي سيذكرها حكم
أيضا ينال بعضها في مجلة المنار وفي (تفسير القرآن الحكيم) ولا ينكر مع ذلك ان
في كل عبادة معنى التعبد الذي يؤخذ بالتسليم كعدد الركعات والركوع والسجود فيها

ثم شرعت الجماعة في بعض النوافل كالعيدين والخسوف والاستسقاء ،
دون صلاة الليل ورواتب النوافل

فإذا صرنا الى غسل الميت وجدناه لا معنى له معقولا ، لأنه غير
مكلف ، ثم أمرنا بالصلاة عليه بالتكبير دون ركوع أو سجود أو تشهد ،
والتكبير أربع تكبيرات دون اثنتين أو ست أو سبع أو غيرها من الاعداد
فإذا صرنا الى الصيام وجدنا فيه من التعبدات غير المعقولة كثيرا ،
كإمساك النهار دون الليل ، والإمساك عن المأكولات والمشروبات ،
دون الملابس والركوبات ، والنظر والمشي والكلام واشباه ذلك ،
وكان الجماع - وهو راجع الى الإخراج - كاللأكل - وهو راجع
الى الضد ، وكان شهر رمضان - وإن كان قد انزل فيه القرآن - ولم
يكن أيام الجمع ، وإن كانت خير أيام طلعت عليها الشمس ، أو كان الصيام
أكثر من شهر أو أقل . ثم الحج أكثر تعبدا من الجميع

وهكذا تجد عامة التعبدات في كل باب من أبواب الفقه ما عملوا (؟)
ان في هذا الاستقراء معنى يعلم من مقاصد الشرع أنه قصد قصده ونحي
نحوه واعتبرت جهته ، وهو ان ما كان من التكليف من هذا القبيل فان
قصد الشارع ان يوقف عند دوي عزل عنه النظر الاجتهادي جملة ، وأن
يوكل الى واضعه ويسلم له فيه ، سواء علينا أقلنا : ان التكليف معاملة
بمصالح العباد ، أم لم نقله . اللهم الا قليلا من مسائلها ظهر فيها معنى فهمناه
من الشرع فاعتبرنا به أو شهدنا في بعضها بعدم الفرق بين المنصوص عليه
والمسكوت عنه ، فلا حرج حينئذ . فان اشكل الامر فلا بد من الرجوع
الى ذلك الاصل ، فهو العروة الوثقى للمتفقه في الشريعة والوزير الاحمى

ومن أجل ذلك قال حذيفة رضي الله عنه : كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعبدوها ، فإن الأول لم يدع للآخر موقفاً ، فاتقوا الله يا معشر القراء ، وخذوا بطريق من كان قبلكم . ونحوه لابن مسعود أيضاً - وقد تقدم من ذلك كثير -

ولذلك التزم مالك في العبادات عدم الالتفات إلى المعاني ، وإن ظهرت لبادي الرأي ، وقوفاً مع ما فهم من مقصود الشارع فيها من التسليم على ما هي عليه ، فلم يلتفت في إزالة الآخيات ، ورفع الأحداث ، إلى مطلق النظافة التي اعتبرها غيره ، حتى اشترط في رفع الأحداث النية ، ولم يقيم غير الماء مقامه عنده - وإن حصلت النظافة - حتى يكون بالماء المطلق ، وامتنع من إقامة غير التكبير والتسليم والبراءة بالعرية مقامها في التحريم والتحليل والإجزاء ، ومنع من إخراج القيم في الزكاة ، واختصر في الكفارات على مراعاة العدد ، وما أشبه ذلك

ودورانه في ذلك كله على الوقوف مع ما حده الشارع دون ما يقتضيه معنى مناسب - إن تصور - لقلة ذلك في التعبدات ودوره ، بخلاف قسم العادات الذي هو جارٍ على المعنى المناسب الظاهر للعقول ، فإنه استرسل فيه استرسال المدل العريق في فهم المعاني المصلحية ، نعم مع مراعاة مقصود الشارع أن لا يخرج عنه ولا يناقض أصلاً من أصوله ، حتى لقد استشنع العلماء كثيراً من وجوه استرساله ، زاعمين أنه خلع الرتبة ، وفتح باب التشريع . وهيئات ما أبعده من ذلك ! رحمه الله ؛ بل هو الذي رضي لنفسه في فقهه بالاتباع ، بحيث يخيل لبعض أنه مقلد لمن قبله ، بل هو صاحب البصيرة في دين الله - حسبما بين أصحابه في كتاب سبره -

(المنار - ج ١٢ م ١٧) الثناء على مالك. رجوع المصالح المرسله الى رفع الحرج ٩١٧

بل حكى عن أحمد بن حنبل أنه قال : اذا رأيت الرجل يبغض مالكا فاعلم أنه مبتدع . وهذه غاية في الشهادة بالاتباع . وقال أبو داود : أخشى عليه البدعة . (يعني المبغض لمالك) وقال ابن مهدي : اذا رأيت الحجازي يحب مالك بن أنس فاعلم أنه صاحب سنة ، واذا رأيت أحدا يتناوله فاعلم أنه على خلاف السنة . وقال ابراهيم بن يحيى بن هشام : ما سمعت أبا داود لعن أحدا قط الا رجلين ، أحدهما رجل ذكر له أنه لعن مالكا ، والآخر بشر المريسي

وعلى الجملة فقير مالك أيضا موافق له في أن أصل العبادات عدم معقولية المعنى ، وان اختلفوا في بعض التفاصيل ، فالأصل متفق عليه عند الأمة ، ما عدا الظاهرية ، فانهم لا يفرقون بين العبادات والعادات ، بل الكل تعبد غير معقول المعنى ، فهم آخرون بان لا يقولوا بأصل المصالح فضلا عن أن يعتقدوا المصالح المرسله

(والثالث) ان حاصل المصالح المرسله يرجع الى حفظ أمر ضروري ، ورفع حرج لازم في الدين ، وأيضاً مرجعها الى حفظ الضروري ، من باب « ما لا يتم الواجب الآ به . . . » فهي اذاً من الوسائل لا من المقاصد . ورجوعها الى رفع الحرج راجع الى باب التخفيف لا الى التشديد .

أما رجوعها الى ضروري فقد ظهر من الامثلة المذكورة وكذلك رجوعها الى رفع حرج لازم ، وهو إما لاحق بالضروري ، وإما من الحاجي ، وعلى كل تقدير فليس فيها ما يرجع الى التقييد والتزوين البتة . فان جاء من ذلك شيء : فإما من باب آخر منها ، كقيام رمضان في المساجد جماعة — حسبما تقدم — وإما معدود من قبيل البدع التي

انكرها السلف الصالح - كزخرفة المساجد والتثويب بالصلاة -

وهو من قبيل ما يلائم .

وأما كونها في الضروري من قبيل الوسائل، و « ما لا يتم الواجب

الآ به ... » إن نص على اشتراطه، فهو شرط شرعي فلا مدخل له في

هذا الباب، لأن نص الشارع فيه قد كفانا مؤنة النظر فيه

وإن لم ينص على اشتراطه فهو إما عقلي أو عادي، فلا يلزم أن يكون

شرعياً، كما أنه لا يلزم أن يكون على كيفية معلومة، فانا لو فرضنا حفظ

القرآن والعلم بغير كتب مطردا لصح ذلك، وكذلك سائر المصالح

الضرورية يصح لنا حفظها، كما انا لو فرضنا حصول مصلحة الإمامة

الكبرى بغير امام على تقدير عدم النص بها لصح ذلك، وكذلك

سائر المصالح الضرورية - اذا ثبت هذا - لم يصح أن يستنبط من بابها

شيء من المقاصد الدينية التي ليست بوسائل

وأما كونها في الحاجي من باب التخفيف فظاهر أيضاً، وهو أقوى

في الدليل الرافع للخرج، فليس فيه ما يدل على تشديد ولا زيادة

تكليف، والامثلة مبينة لهذا الاصل أيضاً

اذا تقررت هذه الشروط علم أن البدع كالمضادة للمصالح المرسلة

لأن موضوع المصالح المرسلة ما عقل معناه على التفصيل، والتعبدات من

حقيقتها أن لا يعقل معناها على التفصيل. وقد مر أن العادات اذا دخل

فيها الابتداع فانما يدخلها من جهة ما فيها من التعبد لا باطلاق

وأيضاً فإن البدع في عامة أمرها لا تلائم مقاصد الشرع، بل انما

تتصور على أحد وجهين: إما مناقضة لمقصوده - كما تقدم في مسألة

المفتي للملك بصيام شهرين متتابعين - وإما مسكوتاً عنه فيه كحرمان القتاتل ومعاملته بنقيض مقصوده على تقدير عدم النص به . وقد تقدم ثقل الاجماع على اطراح القسمين ، وعدم اعتبارهما . ولا يقال : ان المسكوت عنه يلحق بالأذون فيه . اذ يلزم من ذلك خرق الاجماع لعدم الملازمة ، ولان العبادات ليس حكمها حكم العادات في أن المسكوت عنه كالأذون فيه - ان قيل بذلك ؛ فهي تفارقها ، اذ لا يقدم على استنباط عبادة لا أصل لها ، لانها مخصوصة بحكم الاذن المصرح به ؛ بخلاف العادات . والفرق بينهما ما تقدم من اهتداء العقول للعادات في الجملة ، وعدم اهتدائها لوجوه التقربات الى الله تعالى . وقد أشير الى هذا المعنى في كتاب الموافقات والى هذا (؟)

فاذا ثبت أن المصالح المرسلة ترجع اما الى حفظ ضروري من باب الوسائل ، أو الى التخفيف ، فلا يمكن احداث البدع من جهتها ولا الزيادة في المندوبات ، لان البدع من باب الوسائل ، لانها متعبد بها بالفرض ، ولانها زيادة في التكليف ، وهو مضاد للتخفيف

فصل من هذا كله أن لا تعلق للمبتدع بباب المصالح المرسلة الا القسم الملغى باتفاق العلماء ، وحسبك به متعلقاً ، والله الموفق وبذلك كله يعلم من قصد الشارع أنه لم يكل شيئاً من التعبدات الى آراء العباد ، فلم يبق الا الوقوف عند ما حده ، والزيادة عليه بدعة ، كما ان النقصان منه بدعة . وقد مر لها أمثلة كثيرة ، وسيأتي آخرها في أثناء الكتاب بحول الله.

فصل

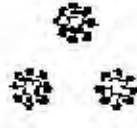
وأما الاستحسان ؛ فلان لأهل البدع أيضاً تعلقاً به ؛ فان الاستحسان لا يكون الا بمستحسن ، وهو إما العقل أو الشرع أما الشرع فاستحسانه واستقباحه قد فرغ منها ، لان الأدلة اقتضت ذلك فلا فائدة لتسميته استحساناً ، ولا لوضع ترجمة له زائدة على الكتاب والسنة والاجماع ، وما ينشأ عنهما من القياس والاستدلال . فلم يبق الا العقل هو المستحسن ، فان كان بدليل فلا فائدة لهذه التسمية ، لرجوعه الى الأدلة لا الى غيرها ، وان كان بغير دليل فذلك هو البدعة التي تستحسن

ويشهد^(١) قول من قال في الاستحسان انه يستحسنه^(٢) المجتهد بعقله ، ويميل اليه برأيه - قالوا - : وهو عندهم لاء من جنس ما يستحسن في العوائد ، ويميل اليه الطباع ، فيجوز الحكم بمقتضاه اذا لم يوجد في الشرع ما ينافي هذا الكلام ما بين (؟) ان تتم من التعبدات ما لا يكون عليه دليل ؛ وهو الذي يسمى بالبدعة ، فلا بد أن ينقسم الى حسن وقبيح ، اذ ليس كل استحسان حقاً

وأيضاً فقد يجري على التأويل الثاني للاصوليين في الاستحسان ، وهو أن المراد به دليل ينقدح في نفس المجتهد لا تساعده العبارة عنه ولا يقدر على اظهاره . وهذا التأويل ، فلا استحسان يساعده بعده ، لانه يبعد في مجاري العادات أن يتدع أحد بدعة من غير شبهة دليل ينقدح له ، بل عامة البدع لا بد لصاحبها من متعلق دليل شرعي ، لكن قد

(١) لعل أصله « ويشهد لذلك » اوله (٢) لعل أصله « ما يستحسنه »

يمكنه اظهاره وقد لا يمكنه - وهو الاغلب - فهذا مما يحتجون به



وربما يتقدح لهذا المعنى وجه بالأدلة التي استدلت بها أهل التأويل الأولون ، وقد أتوا بثلاثة أدلة

(أحدها) قول الله سبحانه (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) وقوله (الله نزل أحسن الحديث) وقوله (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) هو ما استحسنته عقولهم

(والثاني) قوله عليه السلام «ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن» وإنما يعني بذلك ما رآوه بعقولهم ، والا لو كان حسنه بالدليل الشرعي لم يكن من حسن ما يرون ، اذ لا مجال للعقول في التشريع على ما زعمتهم ، فلم يكن للحديث فائدة ، فدل على ان المراد ما رآوه برأيهم

(والثالث) ان الأمة قد استحسنت دخول الحمام من غير تقدير بأجرة ولا تقدير مدة اللبث ولا تقدير الماء المستعمل ، ولا سبب لذلك الا ان المشاحة في مثله قبيحة في العادة ، فاستحسن الناس تركه ، مع اننا تقطع أن الاجارة المجهولة^(١) أو مدة الاستئجار أو مقدار المشتري اذا جهل فاته ممنوع ، وقد استحسنت اجارته مع مخالفة الدليل ، فاولى ان يجوز اذا لم يخالف دليلا

فانت ترى ان هذا الموضع مزلة قدم أيضا لمن اراد أن يتدع ، فله ان يقول : ان استحسنت كذا وكذا فغيري من العلماء قد استحسنت .

(١) لا بد أن يكون سقط من هنا شيء ولعله المنفعة

وإذا كان كذلك فلا بد من فضل اعتناء بهذا الفصل ، حتى لا يفتر به جاهل أو زاعم أنه عالم ، وبالله التوفيق ، فنقول :

✽

إن الاستحسان يراه معتبراً في الأحكام مالك وأبو حنيفة ، بخلاف الشافعي فإنه منكر له جداً حتى قال « من استحسّن فقد شرع » والذي يستقرى من مذهبهما أنه يرجع إلى العمل بأقوى الدليّين . هكذا قال ابن العربي — قال — فالعموم إذا استمرّ ، والقياس إذا أطرّد ، فإن مالكا وأبا حنيفة يريان تخصيص العموم بأي دليل كان من ظاهر أو معنى — قال — ويستحسن مالك أن يخص بالمصلحة ، ويستحسن أبو حنيفة أن يخص بقول الواحد من الصحابة الوارد بخلاف القياس — قال — ويريان معاً تخصيص القياس وتقص العلة ، ولا يرى الشافعي لعلّة الشرع إذا ثبتت تخصيصاً

هذا ما قال ابن العربي . ويشعر بذلك تفسير الكرخي أنه المدول عن الحكم في المسئلة بحكم نظائرها إلى خلافه لوجه أقوى . وقال بعض الحنفية : أنه القياس الذي يجب العمل به ، لأن العلة كانت علة بأثرها : سمو الضعيف الأثر قياساً والقوي الأثر استحساناً ، أي قياساً مستحسنًا ، وكأنه نوع من العمل بأقوى القياسين ؛ وهو يظهر من استقراء مسائلهم في الاستحسان بحسب النوازل الفقهية

بل قد جاء عن مالك أن الاستحسان تسعة أعشار العلم . ورواه أصبغ عن ابن القمام عن مالك ، قال أصبغ في الاستحسان : قد يكون أغلب

من القياس . وجاء عن مالك أن الفرق في القياس يكاد يفارق السنة ^(١) . وهذا الكلام لا يمكن أن يكون بالمعنى الذي تقدم قبله ، وأنه ما يستحسنه المجتهد بعقله ، أو أنه دليل ينقدح في نفس المجتهد تعسر عبارته عنه ، فإن مثل هذا لا يكون تسعة اعشار العلم ، ولا أغلب من القياس الذي هو أحد الأدلة

وقال ابن العربي في موضع آخر : الاستحسان إشار ترك مقتضى الدليل ، على طريق الاستثناء والترخص ، لمعارضة ما يعارض به في بعض مقتضياته . وقسمه أقساما عد منها أربعة أقسام ، وهي ترك الدليل للعرف ، وتركه للمصلحة ، وتركه لليسير ، لرفع المشقة ، وإشار التوسعة ^(٢) وحده غير ابن العربي من أهل المذهب بأنه عند مالك : استعمال مصلحة جزئية في مقابلة قياس كلي . - قال - فهو تقديم الاستدلال المرسل على القياس .

وعرفه ابن رشد فقال : الاستحسان - الذي يكثر استعماله حتى يكون أعم من القياس - هو أن يكون طرعا لقياس يؤدي إلى غلو في الحكم ومبالغة فيه ، فعُدل عنه في بعض المواضع بمعنى يؤثر في الحكم يختص به ذلك الموضع .

وهذه تعريفات قريب بعضها من بعض

(١) كانت العبارة في صلب النسخة هكذا « أن الفرق في القياس ، يكاد يفارق الناس . ووضع فوق « يفارق الناس » خط وكتب بأثره في الهامشية « يفارق السنة » على أن معنى العبارة المصححة ظاهر . (٢) إذا كان قوله « لرفع المشقة » الخ تعليلا لتركه في « اليسير » (وهو القليل النافه) فإن القسم الرابع ؛ وإن كان قسما رأسه فلماذا لم يقل « وتركه لرفع المشقة » ؟ وليراجع المثال السابع في ص ٩٢٧

وإذا كان هذا معناه عن مالك وإبي حنيفة فليس بخارج عن الأدلة البتة ، لأن الأدلة يقيد بعضها ويخصص بعضها بعضاً ، كما في الأدلة السنية مع القرآنية . ولا يرد الشافعي مثل هذا أصلاً . فلاحجة في تسميته استحساناً لمبتدع^(١) على حال

ولا بد من الإتيان بأمثلة تبين المقصود بحول الله ، وتقتصر على عشرة أمثلة .

(أحدها) أن يعدل بالمسئلة عن نظائرها بدليل الكتاب ، كقوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) فظاهر اللفظ العموم في جميع ما يتمول به ، وهو مخصوص في الشرع بالأموال الزكوية خاصة ؛ فلو قال قائل : مالي صدقة . فظاهر لفظه يعم كل مال ؛ ولكننا نحمله على مال الزكاة ، لكونه ثبت الحمل عليه في الكتاب . قال العلماء : وكأن هذا يرجع إلى تخصيص العموم بعادة فهم خطاب القرآن . وهذا المثال أورده الكرخي تمثيلاً لما قاله في الاستحسان

(والثاني) أن يقول الحنفي : سؤر سباع الطير نجس ، قياساً على سباع البهائم . وهذا ظاهر الأثر ، ولكنه ظاهر استحساناً ؛ لأن السبع ليس بنجس العين ، ولكن لضرورة تحريم لحمه ، فثبتت نجاسته بمجاورة وطوابع لعابه . وإذا كان كذلك فآفة الطير ، لأنه يشرب بمنقاره وهو طاهر بنفسه ، فوجب الحكم بطهارة سؤره ، لأن هذا أثر قوي وإن خفي ، فترجع على الأول ، وإن كان أمره جلياً ، والخذ بأقوى القياسين متفق عليه (والثالث) أن أبا حنيفة قال : إذا شهد أربعة على رجل بالزنا ولكن

(١) قوله « لمبتدع » خبر قوله « فلا حجة »

عين كل واحد غير الجهة التي عينها (الآخر) ، فالقياس ان لا يحد ، ولكن استحسن حدد . ووجه ذلك انه لا يحد الا من شهد عليه اربعة ، فاذا عين كل واحد دارا ، فلم يأت على كل مرتبة باربعة . لامتناع اجتماعهم على رتبة واحدة . فاذا عين كل واحد زاوية فالظاهر تعدد الفعل ، ويمكن التراجع .

فاذا قال : القياس ان لا يحد . فمعناه ان الظاهر انه لم يجتمع الاربعة على زاوية واحدة ، ولكنه يقول ^(١) في المصير الى الامر الظاهر تفسيق المدلول ، فانه ان لم يكن محدودا صار الشهود فسقة ، ولا سبيل الى ^(٢) ما وجدنا الى المدلول عنه سبيلا ، فيكون حمل الشهود على مقتضى العدالة عند الامكان يجر ذلك الى مكان البعيد . فليس هذا حكما بالقياس ، وانما ^(٣) تمسك باحتمال تلقي الحكم من القرآن ، وهذا يرجع في الحقيقة الى تحقيق مناطه

(والرابع) ان مالك بن انس من مذهبه ان يترك الدليل للعرف ، فانه رد الايمان الى العرف ، مع ان اللفظة تقتضي في الفاظها غير ما يقتضيه العرف ، كقوله : والله لا دخلت مع فلان بيتا . فهو يحث ^(٤) بدخول كل موضع يسمى بيتا في اللفظة ، والمسجد يسمى بيتا فيبحث على ذلك ، الا ان عرف الناس ان لا يطلقوا هذا اللفظ عليه ، تفرج بالعرف على ^(٥) مقتضى اللفظ فلا يحث

(١) انس أصم . يقول . فان انزلنا اذا لم يثبت بشهادة من شهدنا به يؤل الامر الى قذفه للمشهد عليه وهو فسق . وعبارة كما ترى لانهم لا يتكف (٢) لعله سقط من هنا لفظ « التفسيق » (٣) لعله سقط من هنا كلمة « هو » (٤) نص - فيبحث « فلا يحث » وهو غلط حتما (٥) لعله عن

(والخامس) ترك الدليل لمصلحة ، كما في تضمين الاجير المشترك وان لم يكن صانعاً ، فان مذهب مالك في هذه المسئلة على قولين ، كتضمين صاحب الحمام الثياب ، وتضمين صاحب السفينة ، وتضمين السامرة المشتركين ، وكذلك حمال الطعام - على رأي مالك - فانه ضامن ، ولا حق عند الصانع . والسبب في ذلك بعد السبب في تضمين الصانع .

فان قيل : فهذا من باب المصالح المرسلة لا من باب الاستحسان . قلنا : نعم ! الا أنهم صوروا الاستحسان تصوراً الاستثناء^(٢) من القواعد ، بخلاف المصالح المرسلة . ومثل ذلك يتصور في مسئلة التضمين ، فان الاجراء مؤتمنون بالدليل لا بالبراءة الاصلية ، فصار تضمينهم في حين المستثنى من ذلك الدليل ، فدخلت تحت معنى الاستحسان بذلك النظر (والسادس) انهم يحكون الاجماع على ايجاب الغرم على من قطع ذنب بغلة القاضي ، يريدون غرم قيمة الدابة لاقية النقص الحاصل فيها . ووجه ذلك ظاهر ، فان بغلة القاضي لا يحتاج اليها الا للركوب ، وقد امتنع ركوبه لما بسبب فحش ذلك العيب ، حتى صارت بالنسبة الى ركوب مثله في حكم العدم ، فالزموا الفاعل غرم قيمة الجميع . وهو متعجه بحسب الغرض الخاص ، وكان الاصل أن لا يغرم الا قيمة ما نقصها القطع خاصة ، لكن استحسننا ما تقدم

وهذا الاجماع مما ينظر فيه ، فان المسئلة ذات قولين في المذهب

(٢) الظاهر ان يقول : صوروا الاستحسان بصورة الاستثناء . - أو - تصوروا الاستحسان تصوراً الاستثناء الخ

وغيره ، ولكن الأشهر في المذهب المالكي ما تقدم حسبما نص عليه
القاضي عبد الوهاب

(والسابع) ترك مقتضى الدليل في اليسير لتفاهته وتزارئه لرفع
المشقة ، وإيثار التوسعة على الخلق ؛ فقد أجازوا التفاضل اليسير في
المراطة الكثيرة ، وأجازوا البيع بالصرف إذا كان أحدهما تابعا للآخر ،
وأجازوا بدل الدرهم الناقص بالوازن^(١) لزارة ما بينهما . والاصل المنع في
الجميع ، لما في الحديث من أن الفضة بالفضة والذهب بالذهب مثلا بمثل
سواء بسواء ، وأن من زاد أو ازداد فقد أربى . ووجه ذلك ان التفاهة في
حكم العدم ، ولأنك لا تنصرف اليه الاغراض في الغالب ، وان المشاحة
في اليسير قد تؤدي الى الحرج والمشقة ، وهما مرفوعان عن المكلف
(والثامن) أن في الصبية من سماع اصبع في الشريكين يطان
الامة في طهر واحد فتأتي بولد فينكر أحدهما الولد دون الآخر . انه
يكشف منكر الولد عن وطئه الذي أقر به ؛ فان كان في صفته ما يمكن معه
الانزال لم يلتفت الى انكاره ، وكان كما لو اشتركا فيه ، وان كان يدعي
العزل من الوطء الذي أقر به ، فقال أصبغ : اني أستحسن هاهنا أن ألحقه
بالآخر ؛ والقياس أن يكونا سواء ، فلم يله غلب ولا يدري . وقد قال -
عمرو بن العاص في نحو هذا « ان الوكلاء قد ينقلب » - قال -
والاستحسان هاهنا ان ألحقه بالآخر ، والقياس أن يكونا في العلم قد
يكون أغلب من القياس (:) - ثم حكى عن مالك ما تقدم

ووجه ذلك ابن رشد بأن الاصل : من وطئ أمته فعزل عنها وأنت

(١) الوزن ما وزن فعرف أنه تام . يقال : درهم وزن - ووازن - وموزون

الآخر الذي لم يعزل عنها أن يكون الحكم في ذلك بمنزلة ما إذا كانا جميعاً يعزلان أو ينزلان . والاستحسان - كما قال - أن يلحق الولد بالذي ادعاه وأقر أنه كان ينزل ، وتبرأ منه الذي أنكره وادعى أنه كان يعزل ، لأن الولد يكون مع الانزال غالباً ولا يكون مع العزل إلا نادراً ، فيغلب على الظن أن الولد إنما هو للذي ادعاه وكان ينزل ، لا الذي أنكره وهو يعزل ، والحكم بغلبة الظن أصل في الأحكام ، وله في هذا الحكم تأثير ، فوجب أن يصار إليه استحساناً - كما قال أئمة - وهو ظاهر فيما نحن فيه

(والتاسع) ما تقدم أولاً من أن الأمة استحسنّت دخول الحمام من غير تقدير أجره ولا تقدير مدة اللبث ولا تقدير الماء المستعمل . والأصل في هذا المنع ، إلا أنهم أجازوا - كما قال المحتجون على البدع ، بل لأمر آخر هو من هذا القبيل الذي ليس بخارج عن الأدلة ، فأما تقدير العوض فالعرف هو الذي قدره ، فلا حاجة إلى التقدير ، وأما مدة اللبث وقدر الماء المستعمل فإن لم يكن ذلك مقدراً بالعرف أيضاً فإنه يسقط للضرورة إليه . وذلك لقاعدة فقهية ، وهي أن نفي جميع الفرر في العقود لا يتدر عليه ، وهو يضيق أبواب المعاملات ، وهو تحميم أبواب المفاوضات (?) ونفي الضرر إنما يطلب تكميلاً ورفعاً لما عسى أن يقع من نزاع ، فهو من الأمور المكتملة ، والتكميلات إذا أفضى اعتبارها إلى إبطال المكملات سقطت جملة ، تحميلاً للمهم - حسبما تبين في الأصول - فوجب أن يسامح في بعض أنواع الفرر التي لا تنفك عنها ، إذ يشق طلب الاتسكالك عنها ، فموضع المكلف يسير الفرر ، لضيق الاحتراز

مع تفاهة ما يحصل من الغرض^(١) ولم يسامح في كثيره اذ ليس في محل
الضرورة، ولعظيم ما يترتب عليه من الخطر، لكن الفرق بين القليل
والكثير، غير منصوص عليه في جميع الامور، وانما نهى عن بعض
أنواعه مما يعظم فيه الغرر، فجعلت اصولاً يقاس عليها غير القليل اصلاً
في عدم الاعتبار وفي الجواز، وصار الكثير في^(٢) المنع، ودار في الاصلين
فروع تتجاذب العلماء النظر فيها؛ فاذا قل الغرر وسهل الامر وقل
التزاع ومست الحاجة الى المساحة فلا بد من القول بها، ومن هذا القبيل
مسئلة التقدير في ماء الحمام ومدة اللبث

قال العلماء ولقد بالغ مالك في هذا الباب وامن فيه، فجوز أن يستأجر
الاجير بطعامه وان كان لا ينضبط مقداراً كله، ليسار امره وخفة
خطبه وعدم المشاحة، وفرق بين تطرق يسير الغرر الى الاجل فأجازه،
وبين تطرقه للثمرة فمنعه، فقال: يجوز للانسان ان يشتري سلعة الى
الحصاد أو الى الجذاذ، وان كان اليوم بعينه لا ينضبط؛ ولو باع سلعة
بدرهم أو ما يقاربه لم يحجز، والسبب في التفرقة المضايقة في تعيين الاثمان
وتقديرها ليست في العرف، ولا مضايقة في الاجل، اذ قد يسامح البائع
في التقاضي الايام، ولا يسامح في مقدار الثمن على حال

وبعضده ما روى عمرو بن العاص رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم أمر بشراء الابل الى خروج المصدق، وذلك لا يضبط يوم،
ولا بعين ساعته ولكنه على التقريب والتسهيل

(١) لعله الغرر أو الضرر (٢) لعل أصله « في حكم المنع - أو - في حيز المنع »
(المنازل - ج ١٢) (١١٧) (المجلد السابع عشر)

فتأملوا كيف وجه الاستثناء من الاصول الثابتة بالخرج والمشقة .
واين هذا من زعم الزاعم انه استحسان العقل بحسب العوائد فقط ؟
فبين لك بون ما بين المنزلتين .

(العاشر) أنهم قالوا : ان من جملة انواع الاستحسان مراعاة
خلاف العلماء . وهو أصل في مذهب مالك ينبغي عليه مسائل كثيرة
(منها) ان الماء اليسير اذا حلت فيه النجاسة اليسيرة ولم تغير احد
أوصافه انه لا يتوضأ به بل يتيم ويتركه ؛ فان توضأ به وصلى أعاد مادام في
الوقت ، ولم يعد بعد الوقت ؛ وانما قال « يعيد في الوقت » مراعاة لقول
من يقول : انه طاهر مطهر . ويروى جواز الوضوء به ابتداءً ، وكان
قياس هذا القول ان يعيد ابدًا ، اذ لم يتوضأ الا بماء يصح له تركه
والانتقال عنه الى التيم

(ومنها) قولهم في النكاح الفاسد الذي يجب فسخه : ان لم يتفق على
فساده فيفسخ بطلاق ، ويكون فيه الميراث ، ويلزم فيه الطلاق على
حده في النكاح الصحيح ؛ فان اتفق العلماء على فساد فسخ بغير طلاق ،
ولا يكون فيه ميراث ولا يلزم فيه طلاق

(ومنها) مسألة من نسي تكبيرة الاحرام وكبر للركوع وكان مع
الامام ^(١) ان يتأدى ، لقول من قال : ان ذلك يحزؤه . فاذا سلم الامام
أعاد هذا المأموم . وهذا المني كثير جدا في المذهب ؛ ووجهه انه راعى
دليل المخالف في بعض الاحوال ، لأنه ترجح عنده ؛ ولم يرجح عنده

(١) سقط من هنا ما يكون به قوله « أن يتأدى » جملة مفيدة ، ولعل أصله :
وجب - أو - فعليه أن يتأدى

في بعضها فلم يراعه .

ولقد كتبت في مسألة مراعاة الخلاف الى بلاد المغرب والى بلاد افريقية لا لشكل عرض فيها من وجهين : احدهما مما يخص هذا الموضع على فرض صحتها ، وهو ما أصلها من الشريعة و على م تبني من قواعد أصول الفقه ؛ فان الذي يظهر الآن ان الدليل هو المتبع فحيثما صار صير اليه ، ومتى رجح للمجتهد احد الدليلين على الآخر - ولو بادنى وجوه الترجيح - وجب التعويل عليه وإلغاء ما سواه ، على ما هو مقرر في الاصول ؛ فاذا رجوعه - اعني المجتهد - الى قول الغير إعمال لدليله المرجوح عنده ، وإهمال الدليل الراجح عنده الواجب عليه اتباعه ؛ وذلك على خلاف القواعد .

فأجاني بعضهم بأجوبة منها الأقرب والأبعد ؛ إلا أنني راجعت بعضهم بالبحث ، وهو اخي ومفيدي ابو العباس ابن القباب رحمة الله عليه ، فكتب اليّ بما نصه :

« واتضمن الكتاب المذكور عودة السؤال في مسألة مراعاة الخلاف ، وقام ان رجحان احدى الامارتين على الاخرى ان تقديمها على الاخرى ^(١) اقتضى ذلك عدم المرجوحة ، طلقاً ، واستشنعتم ان يقول المفتي « هذا لا يجوز » ابتداء ، وبعد الوقوع يقول بجوازه ، لانه يصير الممنوع اذا فعل جائزاً . وقام انه انما يتصور الجمع في هذا النحو في منع التنزيه لا منع التحريم . - الى غير ذلك مما أوردتم في المسئلة .

« وكلها إرادات شديدة صادرة عن قريحة قياسية منكورة

لطريقة الاستحسان ؛ وإلى هذه الطريقة ميل فحول من الأئمة والنظار ، حتى قال الامام ابو عبد الله الشافعي : من استحسن فقد شرع .
« ولقد ضاقت العبارة عن معنى أصل الاستحسان - كما في علمكم - حتى قالوا : أصبح عبارة فيه انه معنى ينقدح في نفس المجتهد تعسر العبارة عنه فاذا كان هذا أصله الذي ترجع فروعه اليه ، فكيف ما يبني عليه ؟ فلا بد ان تكون العبارة عنها أضيق .

« ولقد كنت أقول بمثل ما قال هؤلاء الاعلام في طرح الاستحسان وما بني عليه ، لولا أنه اعتضد وتقوى لوجدانه كثيرًا في فتاوى الخلفاء واعلام الصحابة وجمهورهم مع عدم النكير ، فتقوى ذلك عندي غاية ، وسكنت اليه النفس ، وانشرح اليه الصدر ، ووثق به القلب ، للامر باتباعهم والاقتداء بهم ، رضي الله عنهم .

« فمن ذلك المرأة يتزوجها رجلان ولا يعلم الآخر بتقديم نكاح غيره الا بعد البناء ، فأبأنها عليه بذلك عمر ومعاوية والحسن رضي الله عنهم . وكل ما أوردتم في قضية السؤال وارد عليه ، فانه اذا تحقق ان الذي لم يبن هو الاول فدخول الثاني بها دخول زوج غيره ، وكيف يكون غلطه على زوج غيره مبيحا على الدوام ، ومصححا لعقده الذي لم يصادف محلا ، ومبطلا لعقد نكاح مجمع على صحته ، لوقوعه على وفق الكتاب والسنة ظاهرا وباطنا ؛ وانما المناسب ان الغلط يرفع عن الغالط الاثم والمعقوبة ، لا إباحة زوج غيره دائما ، ومنع زوجها منها

« ومثل ذلك ما قاله العلماء في مسألة امرأة المفقود : انه ان قدم

المفقود قبل نكاحها فهو احق بها ، وان كان بعد نكاحها والدخول بها

بانت ، وان كانت بعد العقد وقبل البناء فقولا ن ، فانه يقال : الحكم لها بالعدة من الاول ان كان قطعا لعصمته فلاحق له فيها ولو قدم قبل تزوجها ، أو ليس يقطع للعصمة ، فكيف تباح لغيره وهي في عصمة المفقود ؟

« وما روي عن عمر وعثمان في ذلك أغرب ، وهو أنهما قالا : اذا قدم المفقود بخير بين امرأته أو صداقها ، فان اختار صداقها بقيت للثاني . فأين هذا من القياس ؟ وقد صحح ابن عبد البر هذا النقل عن الخليفتين عمر وعثمان رضي الله عنهما ، ونقل عن علي رضي الله عنه أنه قال بمثل ذلك ، أو أمضى الحكم به ، وان كان الأشهر عنه خلافه . ومثله في قضايا الصحابة كثير من ذلك

« قال ابن المعدل : لو ان رجلين حضرها وقت الصلاة فقام أحدهما فأوقع الصلاة بثوب نجس مجانا (١) وقعد الآخر حتى خرج الوقت ولا يغاربه (٢) مع نقل غير واحد من الاشياخ الاجماع على وجوب النجاسة (٣) عامدا جمع الناس ان لا يساوي مؤخرها على وجوب النجاسة حال الصلاة (٤) ومن نقله اللخمي والمازري ، وصححه الباجي ، وعليه مضى عبد الوهاب في تلقيه

« وعلى الطريقة التي أوردتم - ان المنهي عنه ابتداء غير معتبر - اخرى يكون أمر هذين الرجلين بعكس ما قال ابن المعدل ، لأن الذي

(١) كذا في الاصل وفيه حذف وتحريف ظاهر وقد وضع فوق ألف « مجانا » ثلاث نقط ، وكلمة « يغاربه » يحتمل أن تكون « يغاربه » (٢) لا تزال العبارة مضطربة تدل على الحذف والبت والتصحيف والتحريف .

٩٣٤ بطلان تزويج المرأة نفسها واستحقاقها المهر . سبي الرهبان (المنار - ج ١٢ م ١٧)

صلى بعد الوقت قضى ما فرط فيه ، والآ خر لم يعمل كما أمر ، ولا قضى شيئا ؛ وليس كل منهي عنه ابتداء غير معتبر بعد وقوعه

وقد صحح الدارقطني حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها ، فان الزانية هي التي تزوج نفسها » وأخرج أيضا من حديث عائشة رضي الله عنها « ايما امرأة نكحت بغير إذن مواليها فنكاحها باطل - ثلاث مرات - فان دخل بها فالمرء لها بما أصاب منها » . حكم أولا بطلان العقد واكده بالتكرار ثلاثا ، وسماه زنا . واقل مقتضياته عدم اعتبار هذا العقد جملة . لكنه صلى الله عليه وسلم عقبه بما اقتضى اعتباره بعد الوقوع بقوله « ولها مهرها بما أصاب منها » ومهر البغي حرام وقد قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعار الله) الآية . فعلى النهي عن استحلاله بابتغائهم فضل الله ورضوانه مع كفرهم بالله تعالى ، الذي لا يصح معه عبادة ، ولا يقبل عمل ؛ وان كان هذا الحكم الآن منسوخا ، فذلك لا يمنع الاستدلال به في هذا المعنى « ومن ذلك قول الصديق رضي الله عنه : وستجد أقواما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله ، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له . ولهذا لا يسبي الراهب ويترك له ماله أو ما قل منه ، على الخلاف في ذلك ؛ وغيره ممن لا يقاتل يسبي ويملك ، وإنما ذلك لما زعم انه حبس نفسه له ، وهي عبادة الله تعالى . وإن كانت عبادته أبطل الباطل . فكيف يستبعد اعتبار عبادة مسلم على وفق دليل شرعي لا يقطع بخطأ فيه ؛ وان كان يظن ذلك ظنا . وتتبع مثل هذا يطول

« وقد اختلف فيما تحقق فيه نهي من الشارع : هل يقتضي فساد النهي عنه ؟ وفيه بين الفقهاء والاصوليين ما لا يخفى عليكم ، فكيف بهذا ؟ » واذا خرجت المسئلة المختلف فيها الى أصل مختلف فيه ، فقد خرجت عن حيز الاشكال ، ولم يبق الا الترجيح لبعض تلك المسائل ، ويرجع كل أحد ما ظهر له بحسب ما وفق له . ولنكتف بهذا القدر في هذه المسئلة . انتهى ما كتب لي به وهو بسط أدلة شاهدة لأصل الاستحسان ، فلا يمكن مع هذا التقرير كله ان يتمسك به من أراد ان يستحسن بغير دليل أصلا .

فصل

فاذا تقرر هذا فنرجع الى ما احتجوا به أولا : فاما من حذر الاستحسان بانه « ما يستحسنه المجتهد بعقله ويميل اليه برأيه » - فكان هؤلاء يرون هذا النوع من جملة أدلة الاحكام ، ولا شك ان العقل يجوز ان يرد الشرع بذلك ، بل يجوز أن يرد بان ما سبق الى أوهام العوام - مثلا - فهو حكم الله عليهم ، فيلزمهم العمل بمقتضاه . ولكن لم يقع مثل هذا ولم يعرف التعبد به لا بضرورة ولا بنظر ولا بدليل من الشرع قاطع ولا مظنون ، فلا يجوز اسناده لحكم الله ، لانه ابتداء تشريع من جهة العقل .

وايضا فانا نعلم ان الصحابة رضي الله عنهم حصروا نظرم في الوقائع التي لا تصرح فيها في الاستنباط^(١) والرد الى ما فهموه من الاصول الثابتة . ولم يقل أحد منهم : اني حكمت في هذا بكذا لأن طبعي مال اليه ، أو لانه (١) قوله « في الوقائع » متعلق بنظرم ، وقوله « في الاستنباط » متعلق بحصروا

يوافق محبتي ورضائي . ولو قل ذلك لاشتد عليه النكير ، وقيل له : من أين لك ان تحكم على عباد الله بمحض ميل النفس وهوى القلب ؟ هذا مقطوع بطلانه

بل كانوا يتناظرون ويعترض بعضهم بعضاً على مأخذ بعض ، ويحصرون ضوابط الشرع

وأيضاً فلو رجع الحكم الى مجرد الاستحسان لم يكن للمناظرة فائدة ، لأن الناس تختلف أهوائهم وأغراضهم في الاطعمة والاشربة واللباس وغير ذلك ، ولا يحتاجون الى مناظرة بعضهم بعضاً : لم كان هذا الماء اشهى عندك من الآخر ؟ والشرعية ليست كذلك

على ان أرباب البدع العملية أكثرهم لا يحبون ان يناظروا احداً . ولا يفتحون عالماً ولا غيره فيما يتغنون ، خوفاً من الفضيحة ان لا يجدوا مستنداً شرعياً . وانما شأنهم اذا وجدوا عالماً أو لقوه ان يصانعوا ، واذا وجدوا جاهلاً عامياً ألقوا عليه في الشريعة الطاهرة إشكالات ، حتى يزلوهم ويخلطوا عليهم ، ويابسوا دينهم . فاذا عرفوا منهم الحيرة والالتباس ، ألقوا اليهم من بدعهم على التدرج شيئاً فشيئاً ، وذموا أهل العلم بأنهم أهل الدنيا المكبون عليها ، وان هذه الطائفة هم أهل الله وخاصته . وربما أوردوا عليهم من كلام غلاة الصوفية شواهد على ما يلقون اليهم ، حتى يهروا بهم في نار جهنم . وأما ان يأتوا الامر من بابيه وينظروا عليه العلماء الراسخين فلا

وتأمل مائقه الغزالي في استدراج الباطنية غيرهم الى مذهبهم ، تجدهم لا يعتمدون الا على خديعة الناس من غير تقرير علم ، والتحليل عليهم

بأنواع الخيل ، حتى يخرجوهم من السنة ، أو من الدين جملة . ولولا الإطالة
لأثبت بكلامه ، فطالعه في كتابه (فضائح الباطنية)



وأما الحد الثاني فقد رد به لو فتح هذا الباب لبطلت الحجج
وادعى كل من شاء ما شاء ، واكتفى بمجرد القول ، فألجأ الخصم الى
الإبطال . وهذا يجر فسادا لا خفاء له . وإن سلم فذلك الدليل ان كان
فاسدا فلا عبرة به ، وإن كان صحيحا فهو راجع الى الأدلة الشرعية فلا
ضرر فيه

وأما الدليل الأول فلا متعلق به ، فإن أحسن اتباع الينا اتباع الأدلة
الشرعية ، وخصوصا القرآن فإن الله يقول (الله نزل أحسن الحديث كتابا
متشابها) الآية . وجاء في صحيح الحديث - خرج به مسلم - ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال في خطبته « أما بعد فاحسن الحديث كتاب الله »
فيفتقر أصحاب الدليل ان يبينوا أن ميل الطباع او اهواء النفوس مما
انزل الينا ، فضلا عن ان يكون من أحسنه .

وقوله (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) الآية يحتاج الى
بيان ان ميل النفوس يسمى قولا . وحينئذ ينظر الى كونه أحسن القول
كما تقدم . وهذا كله فاسد

ثم انا نعارض هذا الاستحسان بان عقولنا تميل الى إبطاله ، وأنه
ليس بحجة ؛ وإنما حجة الأدلة الشرعية المتلقاة من الشرع
وأیضا فيلزم عليه استحسان العوام ومن ليس من أهل النظر ،
(النار - ج ١٢) (١١٨) (المجلد السابع عشر)

إذا فرض أن الحكم يتبع مجرد ميل النفوس وهوى الطباع، وذلك محال؛
للعلم بأن ذلك مضاد للشريعة، فضلاً عن أن يكون من أدلتها
وأما الدليل الثاني فلا حجة فيه من أوجه (أحدها) أن ظاهره
يدل على أن ما رآه المسلمون حسناً فهو حسن، والامة لا تجتمع على باطل.
فاجتماعهم على حسن شيء يدل على حسنه شرعاً، لأن الاجماع يتضمن
دليلاً شرعياً، فالحديث دليل عليكم لاكم.

(والثاني) انه خبر واحد في مسألة قطعية فلا يسمع
(والثالث) انه اذا لم يرد به أهل الاجماع وارىد بعضهم فيلزم عليه
استحسان العوام، وهو باطل باجماع. لا يقال: ان المراد استحسان
أهل الاجتهاد؛ لانا نقول: هذا ترك للظاهر، فيبطل الاستدلال. ثم انه
لا فائدة في اشتراط الاجتهاد، لأن المستحسن بالفرض لا ينحصر في
الادلة، فاي حاجة الى اشتراط الاجتهاد؟

فان قيل: انما يشترط حذراً من مخالفة الادلة فان المامي لا يعرف
قيل: بل المراد استحسان ينشأ عن الادلة، بدليل ان الصحابة روي
الله عنهم قصروا احكامهم على اتباع الادلة وفهم مقاصد الشريعة
فالحاصل ان تعلق المبتدعة بمثل هذه الامور تعلق بغير دليل
ولا يفهم البتة، لكن ربما يتطعون في آحاد بدعتهم بآحاد شريعة
في مواضعها ان شاء الله. ومنها ما قد مضى.

فصل

فان قيل: أفليس في الاحاديث ما يدل على الرجوع الى ما يقع
القلب ويجري في النفس، وان لم يكن ثم دليل صريح على حكمه؟

أحكام الشرع ، ولا غير صريح ؛ فقد جاء في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول « دع ما يريبك الى ما لا يريبك ، فان الصدق طمأنينة والكذب ريبة »

وخرج مسلم عن النواس بن سميان رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال : « البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع الناس عليه » وعن أبي امامة رضي الله عنه قال : قال رجل يا رسول الله ما الايمان ؟ قال « اذا سررتك حسناتك وساءتلك سيئاتك فأنت مؤمن — قال : يا رسول الله ؛ فما الاثم ؟ قال — اذا حاك شيء في صدرك فدعه » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » وعن وابصة رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال : « يا وابصة ! استفت قلبك واستفت نفسك ، البر ما اطأنت اليه النفس واطأنت اليه القلب ، والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر ، وان أفتاك الناس وأفتوك » وخرج البغوي في معجمه عن عبد الرحمن بن معاوية : أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ ما يحل لي مما يحرم علي ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرد عليه ثلاث مرات ، كل ذلك يسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال « أين السائل ؟ — فقال أنا يا رسول الله — فقال ونقر بأصبعه — ما أنكر فوك فدعه »

وعن سيد الله قال : الاثم حواز القلوب ، فما حاك من شيء في قلبك فله فيه نظر فان للشيطان فيه طمعا . وقال أيضا : الحلال

بين والحرام بين وبينها أمور مشتبهات ، فمدح ما يريك الى ما لا يريك .
وعن أبي الدرداء رضي الله عنه : ان الخير طائفة ، وان الشر ربة ، فمدح
ما يريك الى ما لا يريك . وقال شريح : مدح ما يريك الى ما لا يريك ،
فوالله ما وجدت فقد شيء تركته ابتغاء وجه الله .

فهذه صهر من معناها الرجوع في جملة من الاحكام الشرعية الى ما يقع
بالقلب ويهجن بالنفس ويعرض بالخطا ، وانه اذا اطمانت النفس اليه
فالاقدام عليه صحيح ، واذا توقفت أو ارتابت فالاقدام عليه محذور ، وهو
عين ما وقع انكاره من الرجوع الى الاستحسان الذي يقع بالقلب ويميل
اليه الخطا ، وان لم يكن ثم دليل شرعي ، فانه لو كان هنالك دليل شرعي
أو كان هذا التقرير مقيدا بالأدلة الشرعية لم يحل به على ما في النفوس
ولا على ما يقع بالقلوب ، مع انه عندكم عبث وغير مفيد ، كمن يحيل
بالاحكام الشرعية على الامور الواقية ، أو الافعال التي لا ارتباط بينها
وبين شرعية الاحكام . - فدل ذلك على ان لاستحسان العقول وميل
النفوس أثر في شرعية الاحكام ، وهو المطلوب .

*

والجواب : ان هذه الاحاديث وما كان في معناها قد زعم الطبري
في تهذيب الآثار ان جماعة من الساف قالوا بتصحيحها ، والعمل بما دل
عليه ظاهرها . وتنبى بالآثار المقدمة عن عمر وابن مسعود وغيرهما ، ثم
ذكر عن آخرين القول بتوهمها وتضعيفها وإحالة معانيها .

وكلامه وترتيبه بالنسبة الى ما نحن فيه لا ثبوت ان يؤتى به على وجهه ،
فانبت به على تحري معناه دون لفظه لطوله ، فحكى عن جماعة انهم

قالوا : لا شيء من اصر الدين الا وقد بينه الله تعالى بنص عليه أو بمعناه ،
فان كان حلالا فعلى العامل به اذا كان عالما بتحليله ، أو حراما فعليه تحريره ،
أو مكروها غير حرام فعليه اعتقاد التحليل أو الترك تترتها

فاما العامل بحديث النفس والمعارض في القلب فلا ، فان الله حظر
ذلك على نبيه فقال (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما
أراك الله) فاصره بالحكم بما اراه الله لا بما رآه وحدثته به نفسه ، فقيره
من البشر أولى ان يكون ذلك محظورا عليه . وأما ان كان جاهلا فعليه
مسئلة العلماء دون ما حدثته نفسه .

وتقل عن عمر رضي الله عنه انه خطب فقال : ايها الناس ! قد سنت
لكم السنن ، وفرضت لكم الفرائض ، وتركتم على الواضحة ، ان تضلوا
بالناس يميناً وشمالاً^(١) . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : ما كان في القرآن
من حلال أو حرام فهو كذلك ، وما سكت عنه فهو مما عفي عنه .

وقال مالك : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم هذا الاصر
واستكمل ، فينبغي ان تتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
ولا يتبع الرأي ، فانه من اتبع الرأي جاءه رجل آخر أقوى في الرأي منه
فاتبعه ، فكلما غلبه رجل اتبعه ، ارى ان هذا بعد لم يتم . واعملوا من
الآثار بما روي عن جابر رضي الله عنه : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
« قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدي اذا اعتصمتم به : كتاب الله وسنتي
ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض »^(٢)

(١) اي كراهة ان تضلوا - أو اتقاء ان تضلوا . (٢) لا أعرف الحديث بهذا
اللفظ عن جابر وهو مروي عنه بالفاظ أقربها الى ما هنا ما رواه ابن أبي شيبة =

٩٤٢ حصر العمل في الكتاب والسنة . وحديث العترة بدل السنة (المنار - ج ١٢ م ١٧)

وروي عن عمرو بن خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم ماوهم يجادلون في القرآن ، تخرج وجهه أحمر كالدم فقال ^(١) « يا قوم !
على هذا ملك من كان قبلكم ، جادلوا في القرآن وضربوا بعضه ببعض ؛
فما كان من حلال فاعملوا به ، وما كان من حرام فاتهوا عنه ، وما كان من
متشابه فآمنوا به »

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه يرفعه قال : ما أحل الله في كتابه
فهو حلال ، وما حرم فيه فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عافية ، فاقبلوا
من الله عافيته ، فان الله لم يكن لينسى شيئاً (وما كان ربك نسيا)
قالوا : فهذه الاخبار وردت بالعمل بما في كتاب الله ، والإعلام
بان العامل به لن يضل ، ولم يأذن لأحد في العمل بمعنى ثالث غير ما في

= والخطيب في المتفق والمفترق عنه وهو « تركت فيكم ما لن تضلوا ان اعتصمتم
به - كتاب الله وعترتي اهل بيتي » ورواه الترمذي والنسائي عنه بلفظ « يا ايها الناس
إني تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي اهل بيتي » والحديث
مروي بلفظ العترة بدل السنة عن كثير من الصحابة منهم زيد بن ثابت وزيد بن
أرقم وابو سعيد الخدري . وروي عن أبي هريرة بلفظ السنة بدل العترة . وفي كلا
السياقين لفظ « ان يفترقا حتى يردا علي الحوض » والجمع بينهما في المعنى ان عترته
أهل بيته يحافظون على سنته . أي لا يخلو الزمان عن قدوة منهم يقيمون سنته لا يثنونهم
عنها التقليد ولا الابتداع ولا الفتن .

(١) كذا في الاصل والحديث أخرجه نصر المقدسي في الخجة عن ابن عمر
قال : خرج رسول الله عليه وسلم ومن وراءه حجرة قوم يجادلون بالقرآن ، تخرج
شجرة وجنتاه كأنما تقطران دما فقال : « يا قوم ! لا تجادلوا بالقرآن ، فانما ضل من قبلكم
بجدالهم ، ان القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً ، والسكن نزل يصدق بعضه بعضاً ،
فما كان من محكمه فاعملوا به ، وما كان من متشابه فآمنوا به »

الكتاب والسنة ، ولو كان ثم ثالث لم يدع بيانه ، فدل على ان لا ثالث ؛
ومن ادعاه فهو مبطل .

قالو — فان قيل : فانه عليه السلام قد سن لامته وجهها ثالثا وهو قوله
« استفت قلبك » وقوله « الاثم حواز القلوب » الى غير ذلك . قلنا :
لو صحت هذه الاخبار لكان ذلك ابطالا لأمره بالعمل بالكتاب والسنة
اذ صحا بها ، لان احكام الله ورسوله لم ترد بما استحسنته النفوس
واستقبحته ، وانما كان يكون وجهها ثالثا لو خرج شيء من الدين عنها ،
وليس بخارج ؛ فلا ثالث يجب العمل به .

فان قيل : قد يكون قوله « استفت قلبك » ونحوه اصرار لمن ليس
في مسئلته نص من كتاب ولا سنة ، واختلفت فيه الامة ، فيعد وجهها
ثالثا . قلنا : لا يجوز ذلك لامور

(احدها) ان كل ما لا نص فيه بعينه قد نصبت على حكمه دلالة ،
فلو كان فتوى القاب ونحوه دليلا لم يكن لنصب الدلالة الشرعية عليه
معنى ، فيكون عبثا ، وهو باطل

(والثاني) ان الله تعالى قال (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله
والرسول) فاصر المتنازعين بالرجوع الى الله والرسول دون حديث النفوس
وفتيا القلوب

(والثالث) ان الله تعالى قال (فاسألوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون) فاصرهم بمسئلة اهل الذكر لينخبروهم بالحق فيما اختلفوا فيه
من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يأمرهم ان يستفتوا في ذلك انفسهم
(والرابع) ان الله تعالى قال لنبيه احتجاجا على من انكروا وحدانيته

(انظروا الى الابل كيف خلقت ؛) الى آخرها . فامرهم بالاعتبار
بعبقريته ، والاستدلال بأدلته . على صحة ما جاءهم به ، ولم يأمرهم ان يستفتوا
فيه نفوسهم ، ويصدروا عما اطأنت اليه قلوبهم ؛ وقد وضع الاعلام
والادلة ، فالواجب في كل ما وضع الله عليه الدلالة ان يستدل بأدلته على
ما دلت ، دون فتوى النفوس وسكون القلوب من أهل الجهل باحكام الله
هذا ما حكاه الطبري عن تقدم ، ثم اختار إعمال تلك الاحاديث ،
إما لأنها صحت عنده أو صح منها عنده ما تدل عليه معانيها ، كحديث
« الحلال بين والحرام بين » الى آخر الحديث ، فإنه صحيح خرجه الامامان .
ولكنه لم يعملها في كل من ابواب التمسك ، ان لا يتكهن ذلك في تشريع الاعمال
واحداث التعبدات ؛ فلا يقال بالنسبة الى احداث الاعمال : اذا اطأنت
نفسك الى هذا العمل فهو بر ، أو : استفت قلبك في احداث هذا العمل ؛
فان اطأنت اليه نفسك فاعمل به والا فلا .

وكذلك في النسبة الى التشريع التركي ، لا يتأتى تنزيل معاني الاحاديث
عليه بان يقال : ان اطأنت نفسك الى ترك العمل الفلاني فتركه ،
والا فدعه . أي فدع الترك واعمل به . وانما يستقيم إعمال الاحاديث
المذكورة فيما عمل فيه قوله عليه السلام « الحلال بين والحرام بين » الحديث
وما كانت من قبيل العادات من استعمال الماء والطعام والشراب
والنكاح واللباس ، وغير ذلك مما في هذا المعنى ، فإنه ما هو بين الحلية ،
وما هو بين التحريم ، وما فيه اشكال - وهو الامر المشتبه الذي لا يدرى
أحلال هو أم حرام - فان ترك الاقدام اولى من الاقدام مع جهله بحاله
نظير قوله عليه السلام « اني لأجد الخمرة ساقطة على فراشي ، فلو لا

أني أخشى أن تكون من الصدقة لأكلتها» (١) فهذه التمرة لا شك أنها لم تخرج من إحدى الحالين : إما من الصدقة وهي حرام عليه ، وإما من غيرها وهي حلال له ، فترك أكلها حذرا من أن تكون من الصدقة في نفس الأمر

قال الطبري — فكذلك حق الله على العبد فيما اشتبه عليه مما هو في سعة من تركه والعمل به ، أو مما هو غير واجب — أن يدع ما يريبه فيه إلى ما لا يريبه ، إذ يزول بذلك عن نفسه الشك ؛ كمن يريد خطبة امرأة فتخبره امرأة أنها قد أرضعته وإياها ولا يعلم صدقها من كذبها ، فإن تركها أزال عن نفسه الريبة اللاحقة له بسبب أخبار المرأة ، وليس تزوجه إياها بواجب بخلاف ما لو أقدم ، فإن النفس لا تطمئن إلى حلية تلك الزوجة . وكذلك قول عمر إنما هو فيما شك أمره في البيوع فلم يدر حلال هو أم حرام ؛ ففي تركه سكون النفس وطأ نية القلب ، كما في الإقدام شك : هل هو أثم أم لا ؛ وهو معنى قوله عليه السلام للنواص ووابصة رضي الله عنهما . ودل على ذلك حديث المشتبهات ؛ لما ظن أولئك من أنه أمر للجهال أن يعملوا بما رأته أنفسهم ، ويتركوا ما استبحوه دون أن يسألوا علماءهم . قال الطبري — فإن قيل : إذا قال الرجل لامرأته : أنت علي حرام . فسأل العلماء فاختلفوا عليه ، فقال بعضهم : قد بانت منك بالثلاث . وقال بعضهم : أنها حلال غير أن عليك كفارة يمين . وقال بعضهم : ذلك إلى نيته أن أراد الطلاق فهو طلاق ، أو الظهار فهو ظهار ، أو يميناً

(١) كان الحديث محرراً تحريفاً مغيراً للمعنى

فهو عيني ، وإن لم ينو شيئاً فليس بشيء : سيكون هذا اختلافاً في الحكم
كأخبار المرأة بالرضاع فيؤمر هنا بالفراق ، كما يؤمر هناك أن لا يتزوجها
خوفاً من الوقوع في المحذور ؛ أو لا ؟ قيل : حكمه في مسألة العلماء أن يبحث
عن أحوالهم وأما تنهم ونصيحتهم ثم يقلد الأراجيح . فهذا ممكن ؛ والخزاة
مرتفعة بهذا البحث ؛ بخلاف ما إذا بحث مثلاً عن أحوال المرأة فإن
الخزاة لا تزول ، وإن أظهر البحث أن أحوالها غير حميدة ؛ فهما
على هذا مختلفان . وقد يتفقان في الحكم إذا بحث عن العلماء فاستوت
أحوالهم عنده ، لم يثبت له ترجيح لأحدهم ؛ فيكون السمل المأمور به من
الاجتناب كالمعمول به في مسألة المخبرة بالرضاع سواء ، إذ لا فرق بينهما
على هذا التقدير . انتهى معنى كلام الطبري .

وقد أثبت في مسألة اختلاف العلماء على المستفتي أنه غير مخير ، بل
حكمه حكم من التمس عليه الأمر فلم يدر أحل أم حرام ، فلا خلاص
له من الشبهة إلا باتباع أفضلهم والمعمل بما أفتى به ، وإلا فالترك ، إذ
لا تطمئن النفس إلا بذلك ، حسبما اقتضته الأدلة المتقدمة .

فصل

ثم يبقى في هذا الفصل الذي فرغنا منه أشكال على كل من اختار
استفتاء القلب مطلقاً أو بقيد ، وهو الذي رآه الطبري . وذلك أن حاصل
الأمر يقتضي أن فتاوى القلوب وما اطأنت إليه النفوس معتبر في
الأحكام الشرعية ، وهو التشريع بعينه ؛ فإن طأنته النفس وسكون
القلب مجردا عن الدليل - إما أن تكون معتبرة أو غير معتبرة شرعاً ؛
فإن لم تكن معتبرة فهو خلاف ما دل عليه تلك الأخبار ، وقد تقدم

أنها معتبرة بتلك الأدلة . وإن كانت معتبرة فقد صار ثم قسم ثالث غير الكتاب والسنة ، وهو غير ما نفاه الطبري وغيره

وإن قيل : إنها تعتبر في الإحجام دون الإقدام . لم تخرج تلك عن الاشكال الاول ، لأن كل واحد من الإقدام والإحجام فعل لا بد أن يتعلق به حكم شرعي ، وهو الجواز وعدمه ، وقد علق ذلك بطلان نية النفس أو عدم طمأنينتها . فإن كان ذلك عن دليل ، فهو ذلك الاول بعينه باق على كل تقدير والجواب أن الكلام الاول صحيح ، وإنما النظر في تحقيقه :

فاعلم أن كل مسألة تفتقر إلى نظرين : نظري دليل الحكم ونظري مناطه . فأما النظري دليل الحكم فلا يمكن أن يكون إلا من الكتاب والسنة ، أو ما يرجع إليهما من اجماع أو قياس أو غيرهما ؛ ولا يعتبر فيه طمأنينة النفس ، ولا قبيح ريب القلب ، لا من جهة اعتقاد كون الدليل دليلاً أو غير دليل ^(١) ولا يقول أحد الأهل البدع الذين يستحسنون الأمر بأشياء لا دليل عليها ، أو يستبحون كذلك من غير دليل إلا طمأنينة النفس ؟) أن الأمر كما زعموا ، وهو مخالف لاجماع المسلمين وأما النظري مناط الحكم ، فإن المناط لا يلزم منه أن يكون ثابتاً بدليل شرعي فقط ، بل يثبت بدليل غير شرعي أو بغير دليل ، فلا يشترط فيه بلوغ درجة الاجتهاد ، بل لا يشترط فيه العلم فضلاً عن درجة الاجتهاد . ألا ترى أن العامي إذا سأل ^(٢) عن الفعل الذي ليس من جنس الصلاة إذا

(١) يظهر أنه سقط من هذا الموضع مقابل « لا » فإن اعتقاد كون الدليل دليلاً أو غير دليل أمر واحد أو جهة واحدة . وليتأمل قوله « ولا يقول أحد » الخ ولعله قد سقط منه شيء أيضاً (٢) لعله « سئل »

فعنه المصلي: هل تبطل به الصلاة أم لا؟ فقال العامي: ان كان يسيرا ففتقر، وان كان كثيرا فبطل - لم يفتقر في اليسير الى أن يحققه له العلم. بل العاقل يفرق بين الفعل اليسير والكثير. فقد انبنى هاهنا الحكم وهو البطالان أو عدمه على ما يقع بنفس العامي، وليس واحدا من الكتاب أو السنة، لانه ليس ما وقع بقلبه دليلا على حكم، وانما هو مناط الحكم، فاذا تحقق له المناط بأي وجه تحقق فهو المطلوب، فيقع عليه الحكم بدليله الشرعي وكذلك اذا قلنا بوجوب الفور في الطهارة، وفرقنا بين اليسير والكثير في التفريق الحاصل أثناء الطهارة، فقد يكتفي العامي بذلك حسبا يشهده قلبه في اليسير أو الكثير، فتبطل طهارته او تصح بناء على ذلك الواقع في القلب، لانه نظر في مناط الحكم

فاذا ثبت هذا فن ملك لحم شاة ذكية حل له اكله، لان حلّيته ظاهرة عنده اذا حصل له شرط الحلّية لتحقق مناطها بالنسبة اليه. او ملك لحم شاة ميتة لم يحل له اكله لان تحريمه ظاهر من جهة فقدده شرط الحلّية، فتحقق مناطها بالنسبة اليه. وكل واحد من المناطين راجع الى ما وقع بقلبه، واطمأننت اليه نفسه، لا بحسب الامر في نفسه؛ ألا ترى ان اللحم قد يكون واحدا بعينه فيعتقد واحد حلّيته بناء على ما تحقق له من مناطها بحسبه، ويمتد آخر تحريمه بناء على ما تحقق له من مناطه بحسبه، فيأكل أحدهما حلالا ويجب على الآخر الاجتناب لانه حرام؛ ولو كان ما يقع بالقلب يشترط فيه ان يدل عليه دليل شرعي لم يصح هذا المثل وكان محالا، لأن أدلة الشرع لا تناقض أبدا. فاذا فرضنا لهما أشكل على

المالك تحقيق مناطه لم^(١) ينصرف الى احدى الجهتين ، كاختلاط الميتة بالذكاة ، واختلاف الزوجة بالأجنبية

فها هنا قد وقع الريب والشك والاشكال والشبهة . وهذا المناط محتاج الى دليل شرعي يبين حكمه ، وهي تلك الاحاديث المتقدمة ، كقوله «دع ما يريبك الى ما لا يريبك» وقوله «البر ما اطمانت اليه النفس ، والاثم ما حاك في صدرك» كأنه يقول اذا اعتبرنا^(٢) باصطلاحنا: ما تحققت مناطه في الحلية أو الحرمة فالحكم فيه من الشرع ين ، وما أشكل عليك تحقيقه فتركه وإياك والتلبس به ، وهو معنى قوله - ان صح - «استفت قلبك وان أفتوك» فان تحقيقك لمناط مسائلتك أخص بك من تحقيق غيرك له اذا كان مثلك . ويظهر ذلك فيما اذا أشكل عليك المناط ولم يشكل على غيرك ، لانه لم يمرض له ما عرض لك . وليس المراد بقوله «وان أفتوك» أي ان تقولوا لك الحكم الشرعي فتركه وانظر ما يفتيك به قلبك ، فان هذا باطل ، وتحويل على التشريع الحق . وإنما المراد ما يرجع الى تحقيق المناط نعم قد لا يكون ذلك درية^(٣) أو انسا بتحقيقه فيحققه لك غيرك ، وتقلده فيه ؛ وهذه الصورة خارجة عن الحديث ؛ كما انه قد يكون تحقيق المناط أيضاً موقوفاً على تعريف الشارع ، كحد النفي الموجب لازكاة ، فانه يختلف باختلاف الاحوال ، فحققه الشارع بعشرين ديناراً ومائتي درهم

(١) هذا جواب «فاذا» وكان في الاصل مقروناً بالفاء (٢) اعل أصله «عبرنا» من التعبير

(٣) في الاصل «ذريعة» وقد جعل فوقها علامة الترميز وأصلحت فصارت «ذرية»

والذرية أصلها ذريعة وهي الحلقة التي يتعلم بها الطعن وما يختل الصائد به الصيد والاظهر ان يكون أصله : قد لا يكون لك ذرية أو أنسي بتحقيقه

وأشبه ذلك ؛ وإنما النظر هنا فيما وكل تحقيقه الى المكلف .
 فقد ظهر معنى المسألة وان الاحاديث لم تعرض لاقتناص الاحكام
 الشرعية من طمأنينة النفس أو ميل القلب كما أورده السائل للمستشكل ،
 وهو تحقيق بالغ . والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات

الحرب المدنية الكبرى

بلغ العالم المدني في العلوم والصناعات وشؤون الاجتماع شأوا لم تعرف له
 الارض نظيرا ، فرماها بقاصمة من الحرب المدنية لم تر لها نظيرا ، فهذه الحرب تشغل
 اليوم عقول الامم في العلم والمدنية وجميع قواهم وجوارحهم وما كسبته في
 لايام الخالية من علم ومال ، وما أنشأته من الآلات وعُدده القتال ، في انتقام عدة أمم
 ودول من أمم ودول أخرى ، وكل دولة مقاتلة تتوسل الى من بقي على الحياد من
 الدول لتجذبها اليها وتجهلها من أحزابها ، فلو نال كل فريق من المقاتلين ما يتناه
 من مساعدة غيره له لا حترقت الأرض كلها بنار هذه الحرب ، وكان البشر كلهم
 حولها كالفراش يتهاقون فيها

لو فكر كل امرئ من الناس بكنه هذه الحرب ونكباتها وشرورها وما تصبه
 في كل ساعة بل في كل دقيقة بل في كل ثانية من أصوات العذاب وصواعق
 النكال على الألوف من اخوانه البشر ، وما يخسره العالم بقدر من تصعقهم من
 العلماء والحكام والصناع والزراع ، وأرباب البيوت الذين خلفوا وراءهم نساء
 وأطفالا لا عائل لهم من دولهم — لو فكر كل امرئ في ذلك وأعطاه حته من
 التصور والتدبير لاضطرب قلبه ، وحار لبه ، وسالت عبرته ، وعظمت عبرته ، ولكن

شغل كل امرئ ما أصابه أو يتوقع أن يصيبه من شر هذه الحرب عما أصاب غيره
وقلما يوجد أحد في الأرض آمن من مصائبها ، وما جعل الله لرجل من قلوب في
جوفه

إن أبعد الناس عن مواقع القتال وأقربهم إلى الأمان على أنفسهم من نيران
مدافعها وبنادقها وأسنة حراجه ، لهم فيها شواغل أخرى بما قصته من مكاسبهم ،
وما قطعت من موارد أرزاقهم ، فقد اضطربت المعاملات المالية في العالم كله منذ
بدأت ، لأن هذه الدول التي أشعلت نارها هي القائمة بمعظم تجارة العالم ، والصناعة
لا كثر ماعونه ولباسه وسائر أدوات عمله ، وما هذا الشاغل عند الأكثرين
إلا دون ما لكل منهم من الضاع والميل إلى أحد الفريقين المتحاربين على الآخر
قترى أمثال هؤلاء أكثر تفكيراً في عاقبة الأحلاف المحاربة من التفكير في عاقبة
أمر أنفسهم في معاشهم وموارد رزقهم ورزق من يعولونه ، لهوى لهم في ذلك
يرضونه ، أو نفع من ورائه يرجونه

هذا وإن الناس يزنون أخبار الحرب بموازين أهوائهم ، ويحكمون في عواقبها
بأمانهم لا بأرائهم ، فحكمهم هذا لا يتوقف على معرفة أخبارها الصادقة ، ولا على
كنه قوات الدول المحتربة . على أن من هذه القوات ما هو معلوم بالتواتر
أو الاستفاضة لا يماري فيه أحد من عوام الناس — دع خواصهم — ومنه أن دولة
انكلترة أقوى دول الأرض في البحر ، وأن دولة ألمانيا أقوا من في البر ، وثانيتين
في البحر ، واختلف الناس في المفاضلة بين الدول في الأساطيل الجوية ، فذهبت
الصحف عندنا إلى أن فرنسا صاحبة السبق في هذا المضمار وإن لها القدر المثل في
ثم ظهر أن ألمانيا هي المبرزة فيه ، كما كنا نظن وفاقا لكثير من الناس . بل
المعلوم بالأجمال عند جماهير الناس في الغرب وأكثر المتعلمين في الشرق أن ألمانيا
أشد الدول استعداداً للحرب واتقاناً لنظامها وعددها وكراعها ، وأنه لولا أن انكلترة
تكثرت في أساطيل البحر . لما لها في ذلك من سبق ، لسهل عليها أن تسود الأمم
كلها بقوة

هذا وان جميع الدول الأوروبية متقاربة في الاستعداد للقتال ، وقبلما تسبق واحدة الى اختراع شيء أو أحداث عدة أو انشاء حصن وتستطيع إخفاء زما طويلا عن غيرها ، فان لكل منهن عيوننا اجد ابصارا من زرقاء الهامة ، وأشد استراقا للسمع من الشياطين ، ولكل من فنون العلم ودور الصناعات ما يمكنه من مساواة الآخرين في الاستعداد الذي يحتاج اليه لحماية حقيقته ، وحفظ مكائنه ، ولم يكن يبقى للسابقين من مزية على اللاحقين في شيء بل صار الاول آخره وعاد البدء ثانيا في كثير من الشؤون ، حتى خيف بعد تلك المساواة أو المقاربة في العلم والعمل ان يستعلي شعب واحد على شعوب أوربة كلها فيسود بذلك العالم كله الفرنسيين اذكي الأوربيين أذهانا ، وأشدهم إقداما ، وأسبقهم الى المحامد يداً ولسانا ، والانكليز أرجح الشعوب أحلاما ، وأشدهم حصافة وإحكاما ، وأمثلهم سياسة وأعدلهم أحكاما . فلماذا سبق هذان الشعبان جميع الشعوب الى استعمار الممالك ، والاستمتاع بثروة الأمم في المغرب والمشرق ، وقد تنافسا وتناظرا ، وتنازلا وتصارولا ، فكان الفلج والظفر لأهل الأناة والروية ، على أهل الذكاء والاربحية ، وبذلك كان للانكليز المقام الأعلى في العالم منذ عدة أجيال ، ويليهما الفرنسيين في الثروة والاستعمار

ثم نبغ الألمان وبرعوا في جميع العلوم والأعمال والصناعات والتجارة حتى بنوا الفرنسيين والانكليز في ذلك فصار النماء النسبي في ثروتهم اعلى من مثله في ثروة أولئك وخيف ان يصير اللاحق سابقا ، والثنيان بدءا . واشتدت المناظرة ، حتى أفضت الى هذه الحرب الحاضرة

وأما سائر الدول والأمم المحاربة مع هؤلاء فهي انما حاربت بالتبع لها ، واقواهن الروسية ، فهي شديدة الاسر ، راسخة الأصل ، نامية الفرع ، غزيرة العدد ، وافرة المدد ، ولو كان شعبها كالألمان في العلوم والفنون ، لسادت الناس اجمعين ، ولكنها دون النمسة وإيطالية في العلم والصناعة ، وفوق الدولة العثمانية التي قنعت من المدنية الأوروبية بتقليد الأوربيين في ظواهر النظام والزري وأساليب المعيشة ،

دون العلوم والفنون التي ترقى الصناعة والزراعة والتجارة ، وتنمي الثروة ، وتغنيها عن
الاجانب فيما يحتاج اليه من أسباب القوة ، وأقله مطاعل السلاح والخبرة
ولولا ان الامة العثمانية حربية بالطبع ، ولولا موقع عاصمتها الذي تنافس فيه
ونحاسد عليه أقوى دول الارض ، فلم يسمح به بعضهن لبعض ، ولولا مكائنها من
نفوس الشعوب الاسلامية ، التي كانت توادها لاجله الدولة البريطانية — لولا
ذلك كله لاسرعت الدول الكبرى في الاجهاز عليها ، بدلا من هذه المطاولة بنقصها
من اطرافها ، والاكتفاء بفتح النفوذ الاقتصادي والسياسي في أحشائها

ولا يسمع الباحث ان يغفل عن سائر الدول الصغرى التي اشتعلت نار الحرب في بلادها أولا ، وهي الصرب والجبل الاسود وبلجيكة ، فجيوش لا تقصده جيوش الدول الكبرى في الشجاعة ، والبلجيكيون من أرقى الشعوب في العلم والصناعة والتجارة فجملة القول في المجموعتين المتقاتلين أن انكلترة وفرنسة وروسية وبلجيكة والصرب والجبل الاسود أكثر من ألمانيا والنمسة والعثمانية رجالا ومالا وأساطيل بحرية وهوائية، ولكن ألمانيا وحدها أعلى منهن استعدادا ونظاما ، ولولا الأسطول الانكليزي لرجحت على الجميع رجحانا ظاهرا ، بل لا يمكنها أن تحارب أوربة كلها وتقتصر عليها

بيد أن هذا السبق في الاستعداد ، ليس مما ينتظم في سلك الخوارق والآيات ، بل يمكن لدول التحالف أن يلحقوها به ، إذا عجزت في أول العهد عن بطشة فاصلة في فرنسة . أما إذا وقف مدعها عند تدويج بلجيكة والاستيلاء عليها وعلى بضع ولايات من شمال فرنسة وجانب من بولاندة الروسية ، فما بعد المدد إلا الجزر ، فإذا أمكن للحلفاء أن يزيدوا عدد جندهم ويمدوه بما لم تستطع هي مثله عاد لهم الرجحان عليها في البر ، كما سبق لهم الرجحان عليها من قبل في البحر .

فحل الرجاء للحلفاء أما هو التظلم بالكثرة بقاعدة قول الشاعر العربي :

ولست بالأكثر منهم حصي وأمنيا العزة للكائر
أما هذا المدد الذي يكون به الرجحان البري فلا يرجي الا من قبل برطانية

المعظمي لأن الفرنسيين قد بذلوا كل ما في وسعهم ، والروس — وإن كانوا أكثر عدداً — لا يجدون من الذخائر والسلاح ولا من الضباط ما يمكنهم من تجديد العدد الذي تسمح لهم به كثرتهم ، فالإنكليز وحدهم هم القادرون على مضاعفة جنودهم ، وعلى إيجاد ما يحتاجون اليه من السلاح والذخيرة لكثرة معاملهم وعملهم ومالهم ، وليس عندهم جندي إجبارية تستغرق العمل ، وتوقف حركة الأعمال ، وإنما يعز عليهم التعجيل بإيجاد ضباط وكفاء لجيش كبير يجددون تنظيمه تجديداً ، ولكن الإنكليز أهل صبر وأناة ، فما لا يدركونه في سنة يرضون بأن يدركوه في سنين ، وتاريخهم مرآة أخلاقهم في ذلك . وقد قدر لورد كاتشر ناظر الحربية القائم بتجهيز الجيوش الإنكليزية مدة هذه الحرب ثلاث سنين

بين أنما تقدم ما يراه كل الواقفين على الحقائق من أن هذه الحرب ليست إلا المظهر الأجل للتنازع على السيادة والنفوذ والاستعلاء في الأرض بين الإنكليز وأبناء عمهم الألمان ، وسائر الدول تبع لها في عللها ومعلولاتها ، ومقدماتها ونتيجتها . دع البحث في المقدمات فقد انتهى أمرها ، وسيحكم التاريخ حكمه العادل فيها ، وأما النتيجة فهي أن السيادة العليا في الغرب والشرق ستكون لأنكلترا أو لألمانيا لا محالة ، ويكون أحلافها تبعاً لها . فتكون لأنكلترا إذا فازت هي وأحلافها بالنصر التام لأنهم لن ينالوا ذلك إلا بها ، ولا تنتهي الحرب إلا وقد انتهكت قواهن من دونها ، واستحدثت هي من القوة فوق ما كان لها ، إذ شرعت بتأليف قوة برية لم يكن لها مثيلها في وقت من الأوقات ، كما أنها تزيد الأسطول قوة على قوة . وحينئذ تكون أعظم الدول ربحاً وأقلهن خسارة ، وإذا كان من بواكر هذا الربح مصر وقبرص والبصرة ومعظم مستعمرات ألمانيا في أفريقيا أو جميعها كما هو المنتظر فكيف تكون أواخره ؟ وأما إذا كان النصر التام لألمانيا وأحلافها فقد طالما لهجت الجرائد الإنكليزية والفرنسية وغيرها بأن ألمانيا حينئذ تجعل أوروبا كلها تحت سيطرتها ، وتنتزع منها جميع مستعمراتها ، وأنها بذلك تسود العالم كله ، ولعلنا نفوذ إلى تفصيل القول في نتيجة الحرب على كل تقدير ، بقدر ما تسمح به المراقبة الرسمية على الصحف ، ونلم في ذلك بأمانى الشرقيين عامة والمسلمين خاصة ؟

﴿ إلغاء الامتيازات الاجنبية والحذر من الفتن الاهلية ﴾

أخذت الدولة العلية تعي جيشها وتستعد للقتال عقب اعلان الحرب في أوربة، وتضافرت الروايات والآراء على انها تحارب مع المانية والنمسة ، وقد كان مقدمات ذلك إلتاؤها للامتيازات الاجنبية ، وهي قد آذنت الدول بذلك في شهر سبتمبر، وقد خشي كثير من نصارى السوريين أن يفضي إلغاء امتيازات الدول الى فتن أهلية في سورية، فكيف اذا حاربت الدولة روسية وفرنسية وانكثرت الحامية للنصارى في بلاد الدولة، وقد تحدث اخواننا السوريون هنا بذلك، وكثر خوض الجرائد السورية الامريكية في المسألة واشتد تشاؤمها وقلقت عن سفير الدولة في واشنطن كلاما يؤيد هذا التشاؤم ، حتى انه ليخيل لمن قرأ ما كتبت ، أن الفتنة وقعت أو كربت أما نحن فانا نعلم ان هداية الاسلام التي حفظت لغير المسلمين حريتهم في القرون التي كانت دول الاسلام فيها أقوى دول الارض لا تزال ذات السلطان الأعلى على نفوس المسلمين ، فاذا كانت السياسة قد غلبتها واستخدمتها في بعض الاوقات في العدوان الذي تنهى عنه فلن تستطيع ان تنال ذلك منها في كل وقت، بل نعلم فوق ذلك ان مسلمي سورية صاروا يعلمون ان مصالحهم القومية والوطنية لن تقوم الا بمعافاتهم مع سائر أبناء وطنهم المشاركين لهم في تلك المصلحة — فالنتيجة اذا ان دين المسلمين وديانهم متفقان على نهيمهم عن الاعتداء ، وحثهم على التعاون والاتفاق ، وقد كان للنهضة العربية الحديثة أعظم التأثير في ذلك .

واننا على ثقتنا بما بينا قد كتبنا مكاتبات خاصة الى من تثق بحسن سمعهم في البلاد السورية نذكرهم فيها بما يجب عليهم العناية به الآن ، ونشرنا في جريدة الاهرام اليومية التي صدرت في ٦ ذي القعدة الماضي (٢٦ سبتمبر سنة ١٩١٤) خطابا عاما في ذلك ثبته هنا ليكون أثرا تاريخيا ، اذ تأخر صدور هذا الجزء من المنار ومنعت الصحف المصرية من دخول البلاد العثمانية وهذا نصه :

الى اخواني الكرام

مسلمي سورية

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله . ان الله شديد العقاب »
 السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فاني أحمده اليكم الله عز وجل .
 وأصلي وأسلم على رسوله محمد نبي الرحمة . ثم أشكر لكم ما أظهرتموه من النجدة والهمة ، في الاخلاص والطاعة للدولة ، وبذل الانفس والاموال والثمرات لها ،
 والكف الوقت عن طلب الاصلاح منها ، وتقديركم الحال الحاضرة قدرها ، حتى انكم ساهتم في هذا أرقى أمم الارض التي سكنت عن جميع مطالبها ومنازعاتها الداخلية ، عند مارأت حكوماتها بازاء الاخطار الخارجية ، مضطرة لتقلد السلاح ،
 والاصطلاء بنار القتال ، فحياكم الله أيها الاخوان ، وزادكم نجدة وأريحية ، واستمساكا بعروة الدولة العلية ، بحسب ما تهدي اليه الشريعة الاسلامية ، وتقضيه الوراثة العربية . ولا يتم لكم هذا الا بالالفة والاتفاق مع أبناء جنسكم ووطنكم من غير أبناء دينكم ، الذين ساوت الشريعة بينكم وبينهم في الحقوق العامة ، وأوجبت عليكم ما لم توجهه شريعة من العدل والاحسان ، وتأكيد الوصية بالخير ان
 أيها الاخوان الكرام ! بلغنا ان الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس ، قد أخذ ينفث في عقد المودة الجنسية والوطنية ليحلها ، وليفصم عروتها وينقض غزلها ، ويزين وسوسته هذه باسم الجامعة الاسلامية ، والقيام بالنهضة الدينية ، فلا يفتنكم الشيطان ، ولا يخدعكم باسم الاسلام وتحريف آيات القرآن ، فان بعض الذين يطلبون المال والجاه بهذه الاسماء لا يفهمون مسيحياتها ، ويستدلون بالآيات ولا يعقلون مدلولاتها ، ألسن تعرفون بينكم ممن يلفظ بالدعوة الى الجامعة الاسلامية ، من لا يعرف عقيدة الاسلام كما يجب ، ولا يصلي ولا يصوم ؟ ولا تبحث في زكاة أمثال هؤلاء بحجهم فانما وجوب الزكاة والمج على مالك النصاب والمستطيع ، وربما يدعون عدم الاستطاعة

إنكم تعرفون هذا بينكم، وإن لم تعرفون من هذا الصنف أعوانا في غير بلادكم، هم أشد منهم نفاقا وأبرع في فن التجارة بالدين، فلا تغفروا بما يقولون ولا بما يكتبون، ووب كلمة حق أريد بها باطل، ومن المسائل المعلومة من الدين بالضرورة أن الله تعالى حرم البغي والعدوان. حتى أنه قال فيمن يقاتلون المسلمين (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) واتي أستحي أن أطيل عليكم في سرد الدلائل على تحريم البغي والتعدي لأن هذا مما تعرفه العامة كما تعرفه الخاصة، فالإطالة فيه تتضمن نسبة الجهل إليكم (وحاشاكم) نعم إن العامة عرضة للنش والخداع ولا سيما إذا جاءها الخداع من باب الدين، فيجب على خاصتكم أن تحذروا عانتكم من وسوسة المناقذين الذين ينفونكم الفتنة « الفتنة نامة لعن الله من أيقظها »

وأذكركم بباب آخر من أبواب الخداع. وهو تحريضكم على التصاري بدنب ميلهم إلى الأجانب من أبناء دينهم كراهة لكم وللدولة العلية لأجل الدين، وربما ينقل إليكم أو تسمعون ما يدل على ذلك، إلا فاعلموا أن هذا إن صح وفرضنا أنه عام فيهم - فإنه لا يبيح لكم الاعتداء على أنفسهم ولا على أموالهم، لأن الشريعة الإسلامية لم تضع عقوبة دنيوية على الميل والحب والبغض ونحو ذلك من أعمال القلوب، على أن الحكام هم المطالبون بتنفيذ العقوبات لا أفراد الأمة. ولا نبحت هنا في عذر من يحب الأجانب لإحسانهم إليه وإلى أهل ملته. ومن يبغض الوطني لظنه أنه لا ينجيه من شره وإذا أهمل الحماية الأجانب له

إذا وقع أقل عدوان منكم على غيركم في هذه الأيام، تكونون قد أثبتتم بالفعل أن ترك العدوان قبل اليوم إنما كان خوفاً من الأجانب لا عملاً بهداية الإسلام، ولا قياماً بحقوق تكافل أهل الأوطان، هذه هي التهمة التي يرمينا بها من يجهل حقيقة ديننا وتاريخنا، إذ كانت دولنا أقوى دول الأرض كلها، وكان المخالفون لنا في الدين يفضلون حكم خلفاء المسلمين، على حكم أبناء دينهم من الرومانيين

إن لنا في هذه الأيام أفضل فرصة لاقتناع أبناء جنسنا ووطننا، بما نتحدث به دائماً فيما بيننا من حسن نيتنا، ورغبتنا في الاتفاق معهم، على كل ما فيه مصلحتنا المشتركة بيننا

و بينهم على قاعدة المنار الذهبية: (تعاون فيما نشترك فيه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما يختلف فيه) ونحن متفقون في اللغة وفي مصالح البلاد الزراعية والصناعية والتجارية والاجتماعية فتعاون على ذلك بغاية الاخلاص . ويعذر بعضنا بعضاً في أمر الدين ثم اتى أختم الكلام بما بدأت به من حمدكم وشكركم على بذل الجهد في طاعة الدولة العلية، وإثبات كون النهضة العربية نهضة علم وعمران ترتقي بها الدولة العلية، لا نهضة مقاومة ومشاكسة للتركية، ولكنني اذ كرم بأن الطاعة الواجبة للدولة إنما هي طاعة أوامرها الرسمية الشرعية، فلا تدعوا العامة تتخذ بدعوى الأوامر السرية أو الشفوية. فضلاً عن أوامر الجمعيات والأحزاب وغيرها، ولا سيما إذا كانت مخالفة لهداية الشرع ومصلحة الأمة والوطن « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » والسلام على من اتبع الهدى . ورجح الحق على الهوى

أخوكم

محمد رشيد رضا

منشئ المنار

﴿ كيف دخلت الدولة العثمانية في الحرب ﴾

لم تلبث الدولة بعد إضرام نار الحرب في أوروبا أن أمرت بتعبئة جيشها تعبئة عامة، وإن كانت قد « أعلنت الحياد » ثم بثت الألغام في زقاني الدردنيل والبسفور ومنعت المرور منهما بعد أن آوت إلى الاستانة البارجتان الألمانيان اللتان كان يطاردهما الأسطولان الانكليزي والفرنسي - وهما الدردنوط غوبن والطراد برسلو - وكانت دور الصناعة الانكليزية قد صنعت للدولة بارجتين من أحسن نوع الدردنوط وقرب موعد ارسالهما إلى الاستانة فلما أعلنت انكثرة الحرب على ألمانيا آذنت الدولة العثمانية بالحق المدرعتين بأسطوطها، فداء ذلك الدولة العثمانية وطفقت جرائد الاستانة وغيرها من الجرائد العثمانية تطعن في انكثرة أشد الطعن، ثم شاع أن الدولة تعد جيشاً في سورية للزحف على مصر وإزالة سيطرة انكثرة عنها، ثم أعلنت الدولة إلغاء الامتيازات الاجنبية تخفيفاً ان يكون ذلك سبباً للاعتداء على رعايا دول الاتفاق الثلاثي اللواتي أنكرن هذا الإلغاء وحفظن لأنفسهن الحق في العمل الذي يقتضيه ما يترتب على ذلك، وإن يكون ذلك مقدمة الحرب وسببها، ولكن الدولة لم تسمَّ معاملة أحد من الأجانب بعد إلغاء امتيازاتهم

أما الجرائد في أوروبا ومصر فكانت تصوراتها أن في الدولة حيز بين أحدهما ميل إلى الحرب مع ألمانيا ورئيسه أنور باشا ناظر الحرية ، وثانيهما ميل إلى إنكلترة وفرنسة ويرى إجابة رغبتهم إلى المحافظة على الحياد التام ، وإن من أعضاء هذا الحزب الصدر الأعظم سعيد حلم باشا وجمال باشا ناظر البحرية وجاويد بك ناظر المالية ، بل قال بعضهم إن من أعضائه طامت بك ناظر الداخلية أيضاً !

كانت إنكلترة أشد دول الأحلاف حرصاً على محافظة العثمانية على الحياد ، وانتهت معهن على أن يضمن لها استقلالها إذا هي حافظت على ذلك ، ولكن الدولة سئمت ذلك الاستقلال الصوري الذي لا يمنع دول الأجانب أن ينفذن فيها كل ما يتفقن عليه وكثيراً مما يختلفن فيه ، وإن يحملن بلادها مناطق نفوذ اقتصادي وسياسي ، وقد ضمننت لها ألمانيا أيضاً الاستقلال ، وإن تعاملها معاملة الامثال ، إذا هي انضمت إليها في هذه الحرب ، وتقدم إليها ما يحتاج إليه من المال والرجال والخبرة ، فوثق رجال الاتحاد والترقي بذلك وإن كان يرتاب فيه غيرهم من العثمانيين وكانت ألمانيا قبل هذه الحرب وبعد خرب البلقان أرسلت إلى الأستانة بعثة

عسكرية لإصلاح الجيش العثماني ، فقامت لذلك دولة الروس وقعدت ، وأرغمت وأزبدت ، ثم أنها باعتمها البارجتين غوبن وبرسلو وأرسلت إليها كثيراً من ضباط البحرية ومهندسيها فخلوا محل البعثة الإنكليزية التي كانت الدولة استحضرتها لإصلاح البحرية أثر منادرتها الآستانة بعد الحرب ، وبذلك اشتد الجفاء بين الدولة وبين إنكلترة وأحلافها ، ووقف اسطول إنكليزي فرنسي أمام زقاق الدردنيل مرابطاً مراقباً للبارجتين الألمانيتين اللتين لم تعدت دول الأحلاف بيعهما للعثمانية . وبذلك قوي نفوذ الألمان في الجيش العثماني وفي البحرية ، حتى قطع دول

الأحلاف الصلات السياسية معها (في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٤) على أثر مصادمة بين الاسطولين العثماني والروسي بلغ الروس أحلافهم أن الاسطول العثماني في البحر الأسود كان هو المعتدي فيها وأنه ضرب بعض المواني الروسية أيضاً ، وبلغ العثمانيون الدول أن الاسطول الروسي هو الذي بدأ بالمدوان ، وإن الدولة مستعدة لتتلافى الحادثة بالطرق السياسية ، وقد طلبت إنكلترة من سفيرها في الآستانة أن يطالب الدولة العثمانية بالتنصل من تبعة المدوان على روسية وعزل البعثتين الألمانيتين البحرية والبحرية ، وإخراج بحارة غوبن وبرسلو الألمانيتين منهما ، وإن يعيها ١٢ ساعة فإن لم تفعل فليطلب جواز السفر وليعادر الآستانة ، وكذلك فعل هو وسفيراً فرنسية وروسية ، وعلى إثر ذلك أطلق الاسطولان الإنكليزي والفرنسي قنابلهما على مدخل الدردنيل ، وصارت الدولة حرباً لدول الأحلاف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

خاتمة السنة السابعة عشرة

نختم السنة السابعة عشرة بمثل ما افتتحناها به من حمد الله الذي لا محمد على الصراء والضراء سواء ، واليه يرجع الامر كله ولا حول ولا قوة الا بالله ، وايه نسال ان يقينا شر هذه الحرب الأوربية ، التي عمت رزاياها جميع البرية ، فكأنها عقاب من الله تعالى للبشر كافة ، لا من أوقدوا نارها خاصة ، فكسدت التجارات ، وتصرعت جميع المعاملات ، وراقبت الحكومات جميع المطبوعات ، وانقطعت المواصلات والمكاتبات بين بعض الامم والاقطار ، وقلت حتى في البلاد التابعة لحكومة واحدة ، أو حكومات متحالفة متآلفة .

فكان مما أصاب المنار ان انقطع في أثناء السنة عن المملكة العثمانية ، وبطلت القصة بوصوله الى كثير من البلاد المشرقية والمغربية ، وانقطعت عنه الحولات المالية من خارج هذا القطر ، وقل من يوفيه حقه أو بعض حقه من أهله ، لان الناس اتخذوا هذه الحرب عذرا لا يستحي من الاعتذار به الاغنياء وكثير من أصحاب الرواتب التي مازلوا يتقاضونها في أوائل الشهور لم تنقصهم الحرب منها شيئا . ولا آخرتها عن أوقاتها قل ما يرد الى المنار من المشتركين حتى لم يعد يكفي لعشر نفعاته ، ولم يتجدد في أيام هذا الضيق عمل جديد للمطبعة ، وغلا ثمن الورق وغيره ، وأما نحن فما غيرنا . وإن تغير ان شاء الله . ما جريتنا عليه من الوفاء لعمالتنا ومعاملينا ، فعمالتنا يوفون أجورهم في كل أسبوع ، ولا نشترى شيئا الا وتؤدي ثمنه دفعة واحدة ، أو أقساطا مطردة ، وقد اجازت الحكومة المصرية عند بدء الحرب ما يحيزه سائر الحكومات من تأجيل أداء الديون فلم يحملنا ذلك على تغيير معاملتنا مع أحد لأجل هذا حسبنا بطول أمد الحرب كل حساب ، وخفنا ان نتجزع عن الاستمرار على سيرنا هذا عدة سنين ، كما يقدر لهذه الحرب بعض العارفين ، فارتأينا أولا أن نصدر أجزاء السنة في سنتين ، ونقاضي الاشتراك بحسب الاجزاء لا بحسب الزمن الذي صدرت فيه ، وأشار علينا بعض الاصدقاء الاوفياء بأن نتقص من الاجزاء نصف حجمها ونبقي الاشتراك على حاله ، ثم نعيد الى ما كان عليه بعد الحرب ، ففزع علينا العمل بهذا الرأي . ولسكننا عزمنا الآن على جعل سنة المنار عشرة أشهر كأكثر المجلات المصرية ، وهي سنة سننها منشيء بحجة الهلال ، ودعاني اليها عقب إنشاء المنار وفرغيت عنها حرصا على كثرة الفائدة . وإثارا لها على حب الراحة . وانما ألجأت اليها الضرورة أما الانتقاد على المنار فما ورد علينا منه شيء لم ننشره ، فان كان أحد كتب الينا نقدا لشيء ولم ننشره أو ننشر ما كان أجمع منه معاني في موضوعه فليذكرنا بذلك ، مينا ما يراه لا يزال منتقدا الى الوقت الذي يكتب فيه ، فان قد الكلام ، من أسباب تجري الكمال ، والله الموفق وله الحمد على كل حال .

ملحق

﴿ مجلة المنار الاسلامي في مصر ﴾

سنة ١٣٣٦

السفر الجميل في أبناء الخليل

(لأحمد اقدي ترجمان)

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿

في اسمعيل ثم في اسحق ثم دخول المسلمين الى الشام وفوائد (في اسمعيل) في التكوين بحسب الاصل العبراني ١٦ : ١٢ آدم يرى ، يده في الكل ويد الكل فيه وامام جميع اخوته يسكن . وقال قبله لام اسمعيل : لان الرب سمع لذلتك . وكلمة « يرى » مثلها بلضارع في نبوة هوشع ١٣ : ١٥ يمشو كما في قاموس الامرائيلية والمراد بقوله « يده في الكل ويد الكل فيه » النبي (عم) لانه من اسمعيل ، وقوله « امام جميع اخوته يسكن » فعمل نزول اسمعيل وسكنه ومعه اولاده ويان اسمائهم في التكوين ٢٥ : ١٤ وهذه اسماء بني اسمعيل - نياوت بكر اسمعيل وقيدار . الى آخره اثنا عشر - ١٨ وسكنوا من حويطة الى شور الى قوله « امام جميع اخوته نزل » اي اسمعيل . وحويطة الثاني عشر من بني يقطان تكوين ١٠ : ٢٩ ويقطان بن عابر تكوين باب ١٠ وابراهيم ابو اسمعيل من عابر تكوين باب ١١ وفي تاريخ سوريا للمطران يوسف الدبسي مجلد اول في سكنى بني يقطان « حويطة الثاني عشر من أبناء يقطان استوطنت فرقة في بلاد خولان شمال اليمن على تخوم الحجاز حيث امتدت بعد ذلك ذرية اسمعيل كما جاء في التكوين فصل ٢٥ عدد ١٨ » اه اما قاران ففي كتاب تحفة الارب قال « قاران اسم رجل من ملوك المالقة الذين اقتسموا الارض فكان الحجاز ونخومه لقاران » وقال ياقوت « قاران جبال الحجاز . وقاران قرية من نواحي صنع من أعمال سمرقند ، وقاران والطور كورتان من كور مصر القليلة »

ولما هاجر النبي (عم) من مكة ونزل المدينة وأهلها الاوس والخزرج وأصلهم من بني يقطان أسلموا وأيضاً أسلم بنو يقطان الذين هم في اليمن وغيرهم . ولما قام المسلمون لفتح - بنو عدنان من بني اسمعيل وبنو يقطان وغيرهم - قومة واحدة اقتصروا على الفرس والرومان واخذوا البلاد ، وفي تاريخ التمدن الاسلامي لجورجي بك زيدان صاحب الهلال بمصر قال : كان اليهود بالشام يدلون العرب على هزوات المدن ضد الروم ويدخلونهم اليها فصارت يد بني عابريدا واحدة . وقوله في اسمعيل في التكوين ١٦ : ١٢ يده في الكل ويد الكل فيه . قلنا ان المراد به النبي

(ع م) لانه من اسمعيل . وياته في نبوة اشعيا ٤١: ٧ بحسب العبراني { من أنض من المشرق الصديق يدعو قدمه وفي عدد ٢٥ منه قدانضته من الشمال قاني من مشرق الشمس يدعو باسمي } قالوا قام النبي من مكة ديار بني اسمعيل الى المدينة مهاجرا ثم قام من المدينة القورة الى مكة فأحيا ودخلها من أعلاها شرقا ، والمدينة شمال مكة ومكة شمال حوية وحوية { خولان } شمال اليمن على تخوم الحجاز كما سبق البيان . وفي نبوة اشعيا ٤٢ : ١ هوذا عبدي الذي أعضده مختاري - ثم قال في عدد ٦ منه - فامسك يديك والعبراني « وامسكت يديك » وترجمة الكاثوليك واخذت يديك أي امسكت يديك يانا لما في التكوين في اسمعيل ١٦ : ١٢ « يده في السكل » ثم بعد قوله وامسكت يديك في نبوة اشعيا باب ٤٢ ذكر في عدد ١١ ذكر ديار قيدار وتمجيدهم للرب من رؤس الجبال إشارة للحج الاسلامي وفي عدد ١٢ خروج الرب كرجل حروب { كناية عن اعانة الرب وغايته للمسلمين في جهادهم وتأيدهم من الرب . وقيدار ابن اسمعيل تكوين ٢٥ : ١٣ } { تبيه اول } في خروج اسمعيل الى الحجاز بحث لان وقت فطام اسحق كان عمر اسمعيل ١٧ سنة كما في شرح الاسرائيلية القرآنيين . فكيف يقال في اسمعيل عند ما كان مع امه : طرحت الولد قومي احملني الغلام ؟ ومنه قدر سن يوسف بن يعقوب لما كان يرعى (١٠ سنة) كما في التكوين ٣٧ : ٢ فالاسرائيلية اختصروا في القصة موقع فيها الارباك . وسنشر كتابا انشاء الله تعالى ونكملها من التاريخ والكتاب (تبيه ثان) بعد ولادة اسمعيل لابراهيم من هاجر بحسب العبراني قال الرب لابراهيم { يكون اسمك ابراهيم لاني جعلتك ابا لجمهور امم } إشارة الى نسل اسمعيل ولنسل اسحق الذي سيأتي قال الرب له (واجعلك امما) واصره بالحنان وجهه عهدا ابديا وعاهده أيضا على إعطائه ارض كنعان بالشام ، ثم بشره بأنه سيعطيه ابنا أيضا من سارة فقال ابراهيم في قلبه . هل يولد لابن مئة سنة ؟ وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة ؟ وقال ابراهيم لله : ليت اسمعيل يعيش امامك . فقال الله له : حقا سارة تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق وأقيم عهدي معه لنسله من بعده ، أما اسمعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا بوركته وأثمرته وأكثرتة - الى قوله - وعهدي أقيم مع اسحق (كل ذلك في التكوين باب ١٧ وترجمة النصاري مناخلاف العبراني الذي اعترفوا بالنقل عنه) (والاصل ما ذكرنا) وفي شرح الاسرائيلية الربانيين العهد لاسحق الحنان وبني اسمعيل مع اسحق اه لان اسمعيل خستن قبل ميلاد اسحق . وأيضا العهد لاسحق بأرض كنعان بالشام كما في سفر الخروج ٦ : ٣ ومزمور ٩٠ : ١٠ الذي طاهد به ابراهيم

وقسمه لاسحق ١٠ فبته ليعقوب الى قوله قائلا أعطى لك أرض كنعان (فجعل
 الرب لبني اسمعيل اليد في الكل وجعل لبني اسحق أرض كنعان بالشام . (ملحق) ان
 الله تعالى بارك اسمعيل لاجل ابراهيم كما في التكوين باب ١٧ وبارك اسحق أيضا لاجل
 ابراهيم كما في التكوين باب ٢٦ وفي نبوة اشعيا من قول الرب ٤١ : ٨ - ابراهيم خليلي)
 قال كل لاجل ابراهيم ، وسمع الرب ذل هاجر فجعل اسمعيل ابنها يده في الكل ، تكوين
 ١٦ : ١٢ والله سبحانه وتعالى لا يخلف وعده وهو على كل قدر اه وفي سفر ايوب
 ٢٢ : ٢١ تعرف به واسلم) أي تعرف بالرب واسلم له ، والبراني « وشلام » وأيوب كان
 قبل موسى كما في حاشية الكاؤليك وقبل ابراهيم كما في مرشد الطالبين للبروتستان
 قالا صل « الاسلام » اه

(في اسحق) بركة الرب لاسحق في الارض المقدسة كما في التكوين باب ٢٦ تنقل
 من يده الى يعقوب ثم الى داود ثم الى المسيح في اخوته . ويانه في دعاء اسحق ليعقوب
 بالوحي الالهي كما في التكوين ٢٧ : ٢٨ فليطك الله من ندى السماء ومن دسم الارض
 وكثرة حنطة وتيذ ٢٩ ليسجد لك شعوب وتسجد لك قبائل . كن سيدا لاختوك
 وليسجد لك بنو امك . لا غنك . ملعون ومباركك مباركك } فقول اسحق ليعقوب يسجد
 لك شعوب وتسجد لك قبائل . هذا ثم لداود في أرض الشام لان يعقوب لم يخضع
 له شعوب بل لداود الذي هو من يعقوب ، وملكه في بلاد الشام ويانه من قول
 داود في مزمور ١٨ : ٤٧ الاله المنتقم لي والذي يخضع الشعوب تحي . والبراني
 (يخضع شعوب تحي) ثم قول اسحق ليعقوب : كن سيدا لاختوك وليسجد لك بنو
 أمك لا غنك ملعون ومباركك مباركك) وهذا المراد به المسيح لانه من داود وداود
 من يعقوب فهو نفس يعقوب ايضا وفي نبوة اشعيا خطابا لشعب اسرائيل ٥١ : ٢
 انظروا الى ابراهيم ابيكم والى سارة التي ولدتمكم لأنني دعوته وهو واحد وباركته
 واكثرته) فالمسيح في مجيئه الثاني يكون كبيرا لاختوته بني اسمعيل من ابيه ابراهيم
 ويخضع له بنو امه وهم بنو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم من سارة . والسجود بمعنى
 الخضوع والخضوع يسبقه العناد ابتداء والخضوع انتهاء . وفي شرح الاسرائيلية الربانيين
 في قول اسحق ليعقوب (كن سيدا لاختوك) قالوا كبير على بني اسمعيل وبني
 قهاورا يعني من ابراهيم وفي قوله (وليسجد لك بنو امك) قالوا بنو يعقوب اه لان
 يعقوب بن اسحق بن ابراهيم من زوجته سارة ، ولا يقال في قول اسحق ليعقوب
 (كن سيدا لاختوك وليسجد لك بنو امك) المراد به داود ايضا لان داود لم يكن

رئيسا على بني اسمعيل وفي نبوة اشعيا في المسيح باب ٤٩ بحسب العبراني انه سمي المسيح فيها اسرائيل واسرائيل هو يعقوب، وفيها ان للمسيح مجيئين : الاول لم يقبل اليهود منه، ومجيئه الثاني يكون في وقت رضاء ومجملهم ويقم الارض، وهي بيان لقول اسحق في امر المسيح مع بني اسرائيل بني امه ساره جده يعقوب، وقول اسحق ليعقوب بعد قوله له كن سيدا لآخواتك وايسجد لك بنو امك - والمراد المسيح كما توضح - قال لا عنك ملعون ومباركك مبارك (فلاعن المسيح ملعون ومباركه مبارك حسب قول اسحق، فلا يتأني النصراني اذا كانوا تابعين للمسيح - كما يقولون - ان يسموا المسيح لانه كما في رسالة بولس الى اهل غلاطية ٣ : ١٣ او يسموا المسيح ملعونا كما في مرشد الطالبين للبروتستان صحيفة ٤٤٢ طبعة سادسة سنة ١٩٠٩ لان لاعن المسيح ملعون ومباركه مبارك حسب قول اسحق . وكيف يسمون المسيح ملعونا ولا عنه ملعون ؟ وسيدا اسحق من الانبياء العظام والمسيح مؤيد لنبوءات الانبياء والناموس اي الشريعة كما في انجيل متى ٥ : ١٧ فبنو اسمعيل اخوة المسيح لايه ابراهيم على هدى ونور من ربهم لا ياتهم بالرب وبانبيائه واعترفهم بالمسيح (ع م) بانه من الانبياء العظام وهم ينتظرون نزوله كما اخبرهم نبيهم (ع م) في الحديث (١) الشريف الصحيح . يكون المسيح في مجيئه الثاني كبيرا لهم فلذلك تقدموا في قول اسحق ليعقوب والمراد المسيح بقوله كن سيدا لآخواتك أي كبيرا لهم . وامناد بني اسرائيل وانكارهم للمسيح وهم بنو امه ساره جده يعقوب والده ايه وصفهم اسحق بقوله (ولايسجد لك بنو امك) اشارة لخضوعهم اليه انتهاء ويلزم من الخضوع العناد ابتداء ثم الخضوع انتهاء، ثم قول اسحق (لا عنك ملعون ومباركك مبارك) فقوله مباركك مبارك يراد به بنو اسمعيل ومن معهم من المسلمين لانهم يباركون المسيح كما في القرآن الشريف يحكي قول المسيح عن الرب { وجعلني مباركا اينما كنت } ولا

(١) قوله في الحديث الشريف أما ماورد في القرآن الشريف في قوله تعالى للمسيح (اني متوفيك ورافئك) الآية المراد بالتوفي النوم ومثله قوله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمبك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى) فجعل النوم وفاة وكان سيدنا عيسى قد نام قرفه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف فعنى الآية (منيبك ورافئك) اه عن الحازن وفي الزمور ٣٧ خطاب للمسيح عدد ٣٤ (انتظر الرب واحفظ طريقه فبرفمك لثرت الارض . ومثله مزمور ٩٩ وفي القرآن الشريف أيضا في المسيح (وان من اهل الكتاب الا يؤمنن به قبل موته وبيوم القيامة يكون عليهم شهيدا) أي قبل موت المسيح لان سياق الكلام فيه وهذا في مجيئه الثاني وحكمه حين ترجم اليهود الى الله تعالى وتؤمن لمسيح ثم ينتقل الى كرامة الله تعالى . ومجيئه في آخر الزمان كما في قوله تعالى في المسيح (وانه لعلم الساعة) أي نزوله قرب الساعة ومثله في نبوة هوشع ٣ : ٥ في آخر الايام

يقولون في المسيح انه لئنه او ملعون بل يشكرون ذلك الانكار والهداية من الله تعالى . وبناء على ما توضح فالمسلمون على هدى ونور من ربهم والمسيح مع اسحق وبقية الانبياء مؤيداً لهم كما في انجيل متى ٥ : ١٧ { تنبيه } في الامثال ٨ : ٣٠ كنت عند صانعا والبراني مرياً (ملخص) من نبوات الانبياء بالوحي الالهي المبينة لقول اسحق في امر المسيح مع بني اسرائيل في قول اسحق وليسجد لك بنو امك (الاول) من نبوة اشعيا في المسيح باب ٤٩ باقائهم مضمونها ان المسيح يرسله الرب الى بني اسرائيل بان يرجعوا الى الرب فلم يقبلوا منه فيخفيه الرب في كنفاته كتابة عن حفظه ، وقال له (انت عبيد اسرائيل الذي به اتعبد) واسرائيل هو يعقوب اشارة لقول اسحق ليعقوب والمراد المسيح (وليسجد لك بنو امك) والخضوع يلزم منه الفناء ابتداء ثم الخضوع اليه انتهاء . وفي نبوة اشعيا هذه مجيئه الاول يكون في وقت دولة اليهود فلسطين وتسلط الكهنة على الشعب كما في عدد ٧ منها { هكذا قال الرب - لختقر النفس لمكر وه الامه لعبد المتسلطين - } وقد انتهت دولتهم وتشتتوا قديمين مجيئه الاول، ولجيئه الثاني قال (ينظر ملاك فيقومون رؤساء فيسجدون) أي لما ينظرونه يقومون اجلالا له وتنظيماً (ويحييه الرب في وقت رضاه فيعيثه في خلاصهم من الامم ويقيم الارض اي بهم وهذا يتم في مجيئه الثاني . فالمسيحيون ترجعوا عدد ٦ من باب ٤٩ من نبوة اشعيا هذه بخلاف الاصل والاصل العبراني وهو اصل النبوة يحكي قول المسيح عن الرب قال (سهل ، او يسير ، ان تكون لي عبدا لتقيم اسباط يعقوب ورد محصور ي اسرائيل واجعلك نورا لامم لتكون خلاصي الى اقصى الارض) فقالوا بدل ذلك قال { قليل ان تكون لي عبدا لتقيم - او لاقامة - اسباط يعقوب ورد محفوطي اسرائيل فقد جعلتك نورا للامم لتكون خلاصي الى اقصى الارض } بناء على قول بولس كما في اعمال الرسل ١٣ : ٤٧ - قد اقمك نورا للامم لتكون انت خلاصا الى اقصى الارض) وقصدهم جعل الامم بدل بني اسرائيل وهذا خلاف الاصل وتحريف للنبوة عن اصلها وموضوعها كأن الرب الذي ارسل للمسيح (عم) لم يعرف ما يستحقه المسيح من الوظيفة وقد فاتهم ما ذكر في عدد ٨ منه في وقت رضاه اجبتك وفي يوم خلاصي امتك وحفظتك - الى قوله - لتقيم الارض أي الشعب في الارض ومعنى نورا لامم اي موصيا في مجيئه الثاني كما في نبوة اشعيا ٤٥ : ٤ (هوذا جعلته شارعا) والبراني شاهدا للشعوب رئيسا وموصيا) وفي الامثال ٦ : ٧٣ (لان الوصية مصباح) اي نور بني يوصي بتوحيد الرب واطاعته واما مجيئه الاول كان

حصولا كما في نبوة اشعيا ٤٩ : ٥ جابلي من البطن عبدا له لارجاع يعقوب ، أي بني يعقوب اه ولا عبرة بقول النصاري « رمزي وحرفي » لأن التعريف ممنوع كما في نبوة ارميا ٢٣ : ٣٦ - كلمة كل انسان تكون وحيه اذ قد حرفتم كلام الاله الحي - (الثاني) من نبوة ميخا ٥ : ٢ - انت يا بيت لحم - يخرج لي الذي يكون حاكما على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ ايام الازل ، اي مخارجه في مجيئه الاول منذ (١) القدم بالنسبة لمجيئه الثاني وحكمه الذي ابتدا النبوة فيه ولذلك قال : لذلك يسلمهم الى حين تلد الوالدة) اي يتركهم لضيق مثل الوالدة لا تلد وهذا في مجيئه الاول لانادهم ثم في مجيئه الثاني يذبحه بقوله (ثم ترجع بقية اخوته الى بني اسرائيل) ويقف ويرعى بقدرة الرب بظمة اسم الرب إلهه ويسكنون لانه الآن يعاظم الى اقاصي الارض ه ويكون هذا سلاما .) اي ترجع بقية اخوته الذين في الخارج على الموجودين بالشام ويرعاهم جميعا بقدرة الرب ويسكنون ويكون سلام لان بظمته الى اقاصي الارض يسهل رجوع الذين في الخارج الى الارض المقدسة بالشام ، وهذا معنى ما في نبوة اشعيا ٤٩ : ٦ لتكون خلاصي الى اقاصي الارض ، اي لخلاص بني اسرائيل (ثالث) من نبوة هوشع ٣ : ٤ لان بني اسرائيل سيقعدون اياما كثيرة بلا ملك وبلا رئيس - الى قوله - وبعد ذلك يعود والبراتي يرجع بنو اسرائيل ويطلبون الرب إلههم والى داود ملكهم - الى قوله في آخر الايام) والمراد بداود ملكهم المسيح لانه من داود وداود من يعقوب . المعنى ان بني اسرائيل يقعدون اياما كثيرة حيارى بلا رئيس وبعد ذلك يرجعون عن الضلال ويطلبون الرب إلههم ويرجعون الى داود ملكهم ويلزم من رجوعهم اليه عنادهم ابتداء معه فالنصاري تركوا « الى » في قوله الى داود ملكهم فقالوا وداود ملكهم تحريفا بالتقصان اه

(ملحق) قول لاهل الكتاب لا تستعربوا أن للمسيح مجيئين حسب نص نبوات الانبياء المقدسة عندهم والله على كل شيء قدير بأن يحفظ المسيح من الاعداء ويأتي به حسب ما تنص فيه حكمته ، ومثل ذلك ايليا رفقه الله الى السماء كما في ملوك ثاني ١١ : ٢ - فصعد ايليا في العاصفة الى السماء) وفي نبوة ملاخي من قول الرب ٤ : ٥ (ها انذا ارسل اليكم ايليا النبي قبل مجيئ يوم الرب العظيم والخوف) البراتي هنا (الياهو) وفي حاشية الكاتوليك على نبوة ملاخي قالت التقليد الراهن والتفق

(١) منذ القدم يطلق على الزمن الماضي القديم قدم ولذل كما في مزمو ١ : ٤٤ - في ايامهم في ايام القدم وفي نبوة اشعيا ٤٩ : ٦٤ ومنذ الازل لم يسمعوا)

عليه عند عموم اليهود والمسيحيين ان ايليا النبي مجيء بشخصه في منتهى العالم لمقاومة الدجال وقد صرح بذلك السيد المسيح نفسه (مت ١٧: ١١ ومرقس ١٩ : ١) اه وقولهم « في منتهى العالم » نص النبوة قبل مجيء « يوم الرب » وفي شرح الاسرائيلية الربانيين قال : قبل مجيء اليوم العظيم اه فاذا كنتم يا اهل الكتاب مصدقين بكتابكم يلزم ان تصدقوا بجميعه خصوصاً نبوات الانبياء لا ان تصدقوا البعض وتشكروا البعض الآخر (تنبيهات) (الاول) في ترجمة المسيحيين لداود مزمو ٢٢ : ١٦ (تقبوا يدي ورجلي) الاصل العبراني كاسديدي ورجلي وفي حاشية كتاب البروتستانت أوكاسد . فقد اعترفوا . وقول داود في مزمو ٢٢ : ١٦ (كاسديدي ورجلي) بناء على قوله يعقوب في يهوذا ابنه كما في التكوين ٩ : ٤٩ يهوذا شبل أسد الى قوله كاسد) والمراد يهوذا داود لانه من يهوذا وسلطنته بالشام (اثنائي) في نبوة أشعيا باب ٤٣ عدد ٨ - انه ضرب من أجل ذنب شعبي) والاصل العبراني « لهم ضربة » يعني الشعب ولفظها العبراني « لاموا » فتركوا « لهم » وقالوا ضرب ، وفي عدد ١٠ منه - ان جعل نفسه ذبيحة اثم . كلمة ذبيحة زادوها . والاصل العبراني فحسب نفسه آثماً ، وفاتهم قوله بعدها « يرى نسلاً » والمراد الشعب لا المسيح وفي عدد ٦ - وضم عليه اثم جميعنا - والمراد الشعب وبيانه في مرآتي النبي أرميا ٧ : ٢ آباؤنا أخطأوا ولبسوا بموجودين ونحن نحمل آثامهم) فرائي أرميا هي بيان لنبوة أشعيا باب ٥٣ وقد اعترف الكاثوليك والبروتستانت كما في كتبهم انهم يترجمون من الاصل العبراني وهنا خالفوا ونسبوه للاصل العبراني (اثنائي) نبوة زكريا باب ١٢ وباب ١٣ تمت في يهوذا وأخيه يوثان من المكابيين من بيت هرون) وعبارتهم اني سفر المكابيين الاول وهو من الاسفار القانونية عند الكاثوليك والاورتدكس ، والبروتستانت تعتبره تاريخاً لليهود (الرابع) في نبوة أشعيا ٧ : ١٤ - ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل (الاصل العبراني الفتاة حبل والكلمة العبرانية مثلها حرفياً في هاجر لما كانت حاملاً باسمعيل كما في التكوين ١٦ : ١١ - ها أنت (حبل) اوفى قابوس البروتستانت للكتاب (عمانوئيل) اسم ولد في أيام أشعيا الخ (الخامس) في نبوة أشعيا ٩ : ٦ لانه يولد لنا ولد ونعطى ابناً الى قوله مشيراً إلهاً الخ وترجمة الكاثوليك لانه قد ولد لنا ولد أعطي لنا ابن الى قوله مشيراً إلهاً الخ مثل العبراني في شرح الاسرائيلية الربانيين هو « زفيا أي ملك يهوذا اه ويطلق عند الاسرائيلية على النهضة والرؤساء آلهة كما في سفر الخروج في العبد الذي يعتق ٦ : ٢١ يقدمه سيده الى الله والعبراني لي الآلهة . وترجمة الكاثوليك يقدمه مولاه الى الآلهة) وفي حاشيتهم أي النهضة

وفي سفر الخروج ١٠: ١٠ فقال الرب لموسى - أنا جعلتك إلهاً لفرعون . العبراني جعلتك
 آلهة لفرعون { فيطلق الجمع ويراد به المفرد من باب التعظيم ومثله في صموئيل أول
 ١٣: ٢٨ (السادس) في أنجيل يوحنا من قوله المسيح لليهود ٣٤: ٧ ستطلبوني ولا
 تجدوني -) وفي أنجيل يوحنا ١٢ : ٣٤ - نحن سمعنا من التاموس أن المسيح يبقى
 الى الابد - ٣٥ فقال لهم يسوع التور مهمكم - فسيروا مادام لكم النور -) والتاموس
 نور كما في مزور ٩ : ٧ تاموس الرب كامل الى قوله ينير العميين ، ومثله في مزور
 ١٠٥: ١١٩ سراج لرجلي كلامك ونور لرجلي) والمسيح مؤيد للتاموس والا نبياء كما في
 أنجيل متى ١٧: ٥

(فصل في ميلاد المسيح) من قول يعقوب بلوحي في يهوذا ابنه كما في التكوين
 ١٠: ٤٩ لا يزول قضيب من يهوذا ومشتري من بين رجله الخ معنى المشتري معطي
 الشريعة ومحققها فالمراد يهوذا داود لانه من يهوذا وسلطته بالنام والمشتري من بين
 رجله أي مابين الشريعة وهو المسيح لانه ولد من أنثى من نسل داود من بين
 رجلها ، والكلمة مثلها في التثنية ٥٧: ٢٨ بمشيتمنا الخارجة من بين رجلها ، كما في
 القاموس العبراني ، والمشيمة غشاء المولود ، ويانه في نبوة أرميا ٢٢: ٣١ لان الرب قد
 خلق شيئاً جديداً اي جديداً في الارض انثى تحيط برجل ٢٣ هكذا قال رب الجنود -
 سيقولون بعد هذه الكلمة أو انقول في أرض يهوذا ومدينتها عند ما أورد سيبرهم يباركك
 الرب يا مسكن البر يا أبها الخيل المقدس ٢٢ فيسكن فيه « والعبراني يسكن » فيه يهوذا
 وكل مدته معاً) أي عند ما يرد الرب سيبرهم ويسكنون بولد المسيح من غير أب بخلق
 الله تعالى لذلك - كما توضح - فكما خلق الرب حواء من آدم من ضلع من أضلاعه كما في
 التكوين ٢: ٢١ و ٢٢ و ٢٣ خلق المسيح من أمه كما توضح من قول يعقوب ونبوة
 أرميا ، وقول الاسرائيلية في شروحاتهم على نبوة أرميا هذه (ان المراد بالانثى أورشليم
 أو الارض ، والرجل الشعب . لم يذكر في الكتاب أنثى ويراد بها أورشليم أو الارض
 واتما ورد انثى ويراد بها أمنا حواء كما في التكوين ١: ٢٧ - ذكر وأنثى خلقهم) أي آدم
 وحواء وأم المسيح مثل أمنا حواء واتما اليهود أخفوا نبوة أرميا هذه عن النصارى
 وأبدلوها بشكل آخر وترجموا في السبعينية اليونانية بما يأتي وجعلوا باب ٣١ عبرانية لنبوة
 أرميا باب ٣٨ سبعينية وقالوا في السبعينية بدل قوله خلق الرب شيئاً جديداً في الارض انثى
 تحيط برجل الخ قالوا الرب خلق خلاصاً لخرس جديد ان الناس سيدورون في الخلاص
 لانه هكذا يقول الرب الخ والترجمة السبعينية موجودة ومطبوعة باليونانية وبالانكليزية

عن اليوناني (تنبيه) في الترجمة السبعينية التي كان عليها النصارى أولاً ثم من بعد أزمفة قالوا ترجمنا العهد القديم من الاصل العبراني كما في كتبهم وقلوا كتاب الاناجيل أخذوا من السبعينية أنظر المجلد الثالث من كتاب الكاتوليك ومرشد الطالبين للبروتستان وفي كتاب ذخيرة الالباب في بيان الكتاب لكانوليك طبع بيروت قال في الترجمة السبعينية لم يترجم فيها الا الاسفار الخمسة الاولى أما بقية العهد العتيق فقد ترجم في أعصار مختلفة، ثم ذكر ان الترجمة السبعينية دخلها أغلاط الى أن قال ان ايرنيموس الذي كان يعرف العبرانية ترجم العهد العتيق من العبرانية وايرنيموس الذي تعلم العبرانية كان في اواخر القرن الرابع، وفي مرشد الطالبين للبروتستان ان ايرنيموس ترجم في أوائل القرن الخامس، والتوراة عند اليهود تطابق على الاسفار الخمسة الاولى وقية العهد القديم وان كان عندهم مقدساً لا يطلقون عليه توراة، والنصارى يطلقون التوراة على كل العهد القديم (في الاناجيل) في قاموس الكتاب للبروتستان قال في الاناجيل انها كانت مستعملة في الكنائس قبل سنة ٢٠٠ مائتين ووبما قبل سنة ١٥٠ اي بعد الميلاد فقوله « ربما » شك منهم وفي مقتطف مارس سنة ١٩١٢ تقریظ رسالة في الاناجيل للاب انطون رباط اليسوعي قال عليها ان الأدلة التاريخية التي أوردها يرقى بعضها الى أواسط القرن الثاني وكانت كما هي عليه الآن منذ أواخر القرن الثالث اه والحواريون ماتوا قبل أواسط القرن الثاني أي قبل سنة ١٥٠ فعلى ذلك الاناجيل ليست من تصنيف الحواريين أتباع المسيح وانما هي روايات فيها وفيها، فالذي يوافق منها نبوءات الانبياء حرفياً في الموضوع بدون زيادة أو نقصان أو تغيير حسب الاصل العبراني الذي اعتمدوه أخيراً يصح قبوله لان المسيح مع الانبياء اه

(فصل في دخول المسلمين الى الشام) النصوص كثيرة انما نذكر منها ما يأتي في نبوة عيسى بحسب العبراني من قول الرب ٦: ٢ - بعد قليل فازلزل السموات والارض - ٧ - وازلزل كل الامم ويأتون احسن كل الامم او افخر كل الامم قائلاً هذا البيت مجدداً - ٨ - وفي هذا المكان اعطى السلام - فقد اتت أمة الاسلام وهي احسن كل الامم لانها على التوحيد وتعظيم الرب والايمان بانبيائه واحترامهم، واعطت السلام والامان وبنيت بيت الرب في المدينة المقدسة بعد ما كان البيت خراباً وامتلاً البيت مجدداً لعبادة الرب فيه ، اما ترجمة النصارى هنا في قولها « ويأتي مشتهى كل الامم » خلافاً للاصل العبراني والعبراني بالجمع « ويأتون » وفي عدد ٢٠ منه وصارت كلمة الرب ثانية - كلم زوبابل والي يهوذا قائلاً « اني ازلزل السموات والارض ٢٢

وأقلب كرسي الممالك ٢٣ - في ذلك اليوم - آخذك يا زوبابل عهدي - وأجلك كخاتم)
والمراد به المسيح في مجيئه الثاني وحكمه لأنه من زوبابل ، والخاتم الذي يوضع في اليد
كناية عن السلطنة أنظر نبوة أرميا ٢٢: ٢٤

في نبوة دانيال باب ٩ مضمونة مقضي على الشعب سبعين (١) اسبوعا وبعدها البر
الابدي وقال في شرح الاسرائيلية وحاشية الكاثوليك كل اسبوع بسبع سنين
تكون المدة ٤٩ سنة بحسب المدة من حرب الرومان لليهود سنة ١٣٢ بعد الميلاد
وبهذه الحرب تشتتوا وآخر المدة سنة ٦١٢ ميلادية وفيها هاجر النبي (ص) الى
المدينة وصار رئيسا عليها وبعد ١٤ سنة دخل المسلمون الشام ، فالاربعة عشر السنة
في نظير اخذ دولة فارس الشام من الروم ١٤ سنة من سنة ٦١٤ لغاية سنة ٦٢٨ م
دخل المسلمون المدينة المقدسة سنة ٦٣٦ كما في تواريخ المسيحيين وفي نبوة دانيال باب
٧ رأى في الرؤيا أربع حيوانات وأوحى اليه انها أربع دول تقوم على الارض أي
الارض المقدسة وبعدهم تكون الارض للقديسين الى الابد ، وقد اعترف اهل
الكتاب ان الدول الأربع السككديان والقوس واليونان والرومان اه فقد انتهوا
وحل المسلمون الارض المقدسة وهم فيها الآن وبمنه تعالى الى الابد ، وبمنه في نبوة
زكريا ١ : ١٨ وأهم هيئة قرون اربعة في ارض يهوذا أي الارض المقدسة وانتهى
امرهم ، وفي انجيل يوحنا من قول المسيح ١٦ : ١٣ - روح الحق فهو يرشدكم - لأنه
لا يتكلم من نفسه بل بكل ما يسمع يتكلم به - ١٤ ذاك يعيدني) فالذي يسمع
يكون له صفة السمع والصفة تقوم بذات ولا تقوم بصفة ، وروح الحق انسان كما في
رسالة يوحنا الاولى ٤ : ١ ايها الاحبة لا تصدقوا كل روح - كل روح يعترف يسوع
المسيح - فهو من الله ٣ وكل روح لا يعترف يسوع - فليس من الله ٦ - من هذا نفرف
روح الحق -) والنبي (ص) يؤمن بالمسيح ويعظمه ويتكلم بما يوحى اليه (يا اخت هرون)
في الحديث الشريف كانوا يسمون بأسماء انبيائهم والصالحين قبلهم اه من ابن كثير وقد
سمي المسيح داوداً كما في نبوة حزقيال ٢٧ : ٢٤ « فصل » المسيح كان على التوحيد
كما في انجيل يوحنا من قول المسيح مخاطب الرب ١٧ : ٣ وهذه هي الحياة الابدية
ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي ارسلته ، وترجمة الكاثوليك
والذي ارسلته يسوع المسيح - أي يعرفون ان الاله الحقيقي واحد والذي ارسله
هو المسيح مثل قول اشهد أن لا إله الا الله وان محمداً رسول الله

(١) قوله سبعين اسبوعاً سبق بيان هذه النبوة تفصيلاً في كتاب البرهان المريح في بشائر
النبي والمسيح وفي الكتاب اسبوع بسبع سنين واسبوع ستة وينا التناجاة الخ وأطلق على
ابراهيم واسحق مسماه كما في مزمو ١٠٥ : ١٥ (تنبيه) سامرة البراني شعرون موصوف
منها في سفر يشوع ١٢ : ٢٠ شعرون بل سامرة جلة بلاد